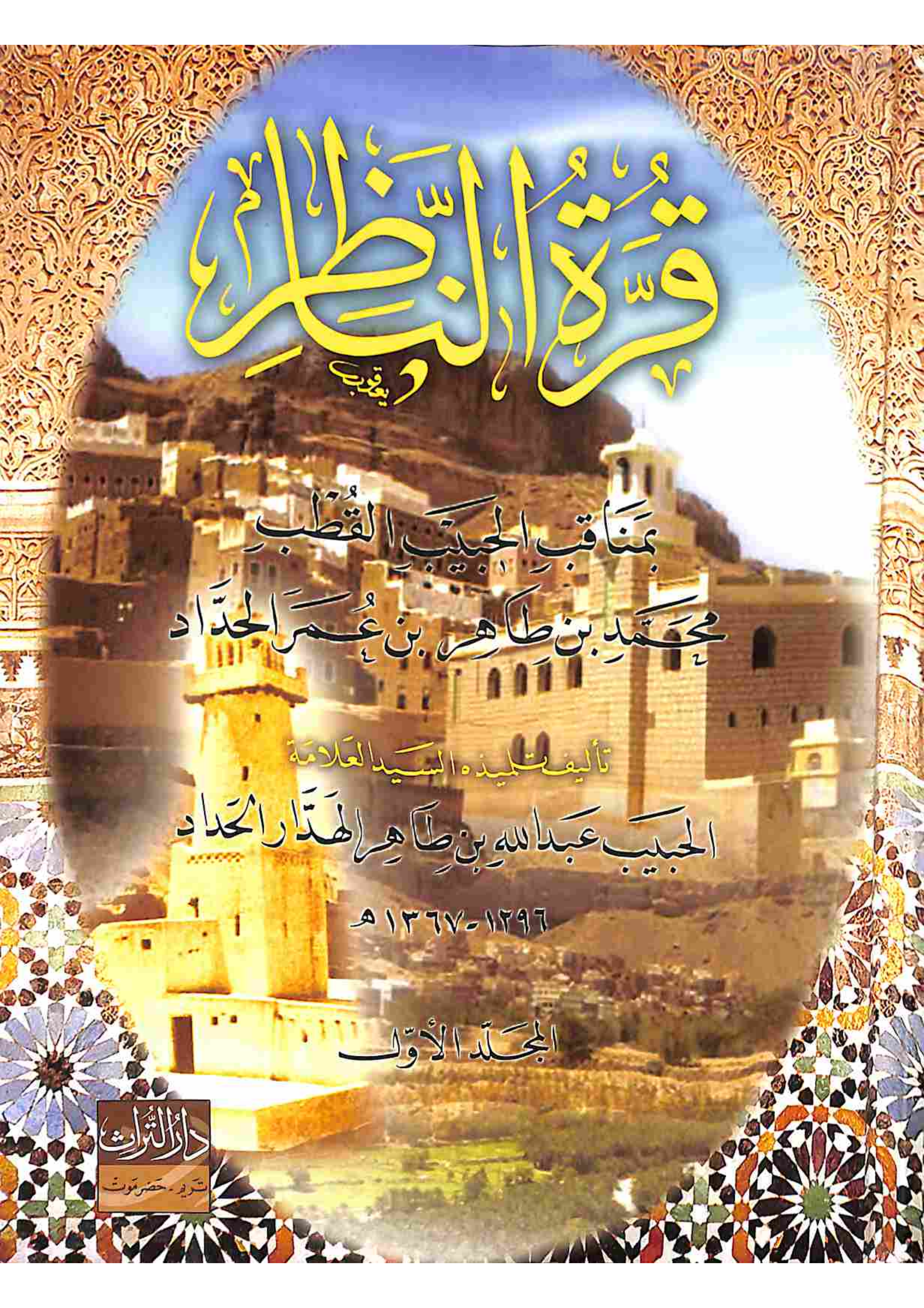


قرة الناظر
بمناقب الحبيب القطب
محمد بن طاهر بن عمر الحداد
تأليف تلميذه السيد العلامة
الحبيب عبد الله بن طاهر الهدار الحداد
١٢٩٦-١٣٦٧هـ
المجلد الأول
دار التراث
تريم - حضرموت


قرة الناظر

□ قرة الناظر بمناقب الحبيب القطب محمد بن طاهر بن عمر الحداد

تأليف: الحبيب عبد الله بن طاهر الهدار الحداد

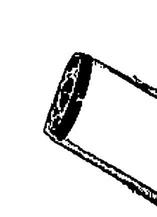
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ـ ٢٠٠٩م

جميع الحقوق محفوظة باتفاق وعقد©

قياس القطع: ١٧×٢٤

الرقم المعياري الدولي: ISBN: ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-١٣٩-٢

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية: ٢٠٠٩/٣/٢٠٣١





بمناقب الحبيب القطب
محمد بن طاهر بن عمر الحداد

١٢٧٣-١٣١٦هـ

تأليف تلميذه السيد العلامة

الحبيب عبد الله بن طاهر الهدار الحداد

١٢٩٦-١٣٦٧هـ

الجزء الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه، وتابعيه وحزبه، اللهم صل وسلم وبارك وكرم، على عبدك المنتقى، ورسولك المرتضى، صلاةً وسلاماً دائمين متلازمين إلى يوم نلقاك ونلقاه، آمين.

أما بعد،

فبين أيدينا كتاب كريم، في ترجمة علم من أعلام عصره، ورجل من مفاخر دهره، ربما لم يعرفه أو يسمع عنه الكثيرون من أبناء اليوم، ولكنه كان في وقته ملء السمع والبصر، وكم ضيع الإهمال من شهير، وستر الخمول من عظيم.

وقد كفانا أهل العلم والمؤرخون الثقات المؤونة، فجمعوا لنا الأخبار، ورتبوا لنا السير والآثار، ودونوها في مصنفات منها ما كتب له السلامة والخلود والوصول بأيدي من ينتفع بها من بعدهم، ومنها ما نهبته أيدي الضياع.

وهذه الترجمة النادرة كتبت بيد عالم فقيه، ومرب مصلح وجيه، دونها للأجيال الصاعدة، لتتأملها، وتأخذ منها العبرة والفائدة في مسيراتها الحياتية، فدونكم أيها القراء المنصفون، سيرةً مباركةً، ومآثر جليلة، ومعيناً تاريخياً ثراً، فانهلوا أيها الباحثون، واغرفوا أيها الطالبون، وتملوا بالنظر أيها العاشقون، فما هي إلا «قرة للناظرين».

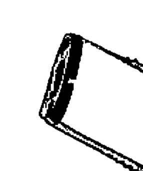
الناشر

طريقة العمل في الكتاب:

١ـ تم نسخ الكتاب ثم مقابلته على أصوله، ودوّنت أهم الفروق بين النسخ، مع تجاوز ذكر الفروق لعدم أهميتها في كثير من المواضع، وخوفاً من تشتيت ذهن القارئ.

٢ـ وضعت الترجمة المختصرة المسماة «**باكورة الثمر**»، في مقدمة الكتاب، لتكون فاتحة خير للقارئ والمطالع في هذا السفر الجليل، وقد حققت على نسختين نادرتين.

٣ـ أما ترجمة المؤلف، وتراجم والد صاحب المناقب وإخوته وأشهر تلاميذه وأبنائه، فقد تم إفراد ملحق (ذيل) بهذا الكتاب أطلق عليه مسمى «**الروض الناضر في التذييل على قرة الناظر**» احتوى تراجم أولئك الأعلام الكرام.



هذا؛ ونسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم
مقرباً إلى جنات النعيم، والحمد لله أولاً وآخراً
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

باكورة الثمر
من مناقب الحبيب العارف بالله
محمد بن طاهر بن عمر

جمع الفقير إلى كرم الله وملاحظة أهل الله
عبد الله بن طاهر بن عبد الله بن طه الحداد
سامحه الله وعفا عنه آمين
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم



هذا الكتاب

تعد رسالة «باكورة الثمر» هي الأصل والأساس لكتاب «قرة الناظر»، وكان جمعها وتأليفها سنة ١٣١٧هـ أثناء زيارة مؤلفها الأولى لمدينة سُرَبايا، في حياة شيخه العلامة محمد بن عيدروس الحبشي (ت ١٣٣٧هـ).

قال المؤلف رحمه الله في مقدمة «**القرة**»: «فجمعت نبذة في نحو كراس وعرضتها على ذلك القطب النبراس فرضيها ورتب قراءتها كل عام عند ضريح الحبيب العالي المقام. ثم إني جعلت تلك «**الرسالة**» أصلاً لهذه «**العُجالة**»، وضممت إليها ما شهدته أو بلغني عن ذلك الإمام مما فيه الكلام ..»، إلخ.

وقد وصف هذه «الباكورة» في مقدمة الباب الثامن المسمى بـ«النفح العاطر» وصفاً طويلاً، أنقله هنا لمناسبته المقام، قال المؤلف رحمه الله: «وإنما جرأني على المضي في هذا المرام بعد محبتي لهؤلاء السادة الكرام رواج ما كتبته في الكلام في هذا المقام عند كثير من مشايخي الأئمة الأعلام وإخواني في الإيمان والإسلام وفرحهم بذلك الفرح التام وحصول جملة من المبشرات في اليقظة والمنام».

فقد قرئت الرسالة المسماة بـ«**باكورة الثمر من مناقب الحبيب الإمام محمد بن طاهر ابن عمر**» على شيخنا الإمام بهجة الزمن ونور الأغلاس شهاب الدين الحبيب أحمد بن الحسن العطاس قدس سره، قرأها عليه شيخنا العلامة الخاشع المتواضع محمد بن سالم بن أحمد بلخير، وكتب إلي بعد ما قرأها ما صورته: «صدر إليكم الكراس ترجمة سيدي

الحبيب محمد بن طاهر وذلك بعد قراءتي له جميعه على سيدي الحبيب أحمد بن حسن.. إلخ، واستحسنه». انتهى.

وقرئت الرسالة المذكورة أيضاً على شيخنا الإمام نور الدين ومعدن العلم واليقين الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي قدس الله سره قرأها عليه الأخ الجهبذ العلامة علوي بن طاهر في مجلس واحد عند زيارتنا له سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف.

ولما وصل عند قول الحبيب القطب أبي بكر بن عبد الله العطاس: «وبالجملة فله زمان يا بخت من حضر زمانه»، قال الحبيب علي المذكور قدس الله سره: «الحمد لله حضرنا زمانه وعرفناه وأحبنا وأحببناه»، ولما أكمل قراءتها قال لي الحبيب علي: «جزاك الله خيراً يا عبد الله بن طاهر؛ حفظت علينا ما لم يحفظه غيرك، يا خير كلام، ويا خير لسان، لسان علم». انتهى. فالحمد لله، ذلك من فضل الله.

وممن سمعها وفرح بها: شيخنا الإمام شهاب الدين الثاقب الذي لا يخاف في الله لومة لائم ولا عيب عائب الحبيب أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس حضر قرأتها في الجمع الحافل عند ضريح سيدي الحبيب قدس سره في يوم الحول المعتاد سمعها مرات وأول ما سمعها سنة تسع عشرة وثلاثمائة وألف ولما رجعنا من المقبرة إلى البيت قال لي شيخنا الإمام الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي قدس سره وكان مماشياً للحبيب أحمد المذكور: إن كلام الحبيب أحمد من القبة إلى الدار كله على كورك ثناء عليك ودعاء لك. انتهى.

وممن سمع الرسالة المذكورة واطلع على الجزء الأول من هذا المجموع: شيخنا الإمام العارف بالله عفيف الدين عبدالله بن محسن بن محمد العطاس قدس الله سره واستعار مني الجزء الأول ومكث عنده عدة أيام.

ولما كان ذات ليلة رأيت كأني في محفل عظيم في مسجد واسع والناس يتواردون إليه لصلاة الجمعة ومقدم الجمع هو الحبيب عبد الله المذكور ولما أقيمت الصلاة دعاني فدنوت

منه فألبسني جُبَّةً كانت عليه وقدمني إماماً فصليت بالناس ركعةً واحدةً وتفرقوا ولم أتم الصلاة أنا أيضاً وانتبهت ففرحت عند انتباهي بهذه المبشرة وساءني عدم تمام الصلاة وكنت حينئذ ببوقور، في بيت سيدي الإمام علوي بن سيدي الحبيب محمد بن طاهر.

فلما أشرقت الشمس صبيحة تلك الليلة إذا بسيدنا الحبيب عبد الله المذكور مقبلاً إلينا فلاقيناه فلما صافحته **قال لي**: جزاك الله خيراً وشكر سعيك لقد أحسنت فيما جمعت وفرحت منك وكلما قلته وكلما باتقوله صواب. **فقلت له**: ببركتكم إن شاء الله وقصصت عليه الرؤيا المتقدمة. وقلت له: إني فرحت بها وخفت من عدم إتمام الصلاة. **فقال**: هذه يقظة لا رؤيا والأمر كذلك وعدم إتمام الصلاة يفرح ما يخوف والخوف إلا لو تمت. **فقلت له**: كيف ذلك؟ **فقال**: إن الرؤيا في عالم الأرواح وهو عالم إطلاق لا تكليف ولا تقييد فيه والصلاة مظهر من مظاهر التكليف في عالم الأشباح فلو تمت في الرؤيا لكان ظهور التكليف في غير عالمه وعند ذلك يكون الخوف ولما نقصت كان نقصانها دال على صحة الرؤيا لعدم ظهور التكليف في غير عالمه هذا معنى ما قاله نفع الله به.

وقد انجلى عني بهذا الكلام العذبِ إشكالاتٌ كثيرة، لأني كثيراً ما أرى أني آخذ في الاستعداد والتأهب لبعض العبادات ثم لا تكمل، فإذا انتبهت حزنت وأسفت لعدم تمامها، حتى سمعت ما ذكر لي هذا العارف الغارف المكاشف، رضي الله عنه وعن سائر عباد الله الصالحين.

وممن اطلع على ما كتبتُ: شيخنا الإمام الجهبذ النقاد جمال الدين محمد بن أحمد المحضار وسُرَّ بما رأى، وحثني على تمامه ونبهني على كلمات أصلحتها بإفادته وحكايات أثبتها بروايته، أعاد الله علينا من بركته، آمين. **ومنهم**: شيخنا الإمام العلامة شهاب الدين أحمد بن عبدالرحمن السقاف قرأت عليه خطبة الجزء الأول وتصفح مواضع منه وفرح به وأعجبه. **ومنهم**: شيخنا العلامة العامل والجهبذ الكامل الظافر من محبة العترة بأعظم فيد شجاع الدين عمر بن أبي بكر باجنيد المكي قرأ الرسالة المختصرة جميعها وفرح بها ودعا

لي. ومنهم: شيخنا العلامة المحدث عمر حمدان المغربي، اطلع على الجزء الأول وكان من جملة ما قاله: «لو لم أخرج إلى حضرموت إلا لرؤية هذا الكتاب لكفى!».. إلخ.

❊ ❊ ❊

وصف النسخ المعتمدة

اعتمدنا على نسختين خطيتين قيمتين من هذه الرسالة الثمينة:

١ـ **النسخة الأولى** (ش): وهي نسخة عتيقة، كتبت بتاريخ: ليلة الجمعة ١٨ جمادى الآخرة سنة ١٣٢١هـ، بقلم الشيخ الفاضل حسن بن عبد الله بن علي باشعيب، وعدد صفحاتها (٢٧ صفحة). وكتب على طرتها ما مثاله:

«أنس الفؤاد بمناقب الإمام الجواد الداعي

إلى سبيل الرشاد سيدنا الحبيب

محمد بن طاهر الحداد،

نفع الله ببركته الحاضر والباد.

جمع بعض المتعلقين

بجنابه،

اللائذين بعد باب الله ورسوله بأعتابه، سامحه الله بمنه وكرمه، آمين آمين».

٢ـ **النسخة الثانية (الأصل)**: وهي بخط السيد عبد الرحمن بن عمر بن حسين بن محمد البار، غير مؤرخة، تقع في (٢٦ صفحة). كتب على طرتها:

«باكورة الثمر، من مناقب الحبيب العارف بالله محمد

ابن طاهر بن عمر، جمع الفقير إلى كرم الله

وملاحظة أهل الله عبد الله بن طاهر

ابن عبد الله بن طه بن عبد الله بن

طه بن عمر بن علوي الحداد

سامحه الله وعفا عنه

آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم».

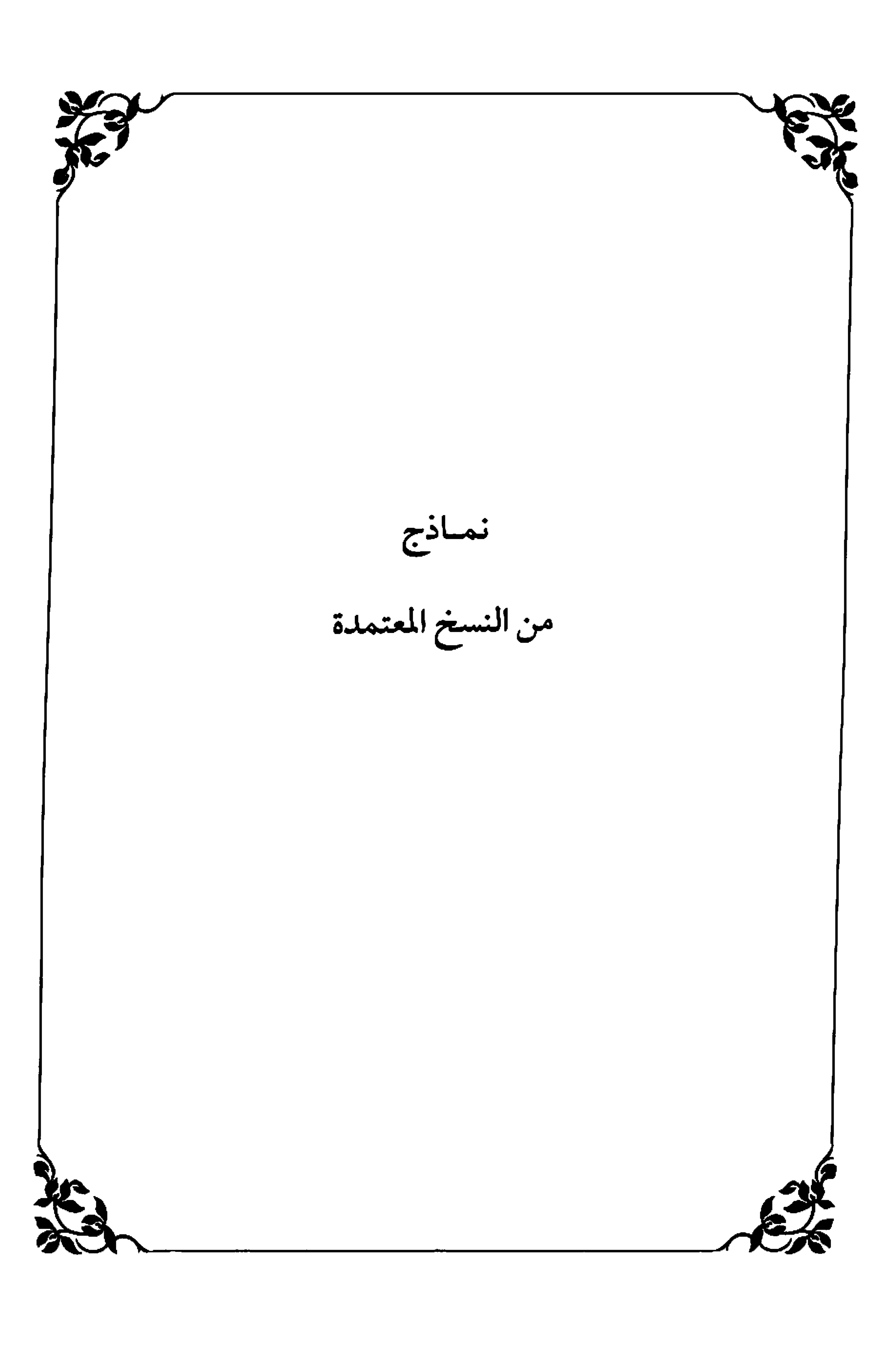
مرجّحات الاعتماد على النسخة الأخيرة:

لترجيح اعتماد النسخة الأخيرة، مع كونها غير مؤرخة، أمور؛ أهمها:

١ـ أن العنوان مختلف في النسختين، ويرجّح أن مؤلفها سماها أولاً «**أنس الفؤاد**»، ثم غيره إلى «**باكورة الثمر**»، بدلالةِ: أنه في مقدمة «قرة الناظر» أشار إليها بـ «الرسالة»، وذلك أثناءَ إقامته بجاوة، ثم لما خرجَ إلى حضرموت، وأتم الكتاب، عدَل عن الاسمِ الأول «**أنس الفؤاد**» إلى الثاني «**باكورة الثمر**»، بدلالة: ذكرِه هذا الاسمَ الجديد في مقدمة الباب الثامن، الذي سماه «**النفح العاطر**»، والذي لم يصنفه ولم يجمع مادته إلا في بلده (قيدون) بعد عودته إليها قادما من جاوة، ولعله بعد سنة ١٣٤٤هـ لأنها السنة التي قدم فيها الشيخ عمر حمدان المحرسي إلى حضرموت، وهو ممن اطلع على «قرة الناظر»، كما تقدم، والله أعلم.

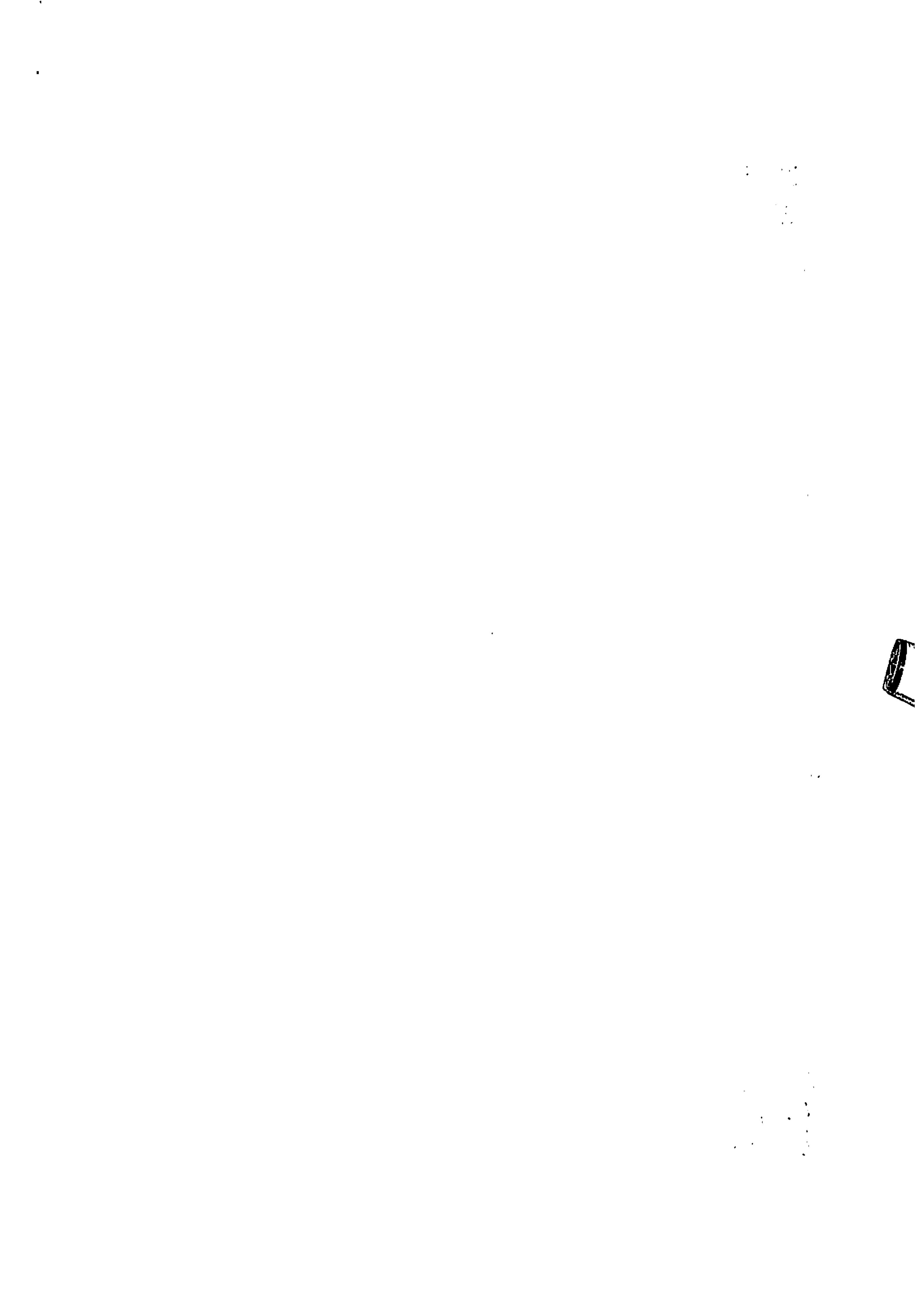
٢ـ تبين بعد مقابلة نصوص النسختين، أن نسخة باشعيب (ش) ناقصةً كثيراً عن نسخة البار (الأصل)، وامتازت النسخة (الأصل) بتحرير عباراتها، وتهذيب الكلام العامي الذي ورد في النسخة (ش)، وتم وضع العبارات المزيدة بين قوسين معكوفين [..].

هذا أبرز ما ظهر، والله تعالى من وراء القصد، ولا حول ولا قوة إلا به.



نمـاذج

من النسخ المعتمدة



أنس الفؤاد بمناقب الإمام الجواد الداعي

إلى سبيل الرشاد سيدنا الحبيب

محمد بن طاهر الحداد

نفع الله ببركته الحاضر والباد

جمع بعض المتعلقين

بجنابه

اللائذين بعد بالله ورسوله بأعتابه سامحه الله بمنه وكرمه آمين آمين

ولما كان يوم الأحد لتسع من جمادى الآخرة ١٣٢١ احدى وعشرين وثلاثمائة وألف
رأى سيدي الحبيب علوي بن محمد بن طاهر كأنه في محفل عظيم ومقدم ذلك المحفل
سيدنا الحبيب القطب علي بن محمد الحبشي وكأن الحبيب تصفح هذه الورقات فأعجبته
وقال هذا الأسلوب أحسن مما سلكه الأولون أو ما هذا معناه ودعا لجامعها
وقال نسخنا منها نسخة فلله الحمد على ذلك انتهى

غلاف نسخة باشعيب

٢٧

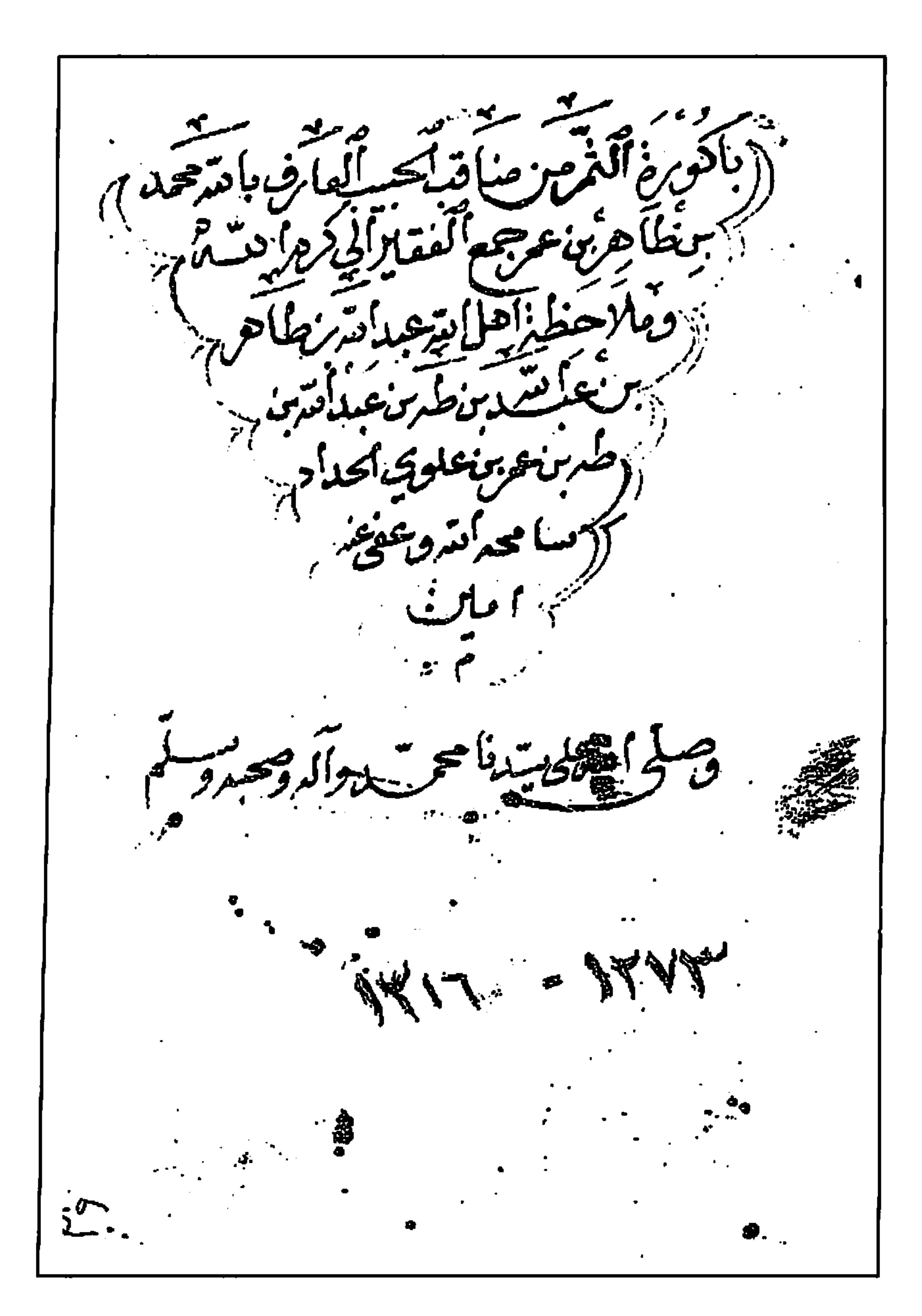
يعاني أمورًا لا يقوم بحملها • سواه ولا يعبأ بما هو حامله
تنكّر لما يفعله لو أنّ غيره • حكاه بأقوال تقعّر قائله
فلو عشر معشار الذي قد عني به • على كاهل من حمله أطّ كاهله
ترحّل عنا كارهين رحيله • وإن كان في أعلى الجنان منازله
فما هو ممن تبكه عند فقده • إذا ما انقضى أمّه وحلائله
ولكن تبكيه المرابع كلها • ويبكي عليه فضله وفضائله
وتبكي عليه حضرموت وأهلها • ومن كان من أهل الجميل يعامله
ويبكي عليه علمه ودروسه • ويبكي عليه ركبه وصواهله
وتبكي عليه الأرض شرقًا ومغربًا • وتبكي عليه هنده وسواحله
سلام من الرحمن يخضل تربة • به حلّها فرد الزمان وواصله
فيا ربّ فانفعنا به وارحمنا وجد • على الكلّ منّا بالذي هو آمله
وصلّ على روح الحبيب وآله • وسلّم عدد ما انهلّ بالقطر وابله

اللهمّ بحقه عليك وبماله لديك اجمعنا بك عليك، واشغلنا بك عن غيرك، وتمّم علينا إفاضة خيرك فإنك غمرت بالنوال، وأغنيت عن السؤال، وصلى الله وسلّم على عين أهل الكمال، ومنبع الجود والإفضال، حبيبنا محمّد منتهى الآمال، وعلى صحبه والآل، على ممر الأيام والليال، وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين، سبحان ربك ربّ العزّة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين آمين آمين

انتهى الكتاب بحمد الله وعونه كان الفراغ من نساخته ليلة الجمعة المباركة ١٨ [illegible] في شهر جمادى الآخر سنة ١٣٢١



الصفحة الأخيرة من نسخة باشعيب



باكورة الثمر من مناقب الحبيب العارف بالله محمد
بن طاهر بن عمر جمع الفقير إلى كرم الله
وملاحظة أهل الله عبدالله بن طاهر
بن عبدالله بن طه بن عبدالله بن
طه بن عمر بن علوي الحداد
سامحه الله وعفى عنه
آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

١٢٧٣ - ١٣١٦

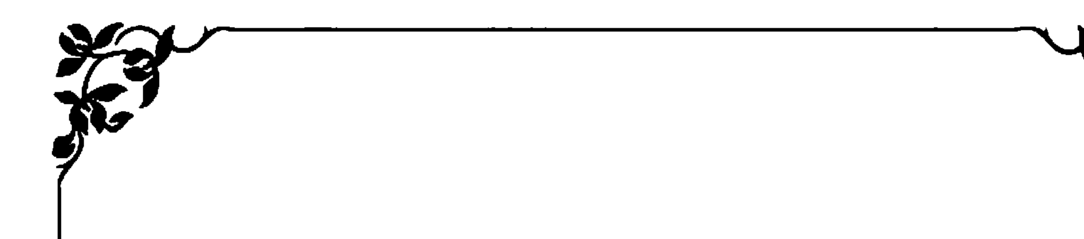
غلاف نسخة البار (الأصل)

وتبكي عليه الأرض شرقا ومغربا — وتبكي عليه هندها وسواحله
سلام من الرحمن يحضل تربة — به حلها فرد الزمان وواصله
فيا رب فانفعنا به وارحمنا وجد — على الكل منا بالذي هو آمله
وصل على روح الحبيب وآله — وسلم عدد ما انهل بالقطر وابله

اللهم حققنا عليك وبما لديك اجمعنا بك عليك واشغلنا
بك عن غيرك وتمم علينا افاضة خيرك فانك عزت
بالنوال واغنيت عن السؤال وصلى الله وسلم على عين أهل الكمال
ومنبع الجود والأفضال حبيبنا محمد منتهى الآمال
وعلى صحبه والآل على مر الأيام والليالي وآخر
دعوانا أن الحمد لله رب العالمين سبحان
ربك رب العزة عما يصفون وسلام
على المرسلين والحمد لله رب
العالمين بقلم الفقير
الى الله عبد الرحمن [illegible]
[illegible]
[illegible]
آمين

بن حسين البار [illegible]

الصفحة الأخيرة من النسخة الأصل



باكورة الثمر

من مناقب الحبيب العارف بالله
محمد بن طاهر بن عمر

جمع الفقير إلى كرم الله وملاحظة أهل الله
عبدالله بن طاهر بن عبدالله بن طه الحداد
سامحه الله وعفا عنه آمين

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾

الحمد لله الذي رفع لعباده العارفين به ذكراً في ملكوتِ السَّموات، ونشَر على رؤوسهم من العزِّ والشرف والمهابة رايات، وخصَّهم بها لا يحصر من الخصائص والبراهين والكرامات وجعل حفظها ونشرها من أهم المهمات، والصلاة والسلام على كاشف الغمة، وواسطة كل خير ونعمة، سيدنا ومولانا محمد ﷺ القائل: **«عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة»**[1]، وعلى آله وصحبه هداة الأمة.

وبعد،

فهذه أحرفٌ من ترجمة سَيدي الإمام الهمام، بركة الأنام، الحبيب المحبوب، المجتمعة على تعظيمه ومحبته القلوب، عين الأعيان، ترجمان لسان العرفان، العارف الصديق، الداعي إلى أقوم طريق، الهادي إلى سبيل الرشاد، جمال الدين سيدنا الحبيب محمد بن طاهر بن عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي ابن الإمام قطب الإرشاد سيدنا الحبيب عبد الله ابن علوي الحداد، نفع الله ببركتهم الحاضر والباد، إنه كريم جواد، آمين.

---

(١) قال الحافظ العراقي في تخريج أحاديث الإحياء: «ليس له أصل في المرفوع وإنما هو من قول سفيان بن عيينة»، ومثله قال تلميذه الحافظ ابن حجر كما نقله عنه السخاوي في «المقاصد» ص٤٧٦، وأورده الملا علي القاري في «المصنوع» ص١٢٥، والشوكاني في «الفوائد المجموعة» ص٢٥٤ وص٥٠٨، والعجلوني في «كشف الخفاء»: ٢/ ٧٠. قلت: وقول سفيان أسنده عنه الإمام أحمد في «الزهد»: ص٣٢٦. والله أعلم.

اعلم أنها قد جاءت بوجود هذا الحبيب بشاراتٌ قبل وجوده عن كثير من أهل الولايات فمن ذلك ما جاء عن الشيخ الكبير الشان، عبد الله بن أحمد باسودان، في قوله (شعراً):

يا أهل قَيدون حبّكُم عندكَم مطلـعُ القمَـرْ

قال بعض العارفين: (القمر) هو: الحبيب محمد بن طاهر، و(مطلعُه): هو والده النور الباهر. ويؤيد ذلك: أنك إذا حسبتَ ما لقوله: (مطلع القمر) من العدد بحساب الجمَّل الكبير؛ تجده: خمسمائة وعشرين، وذلك مجموع قولك: (الإمام محمد بن طاهر الحداد).

ويؤيد ذلك أيضاً: رأي بعضُ أهل النور من المشايخ العموديين؛ كأنه هو والحبيب طاهر في حضرة الشيخ سعيد العمودي زائرين، وكأن القمر نزل من أعلى قبة الشيخ سعيد إلى تابوته، وخرج من التابوت إلى حِجر الحبيب طاهر، فلما اجتمع بالحبيب طاهر أراد أن يخبره بما رأى، فكاشفه الحبيب طاهر، وقال له: خل الرؤيا إلى أن يأتي وقتها. فلما وُجد سيدي رضي الله عنه واجتمع الحبيب طاهر بالشيخ المذكور، قال له ابتداءً: كيف الرؤيا التي رأيتها فقد جاء وقتها الآن؟! فقصَّها عليه، فقال له: هدف لنا ولد وسميناه محمداً، وهو تعبير رؤياك.

ومن البشائر التي ما فيها التباس: ما رواه الحبيبُ العارف بالله محمد بن الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، عن أبيه الحبيب صالح، أنه قال: كثُرت الخيرات، ودرت البركات، يولد لطاهر بن عمر مولودٌ يملأ نوره الأرضَ والسماء.

ومما جاء من البشارات بطوالع سعوده بعد وجوده: ما رواه الحبيب العارف بالله سالم بن أبي بكر بن عبدالله العطاس، عن أبيه القطب الحبيب أبي بكر: أنه لما وَجد سيدي يلعب مع الصبيان، وهو ابن سبع سنين أو ثمان، مسح بيده على رأسه، وأشعل فتيلته من

نبراسه، وقال: إن هذا الولد يرث مقام الجيلاني والعيدروس والحداد، ولم يزل يصف ما يبلغه من المقامات والأحوال، إلى أن قال: وبالجملة؛ فله زمانٌ يا بختَ من حضَر زمانه.

ومن ذلك: ما جاء متواتراً عن إمام الأبرار سيدنا الحبيب القطب أحمد بن محمد المحضار؛ مثل قوله: يُبسط لمحمد بن طاهر بساطُ الجيلاني والعيدروس والحداد، وقوله في بعض قصائده الحمينية يخاطب سيدي رضي الله عنهما (شعراً):

وعادْ لي فيكْ رجْوى تنعَش النعشَتينْ علمِ الشريعةْ معَ علم الحقيقةْ وحينْ

وقوله من قصيدة أخرى يشير على ما يبلغه سيدي من المقامات الكبرى:

على خير حالٍ يبلغ السولَ والمنَى محمدُ جيم الجودِ ما شفتُ له مثلا

ومظهـرُه في كـلِّ أرضٍ ومحفـلٍ كما ذي سكنْ عيناتْ بل صيتُه أعلا

ومثلُ الذي قد حلَّ قيدونَ جاهُه يقعْ مثلَ أهل الجـود يـذبحُها إبـلا

ومثـلُ ابـن علـوان الـذي حـل ... وتُنـزحُ مـن بئـر الكـريمِ لـه أدلاءْ

وما جاء من التنويه بشأنه، والتبشير بإضلال زمانه، لا يعد ولا يحصى، وفي اليسير دلالة على الكثير، وغنية للبصير.

وكان وجوده رضي الله عنه بقيدون، ليلة النصف من ذي الحجة الميمون، سنة ثلاث وسبعين ومائتين وألف، **١٢٧٣هـ** ومن عناية مولاه به: أنه ما صاح عند وجوده، حفظاً ربانياً، وإرثاً عيسوياً.

فقد ورد عن الحبيب صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله: أن **«ما من مولود إلا وينخسه الشيطان ـ لعنه الله ـ فيستهل صارخاً إلا سيدنا عيسى وأمه عليهما السلام»**[(١)]،

---

(١) يشير إلى ما أخرجه مسلم في صحيحه من حديث أبي هريرة، باب فضائل عيسى عليه السلام برقم (٦٢٨٢)، والبخاري تعليقاً من كلام ابن عباس في باب تفسير قل أعوذ برب الناس.

لقول أمها: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]، ومن أين يكون للشيطان وجود في هذا المكان، والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيۡسَ لَكَ عَلَيۡهِمۡ سُلۡطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، مع ما ورد: أنه صلى الله عليه وآله وسلم دعا لسيدنا علي وسيدتنا فاطمة رضي الله عنهما بهذه الدعوة التي دعَت بها أم مريم ليلة الزفاف[١]، فلا شك ولا ارتياب عند ذوي الألباب، أن الواقع لهذه الحبيب، من آثار ذلك الدعاء المستجاب.

وكان والده الحبيب طاهر ليلةَ وجوده بوادي عَمْد، فرأى تلك الليلة جدَّه الأعظم ﷺ يقول له: «وُلد لك الليلة ولد واسمه محمد الطاهر»، فلما أصبح أتاه البشير، بطلوع ذلك البدر المنير، فقال للبشير: أهدَف لنا ولد؟، فقال له: نعم! ومن الذي سبقني بالخبر؟ فقال: لا أحد، وإنما قد بشَّرنا الحبيب المصطفى ﷺ.

وكانَ من نية الحبيب طاهر أنه إذا ولد له ولدٌ ذكر أن يسميه باسم أبيه عمر، فرجعَ عما كان ناوياً له، وسماه بالمسمّى به من حضرة الرسالة.



ونشأ رضي الله عنه في حجر أبيه على أكمل حال وأحسن وصف، غاضاً عن غير أبكار المعالي الطرف، وحفظ القرآن العزيز بعد سن التمييز، وسلك في طلب العلم أحسن المسالك، فحفظ بعض الإرشاد وألفية ابن مالك، وشارك في سائر الفنون. وأخذ عمن يعسر تعدادهم من معادن السر المصون.

ولم يزل متفيئا في ظل حدائق العلوم الوارف، مقتطفاً بأنامل فهمه الثاقب أزهار العوارف والمعارف، مجداً في طلبها عن كل حبر بها عارف، مع ما وهبه الله من حسن الأدب، المستمد من معدن: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**».

---

(١) يشير المؤلف إلى ما أخرجه ابن حبان في صحيحه (١٥/ ٣٩٣، برقم ٦٩٤٤)، والطبراني في الكبير (٢٢/٤٠٨، برقم ١٨٨٧٣)، وغيرهما من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وينظر «مجمع الزوائد»: ٩/ ١٤٠.

فأخذ من علم ما نال به منه مراده، وأدرك في الزمن القريب بفهمه الثاقب وقريحته الوقادة، ما سبق به أقرانه وأنداده، وأظهر بينهم شأنه ورفع عماده، والإرادة الربانية إلى الحضرات العندية تناديه، والعنايةُ الرحمانية إلى تلك العوالم حاديه، والتوفيق الإلهي دليله وهاديه، (شعراً):

وإذا العنايةُ لاحظتكَ عيونُها نَـم فالمخَـاوفُ كلهُـنَّ أمـانُ

قال والده رضي الله عنهما: لم يحوجني محمد في زمن تربيته إلى من آمره بمأمور، أو أنهاه عن محظور، شعراً:

وإذا حلَّتِ الهدايـةُ قلبـاً نشِطت للعبادة الأعضاءُ

انقشع عن عين قلبه الغين، فلم يقنعه الأثر عن العين، وأصغى بأذن الفؤاد، إلى قول جده قطب الإرشاد:

لا تقـنعنَّ بـدون العـينِ منزلـةً فالحُبُّ من يكتفي بالظلِّ والأثرِ

فأسرع وأجاب، وامتثل أمر الناطق بالصواب، وأحسن قرع الباب، واستخرج من كنانة عزمه سهماً ماض، رمى به عن قوس اجتهاده هدف الأغراض، وسل من غمد السجية سيفاً سَنين، واتزر وارتدى بالصدق المبين:

وجدّ إلى مولاه في السَّير فانزوَت بهمته العلياءِ من دونـه الحجـبُ

فأضاءت له الحقيقة، إذ سلك إلى عينها أقوم طريقة وربط زمام سيره بالعروة الوثيقة، واستصبَح بزيتِ «المشرع الروي» و«البرقة المشيقة»، وأشرقت في مدارج سلوكه شمس: ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فسار في نورها حتى عثر على كنز السر المصون وقرأ لوح العلم المكنون وسمع منادي ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ

ٱلْعَـٰمِلُونَ ﴾ [الصافات: ٦١] أتى البيوت من أبوابها، فكشفت له الحقائق نقابها، واستعد للحضرة العرفانية بآدابها، فتأهل لأمانة محرابها، وخرج له من حضرة الاقتراب موسوم ﴿نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾ [ص: ٣٠] وتوِّج بتاج الأحباب، الذي نقشه: ﴿ هَـٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [ص: ٣٩].

خطبته الإرادة فكان لها الكفؤ الكريم، وتلا لسانُ حالِه: ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]، أظهره الله إكليلاً في جبين زمانه، وتاجاً على هام أقرانه، وفجر ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه، لما أخلص له سبحانه في سره إعلانه، فاستنار بطلعته الزمان، وسارة بفضائله الركبان، وامتلأت بذكره الأكوان، وأقر بسبقه القاصي والدان، وخضع له كل سلطان.

وحج سنة خمس وثلاثمائة وألف ١٣٠٥ حجة الإسلام، وزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام، وفاز من قرب الحبيب، بأوفر نصيب، وكان الوقوفُ بيوم الجمعة وأطلق في سفره من الجود والإكرام، ما غمَر الخاصَّ والعام، وحصل له من الخوارق ما لا يحصيه ناطق.



وأخبر بعض أهل الكشف: أنه رضي الله عنه تشفّع في دفع الوباء عن الواقفين في تلك السنة، وقد كان نازلاً فدفعه الله ببركته. **ورأى** الشيخُ العلامة الأجل محمد بن أحمد باحنشل ثلاثة أنفار من أهل الأسرار وأحدهم يقول لصاحبه: إن الله قبلَ أهلَ الموقفِ هذه السنة كرامةً لهذا الحبيب، وأشار إلى سيدي رضي الله عنه.

ورجعَ إلى بلده بعد بلوغ الآمال، مهنأً بما نال، وأطلع الله عين شمسه المنيرة، في أفق ﴿ قُلْ هَـٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨] فبرز في محراب الدعوة إلى الله سبحانه داعياً، ولكل حائد عن السبيل هادياً، وشنف الأسماع وأتحف الألباب، من العلوم بما لا يوجد في كتاب، ولا يحويه فصل ولا باب، وكشف عن مخدرات العوارف والمعارف النقاب، وأتى من الحقائق والدقائق بالعجب العجاب، ونظم من الفوائد قلائد، وأبدى من العلوم، ما حارت عنده أفهام ذوي الفهوم.

ويكفي شاهداً على طول باعه، ووُسْع إطلاعه، قول شيخه الحبيب القطب عيدروس بن عمر الحبشي في بعض مكاتباته له: «وقد وصَلني كتابك وشريف خطابك، والحقير لم يدخل من ذلك الباب، ولم يعرف تلك التراجم فيجيبك عنها الجواب، وأنتم بحمد الله من أمركم على سداد، فاشكروا آلاء الله تحظوا بالمراد، وذكرتم أنكم على عزم لزيارة أهل تريم، وحضور جمع المولد بسيؤون، فإن شاء الله يقدِّر الاجتماع، وتفيدوا معاني ما ترجمتم وتصغي منا الأسماع، فخذوا بيد الفضل في بذل العفو وقبول العذر، كما هو شأن الكرام، من الفضلاء الأعلام».

وقول الحبيب العارف الله أحمد ابن الحسن العطاس في بعض مكاتبته له: «وفي شريف عملكم ما يغنيكم عن أمثالي». وهذه شهادةٌ وإنصافٌ من هذين الإمامين رضي الله عنهما، وإلا فسيدي لا يستغني عنهما، كما يعرف ذلك من سيرته معهما.

ولم يزل رضي الله عنه مترقياً في الرتب العلية، حتى بلغ أقصى الأمنية، وبسطت له بسط الخلافة، وخلعت عليه خلع اللطافة، وخفقت على رأسه ألوية التجديد، وغمر فيض جوده القريب والبعيد، وحقق الله له ما وعده به على ألسنة العارفين، ونطق لسان تمكينه المكين: «بل لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»، وصار فضله بين ذوي الإنصاف مسألة بغير خلاف.

وفي سنة اثنتيْ عشرة وثلاثمائة وألف (١٣١٢هـ): أقامه أعيان السادة العلوية، وسادات البضعة النبوية، أباً ونقيباً عليهم، بعد أن رأى جده الإمام المهاجر أحمد بن عيسى يقول له: (أنت أبو الجماعة)، ولما قص الرؤيا على الحبيب القطب عيدروس بن عمر الحبشي قال له في مكاتبة: «والأبوّة تعبير بالوصف على حالات، وفيكم كثير من تلك الاعتبارات، وسيكملها الله حتى تجتمع فيكم بكل الكيفيات». انتهى.

فقلَّد بذلك عقدَ الزعامة والنقابة، وقام بوظيفتي الإمامة والخطابة، وحل من رموز المعارف ما تشابه، وفتح لكل عائل وجاهل بابه، وبذل نفسَه وما ملك لله، شكراً له سبحانه على ما أولاه، وأوفَى كل ذي حق حقَّه، وقابل كل إنسان بما استحقه، واحتمل من الجهال والعذال في الله المشقة، وليتهم عرفوه ليظفروا، ولكن بعُدَت بينهم وبين معرفته الشقة:

ما ذاكَ إن الشمسَ ليسَ بطَالعٍ ... بـل إنّ عينـاً أنكـرت عميـاءُ

وأما ثناء مشايخه ومعاصريه عليه فأكثر من أن يحصر:

كان الحبيبُ القطب أحمد بن محمد المحضار كثير الثناء عليه نثراً ونظماً، سمعتُ الحبيب العارف بالله محمد بن أحمد المحضار يقول: «من سمع ثناء الوالد على الحبيب محمد في صغره يتعجب!، ولم تُعرف حقيقةُ كلامه حتى أظهرَ الله هذا الحبيبَ الكريم بهذا المظهر العظيم». فمن ثنائه عليه قوله في بعض قصائده التي أرسلها إليه:

جاتني اليوم منـك يـا محمـد بـشائرْ ... مرحباً مرحباً يا تـاج أهـل الحـضائرْ

ذي لهم في المحبة قسمْ مقسوم وَافـرْ ... تسعة أقـسام لـك عـادك تبـا قِـسمْ

في المحبة حبلك ما هو اليـوم قـاصرْ ... يـوم مـديت في الإحـسان بـاطن

وكان يقول: «الولد علي بن محمد الحبشي، والولد محمد بن طاهر، من المتهيدلين -أي: المدلِّين- على ربهم». وألبسه وحكمه التحكيم الشريف وسِنُّهُ دون العشرين السَنة، وكان يقول: «محمد من الرجال، وله نظر في جميع أحواله، لا أحد ينكر عليه شيئاً من أفعاله»، وكان يقول: «محمد أمة وحده»، وكان يتوسل به إلى الله في مطالبه.

وكان الحبيب القطب عيدروس بن عمر الحبشي يسميه: (أعجوبة الزمان)، وقال له في بعض مكاتباته: «والكامل هو الجامع لأسباب الإرث فرضاً وتعصيباً، وهو المسمى

بالإنسان الكامل، الداعي بالألسن الخمس، المعبَّر عنه في الاصطلاح بالخليفة، والبشرى لكم بذلك، يحققها الله لكم بفضله ومنه».

وقال الحبيب العارف بالله أحمدُ بن الحسنِ العطاس: «محمد بن طاهر؛ بحرٌ ما لهُ ساحل»، وقال له: «إني أتوسل بك إلى الله»، وقال: «أهل البرزخ يحبون محمد بن طاهر ويتباشرون بقدومه لزيارتهم»، وقال له في بعض مواجهاته له: «يا حيا بالفقيه المقدم كله، يا حيا بعبدالله حداد كله، يا حيا بمحمد بن طاهر كله».

وما أنسب الحال بقول من قال (شعراً):

إن تلقه تلقى الفقيهَ محمدا	ومحمد الغزالي المشتهرا
والشيخَ سقافَ المعلى والمجتبى	العيدروس القطب سر قد سرى
لا غرو أن يجمعَ كلاً واحدٌ	فالسر فردٌ والتكثّرُ مظهرا

وقال الحبيب العارف بالله علي بن محمد الحبشي: «محمد بن طاهر غلام الساعتين»، يعني: أنه ممن يسّر الله له المقام بصالح الأعمال الدنيوية والأخروية. وقال أيضاً: «لو مثل محمد بن طاهر أربعة في الوادي ـ أي: وادي حضرموت ـ لأصلحوه»، وقال: «اطلعت على أحوال أولياء الزمان جميعهم، وعرفت مقاماتهم بحمد الله، إلا محمد بن طاهر، فكلما عرفته من جهة، تنكر لي من جهة أخرى»، أو كما قال.

وقاله في بعض مكاتباته: «وكن على بصيرة من أمري، إني أراك بعين كبيرة، وإنك من أهل البصيرة، وممن يدعو إلى الله على بصيرة، ويعرف أين مصيره».

وكان الحبيبُ العارف بالله محمد بن صالح العطاس يسميه: (عدني الزمان)، وقال: «رأيت الوالد يقسم تفاحاً على محمد بن طاهر ومن معه، لما زار، فقلت له: ليش خصّيتوه بذلك؟ فقال: لأنه يفرّح المساكين الحاضرين عند الضريح».

وقال الحبيب العارف بالله عبد الله بن محسن العطاس: «أولاد الحبيب عبدالله حداد كثير، ولكن وارثه محمد بن طاهر». وقال بعضُ العارفين: «هذا الحبيبُ من المدلِّين على ربهم، وحضرته جامعة لأئمة أرباب الهدى، وهمته ما يحملها الزمان، ولو تعمر غيرُه ألفَ سنة لم يتأتَّ له عشرُ عشير ما فعله».

ولسيدي الحبيبِ الأريب العلامة أبي بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين من قصيدة حمينية يمدحُه بها (شعراً):

يا ابن طاهرْ محمدْ يا حميدَ المساعي
يا شريفَ النسبْ يا من إلى الله داعي

طاهر الشيمة الزهراء كريمَ الطباعِ
ناشر الدعوة الحاصل بها الانتفاعِ

عصمة الدين وأهله من ضلال أو ضياعِ
سيد الأصفياء من غير خلف ونزاعِ

حجة الله بالمعقول أو بالسماعِ
من جلال الولاية كالمليك المطاعِ

صَولةِ الدينِ؛ لا المنذِرْ، ولا ذِي الكُلاعِ
عن ذراعك يقصر في العلا كل باعِ

وارث السر من أسلافك الغر واعي
أنت يا شمس دين الله ذات الشعاعِ

كالمطر إن نزل يحيي موات البقاعِ
أنت بالموعظة راقي سموم الأفاعي

بخت من جاك مستهدي بحسن استماعِ

خابَ من يحسدكْ، قامت عليه النواعي

وله في مدحِه أيضاً من قصيدةٍ أخرى، مطلعها:

أدرْ بينَ أهلِ الدِّير صافيةَ الصهبا فما العيشُ إلا عيشُ من أدمَن الشُّربا

إذا احتشدتْ روادُها فابنُ طاهرٍ محمدٌ الحدادُ أولهم شُربَا

وأرجحُهم إذ يوزنُ الفضلُ كفَّةً وأسمحُهم كفاً وأعلاهُم كعباً

غرابة راياتِ الهدَى والذي إذا أديرت رَحى العرفانِ كان لها القُطبَا

خلافتُه في الكون عن إذن ربِّه ليُعمِلَ فيها الرفعَ والخفضَ والنصبا

كريمٌ يكادُ البحرُ يحكيه قاذِفاً لآليهُ من قَعره صافياً عذبا

بشوشٌ إذا الزُّوار جاءته شَاهدتْ حدائقَ من محمُودِ أخلاقِه غُلباً

وما جاء من مَدحِه والثناءِ عليه لا يكاد يحصى، وقد حذفتُ أكثر من ذلك للاختصار، ولظهور شرفه ظهور الشمس في رابعة النهار:

وليس يصح في الأفهامِ شيء إذا احتاج النهارُ إلى دليلِ

وهاكَ مما قاله بفيه، تحدثاً بنعمة معطيه، فصاحب البيت أدرى بما فيه، فقد صعدَ على منبر التحدث بالنعم، بعد الإذن ورسوخ القدم، فكان رضي الله عنه يقول: «محمد بن طاهر معروفٌ في الأرض والسماء، ومحكومٌ له في الوقت».

وقال رضي الله عنه: «تسمعون بالجيلاني والعيدروس وأمثالها، فتودون أنكم حضرتوا أزمنَتهم، وبين أظهركم من هو مثلهم، وأنتم جاهلينه»، يعني: نفسه.

وقال رضي الله عنه: «رأيتُ الحبيب المصطفى ﷺ يقظةً، يقول لي: **أنت أنا، وأنا أنت**»، وناهيك برؤية الحبيب المصطفى ﷺ من رتبةٍ ما أعلاها، وما أحقها بأن تكون لمراتب

الولاية سدرة منتهاها، وقد تكلم على هذه الواقعة العظيمة الشأن سادتُنا أئمة العرفان، وسلاطين الزمان، الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب علي بن محمد الحبشي، في مكاتباتٍ منهم لسيدي بما يشفي الغليل، ويدل الحائر على السبيل، فليطلبها من أرادها من مظانها.

وقد ذكر الشيخ الشعراني: «أنه لا يصلُ إلى مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ وسماع صوته إلا من قد قطع مائتي ألف مقام، وسبعة وأربعين ألف مقام، وتسعمائة وتسعين مقاماً من مقامات الأولياء». انتهى.

ولم يزل لسيدي رضي الله عنه عينٌ كالئة، ورعاية مراعية، من سيد الوجود ﷺ، وقد كان يقول: «لم أدخُل تحت دائرةٍ إلا دائرةِ الحبيب الأعظم ﷺ، ودائرة عبدالله حداد، ولم يكن لي واسطة في الفتح إلا سيد الوجود ﷺ». وقال رضي الله عنه: «مأمورٌ من حضرة الرسالة بالدعوة إلى الله، خصوصاً وعموماً وقد بشرني رسول الله ﷺ بما لا تسعه عقولكم، ولو لا خوف العقيدة المضرّة من العوام، وإنكارٌ من بعض المتعصبين المحرومين لنشرتها، فإني بحمد الله على قدَم العبودية، مع وضوح الخصوصية، ولم أذكر هذا إلا تحدثاً بنعمة ربي»، ومن المعلوم ضرورةً أن من لم يطلب جاهاً ولا مالاً، لا يفرح بالمدح، ولا يشغله الذم، والله أعلم وأحكم.



وكم له من أقوالٍ، تشير إلى عظيم ما نال، كما دل على تسربله بخلعة الكمال، حسنُ الشريعة، ورتبته في الإتباع الرتبة الرفيعة، كان آخذاً من كل حظٍّ ديني بأوفر نصيب، وفي مسالك الهداية لسالكيها إمام وخطيب، ينهض ناظره حاله، ويدل على الله مقاله، وتذكر بالله رؤيته، وتثبت في قلب رائيه محبته، كثيرَ المجاهدات، في تحصيل أنواع القربات، المفروضات والمندوبات، لم يُعلم أنه صلّى الفريضة منفرداً، ولا ترك راتبةً ولا قيام الليل، حضراً ولا سفراً، إلا لعذر هذا في الأعمال الظاهرة.

وأما **أعماله القلبية**، التي الأوقية منها تعدل بهاراً من عمل العلانية، فعلى قدر وسع قلبه، ولا يعلم ذلك غير ربه، علت همته الثريا والبطين، وضُربَ رواقُ مجدِه على كاهل الفرقَدين، وكان للمؤمنين كالأب الشفيق الرحيم، وإذا الذي بينه وبينه عداوة كأنه ولي حميم، لا يَرى لنفسه من الفضل فتيلاً ولا نقيراً، ويوقّر كبيرَ المسلمين ويرحم من كان صغيراً، يتلألأ وجهه نوراً، ويفوح مجلسه عبيراً، وإذا رأيت ثَمَّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً، مجلساً تجثو فيها الملوكُ على الركب، وتَرِدُ على حياضه العجم والعرب، ويرجع منه كل طالب بما طلب.

وكان الغالبَ عليه رضي الله عنه البسطُ والاستبشار، في وجوه الأخيار والأشرار، وحسن الظن الكامل الساتر للعوار، مع النصيحة بالحكمة، والشفقة والنظر بعين الرحمة للجميع، من شريف ووضيع، كثير الاهتمام بمصالح المسلمين في معاشهم ومعادهم، ساعياً في إصلاح ذات بينهم وإرشادهم، لا يستنكف مما فيه صلاحُ المسلمين، ما لم يكن إثم، مزمومةٌ حركاته وسكناته المنيعة، بزمام الشريعة، عليها من بنيان التمكين سور أن ينتقدها مأزور، أو يغتر بها مغرور، ويقبل على من يكلمه بوجه طَلق، كأنما للنظر إليه خُلِق:



بغُرتــه قــد أودعَ إليــه أربعــاً تشَاهدُها كالشَّمسِ عند التأملِ

تــسلٍّ لمهمــومٍ، وأمــنٍ لخــائفٍ ورُشدٍ لذي غيٍّ، ويــسرٍ لمقِلــلِ

يظن جليسُه أنه أحبُّ الناس إليه، ذا هيبة جلالية، وبشاشة جمالية، وسطوة ربانية، ورأفة رحمانية، يهابه من رآه، حتى إنّ الأفرنج إذا رواه يعظمونه، ويحدون النظر إليه، مع عدم معرفتهم به، وإلى ذلك الإشارة بقولِ الحبيب ابن شهابٍ المتقدم:

مِــن جَـلالِ الولايــة كالمليــكِ المطــاعْ صولةُ الدين لا المنذِرْ ولا ذي الكُلاعْ

وكان رضي الله عنه كثيرَ الاهتمام بنشر الدعوة إلى الله، وتقريبِ الخلق إلى مولاهم،

ورشدهم وهداهم، ويعين على ذلك بنفسه وماله، ويدعو إلى ذلك بحاله ومقاله، فكم هدى الله به من جهالة، وأنقذ به من ضلالة، ونقل من حالة إلى حالة.

لا يخاف في الله لومة لائم، ولا يقاومه في الحق مقاوم، يتكلم في كل مجلس بما يقبله أهله، ويخاطب كلاً بما يبلغه عقله، إذا تكلّم أصغى إليه كل حاضر، وقابلوه بالقلوب والأسماع والنواظر، يُحسُّ لكلامه صولةٌ في كل فؤاد، ولدى كل حاضر وباد، كأنما كلامُه النفيس، لحديد القلوب مغناطيس، فلا بدع أن لقب بحداد القلوب، ولا غروَ إن تغفر لناظريه الذنوب.

تَرعَدُ فرائصُ الحاضرين في مجالس وعظه وتذكيره، وترجُف القلوب وتسكب الدموع عند سماع إنذاره وتحذيره، وتكاد الأرواح تطير إذا شوَّقها إلى موطنها الخطير، وأغمي على كثير ممن يحضر التذكير، وسئل العجم: عن بكائهم في وقت وعظه مع أنهم لا يعرفون العربية! فقالوا: نحس بشيء يُداخل قلوبنا، لا نملك أنفسنا معه عن البكاء.

وكان قدس سره يقول: «رجانا في الله لا نقوم في مقامٍ إلا تعقبه المغفرةُ إن شاء الله تعالى، هذا ظننا في الله، وأملُنا فيه على ما فينا من عيوب وذنوب».

وكان رضي الله عنه كثيرَ البكاء من خشية الله، وقد لا يستطيع المشيَ بعد الوعظ من شدة البكاء، إذا أمرَ بأمرٍ كان من أسرع الناس إليه، وإن نهى عن منهيٍّ كان من أشد الناس تحرزاً عنه، إن نظر في وجهه مُرتاب، علم أنه ليس بوجهِ كَذّاب، مجتمعةٌ على محبته الألباب، معتقَدا عند الخاصِّ والعامِّ، منقادةٌ لأمره الحكام، من أهل الشرك وأهل الإسلام.

ولما تزاحم أخوه مع بعض حكام الإفرنج في بعض سكك عدن، وتكسرت عربية الحاكم، وسقط هو إلى الأرض، طلبوا حضورَ سيدي أحمد إلى المحكمة، فقال سيدي رضي الله عنه: «لا يدخل أخي المحكمةَ أبداً»، وصمّم على ذلك، فلم يسعهم إلا مساعدتُه على خلاف قواعدهم، وجاء الحاكم بعد ذلك إلى سيدي معتذراً، والقصة طويلة ومشهورة، هؤلاءِ والله الملوك على الحقيقة، ولله در القائل في ذلك من أهل الطريقة:

ملوكٌ على التحقيقِ ليسَ لغَيرِهِم   مِـن الملـكِ إلا اسـمُه وعقابُـه

وكان رضي الله عنه يقيل العثراتِ، ويتغاضى عن الهفوات، ولا يجازي بالسيئات إلا حسنات، ولا يرد من قال له: هات، حتى إنّ بعضهم سأله رداءَه فأعطاه إياه، ومشى بلا رداء، وما أحقَّه بقول القائل:

يغضِي حياءً ويُغضَى مـن مهابتِـه   ولا يكلَّــم إلا حــين يبتــسمُ

سـهلُ الخليقـةِ لا تُخشَى بـوادرُه   يزينُه اثنان: حسنُ الخلق، والكرمُ

ما قال: (لا)، قـطُّ إلا في تـشهدِه   لولا التـشهدُ كانـت (لاؤه) نَعَـمُ

فحدِّث عن كرمه ولا حرج! كان يعطي عطاءَ الملوك، ويتواضع تواضع الصعلوك، ينفق إنفاقَ من لم يخشَ من ذي العرش إقلالاً، ولسانُ أياديه ينادي الأجوادَ بـ: هكذا هَكذا وإلا فلا لا. يتلقّى الضيفانَ وذوي الحاجات بالبشر والترحيب، والخلقِ الواسع والقِرَى الكريم والمنزلِ الرحيب، كان مأوىً للأرامل والأيتام، وملجأ للخاصِّ والعام من جميع الأنام، تَزَّاحمُ الناس على بابه، والمنهل العذب كثير الزحام. وما أحسنَ ما قاله الشيخُ العلامة عمرُ بن عثمان باعثمان مِن قصيدةٍ امتدحَه بها (شعراً):

لا تـزالُ الوفـودُ تـسعَى إليـهِ   مستجيرينَ من نـواحي الـبلادِ

وهو بالبِـشر والبَـشاشة يلقَـى   زُمَــر الوافــدِين والأرفَــادِ

فيعودون بعد حُسن القِرى من   سُـوحِه الغُربَـا بـالمنى والمـرَادِ

حبــذا حبَّــذا بــهِ مــن سَرِيٍّ   واصلٍ ومُوصلٍ لـربِّ العبـادِ

وجَوادٍ سَـمحِ اليـدَين بـما جَـا   دَ مِـن المـالِ طَـارفٍ وتـلادِ

لم يكن للدنيا عنده قدر، أي حتى أنه لم يحاسب أحداً في شيء منها، ولا يُقفِل على

الدراهم، ولا يقبضها بيده إلا لإعطائها سائلاً، أو نحو ذلك. وكان يقول: «مُرادي أن أنفقَ على جميع العلويين، بحيث لا يسافرون من حضرموت إلا الحجِّ أو زيارة!».

فانظُر إلى هذه الهمة العلية، وكم له من مثلِ هذه النية السنية من نية، وما أحرَاهُ بقول القائل:

لــه همــمٌ لا منتهَــى لكبارِهَــا وهمته الصُّغرى أجلُّ من الدَّهرِ

وبلغ دَينه رضي الله عنه قريباً من مائة ألفِ ريال، وكانَ كأنما ينفق من بيت مال، ولم يُعلم لدخول الدراهم عليه وجهٌ ظاهر، ولا يأخذُ من أحدٍ شيئاً لنفسه إلا دَيناً.

وكان يقول ما معناه: «إن هذه الغراماتِ غرمناها في مصالحَ عمومية، لا في نفسي فإني أحمدُ الله إلى أخواني بما هو أهله، فقد عوَّدني من عوائده الجميلة ما يَقطَعُ أنه كرامةٌ أهلُ الجهلِ، فضلاً عن أهل العقل»، وكان يقول: «لو أرَدنا الفلوسَ من السِّترَ[1] لأخرجناها، ولكن لم يكن ذلك من سيرة السلف». انتهى.

[وهذه حقيقةُ الزهد؛ كما قال العارف بالله أبو يزيد البسطامي: «حقيقةُ الزهد: لا يكون إلا عند ظهور القدرة، والعاجزُ لا يصلح له زهده، وهو أن يعطيه كُنْ، ويطلعه على الاسم الأعظم، ويقدِر على الأشياء بإظهار الكَون، فيزهد في ذلك حباً لله تعالى أن يعملَ عمله، ويترك حباً لله تعالى أن يقوم مقام القدرة، وكشفُ هذا المقام يَخرِجُ إلى علم غريب لا يُعرف، وسرٌّ عجيب لا يوصف!». انتهى][2].

وكان رضي الله عنه يقول: «طريقي إلى الله كثرة الإنفاق»، وإذا كلمَه أحدٌ في ذلك قال: «لا أحد يدخل بيني وبين ربي». وكان لا يبالي بعدَ إخراجها لله أينَ وقعت، ولا في يد

---

(١) السترِ؛ بسين مهملة مشددة مكسورة وتاء مثناة فوقية مفتوحة: دارجة عامية، بمعنى: الجدران، وهي جمع سِترة؛ بكسر فسكون.

(٢) ما بين المعكوفين لم يرد في النسخة (ش).

من وقعت. حتى أنه سأله بعضُ المشركين فأعطاهُ، فأنكر عليه بعضُ الناس في باطنه، فالتفتَ إليه وقال له: «إن الله سبحانه عاتبَ نبيَّه إبراهيم عليه السلام لما استضافَه مجوسي فلم يضِفه»، وحكى الحكاية المشهورة في ذلك.

وكان رضي الله عنه يعطي الحلاقَ ونحوَه أضعافَ ما يعتادُه من غيره، لا يخرج من بلده ولا مركبٍ في أسفاره إلا وأهلُه محزونون لمفارقته، حتى الكفار. ولا يزالون يسألون عنه لما يغمرهم به من الإحسان، الذي لا يعهدونه من إنسان، وحيثما نزل في سفر أو حضر بسطَ مائدتَين: المائدةَ الظاهرة للقاصرين، ومائدةَ العلوم والمعارف للناظرين.

وكان حريصاً على صدقات السّر، حتى أنه يضعُ ما يريد لمن يريد تحت سجادته، أو حصيره من غير أن يطّلع على ذلك أحد، ولا يشهد لنفسِه منةً على أحد، ويقول: «إنما هي أرزاقُهم ساقها الله إليهم على يدي، وما أنا إلا واسطة»، وقال له بعضُ الناس بعد أن تعشى عنده: «أكرمكم الله»، فقال له: «وإياك، فما لنا شيءٌ فيما رأيتَ، هي إلاّ مائدةُ المولى سبحانه، نحن وأنتَ عليها بمنزلة واحدة»، أو ما هذا معناه.

وكان قدس سره يقول: «لو كانتِ الدنيا لنا وطلبها بعضُ إخواننا في الله ما نظُن أنا نبخلُ بها عليه بلا منة، غيرَ أن الأسباب لها أحكام عند أهل الحقائق». انتهى.

وحكاياتُ كرمه وجوده مما يطول ذكرُها، ويتعذر حصرها، وجامعُ ما تفرّق: أنه لم يكن في زمانه مثله، فما أحقه وأولاه بقول القائل (شعراً):

هو البحرُ من أيِّ النواحِي أتيتَـه	فلجتُه المعروفُ والجودُ سَـاحلُه
تعوَّد بسطَ الكفِّ حتَّى لـو أنـه	أرادَ انقباضـاً لم تطِعْـهُ أناملُــه
ولو لم يكـنْ في كفِّـه غـيرُ نفسِه	لجـاد بهـا فليتَّــقِ الله سَــائلُه

وكان رضي الله عنه شديدَ التواضع مع من أخذ بيده، يجلس حيث ينتهي به

المجلس، ويجيبُ من دعاه بالتلبية، ويقول: «من تواضع لله رفعه الله، والأسرار لا توضع إلا في أهل التواضُع». وكان يقول: «والله لا أرَى لي فضلاً على شيء من مخلوقاتِ ربي، وما أنا إلا خَدّام المؤمنين».

وكان في بدايته يلبسُ الملابسَ الفاخرة، ثم كان آخراً يلبسُ ما وَجد وما اتفق، وربما اشتعقَتْ[1] جبتُه فيعصِبها، ومع ذلك لا تُرى جبةٌ أحسنَ منها، لما كساه الله من خلعة الجمال وهيبة الجلال، ﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا﴾ [الشورى: ٢٣].

وكان قُدِّس سره يقول في مكاتباته إلى من كان: «من العبد»، أو: «من عبده بحمده»، أو: «من العبد في مشهدِه وإن ظلمَ نفسَه: محمد بن طاهر الحداد»، ولله در القائل حيث يقول:

لا تدعُني إلا بيَا عبدَها ... فإنــهُ أشرَفُ أسْــمائي

وسئل رضي الله عنه: أن يدعو على بعض الظالمين المسيئين في حقه، فقال: «مقامي مقام رحمة، لا ينبغي أن أدعو على أحد»، ثم دعَا له بدل الدعاء عليه. وبلغه أن بعضَ الناس تكلم في حقه بكلام غيرِ لائق، فقال: «أما من جهتنا فهم في حِلّ، ولكن شوفوا لله غيرةٌ على أوليائه»، [وقد ظهر مصداقُ قوله: «لله غَيرةٌ على أوليائه»، فقد عُوجل بالعقوبة كثيرٌ ممن كان شأنهم إساءةُ الأدب معه، وظهرت عليهم إشاراتُ المقت، نعوذ بالله من ذلك، مع عفوه عنهم وعدم اكتراثه بما يصدر منهم][2].

وبلغ من حلمه رضي الله عنه وصفحه أن قال له بعضُ الناس في محفلٍ عظيم: «شيخُك الشيطان»، فلم تتحرّك له شعرة، ولم يحنق على ذلك البعض، فضلاً عن أن ينتقم منه، بل زاد في احترامه، ثم لا تسأل عما آلَ إليه أمرُه والعياذ بالله.

---

(١) أي: تمزقت.

(٢) زيادة بالأصل لم ترد في (ش).

وأخبر قُدِّس سره أن بعضَ العلماء من الهنود أنكرَ عليه شيئاً، فوقعَ له يقظةً أو مناماً ما أوجَب رجوعَه عن الانتقاد إلى الاعتقاد، موعظة من الله، فأجابَ بقول جده قطب الإرشاد:

مــــاذا يقـــولُ المنكـــرونْ	فــيمن لـــه قلـــبٌ سَـــليمْ
عــــلى جميـــعِ المـــسلمينْ	وقـــصدُه الـــربُّ الكَـــريمْ
ويعتقدُ في نفسِه بأنـه عبـدٌ ذمـيمْ	لولا عنايةُ ربه لكان بطّالاً ضَلولْ
الله حــــــسبي وكفَــــــى	قُــل مــا تَــشاء يــا ذا الفــضولْ

وكان رضي الله عنه يكره الشهرة، ويقول: «في الظهور قصم الظهور، ومهما أراد الله إظهار عبدٍ فهو يظهره ويكلأه، ويحفظه ويتولاه». وكان يقول: «الظهور يقطع موادَّ الاستمداد بواسطةِ الاستبداد، فمتى أظهرَ الإنسانُ نفسَه عن غير أمرٍ، خِيفَ عليه الانقطاعُ من شُهود وجودِ نفسه، اللهمَّ إلا أن يكونَ له عنايةٌ من ربِّه، فأهلُ العناية منظورون بعين اللطف».

وقد كان له رضي الله عنه من الظهور ما هو مشهور، [وقال قدس سره لبعض السادة وليس ما ترون من إقبال الخلق علينا بسبب الدنيا فإنه أمقهورون عليه لأمر يعرفه أهله فلا نحجبكم القشر عن اللب وغص في بحار السر إن كنت عارفاً بساحاته الدرية الجوهرية ولا لنا نظر في المخلوقات علواً ولا سفلاً أشتكيك إلى الذين هموا عند الهباء إذا انتهى النظر والله على ما أقول وكيلاً][1].

وبالجملة؛ فقد جمعَ هذا الحبيبُ أشتاتَ الفضائل، وحوَى ما تفرّق في أسلافه الأوائل، [وقد كنتُ وبعضُ الإخوان حالَ قراءته رضي الله عنه في «شرح العينية»، وكان من عادته ترتيب قراءته عشية رمضان، نستخرج أخلاقه رضي الله عنه من

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في النسخة (ش).

أخلاق السلف، ونجِدُ في ترجمة كلِّ واحد منهم الخلُقَ والخُلُقَين فيه رضي الله عنه، لا يكاد ينكرها منكر، ولما أخبر بالقضية تبسّم، وتكلم بكلام يشير إلى الاعتراف][١]، فهو لدى التحقيق آيةٌ من آيات الله وكلماته، ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩].

وأما صفته الخلقية: فكان رضي الله عنه ربعَ القامة، أدمَ اللون، عظيم الرأس والجسد، كثَّ اللحية، أنزعَ، بطين، واسع الصدر والجبين، تتلألأ في جبهته أنوار الولاية، برّاق الأسارير، بساماً للصغير والكبير، إذا مشى تمايل.

وأما كراماته وخوارق عاداته: فلا تكاد تحصر، على أنه كان يقول: «إظهار الكرامات بالاختيار ليسَ من أحوالِ أهل الثبات»، وكان مع ذلك كما قال بعضُ مادحيه:

فكـم شَـفا مـن عليـلٍ شـفَّه سَـقمٌ	وكم وكَم من مريضٍ بالدعاءِ بَـري
وكم لـهُ مـن كرامـاتٍ يـضيءُ سَـنا	أنوارِهــا الغُــرِّ في بــادٍ وفي حــضَرِ

والواقعُ له رضي الله عنه منها أنواعٌ كنزول المطر، ونبع الماء من الأرض، وإبراء العليل، وتكثير القليل، وإيجاد المعدوم، والاطلاع على الخواطر، والاخبار بالمغيبات، واستجابة الدعاء، والتجزّؤ ـ أعني: ظهوره بصورته في أماكن متعددة ـ وغير ذلك، من الاجتماعات بالخضر ورجال الغيب وأهل البرزخ، في حكايات يطول ذكرها، وأعظم كرامة هي الاستقامة، الدال عليها وقوع الكرامة، كما قيل.

وكان رضي الله عنه: ينسِبُ ما وقع من ذلك على من وقع بسببه، ويقول: «إنما هو نتائج نياتهم»، [تستراً وتواضعاً، وكثير من كراماته لم يعرف كونها كرامة إلا بعد وفاته، لستره ذلك على الناس بالحال. وذلك من جملة الكرامات][٢].

---

(١) ما بين القوسين لم يرد في النسخة الأصل.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في (ش).

فمنها: أنه لما تزوج رضي الله عنه أولَ زواجٍ، كانت الجهةُ الدوعنية مجدبةً، فلما كان قبل ليلةَ الزفاف بليلة[1]، دخل والده رضي الله عنهما إلى حضرة الشيخ سعيد العمودي زائراً، وأنشد عند دخوله هذا البيت:

عمُودَ الدِّين يا شيخَنا يا مكرمَ الضَّيف بغينَا سيلْ قهـوةْ محمـدْ هـزّوا الـسَّيف

فسالت في تلك الليلة شعابُ دوعن جميعُها.

ومنها: أنه لما دَخل قُدس سره حيدرآباد سنةَ خمسَ عشرةَ وثلاثمائة وألف (١٣١٥هـ) كانت مجدبة، وبأهلها الجهد الشديد لانقطاع المطر، حتى أن مَلِكَها قد أمر العلماء أن يستسقوا بالعامة، ففعلوا فلم يسقوا، فلما كان يومُ قدومه قدس سره أتاه بعضُ العرب قبل دخوله البلد، وشَكَى إليه ما الناس فيه، وأخبره: أنه وجد شخصين من المشركين يقول أحدهما لصاحبه بلسانهم: هذا اليوم ستحصلُ المطر! فقال له صاحبه: وما يدريك؟ فقال: إن الحبيبَ الكبير، يعني: سيدي قدس سره، سيدخلُ وسيغيث الله العباد ببركته. ثم قال له: يا حبيب؛ إذنْ تفضحنا، يعني: عند المشركين بعدم حصول المطر. فقال سيدي قدس الله سره: «إن شاء الله لا ندخل البلد إلا في مطر»، فالتفتَ الرجلُ إلى الحاضرين، وقال لهم: اشهدوا عليه.

والسماء حينئذ صحو، وقد تهيؤا للدخول، فأطبقت السماء بالسحاب، وصبّت الأمطار في تلك الساعة، ثم لما ركبَ سيدي قدس الله سره في العربية داخلاً إلى البلد، أمسكت المطر، ودخلوا في موكبٍ عظيم، فلما وصلوا إلى المنزل صبت المطر، واستدامت ثمانية أيام.

---

(١) في (ش): فلما سرحوا الحراوة على عادة أهل تلك الجهة، دخل والده .. إلخ.

ومنها: أنه رضي الله عنه نزلَ في بعضِ أسفاره منزلاً ليس به ماء، مع شدة الحاجة إليه، وتعذُّر المسير إلى منزل آخر، فأخبرَ رضي الله عنه بذلك، فأمر بعضَ من معه يحفر حفرةً صغيرة في بعض النقاب، ففعلَ فنبع الماء، فاستقَوا منه إلى أن حان وقتُ رحيلِهم، فيبست تلك العين، وعادت النَّقبة كما كانت أولاً[١].

ومنها: أن نصرانياً في بعضِ أسفارِه قدس سره جعلَ يستهزئ به وبمن معه إذا قاموا إلى الصلاة، فأراد بعضُهم ضربَه، فقال لهم رضي الله عنه: «اتركوه سيتصرّفُ الله فيه»، فلما حضرت صلاةُ المغرب أتى ذلك النصراني وجلسَ قبالتهم على حرف المركبِ، وابتدأ يستهزئ كعادته، فنظرَ إليه سيدي قدس سره نظرةَ غضبٍ، سقط منها إلى البحر، فارتاع أهلُ المركب، وأوقفوه ليُطلِعوا النصراني، فلم يجدوه.

ومنها: أن بعضَ السادة خرجَ من حضرته رضي الله عنه وهو بحيدر آباد، مضمراً الإنكار عليه من حيثُ كثرةُ الناس بحضرته، وأن ذلك من الظهور المذموم، فاعترضَه أسدٌ في طريقه التي هو قاصدها، فرجعَ عما أضمره، واستغاث بسيدي رضي الله عنه فظهر له قدس سره عياناً، وأمسكَ بأذُنِ الأسد ونحّاه عن الطريق، وغابَ عنه، وذلك بين المغرب والعشاء، وهو قدس سره في ذلك الوقت بين أصحابه لم يفقدوه. [ففيها شهادة تجزؤه، وإنقاذه لمن استغاث به، رضي الله عنه][٢].

ومنها: أنه أتاه رضي الله عنه رجل من عسير، قد عمي، وقال له: «يا حبيب إني رجل غريب، قد طالت علي الغربة، وكثُر شوقي لبلدي وأولادي، ولا أقدر على السفر إليهم، وأنا أعمى، وها أنا بين يديك نزيلك وضيفك، فإما أن تدعو الله لي يردّ بصري لأرجع إلى

---

(١) عبارة (ش): إلى أن حان وقت رحيلهم، فإذا النقبة يابسة كما كانت أولاً.

(٢) ما بين القوسين لم يرد في الأصل.

بلدي، أو تدعو الله لي بالموت»، وبكى، فدَعا الله له، فأبصر لحينه، وخرج من حضرته معافىً[١]، وسافر إلى بلده بعد ثمانية أيام [معافى بإذن الله][٢].

[وإلى هذه الواقعةِ وما يحصُل بتذكيره من أبصار عيون البصائر، يشير الحبيب الأريب مصطفى بن أحمد المحضار، بقوله من قصيدة مدحه بها (شعراً):

لا تعدّي مـدَى الأوقـاتْ نـاهي وآمـرْ	بالـذي دعوتُـه تخـرِق جميـعِ الـستائرْ
كَم بها قَد عمَر من قلبْ خـاربْ وداثـرْ	كلّ من به عمَى في العَين أو في البـصائرْ
يـنجلي عَنـه بالـدّعوة غِـشَا كُـلّ نـاظرْ	يوم دعوتك تنفُذ كالرّماح الشواجرْ][٣]

ومنها: أنه جرى في مجلسِه رضي الله عنه ذكرُ الحديث الذي فيه: «أنه يُسنّ للناظر في المرآة أن يقول: اللهم كما حسّنتَ خَلقي، فحسن خُلقي»، فخطَر لبعض الحاضرين أنه: إذا كان الناظرُ معزَّراً، يعني: غيرَ حسَنِ الخِلقة، هَل يُسَن له ذلك؟ فالتفت إليه رضي الله عنه على البديهة وقال: «قالوا، ولو كان معزّراً، فيُسنّ له ذلك، لأنه حسَنُ الخلقة بالنسبة إلى من هو أشْتَم منه!».

ومنها: أنه لما كان بحيدَر آباد، خرج ومعه خمسة عشر نفراً إلى مكان الولي المعروف هناك ببابَ شرَف الدين، وطُبخ من الطعام ما يكفي الحاضرين، فجاء من البلد مثلُهم، وقد حضرَ وقتُ الغداء، وضاق الوقت عن طبخِ طعام آخر، فأُخبر بذلك رضي الله عنه،

---

(١) في النسخة (ش)، بعد قوله «وبكى»: فقال له سيدي: «الله يشفينا وإياك بالعافية، وكان يقول هذا لكل من اشتكى إليه ألما، فقام الرجل وخرج، ولما وصل الطريق قال لقائده: أطلق يدي وتأخر، فإني قد أبصرت، فإن رأيتني خالفت من الطريق فنبهني، فمشى وقصد بعض أصحابه، واستأذنه في الدخول، وكان من عادته الدخول بغير إذن، إذ لا يختفين عنه النساء لعماه، فتعجب صاحبه من استئذانه، ورآه يمشي بلا قائد، فامتحنه بوضع القهوة قدامه، فقال: شل القهوة، وأخبره بقصته، وسافر .. »، إلخ.

(٢) زيادة من (ش).

(٣) ما بين القوسين لم يرد في (ش).

فأمر أن يقدَّم الموجود، ويجلسَ الحاضرون جميعُهم عليه، فجلسوا وأكلوا، فلما صدروا عن الأكل أخذَ السورَ بعضُ الخدم، ووضعه في القدر التي أخرجوه منها، فامتلأت كما كانت قبل أكلهم، ومثلُ هذه الواقعة بالخصُوص كثيرٌ مّا يقع له قدس سره. وكان يقول: «بركتنا في طعامنا»، ولعل ذلك إشارة إلى قول جدِّه القطب الحداد قدس سره: «إن أهل الزمان ما يحملون شيئاً، يعني من المدد، ولكنّا نطرحه لهم في الطعام»، أو ما هذا معناه.

ومنها: أن الله سبحانه أطلعه على قرب انقضاء أجله، فكان يصرّح بذلك تارةً ويلوّح أخرى، ولما كان قبلَ وفاته بيومين، قال لخادمه بابحَير مازحاً: أيشْ قياسَك إن وقعنا نحن وأنت في التقّل ـ يعني: الموت بها، لأنّها ما فيها أحدٌ ظاهر ـ وتكون أنت عند رجلي حبيبك، وسيبنون علينا قبةً. فبكَى الخادمُ المذكور، وقال: لا يا حبيب بغينا البلاد، يعني: وطنَه دوعن، فقال له رضي الله عنه: «لا تفزع، فإنك ستخرج إلى البلاد وتتزوج ويأتونك أولاد»، وسكتَ عن نفسه، فكان الأمر كما قال.

ومن كراماته بعد وفاته قدس سره: أن بعضَ أهلِ التقّل رأى بعضَ أقاربه من الموتى في هيئة حسنة، وكان قد رآه من قبلُ على حالة سيئة، فقال له: بأي شيء تخلصتَ مما كنت فيه أولاً، فقال: بقدُوم الحبيب محمد بن طاهر، فقال له: وقَد اتفقتوا به؟ فقال: لا، بل مشغولون بإكرام الضيفان». انتهى.

وفي معنى ما ذكر: قال الحبيب العارف بالله عبد الله بن محسن العطاس في بعض زياراته لسيدي رضي الله عنه بعد موته: «إن سُفرته مبسوطة على العادة للأحياء والأموات، يغدّي ويعشي»، وقال الحبيب العارف بالله أبو بكر بن عمر بن عبد الله بن يحيى: «كان من عادة بعض المحبين للحبيب محمد، أن يرتّب له الفاتحة كلّ ليلة بعدَ وفاته، فرآه ذاتَ ليلة يقول له: إذا رتبتَ لنا الفاتحة فأشركْ معَنا أهلَ المقبرة، فإنهم محتاجون، وقد كانوا في شدة ففرّج الله عليهم بنا»، وهذا من كمال كرمه ورحمته واعتنائه بجيرانه، ودلالته على الخير وهو في قبره، رضي الله عنه ونفعنا به.

وكراماته كثيرة شهيرة، وفيها ذكر دلالة لنيِّر البصيرة، وهي إلى الآن لا تزل تتجدد بتجدد الزمان، وفي حفظي من ذلك ما يخرجني عن حد الاختصار.

ولما أراد الله قضاءَ أمرٍ كان في الكتاب مسطوراً، سافر سيدي قدس سره من بلده قاصداً إلى الهند، بإشارةٍ كما قال قدس سره: «أشار علي بسفري هذا الأحياء والأموات من أهل السر»، ولم يدخل بلده إلا ودعا إلى الله أهلَ الدعوة من أهلها، وانتفع به جلّها، والتمس بركته صغارها وكبارها، ومسلموها وكفارها، وأخصبت أمطارها، وأنشد بها لسان الحال:

لله قـــومٌ إذا حلّـــوا بمنزلـــةٍ ... حلَّ الرِّضا ويسير الجودُ إن سَارُوا
تحْيَـا بهـم كُـلُّ أرضٍ ينزلـونَ بهـا ... كَـأنهم لبقَـاعِ الأرضِ أمطَـارُ

قال سيدنا القطب النبراس أبوبكر بن عبد الله العطاس قدس سره: «إن من العباد من أودع الله في سره ودائعَ للمؤمنين، بعضهم بالقراءة عليه، وبعضهم بالسماع منه، وبعضهم بالنظر إليه، ولم يمكِنهم الوصول إليه، فقيضَ الله له الأسباب حتى يؤدي الأمانات لأربابها، علم هو أو لم يعلم، وعلموا هم أو لم يعلموا، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله». انتهى بمعناه. فكان لسيدي الحظُّ الأوفر من ذلك، فكان كثيرَ الأسفار والتنقلات في الأرض لأداء الأمانات، ولنشر الدعوة إلى رب البريات، مع ما يندرج في ذلك من صالح النيات، وكان هذا السفرُ آخرَ أسفاره.

فأقام رضي الله عنه في الهند ببلد حيدر آباد ما شاء الله، وحصل له احترامٌ عظيم من ملكها فمن دونه، لم يسبَق لأحد قبله، ولم يلحق لأحد بعده، ودخل في الإسلام بدعوته خلق كثير، وتاب على يديه الجم الغفير، ثم سافر منها إلى جاوة، تنطوي بطلوع شموسِ معارفه بسُطَ الضلالة، وتشرقُ بأنوار علومه حنادسُ الجهالة، ولم يزل متنقلاً في بلدانها، ملقيةً إليه القلوبُ بإجابة دعوته عنانها.

حتى وصلَ إلى بلد التقّل، وكان رضي الله عنه قبلَ وصوله إليها يقول: «إني أجد حركة في باطني لدخول هذه البلدة، ولم أدخلها سابقاً فإما أن يكون لي شيء عند أهلها آخذه منهم، أو يكون لهم شيء عندي يأخذونه مني». وكان قدومُه إليها لستٍّ ليالٍ خلت من شعبان سنة ستة عشر وثلاثمائة وألف، وبقي بها ثمانية أيام متأثراً بمرض خفي، قالَ سيدنا الحبيب العارف بالله عمر بن زين بن سميط: «لله عبادٌ يشحُّ بهم حتَى من مَرض الموت». انتهى. ولما كانَ يومُ الاثنين لثلاثٍ عشرَ من شعبان بعد الزوال، دعي فأجاب، وارتفعت روحه الزكية، إلى مواردها الهنية، ومقاعدها العندية، فعظمت بذلك الرزية، وعم الحزن جميع البرية:

وما كانَ قيسٌ هُلكهُ هُلكُ واحدٍ ولكنّـــه بنيـــانُ قَـــومٍ تهـــدَّما

وكان عمره يوم وفاته: ثلاثٌ وأربعون سنة إلا شهران.

قال سيدنا القطب الحداد قدس سره: «أهل الأحوال الغالب ما تطول أعمارهم، بل تأخذهم الأحوال، كالشيخ أبي بكر السكران وابنه الشيخ عبدالله العيدروس، وغيرهما، والأحوال المقلقة بشوقٍ أو خوفٍ، أو نحو ذلك، هذه هي الأحوالُ، ومن لا معرفةَ له يحسب الأحوال غير هذا». انتهى.

وكانت وفاته رضي الله عنه تشبهُ الفجأةَ، فتعبت الناسُ لذلك، ولم يصل خبر وفاته إلى بلد إلا وافترَق أهلها بين مصدق ومكذِّب، حتى تتواتر الأخبار، وسُئل عن سببِ ذلك الحبيبُ العارف بالله عبدُالله بن أبي بكر العطاس، فقال: «السببُ أن الكون ملآن بنوره». انتهى. وفي ذلك أيضاً إشارةٌ إلى كمال وراثته لجده الأعظم ﷺ، إذ اختلفت الصحابةُ رضي الله عنهم في وفاته ﷺ.

وتكلّم رضي الله عنه عند وفاته بأمور غيبية، وآخر كلمةٍ قالها: «مع العائدات الفائدات». قال بعضُ العارفين: «العائداتُ: هي أرواح الأنبياء والشهداء والصديقين،

العائدة بكل فائدة إلى مستقرها الأول، وموطنها القديم، الذي هو حضرة القدس، وفي ذلك إشارة مقتبسة من قوله ﷺ: «مع الرفيق الأعلى»، وإنما لم يقل كذلك أدباً معه ﷺ». انتهى.

ودفن قدّس سره في آخر اليوم الذي توفّي فيه، وأحيى الله به تلك البلدة، وأمسى به ليلها نهاراً، وخرابها عماراً، وقبرُه معروف بها، أنواره شارقة، وعلى زائريه الرحمات متلاحقة، يتسارعُ إليه الناسُ من جميع الأجناس، يستسقى به الغمام، وتستشفى به الأسقام.

وهذه الأبياتُ رثاهُ بها الحبيبُ العارف بالله محمد بن أحمد المحضار، ولتكن خاتمةَ هذه العجالة، وجوهرةَ عقد هذه الرسالة، لما اشتملت عليه من الفضائل، ولكونها شاهدةُ كاملٍ لكامل، ولا يعرفُ الفضلَ لأهل الفضلِ إلا أهلُ الفضل.

قال نفع الله به:

سَرى نعشُه فوق الرقاب وطالَما ... سرَى جودُه فوق الركاب ونائلُه
أفاضَ عيونَ الناسِ حتّى كأنها ... عيونهُم مما تفيضُ أناملُه
فيا عينُ سحّي لا تشحّي بسَائلٍ ... على سيدٍ لا يعرِفُ النهرَ سائلُه
لَئِنْ دَفنُوا تحتَ التراب جمالَه ... فما دُفنت أوصافُه وشمائلُه
سقَى جدثاً هالتْ عليه ترابَه ... أناملُهم سح الغمام ووابلُه
وفي التقّل المحروسِ قد حطّ رحلَه ... فللهِ رحلٌ حطّه ثم حاملُه
ثواهَا وفازُوا أهلُها باقترابِه ... لديهم وهذا السعدُ لا عاشَ جاهلُه
هنيئاً لهم والأمرُ قدّر سابقاً ... بساحتهم حتماً تناخُ رواحلُه
هو البحرُ إلا أنه دائمُ الرضا ... وما الناسُ أن تنسبهمُ الا جداولُه
خليفةُ حدادِ القلوب وفرعُه الـ ... ـذي قَد زكتْ أخلاقُه وشمائلُه
رؤوفٌ بكلِّ الناسِ سَمحاً بمالِه ... عليهم إذا ما الغيثُ شحّت هواطلُه
ثمالُ اليتامَى والأراملِ إسوةً ... وشنشنةً قد قدّمتها أوائلُه

يعـاني أمـوراً لا يقـومُ بحملِهـا سِـواه ولا يعبـأ بـها هُـو حاملُـه
تفكّـر لمـا يفعلـه لـو أنّ غـيرَه حكـاه بـأقوالٍ تقهقـر قائلُـه
فلو عشرُ معشارِ الذي قد عُني بـه عـلى شـامخ مـن حملـهِ أطّ كاهلُـه
ترحّـل عنّـا كـارهين رحيلَـه وإن كـانَ في أعـلى الجنـان منازلُـه
فـما هُـو ممـن تبكِـه عنـدَ فقـده إذا مـا تقـضّى أمُّـه وحلائلُـه
ولكـن تبكّيـه المرابـعُ كلهـا ويبكـي عليـه ركبُـه وصـواهلُه
وتبكـي عليـه حضرموتُ وأهلُها ومَن كان من أهل الجميـلِ يعاملُـه
وتبكي عليه الأرضُ شرقاً ومغرباً وتبكـي عليـه هنـدُها وسـواحلُه
سـلامٌ مـن الـرحمنِ يخضلُّ تربُـه بـهِ حلّهـا فـردُ الزمـان وواصـلُه
فيـا ربّ فانفعنـا بـه واحمِنـا وجُـد عـلى الكـلّ منـا بالـذي هـو آملُـه
وصـلّ عـلى روحِ الحبيـب وآلِـه وسلم عدَد ما انهـلّ بـالقطر وابلُـه

اللهم بحقِّه علَيك، وبماله لَديك، اجمَعْنَا بك عليك، وأشغلنا بك عن غيرك، وتمم علينَا إفاضةَ خيرك، فإنك غمرتَ بالنوال، وأغنيتَ عن السؤال، وصلى الله وسلم على عين أهل الكمال، ومنبع الجود والإفضال، حبيبنا محمد ﷺ منتهَى الآمال، وعلى صحبه والآل، على ممر الأيام والليال. وآخِرُ دَعوانا أنِ الحمد لله رب العالمين.

﴿ سُبْحَـٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ * وَسَلَـٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ * وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾[1] [الصافات: ١٨٠ - ١٨٢].

---

(١) جاء في خاتمة النسخة الأصل: «بقلم الفقير إلى الله، عبد الرحمن بن عمر بن حسين البار، عفا الله عنه، آمين»، وفي خاتمة النسخة (ش): «انتهى الكتاب بحمد الله وعونه، كان الفراغ من نساخته ليلة الجمعة المباركة، لعله ١٨ في شهر جمادى الآخر سنة ١٣٢١هـ بقلم الحقير المعترف بالعيب، حسن بن عبد الله ابن علي باشعيب». انتهى.

قرة الناظر

بمناقب تاج أهل الحظائر
وجوهرة عقد أهل البيت الطاهر
الحبيب الإمام جمال الدين محمد بن طاهر الحداد
(١٢٧٣ـ١٣١٦هـ)

جمع
تلميذه العلامة السيد عبدالله بن طاهر الحداد
(١٢٩٦ـ١٣٦٧هـ)

الجزء الأول

هذا الكتاب

أهمية الكتاب:

يعد كتاب «قرة الناظر» مصدراً تاريخياً هاماً من مصادر تاريخ القرن الرابع عشر، ذلك أن مؤلفه جمع وحشد فيه نصوصاً تاريخيةً واجتماعيةً نادرةً، وأهم منها تلك التراجم التي حبرها وحررها، وجمعها من الأفواه والشفاه، مما لم يسبق له أن جمع أو دون قبل ذلك، كما نراه في الباب الثامن الذي أطلق عليه اسم «النفح العاطر من قرة الناظر» لمن أراد أن يفرده على حدة.

لقد عرض لنا المؤلف الجليل صورةً كاملةً لعلماء وفقهاء وصلحاء من تلك الفترة، قد يكون هذا الكتاب وغيره من الكتب اعتنت بذكر المناقب والمحاسن، أو ما يسميه أهل عصرنا بـ(المثاليات)، وكان مسجَّعاً على طريقة المتقدمين، إلا أنه ليس بمبتدع شيئاً جديداً، فهو ينتمي إلى مدرسة تاريخية معروفة، لها كتابها ومؤلفوها المعروفون الذين لم يأتوا ببدع من الأمر، وما هم إلا واصفون ما رأوه وعاينوه، وواقع عاشوه ولامسوه، وهم ثقات أثبات.

إن هذه المدرسة التاريخية مدرسة عريقة، بعيدة الغور، عميقة الجذور، لها جوانبها الكثيرة المضيئة المشرقة، ويكفي أهلها فخراً أنَّ أجدادهم الكرام، وأسلافهم العظام، هم الذين حفظوا ودونوا لنا تواريخ من سبقوا من الأجيال الماضية.

الناشر

النسخ المعتمدة في إخراج الكتاب:

تم الاعتماد في إخراج الكتاب على النسخ التالية:

النسخة الأولى: وهي القسم الأول من الكتاب، المخصوص بذكر المناقب، مجرداً عن المكاتبات والوصايا والديوان، وهي نسخة نفيسة قيمة، عليها تصحيحات بقلم مؤلف الكتاب، وتملك بقلم ابن صاحب المناقب السيد الحبيب علوي بن محمد بن طاهر، تقع في (١٠٤ صفحات تقريباً)، ناقصة الآخر، لم يذكر فيها تاريخ النسخ، أو اسم الناسخ، وخطها نسخي واضح، وقد اعتمدنا نصها وجعلناه أصلاً صححنا الكتاب بموجبه. كتب على طرة هذه النسخة: «**القسم الأول من قرة الناظر بمناقب تاج أهل الحضاير وجوهرة عقد أهل البيت الطاهر، الحبيب الإمام جمال الدين محمد بن الحبيب طاهر بن عمر بن أبي بكر بن علي ابن علوي بن قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، نفعنا الله بهم، آمين.**

جمع فقيره المستضيء بنوره المعترف بعجزه وتقصيره عبد الله بن طاهر بن عبد الله الهدار بن طه بن عبد الله بن طه بن عمر بن علوي الحداد، عفى الله عنه، آمين».

وفي أعلى الطرة إلى اليسار كتب: «مما من الله به على عبده الفقير إلى عفوه ورفده علوي بن محمد الحداد، لطف الله به».

النسخة الثانية: وهي نسخة أخرى من القسم الأول، كتبت بقلم جيد وواضح، ولم يذكر ناسخها، وتقع في (٤٤٠ صفحة ـ حسب الترقيم المدون في الصفحة الأخيرة)، وذيلها السيد محسن بن سالم العطاس الملقب (هبهب) دفين المدينة المنورة سنة ١٤٢٦هـ رحمه الله، بصفحتين تضمنتا ملاحظاته على الفصول المفقودة من الكتاب، وعلى أخطاء في الترقيم. وعنوانها كعنوان الأصل حرفاً بحرف.

النسخة الثالثة: وهي نسخة ثالثة من القسم الأول أيضاً، كتبت في ٢١ جمادى الآخرة سنة ١٣٩٥هـ بقلم أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن حسن بارجاء، تقع في (٣٠٩

صفحات)، وبآخر النسخة فهرس للموضوعات من عمل ابن المؤلف السيد مصطفى بن عبدالله بن طاهر الحداد، وعنوانها كسابقتيها.

النسخة الرابعة: وهي نسخة من القسم الثاني، كتبت في بلدة (بانقيل) من بلدان جاوا الشرقية، بقلم الشيخ الفاضل غانم بن محمد بن ربيع غانم، ابتدأ في نسخها يوم الخميس **٢٤** شعبان سنة **١٣٥١**هـ وفرغ منها الثلاثاء **٢٠** محرم سنة **١٣٥٢**هـ وتقع في (**٣٦١** صفحة)، وملحق بها **٣** وصايا، (**٣٦٢ـ٣٧٥**)، ثم وصية سيدنا الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام للكميل بن زياد (**٣٧٦ـ٣٧٩**)، بقلم مالك الأصل السيد علي بن حسين بن محمد بن طاهر الحداد دفين المدينة المنورة رحمه الله. وكتب عنوان هذا الجزء مخالفاً لما سبق: «**الجزء الثاني من قرار النواظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر نفع الله ببركته البادي والحاضر، جمع بعض المتعلقين بعلي جنابه، اللائذين بعد باب الله ورسوله بأعتابه، سامحه الله وعفا عنه بمنه وكرمه، آمين**».

النسخة الخامسة: وهي بخط الشيخ غانم المذكور أيضاً، بدأ في نسخها ضحى الجمعة **٢٥** شعبان سنة **١٣٥١**هـ وفرغ منها فاتحة محرم عاشور سنة **١٣٥٢**هـ تقع في (**٢٥٩** صفحة)، تم الحصول على مصورة عنها من مكتبة العلامة السيد علي بن عبد الرحمن الحبشي (ت **١٣٨٨**هـ) دفين جاكرتا، بمعونة بعض أحفاده، وبأسفل صفحة العنوان يطالعنا ختم المكتبة المذكورة وتحته خط مالكها المذكور. وعنوان هذه النسخة كسابقتها.

النسخة السادسة: وهي نسخة من ديوان صاحب المناقب الحبيب محمد بن طاهر، استخلصها وأفردها على حدة السيد سالم بن محسن العطاس، وفرغ من كتابته في صفر عام **١٤١١**هـ، تقع في (**٨٤** صفحة). وملحق بهذا الديوان ما وجد من شعر الحبيب علوي بن محمد بن طاهر، ابن صاحب المناقب، قام بجمعه ابن أخيه السيد علي بن الحسين رحمه الله، وهو بقلم السيد العطاس أيضاً، فرغ من نسخه يوم الجمعة **٥/٦/١٤١١**هـ ويقع في (**٦١** صفحة).

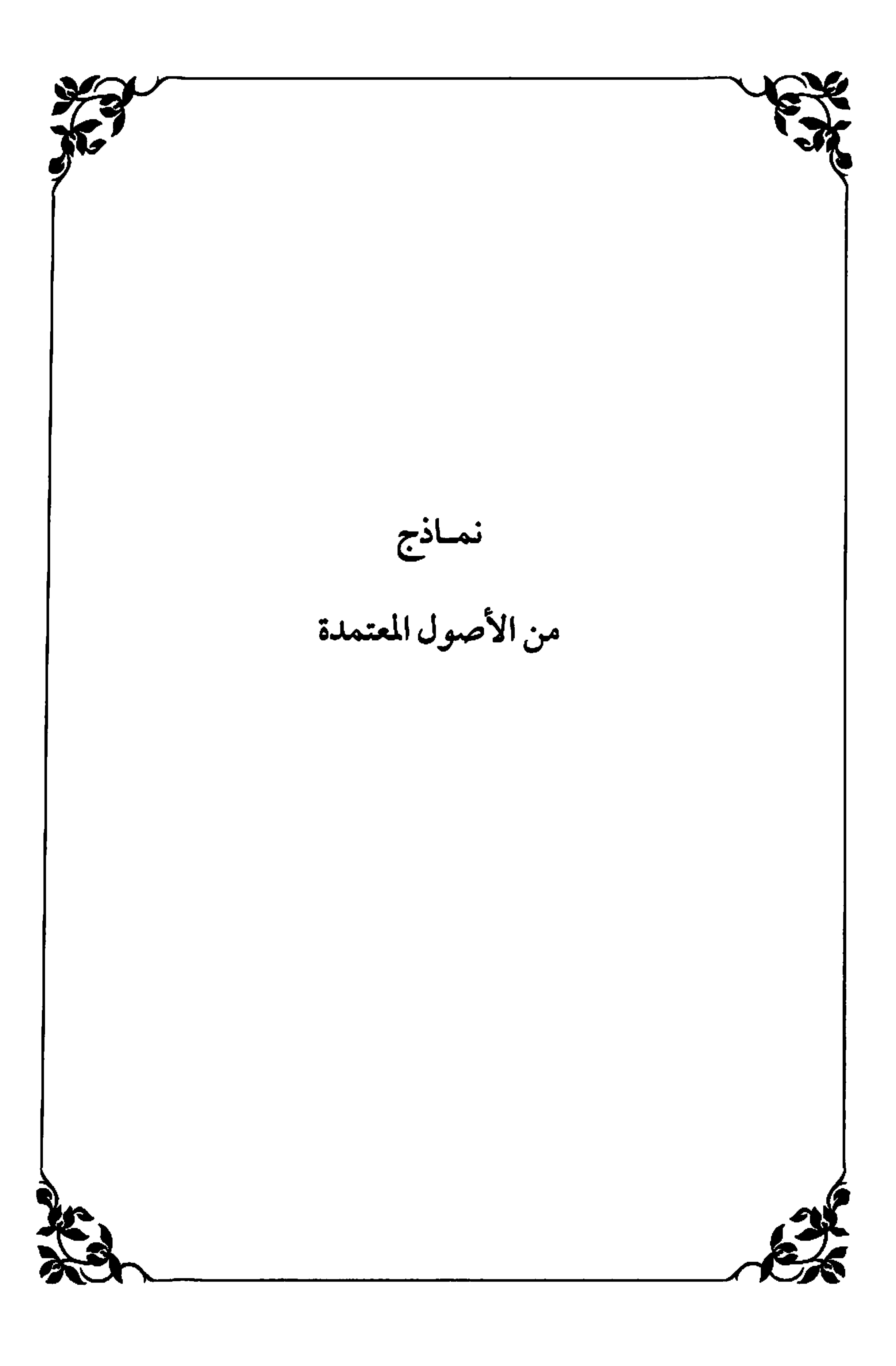
النسخة السابعة: وهي نسخة فريدة وحيدة من الباب الثامن من هذا الكتاب، الخاص بذكر تراجم شيوخ وأقران صاحب المناقب، أصلها محفوظ برباط قيدون الميمون، كتب معظمها بقلم المؤلف نفسه، وبعضها بقلم تلميذِه وختَنه الحبيب أحمد مشهور الحداد (ت ١٤١٦هـ)، تقع في (٢٥٥ صفحة)، وهي النسخة الأم، بل هي المسودة، لكثرة التصحيحات والإلحاقات فيها.

ويعد طبع هذا الباب وإصداره سبقاً تاريخياً تميزت به هذه الطبعة المباركة، وكم كان الشيوخ يتحسرون على عدم وجوده وظهوره. جاء في كتاب «نور الأبصار»[١] حول هذا الباب المفقود، ما نصه: «أما الجزء الثالث، وهو المشتمل على تراجم من أخذ عنهم الحبيب محمد، ومن أخذ عنه، وأقرانه، فقد كان يوجد عند صهره [يعني: المؤلفَ، الحبيب عبد الله بن طاهر] العلامةِ الشيخ سعيد جان، ثم استعاره منه بعض السادة ولم يعده، وقد بذل أخوه العلامة علوي بن طاهر جهده الجهيد في الحصول عليه لقيمته العظيمة بالنسبة لما اشتمل عليه من تراجم، ولكن لم يسعفه القدر بالحصول عليه». انتهى. فالحمد لله على ما يسر وأرشد.

* * *

---

(١) (ص١١٤).



نمـاذج

من الأصول المعتمدة

القسم الأول

من قرة الناظر بمناقب تاج أهل الحضاير

وجوهرة عقد أهل البيت الطاهر الحبيب

الإمام جمال الدين محمد بن الحبيب

طاهر بن عمر بن ابي بكر بن

علي بن علوي بن قطب

الارشاد الحبيب

عبدالله بن

علوي

الحداد

(نفعنا الله بهم آمين)

جمع فقيره المستضي بنوره المعترف بعجزه و

تقصيره عبدالله بن طاهر بن عبدالله الحداد

بن طه بن عبدالله بن طه بن عمر بن علوي

الحداد عفى الله عنه آمين

صورة غلاف النسخة الأصل

بعد الحاضرين ما يأخذون الطعام من الإناء الكبير الى الأواني الصغيرة ويأكلون
منفردين في صورة مجتمعين فقال لهم سيدي قدس سره وقال الأكل في إناء واحد هو السنة
وما يفعلونه مناف لها وَلَمَّا دَخَلَ قدس سره حيدراباد سنة اثني عشر وثلاثمائة والف
اضافه وزيرها فلما قرب الطعام قربت معه الملاعق للأكل بها كعادة اهل الجهة فلم يأكل
قدس سره بالملاعق لكون الأكل بها خلاف السنة ولم يحتفل بمن هناك من الأمراء فاتبعوه
وأكلوا بايديهم وهنا لطيفة مناسبة لما هنا وهي ان سيدنا ومولانا انسان الزمان شهاب
الدين وبركة المسلمين الحبيب احمد بن الحسن العطاس نفعنا الله به لما دخل مصر سنة ١٣١٨ه
ثمان وثلاثمائة والف اضافه شيخ الاسلام الانبابي فلما قرب الطعام قربت الملاعق للأكل
بها كعادة اهل تلك الجهة فأكل سيدنا الحبيب احمد بيده فقال له الشيخ لم لا تأكل بالملعقة
فقال له كنت مع شيخنا السيد احمد زيني دحلان بمنى فقرب الطعام والملاعق فأكلت بيدي
فقال لي لم لا تأكل بالملعقة فقلت له لقول ابن مالك في الألفية شعراً . . . .

وفي اختيار لا يجيء المنفصل ❊ اذا تأتى ان يجيء المتصل

فاعجب الشيخ الانبابي ذلك ووضع الملعقة وأكل بيده ومراد الحبيب احمد نفعنا الله به
بالمنفصل الملعقة والمتصل اليد ومراد ابن مالك انه لا يصح في العربية الاتيان بالضمير المنفصل
إذا تأتى الاتيان بالضمير المتصل الا لضرورة اشرت الى ما ذكر لمن لا يعرف النحو مثلي فانظر الى
تحري هذين الامامين للسنة المطهرة ووقوفهما على حد الاتباع لمتبوعهما الاعظم صلى الله
عليه وآله وسلم في مثل هذه الامور العادية تعرف علو مراتبهما وسمو مقاماتهما وانهما قد
امتزجت اسرار الشريعة المطهرة بدمهما ولحمهما وصدرت عنهما الاخلاق والافعال
كاملة مشرقة بانوار الاتباع صافية عن شوائب الابتداع وقس على ما ذكر ما لم يذكر من احوالهما
رضي الله عنهما ونفعنا بهما آمين وَسَمِعْتُ سيدي الحبيب قدس سره يقول لما دخلنا مكة لم نقلد أهلها

صفحة من داخل النسخة الأصل

القسم الاول
من قرة الناظر بمناقب تاج اهل الحضائر
وجوهرة عقد اهل البيت الطاهر الحبيب
الامام جمال الدين محمد بن الحبيب
طاهر بن عمر ابن ابي بكر بن
علي بن علوي بن
قطب الارشاد
عبد الله بن
علوي
الحداد
(نفعنا الله بهم آمين)
جمع فقيره المستضيء بنوره المعترف بعجزه
وتقصيره عبد الله بن طاهر بن عبد
الله الحداد بن طه بن عبد الله
بن طه بن عمر بن علوي
الحداد عفى الله
عنه آمين
م

غلاف النسخة الثانية

القسم الأول من قرة الناظر بمناقب أهل الحضائر

وجوهرة عقد أهل البيت الطاهر الحبيب الإمام

جمال الدين محمد بن الحبيب طاهر بن عمر

بن أبي بكر بن علي بن علوي ابن قطب

الإرشاد الحبيب عبد الله بن

علوي الحداد نفعنا

الله بهم آمين

آمين

للفقير إلى الله

مصطفى بن عبد الله بن طاهر

الحداد

جمع فقيره المستضيئ بنوره المعترف بعجزه وتقصيره عبد الله

بن طاهر بن عبد الله بن طه بن عبد الله بن طه بن عمر بن علوي الحداد عفى الله آمين

المتوفى في قيدون يوم الجمعة في ٢٤ جماد ثاني سنة ١٣٦٧هـ

نسخة الفقير إلى عفو ربه القدير أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن محسن بارجاء

٢١ جمادى الآخر

سنة ١٣٩٥

عنوان النسخة الثالثة (نسخة بارجاء)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾

الحمد لله الذي أبرز من تجليات الجمال، وأفاض من فيوضات المنِّ والإفضال، على من اصطنعه لنفسه من الرجال، ما أدركوا به غاية الآمال، وتسربلوا به في خلع الجلال والكمال، وصلحوا لأن يدار عليهم في حضرة قدسه على بساط أنسه كأس الوصال، فظهر على أيديهم من حقائق العلوم ونتائج الأعمال، ما حارت فيه العقول، فلم تفصح عنه بمقول، وعجزت عن العبارة عنه الألسن والأقلام، فلم تشتمل عليه النقول، فكان التصديق به ولايةً صغرى، ومحبة أهله سعادةً في الدنيا والأخرى، وكان وجودهم أماناً للأمة، ونورهم جلاءً للظلمة، وذكرهم سبباً لنزول الرحمة، ومنهِضاً لمن قعَدت به الهمة، إلى ما قدر له في سابق القسمة، أولئك الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وسعوا له بها منه إليه.

وكلهم من رسُولِ الله ملتمسٌ غرفاً من البحرِ أو رشفاً من الدِّيمِ

صلى الله وسلم على هذا الحبيب، الذي تمّ به النظام، وانهلّت به على الوجود شآبيب الكرم والإنعام، فاستقام يتيمةَ عقد الاصطفاء، وواسطةَ نعمتي الهداية والاجتباء، وعلى آله وصحبه أهل الله، وعلى من استن بسنته واهتدى بهداه.

أما بعد؛

فإن جمعَ المناقب والشمائل، وتحرير الكرامات ونشر الفضائل، مما لم تزل تتسابق في مضماره فوارس الهمم، ومما غدا من أحسن المساعي وأفضل الشيم، لما اشتمل عليه من

عميم الفوائد، وعظيم الصلات والعوائد، وجميل المدارك والمقاصد، مما هو مذكور في محله، ومروي عن أهله.

وإن ممن نُشرت في الخافقين أعلامه، ورسخت على الصراط المستقيم أقدامه، وابتسمت بوجوده لياليه وأيامه، وتشرفت بطلعته أشهره وأعوامه، وضُرب رواقُ مجدِه على كاهل الفرقدين، وسارت فضائله مسير النيِّرين، وظهرت باهرات آياته لكل عين، فوجب أن تجمع وتحرر، ثم تروى وتنشر: سيدُنا ومولانا، وبركتنا ومقتدانا، سلطان المقربين، وأنموذج أسلافه السابقين، الشيخ الإمام الأستاذ، ناشر لواء الرشاد، وملاذ الحاضر والباد، جمالُ الدين، أبو علوي، الحبيب محمد بن طاهر بن عمر الحداد، رضي الله عنهم وعنا بهم، وأعاد علينا من بركاتهم، آمين.

وقد طال ما رجوتُ وتطلعتُ، وتشوقتُ وتشوفتُ، إلى أن يوقظَ الله من يجمع من محاسنه العديدة، عقداً يُروَى ويسنَد، ويضم من مآثره الحميدة ما تبدد، ممن هو حقيقٌ بذلك، وأهلٌ لما هنالك:

ليكون فيهَا للربـوع وأهلِهـا ... أنسٌ ونفعُ الطالبِ المتنفِّعِ(١)

فلم يسمح الزمانُ بذلك الإنسان، ولم تساعد الأقدار ببغية الجَنان، فأردت الإقدام على ذلك المقصد الرفيع، لما لدي لهذا الحبيب من المنن التي لشكر القليل منها لا أستطيع، فأخرني انحطاطي عن ذلك المرمى المنيع، ونادتني مهمات ذلك المهم بليس بعُشِّكَ فادرُج، فلا يدركُ الضالعُ شأوَ الضَّليع:

وما كُلُّ مخضُوبِ البنانِ بُثَينةٌ ... ولا كُلُّ بيضاءِ الترائبِ زينَبُ

فلما كان سنةَ سبعَ عشرة وثلاثمائةٍ وألف، قادتني أزمة الأقدار الربانية، إلى السفر إلى

(١) أصل البيت للإمام الحداد في ديوانه «الدر المنظوم».

الجهة الجاوية، فمَنَّ الله عليَّ وله الحمد بزيارة هذا الحبيب صفوة الأبرار، وجمعني بفضله في تلك الديار، بالإمام الأوحد، والجوهر المفرد، بركة الأنام، ومروي الأوام، وبهجة الأعوام، وزينة الليالي والأيام، وثِمال الأرامل والأيتام، محيي الأرواح ومميت النفوس، جمال الدين، أبي علي، سيدي ومولاي الحبيب محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي، فكان ذلك من أعظم نعم الله عليَّ بعد الإسلام، كما أن انتمائي إلى الحبيب الأول من تلك المنن الجسام، فيحق لي أن أقول متمثلاً:

أحمـدُ الـرحمنَ إذ مـنّ عـليّ   بالجميل المحْـضِ أسـداهُ إليّ
نعمـةٌ مـا مثلهـا مـن نعمـةٍ   نعمةٌ عظمَى لقد جلّتْ لدَيّ
نسبتي للقوم سادات الورى   فهما ذخري عـمادي عمـدتَي
وهما الحدادُ والحبـشيْ اللّـذا   نِ هُما كَنزي إذا كلَّـت يـدَيّ
أي شيء فاتَ مـن أدركهُـما   والذي فاتَـاه أدرك أيَّ شَي!

فأشار عليَّ هذا الحبيب بالسعي في ذلك المرام، بل أمرني فلم يسعني الإحجام، وعلمتُ التيسير من إشارته، وأيقنت بالنجاح ببركته:

ورتبةُ التأليفِ ليستْ لي محـلْ   لأنني عـن ذلـكَ الأمـرِ أقـلْ
ولستُ للقولِ الفصيحِ أحسنُ   لكـنّ حـولَ سَـادتي أدَنـدِنُ

فجمعت نبذة في نحو كراس، وعرضتها على ذلك القطب النبراس، فرضيها ورتب قراءتها كل عام، عند ضريح الحبيب العالي المقام، ثم إني جعلتُ تلك «الرسالة»، أصلاً لهذه العجالة، وضممت إليها ما شهدته أو بلغني عن ذلك الإمام، مما فيه الكلام، وهو بالنسبة إلى ما لم يبلغني كلحظة من قرون من الأعوام، ولا شيء بالنسبة إلى ما يستحقه هذا السيد الكريم، ويستوجبه مقامه العظيم:

وهو الذي قَد قالَ شاعرُ مجدِهِ　　أينَ الثريَّـا مـن يـدِ المتَطـاولِ

غير أني قد أتيت بالمستطاع، عالما أني وما جئتُ به بنسبته إليّ من سقَط المتاع، فإن أصبت المرمَى فرمية من غير رام، وإلا فالعفو شأن الكرام:

إنْ قيـلَ إنّ لفظَهـا مخـشْلَبُ　　فـإنّ معناهـا طِـرازٌ مـذهَبُ

وإنهـــا تـــسليةٌ لخـــاطِرِي　　ريحانـــةٌ للقلـــبِ والـــسّرائرِ

لأنـه إن فـاتَ قُـربُ سَـادتي　　فذكرُهـم يحيى مواتَ مُهجَتي

ولولا الإشارة السابق ذكرها، والنعم التي لا أطيق شكرها، لما كان لي أن أحوم حول هذا الحمى المنيع، عمن له مقعدٌ في الماء وأنفٌ في السماء، وأنّى لنملة أن تصف العرش! وأين العرش من الفرش؟ فليسبل الناظر ذيلَ عفوه على ما يرى من الزلل، وليصلح بقَلم كرَمه ما يشاهده من خلل، فإني خليٌّ عن أدوات التأليف، بعيد عن هذا المقصد المنيف، وربما تيمّم فاقد الماء، وشرب الحمأة شديد الظمأ، وما أنسبَ الحال بقول من قال:

وما أقـبح الإنـسان يحكـي طريقـةً　　ولم يـكُ فيهـا سَـالكاً مـستقيمُها

وأنّــىٰ لمــثلي ذكرُهــا غــيرَ أنّــه　　إذا عزّ نبتُ الأرضِ يُرعَى هشيمُها

وقد سميتُ هذا المجموع:

قرةَ الناظر

بمناقب الحبيب القُطب محمد بن طاهر

وقسمته إلى قسمين:

١ ـ فالقسم الأول؛ يشتمل على ثمانية أبواب:

الباب الأول: يشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: في ذكر نَسبه الشريف، رضي الله عنه.

الفصل الثاني: في الإشارة إلى ذكر والده الإمام، رضي الله عنه.

الفصل الثالث: في الإشارة إلى ذكر جدّه لأبيه، الحبيب عمر بن أبي بكر وبنيه، رضي الله عنهم.

الفصل الرابع: في الإشارة إلى ذكر والدته الكريمة، وأبيها ذي السيرة المستقيمة، رضي الله عنهما.

الباب الثاني: يشتمل على اثني عشر فصلاً:

الفصل الأول: في ذكر ما جاء من التنويه بشأنه، والتبشير به قبل وجوده لأهل زمانه.

الفصل الثاني: في ذكر مولده، وبداية أمره.

الفصل الثالث: في ذكر تأهله وأولاده، وما ناسب ذلك.

الفصل الرابع: في زياراته وتردداته إلى وادي ابن راشد، وغيره من المشاهد والمعابد.

الفصل الخامس: في ذكر حجه حجة الإسلام، وزيارته لجده عليه أفضل الصلاة والسلام.

الفصل السادس: في ذكر أسفاره وما وقع له فيها.

الفصل السابع: في ذكر المنقبة العظيمة رؤيته لجده الأعظم صلى الله عليه وآله وسلم يقظةً.

الفصل الثامن: في ذكر إجماع أهل عصره من السادة العلوية على تقديمه ونقابته.

الفصل التاسع: في ذكر شيء من ثناء مشايخه وأعيان عصره عليه.

الفصل العاشر: في ذكر بعض ما وصف به في المكاتبات مما هو حقيق به.

الفصل الحادي عشر: في ذكر بلوغه أعلى رتب الكمال وتحدثه بنعم مولاه ذي الجلال.

الفصل الثاني عشر: في ذكر وفاته ولحوقه بالرفيق الأعلى رضي الله عنه.

الباب الثالث: في الإشارة إلى شيء من أخلاقه الزكية وشمائله المرضية. ويشتمل على ثلاثة عشر فصلاً، وخاتمة:

الفصل الأول: في الإشارة إلى استقامته، ومتابعته لجده الأعظم ﷺ.

الفصل الثاني: في الإشارة إلى ترتيب أوقاته، ومقاعده العندية وشيء من عاداته.

الفصل الثالث: في الإشارة إلى سعة علومه ومعارفه.

الفصل الرابع: في ذكر دعوته إلى الله، وتذكيره بأيام الله.

الفصل الخامس: في ذكر كرمه وجوده، وبره وإحسانه.

الفصل السادس: في الإشارة إلى ورعه واحتياطه في الدين.

الفصل السابع: في الإشارة إلى تواضعه في شرفه[1] وخوفه من الله وخشيته له سبحانه وتعالى.

الفصل الثامن: في الإشارة إلى صبره وحلمه وصفحه وعفوه.

الفصل التاسع: في الإشارة إلى زهده فيما سوى الله وتوكله عليه سبحانه ورجائه فيه وحسن ظنه به.

الفصل العاشر: في الإشارة إلى محبته لمولاه وأنسه به وشوقه إليه سبحانه وتعالى.

الفصل الحادي عشر: في الإشارة إلى معاشرته مع أصناف الخلق.

الفصل الثاني عشر: في الإشارة إلى علو همته وقوة عزمته.

---

(١) ب: شوقه.

الفصل الثالث عشر: في الإشارة إلى ما وهبه الله من المظهر العظيم وذكر طاعة الناس له وانقيادهم بالقهر الرباني لأوامره.

والخاتمة: في ذكر صفته الخلقية وجمل من متفرق شمائله المرضية.

الباب الرابع[١]: في ذكر طريقته وسند خرقته، ويشتمل على ثلاثة فصول وخاتمة.

الفصل الأول: في ذكر طريقته.

الفصل الثاني: في ذكر أخذه عن الأشياخ واتصاله بهم.

الفصل الثالث: في ذكر وصايا وإجازات حصلت له ولوالده وعمه وجده من مشايخهم رضي الله عنهم أجمعين.

والخاتمة: في رفع السند إلى سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

الباب الخامس[٢]: في ذكر شيء من كراماته، وخوارق عاداته، ويشتمل على جملة وافرة من الحكايات الباهرة.

الباب السادس[٣]: في ذكر شيء من كلامه.

وخاتمته: في ذكْر وردٍ من أدعيَته رضي الله عنه.

الباب السابع[٤]: في ذكر بعض ما أنطق الله به المادحين، من أوصافه التي تهز السامعين.

ويشتمل على فصلين:

الفصل الأول: في المدائح.

والفصل الثاني: في المراثي.

---

(١) هذا الباب مفقود لم يتم العثور عليه.

(٢) هذا الباب مفقود لم يتم العثور عليه.

(٣) هذا الباب مفقود لم يتم العثور عليه.

(٤) هذا الباب مفقود لم يتم العثور عليه.

الباب الثامن: في ذكر مشايخه الهداة، وبعض إخوانه في الله، رضي الله عنه وعنهم، وبتمامه يتم القسم الأول.

٢ـ وأما القسم الثاني؛ فينقسم إلى أربعة أقسام:

فالقسم الأول: في ذكر المكاتبات الواردة إليه من الأعيان.

والقسم الثاني: في ذكر المكاتبات الصادرة منه.

والقسم الثالث: في ذكر الوصايا والإجازات منه للطالبين.

والقسم الرابع: في ذكر بعض ما له من الكلام المنظوم.

وليس لي فيما ذكرتُ إلا الجمعُ والترتيب، والتفصيل والتبويب، وربما حكيتُ بعض ما رويتُ بمعناه، ليتضح منه ما قصده راويه وعناه، ومتى حذفتُ اسم الراوي الصادق فللاختصار، أو لمعنًى موافق، لا يخفى على الفطن الحاذق، فما وجد مستقيما فلصحةِ نقله، ولبقائه على أصله، وما وجد سقيماً فبنسبته إلي، ولمصلِحهِ المنةُ علي، وما تكرر من الحكايات، أو ترادف من الكلمات، فبمعنى قول القائل:

أعد ذكر نَعمانَ لنا إنّ ذكـرَه	هو المسكُ ما كرّرتَه يتضوّعُ

وأسأل الله بهؤلاء السادة، أن يرزقني كمال السعادة والسيادة، وكما زين قلمي ولساني بذكره وذكرهم، يعمر جناني بحبه ونوره وحبهم وسرهم، وأركاني بطاعته والاقتداء بهم، ويعينني فيما توخّيت، ويتقبل مني ما نويت، ويجعله خالصاً لوجهه الكريم، وموجباً للفوز بالنعيم المقيم، بلا سابقة عذاب ولا امتحان، إنه كريم منان.

وهذا أوان الشروع في المراد المشار إليه بعون من الاتكال في تيسيره عليه:



الباب الأول

ويشتمل على أربعة فصول:

الفصل الأول: في ذكر نَسبه الشريف، رضي الله عنه.

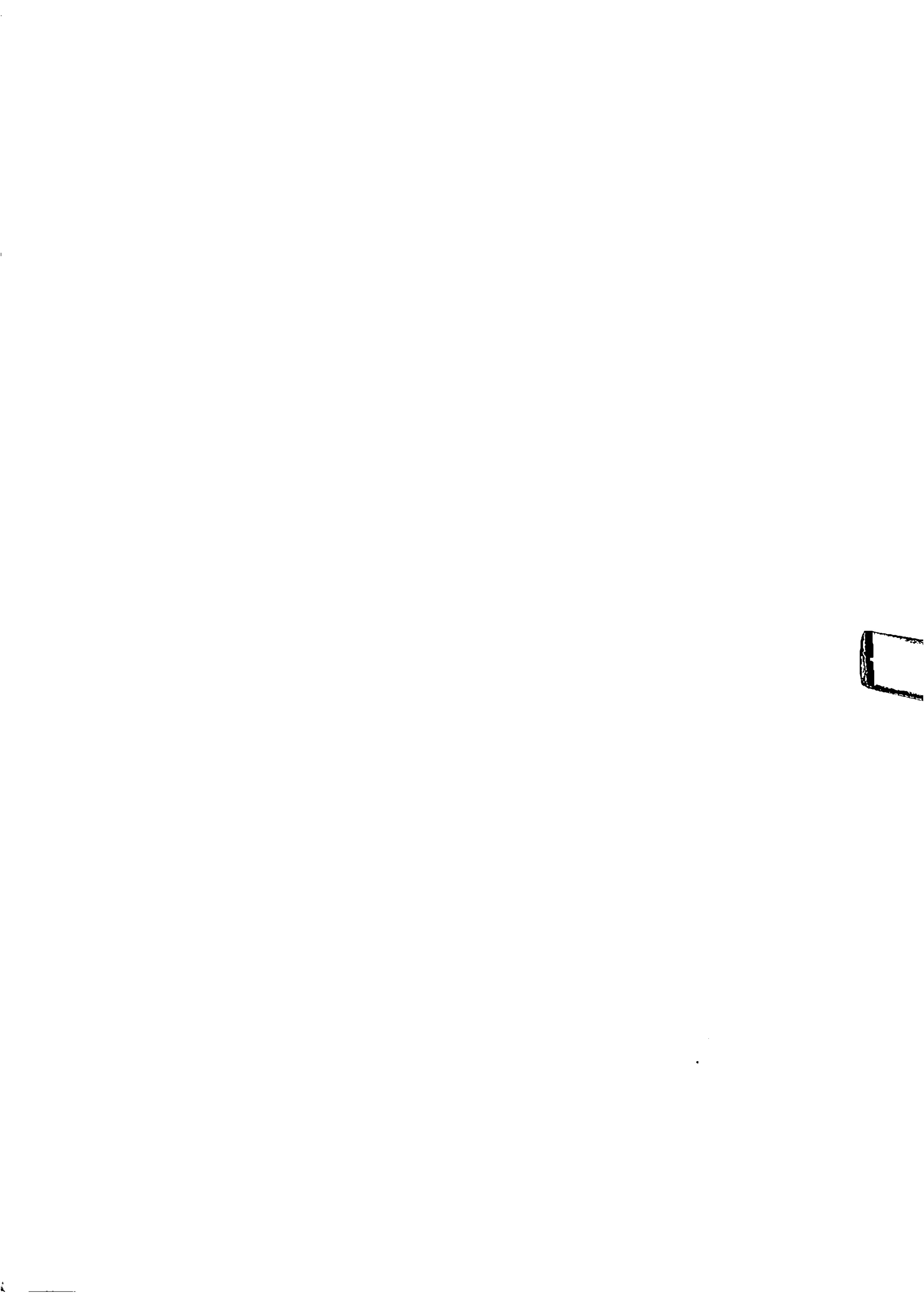
الفصل الثاني: في الإشارة إلى ذكر والده الإمام، رضي الله عنه.

الفصل الثالث: في الإشارة إلى ذكر جدّه لأبيه، الحبيب عمر بن أبي بكر وبنيه، رضي الله عنهم.

الفصل الرابع: في الإشارة إلى ذكر والدته الكريمة، وأبيها ذي السيرة المستقيمة، رضي الله عنهما.







الفصل الأول

في ذكر نَسَبِه رضي الله عنه

وعلى الله التكلان؛ وبه الاستعانة.

فهو سيدنا ومولانا، يتيمة عقد الكرام، وخلاصة الأئمة الأعلام، بركة المسلمين والإسلام، ثِمال الأرامل والأيتام، واحد العصر الذي لم يسمح له بنظير[١]، ومفرد الوقت الذي إليه إذا سئل عمن مفرده يشير، جمال المحاضر تاج أهل الحظائر ترجمان لسان [أهل][٢] العرفان، المصطلح بحمل أعباء الدعوة إلى سبيل الرحمن، السلطان ابن السلطان، الحبيب المحبوب، المجتمعة على محبته وتعظيمه القلوب، خاتمة الأجواد، ومنهل الوراد، الداعي إلى سبيل الرشاد.

جمال الدين سيدنا الحبيب محمدُ ابن الحبيب الإمام طاهر بن عمر بن أبي بكر بن علي ابن علوي بن قطب الإرشاد سيدنا الحبيب عبدالله بن علوي بن محمد بن أحمد بن عبدالله ابن محمد بن علوي بن أحمد الحداد بن أبي بكر بن أحمد بن محمد بن عبدالله بن الشيخ أحمد ابن الشيخ عبدالرحمن بن الشيخ علوي عم سيدنا الفقيه المقدم بن الإمام محمد صاحب مرباط بن الإمام علي خالع قسم بن الإمام علوي بن الإمام محمد بن الإمام علوي بن الإمام عبيدالله بن الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن الإمام عيسى بن الإمام محمد النقيب بن

---

(١) ب: «يسمع له نظر».

(٢) زيادة من النسخة (ب).

الإمام علي العريضي بن الإمام جعفر الصادق بن الإمام محمد الباقر بن الإمام السجاد علي زين العابدين بن الإمام السبط أمير المؤمنين الحسين بن الإمام أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وابن فاطمة سيدة نساء العالمين بنت الحبيب العظيم الصادق الأمين سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وعليهم[1] بن عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم ابن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.

نسب تحسب العلا بحلاه	قلدتها نجومها الجوزاء
حبذا عقد سؤدد وفخار	أنت فيه اليتيمة العصماء

وقد نظمت هذا النسب العظيم متوسّلاً إلى البر الرحيم وقدمت ذكر النبي الكريم عليه أفضل الصلاة والتسليم ثم ذكرت سيدي وآبائه على الترتيب، والمتوسل بهم إلى الله لا يخيب، وهذه الأبيات الضعيفة فليسبل عليها الناظر ذيل أخلاقه الشريفة:

إلهي بحق القوم منّ بتوبة	واغسل لنا يا ربنا كل حوبة
وغث يا مغيث المستغيث قلوبنا	بهم يا إله العرش واستر عيوبنا
إلهي بخير الخلق أفضل مرسل	ومن ذكره غوث به الكرب ينجلي
وسيلتنا العظمى لكل ملمة	وشافعنا المقبول يوم القيامة
وبالآل أرباب الوجاهة والحسب	ومن حبهم فرض على العجم والعرب
بني هاشم الغر الكرام أولي الرتب	ومن عنهم نروي لسلسلة الذهب
كسيدنا الداعي إلى العلم والعمل	محمد ذخري من به حبلي اتصل

---

(١) ب: وآله وسلم.

وبالطاهر القطب الذي ماله مثل ... وواحد هذا العصر سيدنا الأجل[1]

كذا بأبيه من من السر ممتلي ... وفخر أبي بكر ووالده علي

وبالعلوي الجامع الفضل والندى ... وبالقطب داعي العالمين إلى الهدى

عفيف الدّنا والدين خير الأئمة ... ومن ذكره قد طار في كل بلدة

وبالعلوي العالي العزيز جنابه ... كذا بجمال الدين ثم شهابه

وبالشيخ عبدالله ثم جمالنا ... ووالده جمّل إلهي لحالنا

وندعوك بالحداد من في الورى شهر ... وفخر أبي بكر الطويل الذي ذكر

كذا بشهاب الدين ثم محمد ... ووالده ذاك العفيف وأحمد

إمام الهدى بحر العلوم فقيهنا ... ووالده الشيخ الكريم وجيهنا

وبالعلوي العالي المقام الذي وصف ... بعم الفقيه القطب من في الورى عرف

وصاحب مرباط به ندرك المنى ... وبالشيخ من من جده المصطفى دنا

وبالعلوي بن الجمال ووالده ... وعلوي من اسم العلا من فوائده

كذا بعبيد الله ابن المهاجر ... ووالده الجالي ظلام الدياجر

وبالشيخ عيسى والنقيب الممجد ... كذا بعلي غوثنا خير منجد

وبالصادق الصديق خير مهذب ... ووالده بحر الندى الباقر الأبي

وبالعابد السجاد أفضل من حمل ... لأعباء أسرار العلوم وبالبطل

إمام الهدى سبط النبي المعظم ... كذا بأمير المؤمنين المكرم

على العلى الصديق أول مهتدي ... ومن بالنبي المصطفى خير مقتدي

وبالحسن السبط الإمام الذي ختم ... خلائف طه الراشدين أولي الكرم

---

(١) في النسخة (ب): «ما له بدل».

وندعوك بالزهراء في كل كربة ... وسابقة الإسلام من غير مرية
خديجة أم المؤمنين وأمنا ... إليك بهم ندعو إذا الخطب أمنا
بهم وبأصحاب النبي أُولي الهدى ... وتابعهم أو من بهديهم اهتدى
أغثني فإني عبدك المذنب الملح ... ذليل صغير تحت بابك منطرح
فحقق صلاتي واتصالي بذا النسب ... وكن لعبيد الله في كل ما طلب
وألحقه تحقيقاً بأسلافه الأول ... يقيناً وتمكيناً مع العلم والعمل
وأهلي وأحبابي ومن بي قد اتصل ... ولا زلت بي براً لطيفاً ولم تزل
لك الحمد لا أحصي عليك الثنا بفم ... وحمدي الذي أحصيه من واسع الكرم
وصل على المختار دأبا وسَرْمداً ... وآل وأصحاب ومن بهم اقتدى

❊ ❊ ❊

الفصلُ الثّاني

في الإشارةِ إلى ذِكْر والدِه

سيدُنا الإمامُ الزاهد، جامعُ المحامِد، وضياء المساجد، عَيبة السر النبوي، وشيخ نادي بني علوي، شيبة الحمد، ورافع قواعد بيت المجد، بقية السلف الصالح، ذي المتجر الرابح، الشارب من حميا الوصل، علا بعد نهل، والراقي إلى ذرى المعالي طفلاً وشيخاً وكهل، زين العابدين، وسيد المنيبين، الحبيب السجاد، غوث العباد، وغيث البلاد، مولانا العارفُ بالله، أبو محمد، طاهرُ بن عمر بن أبي بكر الحداد، الحامد المحمود، الذي يتلو نور وجهِه لكل جحود، سيماهم في وجوههم من أثر السجود.

ولد بقيدون، البلد الميمون، سنة ١٢٤٩هـ تسع ـ بتقديم المثناة الفوقية على السين ـ وأربعين ومائتين وألف، ونشأ بها أكمل نشأة، ومات أبوه وهو صغير، ودلائل إقباله إلى قبوله وكماله تشير، واعتنى به في التأديب والتعليم، أخوه الإمام الكريم، وشقيقه في بحبوحة المجد الصميم، السيد الأغر، الحبيب علوي بن عمر، ووالدته العارِفة المكاشَفة، علوية بنت الحبيب العارف بالله محمد بن أبي بكر بافقيه.

وكانت فيه عَرامةٌ شديدة في صغره، وذلك ـ كما ورد ـ زيادةٌ في عقله في كبره، وأحكمت هذه القاعدةَ التجربةُ والمشاهدة، فإنها بصحة هذا الخبر شاهدَة، وإذا أراد أخوه الإمامُ ضَربه لما يضربُ عليه الغلام، تقول له أمه الصالحة: «لا تضربه فإنه سيد أصحابه»! فحقّق الله ما قالت هذه الأمُ البرّة، وكان سيدَ الناس مرّة.

لحظته عناية ربه الكريم، فحفظ القرآن العظيم، على السيد الجليل عبد الله بن علوي باعقيل، وحفظ «متن الزُبد»، وغيره من المتون، التي عليها المعتمد، وجدَّ في طلب العلم واجتهد. فأخذ بقيدون عن أخيه الإمام وعن الحبيب العلامة عيسى بن محمد الحبشي، ورحل للطلب، واكتساب العلم الذي هو أعز مكتسب، إلى الواديين الأيمن والأيسر، وسهُل على نفسه الأبية في طلب العلا ما على غيره تعسَّر.

فأخذ بـ(**الوادي الأيمَن**) عن: الشيخ الكبير عبد الله بن أحمد باسودان، وعن ابنه الأمجد الشيخ محمد، وعن الشيخ العلامة سعيد بن محمد باعشن، وعن الحبيب العلامة معدن الأسرار أحمد بن عبد الله البار، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، وغيرهم. وأخذ بـ(**الوادي الأيسَر**) عن: الشيخ الفقيه النحرير أحمد بن محمد العمودي بصُبَيخ، وعن الشيخ الفقيه الزاهد العابد أبي بكر بن أحمد بالبيد.

وجاور أشهراً عديدةً بالواديين، وأصغى لما يلقى إليه السمع، وشخص إلى مرمى العلا بالعين، حتى تضلع من العلوم الدينية، وكرع من الحقائق الإيمانية، والأسرار العرفانية، وسائقه وقائده العناية الربانية، جمعَ بين العلم والعمل، ولا ثناه عن عزمه ملل ولا كسل، شب في ذلك واكتهل، حتى وصل واتصل، وعلى مقصوده حصل.

وكان خليقاً بمرتبة الإمامة، وحقيقاً بمنصب الشهامة والزعامة، فطلبه أهل بلده للقيام بوظيفة الإمامة، في مسجد الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، بعد أن انحصر ذلك فيه وتعين عليه، فأجابهم إلى ما رغبوا فيه إليه، فجدد من الشعائر، [وأحيى من المآثر، ما كاد أن يندرس بعد والِدِه، وقام بوظائفه وفوائده،][1] وسار سِيرتَه في مدارسه ومقاعده.

ونقلَ الشيخَ أحمد بن محمد العمودي ـ شيخَه المتقدم ذكره ـ إلى قيدون، ثم نقل الشيخ عبدالله المسكَتي، ثم الشيخ عمر باعثمان من هدون، للقيام بوظائف التدريس في

---

(١) ما بين المعكوفين لم يرد في النسخة (ب).

البلد، لاشتغاله هُو بما هو أخصُّ في حقه وآكد، وحرصاً على الزيادة، والإفادة والاستفادة، وتردد إلى الرِّيَدْ والسِّيطانْ، داعياً إلى سبيل الرحمن، فاستنقذ الجم الغفير من البدوَان من يد الشيطان، [وأظهر بينهم شعائر الدين، بعد أن كانوا إخوان الشياطين][١].

[زيارته لوادي حضرموت]:

ورحل إلى (وادي ابن راشد)، وورد على أحسن الموارد، وزار المشاهد والمعاهد، وأخذ عن الكثير، من أعيان ذلك القطر المنير، كسيدنا الحبيب عبدالله بن الحسين بن طاهر، والحبيب الحسن بن صالح البحر، والحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب عبدالرحمن بن علي السقاف، وقال له: «أنا شيخُك بإذن رباني، وأجزتك في العلم اللدني».

وعن الحبيب الحسن بن الحسين الحداد، ومما وقع له معه: أنه كان يعتريه الوسواسُ في الإحرام بالصلاة، وفي قراءة الأوراد، فربما كرّر الورد زيادةً على المطلوب، فنهاه الحبيب حسنٌ عن ذلك، ثم سمعه يكرّر سورة الإخلاصِ من ورد الحبيب عبد الله الحداد زيادةً على المرتب، فلطمه لطمةً شديدةً، فلم يوسوس بعدها. وقال: «لم أحس باللطمة»!، وقال الحبيب حسن: «إنما لطمتُ الشيطان».

وأخذ أيضاً عن: الحبيب أحمد بن عبد الرحمن الحداد، وعن الحبيب عمر بن محمد ابن زين بن سميط، والحبيب محمد بن عبدالرحمن الحداد إبان إقامته بقيدون، وعن الحبيب علي بن حسن بن حسين الحداد، وعن الحبيب القطب أبي بكر بن عبدالله العطاس، وقرأ عليه «الأربعين النووية».

وتقدمت له رحلةٌ قبلَ رحلته هذه مع أخيه الإمام، وهو ابنُ سبع سنين، أدرك فيها القطبَ المجدد الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، وقرأ عليه الفاتحة.

---

(١) ما بين المعكوفين لم يرد في النسخة (ب).

وشيخُه الذي دارت عليه دوائرُه، وصلح به أول أمره وآخره، هو: الحبيبُ القطب صالح بن عبدالله العطاس، وهو الذي سقاه من شرابه بأوسع كأس، وهو طُور قدسه، ومصباح أنسه، وأخصُّ مشايخه، وأكثرُهم اعتناءً به، حتى أن سيرتَه لسيرة شيخه المذكور تشبه، وله من مشايخه وصايا وإجازاتٌ ستأتي في (الباب الرابع).

ولما أقلقته دواعي الإرادة إلى المحل الأعلى، وتليت عليه: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ﴾، عزَفتْ نفسه عن الدنيا، فأظمأ نهاره وأسهر ليله، وشمر في طلب حسن المآب ذيله، وأقبل على العبادة والزهادة، وعادى كل عادة، وتجافى جنبه عن المضاجع، خائفاً وطامع، أشرق في قلبه النور، فأناب إلى دار الخلود وتجافى عن دار الغرور، أحكم أساس البداية، فاستقامت له شرفات النهاية، باع نفسه من مولاه بأن له الجنة، فربح البيعُ وعظمت المنة.

سمع قولهم: «الوقتُ سيفٌ»، فخاطبه بلسانِ الحال الذي ترجمته الأعمال: إن كنتَ من حديدٍ أيها السيفُ فأنا الحدّادَ!. **فأجابه**: إنما أنا سيف معنويٌّ، أُرَى بالبصائر لا بالأبصار، إنما أنا ساعات الليل والنهار. **فقال له**: وأنا إنما أنا حداد القلوب، وقد رأيتك بعين الفؤاد لأفلَّنَّ حدك، ولأذيبنّ حديدك، ولأبلينّ في طاعة الله جديدك.

ثم أدلجَ في ذلك، وأسرع فيما هنالك، وأفنى آناءَ الليل والنهار، في الأوراد والأذكار، والصيام بالنهار، والقيام بالأسحار، وكان رئيسَ تلك الممالك، وقمر تلك المسالك، وانقادت له الآمالُ، وحل في بُرج الكمال، قال الحبيب العارف بالله الحسين بن محمد البار: «كان يُعجِبُ الحبيبَ طاهر قولُ القائل من الأوائل:

لَأَستسهلنّ الصعبَ أو أدركَ المنى ... فما انقادتِ الآمالُ إلا لصابرِ

ويقول: إن هذا لسان حالي! وقد صدق فيما قال». انتهى.

* * *

وكان قدس سره عامراً لأوقاته، مرِّتباً لأوراده، لا يشغله عنها شاغل، ولا يقطعه عنها قاطع، لا تلهيه تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة، لا يخلو نفس من أنفاسه، ولا لحظة من لحظاته، عن طاعة الله سبحانه وتعالى، وكان يقول: «بركة الأوقات في توزيعها»، و: «إن الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر رؤي بعد موته يقول: ما وجدنا أنفع من ترتيب الأوقات وتوزيعها». انتهى.

وكان لا ينام من الليل إلا القليل، يسمع له في ظلم الليالي حنينٌ كحنينِ النُّوب الظاعن[1]، تتحرك منه السواكن. (شعراً):

يبيت يجافي جنبه عن فراشه ... إذا استثقلت بالغافلين المضاجع

ومن كثرة ما ألفتْ لسانُه اللهَجَ بالأذكار والأوراد، صار يتكلف مخاطبات العباد، حتى أن كلامه لا يفهمه كثير من الناس إلا بالترداد. ومن دوام مراقبته لمولاه، ودوام مشاهدته له، وعظيم حيائه منه سبحانه، لم يزل جسمه الشريف يتصبّب عرقاً حتى في وقت البرد الشديد.

وبالجملة؛ فهو ممن لو قيل له: إنك ميت غداً لم يجد موضعاً للزيادة على ما هو عليه، من الإقبال على الآخرة والاشتغال بالأعمال الصالحة والتجارة الرابحة، مع ما وهبه الله تعالى من الشمائل المرضية والأخلاق النبوية، من الحلم، والعفو، والصفح، والسماحة والزهد الكامل والورع الحاجز، والتواضع الكلي وعدم رؤية النفس والأعمال، والدعوة إلى الله، وتعليم الجاهل، وإعانة العائل، وإعطاء السائل، وإرشاد الضال، والنصيحة لله ولرسوله ﷺ ولخاصة المسلمين وعامتهم، وإصلاح ذات البين، والتحنن على جميع المسلمين لاسيما الفقراء والمساكين، والضعفاء والمنكسرين، وإدخال السرور على قلوبهم ومباسطة الصغار والكبار والعبيد والأحرار، والتصدق على أهل

---

(١) النوب؛ جمع نوبة، بضم النون فيهما: هو النحل، (دارجة).

الفاقة سرّاً وجَهْراً، وإكرام الضيف الذي مازال أولاده قياماً بعده[١]، وإغاثة اللهيف وإعانة الضعيف، والاقتصاد في العوائد، ووضع الأمور في مواضعها من غير إفراط ولا تفريط، والتلطف بالبادية والأجلاف في دعوتهم إلى الله والتنزل معهم لإرشادهم، وأمرهم بأمور دينهم لاسيما الصلاة التي هي عماد الدين، ويقول لكل واحد منهم: «قُل: بدَّيتُ أني باصلِّي»، كعادتهم في عَصْب الصلح فيما بينهم، كل ذلك رفقاً بهم، ومخاطبةً لهم بما يفهمون، لأن هذه الكلمة في اصطلاحهم لا يقولها أحدٌ منهم إلا ويفي بها قال، ومن لم يكن معه ثوبٌ للصلاة كساه من عنده.

وكان مرتباً للأرامل والأيتام في بلده عطايا يفرقها عليهم في الأوقات الشريفة كرمضان ويوم الحج ويوم عاشوراء وغيرها من الأيام الفاضلة.

وكان رضي الله عنه يجيب إذا دعي، ويجيب من ناداه بالتلبية، ويغضي إذا جُهل عليه ويعفو ويصفح، لم يزل معرضاً عن الفضول فيما يفعل ويقول، لا تذكر الدنيا ولا الغيبة في مجلسه، وإن وقعت فلتة من أحد سكّته، وأمره بقراءة الإخلاص (ثلاثاً) وهبةِ ثوابها لمن اغتابه[٢].

وتعدادُ أخلاقه وشمائله مما يطول، فقد جمع محاسن الأخلاق، وقام بحق الخلائق والخلاق، وكان كما قال الحبيب العارف بالله أحمد بن حسن العطاس: «لم يفارق العلمَ قِيدَ شبرٍ»، وكل من عرَفه يعرفُ الأدلة من فعله على جميع ما ذكرتُ وما لم أذكر من أعمال البر، وما أحقه بقول القائل (شعراً):

إذا علويٌ لم يكُن مثلَ طاهرٍ فما هو إلا حجةٌ للنواصـبِ

---

(١) ب: بعد وفاته.

(٢) ب: ووهبه لمن اغتابه.

وكان رضي الله عنه معتقَداً عند الخاص والعام، محببا في القلوب، حتى إن الأطفال بقَيدون، به في محاوراتهم يحلفون، وباسمه يدعون، قال بعض الصلحاء من آل العمودي: «ثلاثةٌ من أكابر السادة لا يكاد يوجَدُ منكرٌ عليهم، ولا غير معتقد فيهم: الحبيب طاهر بن عمر الحداد، والحبيب عمر بن هادون العطاس، والحبيب محمد بن صالح العطاس»، والأمر كما قال.

وكان رضي الله عنه كثيرَ الترددات على أهل الولايات حسَنَ الظن بالأحياء منهم والأموات، لاسيما الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، فإنه يزوره إلى عند الضريح خمسَ مراتٍ في اليوم والليلة. وأما زيارته له بالإشارة من بيته ومن حيثُ جلوسُه في المسجد فلا تعدّ، قبل كل صلاة وبعدها وفيما بين الصلوات، وله معه وقائع عظيمة ومباسطات ومحادثات، سار ذكرها في الناس.

وكثيراً ما يأتيه الشيخ سعيد يقظةً متنكراً على الحاضرين في هيئة بدوي، وأهدى له ذات يوم عسلاً كثيراً وهو بين جملة من الناس، فلما غاب عن أعينهم قال لهم: «هذا الشيخ سعيد!»، فطلبوه فلم يجدوه. وربما إذا استُشير في أمرٍ من الأمور يقول: «بانشاور الشيخ سعيد»، ثم يقول: «قال الشيخ سعيد كذا وكذا»، وربما دخل القبة في الليل والسراج مطفي فيعلَقُ لنفسِه، ودخل ذات ليلةٍ والسراج مطفي، وأنشد عند دخوله قولَ الحبيب علي بن حسن العطاس قدس سره (شعراً):

يا شيخْ بن عيسَى يـا بخْـت مـن زارَكْ	في العرشِ والكُرسي قد شاعَت أخبارَكْ
مـولاك قـد حبّـك وفيـكْ قـد بـاركْ	جئنـا نبـا جـذْوَة مـن شَـارق أنـوارِكْ

فعلقَ السراجُ حينئذ لنفسِه.

وقال بعض المشائخ آل العمودي للحبيب أحمد المحضار قدس سره: «متى با تجيء قيدون للزيارة؟»، فقال له على سبيل البسط: «إن الشيخَ سعيد في هذا الوقت ما يعطي أحد شيء إلا من يد حبيبك طاهر، وأنا ما با أجيء أمد يدّي لحبيبك طاهر».

وقال الحبيب علي بن محمد الحبشي: «قد انطوى الحبيب طاهر في الشيخ سعيد وانطوى الشيخ سعيد في الحبيب طاهر، حتى لقد عمل لنا الشيخُ سعيد في بعض الزيارات ضيافةً برزخية وكان القائم عليها الحبيب طاهر». انتهى.

وأخبرني السيد الجليل عبد الباري بن شيخ العيدروس، عن والده العارف المكاشف شيخ بن عيدروس: أنه سمع الشيخَ سعيدَ يرد السلام على الحبيب طاهر لما زار معه.

وأخبرني بعضُ السادة آل الشيخ أبي بكر بن سالم قال: «رأيت النبي ﷺ في صورة الحبيب طاهر، فأخبرت الحبيب أحمد المحضار، فقال لي: إن الحبيب ﷺ إذا أحبّ أحداً من أولاده يُرى على صورته». **قلتُ**: وصفة سيدي الحبيب طاهر كصفته ﷺ ربع القامة أبيض اللون كث اللحية.

سمعت سيدي قدس سره يقول: «قال أبوبكر بن سعيد الخطيب: كنت أتعجب من قولهم في صفته ﷺ: كأن وجهه قمر، وأستبعد لونَ البشرة من لون القمر، حتى بدا لي ذات يوم أنفُ الحبيب طاهر من كُوّةٍ في المسجد، فظننته قطعة قمر، وقلتُ: من أين القمر في هذا الموضع؟ فقرُبتُ فتأملته، فإذا هو أنف الحبيب طاهر!». انتهى.

ولم يتيسّر لصاحب الترجمة الحجُّ ظاهراً، وقد رأت بعض الشرايف الصالحات: كأن الكعبة المشرفة في قيدون قبالةَ بيته، فقالت: ما هذا؟ فقيل لها: هذه الكعبة جاءت لزيارة الحبيب طاهر. وقد ذكرتُ هنا قول القطب الجيلاني قدس سره:

كل قطب يطوف بالبيت سبعاً   وأنا البيت طائف بخيامي

ومثل هؤلاء الذين هم يقولُ قائلهم: «وقفةٌ مع الله على الصفا، أفضل من ألف حجة مقبولة».

وللحبيب أحمد المحضار قدس سره مدائح كثيرة في صاحب الترجمة وما وهبه الله منها قوله:

مسقط النور في قيدون يا أهل العنايات ... بـآل عبـد الله الحـداد بيـت الـسعادات
نجلهم طـاهر المـشهور أهـل العنايـات ... يشرح الصدر في المسجد يقيم الصلوات

ومنها قوله:

سلامٌ ما دامت العليا تنسنسْ دوام ... عليك يا طاهر الحـداد نـسل الكـرام
في جاه غرتك لي تاضى لنا في الظلام ... ونور جبهتك في محـراب قيـدون تـام
بجاهكم يرفع المـولى جميـع الـسقام ... ويدفع البوس والحمى ويشفي الأنام
وحين تقرأ كتـاب الله حلـو النغـام ... وحـين تقـرأ الرواتـب كلهـا بـالتمام
وحـين تقـرأ عـلى شـيخ الـشيوخ (الإمام) ... تـشوف بـالعين مـا بـين المقـابر تمـام
وقــد تبــدى لعينــي يقظــةً لا منــام

والقصيدتان طويلتان لم أجد منهما غير ما كتبته.

وسمعتُ سيدي الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي يقول: «دخل الحبيبُ طاهرٌ ذات يوم جامع شبام وقد دخل الناس في صلاة الظهر، ومن عادته رفعُ صوته بتكبيرة الإحرام، وأهل شبام لا يكاد يُسمع لأحدهم صوتٌ فلما كبّر الحبيب طاهر ارتعدوا حتى كادَ بعضهم أن يبطل صلاته، وكيف لا! وتكبيرةُ طاهر بن عمر تفرُّ منها الشياطين».

وكان الحبيب عمر بن حسن الحداد يقول: «قليلٌ أمثال طاهر بن عمر في هذا الزمان».

وقال الحبيب أحمد بن حسن العطاس: «إن النبي ﷺ شاكرٌ من جهة العبادة على الحبيب طاهر، والحبيب عبدالله بن حسن البحر». وقال أيضاً: «اثنان لم يفارقا العلم قِيد شبرٍ طول حياتهما: أحمد بن عبدالله البار، وطاهر بن عمر الحداد».

وقال الحبيب حسين بن محمد الحبشي: «إن صفة الرجل المذكور في حديث المعراج تصدُقُ على الحبيب طاهر. وذلك قوله ﷺ: **«ثم رأيت رجلاً مغيَّباً في نور العرش، فقلت: من هذا ملك؟ قيل: لا، قلت: نبي؟ قيل: لا، قلت: من هو؟ قيل: هذا رجل كان في الدنيا لسانه رطباً من ذكر الله، وقلبه معلق بالمسجد، ولم يستبَّ لوالديه قط»**.

ولصاحب الترجمة أبيات من الشعر الحميني، كلّها دعاء وتأله وتوجه منها قوله:

يـا مـن يـرى سر قلبـي	يـا مـستجيب الـدعاء	عبدك دعـاك اسـتجب لـه
أنـت الـولي والمـولي	يـا رافعـاً للـسماء	مـن غـير عمـد مقلـه
أدعـوك حـسبي وعـوني	يـا دافعـاً للـبلا	احفـظ عبيـدك وكـن لـه
مـالي سـوى حـسن ظنـي	يـا ذا البهـا والـسنا	اغفـر لنـا كـل زلـه
انظـر إلي واعـف عنـي	واكشف حجاب العمـى	واكـف الأمـور المـضله
جـودك ولا تمتحنـي	يـا رب بالمـصطفى	عجـل بـما أنـت أهلـه
يـا سامع الـصوت غثني	علمـك كفـاني كفـى	اللـه اللـه اللـه
يـا راحـمُ ارحـم لـضعفي	يـا أكـرم الكرمـا	امـح الـذنوب المخلـه
أسـألك علـماً لـدني	بـلا تعـب واعتنـا	واجعلني أرقـى مـع أهلـه
يـا رب مـع علـم كـسبي	مـا فيـه شـوب الريـا	واعـرف صـحيح الأدلـه
صلوا عـلى النـور الأصـلي	محمـد المـصطفى	والآل والـصحب جملـه

❃ ❃ ❃

ومنها قوله مخاطباً للحبيب علي بن محمد الحبشي لما زار قيدون سنة ١٣٠٨ ثمان وثلاثمائة وألف:

يا علي أدرك لصنوك فإن له قلب مفقود ... ضاع وقته وله مطلب من الله مقصود

مقترف معترف خائف عسى ليس مطرود ... لاحظه وادع له رب السماء واسع الجود

عل نفحةً قريبةً ينفتح كل مقلود ... من مواهبه لي ما يحصها حصر معدود

والصلاة على من حوضه العذب مورود ... والصحابة وآله عد ما هبت النود

فأجابه الحبيب علي رضي الله عنه بقوله:

ألف حيّى بعَرفِ النّدِّ والمسكِ والعودْ ... ألف حيّى ببشرى واسعِ الفضْل والجودْ

جادَ ربي بها من غَير كُلفةْ ومجهودْ ... وانبسطْ سرُّها في كلّ والدْ ومولودْ

وانفتحْ منها البابُ الذي كان مقلودْ ... محضُ منّة أمدّ الله بها كلّ موجودْ

يا حميد المساعي أنت حامدْ ومحمودْ ... لك من الله مددْ يا بِنْ عمرْ غَير محدودْ

أبشر أبشِر بما تطلبه من كلّ مقصودْ ... سوفَ تبلغ من الآمال ما أنتَ موعودْ

والسعادة لها سِيما على كلّ مسعُودْ ... والعناية من الله أطلقتْ كل مقيودْ

قرّب الله بها من حضرته كلّ مبعودْ ... وانتَ من أهلها شاهدْ لدَيهم ومشهودْ

وانت منهُم بحولِ الله يا صنُو معدودْ ... والصلاة على من حوضه العذْب مورودْ

سيدِ الرسل طه خيرِ شاهد ومشهُودْ ... وآلهِ والصحابةْ عد ما هبّت النودْ

انتهت الأبيات ومنها هذه الأبيات قالها مخاطباً بها ولده سيدي ومولاي الحبيب محمد رضي الله عنهما:

يا محمد توجهنا بهمة ونية ... نحو باب الذي ترفع إليه الشكية

أكرم الأكـرمين خـالق جميـع البريـة　　يا حبيبي عسانا سعفة أهـل الحميـة
أهل عين اليقين أهل النفوس الزكية　　منهم سعفهم نرقـى المراقـي العليـة
أنـسُهم ربهـم مـا لاحظـوا للدنيـة　　لا ولا قصدهم جَنّـة وعيـشه هنيـة
غير مطلوبهم حـضرته رامـوا المعيـة　　والصلاة على أحمد بالغدو والعـشية

فأجابه سيدي الحبيب رضي الله عنه بقوله:

مرحبـاً مرحبـاً بالنفحـة العنبريـة　　مرحباً مرحباً وقـت البكـر والعـشية
مرحبـاً مرحبـاً بـأقوال فيهـا مزيـة　　قـول والـدي ذي لي فيـه رجـوى ونيـة
نخبـة الـصالحين أهـل القلـوب المـضية　　يـذكر أحـوال في الأقـوال لأهـل المعيـة
أهـل سر الـشهود أهـل القلـوب النقيّـة　　أهل نـور الوجـوه أهـل الـسواقي المليـة
ذي صـفا كأسـهم بـالخمرة المعنويـة　　شافوا الكـأس حـاروا في المعـاني الجليـة
واسـتبانت لهـم في الحـال أشـياء خفيـة　　وانجلت عن صدور أهل الستور الشكية
وأمست أفكارهم بعـد الـشواغل سـلية　　كيف لو نال رأي الكـأس بالكـأس ريـه
اللهُ الله جـل الله رب البريـة　　آه يـا سـيدي والطلعـة الهاشـمية
إن سر الله المعطـى بحـسن الطويـة　　وانطراحـك عـلى الأعتـاب وارم البقيـة
فإنه الـساس وهـو الـرأس حجـة قويـة　　أمـست الـروح بـه تـصرى بهمـه عليـة
وأصبحت بعـد طـول الـصحو سـكرى　　والإشـارة لأهـل الـذوق حكمـة طريـه
آه يـا سـيدي لـولا القيـود العكيـة　　قلـت هـذا وهـذا واسـتبحت الخفيـة
وأنت عارف وحالـك فيـه نفحـة شـذية　　خلهـا نحـو بـاب الله وقـدها مطيـة
وادع لي فـإنني مـسكين عبـدُ الدعيـة　　مـن طبـل قمـتُ قدامُـه برقـصة زهيـة!
غـير لي ظـن في مـولاي جـزل العطيـة　　قـد وعـدني ولـولا الوعـد ذقـت المنيـة

وأنـــت عـــدتي لا تغفـــل ولـــو في بليـــة | تحـت بابـك وحجابـك عـلى طيـب نيـة
وأنـت بـشراك يـا مـولاي خـذها خبيـة | سوف تشرب بكأس الوصل شربه هنيـة
قــد رأيـــت الـــذي قلتـــه برؤيـــا ســـنيه | وأختم القـول صـلى الله عـلى أحمـد نبيـه

وآلــه الكـــل وأصـــحابه رجـــال الـــسرية

انتهت الأبيات.

وقول سيدي: «سوف تشربْ بكأسِ الوصلْ شربةْ هنية»، إلخ، أشار بذلك إلى ما حكاه بقوله: «رأيتُ والدي والشيخ سعيد بن عيسى العمودي مكتوبَين في ديوان الواصلين، فقلت: بماذا وصلا؟ فقيل لي: بكثرة العبادة». انتهى.

وأما ترتيب أوراده وأوقاته:

فكما كان جده سيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، حسبما فصَّل ذلك الحبيبُ عبدالله بن علي الحداد في «الطريق السهلة في عمل اليوم والليلة»، ولا يخالف ذلك إلا في أشياء يقتضيها الحال والمقام.

وإجمالُ ما كان عليه آخرَ وقته: أنه يقوم إذا كان ثلث الليل الأخير تقريباً، فإذا طلع الفجر صلى سنته في البيت، حتى إذا كان إلى الأسفارِ أقربَ خرج إلى المسجد وصلى بالناس، وقرأ بعد الصلاة ما تيسر من كتاب «سلم التوفيق»، وكلما ختمه قرأه من أوله، ولا يزال في المسجد حتى يمضي من النهار ساعتان تقريباً، يقرأ فيهما أوراده ويصلي الإشراق، وركعتين من صلاة الضحى يقرأ في الأولى منهما: جزءاً من القرآن، وفي الثانية: يس. ثم يزور الشيخ سعيد.

ويرجع إلى البيت ويصلي باقي الضحى في البيت، وينام القيلولة ولا يدخل وقت الظهرِ إلا وقد قام وتوضأ، فإذا مضى من وقتِ الظهر ساعةٌ ونصف تقريباً خرج إلى المسجد وصلى السنة أربع ركعات بتحرّمٍ يقرأ فيهن يس، ثم يصلي الظهر وبعديته

ركعتين إلا في رمضان فيصليها أربعاً، ولا يزال في المسجد يقرأ أوراده حتى يدخل وقت العصر، فيزور الشيخ سعيد ويصلي سنة العصر أربعاً بتحرمين، ويصلي العصر ويقرأ فصْلاً من «هدية الصديق»، ولا يزال في المسجد حتى يبقى من الغروب ساعة تقريباً، فيزور الشيخ ويرجع إلى البيت.

فإذا دخل وقتُ المغرب خرج إلى المسجد وصلى المغربَ، ولا يزال في المسجد يصلي الأوابين ويقرأ أوراده حتى يدخل وقت العشاء، [فيزور الشيخ سعيد ويصلي صلاة الرضا، وقبلية العشاء][١]، ويقرأ باقي أوراده، ويأتي بمائة من: (يا الله) جهراً مع صوت حسن، يستمع من نواحي البلد، يتذكر به الغافل، ويتعلم به الجاهل.

واتفقَ أن سمعَ الحبيبُ أبو بكر بن عبد الله العطاس بعض العامة يغني وصاحب الترجمة يدعو بالجلالة، فغضب الحبيب أبوبكر وقال: «أما يستحي هذا الجاهل ويستمع لمن تستحي منه الجبال!»، أو ما هذا معناه.

ويرتب بعدها فاتحةً للحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر لأخذه لهذا الذكر عنه، ثم يصلي العشاء ويصلي بعدها أربع ركعات بنية الحفظ، وهي التي يقال إنها كمثلها من ليلة القدر، ويبقى في المسجد إلى أن يمضي ثلثُ الليل الأول يتم باقي أوراده ثم يزور الشيخ سعيد ويرجع إلى البيت، وفي الثلث الأوسط من الليل نومُه.

وكان هذا ترتيبه في سائر الأيام إلا في رمضان؛ فإنه إذا دخلَ وقتُ العصر وزار رجعَ إلى البيت يصلي بأهل بيته العصر، ثم يخرج إلى المسجد يصلي بالناس، وهو يقرأ شيئا من «خطبة الحبيب طاهر بن حسين»، مع تبيين معانيها، ثم شيئاً من «النصائح الدينية»، لجده القطب الحداد يرتب قراءة هذين الكتابين في رمضان ويتمهما مع تمامه.

وإذا صلى المغرب وصلاة الأوابين يرجع إلى بيته، ويبقى حتى يمضي ربع الليل

---

(١) ما بين المعكوفين لم يرد في النسخة ب.

الأول، ثم يرجعُ إلى المسجد ويصلي العشاءَ والتراويح بالمقرأ يختم فيها القرآن، ويصلي ثماني ركعات من الوتر، ويزور، ويرجع إلى البيت.

فإذا بقي ثلث من الليل خرجَ إلى المسجد وصلى العشاء والتراويح ثانياً، وباقي الوتر وصلاة التسبيح لا يتركها كلَّ ليلة من رمضان، ثم يزور ويرجع إلى البيت وقت السحور، وباقي الترتيب كما تقدم.

وما زال في ازدياد، مما يقرب من رب العباد، ويوجب الفوز في المعاد، لم يؤثر الكبر نقصاً في شيء من عباداته، حتى لحق بالرفيق الأعلى، وقبلَ وفاته بسنتين بعد وفاة ولده سيدي الحبيب قُدّس سرُّه لما ضعُفَ صار إذا خرج إلى المسجد لصلاة الظهر لا يرجع إلى البيت إلا بعد مضيِّ ثلث الليل الأول، فكان أكثر جلوسه في المسجد.

وما أنسب الحال بقول من قال:

وفي مَسجدْ عمودِ الدِّينِ سرٌّ ... أعفّـرُ فيـه خَـدّي والنـواظرْ
لعلي أنْ أمـسَّ بحُـرٍّ وجْهـي ... مكانـاً مـسَّهُ قَـدمٌ لطـاهرْ

❋ ❋ ❋

[نبذة من أقوال وأحوال الحبيب طاهر بن عمر جمع الحبيب علوي بن طاهر الحداد]

وقد ذكر ترتيبه بأبسطَ مما مرَّ سيدي وأخي العلامة علوي بن طاهر بن عبد الله الحداد، مع فوائد نقلها عن الحبيب قدِّس سره، وقد أحببت إيراد ما ذكر هنا لتمام الفائدة قال حفظه الله:

«هذه نبذةٌ من أقوال وأحوال قطب الزمان والأوان والقاصي والدان والعباد والبلاد والحاضر والباد سيدي الحبيب طاهر بن عمر الحداد نفعنا الله ببركته:

كان رضي الله عنه ملازماً للطاعات في كل الأوقات، وكان إذا صلى صلاة الصبح قال: «أستغفر الله (ثلاثاً)، بسم الله الذي لا إله إلا هو الرحمن الرحيم، رب اغفر لي»، ويمسحُ مع ذلك رأسَه ووجهَه، ثم يأتي بباقي الأذكار الواردة، ويدرِّسُ بعد ذلك في شيء من كتب الفقه، إلا يوم الجمعة فيقرأ في «النصائح»، وإذا أكمل الدرسَ يقرأ آخر «هدية الصديق» لشيخه الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، من قوله: «يا ربنا اعترفنا»، إلخ، ويقرأ ذلك معه الحاضرون برفع الصوت.

ثم يأتي بسبعٍ وعشرين من هذا الذكر: «أستغفر الله للمؤمنين والمؤمنات»، ويدعو بعدَها، ويقول بعد الدعاء: «أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، إلهاً واحداً ورباً شاهداً ونحن له مسلمون»، (أربع مرات)، ويأتي بهذا الذكر بعد كل فريضة جهراً، ثم يأتي بـ«التوحيد» المشهور المرويِّ عن الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس.

ثم يمكث بعد ذلك في المسجد إلى أن تنبسط الشمسُ على الأرض، وذلك الوقت نحو ساعة ونصف، يقرأ في ذلك الوقت أوراده، وبعد قراءتها يصلي ركعتين خفيفتين، ثم ركعتين يقرأ فيهما جزءاً من القرآن، يطيل القيام والركوع والسجود، فإذا أتمهما زارَ الشيخ سعيد.

ثم يرجع إلى البيت فينام، فإذا كان نحو ثلثِ النهار استيقظَ ودرّس لأولاده، ويتغدّى وينام القيلولة، فإذا أذن الظهر انتبه واستعدّ للصلاة، وكانت صلاته في طول النهار في الساعة الثامنة، وفي قصره: في الساعة السابعة، ثم بعد صلاة الظهر يجلس فيقرأ أوراده إلى أذان العصر، ثم بعد الأذان يزور الشيخ سعيد، ثم يركع أربع ركعاتٍ سنةَ العصر مثنَى مثنَى، ويصلي، ثم بعد السلام والإتيان بالأذكار الواردة يقرأ فصلاً من «هدية الصديق»، هذا دأبه. وربما إذا قحط الناسُ يقرأ قصيدةَ الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر المجرّبة لنزول الغيث:

يا ربنا يـا كـريم   يا ربنا يا رحـيم

إلى آخرها. ثم يأتي بالتوحيد المشهور، ويجلس في المسجد إلى الساعة عشرة ونصف في غالب الأوقات، ثم يزور الشيخ سعيد ثم يرجع إلى البيت.

فإذا أذن المغرب خرجَ للصلاة وصلّى بالناس وأتى بالأذكار الواردة، وقرأ أول مقرأ من حزب الأسبوع المعروف، وركع بعدية المغرب والأوابين وقرأ أوراده، ويقرأ «راتب العيدروس»، و«راتب الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس»، وغير ذلك.

فإذا أذن العشاء زار الشيخ سعيد من خلف الشباك الذي تجاه التابوت إلى المسجد ولا يدخل القبة، ويتم باقي أوراده ويصلي ركعتين صلاة الرضا، وركعتين قبلية العشاء، ويقرأ الواقعة، ويأتي بمائة من (يا الله)، برفع الصوت. ويصلي العشاء ويقرؤون «راتبَ الحداد»، ويأتون بعده ليلة الجمعة: بـ«اللهمّ يا دائم الفضل على البرية، يا باسط اليدين

بالعطية ..»، إلخ (عشراً)، ثم يتم باقي أوراده ويركع، ويتم في غالب الأوقات بعد الساعة الرابعة، ويزور الشيخ سعيد بعد ذلك، ويرجع إلى البيت ويتعشى وينام، فإذا مضى من الليل سبعُ ساعات استيقظَ فتهجد ثم ينام، ثم يستيقظ قبل الفجر، ثم يخرج إلى المسجد؛ وقد طرقَ سمعكَ ما يفعل.

وكان رضي الله عنه آيةً من آيات الله؛ لا يفتر عن ذكر الله أبداً، مهاباً يهابه الكبير والصغير، مع ملاطفته لهم وتبسمه في وجوههم، وكان ضحكه التبسم، وكان إذا رؤي ذكرَ الله، يبتهِتُ عند رؤيته من لم يره، الأنوار عليه ساطعة، لا تكاد تملأ النظر من وجهه من خفقات النور، وكان يتكفأ في مشيته تكفؤاً.

وكان لا يفعل شيئا إلا بعد استشارة الشيخ سعيد، وكثيراً ما يقول: «حتى يأذن الشيخ سعيد»، أو نحو ذلك. وكان الشيخ سعيدُ يأتي إليه يقظة وله معه وقائعُ كثيرة.

منها: أنه أعطاه مرة عسلاً كثيراً، ومرةً أعطاه أوقية فضة، ومرة أعطاه قصعةً فيها طيبٌ، مطويةٌ عليها خرقة، وقد رأيتُ تلك القصعةَ وأعطاني من ذلك الطيب، وهو طيبٌ أصفر إلى احمرار، وقصته: أنه زار ليلة بعد العشاء هو ورجلٌ معه، فلما أدخل يده عند سيفِ سيدنا الفقيه على عادته قال للرجلِ الذي معه: «انظر ماذا عند السيف أخرجه، لعله كتاب من الشيخ سعيد»، فأخرجه، فإذا هو القصعة المذكورة! وقد أعطاه الشيخُ كُتُباً كثيرةً، قصَصُها بين الناس شهيرة، قال الحبيب أبوبكر بن عبد الله العطاس: «الحبيب طاهر نائبُ آل أبي علوي عند الشيخ سعيد».

وكان الحبيب أبو بكر المذكور يجل الحبيب طاهر إجلالاً عظيماً، حتى انه لا يتقدم عليه في الصلاة، وبشره ببشائر عظيمة، وقد قال الحبيب طاهر ذات يوم: «إن الأولياء يأتون من قبورهم بعد موتهم، حتى أني رأيت في الجمعة تحت المنبر رجلاً أظنه الحبيب أبا بكر العطاس»، وكان ذلك في رمضان في وعظه الذي بعد صلاة العصر بعد وفاة الحبيب أبي بكر بسنين عديدة.

وكان الحبيب أحمد بن حسن العطاس يجلُّ الحبيب طاهر إجلالاً عظيماً، وقد سمعته يقول للحبيب طاهر عند إقباله إليه: «يا حيا بسلطاننا، وولينا، وسلفنا، وحبيبنا»، وكلاما آخرَ عزبَ عني. وكان أعني الحبيب أحمد يقول: «اثنين عادهم على سيرة السلف: طاهر بن عمر، وعبدِالله بن حسن البحر». وقال أيضاً: «ثلاثة لله بهم عنايةٌ حتى في أمورهم العادية»: الحبيب طاهر، والحبيب عبدالله المذكور، والثالث أظنه من آل العيدروس، وقال أيضاً للحبيب طاهر: «أنتَ السلطان في الباطن، وهؤلاء - يعني الدول - إنما هم نائبين عنك، أيش لو قلتَ لأهل البلد لا تكلمون دولتكم! معاد أحد بايكلمه».

وقد زرتُ ليلةً مع الحبيب طاهر بعد العشاء، وكان هناك أحد من التجار، فسأله عن بعض الأسعار، ثم قال: «إن الشيخ سعيد سأل عن الأسعار»، ثم قال: «الأولياء رحمة»، أو كما قال. ولما توفي الحبيبُ الهمام عيدروس بن عمر الحبشي قال الحبيب علي بن محمد الحبشي: «إن حاله انتقل إلى الحبيب طاهر بن عمر»، وقال أيضاً: «الحبيب طاهر بن عمر ملأ الكون».

وسمعتُه أعني الحبيب طاهر يقول: «اني من الصغر وأنا مواظب على الأوراد»، وقال له رجل من المعتقدين فيه: ادعُ لي، فقال له: «إن الحبيبَ عبدَ الله - يعني: ابن علوي الحداد - يقول: من عرفناه ما تركناه».

وقال لي بعض الناس: إن الحبيب طاهر قال: «مهوّنين في الحج، بغينا بانحج»، قال فقلت له: أما أنتم قدكم تحجّون، يعني: على غير الجهة المعتادة!، قال: فقال: «نريده يكون ظاهراً». وقال البعض المذكور أيضاً: إنه كان جالساً عند الحبيب هو ورجل آخر في المسجد، فجاء رجل مجهولٌ وصافح الحبيبَ وصافحناه، وذهب، فقال لنا الحبيب: «هل عرفتوه؟»، قلنا: لا، فقال: «هو من أهل المقبرة».

وقصة العسل المتقدم ذكره: أنه أتى إليه شخصٌ وطلبَ منه أقليد عزلته المعروفة في المسجد، فأعطاه إياه، ففتحها ودخلها وأغلقها ورد الأقليد إلى الحبيب، فلما دخل الحبيب العزلةَ بعد ذلك وجدَ العسل فيها، ولم يعجبه، وقال: «ليته جاء بأحسن من هذا»، وتركه في العزلة على هيئته. فبعد مدة يسيرة أتاه ذلك الشخصُ وقال له: هات الأقليد، فأعطاه إياه فدخل العزلة ورد الأقليد، فلما دخلها الحبيب بعد ذلك وجده أخذ العسلَ الأول ووضع أحسنَ منه، ولما سأله بعض الناس عن الرجل المذكور قال: «هو الشيخُ سعيدُ».

وكان مرة يزور الشيخ المذكور، فسقط بين يديه شيء من الحلوى. ومرةً سُرق على الحبيب متاعٌ من بيته، فلم يعرف السارقَ، فلما زار الحبيبُ بعد العشاء أعطاه الشيخُ أوقيةَ فضةٍ، ولعلّ ذلك إشارة إلى أنّ السارق أنثى، فلما خرج راجعاً إلى البيتِ لاقته المرأة السارقةُ وأقرّت وتابت واعتذرت إليه، فقبل عذرها وسترها، كما هو شأن الكرام.

وسمعتُه رضي الله عنه يقول: «لما خرج بعض الإفرنج إلى حضرموت، وأرادوا دخول قيدون مع عدم المعاون والمساعد على دفعهم عن الدخول، زرتُ الشيخ سعيدَ بعد العشاء، وأنا في غاية الضيق لذلك، فرأيت تابوت الشيخ عمر يلاصق تابوت الشيخ سعيد، ورأيت طيوراً غير معهودةٍ في المسجد، في المكان المعروف بالمنجِيات، فلما أصبح الصباحُ لم يصبحْ للإفرنج خبرٌ ولا أثر، وصدوا عن الدخول ببركة الشيخ».

وقال أيضا: «لما أراد آل بافَنَعْ بناءَ الحصن على القارة الذي فوق ضمير بُضه، رأيت وأنا أزور بعد العشاء رجلاً أغبرَ جالساً عند باب قُبة الشيخ سعيد، وهو يقول: ما أحد فيه خير من آل العمودي، وإلا ما هو حُصنٌ يبنَى فوق ضميرهم! قال: فدخلت وزرتُ وخرجت وهو مكانَه يكرر قوله ذلك، ولم يخطر على بالي أن مراده بالحصن حِصن بافنع المذكور، حتى أخبرتُ أحداً من أهل السر، وسألته، فقال لي: ذاك الرجل هو الشيخ محمد ابن عثمان العمودي، يشتكي من بناء الحصن المذكور، وهو المتحمل ببضه وأحوالها. ولم يتمَّ لآل بافَنع ما أرادوا من بناء الحصن، وهو الآن خرابٌ».

وقال الحبيب أيضاً، ليلة الخميس لست خلت من محرم عام ستة عشر وثلاثمائة وألف، ونحن نقرأ «راتب العيدروس» معه: «إن بعض الأولياء يتجزّأ، كالعيدروس؛ تراه يشل الراتب معك ،وهو بمكة أيضاً!»، فقال بعض الحاضرين: وأنتم من المتجزئين! جزء هنا، وجزء بمكة، وجزء بمكان كذا، فقال الحبيب: «وجزء في الملكوت الأعلى»، فأنشدتُ بيتاً فانصتَ له الحبيبُ، وهو:

كم رَجُلٍ تحسبُه حـاضراً وروحُـه في العُـلى تجـولُ

فقال: «هكذا».

وسمعته رضي الله عنه يقول: «إن الحبيبَ صالحَ بن عبدالله العطاس ذُكر عنده: أن الحبيبَ عُمرَ بن علي أبو علامة يخرج لهاةً، فقال: قولوا لطاهر يخرج لهاتين، وقال رضي الله عنه: قال الحبيب علي بن سالم: الحبيب طاهر فيه من نور النبي ﷺ، والحبيب محمد بن صالح العطاس فيه من كلامه، والحبيب أحمد بن حسن العطاس فيه من عقله». انتهى.

وقال رضي الله عنه: «عبدالله بن عمر بن هادون من أهل السر».

وقال رضي الله عنه: «رأيتُ مرةً كأنّ الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر سأل عن أناسٍ ولم يسأل عنّي، فشقّ عليّ ذلك حيث لم يسأل عني، وقصصتُ الرؤيا على الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، فقال لي: إنّ بعضَ الأفراد ما يدخلُ تحت دائرة القطب».

وقال رضي الله عنه وأنا معهُ في حضرة الشيخ سعيد: «إن الحبيبَ علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر قال لي ونحن نزور الشيخَ: أنتَ نائبُ آل أبي علوي عند الشيخ سعيد. ولما خرج بعد الزيارة خرجَ معه والدك يودّعه، فلما رجعَ قلتُ له: أيشْ قال الحبيب علي؟ قال: قال: طاهر بن عمر سيرته نبوية». ثم قال لي رضي الله عنه: «والدك سيرته زينة»، أو قال: «له سيرة زينة».

انتهى ما نقلته من خط سيدي الأخ علوي مع تقديم وتأخير لا يخل إن شاء الله.

وقال سيدي الوالد العارف بالله صالح بن عبدالله بن طه الحداد[١]: «أولُ أسباب مرضِ الحبيب طاهر وضَعفِ قواه: موتُ الأخ محمدٍ رحمه الله، فإنه الذي جرحَ فؤاده وتكاثرت عليه بعده الهموم، ولم يظهر ذلك لأحد». انتهى.

وكيف لا يكون الأمرُ كذلكَ ونبيُّ الله يعقوبُ عليه السلام ابيضّت عيناه من الحزن على يوسف عليه السلام، وهو لم يتحقق وفاتَه، وأخوته الباقون أحد عشر كلهم أنبياء، فكيف لا يكون حالُ الحبيب طاهر كما ذُكر، حيث توفي ولدُه وقرةُ عينه وأحب الخلق إليه وأكرمهم عليه، ولم يخلف في الوجود مثله!. فانهدت لذلك قواه، حتى أمر بفعل مجاز من بيته إلى المسجد.

وقال سيدي الأخ علوي بن طاهر: «لما كان سنةُ ثمانية عشر وثلاثمائة وألف: رأى سيدنا الحبيب طاهر رضي الله عنه ذاتَ ليلةٍ ظلمات شبهَ السحاب، أتت مُقبلةً إلى بلد قيدون، ومرت فوقها، وفي صبيحة تلك الليلة ظهرَ شبهُ الوباء في البلد، ومات به نحو أربعة أنفار، ثم ارتفع وبعد ارتفاعه قال الحبيب طاهر رضي الله عنه: إن الأولياء يتحملون عن الأمة، يشير بذلك إلى أنه تحمّل تلك النازلة.

وحكَى عن الحبيبِ أبي بكر بن محمد بافقيه: أنه تحمل نازلةً نزلت على حضرموت، وصار يكثر الأنين، فلما بلغ الحبيبَ عمر بن عبد الرحمن العطاس ذلك أرسل إليه يقول: «قولوا لبافَقيه: من تعرّض للحملاتِ يصبر!». ثم لم يزل يتعوّد الحبيبَ طاهر مرضٌ شبهَ الرياح في إحدى رجليه، إلى أن كان ذلك سببَ انتقاله، وكان قرب وفاته يكرر ذكرَ حكاية الحبيب أبي بكر بافقيه المذكورة». انتهى.

ولما كان لعشرين من ذي الحجة سنة ثمانية عشر وثلاثمائة وألف: ثقُلَ عليه الخروج

---

(١) هو عم المؤلف، وابن أخت الحبيب طاهر بن عمر الحداد.

إلى المسجد، واشتكى من قلة الرغبة في الطعام ولم يسُغ غير القهوة، وجعل يلوح بقرب الانتقال ويصرح أخرى، وكان مما قاله في تلك الأيام: «ليلةَ سُري بالمصطفى سُري بي».

ولما كان ليلة السبتِ لخمسَ عشرةَ من محرم سنة تسعَ عشرةَ وثلاثمائة وألف: بات يصلي من قعود، وإذا خوطب أجاب، وكبر للصلاة وهو جالس من غير سجود ولا ركوع، فلما سمع أذانَ الفجر صلّى الصبح، ولم يزل كذلك إلى ضحى يوم السبت، فوُجِّه إلى القبلة، وكان آخر كلمة قالها: «يا أرحم الراحمين يا حي يا قيوم»، ثم أخذ يهلل حتى ما يَبينُ لسانُه بها، وأخذ العرق يسيل في جبهته، وتهلل وجهه، وتوفاه الله إليه، فعظمت لموته الرزيّة، وعم الحزن جميع البرية، ودفن عشية ذلك اليوم في العَرض المشهور، المشرق بالنور، قريبا من قبر أبيه الإمام بوصية منه، وبنيت عليه قبة تلوح عليها الأنوار، ويقصدها الزوار من جميع الأقطار.

وقُربَ وفاته رضي الله عنه أكثرَ من الدعاء للمسلمين، قال الحبيب العلامة حسن بن سقاف بن محمد السقاف رضي الله عنه: «إن العارفين إذا قربت وفاتهم ينكشف لهم من سَعة رحمة الله مالا يكيّف، فيكثرون حينئذ من الدعاء لجميع المسلمين، لما جبلهم الله عليه من الرحمة لهم والشفقة عليهم، رضي الله عنهم ونفعنا بهم».

ولما بُنيت القبةُ على ضريحه الشريف، وانتهت الخدمة فيها، وذلك سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف (١٣٢٢هـ) كتبتُ عليها هذه الأبيات، رجاء أن أنظم في عقد مادحيه، وادخل في غمار محبيه، رضي الله عنه ونفعنا به:

يــا قبــة نورهـــا قــد	انــاف فـــوق الثريــا
بحـــسنها قـــد شـــغلنا	عــن حـسن لـيلى وميـا
تـــاريخُ عـــامِ بناهَـــا	إن شـــئتهُ يـــا أخيَّـــا
قل: نُزُلٌ من ريَـاضِ الـــ	ـــجنانِ يَـــأتي جليَّـــا

علت بمن قد رقى في الـ ـــعرفان أعـــلى رقيـــا

ونـــال في حـــضرة التقـــ ـــريب مكانـــا عليـــا

وذكـــره فـــاح في الأكْـــ ـــوان شـــذًى عنبريـــا

قطـــب الزمـــان إمـــام الـــ ـــكل صـــبيح المحيـــا

غوث العبـــاد وزيـــن الـــ ـــعباد خـــير وليـــا

بنـــوره كـــم أزاح المـــ ـــولى ضـــلالا وغيـــا

لـــه فقـــدنا مثـــيلا وإن وجـــدنا ســـميا

ولا غبطنَـــا لجـــيلا نَ ولا الـــــــشاذليا

ولا الرفـــاعي ولا البســـ ـــطامي ولا البـــدويا

ولا جنيـــدا ولا بـــصـــ ـــريا ولا كرخيـــا

بطـــاهر قـــد غنينـــا قطـــب العـــلى العلويـــا

وبابنـــه الحـــبر بحـــر الـــ ـــجود الفتـــى الأريحيـــا

محمـــد القطـــب فـــرد الـــ ـــزمان خـــير سريـــا

يـــا مـــن يريـــد نجاحـــا في الـــدين أو في الـــدنيا

انـــزل بهـــم وألـــثم الأعـــ ـــتاب بعـــزم قويـــا

هنـــا تنـــال الأمـــاني ويـــوم تبعـــث حيـــا

وصـــل يـــا رب دأبـــا وبكـــــرة وعـــــشيا

كـــما تحـــب أنلهـــا نبينـــــا الهاشـــــميا

والآل والصحب أهل الـ ـــنور وكـــل تقيـــا

وكتبت هذه الأبيات وكلّها ركيكة المبنى، غير أن المائدة واسعة، ولا مشاحة في الألفاظ إذا صحّت المعاني:

هــذه حــضرة خــير الأوليــا	الإمام العـارف الحـبر المكـين
طــاهر الحــبر العلــيم المتقــي	واحد العصر وزين العابـدين
أيهــا الـــداخل فيهــا زائـــرا	فزت بالخيرات في دنيا وديـن
وذوو الحاجات إن راموا المنى	يـــدخلوها بـــسلام آمنـــين
فهي في وادي ابن عيسى حرم	آمـــن لا مريـــة للخـــائفين
والذي قد حـل فيهـا ضـامن	وكفيــل بطــلاب الزائــرين

وقال الشيخ العلامة عمر بن عثمان باعثمان، رحمه الله، مرثياً لسيدي الحبيب طاهر قدس سره:

يقول بن عثمان من خده جرى دمـع العيـون
كالعندم القاني وفي أحشاه من فرط الشجون

لاعج برى جسمه وفرق بين نومه والجفـون
حزناً على مـن أنـشبت أظفارهـا فيـه المنـون

إمام اهل العصر حاوي السبق في كل الفنون
لاسيما فن الـسلوك الغـض والـسر المـصون

الــسيد الحــداد طــاهر عــين لعيــان الرتــون
وغوث أهل القطر فيما ناب والغيث الهتـون

حصني وذخري في المهمات الملمة والـشؤون
لا حول فاصبر يا فـؤادي كلـما قـدر يكـون

فالصبر إن فات الرضى لله واجب والسكون

وإلا فموته ثلم في الإسلام لا يرتق وهون

إلى آخر ما قال رحمه الله.

وقال سيدي الإمام الكبير، والعلم المنير، العارف بالله، بقية الصفوة الأبرار، الحبيب الحسين بن محمد بن عبدالله البار، رضي الله عنه:

ما لدمع العيون في الخد هامي ... مستهلا يفيض فيض الغمام

ولقلبي من الأسى في احتراق ... ولطرفي جفاه طيف المنام

ولجسمي عراه ما ليس يحـ ... ـتاج دليلاً من الضنا والسقام

ولعقلي في حيرة وذهول ... ذاع ما بي وشاع بين الأنام

ضاق ذرعي مما رماني به الدهـ ... ـر من الخطب انه شر رام

ولريب المنون في الناس تبديـ ... ـد ورمي بصائبات السهام

كل يوم تدور فيه عليهم ... سالبات البقا كؤوس الحمام

كيف أسلو ونار وجدي وحزني ... في التهاب بمهجتي واضطرام

لفراق الحبيب زين السجايا ... والمزايا سليل عالي المقام

طيب الأصل والفروع وطود المـ ... ـجد نعم الكريم وابن الكرام

من به أشرقت معالم قيدون ... ونارت به نواحي الظلام

ثم أضحت من بعده وعليها ... غبرة أو غشاوة من قتام

مسفر الوجه يلتقي الناس بالبشـ ... ـر وحسن اللقا وطيب الكلام

طاهر كاسمه جليل عظيم ... وله غرة كبدر التمام

لا تسل عنه غير محرابه المخـ ... ـصوص من وصفه بطول القيام

وبأذكـاره وترتيـب أورا ... د قـرآن تهـدي سـبيل الـسلام

حبـذا الـسيد المـسدد حـدّا ... د القلـوب الوحيـد في الأيـام

طاب حياً وطـاب ميتـاً وطابـت ... روضـة حلهـا بـدار المقـام

فابكه ما استطعت فهـو جـدير ... بالبكـا والنحيـب طـول الـدوام

من لعيني ترى مثيلاً لـه في النــ ... ــاس أو مـشبهاً لـه أو مـسام

نـسوة الحـي غـير نـسوته أمــ ... ــا الخيـام فإنهـا كالخيـام

يـا رعـى الله يـوم كنـا جميعـاً ... نلتقـي والـوداد في القلـب نـام

آه لـو كـان آه ينفـع شـيئاً ... أو بـه تنطفـي حـرور الأوام

لـو رآني ومـا عـراني عـذولي ... كـف عنـي مـن عذلـه والملام

ولقـد فـاز بالـسعادة في الدنــ ... ــيا والأخرى وحاز حسن الختام

فعـلى روحـه مـن الله روح ... وعـلى قـبره شريـف الـسلام

وإذا رمـت علـم مـا أنعـم الله ... عليـه بـه وتـاريخ عـام

لوفـاة الحبيـب قـل وعزيـز ... طـاهر خالـد بـدار الـسلام

وصـلاتي مـع الـسلام دوامـا ... لـشفيع العبـاد يـوم الزحـام

سـيد المرسـلين خـير البرايـا ... وعـلى آلـه وصـحب كـرام

وقلتُ متأسياً بأولي الألباب، معزِّياً للنفس والأصحاب، بفقد ذلك الجناب:

لقلبـي بـين أضـلاعي وجيـبُ ... مـن الأحـزان في ليـلٍ يجـوبُ

أحـاط مـن الأكـدار سـورٌ ... وأضـنته الحـوادث والخطـوب

حـوادث تـورث المسرور كربـا ... وطفـل لـو تعقلهـا يـشيب

بـه نـزل الـذي قـد كـان يخشى ... وحالفـه الكآبـة والنحيـب

إذا ذكـــر الربـــوع وســـاكنيها ... يهيج مـن الجـوى فيـه لهيـب
قليبـــي هـــذه دار الفنـــا مـــا ... لـساكنها صـفا عـيش يطيـب
ومهـما طـاب لا يبقـى فـلا تـر ... كـــنن إلى سرور لا يــــدوب
أتتـــك بـــما تحـــاذره الليـــالي ... رمي من قوسـها سـهم مـصيب
فذب من فرقـة الأحبـاب حزنـاً ... ففـرقتهم تـذوب لهـا القلـوب
وسلم واحتسب واصبر وفوض ... وراقـب وارض فـالمولى رقيـب
لأن رحل الحبيب فكـم حبيـب ... تقدمـــه إذا نـــودوا يجيبـــوا
حبيـب موتـه خطـب عظـيم ... بـه كـل الأنـام لقـد أصـيبوا
حبيـــب موتـــه رزء وكـــرب ... وقـد كنـا بـه نكفـى الكـروب
حبيـب كـان للاجـين حـصناً ... وكهفـا عنـد مـا خطـب ينـوب
حبيـب كـان وهـو الآن بـدر ... وشـمس مـا لطالعهـا غـروب
حبيـب قـد رقـى أوج المعـالي ... تقـدم قبـل يدركـه المـشيب
حبيـــب حبـه فـوز ونجـح ... وفي كـل القلـوب لـه دبيـب
حبيـــب عنـد بارئـه قريـب ... فيـا نعـم المقـرب والحبيـب
إمـــام عـــارف حـبر همـــام ... لـدى الأزمـات للـداعي مجيـب
كـــريم مـــشفق بـــر رحـــيم ... حلـيم صـابر سـمح وهـوب
وسيع الجاه والمعـروف والفـضـ ... ـل للجـاني لـه صـدر رحيـب
إمـــام العـــارفين بكـــل معنـــى ... به تسقى لدى الجـدب الجـروب
وزين العابدين وخـير أهـل الـ ... ـكمال إمامنـا العبـد المنيـب
جميـل الخلـق والأخـلاق شـهم ... هزبـــر في بـــشاشته مهيـــب

لـه في المـنهج الأسـنى رسـوخ ... ومن كأس الوصـال لـه نـصيب

سـميرِ الهـه شـغفاً وشـوقاً ... إذا ثقلت عـلى الفـرش الجنـوب

ولمـا كـان فينـا كـان يـروي ... لنـا مـا قـد أكنتـه الغيـوب

فوا أسفى على كهْفي وحصني الـ ... ـحصين ومن لأدوائـي طبيـب

ووا أسـفى عـلى زمـن التـداني ... وقـد غـاب المـنغص والرقيـب

لفقـد القطـب يـا عينـاي جـودا ... وقلبـي بـين أضـلاعي كئيـب

كئيب لم يصخ سـمعا لقـول الــ ... ـعذول وللملامـة لا يجيـب

يحق لفقـد ابـن عمـر المفـدى ... إذا شـقت قلـوب لا جيـوب

وبعـد محمـد وأبيـه أنّـى ... يـشوقني إمـام أو خطيـب!

وقـد صرنـا لفقـدهما حيـارى ... وفارقنـا سرور لا يـؤوب

سـقى الـرحمن بالرحمـات قـبراً ... لديـه لزائـر غفـرت ذنـوب

وحيت سـفح قيـدون الغـوادي ... وعمم سـوحها غيـث خـصيب

على العرض المنـير سـلام صـب ... يفـوح لنـشره في الكـون طيـب

وذكـر نبينـا المختـار طـب ... به في الخطـب تنـشرح القلـوب

عليـه صـلاة ربي كـل حـين ... ومـا هبـت شـمال أو جنـوب

مع الآل الكـرام وخـير صـحب ... وتـابعهم لـه منهـا ذنـوب

وجيء لقبره الكريم بشاهدتين من تريم، وكتَبَ على إحداهما الشيخُ العلامة الأريب أبو بكر بن أحمد بن عبد الله الخطيب الأنصاري هذه الأبيات:

إذا شئتَ أن تقضَى سريعاً مطالبُ ... لـدنيا وأخـرَى مـن إلـهِ البريـةِ

فلُذْ بضَريح الفـردِ عابـدِ عـصرِه ... يتيمـةِ عقْـدِ الآلِ نجـمِ الـشريعةِ

هو الطـاهرُ الحـدادُ وارثُ جـدِّه ونبراسُـه الوضّـاحُ بـين الخليقـةِ
إذا همّنـا خطـبٌ نلُـوذُ بـسُوحه وحـضرتُه العَليـا بهـا خـيرُ قبلـةِ
وعـامُ وفـاةٍ قلـتُ فيـه مؤرِّخـاً ....(١)

[كراماته وكشوفاته]:

وأما كراماته وكشوفاته قدِّس سره فكثيرةٌ شهيرة، أظهر من الشمس وقت الظهيرة، وذلك مصداق ما جاء في الحديث القدسي: «ولئن سألني لأعطينه، ولئن دعاني لأستجيبن له». والكرامة العظيمة: هي الاستقامة على الطريقة القويمة، ولابد من ذكر شيء يسير من الكثير، الذي لا يأتي على حصره تعبير.

فمنها: ما أخبرني به السيدُ الجليل الحبيب المنيبُ حسن بن أحمد بن سميط(٢) قدس سره، قال: «لما زرنا قيدون كان أول اجتماعٍ لنا بالحبيب طاهر في حضرة الشيخ سعيد بن عيسى، وهو الذي زار بنا أول زيارة، وكان متردياً بشَيذرٍ شحريٍّ كبير مُثمِنٍ، فوقع في خاطري: أن كيفَ يلبسُ الحبيب مثل هذا مع علو مقامه؟ فبعد الزيارة ذهب بنا رضي الله عنه إلى داره، فلما استقر بنا المجلسُ قال لي: يا حسن! قلت: لبيك، قال: هذا الرداء أرسله لنا بعض المحبين من أهل الشحر فلبسناه عملاً بنيته ليثابَ على قصده، وبعد يومين سنضعه، قال: فاستحييتُ منه كثيراً، وندمت على ما خطر لي، وتضاعف اعتقادي فيه، رضي الله عنه، ونفعنا به، آمين».

ومنها: ما أخبرني به الحبيبُ العارف بالله عبد الرحمن بن محمد خرد، قال: «أصبحنا ذات يوم بلا بُنٍّ للقهوة، ولم يكن في (بلاد الماء) أحدٌ من أهل الدكاكين لنشتري منه، إنما نأتي بكفايتنا لعدةِ أيام من بضة، وكنتُ إذا رجعتُ من المسجد بعد الإشراق وجدت

(١) كذا بياض محل الشطر الأخير في جميع النسخ.
(٢) توفي بشبام سنة ١٣٢٣هـ.

القهوةَ فائرة، فلما رجعتُ ذلك اليوم أخبروني: أنه ما هناك بن للقهوة، فعاتبتهم حيث لم يخبروني من الأمس، لأرسل من يأتي به.

فبينما نحن جلوسٌ بلا قهوة وإذا ببعضِ آل العمودي وصلَ من قيدون ومعه لنا زنبيل من الحبيب طاهر ملآن بناً وزنجبيل وقرفه وهيل وقرنفل! وقال: دعاني البارحة الحبيبُ طاهر بعد صلاة العشاء، وقال لي: هل شيء عزم لك على المسير غدوة إلى (بضة)؟ وكنتُ قد عزمتُ على ذلك ولم يطّلع على عزمي أحد، فقلت له: نعم، فقال: خذ هذا الزنبيل معك اعبر به (بلاد الماء) على طريقك لحبيبك عبدالرحمن خرد، والله الله في البكرة. **قال الحبيب عبد الرحمن**: فحصل معنا الأنس التام، وحمدنا الله على اعتناء الحبيبِ طاهر بنا وتفقده لأحوالنا، رضي الله عنه».

ومنها: ما حكاه الوالد العارف بالله صالح بن عبد الله الحداد، قال: «أطلعَ اللهُ الحبيب طاهر على قرب وفاتِه، فكان كثيراً ما يقول في مرض موته: استعدوا بالتمر والبَثْت». قال: «وحصلت ببركته أمطار غزيرة بعد موته وسيولٌ كبيرة، منها في قيدون اثنا عشر سيل، وذلك مع الختم عليه رضي الله عنه».

ومنها: أنّه أتى إلى بعض شُروج الديِّن فقال له صاحبُ الشرج: يا حبيب طاهر بغينا الشرج يشرب، فقال له: شل في وجهك أنك با تحافظ على الصلاة، وكان مقصراً فيها، وأنا باشلّ في وجهي أن الشرج يشرب هذه الليلة، فقال البدوي: بَدَّيتُ بالصلاة، قال الحبيب: وأنا بدَّيت بالسيل. فثار السحابُ من كل ناحية في الحال، وسقى الله ذلك الشرج، فلما رحل الحبيب من الشرج ترك البدويُّ الصلاةَ، وقال: قمرْنا طُويهر، بالتصغير، الشرج قد شرب، ولم يبق لي في الصلاة أربْ، فلما نبت الزرع أرسلَ الله عليه حيتاناً أكلته جميعَه، ولم ينتفع منه بشيء، وكان الحبيب قدس سره يضحك من كلمته.

ومنها: أنه لما كان سنة ثمانية عشر وثلاثمائة وألف: وجد في نفسه رضي الله عنه على أهل قيدون لعدم اهتمامهم ببعض الأمور التي يلزمهم الاهتمام بها، وطلع مع ذلك إلى

المكان المعروف بالقَاطر، وكان أهل البلد في حاجة شديدة إلى المطر، وأشفقوا واشتد خوفهم لحنَق الحبيب عليهم، واجتمع رأيهم على أن يجتمعوا ويقصدوه كبيرهم وصغيرهم إلى المكان المذكور لطلب رضاه عنهم، وأن يستسقي لهم.

فقصدوه واعتذروا إليه بما يشق عليه، فقبلهم وقابلهم بما يليق منه، وطلبوا منه أن يزور بهم الشيخ سعيد العمودي ويستسقي لهم، وأسعفهم بذلك، وخرج معهم فزار بهم ووعظَهم وحثهم على التوبة والإنابة، وبشرهم بحصول القبول والسقيا ومجيء السيول، فظهر السحاب في ذلك اليوم، وطمعوا في السقيا في تلك الليلة، فقال لهم الحبيب قدس سره: «لا تطمعوا في السيل في هذه الليلة، وسيأتي في الليلة القابلة إن شاء الله»، فلما كان من الغد لم يظهر السحاب حتى غرَبت الشمسُ وكاد الناس أن يرتابوا في صدق الوعد، قال ولده الوالد عمر بن طاهر: وكنت مع الوالد في القاطر، فلما صلينا المغرب قال لي: «كورم»، أي: قل: يا كريم! لأن من عادة أهل حضرموت النداء بهذا الاسم عند رؤية البرق.

قال: ولم يكن هناك سحابٌ ولا برق، فقلت له: ليس هناك برق ولا سحاب، فقال: «كَورِمْ ولا عليك»، فامتثلت أمره وكَورمتُ مرتين أو ثلاث، وإذا بلمعان البرق من الناحية الغربية الشمالية بعيداً جداً، فلم يزل يدنُو واشرأب الناس لإنجاز الوعد، حتى بَعُد عن شعب قيدون إلى جهة الشرق، وكاد الناس أن يرتابوا في صدق الوعد، فأرسل الله رياحاً قويةً من الشرق حملت الغيث وألقته على شعب قيدون، وانهلت فيه الشآبيبُ، فحصل مع الناس غاية العجب من رجُوع الغيث إلى جهة القبلة بعد أن تعدّى شعب البلد، ولم يكن ذلك معتاداً في أنجم الصيف، ولم تمض إلا مدة يسيرة من الليل وأتى السيل وانكشفت الغمة بحصول الرحمة.

ولما استوى الزرعُ وقرب حصادُه، أتى الجراد وترامى على الموسم من كل ناحية، فخاف الناس وفزعوا إلى الحبيب قدس سره، فقال لهم: «لا تخافوا إنه أثرم ماله ضروس

،وهذا الموسم محرم عليه»، فأقام في الزرع مدة ولم يضره وفْق ما أخبر قدس سره وكان موسماً مباركاً. انتهى.

❊ وقد اشتملت هذه الحكاية على غرائب من كراماته قدس سره، منها:

ـ حصولُ الغيث، والإخبار بأنه لا يحصلُ إلا الليلة الثانية.

ـ وأمرُه ولده بان يكَورِم ولا هناك برقٌ ولا سحاب.

ـ ورجوعُ الغيث بعد بعده عن شِعب البلد.

ـ وعدمُ إضرار الجراد بالزرع مع مكثه فيه أياماً، والله أعلم.

ومنها: أنه قال لي قدس سره ذات يوم: «هل سمعت الربابة حق فلان؟»، فقلت لا: لأنه أتى إلى البلد ولستُ فيها، فقال قدس سره: «صوتها عجيب! سبحان الصانع الحكيم»، فعجبتُ في نفسي من أنه قدس سره يميل إليها مع تقيده كثيراً بظاهر العلم، فالتفت إلي متبسماً وقال: «قالوا: إذا كان قصدُكَ الله فلا حرمة في سماعها»، أو ما هذا معناه.

وقد كان قدس سره يحب السماع بأي آلةٍ، كان يسمع الربابة والقمبوس مراراً، لاسيما آخر وقته، وكان ياتي لسماعه إلى المكان المخصوصِ بولده سيدي الحبيب قدس سره، ويقول: «با نحضر في بحر محمد»، يعني: سيدي قدس سره.

وأخبرني الحبيب مصطفَى بن أحمد المحضار، قال: «عُدْنا الحبيب طاهر في مرض موته، فأمر ولده أحمد أن يسمِّع بالقمبوس، فسمَّع بقول الحبيب عبد الله الحداد:

❊ قل للذي جد بالإظعان يا حادي ❊

إلى آخرها.

فبكى الحبيب طاهر كثيراً، وما رأيته يبكي إلا ذلك اليوم». انتهى.

ذكرتُ هذه الحكاية إرشاداً للواقف عليها إلى التسليم لمن يراه يحضر ذلك من

المشهورين بالولاية من أهل وقته، لئلا يقع في ورطة الإنكار والانتقاد على أولياء الله وخاصته، الموجب للحرمان والخسران والعياذ بالله، والخلاف في هذه المسألة منتشرٌ إذا انتفت علة التحريم، وسيأتي في الباب الثالث زيادةُ بيانٍ على ما هنا إن شاء الله.

وقد قال الشيخ العارف بالله السيد عبد العزيز الدباغ قدس سره فيما نقل عنه في «الإبريز»: «إن الذين ألّفوا في كرامات الأولياء رضي الله عنهم وإن نفعوا الناس من حيثُ التعريفُ بالأولياء، فقد أضرُّوا بهم من حيثُ أنهم اقتصروا على ذكر الكرامات، ولم يذكروا شيئا من الأمور الفانية التي تقع من الأولياء الذي لهم تلك الكرامات، حتى أن الواقف على كلامهم إذا رأى كرامةً على كرامة، وتصرفاً على تصرف، وكشفاً على كشف، تُوهِم أن الولي لا يعجزُ في أمرٍ يطلب فيه، ولا يصدر منه شيء من المخالفات ولو ظاهراً، فيقع في جهلٍ عظيم، لأنه يظن أن الولي موصوفٌ بوصف من أوصاف الربوبية، وهو أنه يفعل ما يشاء، ولا يلحقه عجز! وبوصف من أوصاف النبوة وهو العصمة»، إلى آخر ما قال، مما لا يستغنى عنه فلينظره من أراده.

وليس المرادُ أن سماع العارفين للملاهي من المخالفاتِ في حقهم، كلا! بل هي ملحقةٌ في حقهم بالطاعات، لأن قصدَهم الله، كما قال الحبيبُ، وإنما المقصود أن يجعل الواقفُ هذا المبحث منه على بالٍ ليربَح التسليمَ والمدد العظيم لو صدر من عارفٍ ما صورته المخالفة كما قال الناصحُ الأمين:

وسلِّم لأهل الله في كل مشكل   لديك، لديهم واضـحٌ بالأدلـة

والله ولي التوفيق

ومن كراماته قدس سره واستجابة دعواته:

أنّ المقدَّم سعيد بامسدوس مقدَّم الديِّن، القبائل المعروفين بريدة الديِّن، عميَ بنزول الماء في عينيه، وأتى إليه بعض المنقّشين، وهم أناسٌ لهم خبرةٌ بإزالة الظّفرة من

العين، وهي بشرة تحجبُ النظر مع صحته، فإذا أزيلت عاد البصر، فأراد المذكور أن ينقّش عيني المقدم المذكور، وأخبره أن النقش يفيده، وقال له: لابد أن تستلقي على ظهرك مدةً معلومةً، لا يفيد العمل إلا بذلك.

وكان المقدمُ المذكور كبير البطن، يتعبه الاستلقاءُ، فترك النقشَ وخرج إلى قيدون زائراً ومستغيثاً بصاحب الترجمة، لما له ولقبيلته من الانتساب إلى الحبيب طاهر وسلفه الطاهرين، فلما وصل إلى حضرة صاحبِ الترجمة شكَى إليه حاله، وأخبره بتعذر النقْش لعدم صبره على الاستلقاء، والتزمه في طلب الدعاء برفع ما نزل به من العمَى، فقال له صاحب الترجمة: «بانزور الشيخ سعيد بنية الشفاء، وبا يحصل إن شاء الله». فقاموا إلى قبة الشيخ سعيد، وبعد تسليم صاحب الترجمة على الشيخ، قال: «يا شيخ سعيد جئنا زائرين ومستشفعين بك إلى رب العالمين، بغينا عيون جدد للمقدم»، فلما أكملوا الزيارة أبصر المقدَّم وخرج من القبة يمشي بلا قائد، وما زال يتزايد نظرُه إلى أن رجعَ كما كان، وبقي على ذلك إلى أن مات.

ومن ذلك: ما أخبر به الشيخُ الصالح عبد الله بن عمر باطَوق العمودي المتوفى في جمادى الأولى سنة ١٣٥٤، قال: جاء إلى قيدون الحبيبُ العارف بالله عبد الرحمن بن محمد خرد في سنةٍ من السنين زائراً، وكانت محتاجةً إذ ذاك من المطر، وقد عبر عليها فصلُ الخريف بلا مطر، والوقت شتاء في نجم الثريا، والنخل قد ابتدأ يظهر فيه اليباس، فساء الحبيبَ عبدالرحمن ما رأى من ظمأ النخل.

فلما صلى العصر يومَ وصوله مع الحبيب طاهر، قال له بعد الصلاة: «يا حبيب طاهر بغيناكم تزورون بنا، وتقرؤون سورة يس المعظمة بنية الغياث العاجل لقيدون، نخلها با يموت»، فقال الحبيب طاهر: «إن الوقت شتاء، وإذا حصل السيل بايتعبون بتحصيل الذَّرِي»، يعنى: ذَرْي البر، لأنهم لا يزرعون في الشتاء إلا البر.

فقال الحبيب عبد الرحمن: «بغينا سيل لنخل قيدون، وإن تعبوا بالذري يتعبون!»، فتبسم الحبيب طاهر، وقاموا جميعاً وزارَوا الشيخ سعيد وقرؤوا يس بنية الرحمة، فأغاث الله البلاد بسيل في تلك الليلة، فلما نبت الزرعُ ظهر الحوات الذي يقال له: السَّرَى، يأكل الزرعَ والرِّمام، ففزع الناس إلى الحبيب طاهر، وشكوا إليه ظهور الحوات خوفاً على الزرع، فقال لهم: «لا تخافون إنه أثرم لا يأكل الزرع فحفظ الله الزرع من الحوات ببركته وكان موسماً مباركاً.



الفصل الثالث

في الإشارة إلى ذكر جده لأبيه

سيدنا الإمام بركة الأنام الحبيب العارف بالله

شجاع الدين عمر بن أبي بكر الحداد

رضي الله عنهم

كان رضي الله عنه من العلماء العاملين، والهداة المهتدين، والعباد المجتهدين، والدعاة إلى رب العالمين، ولد بحاوي تريم مهبط الخيرات والبركات، سنة خمس وثمانين ومائة وألف، ونشأ بها على أكمل حال وأنعم بال، سالكاً لمسلك آبائه سادات الرجال، من اكتساب العلوم ومعانقة الأعمال.

تخرج وتأدب بآبائه الكرام، وأخذ عنهم علوم الإسلام، وعمن بقطره من الأعلام، كجده الإمام علي بن علوي، كافله بعد وفاة والده أبي بكر بعد وجوده بسنة، وبذر[1] في قلبه محبة كل خلة حسنة، وكالشيخ الكبير الحبيب أحمد بن الحسن الحداد، فقد أدركه وأخذ عنه وحلَّ عليه نظرُه واستمد منه أعظم استمداد، وكأعمامه الأجلاء الحسين وعمر وعلوي بني الحبيب أحمد بن الحسن الحداد، وكشيخ الأحقاف الحبيب عمر بن سقاف السقاف، والحبيب حامد بن عمر، والحبيب طاهر بن حسين بن طاهر.

---

(١) ب: وزين.

ورحل إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين، وزيارة جده سيد الكونين ﷺ، وذلك سنة العشر بعد المائتين والألف، وفي ذلك يقول رضي الله عنه مؤرخاً، (شعراً):

حمداً لربٍّ علَى أداءِ نسكٍ مضَى
أرختُه قائلاً حَججْنا بعام الرضَا

وقال أيضاً مؤرخاً لزيارته لجدِّه ﷺ، (شعراً):

عامُ الزيارةْ تدانى[1] للمصطفى الشافعْ لَنا
في شَطرِ بيتٍ سائلي فاقرأ وقل: حصلَ الغِنا

ثم إنه رحل إلى الحرمين ثانياً سنة ثلاثين ومائتين وألف، ومعه ولده أبو بكر، وأخذ في الرحلتين عن جملة من العلماء الأجلة، كالشيخ عمر بن عبدالكريم العطار، والشيخ محمد صالح الريس، والسيد علي بن محمد البيتي المدني، وله منهم إجازاتٌ تأتي في الباب الرابع.

ورحل إلى وادي دوعن لزيارةِ من حواه من أهل الولايات، أحياءً وأمواتاً، فأخذ به عن جملة من أكابره، منهم: الحبيبُ العارف بالله عمر بن عبدالرحمن البار الجلاجلي، وعقد الأخوة مع الحبيب صالح بن عبدالله العطاس عند ضريح الشيخ سعيد العمودي، وقال كل منهما للآخر: «أولادنا أولادكم، وأولادكم أولادنا»، ومن هنا كان للحبيب صالح المذكور الاعتناء التام بالحبيب طاهر كما تقدم.

ثم كان من قدر الله أن تأهل بقيدون، معدنِ السر المصون، وتزوج بالشريفة الصالحة الولية علوية بنت الحبيب العارف بالله محمد بن أبي بكر بافقيه، وطابت له السكنى بها، فكان من نعم الله العظيمة على أهلها، وأزاح بأنوار علومه ظلمات جهلها، أتاها على فترة

---

(١) ب: قد أتى.

من الدعاة والمذكِّرين، حتى أن محقاطَ النُّورة كان في ضَاحي المسجد! فجدد بساطَ الدعوة إلى رب العالمين، ونشر راية: ﴿ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الذاريات: ٥٥]، وقام بوظيفة الإمامة في مسجد الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، ورتب فيه مجالس التدريس، في كل علم نفيس.

وأخذ عنه وانتفع به جملة من الأعيان، منهم: الحبيب العارف بالله عيسى بن محمد الحبشي، والحبيب العلامة أحمد بن عبدالله باعقيل، والحبيب العارف بالله أحمد بن محمد المحضار، وقد أشار إلى ذلك الحبيب أحمد المذكور في أبيات ختم بها إجازته لسيدي الحبيب رضي الله عنهما بقوله:

ألا ياصاحب العرض يا زين الطويه ... بغينا مـن عمـر شـيخنا شربـه هنيـه

ولـد بـوبكر حـدادنا قطـب المزيـه ... وقدنا متـصل بـه معـي نـسبة قويـه

وورد الفاتحة قـد وقـع منـه عطيـه

إلى آخرها وستأتي بكمالها في الباب الرابع إن شاء الله.

و«العَرْض» المذكور: اسمُ المقبرةِ المدفونُ فيها الحبيب عمر رضي الله عنه.

وقوله: «وورد الفاتحة قد وقع منه عطية»: لعله ما يُروَى عن الإمام حجة الإسلام الغزالي قُدس سره من ترتيب قراءة الفاتحة بعد الصلوات المفروضة: إحدى وعشرين مرة بعد صلاة الصبح، واثنتين وعشرين مرة بعد الظهر، وثلاثاً وعشرين مرة بعد العصر، وأربعاً وعشرين مرة بعد المغرب، وعشراً بعد العشاء. أو المراد بـ«وِرد الفاتحة»: الدعاءُ المأثور بعد قراءتها عن القطب الحداد، الذي أوله: «اللهم إني أسألك بحق الفاتحة المعظمة والسبع المثاني ..»، إلى آخره، والله أعلم.

وممن أخذ عن صاحب الترجمة: سيدنا الحبيب القطب عيدروس بن عمر الحبشي

والشيخ العلامة أحمد بن عبدالرحمن بن عمر بن عبدالقادر العمودي، والشيخ العلامة أحمد بن سعيد بن عبدالقادر العمودي المتوفى سنة ١٢٨٧ ألف ومائتين وسبع وثمانين.

والشيخ العلامة محمد بن عبدالله بن أحمد باسودان، وله منه إجازة قال فيها:

«**وبعد**؛ فقد طلبَ من الفقير، المتعثر في أذيال القصور والتقصير، عمرَ بن أبي بكر الحداد الشيخُ الفاضلُ العلامة الصفوة النقوة الجهبذ النحريرُ، محمد بن الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان، أن أجيزه بما أجازني به مشايخي من السادة العلويين وغيرهم. **فأقولُ**: أجزتُ المحبَّ المحبوب، بما أجازني به هؤلاء المذكورون من الأذكار والأوراد وقراءة العلوم النافعة، والله ولي التوفيق». انتهى من «عقد اليواقيت» للحبيب عيدروس المتقدم ذكره.

وكان صاحب الترجمة رضي الله عنه ذا هيبة وشهامة، وفتوة ومروة واستقامة، وإعراض عما لا يقرب إلى دار المقامة، يقال: إن الدنيا لم تذكر في مجلسه، وكان قوّالاً بالحق لا يخاف في الله لومة لائم، وكان حسَن الخط، جيد الضبط، كتب بيده كتباً كثيرةً، منها: «إحياء علوم الدين»، رغبةً في ضمانة القطب العيدروس بالجنة لمن كتبه.

وكان مدةَ إقامته بقيدون نازلاً في بيتٍ عارية، لم يضع لبنةً على لبنة، ولا ملك داراً ولا عقاراً، رغبةً عن هذه الدار، ولم يزل داعياً إلى سبيل ربه، ملازماً لما يزيد في حبه وقربه، إلى أن دعاه داعي الإكرام، فجاز تلك القنطرة إلى دار السلام، وذلك لثمان وعشرين من ذي الحجة سنة ١٢٥٣ ثلاث وخمسين ومائتين وألف، بقيدون، ودفن بعَرْضِها المصون، وقبرُه ظاهر يزار، مشرقة عليه الأنوار، وقام أهل قيدون مع أولاده بنائبة تجهيزه والقراءة عليه أحسن مقام.

وفي ذلك يقول الشيخ العارف بالله عبد الله بن أحمد باسودان من قصيدة طويلة في ذلك، (شعراً):

يا أهل قيدون طابت عنكم الأخبار   وقد نعمتم وطبتم بصفا الأسرار

إلى أن قال:

وقد عملتم مع الحداد بالإحسان   بحسب ما به يقوم الأهل والجيران
من الأصول القديمة من ولد عدنان   حياكم الله وأحيا بكم الآثار

وفيها يقول بعد ذكر الشيخ سعيد العمودي، والشيخ عمر بن عبدالقادر، مشيراً إلى صاحب الترجمة:

ثم خلفهم على هذا عزيز القدر   عمر أبو علوي مشرق شبيه البدر
دعا إلى الله في قيدون طول الدهر   من عمره المار في التذكار والأذكار

***

ثم انقضى نحبه وارتفعت روحه   إلى الرفيق العلي ذي جل سبوحه
وضمه العرض ذي قد أشرقت سوحه   بالنور قد حل فيه السادة الأبرار

إلى آخر ما قال رضي الله عنه.

وقد ذكر صاحبَ الترجمة بأحسنِ الذكر في كتابه «حدائق الأرواح»[١]، قال في آخره: «وأما سادتي بنو القطب الحداد، معادن الواردات والأوراد، والدعوة والإرشاد، والكرم والجود والإمداد، فقد مرّ ذكرُ أخذي عن سيدي الإمام الخليفة أحمد بن الحسن بن الشيخ عبدالله الحداد، وولده العارف بالله الحبيب الجواد رفيع القدر عمر بن أحمد.

ومِن البقية في العصر سيدي الناشئُ في الطاعة، الحقيق على انفراده يكون هو أهل

(١) هو كتاب «حدائق الأرواح بذكر طرق الخير والهدى والصلاح»، من مؤلفات الشيخ عبدالله باسودان رحمه الله.

السنة والجماعة، الفائق في الاجتهاد في العلم والعمل، المصحوبين بالإخلاص لله عز وجل: الحبيب عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي بن الشيخ عبدالله بن علوي الحداد باعلوي، نفع الله بهم. فقد حصل بيني وبينه كمالُ التعارف، والزيادة على المعهود بين الإخوان من التآلف، من أوان الطلب في وقت قادم، ولم يزل ذلك الاتصال موصولاً، وبحبل العروة الوثقى التي لا انفصام لها موثوقاً غير محلول، بقدرة ذي الحول والقوة المرجو لنيل كل مأمول». انتهى.

[كراماته]:

وكان لصاحب الترجمة كرامات وخوارق عادات؛ منها: أن الله أطلعه على انتهاء عمره وقرب أجله، فدعا زوجته ليلة وفاته، وحكَى لها حكاية امرأة حاتمِ الأصم مع جارتها ليسليها ويثبتها بها، والحكاية مشهورة، وملخّصُها على طول العهد بها: أن حاتماً سافر، وترك امرأته وأولاده ولم يترك لهم شيئاً يعيشون به، فجئنَ إلى امرأته جاراتُه، وقلن لها: كيف تتركين حاتماً يسافر؟ ولِـمَ يتركك وأولادَه ولا شيء لكم؟ فقالت لهن: إليكنّ عني، فإني لم أعهد حاتماً رازقاً وإنما عهدته أكّالاً، ولئن ذهب الأكال فالرزاقُ سبحانه لا يخفى عليه حالُنا، ولا يغب عنه مكاننا، وهو أعلم وأرأف بنا منا. انتهت الحكاية بمعناها.

ومن كراماته: ما سمعته من سيدي الحبيب رضي الله عنه، قال: «خرج الجدُّ ذات يوم من بعض الشُّروج في رَيدة الديِّن، ونسي عصاه في الشرج، وخرج معه أناس يودعونه، فلما بعدوا عن الشرج ذكر العصا، فأراد بعضُ من معه أن يأتي بها وكان معه أتان ولها طفلٌ صغير، فقال: الطفلُ سيأتي بها، فانصرفَ الطفلُ راجعاً إلى الشرج وأخذ العصَا بفمه وأتى بها، فعجبوا من ذلك».

ومن كراماته: أنه أتى إلى قيدون رجل مشعبذٌ يقلبُ الحجر سكّراً، فقالت زوجته: هات لأولادك حرزاً ـ أي تميمةً ـ من الرجُل، حسنَ ظنٍّ منها، فرفع لها جانبَ الحصير

وقال لها: انظري! فإذا تحته ذهبٌ يلهَبُ، فقال: هكذا نفعلُ لو قصدنا الكرامات، ولكن ما مقصودُ سلفِنا إلا العبادة، أو قال: الاستقامة، أو كلمة قريبة منها.

ومن كراماته رضي الله عنه: أنّه كان له خادمٌ يقال له: باشنفر، حصلت على ذريته أذيةٌ من القُثَم، قبيلة من سيبان معروفة، ولم يكونوا عالمينَ أن لجدّهم اتصالاً بالحبيب عُمَر، ولا علْمَ بذلك عند سيدي الحبيب ولا عند أبيه رضي الله عنهما، فلما كان ذات ليلةٍ رأى بعضُ الناسِ صاحبَ الترجمة يقول له: «قل للولد محمد ـ يعني: سيدي الحبيب ـ ينتبه من آل باشنفَر، فإنهم خُدّامي، فيدفع عنهم أذية القُثَم»، فأتَى ذلك الرائي إلى سيدي الحبيب وأخبره، ففتش سيدي الحبيب رضي الله عنه خطوطَ المنتسبين، فوجد خطًّا بانتساب المذكورين إلى صاحب الترجمة، فقام في رفع سيطرة القُثَم عنهم، واستنقاذهم منهم، لأنهم قد اتُّخذوا رعية. وسيأتي تمامُ القصة في الفصل الثالث عشر من الباب الثالث إن شاء الله تعالى

ومنها: ما أخبرني به بعضُهم، قال: كان الحبيب عمر إذا أتَى إلى (صِيف) ينزل في بيتنا، فأمسى عندنا ذات ليلة وأتَى لسمرهِ أناسٌ كثير، حتى ضاق بهم سطحُ دارنا، وكان تحت الدار وَصَر، أي: حوشٌ واسع، فلما رأى الحبيبُ ضيقَ السطح بالناس قال: «لمن هذا الوصر؟»، فقيل: لفلانٍ العمودي، فقال: «قوموا بنا إليه»، فقالوا: نأتي بالإقليد من صاحبه، فقال: «معتقدين رضاه». فخرجوا إليه وفتحَه الحبيب بلا إقليد، فبينما هم جلوس فيه إذ أقبل صاحبُه غضباناً ورافعاً صوتَه، ولا احتشم الحبيب ولا استحيى منه، فقال الحبيب: «قوموا بنا إلى حيث كنا».

ثم قال لوالدي: «إنك ستملكُ هذا الوصَر وتبني فيه داراً، وهذا العمودي ـ يعني: صاحب الوصر ـ يموتُ غريباً!»، فلم يلبث العموديّ المذكور إلا أياماً قلائل وسافرَ لضيقِ اعتراهُ، ومات بعد مدة يسيرة غريباً، واشترى والدي الوصَر من ورثته، وبنى فيه هذه الدار وفق ما أخبر الحبيب عمر». انتهى.

وفي هذه الحكاية أربعُ كرامات: فتح الوصر من غير أقليد، والإخبار بموت صاحبه غريباً، وأن الآخر يملكه، وأنه يبني فيه داراً، والله أعلم.

ومن كراماته رضي الله عنه أنه لما كان بعدَن، لعله مع سفره إلى الحرمين، رأى القطبَ العدَني أعطاهُ ورقةً فيها حوالةٌ بثلاثين ريالاً على بعضِ المشركين من البانيان، وانتبه والورقةُ معه! فبينما هو مفكِّرٌ في ذلك، إذ أقبلَ المشركُ يسأل: من الذي معه الحوالة من الحبيب أبي بكر العيدروس؟ فأراه صاحبُ الترجمة الرقعةَ، فأخذها وأعطاه الريالات!.

ومنها: ما أخبرني به الشيخُ المرحوم عبدالله بن عمر بن عثمان باعبد القادر العمودي، قال: كان لوالدي اتصالٌ بسيدي الحبيب عمر بن أبي بكر، ورابطة مكينة، ووُلدَت لوالدي ثمانُ بنات، فشكَى إلى الحبيب عمر حاله، وقال له: بغيناك تدعو الله بأولاد يخلفوننا على البنات، ويمدوننا في قبورنا بصالح الدعوات، فبشره الحبيب عمر بي وبإخواني سعيد ومحمد، وقال: «سيولدون وفي كل واحد منهم علامة، وفيهم البركة»، فكان الأمر كذلك ببركته، وهذه علامتي التي خلقت بها، وقبض على لحمة زائدة في رقبته كالقرطين المعلقين.

ومنها: أنها وُجدَت لسيدي العارف بالله الجد عيسى بن محمد الحبشي بنتٌ بعد وجود سيدي الحبيب طاهر بن عمر بستين، فأخبر الحبيب عيسى صاحبَ الترجمة بوجودها، فقال له: «مباركة، وتكون زوجةً لطاهر»، فتزوجها بعد ذلك الحبيبُ طاهر وهي أم ولدِه سيدي الحبيب عبدالله بن طاهر[١].

ومنها: أن أمَّ أولادِه الشريفة الصالحة الولية علوية بنت الحبيب العارف بالله محمد بن أبي بكر بافقيه رأته بعد وفاته يقظةً يتوضأ في مكانه الذي كان يتوضأ فيه أيام حياته فرشها بالماء وكلمها. وكراماته كثيرة شهيرة.

---

(١) فيكون المذكور عبدالله بن طاهر بن عمر الحداد، ابن خالة مؤلف الكتاب.

[ترجمة زوجته]:

والحبابة علوية المذكورة من الصالحات ذوات الأنوار، والأحوال والأسرار، وعلى نظرها وفي حِجْرها تربى سيدنا الحبيب طاهر بن عمر بعد وفاة أبيه وأخيه الحبيب علوي الآتي ذكره، رضي الله عنهم ونفعنا بهم.

وكانت وفاتها في ذي الحجة آخر سنة اثنتين وثلاثمائة وألف، ودفنت بعَرض قيدون، تجاه قبر صاحب الترجمة إلى بَحْر[1].

ولصاحب الترجمة إجازات ووصايا من مشايخه ستأتي إن شاء الله في الباب الرابع[2].

[أولاد الحبيب عمر بن أبي بكر الحداد]:

وكان له من الولد ثلاثة:

١ـ أحدهم: سيدنا الحبيب طاهر قدس سره.

[٢ـ السيد أبو بكر بن عمر الحداد (... - ١٢٣٢هـ)]:

٢ـ **والثاني**: هو السيد الجليل الحفيل **أبو بكر بن عمر**؛ ولد بحاوي تريم ونشأ بها في كنف أبيه وحسن تربيته، وأخذ عن غيره من علماء حضرموت، ورحل معه إلى الحرمين الشريفين سنة ثلاثين ومائتين وألف، وأخذ بها مع أبيه عن الشيخ عمر بن عبدالرسول، والشيخ محمد صالح الريس، والسيد علي بن محمد البيتي المدني، وغيرهم، وتوفي بمكة المكرمة سنة إحدى وثلاثين ومائتين وألف، رحمه الله ونفع به.

---

(١) أي: الجهة البحرية، وهي بالنسبة لحضرموت: الجنوبية.

(٢) رحم الله المؤلف، ولكنها إحالة على مفقود! فهذا الباب لم نجده في جميع النسخ التي وصلتنا.

[٣ـ الحبيب علوي بن عمر الحداد (١٢٤٠ـ١٢٦٦هـ)]

٣ـ وأما الثالث من أولاد الحبيب عمر: فهو الحبيبُ الإمام العارف بالله علوي المتقدم الذكر، العالي القدر، نور الدين، وبركة المسلمين، العالم العامل، جامع الفضائل والفواضل، ولد بقيدون لأربع وعشرين من ذي الحجة سنة أربعين ومائتين وألف، ونشأ بها في حجر أبيه الشيخ الكبير، وحل عليه نظره الأكسير.

حفظَ القرآن العظيم على السيد الجليل محمد بن أحمد باعقيل، وسعى إلى العليا بهمة علية، وطلب العلم الشريف بنهمة قوية، أتعبت جسمَه في طلب المعالي نفسُه الكبيرة، وهون عليه سهرَ الليالي نورُ البصيرة، كيف لا! وقد تمهد في عرش الولاية مهده، وأسس بنيانه على التقوى أبوه وجدُّه.

أخذ عن الحبيب العارف بالله محمد بن عبد الرحمن الحداد إبان إقامته بقيدون، وتفقه على الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، وابنه محمد، والشيخ أحمد بن سعيد باحنشل، والشيخ سعيد بن محمد باعشن، وغيرهم.

قال الشيخ عبد الله باسودان في إجازته له: «أما بعد؛ فقد حصلَ التردد والقراءة والمذاكرة والمجالسة، وكل ذلك مما يُرغب فيه ويستفاد، من الحبيب اللوذعي السالك سبيلَ سلفه الصفوة الأفراد، سيدي الحبيب العارف بالله علوي بن العارف بالله عمر بن أبي بكر الحداد علوي، زاده الله علما ومعرفة، ومن كل ما ينجيه ويفوز به يوم يقوم الأشهاد ..»، إلخ. وستأتي في الباب الرابع بكمالها كغيرها.

وأخذ أيضاً، عن الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، وعن الجد العارف بالله عيسى بن محمد الحبشي، وبينهما اتحاد كلي وممازجة تامة، واتصال كامل.

ورحل إلى وادي بن راشد مراتٍ، فأخذ به عن ساداتِ السادات، كسيدنا الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب حسن بن صالح البحر، والحبيب محمد بن أحمد الحبشي،

والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب الحسن بن الحسين الحداد، وغيرهم من شموس ذلك الواد، من أقطاب وأفراد.

[مكاتبة منه لشيخ الإمام ابن سميط]:

وبينه وبين الحبيب أحمد بن عمر بن سميط مكاتباتٌ، وجدتُ منها ما صورته:

«الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

تخصّ سيدي الحبيبَ نور الدين، الولد علوي بن الحبيب الفاضل الشجاع عمر بن أبي بكر الحداد، حفظه الله وتولاه، وأيده بالعلم واليقين كما أيد به سلفه المكين، في عافية آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

كتابكم الكريم المأنوس وصل، وبه الأنس التام حصل، وفهمنا ما شرحتم الجميع، الحمد لله على عافيتكم وطيب أحوالكم، مهنئاً بعَود العيد المبارك أعاده الله على الجميع بأحسن العوائد الجميلة، والهبات الجزيلة في خير ولطف وعافية، آمين.

والدعاء لكم مبذول، بحصول السول ونيل المأمول، ومنكم مسئول، وادعوا لنا كما إنا لكم داعون، ولا زلتم في حفظ الله وزَين رعايته وجميل كلاءته.

وسلموا على صنوِكم الولد طاهر بن عمر، حفظكم الله وبارك فيكم الجميع، وسلموا على من أردتم له منا السلام، كما هو لكم من الولد عمر وأولاده، وادعوا لهم الجميع، وسلموا على المحبين آل باراسين.

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

مستمد الدعاء الفقير إلى الله

أحمد بن عمر بن زين بن سميط، عفا الله عنه

محرر سلخ شهر شوال سنة أربع وخمسين ومائتين وألف». انتهى.

فلا يخفى ما اشتمل عليه هذا الكتاب من هذا الإمام الأواب، من التعطف والحنانة والتعظيم، الدال على عظم قدر المخاطب الكريم، مع أن سنه إذ ذاك أربعَ عشرة سنة! ولكن السيادة لأهل هذا البيت عادة، والشرف في أعناقهم قلادة.

ولله درّ الحبيب اللوذعي أبي بكر بن شهاب حيث يقولُ في وصفهم من قصيدةٍ رثى بها الحبيبَ الإمام علي بن حسن بن حسين الحداد، رضي الله عنهم:

وبرهطـه أعنـي بنـي الحـداد سـا	دات العبـاد شـموس ذاك الـوادي
الطيبـين الطـاهرين الراكعـ	ـين السـاجدين القـادة الأمجـاد
السـالكين بهـديهم قـدما عـلى	قـدم إلى قـدم الحبيـب الهـادي
الـوارثين عـن الرسـول علومـه	وعـن الخليفـة سـيد الزهـاد
وعن الشهيد بكر بـلاءَ ونجلـه الـ	أواه ذي الثفنـات والسـجاد
وعـن الأكـابر فالأكـابر والكـ	ـرام عـن الكـرام وكمـل الأجـداد
يروون ما لم يرو غـيرهم مـن الـسـ	ـر المـصون بـصحة الإسـناد
النـاظرون إلى العبـاد برأفـة	نظـر الحكـيم لـصالح الأولاد
رمت الشمائل طيب نـشر حـديثهم	يسري النـسيم بـه ويحـدو الحـادي
لا بيـتَ أسـبقُ للمكـارم والنـدى	مـن بيـتهم في حـاضرٍ أو بـادِ
يهتـز أطفـالهم اشـتياقاً للعـلا	والمجـد طبعـاً سـاعة المـيلاد
تـأبى نفوسـهم الأبيـة أن تـرى	حوامـةً في سـاحة الأوغـاد
بـالله عـزهم وطـه المـصطفى	ومقـام جـدِّهم الفـسيحِ النـادي
لا يركَنـون إلى ذوي مُلـكٍ ولا	برحُـوا قـذًى في أعـينِ الحـساد

فرضي الله عن من هذه الصفات صفاتهم،وهذه العادات عاداتهم،وصاحب الترجمة

من ساداتهم،وحاملي راياتهم،ما زال ساعياً في خير لقَم، متحلياً بحميد الخلائق والشيم.
كان الحبيب صالح بن عبد الله العطاس يقول: «من أراد أن ينظر إلى شباب الجنة فلينظر إلى علوي بن عمر».

ولما كان سنةُ ست وستين بتقديم السين على المثناة ومائتين وألف، سافر إلى الحرمين الشريفين، لأداء النسكين، وزيارة جده سيد الكونين ﷺ، فحج حجة الإسلام، وأكمل أعمال الحج، ووظائف العج والثج، ثم دعاه داعي الفضل والإنعام إلى دار المقام، ورفعته يد المنون إلى أجر غير ممنون، فتوفي بمكة المشرفة حميداً شهيداً، جديراً بأن تحف ملائكة الرحمن بنعشه، وأن يظله الله تحت ظل عرشه، وكانت للناس فيه آمالٌ حالت دونها إرادة ذي الجلال، ودفن بالمعلاة، رحمه الله ونفعنا به، وأعاد علينا من بركاته.

[ابنه: عبد الله بن علوي بن عمر الحداد (١٢٦٥ـ١٢٨١هـ)]:

وخلفه في سلوك السبيل الأقوم، بوضع القدم على القدم، ومن أشبه أباه فما ظلم، ولده الحبيب النجيب، الشريف العفيف، عبدالله بن علوي، ولد ببلد القرين، ليلة الاثنين لأربعة عشر خلت من ذي القعدة الحرام سنة خمس وستين ومئتين وألف.

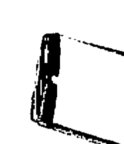
ونشأ نشأةً مباركةً، وتأدب بأخواله آل البار، معادن الأسرار، وحل عليه نظر عميه الحبيب عمر بن حسن، والحبيب طاهر بن عمر، فأخذ في طلب العلم بحظ وافر، وظهرت عليه من خلافته لأبيه بشائر، فلم تطل مدته، وتغشاه رضوان الله ورحمته، وتوفي سنة إحدى وثمانين ومائتين وألف، ألحقه الله بأسلافه، وجعله من خاصة أضيافه وإيانا في عافية، آمين، وقد انقرض بوفاته عقبُ أبيه، وكفاه من العقب من الطويل، ما خلفه من الثناء الجميل.

أخبرني الشيخ الصالح عمر بن سعيد العمودي، وهو من أقران الحبيب علوي، قال: «لما تزوج الحبيب علوي بن عمر، كانت الأرض مستتة، فليلة زفافه أغاث الله العباد،

وفاضت السيول في كل واد». قلت: وهذه عادة الله سبحانه مع أهل هذا البيت، فقد وقع لسيدي قدس سره مثل ذلك، وستأتي الحكاية مبسوطة في الباب الخامس[١].

وقد بُنيَ مشهدٌ باسم سيدنا الحبيب علوي بن عمر تحت قيدون، قبالةَ كريفها الشرقي، فوق الساقية إلى جهة نَجد، بنته امرأةٌ من آل العمودي صالحةٌ لرؤيا رأتها، تشتمل على رؤية صاحب الترجمة في ذلك المكان، فكل من وصلَ عند ذلك المشهد رتب فاتحة للحبيب علوي قدس سره، ولو لم يكن في بناء المشاهد إلا هذه الفائدة العظيمة، قال شيخنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس: «عادةُ السلف إذا ماتَ واحدٌ منهم بمكان بعيد يعملون له مشهدا يتذكرونه به ويتبركون به بزيارته». انتهى.

[فائدة: في ذكر إجازة ووصية للمترجم من الحبيب أحمد المحضار][٢]:



«الحمد لله الذي جعل الهداية، حقيقتُها الرعاية، ومن أجزلِ مواهبِه على العباد: مصنفات الحبيب الحداد، والمحتوية على الإرشاد، وطريق السالكين على ما في المراد.

والصلاة والسلام على إمام المجد، القائل: «آكلُ كما يأكلُ العبد، وأجلس كما يجلس العبد»، وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

وبعد؛ فإن الولد المبارك المحسوب في الأعداد، سليل نجوم العباد وأوتاد البلاد، عبدالله بن المرحوم الحبيب علوي بن سيدنا قطب الإرشاد عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي بن الحبيب عبدالله الحداد، قوّى الله عزائمه، وأعلى مراحمه، وجعله إمام القطر وعالمه، وجعل الطاعات مغانمه ومواسمه، طلب بحسن ظنه وصفا عقيدته، ترتيبَ أنواع

---

(١) وهذا الباب أيضاً مما لم نجده فيما بين أيدينا من نسخ.

(٢) هذه الإجازة والوصية أوردها المصنف رحمه الله ضمن الباب الثامن، في موضع غير مناسب، ولعله أراد حفظها وتقييدها ثم إدراجها في موضع مناسب، فلم يتأت له ذلك رحمه الله، فارتأينا أن نضعها في هذا الموضع لمناسبتها له.

العبادة حتى يتصل بأهل السعادة، وكتب أسلافه وما فيها، قد جمعت ظاهرها وخافيها، ولم تزل العلماء قديماً وحديثاً، يستمد منها مدققاً وحثيثاً، وكلنا فروع تلك الغروس، المتصلة بالسقاف والحداد والبار والعيدروس.

ولما شمّ الحقير من روائح أنفاس هذا الولد البار، تكرير الطلب للإجازة من عمه أحمد المحضار، مع ثبوته في الترتيب، والتوظيب وحسن التركيب في الموطن العجيب، ومكان الحبيب ومرافقه كل عبد منيب.

فمن جملة ما تلقاه الحقيرُ من الأذكار التي فيها مضاعفةُ الأجور، من الحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف نفع الله به في الدارين:

«الحمد لله رب العالمين» (ثلاثاً).

«اللهم صل على محمد وآله وسلم» (ثلاثاً).

«حسبنا الله ونعم الوكيل» (ثلاثاً). «وأفوض أمري إلى الله إن الله بصير بالعباد».

و«لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين» (ثلاثاً).

«رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري» (ثلاثاً).

«رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير» (ثلاثاً).

«رب اغفر وارحم وأنت خير الراحمين» (ثلاثاً).

«سبحان الله العظيم، ولا إله إلا الله اللهم ثبت علمها في قلبي واغفر لي بها ذنبي واغفر للمؤمنين والمؤمنات وقل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى». والله تعالى المسئول أن يجعلك من أهل الاصطفاء. وأما «أورادُ سيدنا الحبيب عبدالله الحداد»: فسندنا فيها ينتهي إلى جدك عمر بن أبي بكر الحداد، وفي جاهه تفيضُ الأمداد، وكثيراً ما يجيزُ بترتيب الفاتحة على ما ذكر الغزالي.

وادع لي ولعيالي، وأنت إن شاء الله على بالي، وثوبي من التقوى بالي، وأستغفر الله من أقوالي وأفعالي، وكان حصولُ المقصود مع الغروب، ذاكرْنا فيها الشيخ محمد، وقال بايصعد، والسلام، وسلّم على من لديك من الأهل والإخوان الجميع.

وحرر سلخ رمضان المكرم سنة ...١٢[١]هـ». انتهى.

* * *

(١) كذا بالأصل، من غير إكمال للسنة.

الفصل الرابع

في الإشارة إلى ذكر والدته رضي الله عنهما[1]

وهي الشريفة المصونة، والجوهرة المكنونة، العفيفة المنيفة، رابعة زمانها، والمتبتلة إلى الله في سرها وإعلانها: الحبابةُ فاطمة بنت الحبيب العارف بالله أحمد بن أحمد بن علي بن حسين بن أبي بكر بن حسين بن عبد الله بن محمد بافقيه بن علي بن أحمد بن عبد الله (الأعين النساخ) بن الإمام محمد (نزيل عيديد) الفقيه الأورع بن علي بن محمد بن عبد الله بن الفقيه أحمد بن عبد الرحمن.

وفي سبط الفقيه أحمد المذكور، والقطب المشهور، يجتمع نسبُ سيدنا الحبيب رضي الله عنه من الأبوين، وقد تقدم رفعه إلى سيد الكونين ﷺ فلا نعيده.

كانت رضي الله عنها من الضنائن والبقايا، وكم في الزوايا من خبايا، كان سيدنا القطب أحمد بن محمد المحضار يسميها رابعةَ، ويشير إليها بالصلاح والولاية، ويكثر زيارتها ويستمد دعاءها، وإذا أتى إلى بيتها ولم يجدها يسألُ عنها: في أي مكان؟ ويذهب إلى المكان الذي هي فيه، وكان كثيراً ما يقول لها: «كبار اللحى يدورون لي، وأنا أدور لك».

وكان سيدنا الحبيبُ العارف بالله أحمد بن الحسن العطاس يحترمُها ويشير إليها بالصلاح. أخبرني سيدي الأخُ علوي بن طاهر قال: «كنت نائماً في بيت الحبيب أحمد بن

---

(١) ب: عنه وعنها.

الحسن، فرأيت الحبابة فاطمة، فأخبرت الحبيب أحمد، فقال: إنها صالحة، لعل روحها أتت إلى هنا طائفة»، أو ما هذا معناه.

وكانت محرَماً لسيدي الحبيب أحمد العطاس المذكور، لأنه تزوجَ علوية بنت سيدي الحبيب رضي الله عنهما وهي صغيرةٌ، عقد عليها لتحقيقِ الصهارة، وفارقها صغيرة، وهي أم ولدي المرحوم حامد بن عبد الله، كما يأتي بسط ذلك عند ذكرها رحمها الله. وكان سيدنا الحبيب طاهر بن عمر يحترمُ صاحبةَ الترجمة ويثني عليها كثيراً، وكان سيدنا الحبيبُ كثيراً ما يقول: «الوالدة من الصالحات».

لم تزل رضي الله عنها ملازمةً للعبادة، وسالكةً سبيل السعادة، من كثرة الذكر والصيام والقيام، والدعوة إلى ذلك بالحال والمقال، تجمع النساء وتعظهن وتعلمهن ما يجب عليهن تعلمه من العلم، ولها بذلك معرفة بالتلقي من أبيها وابنها، وكانت كثيرة السؤال عن ذلك، وتزور بالنساء المشاهد والمآثر، مع الستر وما يلزم الاعتناء به. وكانت حسنة الأخلاق كثيرة الإنفاق، لها في فعل الخيرات الأيادي الطويلة، والفعائل الجميلة، وإلى جودها وكرَمها أشارَ سيدُنا القطب المحضارُ، بقوله في بعض قصائده اللاتي يمدح بها سيدي الحبيب رضي الله عنهم، شعرا:

أبوه كريمٌ وأمهُ الكريمةُ مَنْ ... جَاءَ إليهم جائعاً جوفُه يملأْ

وبقوله في القصيدة الأخرى:

أبوك طاهر، وطاهر طـاهر القـدَمين ... والأمّ مـا مثلهـا مـسعودةُ الطـرفَين

تعـزم ومعزومُهـا يمـلي لهـا جفنتـين ... جدّك حمد بن علي سيلُه كسَيل البطَين

خرجت من بيـنهم يـادرة المـسعدين

وقال لها الحبيب المحضار: ما تصنعين بالضيفان الذين يقصدونك مع كثرتهم؟

فقالت: معي طستٌ أطبخُ فيها الطعام، فإذا نضجَ قرأت عليه آية الكرسي ثم غرفته، فيكفي بعد ذلك مَن عندي ولو كثُروا، فطلبَ منها الإجازة بالآية المذكورة. وهذه منقبة لها عظيمة حيث استجازها هذا الإمام.

وكانت رضي الله عنها قارئةً لكتاب الله، ولها أخلاق حسنة وبشاشة عظيمة، وصبر على مداراة الناس، ومصائب الزمان وحوادثه، ولها جاه وقبول عند الخاص والعام، ولها دعوات مستجابة. وحجَّ بها ولدُها سيدي الحبيب رضي الله عنه معه لما حجّ كما سيأتي. أخبرني الشيخ علي بن عمر باصبرين، وكان ممن حجَّ مع سيدي: أن بعض صلحاء المغاربة الذين حجوا تلك السنة سألَ عن صاحبةِ الترجمة، وأرسل لها سلاماً، فقيل له: ومن عرفك بها؟ فقال: أعرفها وأنا في الغرب!

ولما توفي سيدي قدس سره وبلغَها خبرُ وفاته، ظهر عليها من الثبات والاستسلام لنوازل الأقدار ما شهد لها بقوة الإيمان وكمال اليقين والاطمئنان، وبرود الجأش على ما شاء الله كان، وبعد ثلاثة أيام من وصول خبر وفاته طلبتِ الطيبَ وشمته، قائلة: «**لا يحل لامرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تحدَّ على ميتٍ أكثر من ثلاثة أيام، إلا على زوج أربعة أشهر وعشراً**»، فعلت ذلك امتثالاً لأمر الشارع، وإظهاراً للرضا بقضاء الله، وتعليماً للنساء اللاتي تعدَّين الحدود في الإحداد في هذا الزمان، الذي عم فيه الجهل والفساد.

وكانت رحمها الله ذات صفح وعفوٍ، إذا بلغها عن أحد ما تكره تقول له: «بعفو الله، سامحه الله»، وكانت ذات خشية وخوف وخشوع، قال سيدي الأخ علوي حفظه الله: «ابتدأت أقرأ عليها سورة قاف وأفسرها لها، فصارت تبكي بكاءً كثيراً، حتى أشفقتُ عليها وقطعتُ القراءة ولم أكمل السورة».

وكانت لها مرائي صالحة، رأت الحقَّ جل جلاله يأمرُها بقراءة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾. ورأت أنها دخلت الجنة ووصفتها كما هي

موصوفة في الأحاديث الشريفة، وسألت عن منازل رأتها فقيل لها هي للشريفة فلانة فتوفيت الشريفة المذكورة بعد أيام وأرادت أن تجلس هي فيها فقيل لها لم يأت وقت جلوسك هنا فعاشت بعد ذلك مدةً طويلة.

وكان لها كراماتٌ وكشوفات، ودعوات مستجابات؛ منها: أنها كانت تخبر بالجنين في بطن المرأة ذكراً أم أنثى، ويكون الأمرُ كما أخبرت. وآذاها بعضُ البادية بكلام من جهة الجذْفِرة، وكان ظلوماً غشوماً قد قتل نفساً بغير حق، فدعت عليه بالقتلِ، فما دار عليه الأسبوعُ إلا وقد قتل شرَّ قتلة.

ومن دعواتها المستجابة: أنها كانت كثيراً ما تقول: «اللهم لا تمتني حتى تصلح الجدفرة، وتقضي دين محمد بن طاهر»، فكان من غريب الاتفاق: أنها توفيت بعدَ قضاء الدَّين بشهرين! وذلك: أن الجدفرة المذكورة هي جِذْفِرَة الزّنجي الآتي ذكرها، المعروفة تحت بلد صبيخ من الوادي الأيسر، وتمام عمارتها من أعظم مناقب صاحبة الترجمة.

وذلك: أنها بعد وفاة سيدي الحبيب قدس سره ألقي في رُوعِها أن لا سبيل إلى وفاء دينه إلا صلاحُ الجدفرة المذكورة، فقامت في إتمام عمارتها وتجشّمت المشقة في ذلك، وتحولت لذلك إلى بلد (صُبَيَخ) وأقامت بها عدة أشهر حتى وفت بما شرطه سيدي الحبيب لأهل صبيخ، من ورود الماءِ من الوادي إلى الجدفِرة، لأنه شرط عليهم أنه متى ورد الماء فباقي عمارة الساقية والجدفرة عليهم، ولهم الفخِذُ، فطالبتهم رحمها الله بالقيام بما التزموه من القيام بباقي العمارة، فلم يقوموا وتوانوا بل أعرضوا عن ذلك، وكررت لهم المطالبة فلم يجيبوا داعيها.

ففوضتِ الأمرَ إلى الله ثم استعانت في إتمام العمارة بالوالي المكرم عمر بن أحمد باصرة، نائب القعيطي على دوعن، ورئيس الخامعه القبيلة المعروفة من سيبان، وصدَرت له الإشارة بالقيام في العمارة من سيدنا ومولانا بهجة الزمن ونور الأغلاس، الحبيبِ أحمد بن

الحسن العطاس، فامتثل المقدَّم المذكور الإشارة، وصاح له بالجماله شاوش البشارة، وهيأت له الأقدار الاستيلاء على بلد صبيخ بغير حَربٍ، وذلك في آخر ذي الحجة سنة ستة وعشرين وثلاثمائة وألف، فقام في إكمال العمارة بحاله وماله، ولسانه وسنانه، وجده وجنده.

وكان قد طمع بعضُ المخذولين بعد وفاة سيدي الحبيب قدس سره في خراب العمارة، فأسخن الله عيونهم وخيب ظنونهم، وأدحض حجتهم وأسكت نامتهم، واستجاب الله الدعوة المستجابة لهذه الحبابة.

ولما كملت العمارة وذلك في شوال سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف، أمر الوالي المذكور أن ينادَى بالطبل في جميع بلدان دوعن: بأن من كان له دَينٌ عند الحبيب محمد بن طاهر فليحضُر إلى بلد صُبيَخ، فحضر أهل الدَّين، وحضر الوالي المذكور والحاضرون من أولادِ سيدي الحبيب قدس سره وإخوانِه، وملَّكوا أهل الدَّين في الجدفرة بقدر ديونهم.

وابتدأ المرض بصاحبة الترجمة عقبَ ذلك، وبقيت مريضة صابرة محتسبة، وختمت أعمالها الصالحة بعتق عبدٍ وأمة وتزويجهما، ووقفت عشرين مطيرة من سهمها في الجدفرة المذكورة على رباط العلم الشريف بقيدون، الذي ما زالت منذ ابتدأتُ في عمارته فرحةً مسرورةً به، محبةً في الخير وفرَحاً بصدق ما عزم عليه سيدي الحبيب قدس سره ووعد به من صلاحه، وكانت وفاتها في أشرف يومٍ طلعت فيه الشمس، يوم الجمعة، ويوم الحج الأكبر يوم التاسع من ذي الحجة سنة إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف، ببلد القرين، ودفنت بها قريباً من قبة الحبيب عمر بن عبدالرحمن البار، رحمها الله رحمة الأبرار، وأعاد علينا من بركتها في هذه الدار وفي تلك الدار، وما أحقها بقول القائل (شعراً):

ولــو كــنَّ النــساءُ كمــن ذَكَرْنــا	لفــضلتِ النــساءُ عــلى الرجــالِ
فلا التأنيثُ لاسمِ الشمس عيــبٌ	ولا التـــذكيرُ فخـــرٌ للهـــلالِ

وبالجملة؛ فمناقبها كثيرة وأحوالها شهيرة، ولو لم يكن لها من المناقب إلا أنها أنجبت بهذا السيد الكريم، الذي ملأ ذكره كل إقليم، لكفاها شرفاً وفخراً في الدنيا والأخرى.

[ذكر السيد أحمد المثنى بافقيه؛ والدها]:

وأما والدها؛ سيدنا شهاب الدين أحمد بن أحمد بن علي بافقيه، قدس سره، المشار إليه بقول الحبيب أحمد المحضار فيما تقدم:

* جدّك أحمدْ بن علي سيلُه كسيل البطَين *

فكان إماماً عظيماً، وسيداً كريماً، أخذ واتصل بجملة من أكابر البضعة العلوية، وأساطين الملة الحنيفية، وله بسيدنا الإمام عفيف الدين عبدالله بن عمر بن يحيى اتصال كامل، وكان معه في رحلته إلى جهة جاوه. ولما حصل التضييق على الحبيب عبد الله بن عمر المذكور من والي جاوه النصراني، وأحاط بالبيت الذي هو نازلٌ فيه نحو سبعةُ الآف نفر من جهة الوالي يريدون قبضه، لم يثبُت معه في تلك الأزمة الشديدة إلا الحبيب أحمد المذكور.

وله أخذٌ بمصر وبالحرمين الشريفين عن جملة من علماء الإسلام، وكان متعاطياً لأسباب التجارة، مع كمال الاحتياط والورع والبعد عن الهلع والجزع، وكان وصولاً للأرحام، مطعماً للطعام، مكثراً من البر والإنعام، وكان ذا شهامة وشجاعة وثبات في جميع أموره.

ومن عجيب ما اتفق له ببلده أنه طلع السَّوط ليحتطب ومعه حمار، كما هي عادة أهل تلك الجهة، فوجده بدويٌّ متسلح فظنه عبداً لكونه كان آدمَ اللون، فسولت له نفسه أن يأخذ هذا العبدَ أسيراً ويبيعه هو وحماره ويربح الثمن، ولم يدر المسكينُ أن الذي يراه من أُسْد العرين فلما أظهر لصاحب الترجمة مقصودَه عدًا عليه عدوةً هاشميةً مع كونه بلا سلاح، وأخذ البدويَّ وأوثقه بحبل كان معه، وربطَ يديه خلف ظهره، وجعل بندقه على

الحمار مع الحطب، وخرج به إلى البلد فكان ضُحكةً للخاص والعام، وعبرةً لأمثاله من اللئام، وصار يعتذر إلى صاحب الترجمة بأنه لم يعرفه، ويتملق إليه في أن يطلقه ويصرفه، فأطلق وثاقه نادماً على ما فرط من سوء أخلاقه.

وكانت وفاته في حدود سنة ١٢٧٧ ببندر جدة، ودفن بها، وسنُّ سيدي قدس سره أربع سنين.






الباب الثاني

ويشتمل على اثني عشر فصلاً؛ كما تقدم

الفصل الأول: في ذكر ما جاء من التنويه بشأنه، والتبشير به قبل وجوده لأهل زمانه.

الفصل الثاني: في ذكر مولده، وبداية أمره.

الفصل الثالث: في ذكر تأهله وأولاده، وما ناسب ذلك.

الفصل الرابع: في زياراته وتردداته إلى وادي ابن راشد، وغيره من المشاهد والمعابد.

الفصل الخامس: في ذكر حجه حجة الإسلام، وزيارته لجده عليه أفضل الصلاة والسلام.

الفصل السادس: في ذكر أسفاره وما وقع له فيها.

الفصل السابع: في ذكر المنقبة العظيمة رؤيته لجده الأعظم ﷺ يقظةً.

الفصل الثامن: في ذكر إجماع أهل عصره من السادة العلوية على تقديمه ونقابته.

الفصل التاسع: في ذكر شيء من ثناء مشايخه وأعيان عصره عليه.

الفصل العاشر: في ذكر بعض ما وصف به في المكاتبات مما هو حقيق به.

الفصل الحادي عشر: في ذكر بلوغه أعلى رتب الكمال وتحدثه بنعم مولاه ذي الجلال.

الفصل الثاني عشر: في ذكر وفاته ولحوقه بالرفيق الأعلى رضي الله عنه.

الفصل الأول

في ذكر ما جاء من التنويه بشأنه والتبشير بإظلال زمانه قبل وجوده

وإلى ذلك الإشارة بقول الحبيب العارف بالله حامد بن أحمد المحضار فيما يأتي، في وصفه لسيدي رضي الله عنهما: «المبشَّر به قبل الإيجاد»، وهذه أحد صفاته التي أشبه فيها سيدنا أبابكر بن عبدالله العيدروس العدني رضي الله عنهم.

فمن ذلك ما جاء على وجه العموم عن جده الأعظم ﷺ فيما رواه البيهقي وأبوداود عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مئة سنة من يجدد لها دينها**»، وقد ذكر العلماء رضي الله عنهم للمجدد المشار إليه في الحديث علاماتٍ يصدُق جميعُها على سيدي رضي الله عنه. فهو أحد المجددين على رأس المئة الثالثة عشر، وممن عم نفعهم وانتشر، وأشرق نورهم وظهر، وذلك مما لا يحتاج إلى بيان ولا يفتقر إلى برهان.

ومن ذلك قوله ﷺ: «**في كل قرن من أمتي سابقون**»، وقوله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين لا يضرهم من ناوأهم**»، وقوله ﷺ :«**في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي، ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين**»، إلى غير ذلك من الأخبار المبشرة بوجود الأخيار، ففي ضمن هذه الأحاديث تنويه بوجود سيدي وأمثاله من ذوي التقريب رضي الله عنهم ونفعنا بهم، فالحمد لله الذي لا تحصى مواهبه، ولا تنفد عجائبه، ولا تحصر له منن، ولا تختص بزمن دون زمن.

ومن البشارات العامة، ما جاء عن جده القطب الحداد رضي الله عنهما، مثل قوله: «لا يزال في هذه الأمة من يدعو إلى الله والى سبيله وإقامة دينه وحفظ أمره في كل زمان ومكان، وإن فسد الزمان وغلب الباطل، وتظاهر أهل البغي والعدوان، فإن الدين مؤيد بتأييد الله، وظاهر بإظهار الله عز وجل». ومثل قوله رضي الله عنه: «لا يخلو الزمان من أفاضل من آل أبي علوي حتى يخرج المهدي، إما خامل مستور أو ظاهر مشهور».

ومن البشارات العامة المخصِّصة لسيدي من بعض الوجوه، قول جده القطب المذكور في ديوانه «الدر المنظوم»، (شعراً):

مضى الصدق واهل الـصدق يـا سـعد قـد مضوا فلا تطلبن الصدق من أهل ذا الزمن

إلى آخر الأبيات.

وقوله رضي الله عنه:

يــا سَــعْدُ راحَ الوفــا وأهلُه وراحَ الجميــلْ

إلى آخرها، وما شاكلَ ذلك من الأبياتِ التي فيها النداءُ بـ«يا سعد».

سمعت سيدي ومولاي لسان الحكمة الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي نفع الله به يقول ما معناه: «في نداء الحبيب بهذا الاسم بشارةٌ بوجود ضناين من أهل الصدق والوفاء في كل زمان، يشملهم النداء ويتوجه إليهم الخطاب، لأن النداء يستدعي منادَى، والخطابَ يستدعي مخاطبا أهلاً لما خوطب به». انتهى.

ووجه تخصيصه بالبشارة بسيدي رضي الله عنه: إنك إذا حسبتَ ما لقوله «يا سعد» من العدد بحساب الجمّل الكبير، تجده مئة وخمسة وأربعين، وذلك مجموع قولك: «أيا محمد» إذا جعلت الميم المشددة بحرفين، وحسبته كذلك، فتأمله تجده واضحاً.

ويؤيد ذلك ما بين هذه الأبيات وما اشتملت عليه وبين حال سيدي رضي الله عنه من المناسبة، فإنه رضي الله عنه ممن جبلَهم الله على محبة الحق وطلبه وإقامته، وإظهاره وإشاعته، وكم رام المساعدة على ذلك من زمنه وأهله وكم طمع في الوفاء بذلك منهم والصدق فيه فلم يجد إلى ذلك سبيلاً، ولا بذلك كفيلاً، سوى آحاد يعدون بالأصابع، فاشتملت هذه الأبيات على التسلية له عما رامَ، والتعزية له فيما طمع. وقد كان والده الإمام كثيراً ما يقول: «همة محمد قوية، ونيته علوية، والزمان سفلي، ونيات أهله وهممهم سفلية»، أو ما هذا معناه.

ومن ذلك: قول جده القطب المذكور والعلَمِ المشهور: «أن الشيخ عبد القادر الجيلاني نُشر له بساط فجلس عليه ثم طوي ذلك البساط، إلى زمن الشيخ عبد الله العيدروس فنشر فجلس عليه ثم طوي، ثم نشر لنا فجلسنا عليه، ثم يطوى فلا يجلس عليه أحد إلا إن بقي من يستحيى منه». انتهى.

ووجه الإشارة من قوله: «إلا إن بقي من يستحيى منه»، قال سيدي رضي الله عنه بعد أن حكى ما ذُكر: «يقولون أن هذا البساط بُسطَ لواحدٍ قبل المهدي»، ويشير بذلك إلى نفسه، لأنه الذي بشر بذلك، كما سيأتي إيضاح ذلك والله أعلم.

ومن ذلك ما جاء عن جده القطب المذكور رضي الله عنهما، وذلك لما أصعد ولدُه الإمام الحبيب علوي إلى وادي دوعن المشهور لزيارة من به من أهل النور، ثم كتب لوالده من هناك يستأذنه في الإقامة بذلك الوادي، للقراءة على الشيخ عبدالله بن عثمان العمودي، فلما بلغه الكتاب قال: «يتخير علينا الولدُ علوي عبدَالله بنَ عثمان!»، فقال له ولده سيدنا الحسن: إنما قصد علوي الفراغ هناك، فقال الحبيب عبدالله رضي الله عنه: «علوي يحب دوعن، أعطيناه دوعن، وأنت يا حسن أعطيناك الشحر». انتهى.

ففيما ذكر إشارة وتلويحٌ، بل تصريح وتوضيح، بظهور سيدي رضي الله عنه في ذلك

الوادي، من وجهين: محبة الحبيب علوي لدوعن، وقول جده القطب الحبيب عبد الله رضي الله عنهم: «أعطيناه دوعن»، لأن سيدي من ذرية الحبيب علوي المذكور، ولم يسكن وادي دوعن من ذريته إلا جدُّ سيدي الأدنى: الحبيب عمر بن أبي بكر، مع التستر بأذيال الخمول، وذلك بعد المائتين والألف كما تقدم. ثم خلفَه الحبيب طاهر كذلك، حتى ظهر سيدي رضي الله عنه ونشرت أعلامه، وكان سلطان ذلك الوادي وإمامه، وكان مظهر محبةِ جدِّه لدوعن، وقول جده: «أعطيناه دوعن»، والله أعلم.

ومن التنويه بسيدي رضي الله عنه: ما جاء عن الشيخ الكبير عبد الله بن محمد بن عثمان العمودي الذَّماري، من أن الجدفرة المعروفة بجدفرة الزنجي المعروفة في الوادي الأيسر تُعمر آخِرَ الزمان سمعت سيدي رضي الله عنه يروي ذلك عن الشيخ المذكور، ففي ضمن ذلك تبشيرٌ بوجود سيدي رضي الله عنه، إذ لم تزل هذه الأرض خاربةً حتى أحياها سيدي رضي الله عنه، وقد حاول إحياءها كثيرٌ من أعيان الجهة وأمرائها، فلم يتم لهم ذلك.

وكان الابتداء في إحيائها في شوال سنة ثلاثَ عشرة وثلاثمائة وألف، وقد كملت الآن عمارتها ويسر الله ذلك على أحسن الوجوه كما تقدم. ويقال: إنها كانت عامرةً في الزمان السابق، ووجد سيدي رضي الله عنه خطوطاً بملكها مع آل عمر بن جعفر، واستوهبها منهم فوهبوها له، وكان يقول: إن كان أحد يريد محاكمتنا في الجدفرة إلى الشريعة حاكمناه عند من يريد، لأنا لم نقدُم على عمارتها إلا بوجه شرعي!.

ولما بلغه أن بعضَ الناس يريد معارضته في عمارتها تبسم، وحكى حكاية ملكِ الصين المشهورة مع ذي القرنين لما أراد حربه ومصالحته له على ما أراد، وقوله: «ما صالحتك من ضعف، ولا قلة مال ولا عساكر، ولكن رأيت الفلكَ الأعلى دائراً معك، ومن كان كذلك لا يقدر على مقاومته أحد»، والحكاية مشهورة في التواريخ.

ويشير سيدي بهذه الحكاية، إلى أن الفلكَ الأعلى، أي: السعد الإلهي والمعونة الربانية والسطوة الحقية دائرٌ معه، وإن المعترَض لا يقدر على مقاومته[1]، والأمر كذلك.

ومن الإشارات والبشارات بوجود سيدي رضي الله عنه: ما جاء عن الحبيب القطب علي بن حسن العطاس في أبياتٍ أرسلها للشيخ الكبير عمر بن عبدالقادر العمودي مرثياً بها الشيخ الكبير عبدالله بن عثمان العمودي المتوفى سنة .....[2] رضي الله عنهم، ومحل الإشارة منها قوله رضي الله عنه، (شعراً):

وانــدر إلى عقبــة بــلاد الــشيخ واعــبر ماهــا	قيدون ذي طابت وزانت والغدق في أحجالها
ذي دوبهــا بالــدين معمــورةٌ كــذا لا زالهــا	فيهــا صــنوف الخــير والنعمــة تجـر أذيالهـا

والإشارة في ذلك إلى سيدي رضي الله عنه من أربعة أوجه:

أحدها: أنك إذا حسبت ما لقوله (الغد ١٠٣٥)، (ق١٠٠)، (في أحجا ١٠٣)، (لها ٣٦)، من العدد بحساب الجمل الكبير تجده: ثلاثةً وسبعين ومئتين وألف، وذلك سنة وجود سيدي رضي الله عنه، وإيضاحُ ذلك: أن الغدَق الكثير، قال في «مختار الصحاح»: «الماء الغدق، بفتحتين: الكثير». انتهى.

و«الأَحْجَال» في عرف أهل دوعن: محارثُ البلد، ولم تكن محارث قيدون كثيرة الماء، بل هي من أقل بلاد الله مطراً، فيكون المراد: محارثُها المعنوية، كما يشير إليه قوله: «ذي دُوبها بالدين معمورة»، إلخ، ويكون المعنى: والخير الكثير مخبّأ لها في خبايا الغيب، ويظهر في سنة ثلاث وسبعين.

ويؤيد ذلك؛ **الوجهُ الثاني** من الإشارة إلى سيدي: وهو أنك إذا حسبت ما لقوله:

---

(١) ب: معارضته.

(٢) كذا بياض في كل النسخ.

«كذا لا زالها» من العدد، تجده: ستّةً وتسعين وسبعمائة، وهو مجموع قولك: «بدا العارف محمد بن طاهر الحداد».

ويؤيد ذلك الوجهُ الثالث أيضاً: وهو أنك إذا حسبت ما لقوله فيها: «صنوف الخير» من العدد، تجد: ألفاً ومائةً وثلاثةً وستين، وذلك مجموع قولك: «بدوّ العارف محمد بن طاهر بن عمر الحداد».

ويؤيد ذلك أيضاً **الوجهُ الرابع**: وهو أنك إذا حسبت ما لقوله :«والنعمة تجر أذيالها» من العدد، تجده: ألفاً وخمسمائةٍ وثلاثةً وخمسين، وذلك مجموع قولك: «لظهور الحبيب محمد بن طاهر»، فتأمل ذلك تجده واضحاً، والله أعلم.

ومن الإشارات والبشارات: ما جاء عن الشيخ العارف بالله، من كان في زمنه من أهل البيت كسلمان، عبدالله بن أحمد باسودان رضي الله عنه، وذلك قوله في بعض قصائده (شعراً):

يا أهلَ قيدون حُبكم   عندكم مطلعُ القمرْ

قال سيدنا العارف بالله الحبيب محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي نفع الله به: «القمر؛ هو سيدنا الحبيب محمد بن طاهر، ومطلعه هو والده النور الباهر». انتهى.

ويؤيد ذلك: أنك إذا حسبت ما لقوله: «مطلع القمر» من العدد، تجده خمسمائةً وعشرين، وذلك مجموع قولك: «الإمام محمد بن طاهر الحداد».

ويؤيده أيضاً: ما أخبرني به الشيخ الفقيه عبد الله بن عمر باجماح العمودي رحمه الله، عن خاله النَّوير عثمان بن محمد العمودي أنه قال: «رأيت ذات ليلة كأني في حضرة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي زائراً مع سيدي الحبيب طاهر بن عمر، وكأن القمرَ نزل من أعلى قبة الشيخ سعيد إلى تابوته، ثم من تابوته إلى حَبوة الحبيب طاهر رضي الله عنه، فلما أصبحتُ تأهبت للزيارة وذهبتُ إلى قيدون، فوجدت الحبيب طاهر رضي الله عنه في

المسجد فجلستُ معه وهممت أن أخبره بالرؤيا، فسبقني كشفاً منه، وقال: «خل الرؤيا إلى أن يأتي وقتها»، فزرت ورجعت إلى بلدي.

فلما كان بعد ذلك بسنةٍ جئتُ إلى قيدون زائراً ووجدتُ الحبيب طاهر في المسجد فجلست معه، فقال لي: «كيف الرؤيا التي رأيتها العام! فقد جاء حِلُّها الآن»، فقصصتها عليه، فقال: «وُلدَ لنا ولدٌ وسميناه محمد، وهو تعبير رؤياك». انتهى.

[الشيخ عثمان العمودي؛ مولى صبيخ (ت ١٣٢٢هـ)]:

ورويت مثلُ هذه الرؤيا عن الشيخ المكاشف عثمان بن محمد العمودي مولى صُبيخ، ولا مانع من تعدد الرؤيا للشيخين. **والشيخ عثمان** مولى صُبَيخ المذكورُ: كان من أهل الصلاح والاستقامة والكشف، وله مباسطاتٌ مع الحبيب طاهر رضي الله عنه. منها: أنه كان مع بعضِ زوجات الحبيب طاهر حمل، وأراد استخبار الشيخِ المذكور عنه: أذكر هو أم أنثى؟ فقال مخاطباً له (شعراً):

يالَـــحْمَدي إن عـادْ شيء   في الكيسْ عِسعِسْ وعِسْ

فأجابه الشيخ :

قِدْها في الكَون تجري والـسَّماء تَنـدِوِسْ

عَرِّبْ حُجُولك وبا تقبلْ علـيكم تِـرِسّ

بـــالعزّ والجـاهِ والرحـــة بهـــا نلتـــبِسْ

فأشار إلى أن الحملَ أنثى، فكان الأمر كذلك.

توفي الشيخُ المذكور لثلاث وعشرين خلت من ذي الحجة سنة اثنتين وعشرين وثلاثمائة وألف، ببلده صُبَيخ رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

وجوهرةُ عقدِ البشارات بوجوده، والإشارات إلى طلوع نجم سعوده: ما رواه الحبيبُ القطب الجامع أبوبكر بن عبدالله العطاس، والحبيب العارف بالله محمد بن صالح العطاس، عن الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس، أنه قال: «كَثُرتِ الخيراتُ، ودرّت البركات، بولدٍ لطاهر بن عمر، مولود[1] يملأ نوره الأرض والسماء». انتهى.

ومنها: أن سيدنا الحبيبَ طاهر استأذن الحبيبَ صالح بن عبدالله المذكور في السفر إلى الهند، فلم يأذن له، وقال له: «الهند سيأتي إلى عندك»، فلم يعرف معنى ذلك! حتى نشأ سيدي رضي الله عنه وكفَى والده، حتى كأنه في الهند من جهة الأمور الظاهرة، قال سيدنا العارف بالله عمر بن حسن الحداد ما معناه: «إن الولد محمد بسفره كفَى والدَه، وحصلت منه منافعٌ، وهكذا ينبغي لطالب العلم أن يستغني عن الناس». انتهى. ويشير بقوله: «ينبغي لطالب العلم» إلى آخره: إلى دخولِ سيدي قدس سره في الأسبابِ في بدايته مع عدم الاشتغال بها والاستغراق فيها عما هو الشأن، كما هو شأن أهل الكمال من أولي العرفان.

وأما الشيخُ العارف المكاشف عمر بن عبدالله بامخرمة، فقد كثُرَ في ديوانه النداء بـ«يا محمد»، ولا يبعدُ أن يكون سيدي قدس سره معنيًّا ببعضها، لاسيما قوله:

❋ يا محمد لقينا الصَّبر فيه الفوائدْ ❋

لأنها مناسبةٌ لحالِ سيدي قدس سره من بعض الوجوه، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

---

(١) ب: يولد.

الفصل الثاني

في ذكر مولده رضي الله عنه وبداية أمره وما ناسب ذلك

كان مولده رضي الله عنه بقيدون، ذات السر المكنون، ليلة الاثنين، في أول وقت العشاء، لخمسة عشر خلت من ذي الحجة الحرام سنة ثلاث وسبعين ـ بتقديم السين على الموحدة ـ ومائتين وألف، بعد أن تواترت بوجوده البشائر. وكان والده سيدنا الحبيب طاهر قُدس سرُّهما ليلة وجوده بوادي عمد، فرأى تلك الليلة جدَّه الأعظم ﷺ يقول له: «ولد لك الليلة ولد واسمه محمد الطاهر، وشيبة الحمد»، فلما أصبح أتاه البشير بطلوع ذلك البدر المنير، فقال للبشير قبل أن يخبره: «وفد لنا ولد؟»، فقال له: نعم! ومن الذي سبقني بالخبر؟، فقال: «لا أحد، وإنما قد بشرنا به الحبيب المصطفى ﷺ». وكان من نية سيدنا الحبيب طاهر: أنه إذا ولد له ولد ذكر أن يسميه باسم أبيه عمر، فرجع عما كان ناوياً له، وسماه بالمسمّى به من حضرة الرسالة.

وفي ذي القعدة من سنة وجود سيدي الحبيب، توفي الحبيبُ القطب الحسن بن صالح البحر، فكان وجوده جبراً لذلك الكسر، وكان من عناية مولاه: أنه ما صاح عند وجوده حفظاً ربانياً، وإرثاً عيسوياً، فقد وردَ عن الحبيب العظيم، عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، أنه قال: «**ما من مولودٍ يولد إلا وينخسه الشيطان لعنه الله فيستهل صارخاً من نخسته إلا سيدنا عيسى وأمه عليهما السلام، لقول أمها: إني أعيذها بك**

وذريتها من الشيطان الرجيم»[١]. ومن أين يكون للشيطان وجود في هذا المكان والله سبحانه يقول إن عبادي ليس لك عليهم سلطان مع ما ورد أنه ﷺ دعَا لسيدنا علي وسيدتنا فاطمة عليهما السلام بما دعت به أمُّ مريم ليلة الزفاف، فلا شك ولا ارتياب أن الواقع هنا من آثار ذلك الدعاء المستجاب، وأن في ذلك لآيات لأولي الألباب. ووجدوا في رأسه شعرةً بيضاء؛ ولعل الحبيبَ ﷺ أشار إليها في تلقيبه بشيبة الحمد في الرؤيا المتقدمة، وإلى كثرة حمد الناس له، وهذه منقبة عظيمة.

ونشأ قدس سره نشأة أمثاله ممن رعتهم الرعاية وحرستهم العناية، في حجر أبيه الشيخ الكبير والعلم المنير، ولما بلغ سبعاً أو ثماني سنين وجدَه شيخُه[٢] القطب المكين الحبيب أبوبكر بن عبدالله العطاس عند قبة الشيخ الكبير سعيد بن عيسى عمود الدين وهو يلعب مع الصبيان، فمسحَ بيده على رأسه، وأشعل فتيلته من نبراسه، وحكى لولده العارف بالله الحبيب سالم ما تقدم ذكرُه في البشارة به عن الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، ثم لم يزل يصفُ له ما يبلغه من المقامات والأحوال، وأنه يرث حال الجيلاني والعيدروس والحداد سادات الرجال، إلى أن كان آخر ما قال: «**وبالجملة**؛ فله زمان يا بخت من حضر زمانه».

ولما بلغ قدس سره سنَّ التمييز، حفظ القرآن العزيز، في ستة أشهر على السيد الجليل الحسن بن عبدالله بن علوي باعقيل، وسأذكره إن شاء الله في الباب الثامن قياماً بحقه. وسمعتُ سيدي قدس سره يقول: «كنتُ أيام تحفّظي للقرآن أتحفظُ في «الإرشاد»

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦) ولفظه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَالَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ يُولَدُ إِلاَّ نَخَسَهُ الشَّيْطَانُ فَيَسْتَهِلُّ صَارِخًا مِنْ نَخْسَةِ الشَّيْطَانِ إِلاَّ ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ». ثُمَّ قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]. وأخرجه أحمد في مسنده (٢/ ٢٣٣، و٢/ ٢٧٤)، وابن أبي شيبة (١٦/ ٣٤٣، رقم ٣٢١٤٦).

(٢) ب: الشيخ.

لابن المقري، و«ألفية ابن مالك»، من غير أن أُطلعَ والدي على ذلك خوفاً من أن يمنعَني من حفظهما حتى أتمَّ حفظ القرآن، وأنا حريصٌ على حفظهما». فأما «ألفية ابن مالك» فأكملَ حفظها وأما «الإرشاد» فأظنه حفظَ منه ربعَ العبادات فقط كجده القطب الحداد. وجبله الله من صِغره على مكارم ومحاسن الأفعال، وكان والده قدس سرهما كثيراً ما يقول: «محمد ما أتعبني في تربيته».

وقرأ قدس سره جملةً من المختصرات الفقهية والنحوية على والده الإمام، وعلى الحبيب العارف بالله عيسى بن محمد الحبشي، والحبيب العلامة أحمد بن عبد الله باعقيل، والشيخ العلامة أحمد بن سعيد العمودي، والشيخ العلامة عبدالله بن أبي بكر باراسين، منها: «مختصر أبي فضل»، و«منهاج النووي»، و«شرح ابن عقيل على الألفية»، وغير ذلك.

ثم لما نقل والدُه الشيخَ العلامة عمر بن عثمان باعثمان إلى قيدون كما تقدم، قرأ عليه جملةً صالحةً من الفقه، سمعت سيدي الحبيب قدس سره يقول :«إن الشيخ عمر باعثمان أيام كنا نقرأ عنده في «التحفة» يتعجب من فهمي ويغتبط به، وكثيراً ما يقول: استفدت منك يا حبيب محمد أكثر مما أفدتك». وسيأتي ذكر السيدين المذكورين في الباب الثامن إن شاء الله. وقد أخذ عنه الشيخانِ المذكوران آخراً، وتلك إحدى علامات كمالِ وراثته لجده القطب الحداد حيث أخذ عنه بعض مشايخه.

وكان شأنُه قدس سره التجملُ في صباه، وإظهار النعم، فكان يلبس الملابس الفاخرة، حتى أن من رآه على تلك الحالة ولم يتحقّق حاله لا يظن أن علومَه إلا وهبية، وليس الأمر كذلك، بل حيازته لذلك من جهتين، وقدحه المعلى في العلمين، وخيله المصلِّي في الحلبتين.

سمعته قدس سره يقول وقد ذكر حالته في صباه: «دخلتُ ذات يوم على الحبيب أحمد بن عبد الله البار وأنا لابسٌ جبةً فاخرةً ولها عثاكيل، فلما هويتُ لأصافحه، نظرَ

العثاكيل، فتبسم وضربَ بيده بين كتفيّ، وقال: وأين عادك يا حبيب محمد». انتهى. ولعل ذلك إشارةٌ إلى أن سيدي يترقى ويعرض عن تلك الملابس اختياراً.

وأخبرني الحبيبُ محمد بن أحمد بن عبد الله البار، قال: «أقبل الحبيب محمد ذات يوم إلى عند سيدي الوالد، وكان لابساً لباساً فاخراً، ومتنعلاً بخفين، فلما بدا في باب المنزل الذي فيه الوالد، قام إجلالاً له، فبقي الحبيب محمد عند الباب يخلع الخفين، وسيدي الوالد قائمٌ ويتبسم، ويقول: اسحب محزم يا حبيب محمد، اسحب محزم يا حبيب محمد». انتهى. و«المحزم»: آلةٌ معروفة من آلات الحراثة، وهذا مثل يضرب عند أهل هذه الجهات بمعنى: اصنع ما شئت فلا اعتراضَ عليك.

وذلك إشارة من الحبيب أحمد قدس سره إلى علو مقام سيدي قدس سره ورفعة مكانه، وأنه من المحبوبين المشار إليهم بقول الإمام زيد بن أسلم رضي الله عنه: «إن الله عز وجل ليحب العبد حتى يبلغ من محبته أن يقول له: اصنع ما شئت فقد غفرتُ لك»، ويقول العارف بالله أبو الحسن الشاذلي قدس سره: «يبلغ الولي مبلغا يقال له: أصحبناك السلامة، ورفعنا عنك الملامة، فاصنع ما شئت»، والى هذا المقام الإشارة بقوله ﷺ: «اطلع الله على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، الحديث، والله أعلم.

ثم إن سيدي قدس سره أخذ من كل علم ما نال به منه مراده، مع ما وهبه الله من الفهم الثاقب والقريحة الوقادة، فأدرك في أقرب زمنٍ ما سبق به أقرانه وأنداده، وأظهر بينهم شأنه ورفع عماده، وما أنسب الحال بقول من قال:

من لي بمثلِ سـيرك المـدلَّلِ   تمشي رُويداً وتجي في الأولِ

كان قدِّس سره إذا طالع كتاباً في أي علمٍ كانَ عرف المقصود منه منطوقاً ومفهوماً بمجرد المطالعة، وتردد كثيراً إلى الوادي الأيمن، وأخذ به أخْذاً تاماً عن إمام الأبرار الحبيب أحمد المحضار، وعن عيبة الأسرار الحبيب أحمد بن عبد الله البار، وعن خلاصة

الزهاد الحبيب عمر بن حسن الحداد، وغيرهم. وهؤلاء الثلاثة أعظم مشايخه اعتناءً به وملاحظةً له من صغره.

أخبرني الحبيب محمد بن عبدالله بن محمد البار قال: «لما ابتدأ الحبيب محمد قدس سره يقرأ في علوم الآلة، قال: وهي إلا هكذا؟ يعني: أنها ليست بعيدة المرتقَى، ولا صعبة المنال، كما يقول الناس!.

وأخبرني الحبيب المذكور: «أن المشكلاتِ في مدرس الحبيب أحمد بن عبد الله البار كانت تؤخَّر إلى حضور سيدي قدس سره إذا لم يحضر، وإذا كان حاضراً يكون هو الذي يحلها». انتهى.

ومن مقروآته على الحبيب أحمد المذكور: «فتح الوهاب»، و«المنهاج»، و«عوارف المعارف» وغيرها، و«شرح ابن عقيل على الألفية»، إلى ما سمعه منه وعليه مما لا يحصَى، وقال الحبيب العارف بالله محمد بن أحمد المحضار: «ما كان الحبيب أحمد البار يقرِّر للحبيب محمد لما كان يقرأ عليه في الفقه، لوضوح المعاني لديه، إلا إذا سأله عن شيءٍ أجابه عما سألَ وهو يتبسّم، يظهَر من تبسّمه إشارتُه إلى معنى: «**ما المسؤول بأعلم من السائل**». **قلتُ:** ولعل ذلك اختيارٌ من الحبيب أحمد ليظهِر فضلَ سيدي للحاضرين.

وأخبرني الحبيب محمد بن أحمد البار: «أن والده قدس سره كان يقولُ لسيدي الإمام الجهبذ الحسين بن محمد البار، إذا تراجع هو وسيدي في بعض المسائل: يا حسين؛ أنت حسين! ولكن انظر، قدامَك الحبيب محمد».

وأخبرني الحبيب المذكور: أن سيدي والحبيب حسيناً المذكور كثيراً ما يتباحثان في المسائل، حتى إن رآهما أحد من العامة يظنهم يختصمانِ، وقد قال بعضُ العامة ذات يوم: الحقُوا الحبيب محمد والحبيب حسين فإنهما يختصمان في جَناح المسجد. انتهى.

ولا يتوهم متوهّم أن المراجعة المذكورة بين الحبيبين المذكورين من حيّز المجادلات

المذمومة المشوبة بالأهواء والحظوظ النفسانية، فمقامهما يجل عن ذلك، وحاشاهما الله منه، بل مراجعةٌ لائقة بأمثالهما، كما جاء ذلك عن كثير من السلف لإظهار الصواب وكشف النقاب.

وقال الشيخ العلامة محمد بن محمد بلخير: «من لم يذاكر الحبيبَ محمداً ـ يعني سيدي قدس سره ـ في العلوم الغريبة في الجهات الحضرمية، مثل: المنطق والمعاني والبيان ونحوها، لا يظنه يعرفها، وهو له بها المعرفة التامة». انتهى.

ثم إن سيدي لم يزل متفيئا في ظل حدائق العلوم الوارف، مقتطفاً بأنامل فهمه الثاقب أزهار العوارفِ والمعارف، ماشياً على خير قدم، ساعيا في خير لقم يتلقى العلم عن كل علَم، ويردُ من موارده على كل يَمّ، وطير سعده مغرد، ولسان حاله منشد:

طابْ لي طابْ لي سلسالُه العذب الاعذَبْ　　　نـادموني سـقاتُه بـه وانـا في الـصَّبا العـبْ

قربَـــوني وســـمّوني هنـــاكَ المقـــرّبْ

مع ما وهبه الله من حسن الأدب، المستمد من معدن: «**أدبني ربي فأحسن تأديبي**»، وثبات الجنان وعلو الهمة التي عجز عن حملها الزمان، والإرادةُ الأزلية إلى الحضرات العندية تناديه، والعناية الربانية إلى تلك العوالم حاديه، والتوفيق الرباني دليله وهاديه:

وإذا العنايةُ لاحظتكَ عيونُها　　　نَـم فالمخَـاوفُ كلُّهـنَّ أمـانُ

أضاءت له الحقيقة، فسلك إلى عينها أقوم طريقة، وربط زمامَ سيرِه بالعروة الوثيقة، واستصبحَ بزيت البرقة المشيقة، انقشع عن عين قلبه الغين، فلم يقنعه الأثر عن العين، وأصغَى بأذُنَي الفؤاد، إلى قول جدّه القطب الحداد:

لا تقـنعنَّ بـدونِ العـينِ منزلـةً　　　فالخبُّ من يكتفي بالظلِّ والأثَرِ

فأسرع وأجاب، وامتثل أمر الناطق بالصواب، وأحسن قرع الباب، واستخرج من كنانة عزمه سهماً ماض، رمى به عن قوس اجتهاده هدف الأغراض، وسل من غمد السجية سيفاً سَنِين، واتزر وارتدى بالصدق المبين، وكان كما أخبر عن نفسه بقوله:

فقلبي لهُ دونَ القلـوبِ توجُّـهٌ   قريبٌ بعيدٌ راجيـاً نيـلَ منحَـةِ

قريب من كل سبب من أسباب الوصول، بعيد عن كل قاطع وعائق يحول دون ذلك المأمول:

وجدَّ إلى مولاهُ في السَّير فانزوَتْ   بهمتهِ العلياءُ من دونِـه الحجْـبُ

علم أن لا وصول إلى ما طلب، ولا حصول على ما قصد، إلا بصلاح المضغة التي إذا صلُحت صلُح لها سائر الجسد، فجد في ذلك واجتهد، حتى قال مشيراً إلى بعض ما كابده في ذلك وعاناه: «ضبطت خواطري، وأجريت كل خاطر في مجراه».

وكلمته هذه لها أسرارٌ ومعان عديدة، ولها أغوار بعيدة، يعرفها العلماء الربانيون، الذين لأنفاسهم مراقبون، المطلعون على صفات القلوب، والمكاشفون بأسرار الغيوب، قال مولانا مجمع الكمالات وسيد السادات الحبيب علي بن محمد الحبشي أعاد الله علينا من بركته وقد ذكر سيدي قدس سره يوما: «أين مثله؟ يا ليت من تعلقت همته بشيء جدَّ في طلبه، فضيلة! قصَرَ العُمر؛ وإلا لو للناس بختْ عادُه تمتّع لأنه غلام الساعتين»، وقال: «فيه[1] الذكاء والتعلق وعاده صغير، قد أرسل لنا مديحةً ومكاتبةً قبل البلوغ». انتهى.

وهذه المديحة المشارُ إليها أوردتها هنا ليُعلمَ ما كان عليه سيدي قدس سره في صباه، من التعلق بالله وبأهل الله، حتى بلغ مناه، وأدرك من العز غايته ومن الشرف أقصاه، قال رضي الله عنه :

---

(١) ب: وقد فيه.

لـئن دامَ منـهُ الهجـرُ والـصدُّ والجفـا — شـكوتُ بحـالي نحـوَ دائـرةِ المجـدِ

إلى سـيدي غـوثِ الأنـام وغيـثِهم — ومحيي علومِ الـدين يـا لـكَ مـن فَهـدِ

لـه رتبـةٌ تعلـو عـلى كـلِّ شـامخٍ — ويوصَـفُ في كـلِّ الحقـائقِ بـالطودِ

عجيبٌ أريـبٌ طيـبُ الأصـلِ عـارفٌ — كـريمٌ رحـيمٌ قـد بـراهُ لنـا المبـدي

عـلى الفتـى نجـلِ الجـمال محمَّـدٍ — سـليلِ المهيـبِ والجهابـذةِ الأُسْـدِ

أيا نجـلَ هـذا النـورِ مـن كـلِّ فاضـلٍ — قـصدتكُمُ هيـا بكُـم يـا أولي الرشـدِ

فقد أقعدَتني عـن ذُرى المجـدِ والتقـى — موانــعُ ذنــبٍ لــيس تحـصَر بالعـدِّ

وإني مـسـيءٌ مـذنبٌ ومخلِّـطٌ — وقـد مـرَّ عمْـري في البطالـة والأدِّ

ولـيس معـي إلا اعـترافي بزلتِـي — كـذا لم أزلْ نحـو الـولي باسـطَ اليـدِّ

ليغفـرَ لي كـلَّ الـذنوبِ ويـستر الـ — ـعيوب ولا ينـضَامُ مـن لاذ بـالفردِ

فيـا سـيدي هـل نفحـةٌ لعُبَيـدكم — فجـودوا ومنّـوا بالتّـضرُّع للعَبـدِ

فـإني أحـبُّ الـصالحين وذكـرَهم — وما فعلـوا يـا سـيدي منتهـى قَـصدي

فقـد رفـضُوا الـدنيا الغـرورَ وأقبلـوا — عـلى طاعـةِ الـرحمن بالجـدِّ والجهـدِ

وقد تركـوا الأهـواءْ كـذا لزمُـوا الفِنَـا — وقد عاهـدُوا المـولى ويوفُـون بالعهـدِ

تـراهم إذا مـا الليـلُ جـنَّ[1] تبـادرُوا — ينـاجونَ ربَّ العـالمين مـع الجـدِّ

لعـلي بهـم وبجـاهِهم وبحقّهـم — يـوفقني ربُّ البريـةِ للرشـدِ

إلـيكم لجأنـا واسـتجَرنا ببـابكم — ألا فـاكرمُوني وامنحُـوني بـالودِّ

أتيـتكم يـا اهـلَ الـشفاعةِ والنـدى — ونيلُ المنى قصدي وحسنُ الرجا جندي

كـذا واجـبروني بـالجوابِ ونـسّموا — على المسقَم الولهـانِ يـا سـاكني نَجـدِ

---

(١) ب: جن ليل.

(*) وجدت جواب الحبيب عيدروس بن عمر على هذا الخطاب في مجموعة أوراق أصلية بالرباط .. ولعلنا ندرجه في المستدرك .

وتمــــتُ وصـــلى الله في كـــلِّ ســـاعةٍ على المـصطفى المختـارِ سـيدِنا جـدِّي

شفيعِ الورَى والآلِ والـصحبِ كلهـم عددُ ما سجعْ قمري الحمامِ عـلى الرَّنـدِ

فهكذا كان سعيه قدس سره إلى المكارم، ومسارعته إلى المغانم، وديدنه مع كل صالح وعالم، مذ ميطت عنه التمائم.

ومما وجدتُه من مكاتبته في بدايته لشيخه القطب الأكبر، الحبيب عيدروس بن عمر، ما صورته:(*)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي اصطفى من عباده قوما صلحوا لحمل سره، ثم وفقهم لشكره، وجعلهم كهفاً لمن التجأ إليهم من صروف الدهر ومكره، أولئك قوم مكرمون وهداة مهتدون، دعوا إلى الاستقامة فاستقاموا، وفي بديع حكمته هاموا، فهم في أبحر أحديته سابحون، وبجليل جميل صفاته تائهون، وعلى سنن خيرته من خلقه سالكون، وبحبل شريعته عن الزيغ مستمسكون، فجلَّ من جلّت حكمته، وعظُمت على عبيده منته، قل بفضل الله وبرحمته.

أحمده حمد [عبدٍ] مقر بذنبه، حسن الظن بربه، والصلاة والسلام على سيدنا محمد المخصوص بمزيد المحبة والتأييد، والمسعف بقدرة مولاه كل طالب بما يريد، وعلى آله وصحبه السالكين على منهجه السديد، صلاة وسلاما دائمين متلازمين ما طرب المحبوب فأباح، وتأله المحبُّ وصاح، وشكا المحجوبُ وناح.

وعلى سيدي السيد السند، والكهف المعتمد، ولي الله بلا نزاع ولا دفاع، ومقتفي أثر جده بالإجماع، حبيبي ومولاي الوالد الفاضل، ونخبة السادة الأماثل، عيدروس بن الحبيب عمر بن عيدروس الحبشي متع الله بحياته، وأعاد عليَّ من بركاته، ولا حرمني

والمسلمين صالح دعواته، ولا زالت هواطلُ كرمِ مولاه ساكبةً بساحة فؤاده، وأعطاه من الخيراتِ والمسرات فوقَ مراده، آمين.

سلامُ الله الأتمُّ الأدومُ وبركاتُه عليكم أهل البيت إنه حميدٌ مجيد،

تحيةً من عند الله مباركةً طيبةً.

وبعدُ؛ فالسؤالُ عن سيدي كثير، أرجو أنكم وكافة اللائذين بجنابكم الكريم بعافية من الله، والشوق إليكم لا مزيد عليه، فمملوككم كثير التعلق بكم، كثير الشوق إليكم، على أني وإن لم يحصُل لي بكم الاتفاق الحسي، فأرجو الائتلاف المعنوي، وأسأل الربَّ الرحيم أن يمنَّ علي بالاتفاق بجنابكم الكريم، والتضلع من بحرٍ رشفهُ أحلَى من التسنيم:

من لي وهَل لي أن أراكُم سـادتي   فضلاً وإلا من أكـونُ ومـن أنـا

***

فوا أسفى إن مت من قبل أن أرى   وجوهاً عليها نـور علـمٍ وخـشية

وربي سميع قريب مجيب، ومن رجاه لا يخيب.

ثم وأشكو إلى سيدي أمراً أهمني، وذلك: أني لا أرتاحُ لذكر الجنةِ ونعيمِها، ولا أرتاع لذكر النار وأهوالها، مع التعظيم لكلٍّ منهما، ويسرني رضا ربي عني وتقريبه إياي، ويحزنني البعدُ عنه والطرد.

ولعَمرُكَ سيدي: إن هذا حالُ قوم أخلصُوا سرَّهم لله، وفنوا به عمن سواه، كما لا يخفاكم. وأنّى لمثلي أن يتصف بهذه الصفة! وأخشى أن يكون من الدسائس المتلفة. كيفَ! وأنا جمُّ الذنوبِ، كثيرُ العيوب، أسير الشهوات، مقتحماً لجج الشبهات، تائهاً في مفاوز العصيان، واقعاً في حبائل الشيطان، ليس لي في الطاعة إخلاص، ولا من المعاصي القبيحة خلاص، راكباً سفينة التسويف في بحر الأماني، ويفنى القلم وتكل عن معايبي لساني،

فلقد ارتكبتُ ما عنه نُهيت، ودهيت بالحماقة وبُليت، وطالما لاحت لوائحُ الطلب، للآية: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦].

(شعراً):

ربِّ لا كانَ ذا التباعـدُ حظّـي	أنت أنـتَ الحفـيظُ يـا ربنَـا قِ
بالحبيبِ الشفيع في كلِّ خطبٍ	صاحبِ المعجزاتِ كالانشقاقِ
بآل علـويٍّ أئمـة الخـيرِ عَـوني	وغياثي إذا سَطا كـلُّ نَـاقي[1]

ومن الناس من يظن بي الخير، ولا يدرون! والله يعلم ما تخفون وما تعلنون.

ولكن أملي في الله أن يسبل علي جميل ستره، ويؤهلني لحمل سره، وأن يعاملني بما هو له أهل، بمحض الجود والفضل، فستره جميل، وفضله جزيل، وأرجو من فضلكم وإحسانكم أن تحطّوا نظرَكم على أسير الذنوب، فبذلك يصلح قلبه مصلح القلوب:

وليسَ معي إلا انكسارٌ وذلّةٌ	وذنبٌ عظيمٌ والمهيمنُ غفّارُ

وإني لخجل من الجراءة على عالم السرائر والمطلع على الضمائر وعدم الاكتراث بإحكام ما استطعت من الأوامر ومن عكوفي على بعض ما زجرت عنه من الزواجر، قل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون فإنا لله وإنا إليه راجعون وقد ألقيت زمام أمري إليكم منطرحاً بين يديكم جازماً بنيل السول ولا أخشى، مستمسكا بقوله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاءً». وظننا به الظن الجميل وأملنا طويل :

أرجـو ولي ظـن جميـل بخـالقي	وان الرجا في الله أسنى ذخائري

وأنتم؛ من واجبِ حقي لا تُعذَرون، ألا إن أولياء الله لا خوف عليهم ولا هم يحزنون، لهم ما يشاؤون.

---

(١) الناقي؛ (دارجة): الفضولي.

وإن تفضلتم بالإجازة لمملوككم، والوصية من غير مشقة، فذلك غاية الأمنية، وقد أتيتكم هارباً مما سواه، فأرشدوني، مستمطراً سواكب فضله وجوده ورضاه، فبقدرته أسعفُوني أسعفوني:

ساقيَ الراحِ هل ذكـرتَ كئيبـاً ... والهَ القلبِ إذ تُـدار الكـؤوسُ

فأعْطِني الكأسَ لا بليتَ بدائي ... إنّ داءَ البعـــادِ داءٌ غمُـــوسُ

يـا حبيبــي وعــينَ كـلِّ كـمالٍ ... الـدراكَ الـدراكَ يـا عيـدروسُ

غيره:

أهيلَ الوفا جُودوا على الوالهِ الصبِّ ... أتاكم حزينَ القلبِ مـن ألم الحجْـبِ

أسـيرُ هـوًى يرجُـو لعلتـه الـدّوا ... لداءِ النوى فالقربُ من أرَبِ القلـبِ

لــه أمـــلٌ في أن ترقُّــوا وتعطِفُــوا ... عليه بفكِّ القيدِ والكـشفِ للكَـربِ

وليس سِوى ما شاءَ منـي بخَـاطري ... وذلـك أسـنَى مـا أرجِّيـه مـن ربّي

هذا سيدي!

لستُ بأهلٍ لمكاتبتكم، ولكن حملني على ما فعلتُ ما حكيت، مع أن في جميل حلمكم وصفحكم ما يُعذِر من اجترأ، ولأنكم بحال مملوككم أدرى، وإلا فأعظم من تلكَ كونها أشباحٌ بلا أرواح، غير أن القصدَ مطلوبٌ لا مباح، وأنتم أهل العفو والسماح.

والسلام عليكم وعلى أولادكم ومن شئتم ورحمة الله وبركاته عوداً وبدأً

وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

المستمد للدعاء منكم مملوككم

راجي الإمداد أحقر العباد

محمد بن طاهر بن عمر الحداد سامحه الله آمين». انتهى.

فهذا كان شأنه في صباه، وهكذا كان تعلقه بأهل الله، من مشايخه الأعلام، منذ كان غلاماً إلى أن نشرت له الأعلام، يراسلهم ويكاتبهم، ويتملق لهم، ويتعرف إليهم، ويشرح لهم من أحواله الحالية، ومنازلاته العالية، ما يعرفون به أنه محبوب ومراد، ويتفرسون فيه من زكاء الفطرة وكمال الاستعداد، ما ينيله المراد، من فضل البَرِّ الجواد، فيبشرونه ببلوغ الآمال وفتح الأقفال.

ولم يزل قارعاً بحسن ظنه لأبوابهم، مُنيخاً لنجائبِ آماله بأعتابهم، مقتبساً من أنوارهم، مقتفياً لآثارهم، وارداً على مناهل علومهم، ملقياً إليهم قياده، حريصاً على الاستفادة، سعى إلى ذلك أحسن مسعى، وأحسن فهماً وذوقاً وسمعاً، وتأَهَّل روحاً وذاتاً وطبعاً، فجمع فأوعى.

حتى تم نوره، ودام سروره، وكَمُل حضوره، ودك طوره وأشرقت في مدارك[1] سلوكه شمسُ: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩]، فسار في ضوئها، حتى عثر على كنز السر المصون، وقرأ لوح العلم المكنون، ونودي أن ﴿لِمِثۡلِ هَٰذَا فَلۡيَعۡمَلِ ٱلۡعَٰمِلُونَ﴾ [الصافات: ٦١] وخرج له من حضرة الاقتراب مرسومُ: ﴿نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠]، وتُوِّج بتاج الأحباب الذي نقشُه: ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمۡنُنۡ أَوۡ أَمۡسِكۡ بِغَيۡرِ حِسَابٖ﴾ [ص: ٣٩] خطبته الإرادةُ، فكان لها الكُفءَ الكريم، وتلا لسانُ حاله: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤]، وقُلد عقدَ الزعامة والنقابة، وقام بوظيفتي الإمامة والخطابة، وحل من رموز المعارف ما تشابه، وفتح لكل عائل وجاهل بابه، وبذل نفسه وما ملكَ لمولاه، شكراً له سبحانه على ما أولاه، وأوفى كل ذي حقٍّ حقه، وقابل كل إنسان بما استحقه، واحتمل من الجهال والعذّال في الله المشقة، وليتهم عرفوه ليظفروا،ولكن بعُدت بينهم وبينَ معرفته الشُّقّة:

ما ذاكَ ان الشمسَ ليسَ بطالعٍ ... بـلْ إنّ عينـاً أنكـرتْ عَميـاءُ

(١) ب: مدارج.

الفصل الثالث

في الإشارة إلى ذكر تأهُّله وأولاده رضي الله عنه وما ناسب ذلك

كان رضي الله عنه كثير التزوج، بلغ عدة اللاتي دخل بهن من النساء أكثر من ستين امرأة!، ونحو من سبع سراري. وكان قدس سره يقول: «لا أقدر على الصبر عن النساء ثمانية أيام»، وإنما كان إكثاره من التزوجِ في العشر السنين الأخيرة من عمره.

وقد روي عن الجنيد قدس سره أنه كان يقول: «أحتاج إلى الجماع كما أحتاج إلى القوت»، وكان سيدي قدس سره يقول: «ثلاث خصال لا أحد يقتدي بي فيها: تأخير الصلاة، وخفتها ـ أي: في النفل ـ وكثرة الزواج». وكان الحبيب العارف بالله محمد بن صالح العطاس قدس سره يقول: «طريقتي وطريقة محمد بن طاهر كثرة الزواج»، وكان من المكثرين منه.

وذلك شأن الكمّل من أهل البيت الطاهرين من لدن رسول الله ﷺ والإمام علي والحسنين رضي الله عنهم وهلم جرّا إلى وقتنا هذا، كما يعرف ذلك من نظر في سيرهم رضي الله عنهم.

قال الإمام الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان رضي الله عنه: «وهو ـ أعني كثرة الزواج ـ من الأحوال الدالة على كمال الوراثة النبوية، وكمال الإنسانية والرجولية، وهو مما تنكره العامة ويحط عندهم من قدر المكثرين، وذلك من مقاصد الأولياء الصحيحة، لأن

الخاصة من الصفوة من أهل الولاية يتباعدون عن كل ما هو وصف الربوبية، ويتظاهرون بما هو وصف البشرية والعبودية. وقد حكى القرآنُ أن لنبي الله داود عليه السلام من النساء تسعا وتسعين، وورد: أنه أتى على جميعهن في ليلةٍ، ولرسول الله ﷺ تسع نسوة وقد يدور عليهن في ليلة واحدة». انتهى.

وقال الإمام سفيان بن عيينة: «كثرة النساء ليست من الدنيا، لأن عليا كرم الله وجهه كان أزهد أصحاب رسول الله ﷺ وكان له أربع نسوة وسبع عشرة سرية»، وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «خير هذه الأمة أكثرها نساء».

وقال الإمام حجة الإسلام قدس سره في الإحياء: «وكان بعض الصالحين يكثر النكاح حتى لا يكاد يخلو من اثنتين وثلاث، فأنكر عليه بعض الصوفية فقال: هل يعرف أحد منكم أنه جلس بين يدي الله تعالى جلسة أو وقف بين يديه موقفا في معاملة فخطر على قلبه خاطر شهوة؟ فقالوا: يصيبنا من ذلك كثير، فقال: لو رضيت في عمري كله بمثل حالكم في وقتٍ واحد لما تزوجتُ، لكني ما خطر عليّ خاطرٌ شغلني عن حالي إلا نفذته فأستريح وأرجع إلى شغلي، ومنذ أربعين سنة ما خطر على قلبي معصية».

وقال الإمام الشعراني رضي الله عنه في «المنن الكبرى»: «وكان سيدي علي المرصفي رحمه الله تعالى يقول: لا يتحقق لعارف قطُّ وجه العبودية ذوقا في شيء من العبادات كما يتحقق به حال الجماع أبداً، فإنه يشهد نفسه مقهورا تحت حكم شهوة طبيعية، حتى لا يقدر على دفع حكمها عليه، ولا يكاد يتذكر شيئاً آخر غير ما هو فيه، ولذلك كان من شأن القطبِ الغوثِ الإكثارُ من النكاح، لما يجده فيه من التحقق بالعبودية التي لا يشوبها دعوى قوة بل محضُ ضَعف». انتهى.

وقال أيضاً في موضع آخر من الكتاب المذكور: «كان بعض العارفين يقول: لا يفتح على سالك قط إلا من باب الإكثار من النوافل، قال: وأعظم النوافل بركةً الإكثارُ من النكاح، لما فيه من الازدواج والإنتاج، فيجمع العبدُ فيه بين المعقول والمحسوس، فلا يفوته

شيء من العلوم الصادرة من حضرة الاسم الظاهر والباطن، فلذلك كان اشتغالُ العبدِ بنوافل النكاح أتمُّ وأقربُ لتحصيل كل ما يرومه، وكان محبوباً لله تعالى، ومن كان محبوباً لله صار عرشاً لاستواء الحق تبارك وتعالى بإفاضةِ العلوم، وسماءً للنزول، وكرسياً لظهور أوامره ونواهيه، فظهر له من علوم الكرسي ما لم يكن يره فيه، مع أنه كان فيه، وهذه الطريق من أجل الطرق وأقربها على السالكين». انتهى.

قال الشيخ عبد الله باسودان قدس سره في «مناقب الحبيب علي بن حسن العطاس» بعد نقله هذه العبارة الأخيرة: «ويتبين معنَى هذه الرموز والإشارات مما ذكره الإمام الغزالي قدس الله روحه في الفائدة الثانية من (كتاب النكاح) من «الإحياء» ».

وقال أيضاً: «تنبيهٌ يتعين الوقوف عليه: وهو أنه ينبغي لكل مؤمن أن يعلمَ أن الأنبياء والرسلَ صلوات الله وسلامه عليهم وكمّلَ ورثتهم من العارفين بالله، أنه لا يسلك بهم في الأغراض البشرية كالنكاح مسالكَ غيرهم من المحجوبين بالشهوات، النازلين فيها منزلة البهائم. واعتبر ذلكَ بما حُكيَ عن السيد الجليل أبي الغيث بن جميل قدس الله روحه، وذلك: أن بعض مريديه رآه في مقام عال، ثم رآه نزلَ عنه، فأخبره بالرؤيا، فقال له: لا أعبرها لك حتى ترى رؤيا ثالثةً، فمكث سنةً لم يره، ثم رآه أنه عادَ إلى مقامه الأول، فأخبره بالرؤيا، فقال له: تأويلُ ذلك أني دنوتُ من أم الفقراء ـ يعني: زوجتَه ـ فقبلتها بغير نية، فنزلتُ عن مقامي الأول، حتى جاهدت نفسي سنةً فعدتُ إليه، هذا معنى الحكاية. فبهذا يظهر لك أن الأولياءَ كالأنبياء! لا يُسلكُ بهم ولا يقاسُ عليهم غيرهم في العادات الدنياوية، والشهوات النفسانية، وذلك لأن الأنبياء معصومون، والأولياء محفوظون عما لا يليق بمقاماتهم وأحوالهم»، إلى آخر ما أطال به رضي الله عنه وجزاه خيراً.

لأنه ـ أي: كثرةُ الزواج ـ مما أُنكِرَ على سيدي الحبيب علي بن الحسن، فلذلك أطال الشيخُ النفسَ في المعنى، ولكونه مما أنكره بعض الجهلة على سيدي الحبيب قدس الله سره أطلتُ النقل هنا، والله أعلم.

[أولاد صاحب المناقب]:

وأما أولادُه قدس سره: فثلاثةَ عشر ذكراً، وثلاثُ بنات. أحمد الأكبر، وهاشم، وأحمد الأصغر، وحامد، وعبدالله، ماتوا صغاراً في حياته قدس سره.

وعبد الرحمن، وعلي، وعلوي، وحسين، وعبد القادر؛ أمهم وأمُّ الثلاثة الأولين: الشريفة الصالحة نور بنت الحبيب الصالح هاشم بن الهادي الحبشي، وهي أول زوجةٍ تزوجَها ولم يكن في عصمته غيرها عند وفاته، وكانت عارفةً بحقه، مسارعةً إلى ما يهواه، مسعفةً له بما فيه رضاه، حتى أنها قد تزيِّن من يتزوّجها وتُدخلها عليه بنفسها في يومها! وكفى بهذا دليلاً على عقلها ودينها، وكانت شفيقةً رحيمةً بالضعفاء والفقراء والمساكين، كثيرة التصدق والإحسان، عارفةً بربها ونبيها، ثابتةً في دينها ويقينها، فلم تزل على ذلك إلى أن انتقلت إلى مغفرة الله ورحمته سنة ...[1] ببلد قيدون، رحمها الله، وأعاد علينا من بركاتها، آمين.

وأما حسن؛ فأمه: من آل أبي بحَير.

وصالح؛ ولد بعدَن، وأمه من آل الجيلاني.

وعمر؛ ولد بحيدر أباد، وأمه منها، من آل العمُودي.

[عبد الرحمن بن محمد بن طاهر (١٢٩٥ ـ ١٣٥٠هـ)]:

فأما عبد الرحمن؛ فكان وجودُه سنة خمسٍ وتسعين ومائتين وألف، وكان سيداً كريماً مستقيماً، عابداً ناسكاً، شريف النفس، حسن الأخلاق، شملته عناية جده ووالده، واستمد منهما في مصادره وموارده، وكان والده قدس سره يذكُره بالولاية.

---

(١) كذا بياض في جميع الأصول.

ولما توفي والده نودي عند ختمه بأن ما في ذمته من الدَّين بذمة ولده عبد الرحمن، وذلك بأمر جده قدس سره، وكان حريصاً على وفاء دَين والده، فكان قائماً ومسارعاً إلى معاونة جدّته على عمارة الجدفرة، حتى قرت العينُ بوفاء الدين، ولم يسافر بعد وفاة والده إلا مرتين؛ مرةً إلى الهند، ومرةً إلى جاوه لزيارة ضريح والده، ولم يغب في السفر إلا أشهرٌ قليلة لانحراف صحته في السفر.

وكان معاوناً لنا ومؤازراً فيما يسره الله من القيام بإتمام ما نواه والده الإمام، من بناء الرباط وعمارة العَثْم[1]، مواظبا على الأذكار والأوراد، وحضور المدارس والمجالس في الرباط مدةَ حياته، وقد سمعنا بقراءته عدةَ كتب وسمع منا، وانتفع بنا وانتفعنا به، وكانت بيننا وبينه المحبة الخالصة والأخوة الصادقة.

وما زال على حالٍ قويم وسير مستقيم، إلى آخر ليلة من رمضان سنة ١٣٥٠، تأثر بأثر خفيف، إلا أنه منعه عن الخروج كعادته إلى الرباط، وبقي به ذلك الأثر طول شهر شوال وذي القعدة وأول ذي الحجة.

فلما كانَ يوم الأحد لست وعشرين منه [أي: ذي الحجة]: صلى صلاةَ الضحى كعادته واشتد به الألم، ولحق بالرفيق الأعلى، وكنا غائبين؛ أنا وعماه أحمد وعمر، وأخويه: علي، وعبد القادر، وولده محمد برَيدة الدَّيِّن، في صلاح بعض الشؤون العامة مع آل البِحَيث، من جهة غَول حَجْر، وكان طلوعي بالنيابة عنه رحمه الله، ولم نر عليه بأساً من الأثر، وما كنا نقرّب وفاتَه منه، فأتانا نعيهُ إلى هناك، وخرجنا، وقمنا مع أعمامه وإخوانه وأولاده بالقراءة والختم عليه، وحزنَ عليه الخاصُّ والعام لما له من المخالقة الحسنة مع القريب والبعيد، فرحمه الله وأعلا درجته، وجمعنا وإياه في دار الكرامة مع العباد الصالحين، بلا سابقة عذاب ولا امتحان، إنه كريم منان.

---

(١) العتم: هو قناة الماء؛ المجرى.

وخلّف من الولد أربعةً: عمر، ومحمد، وعبد الله، وأحمد، نسأل الله أن يبارك فيهم ويسلك بهم مسالك الصالحين ويصلح لنا ولهم الدنيا والدين.

ولما توفي أولُ ولدٍ له خاطبه والدُه قدس سره بهذه الأبيات، سنة ١٣١٤هـ، أربع عشرةَ وثلاثمائة وألف، (شعراً):

يـا عبـدالرحمن مـاتَ الزقـرْ ربّـك عـرَفْ ... وفيـه مـن كـل فايـتْ يـا ولـدْنا خلـفْ

خلـكْ مـع الله لا تـركَن لمـالٍ او شرفْ ... ومـا طلبتـه مـن المـولى بفـضله ذرَفْ

فاحذَر من الدون شُفْ تالي المعاصي تلَفْ ... والـصبر فيـه المنـافعْ واحـذر المختلَـفْ

وجانبِ الكبر والإعجابْ هـو والـصَّلفْ ... وسايرِ النـاسْ واجـبرهم فجـبرك سَـلفْ

وكل ذا لأجل ربكْ ما مـن النـاس شَـفْ ... شُف ما هم إلا هبًا عنـدَ الحكـيم اعـترَفْ

هـذه وصـيةْ جلبهـا لـكْ كـلام احـترفْ ... ما قُـول زلّـة فعلهـا الهاشِـمي وانـصرَفْ

كن مثل جدّك حليفَ الذكر حتَى اغترفْ ... ومثـل والـدك ذي راعَـى كـلام الـسلفْ

وحــطَّ حملــه عــلى ربّــه ببابــه عكَــفْ ... مــا هُــو منـازعْ لمتقـدّم ولا مــن خلَــفْ

ما قال ذا القَول من فخره ولا مـن جلَـفْ ... ذلاّ حكَـى نعمـةَ المـولى عـلى مـن عـرفْ

والختم صلوا على المحبوب أصلِ الـشرفْ ... حبيبنـا ذي بِـه الهـرْوَة عـلى كـلّ شَـفْ

[مرثاة المؤلف في المترجم]:

وقلتُ هذه الأبياتِ الركيكة المعنى والمبنى، لما بلغني خبرُ وفاته، تعبيراً عن بعض لسان الحال، (شعراً):

قال ابن الاشراف قلبي مـا صـبرْ ... ودمـعُ عينـي عـلى خـدّي ذرفْ

مـن بعـد مـا قـد نُعـي لي بـوعمرْ ... أهــل الوفـا والمكـارم والـشرفْ

نجلِ الإمام ابـنِ طـاهرْ بـن عمـرْ | بحـر الكـرمْ مـن ورَد منـه غَـرفْ
بيـت الهـدى والمعـارف والـسيرْ | والعلم والحلم واخـلاقْ الـسلف
يـا عبـدالرحمن يـا زيـن الأثـرْ | الله يـسكنك في أعـلا الغـرفْ
قـد كنـتَ خِـلي وعَـوني والـوزرْ | إن قلت: قد تمّ هذا، قلت: شـفْ
لو كنت عـالم بـشيء مـن ذا الخـبرْ | ما كنـتْ سَـائر إلى الرَّيـدةْ لـشَفْ
لأجل احضُر كـما مـن قـد حَـضرْ | ووفّي الكيـل لـو شيء كيـل طَـفْ
لكـن مـن قـد حَـضر وفّى العـبرْ | الـوزنْ راجـحْ ومُـصراهم ذرَفْ
وأمـر مـولاي مـا منـه مَفـرْ | ربي بهـذا علينـا قـد عَـرفْ
سبحانْ من منـه تـصريف القـدرْ | بالحمد لـه نطفِـي أفـوار الأسـفْ
وخـيرةُ الله مولانـا خِـيرْ | ولا لنـا عـن قـضائه مُنـصَرفْ
ما احدْ علَى بن محمـد مَـا احتـسرْ | يا حسرتُه كـل مـن لـه قـد عَـرفْ
الله يخلفُـه في الآل الغـررْ | وفي المحبـين لـه بأحـسَن خلـفْ

[علي بن محمد بن طاهر: (١٢٩٧ـ هـ)]:

وأما علي بن محمد؛ فكان ذا سكونٍ وسكينة، وتوأدة وطمأنينة، وانزواء عن القيل والقال، وسلامة بال وكان وجوده سنة ١٢٩٧هـ سبع وتسعين ومائتين وألف، ولم يبارح وطنه إلى غيره من الجهات، ولم تنفتح أذنه لمنادى المباهات والعادات، ولم يزل ولا يزال على أحسن الحالات، قانعاً بما أقامه الله فيه ودبره له من جميل العادات، وهو الآن في قيد الحياة بقيدون.

وله ولد؛ وهو: محمد بن علي، ولمحمد ثلاثة أولاد: جعفر، وعبدالرحمن، ومحسن، وهو وولده بجاوه بارك الله في الجميع، وأدخلنا وإياهم في وداعته التي لا تضيع.

[الحسين بن محمد بن طاهر: (١٣٠٢ ـ ١٣٧٤هـ)]:

وأما الحبيب الأريب الأواه المنيب المخبت المستجيب الحسين بن محمد؛ فقد جمع الله له وفيه من حسن الشمائل، وجميل الفضائل والفواضل، مالا يعبر عنه قول قائل.

وكان شيخنا الإمام الحبيب محمد بن أحمد المحضار إذا رآه يتلو قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج: ٣٤]، ويتمثل بقول القائل من السلف:

* حسين الزَّين وأما المسمّى في العرب جَم *

وكان وجوده سنة ١٣٠٢ اثنتين وثلاثمائة وألف تقريباً، وكان سيداً كريماً مستقيماً، ناسكاً عاقلاً حازماً، أدرك جده ووالده الإمام، وحل عليه نظرهما. وأخذ واستجاز من أكثر مشايخنا الكرام الأكابر، وله فيهم كمال الانطواء، وله الانتفاع التام بأخيه الإمام علوي. سافر إلى جاوة سنة ١٣٢٩ تسع وعشرين وثلاثمائة وألف، لزيارة والده وأخيه، وتعاطى ما تقتضيه حقائق التقليب، من الأخذ في الأسباب المعاشية بنصيب، وأقام أولا ببلد الطُّوبان، ثم نقل منها إلى جُنبَانْ، وهو مقيم بها إلى الآن.

وكان في البلدين ملجأ القاصدين، ومحط الوافدين، وثمال الفقراء والمساكين، ولا يزال يتردد إلى زيارة والده وأخيه الإمام، ملقياً إليه القياد، لا يصدر إلا عن رأيه، ولنا معه وبه كمال الاتصال والمحبة والمودة، وانتفع بنا وانتفعنا به.

وقرأنا نحن وإياه في «فتح المعين» قبل سفره، وكنت إذ ذاك ببلد صِيف سنة ١٣٢٥، وهو بقيدون وبين البلدين مسافة نحو ثلثَي ساعة، فكان يأتي إلى صِيف كلّ يوم، وألاقيه إلى خارج البلد، نسألُ الله أن يجعل ذلك خالصاً لوجهه، وسبباً موصلاً إلى رضاه، وهو الآن سنة ١٣٥٤ ببلد جُنبَان من البلاد الجاوية، على أكمل الحالات المرضية.

وله من الولد: محمد[١]، وطاهر، وعبد الله، وقد خرجوا إلى حضرموت وهم بها الآن. وعلي، وحسن، ومحسن[٢]، وعيدروس، بارك الله فيهم، وعمر بهم مراتب أهليهم ومتعنا وإياهم جميعا بالعافية التامة في الجسم والروح والبصر والسمع وأذاقنا وإياهم لذة الوصال والاتصال في الفرق والجمع، آمين.

[صالح بن محمد بن طاهر: (١٣١١ـ بعد ١٣٢٦هـ)]:

وأما صالح بن محمد؛ فكان وجوده ببندر عدن سنة ١٣١١، إحدى عشر وثلاثمائة وألف، ونشأ بها وخرج إلى قيدون بعد وفاة والده وجده، وكان ذا صفاء وانشراح، وبسط واسترواح، وتبدو منه حركات تشبه حركات أهل الجذب والمشاهدة، بلا تعمُّل. وسافر سنة ١٣٢٦ إلى جاوة لزيارة والده وأخويه الإمامين علوي وحسين، وما زالَ مقيما بها إلى سنة ...[٣]، فزاد عليه الصفاء، وظهرت عليه آثار الجذب وحركاته، فأدخل المستشفى ومكث بها مدة غير طويلة، وأدركه أجلُه، وانتقل إلى رحمة الله وفسيح رضوانه في بلد سورابايا، ولم يعقب، رحمه الله ونفعنا به وبسلفه الطاهرين.

[حسن بن محمد بن طاهر: (١٣١١ـ ١٣٤٩هـ)]:

وأما حسن بن محمد؛ فكان وجوده ببندر المكلا سنة ١٣١١، وكان شريفاً لطيفاً، سافر إلى جاوة لزيارة أخويه ووالده، ورجع إلى وطنه، وسافر إلى الحرمين وأدى النسكين، وزار جده ﷺ سيد الكونين، وجاور بمكة عدة أشهر، وبعد رجوعه منها إلى وطنه لازمه

---

(١) قال مؤلف «تاج الأعراس» (٢/ ٣٧٨): «جعله والده الحبيب حسين خليفته في حياته وبعد وفاته». انتهى.

(٢) قال مؤلف «تاج الأعراس» (٢/ ٣٧٨): «قوله: (حسن ومحسن): هما الآن قرة عين، تربيا بوالدهما، وتخرجا وتهذبا بعمهما الحبيب علوي المذكور، علما وسيرة وسريرة، بارك الله فيهما وفي أولادنا ومن قال آمين». انتهى.

(٣) بياض في الأصول.

مرضٌ أقعِدَ بسببه في بيته نحواً من سنتين، وتوفاه الله سنة **١٣٤٩** هـ ببلد الجبيل من دوعن، وبها دفن وقبره معروف.

وخلّف من الولد: عبد الله، وأحمد، وعمر، وبنتين، وكلهم في قيد الحياة، بارك الله فيهم وسلك بهم مسالك الهداية، آمين.

[عمر بن محمد بن طاهر: (١٣١٦ ـ؟ هـ)]:

وأما عمر بن محمد فوجوده بحَيدر أباد سنة **١٣١٦** ست عشرة وثلاثمائة وألف، ولم يزل مقيما بها إلى الآن: سنة **١٣٥٤** أربع وخمسين وثلاثمائة وألف، ولم اجتمع به نسأل الله أن يحلينا وإياه بحلل التقوى والاستقامة، حتى يكرمنا من فضله بأعظم كرامة.

[عبد القادر بن محمد بن طاهر: (١٣٠٨ ـ؟ هـ)]:

وأما عبد القادر فكان وجوده بقيدون سنة **١٣٠٨** تقريباً، وهو الآن مقيم بها على حال حسن، ثبتنا الله وإياه على أقوم سنن، بمنه وكرمه.

[علوي بن محمد بن طاهر: (١٢٩٩ـ هـ)]:

وأما الذي خلف أباه علماً وعملاً ومقاماً، وحالاً وكمالاً واحتراماً، شبيهه في الخلق والخُلق، والساعي على قدمه في أوضح المناهج وأقوم الطرق، أنموذج السلف، وجوهرة عقد الخلف، نور الدين، وثمال الأرامل واليتامى والمساكين، الحبيب الإمام (علويُّ السِّر)، هكذا يلقبه سيدنا الإمام الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي في مكاتباته له، وهي في عدة كراريس، وكفى بها مناقبَ لصاحب الترجمة، وكان الحبيب محمد بن عيدروس المذكور يقول: «إن كل من اسمه علويٌّ من آل الحداد يكون مخصوصا بسر على من سواه»، فلذلك كان يضيفَ اسمَه إلى السر.

وهو أكبر سناً من حسين، وحسن، وصالح، وعبد القادر، وعمر، وأكبر إخوانه من كل وجه، وإنما أخرتُ ذكره لأقدّمه، لطولِ الكلام على ترجمته مع الاختصار:

ولد متع الله به بقيدون في شهر رجب سنة ١٢٩٩ تسع وتسعين ومائتين وألف، وجدتُ في كتابٍ من جده الحبيب طاهر لوالِدِه الحبيب محمد قدس سرهما ما صورته: «ونعْلمكم بأنه وفدَ لكم ولدٌ وسميناه علوي بن محمد، باسم: سيدنا علوي بن الفقيه، وجدّنا علوي، وكان وجودُه قبلَ وصول كتابكم، الله يجعله من أولاد السلامة والعافية، ومن البارين العالمين العاملين». انتهى. والكتاب محرر في يوم الاثنين لثلاث من رمضان سنة ١٢٩٩ تسع وتسعين ومائتين وألف.

وقول سيدنا الحبيب: «باسم جدنا علوي»؛ فهو: الحبيب الإمام علوي بن قطب الإرشاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد. والذي في عمود النسب إلى سيدنا عبيد الله بن أحمد المهاجر ممن اسمه علوي ستة:

أحدهم: المتقدم ذكره.

والثاني: والد القطب الحداد علوي بن محمد.

والثالث: علوي بن أحمد الملقب بالحداد.

والرابع: علوي المعظّم، عمُّ الفقيه، بن محمد صاحب مرباط.

والخامس: علوي بن محمد مولى الصومعة، والدُ الإمام علي خالع قَسَم.

والسادس: الإمام علوي بن عبيد الله، أول من سُمي بهذا الاسم.

وقد لاحظ الحبيب طاهر عند التسمية اسمَ سيدنا الإمام الغيور علوي بن الفقيه المقدم محمد بن علي، إشارةً إلى أن المسمَّى سيدرك من سره ما يكشف له المعمّى، وقد ظهر مصداقُ رجواه، بما تحقق به صاحب الترجمة في سره ونجواه، مما لا يشك من رآه من الأنام، أنه وارث أسلافه الكرام، والمتحقق بما لهم من حال ومقام، وكذلك تحقق مصداقُ الدعوات الصالحة: السلامة، والعافية، والبر، والعلم، والعمل.

فقد نشأ صاحبُ الترجمة بقيدون تحت كنف أبيه وجده، سالماً معافى من سيء التربية وسيء الأخلاق، مغذًّى بأسرار الدين، وأخلاق السلف الصالحين، متعلماً للعلم والعمل مجانباً للزيغ والزلل، وتأدب بجده ووالده وأكَلَ من سماط كل منهما وجثا على موائده، ولوائح النجابة على أساريره تلوح، ونفحاتُ الولاية من أعطافه تفوح. وقد أخبرتْ والدتُه رحمها الله: أنها سمعت عُطاسَه في بطنها وهي حاملٌ به.

وكان قرينَنا في الطلب، وشريكنا في الجثيِّ على الركب، وثالثنا: أنا وأخي علوي في القراءة على والده الإمام، وعلى الشيخ العلامة أبي بكر بن أحمد الخطيب التريمي.

وقد وقف علينا والدُه الإمام قدس الله سره ونحن وإياه جلوسٌ نطالعُ، وقال: «إذا صبرتم باتقع لكم فُخْطة زينة»، ونرجو أن قد حصلتْ الفُخطة الزينة الموعودة، ونرغب إلى الله في كمال الثمرة التي هي الضالة المنشودة.

وكانت حركاته منذُ صِباه حركاتُ كرمٍ وأريحية، وهمة علية علوية، حتى كان شيخنا الحبيب الحسين بن محمد البار يقول: «إن حركات الحبيب علوي تدُل على أنه يحس من نفسه بشيء!»، ويالها من فراسة صادقة.

وتردد مع أبيه الإمام إلى تريم وسيؤن وحريضه، وشملته بركة تلك المواطن، ومن بها قاطن، وكان من عادة والده الإمام قدس سره طلبُ الإجازة والإلباس والدعاء ممن زاره من الأكابر له ولمن معه، لاسيما أولاده، وله عناية تامة بزيارة أولاده معه.

فأخذ صاحب الترجمة عن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور، والحبيب عيدروس بن علوي العيدروس، والحبيب عبدالقادر بن أحمد الحداد، والحبيب عبد الله بن محمد الحبشي، والحبيب عبدِ الله بن حسن بن صالح البحر، والحبيب عبدِ الله بن عمر بن سميط، والحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب عمر بن هادون العطاس، والحبيبين محمد وعمر ابنا صالح بن عبد الله العطاس، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

ثم في سنة ١٣١٧ سبع عشرة وثلاثمائة وألف بعد وفاة والده الإمام قدس سره سافر إلى الحرمين بإذن جده قدس سره، فأدى النسكين، وقرت منه العين، بزيارة جده سيد الكونين ﷺ، وأخذ هناك عن الحبيب الإمام الحسين بن محمد الحبشي، والشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ عمر بن أبي بكرباجنيد، وقد سبق له أخذٌ عن الحسينِ بن محمد إبانَ مجيئه إلى زيارة قيدون، استجزنا منه جميعاً، وأسمعَنا حديثَ الرحمة المسلسل بالأولية، وهو أول حديث سمعناه منه، وأسمعنا حديث جبريل، وتكرر لنا الاجتماعُ به والاستمداد منه.

ثم بعد تمام الحج وأيامه، وبلوغه من مهابط الوحي والتنزيل مرامه، قادته أزمة الأقدار، إلى ما خبأت له من أسرار، فكان سفره من الحجاز إلى جاوه لزيارة والده قدس سره، فكان وصوله إلى التقَّل حيث مدفن والده قدس سره في ربيع الأول سنة ١٣١٨ ثماني عشرة وثلاثمائة وألف، بعد وفاة والده بسنة وسبعة أشهر.

وكان سيدنا الحبيب محمدُ بن عيدروس قد تأهبَ لإقامة المولد النبوي الذي كان يقيمه كل عام، فحضرَه، وكنتُ ممن حضر والحمد لله، وتلقاه سيدنا الحبيب محمد بن عيدروس المذكور بكليته، وفرح به فرحا عظيما، وحل منه في سويداء القلب، ووجد لغراسه أرضاً طيبة الترب، فما زال يغذيه ويربيه وينميه، ويفرغ فيه ما لديه من العلوم اللدنية، والأسرار الدينية، والأخلاق النبوية، والآداب العلوية، والأذواق الحقية، حتى أدرك من بحره شربةً هنيةً، وقابله المترجم له مقابلة متعطشٍ إلى الموارد الهنية، ومتطلع إلى الرتب العلية، ومتأهل للخلع السنية.

وكان سيدنا الحبيب محمدٌ المذكور كثيرَ التعظيم لصاحب الترجمة، حتى لا يدعوه إلا بالحبيب، ويأمره بالمشي قدامه، ويقول: «إن عادةَ أهلنا آل الحبيب أحمد بن زين يقدمون آلَ الحبيب عبد الله الحداد في كل شيء، ولو كانوا صغاراً في السن»، فعظُمَ ذلك على صاحب الترجمة، ولم يجد بدّاً من امتثال أمر الحبيب محمد، إلى أن طلبَ من شيخنا الحبيب

محمد بن أحمد المحضار أن يسألَ الحبيب محمد بن عيدروس أن يعفيه من المشي قبله، فأعفاه وما كاد يفعل.

وكان الحبيب محمدٌ المحضار المذكور ثاني اثنين، قرت بهما لصاحب الترجمة العين، فقد اتصل به اتصالاً تامّاً، وانتفع به انتفاعاً خاصّاً وعامّاً، وبينهما مكاتبات ومراسلاتٌ نظماً ونثراً، يأتي ذكرُ شيء منها، وقد تزوج صاحبُ الترجمة بنتَ الحبيب محمد المحضار الشريفةَ مريم سبطةَ الحبيبِ محمد بن عيدروس بنتَ بنته، فكملت الرابطة بين الثلاثة، وكانت النتيجةُ ظفرَ صاحب الترجمة من شيخيه المذكورين بكمال الوراثة، وكان لهما على ذريتهما أحسنَ خلف، وقام بعدهم بمن خلّفوا من الأهل والبنين أتمَّ القيام.

وقد اتصل أيضاً بجميع من بجاوة من الأكابر، من أهل البيت الطاهر، وكلهم عقدوا على حسن استعداده بها لديهم الخناصر، كالحبيب عبد الله بن علي الحداد، والحبيب أبي بكر بن عمر بن يحيى، والحبيب عبد القادر بن علوي السقاف، والحبيب عبد القادر بن أحمد بن قطبان، والحبيب أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس، والحبيب عبد الله بن محسن ابن محمد العطاس، وقد لازم الأخير بعد وفاة الحبيب محمد بن عيدروس، وجعله خاتمة المطاف، واستخرج من درر علومه جواهر أنفاس، تلقاها منه وكتبها عنه.

وما أحقه بأن يَتمثَّل منه لسانُ الحال، بما قاله جدُّه الحداد قطبُ دائرة الكمال:

بقيــةُ قــومٍ قــد مـضَوا وخلفــتُهم ... وهم خلّفوني في الحمَى عندما[1] ساروا
ومقتَــبسٌ مــن نُــورهم وبــسرِّهم ... عنيــتُ وأسرارٌ لــديهم وأنــوارُ

فهو كذلك وفوق ذلك، قد وضع الله له من المحبة في القلوب والوجاهة في

---

(١) ب: بعدما.

الصدور، ما يدرك به ما توجه فيه من الأمور، ولعل ذلك [من][(١)] معنى قول والده الإمام له: «لك علاقة بالخلق».

وجمع الله له بين العلم النافع، والعمل الرافع، والعقل الراجح، والأخلاق الكريمة الحسنة القويمة، والنية الصالحة، والهمة العالية، والرحمة التامة بالضعفاء والمساكين، والمخالقة الحسنة مع الخاص والعام، وإكرام أهل العلم والفضل، والكرم الفائض الذي لم يسمع بمثله بعد أبيه إلا عنه. لا يرى للدراهم معنًى غير الإنفاق في مراضي الخلاق، مع كثرة ما تأتيه من الفتوح، فيفرقها في أبواب البر والمعروف، ويجود في ذات الله فوق ذلك بنفسِه وجاهه، وأخلاقه وأعماله، لا يحوِجُ المحتاجَ إلى السؤال، ولا يقطعه قاطعٌ عن بَذلِ النوال، وربما آثر السائل والمحتاجَ بما هو إليه أحوج.



وله اللسانُ العذب في الدعوة إلى الله وإلى سبيله، وإلى الخير وجُملِهِ وتفاصيله، يدعو إلى ذلك بوجدان يسري من قلبه إلى قلب المخاطَب، ولو كان أقسى من الحجر، فلا يقدر إلا أن يجيب إلى ما دعاه إليه، وإيراد الأدلة على ذلك يطول.

ويكفي منها الإشارةُ إلى ما قام به من المشاريع المبرورة والمساعي المشكورة، منها:

- عمارةُ القبة على [ضريح والده الإمام ومسجد قريب منها][(٢)].
- وقبةٌ على ضريح شيخه الحبيب عبد الله بن محسن العطاس.
- ومسجدين؛ أحدهما: جامع في بعض نواحي بوقور. ومسجد بوقور الجامع الكبير، هو أعظم القائمين في عمارته.
- وجدّد مسجدَ الشيخ إبراهيم صاحب الطُّوبان المغربي الشريف العلوي.
- وكان رُوحاً لمساعينا في القيام بعمارة رباط قيدون، وعمارة العتم بها، وجمع

---

(١) زائدة من بعض النسخ.

(٢) ما بين القوسين لم يذكر في الأصل.

الصدقات لهما، فهو المدير لهذه الأعمال، والقائم فيها بجمع المال، وما نحن إلا كأيدٍ عاملة له.

وبالجملة؛ فهو نسخةٌ من أبيه، ولا أعرف في العلويين ولا غيرهم مثله، وقد قال سيدنا الحبيب علي بن محمد الحبشي لما ذُكر عندَه: «فيه ما في والده»، ولما ذكرتُ النقابة العلوية وحاجةَ العلويين إلى تجديدها، قال الحبيب حسين بن حامد المحضار رحمه الله: «إن المتأهلَ للنقابة اليوم علوي بن محمد الحداد».

ولما دنت وفاةُ الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي قدس سره، أنشأ أبياتاً كالاستيداع والاستخلاف لصاحب الترجمة، قال رضي الله عنه:

قابلِ الوقت وأما الشَّوش طالعُه غيَّبْ ... والصفا طابت أيامُه ونَود الصبا هَبْ

للذي يا يسافر في شمال او في ازْيَبْ ... ذه إشارات يا علوي إليها تقرّبْ

يوم لك من شرابِ اهل الهوى عزّ مشربْ ... أهل وقتك يراعونك على كل مذهبْ

ابشرْ ابشر بما تقصدُه من كلّ مطلَبْ ... أنت مخطوب للسرِّ الغريب المحجَّبْ

لي تأهلت لا تنسَ البعيدَ المغرَّبْ ... جُد بدعوة إذا غابَ السبب والمسببْ

فإن ذا شرط عند أهلك لمن كان قَد حَبْ ... من ركب منّهم نادَى لمن راد يركَبْ

يا اهل ودي عسى نظرة تجينا من الربّ ... توصل المنقطع عند الحبيبِ المقربْ

ففي هذه الأبيات الشريفة: الوصية، والاستخلاف، والتبشير بالارتقاء إلى مراتب الأسلاف، والارتواء من خير سلاف، ومصداقها ظاهرٌ في المترجم له من جهة الظاهر، بالإجماع من الموافق والمناكر، ومن جهة الباطن لأهله الناظرين بعيون البصائر.

وقد قام بوظيفة الحول الذي رتبه الحبيب محمد بن عيدروس في كلّ عام لوالده الإمام، أتم القيام، بعد أن ظنّ ظانون أنّ القيام به بعد وفاةِ الحبيب محمد لا يكون، وأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وهو الآن ببلد بوقور من الجهات الجاوية، شمساً مشرقةً تجلي غياهبَ الديجور علَماً للملة المحمدية، ومظهراً من مظاهر الخلافة النبوية، وكعبةً للقاصدين، ومنهلاً للواردين، وخليفةً لمن تقدمه من مشايخه الأئمة المهتدين، وقد ذكرتُ هذا النزر اليسير من فضله الكثير ومقامه الكبير، مع نهيه لي عن ذكره، وعلمي بكراهته بل ومشقته من ذلك، لئلا يخلو هذا الكتابُ عن ذكره، وإلا فلا يفي بمناقبه إلا مؤلفٌ حافل، لو كان الوقت مسعفاً وقابل.

وقد حصلَ لي بحمد الله معه وبه كمال الاتصال والمحبة والمودة، والأخوة الصادقة، وقد غمرني من أخلاقه ومكارمه بما أعجز عن شرحه وشكره، وعاملني ولم يزل يعاملني بما لا أستحقّ، ووجودُه ومعرفتي له من أعظمِ نعم الله علي:

فحمداً لربٍّ خصَّني بوَلائه ... وأنزلني منه خليلاً وابنَ عمّ

وبيني وبينه من المكاتبات والمراسلات نثراً ونظماً ما لو جُمع لكان مجلداً، وقد جمعني الله وإياه في جوار شيخنا الحبيب محمد بن عيدروس نحو أربعِ سنين، كانت هي غُرة العُمر، وأيام الفرح والسرور، وميقات الجذل والحبور:

تلك الليالي التي أعددتُ من عمُري ... مـع الأحبـةِ كانـت كلُّهـا عرُسَـا

ثم قدر الله لي الرجوع إلى الوطن سنة إحدى وعشرين وثلاثمائة وألف، ومما كتبته إليه لما أبطأ على كتابُه في جمادى الأولى سنة ست وعشرين وثلاثمائة وألف:

ألِـذَنبٍ إعراضُـكم أسـيادي ... أم تناسـيتم عهـود ودادي

محـض فـضل عودتمـوني وصـلاً ... مـالكم قـد قطعـتم معتـادي

لـيس مـن شـأنكم تنـاسي عهـود ... عقـدها يـوم في خـير واد

لا ولا البخـل شـأنكم بكتـاب ... في بيـاض بقطـرة مـن مـداد

هو طب لداء قلبي ولبّي … وجلاء من مهجتي للسواد
ليس شان الكرام أن يبخلوا … بالماء للمدنف الفقير الصادي
لكن الذنب قد قضى لي بقطع … الكتب عنكم كما قضى ببعادي
وإذا قد قطعتم الكتب عني … أعظم الله أجركم في فؤادي
فظلام من الذنوب ويحظى … بحصول الأفراح والإمداد
إذ بها كان ينجلي عنه غم … وهموم كثيرة الإفساد
وبها يذكر النقى وأهاليه … أهيل الجميل والارفاد
وبها يذكر اللقا والصفا والأنس … في بلدة سقتها الغوادي
وليال مرت بطيب تدان … ووصال وقربة وافتقاد
وسرور ومنحة واقتراب … واجتماع في غفلة الحساد
ذلك الوقت وقت أنسي وعرسي … وسروري ذكراه في أعياد
يا رعاه الرحمن وقتا تقضى … ولدينا يا كم له من أيادي
كلما مر ذكره بفؤادي … زادني لوعة وطول سهاد
جاركم يا كرام من قطع وصلي … إن طول الهجران داعي النفاد
لكم العتبى رضاكم رضاكم … عن عبيد في غيه متمادي
ارحموا من لهجركم وجفاكم … وجده وشجونه في ازدياد
واصلوا من لقطعكم كتبكم عنه … يقاسي الأحزان والأنكاد
انظروا من لصدكم بعد وصل … ذاقه صار كربه في اشتداد
كم تجرعت من جفاكم ذعافا … دون ما أنا فيه خرط القتاد
إن يكن لسواي خل سواكم … فوحق الإله أنتم مرادي

ولـديكم قلبـي وإن كـان جسمي ... بــــبلادي يعـــد في الأجــــساد
لست أنـسى عهـودكم أهـل ودي ... وأذكـــار الـــوداد مــن أورادي
كـل مـن رام عـن حبيـب سـلوا ... مــــلأ الله عينــــه بالرمـــاد
فافعلوا ما بـدا لكـم كيـف شئتم ... يـا سـكوناً في مهجتـي وسـوادي
إن يكن في قطعي رضاكم فـدوموا ... إن فـــيما ترضـــونه إســـعادي
غـــير أني أقـــول باســـطا كفـــي ... لإلهـــي الـــبر الـــرؤوف الهـــادي
يـا ليـالي الوصـال عـودي ليحيـا ... كـل ميـت ويرتـوي كـل صـادي
واجمعينـــي بـــسيدي وحبيبـــي ... الجـواد المفـضال وابـن الجـواد
الحبيب المـاشي عـلى المنهج الأقــ ... ــوى اقتـداءً بـسالف الأجـداد
وافي العهـــد خـــير خـــل وفي ... لم يـــزل حافظـــاً شروط الـــوداد
الحبيـب الـصفي مـن مـا لـه مـن ... مـــشبه في الأقـــران والأفـــراد
صادق الوعد جامع الفـضل حقـا ... ذي الصفات الحسنى حليف السداد
خــير قــرم نمتــه صــيد قــروم ... آل علـــوي الأكـــابر الأمجـــاد
عــنهم قـد روى حـديث المعـالي ... وجميـــل الأخـــلاق بالإســـناد
علويـــاً اســـماً وذاتـــاً وفعـــلاً ... منـــتم للأقطـــاب والأفـــراد
علوي العـالي المقامـات نجـل الــ ... ــقطب شـيخي محمـد الحـداد
مــن تحـلى ونـال حـساً ومعنـىً ... لكـــمال لا يحـــصيه تعـــدادي
يـا ليـالي الـرضى بـه فـاجمعيني ... يحيَـى منـي مـا قـد ذوى بالبعـاد
وعليـه منـي التحيـات تـترى ... أيـــنما كـــان رائحـــاً أو غـــادي
رب أنـت المنيـل مـن غـير مـن ... لم تـــزل مـــنعماً بغـــير اجتهـــاد

مُـنَّ لي سـيدي بـما منـك أرجـو | أنـت غـوثي وملجئـي وعـمادي
وشـفيعي إليـك غـوث البرايـا | خـير داع إلى سـبيل الرشـاد
سـيد المرسـلين ذخـري وكنـزي | والـشفيع المقبـول يـوم المعـاد
صـلواتي مـع الـسلام عليـه | مـا سرى بـرقٌ أو تـرنم حـادي
ونـسيم الوصـال هـب فأحيـا | قلـب صـب بنظـرة مـن سـعاد

وقد تكرم الله بالاجتماعِ به بعد إرسالي هذه الأبيات إليه مراتٍ، وقد كتبتُ هذه الأحرفَ ونحن مجتمعون بحمد الله، ومنتفعون إن شاء الله، ونسأل الله كمالَ الصلة والاتصال، ودوام الانتفاع والاجتماع، وأن يجعل ذلك له وفيه.

[مكاتبات الحبيب علوي بن محمد]:

أما مكاتباته ومراسلاته مع مشايخه وإخوانه وصلحاء عصره وأعيانه، فكثيرةٌ طيبة، جمع منها جملةً وافرةً، رتبها وجعل لها مقدمة لطيفةً أحببت ذكرها، قال متع الله به:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله على ما منح من الاتصال بأحبابه، وخلفاء رسوله ونوابه، حمداً يكون وسيلةً إلى الاتباع، الموصل إلى الانتفاع، والتعلق بأسبابه.

والصلاة والسلام على الحبيب الذي امتلأت الأيدي من أياديه، وجرت الأنهر من عبابه، سيدنا محمد وآله وأصحابه.

أما بعد؛ فإن من أعظم نعم الله عليَّ، ومنته لديّ، أن يسر لي الاجتماع والاتصال بجملة من سادتي العلويين، المتربعين على منصات المعرفة واليقين، والوارثين بالفرض والتعصيب من جدهم سيد المرسلين، أحبوني فأحببتهم، وكاتبوني وكاتبتهم، واجتمعت عندي جملةٌ من كتبهم الكريمة، وخطاباتهم الفخيمة.

فأحببتُ جمعَها خوفاً عليها من الضياع، ولينتفع بها من أراد الله له الانتفاع، مع اعترافي بقصوري وتقصيري، وإن على غير منهجهم السوي مسيري، وأسأل الله الكريم الستار كما يسرلي لي الاتصال بهم والمحبة لهم في هذه الدار أن يحشرني معهم ويلحقني بهم في جنات تجري من تحتها الأنهار فإنه الجواد الكريم، ذو الفضل العظيم.

ولتعلم أيها الناظر في هذه المكاتبات أن ما كان فيها من الثناء على الحقير صادراً عن معدن العلم والعرفان، وموضع نظر الرحمن، فذلك لكمالهم، ومناسبة حالهم، فالكامل لا يرى إلا الكمال، ولا ينتقش في مرآته الكريمة النقصُ بحال، وثناء الصالحين يسر ولا يغر، وينفع إن شاء الله ولا يضر، وأما ما كان منه صادراً عن الإخوان، ومن جمعَتنا وإياهم المحبة في قديم الإحسان، فهو من حُسن ظنهم الذي هو من أعظم صفات أهل الإيمان، وإلا فإني أعرف بنفسي من غيري، وعلى يقين من حالتي في حطي وسيري. وقد قال بعض العلماء: «أحقُّ الناس من صدق ظنَّ الناس فيما يتحقق من نفسه»، والظنُّ بالمولى الكريم جميل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

اللهم ما أصبحَ بي من نعمة ظاهرة أو باطنة فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر على ذلك». انتهى.

[بعض إجازاته من شيوخه]:

ولصاحب الترجمة إجازاتٌ ووصايا من بعض مشايخه، كتابةً جمعَ أكثرها مع المكاتبات، وكلهم أجازوه وألبسوه، وتلقى من أكثرهم كلَّ ما يؤخذُ عن الأشياخ ويُروَى في الأثبات والمسانيد، وهذه إجازته من شيخنا الإمام المؤتمن، محيي السنن، ومنير الأغلاس، الحبيب أحمد بن حسن العطاس:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله موصل أحبابه إلى حضرة اقترابه، ونسأله أن يكشف عن القلبِ كثيفَ حجابه، وأن يصلي ويسلم على مُدير أقداح شرابِه، في مجالي كشف نقابه، وعلى عترته وجميع أصحابه، وعلى الولد المهذَّبِ الزكي، فرع العنصر النبوي، الطامح إلى المقام العُلوي، علوي بن محمد بن طاهر الحداد، بلغه الله المراد، وسلك به منهاجَ خير العباد، وأعانه على ما يُطلب منه ويُراد، آمين.

السلام عليكم ورحمه الله وبركاته ونفحاته وهباته

صدرت من بلد حُريضة، وقد وردَ إلينا كتابكم الكريم صحبةَ الولدين عبدالله وعلوي ابني طاهر، وسُرَّ به الخاطر وقرَّ به الناظر، وآنسْنا منه أنوارَ التعلقات القلبية، والتوجهات القوية، والأملُ في الله أن يوصلَ المنقطع، ويدني الشاسع إلى المقام الرافع، فإن الفضلَ واسع، يفتح للقلب المنير باب المطامع. ونحن لم نزل لكم ذاكرين، وإليكم ناظرين، وكلنا إن شاء الله داخلون في رعاية السلف، التي من صحت له ما تخلف.

وإذ طلبتم الإجازةَ؛ فدونكم إياها، والله يحقق الجميع بمقتضاها ومعناها، **أجزناكم** إجازةً عامةً تامةً، شاملةً كاملةً، في كل ما تجوز لنا درايته وروايته، وفي كل علم محمود، وتعلّم وتقرّب وتعمُّل وسير وسلوك ودعوة إلى الله، وكل ما يوصل إلى الله، ويؤثر عن العلماء بالله، على السَّنَن العلوي، والمنهاج النبوي. **وبالجملة**؛ فقد أجزناكم بجميع ما أخذناه عن مشايخنا، وما أُذنَ لنا أن نجيز فيه.

والوصيةُ لكم: تقوى الله، والتمسك بها، واقتفاء أسلافكم العلويين المتبعين لسيد المرسلين ﷺ، وترك الدخول فيما لا يعني من قيلٍ وقال، ومراء وجدال، والإقبال على صالح الأعمال.

والدعاء لكم مبذول ومنكم مسؤول، ويلغوا سلامنا أحبابّنا الكرام: محمد بن عيدروس الحبشي، ومحمد بن أحمد المحضار، وأخاكم حسين، ومن شئتم له السلام منا ومن الولدَين سالم وعلي. وكاتبه محمد بافضل، وما أهديتموه إلينا مقبول، والله يثيبكم كل مأمول، وما فعلتموه مع أهل قيدون من المواصلة فرحنا به منكم جم، والله يكون في العون، ويمحو عن القلب كاف الكَون.

من الفقير إلى عفو الله ولطفه

أحمد بن حسن بن عبدالله بن علي العطاس

حرر في ثمانية عشر من محرم سنة ١٣٣٣ ثلاث وثلاثين وثلاثمائة وألف».

[وصية وإجازة أخرى من سيدنا وشيخنا القطب المكين، طود العلم وكنز اليقين، نور الدين، الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي، قدس سره، آمين:



....](١).

[مرض الحبيب علوي بن محمد بن طاهر]:

ولما مرض صاحب الترجمة وهو مع سيدنا الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي ببلاد (بانقي وانقي)(٢) من أرض جاوه واشتدَّ به المرض، انزعجَ لذلك الحبيب محمدٌ المذكور،

---

(١) ما بين القوسين من الأصل والنسخة الثالثة، وقدر الفراغ في الأصل: صفحة ونصف، وتواصل النص في الثالثة، أما النسخة الثانية التي صححها السيد هبهب فكان السقط منها: أربع صفحات: ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١.

(٢) في الأصل: «جاتي واثمي»، والتصويب من النسخة ب.

فوقعت له واقعةٌ كشفية مع سيد المرسلين ﷺ بواسطة شيخه الحبيب الإمام علي بن محمد الحبشي، تتضمن حصول الشفاء لصاحب الترجمة وطول العمر، فأنشأ الحبيبُ محمد المذكور هذه الأبيات، وضمنها ما كُشفَ له من البشارات، قال قدسِ الله سره، (شعراً):

الحمد لله بعد الخوف والوجل ... قد حقق الله من إفضاله أملي

وزال همي وأبدى لي السرور جنا ... من القريض وليس الشعر من شغلي

إلا لبارقة للقلب قد لمعت ... بغارة حصلت من سيد الرسل

جاءت بواسطة القطب الإمام أبي ... شيخي إمامي وأستاذي الحبيب علي

فيها بشائر لا تحصى وأعظمها ... هو الشفاء من الأمراض والعلل

لنا وللسيد المفضال من شهدت ... له الأفاضل من حبر ومن بدل

بأنه خلف من أهله وبه ... تحيا المعالم في علم وفي عمل

أعني به علوي السر عمدتنا ... عند الخطوب إذا سحت بمنهمل

نجل الحبيب بن طاهرنا الطهور جما ... ل الدين والوقت يا لله من بطل

تاهت بطلعته الدنيا وفاخرت الحصبـ ... ـاء منها لما يعلو على زحل

فكيف لا وبحداد القلوب له ... في النسبتين اتصال غير منفصل

يا سادةً شرفوا عيني برؤيتهم ... وشرفوا شفتي باللثم والقبل

جودوا علي بما أرجو وأطلبه ... وسامحوني على ما كان من زللي

وأسعفوني بما قد رمت من مدد ... من فضلكم ودعوا التفصيل في الجمل

فإن لي صلةً منكم ولي رحم ... ولي بكم نسب في العالمين جلي[1]

(١) بعد هذا يوجد فراغ في الأصل بمقدار صفحتين، وفي النسخة الثانية نقص صفحة ١٤٤، وتواصل النص في النسخة الثالثة.

الفصل الرابع

في ذكر زياراته قدس الله سره، وتردداته إلى وادي ابن راشد وغيره من المشاهد والمعاهد

كان قدس الله سره حريصاً على زيارات الأولياء والصالحين الأحياء والأموات، كثير الترددات إليهم، لا يدخل بلداً إلا وزار من بها من الصالحين، وتعداد الأماكن التي زارها لا ينحصر، غير أنّ ذلك يُعرف بالإجمال من معرفة أسفاره، فكل بلد دخلها فقد زارَ من بها مرات، لأنه له بذلك عنايةٌ تامة.

وكان يقول: «أهلُ الله وسائط، ومن لا يعتقدهم من عين الله ساقط»، وقال قدس الله سره: «وأما التعلق بالصالحين، وخدمتهم بما يليق، والأدب معهم، وحسن الظن فيهم، فذلك الغنيمة الباردة، مع المقاصد الصالحة»، وقال قدس الله سره: «أوصيك بحسن الظن بالله وبرسول الله ﷺ وبالصالحين، وتوسل بهم في الشدائد، خصوصا سيد الوجود ﷺ»، وقال قدس الله سره: «أوصيك بزيارة المآثر السلفية، بالأدب وحسن الظن، واستحضار أرواحهم».

وكان قدس الله سره يشم ريحَ الأولياء أحياءً وأمواتاً، وكثيراً ما يشير إلى بعض القبور، ويخبر أنها قبور أولياء، حتى أنه قدس الله سره كان ذات يوم ماشياً في عَربية على جسرٍ خارجَ بلد حيدر أباد في الهند، فأمر صاحبَ العربية بالوقوف، ثم سأل من معه من أهل البلد: هل هناك ضريح تحت هذا الجسر؟ فقالوا: نعم، فقال قدس الله

سره: «إن صاحبه من الأولياء»، وخرج إلى عنده وزاره. وتحصلُ عند أكابر الأولياء إشاراتٌ وبشارات، لاسيما أسلافه الكرام، وربما ظهر بعضُها للحاضرين، كما يأتي.

وقد وفدَ قدس الله سره إلى (وادي بن راشد) على أسلافه القادات سبع أو ثمان مرات، في أكثرها يصل إلى عند نبي الله هود عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام، ويقيم عنده يومين وثلاثة أيام، قال سيدنا العارف بالله أحمد بن الحسن العطاس أعاد الله علينا من بركته: «أهل البرزخ يحبون محمد بن طاهر ويتباشرون بقدومه لزيارتهم». انتهى. وهذا بمعنى قول الشيخ أبو مروان لسيدنا الفقيه المقدم: «إن أهل البرزخ الشريف والضعيف يترجّونك كما يترجّى أهل حضرموت الخريف».

وقال الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور في وصفه لسيدي: «وله اتفاقات بالأولياء وأهل البرزخ مناما ويقظة»، إلى آخر ما يأتي.

قال سيدنا الحبيب قدس الله سره في بعض رسائله بعد ذكره للسلف رضي الله عنهم: «فإنهم أهلي وأحبهم ويحبوني، لا يجهل ذلك إلا جاهل، أو مستور عنه حاله»، وقال سيدنا العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي أعاد الله علينا من بركته: «إن الحبيب محمد له الإدلالُ التام في حضرة الله سبحانه وحضرة رسوله ﷺ، وحضرات العارفين أهل الوقت والسابقين»، أو ما هذا معناه.

وقال سيدنا الحبيب قدس الله سره في بعض كلامٍ له: «ولنا إدلال على الشيخ سعيد»، يعني: الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي. وأخبرني نائبُ خدمة ضريح الشيخ سعيد بن عيسى المذكور قال: «قال لي الحبيب محمد: إن الشيخ سعيد طارح نظره عليكم، ووالله أنه أمرني أن أطرح نظري عليكم».

قال بعضُ أخدام سيدي رضي الله عنه: دخلَ على الحبيب محمد رجلٌ وهو عند ضريح الشيخ سعيد وسلم، فلم يرد عليه السلام، وقال: «رأينا الشيخ سعيد أعرضَ عنه فأعرضنا عنه».

وقد رأيته ذات يوم يتكلم في كُوّةٍ من تابوت الشيخ سعيد، ثم أدنى أذنه من الكوة كالمتصنت[١]، وهكذا فعل ذلك مراراً، ولما أشكلت بعضُ قضايا سيدي علي والده رضي الله عنهما أخرجَ لوالده الشيخُ سعيدٌ كتابا يتضمّن أنّ ما فعله سيدي صواب، والحكاية في ذلك مشهورة وستأتي بكمالها في الفصل الثالث عشر[٢] من الباب الثالث.

وحكى بعضُ أخدامه، قال: زار الحبيب محمدٌ ذات ليلة وهو بتريم تربة بشار وخرجت معه ومعنا السيدُ أحمد بن محمد الصافي لا غير، فلما وصل الحبيب عند ضريح جَده القطب الحداد، أمرني والسيدَ المذكور أن نجلسَ في ناحية متواريةٍ منه بحيث لا نشاهده ولا نشاهدُ الضريح وما حوله، فجلسنا فبينما نحن كذلك إذا بزحمةٍ وأصواتٍ نسمعُها عند سيدي الحبيب، فاطلع السيد المذكور ليرى ما شأنُ الزحمة والأصوات! فأتاه رميٌ بحجر من جهة الضريح، ولم يزل يقومُ ويأتيه الرمي، إلى أن دعانا سيدي الحبيبُ فعاتبَ السيد المذكور على تطلعه، وقال: «آذيتمونا»، ولم نسأله عن شأن ذلك. انتهى.

وهكذا كان شأنُ سيدي رضي الله عنه، يختلي عند كثير من ضرائح أسلافه، ويأمر من معَه بالتقدم، ويقلِدُ على نفسه، إذا كان هناك بابٌ كقبةِ سيدنا أبي بكر العيدروس بعدَن.

وأخبرني سيدي الوالدُ حسين بن حامد العطاس، قال: «كنت مع الحبيب محمد بتريم، فزار ذات ليلةٍ وزرنا معه، فلما أصبحنا اجتمعنا بالسيدِ الولي المكاشف أحمد بن محمد الكاف، فقال للحبيب: زرتم البارحة؟ فقال: نعم، قال: إني رأيتُ الفقيه المقدم البارحة فقال لي: زارنا الليلة محمد بن طاهر، وفرّحَ المساكين وقسّم عليهم ونحن قسمنا عليه وعلى من معه، فقلت له: هاتوا قسمي مما أعطيتموهم، فأعطاني قطعة من الحلوى، وإذا طعمها أحلى من الشهد، ولونها أصفر من الزعفران، فأكلتها، وانتبهتُ وطعمها في فمي، وآثار صفارها على أشداقي».

---

(١) ب: كالمنصت.

(٢) هذا الفصل لم يصل إلينا، وانتهى الموجود إلى الفصل الحادي عشر، كما سيأتي.

وفي بعض زياراتِ سيدي الحبيب قدس الله سره لسيدي القطبِ صالح بن عبد الله العطاس رضي الله عنهم، قال سيدنا العارف بالله محمد بن صالح المذكور: «رأيتُ والدي يقسّم تفاحاً على محمد بن طاهر ومن معه، فقلت له: لماذا خصصتموه ومن معه بالتقسيم من دون سائر الزائرين؟ فقال: لأنه يفرّح المساكين الحاضرين عند الضريح».

ومما وقع له بتريم: ما أخبرني به بعض أخدامه وغيره ممن زار معه أول زيارة لتلك المآثر الكريمة والسُّوح العظيمة، قالوا: زار الحبيب محمد رضي الله عنه ليلةً وصوله بعد العشاء، فلما وصلوا عند ضريحِ الشيخ سعدِ السويني: وجدُوا رجلاً هناك صافحه واحترمه وطلب منه الدعاء، فلما انتهت الزيارةُ أمر خادمه أن يعطيَ ذلك الشخصَ شيئاً من الدراهم، فأعطاه فلم يقبلها، فأخبر الخادمُ سيدي وقد خرج من المقبرة، فقال لمن معه: «التمسوا الرجلَ»، فالتمسوه فلم يجدوه، فقال لهم: «هو الشيخ سعد السويني»، وفي رواية: أنهم إنما وجدوا الرجلَ المذكور خارجَ المقبرة وقد ركب سيدي دابته، فطلبَ منه أن يوجهها إلى القبلة ويدعو له ففعل، وأمر خادمه أن يعطيه شيئاً فلم يقبله، وإن الذي أخبرهم أنه الشيخ سعد السويني، هو سيدنا الحبيب عمر بن الحسن الحداد، ويحتمل أن تكون الحكاية متعددةً، والله أعلم.

وأخبرني السيد عمر بن حسن باعقيل رحمه الله المتوفى سنة ١٣٣٤ قال: كنتُ مع الحبيب محمد في بعض زياراته لحضرموت ـ أي: وادي ابن راشد، لأنه الذي يطلق عليه اسم حضرموت في اصطلاح أهل دوعن ـ قال: فلما وصلنا إلى عِينات قال الحبيب محمد: «إذا وصلنا إلى قسَم سنستخير الله في زيارة نبي الله هود عليه السلام ونتبع الإشارة في ذلك»، فلما وصلنا إلى قسَم وزرنا سيدنا أحمد بن الفقيه سألناه بعد الزيارة عن زيارة نبي الله هود، فقال: «إنه ـ أي: نبي الله هود عليه السلام ـ لاقانا إلى هنا، وحضر زيارتنا، وحصل المقصود»، ورجعنا من هناك.

وأخبرني السيد صالح بن عبدالله الكاف، قال: لما كان الحبيب محمد في بندر سربايه في السنة التي توفي فيها، زار ذاتَ ليلةٍ الولي المعروفَ بعنفيل، وذلك بعد انتصاف الليل، وزار معه جملةٌ من أصحابه، وكنت معه، فلما وصلنا المقبرة وجَدنا المكان الذي فيه ضريحُ الشيخِ مقفلاً، فرجع بعضُ الحاضرين ليأتي بالمفتاح من عند الخدام، فلم ينتظره الحبيبُ وفتح القفل من غير مفتاح، ودخلنا فلما رجعَ الذي ذهب للمفتاح وجدَنا قد دخلنا، فقال في نفسه: هل فتحه الحبيب محمدٌ كرامةً، أم الخدَّام نسيه لم يمكِّن تقفيله؟ ورجعَ وسأل الخدام، فأخبره أنه أحكم تقفيله كعادته، فبقي متردداً، ثم أتى وحضَر الزيارة.

وبينما نحن نزور إذ رأينا في ضَوء القمر ظلالَ شخصٍ يمشي في الجدار من غير أن نرى الشخص، وحصل في الزيارة تلكَ مع الحاضرين خشوعٌ عظيم. فلما خرجنا راجعين، قال لنا الحبيب محمد: «هل رأيتم شيئاً في الزيارة؟»، فقلنا: نعم؛ وجدنا لها خشوعاً عظيماً، ورأينا ظلالاً في الجدار يمشي من غير شخصٍ! فسكتَ رضي الله عنه. ثم قال للذي رجع للمفتاح: «شكّيت يا فلان في فتح القفل من غير مفتاح، وذهبت تسأل الخادم! فتحناها قلوباً فكيف لا نفتحُها قفولا». انتهى.

يعني قدس سره بقوله :«فتحناها قلوباً»، إلخ: أن من آتاه الله مفاتيح الحكمة يفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، وراثةً محمديةً وخلافةً مصطفويةً، كيف لا تفتح[1] له القفولُ الصورية بلا مفاتيح، والله أعلم. وفتح القفول بلا مفاتيح كثيراً ما يقع لسيدي قدس الله سره.

ولما زار الوليَّ المعروف في حيدر أباد بـ(بابَ شرف الدين) أول زيارة، سمعَ كثيرٌ من الحاضرين أصواتاً من داخل القبر كأصوات المدافع، والواقعُ له قدس الله سره مما ذكرناه لا يكاد يحصى.

---

(١) ب: تنفتح.

وكانت تظهر عليه قدس الله سره عند الزيارات حالاتٌ عظيمة، أخبرني الحبيب عبدالباري بن شيخ [بن عيدروس][1] العيدروس: أن سيدي قدس الله سره طلب من والدِه نفع الله به أن يزور به مقابر بشَّار، فأسعفه بذلك، قال: ولما رجع الوالدُ قال لنا: «رأيتُ من الحبيب محمد في الزيارة عجباً، فحيناً يضحك، وحيناً يبكي، وحيناً ينبسط، وحيناً ينقبض». انتهى.

وكان قدس الله سره كثيرا ما ينشد في حضرات الأكابر قول الشيخ السودي:

بكُم صعبُ الأمور يكون سهلا ... فبالإحسانِ جودُوا يا كرامُ

وربما قالَ قبل ذلك أو بعدَه مخاطبا للمزُور :«يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين»، وكانت فاتحته التي يرتبها بعد قراءة يس وما تيسر من القرآن والأذكار فاتحةً عظيمةً، تهش لها القلوب، وتلتذ بها الأسماع، وتسكن لها الجوارح وتهتز لها الجوانح، يأتي فيها من الدعوات الجامعة الكاملة العامة التامة بغير تأمل ولا تفكر، بما يعرف بها سامعها أنها واردٌ رباني، وفتح رحماني، ونفس عرفاني. وكان بعض السادة يقول: «فاتحة الحبيب محمد بن طاهر وِردٌ!».

وكان قدس الله سره ربما قبّلَ الأعتابَ عند دخوله على أكابر العارفين، كأسلافه ببشّار، كان يقبل الدرجَ الذي أولُ ما يأتي عليه الداخل إلى تلكِ الرياض المنيرة، وكعتبة قبة الشيخ أبي بكر العيدروس العدني، وقبة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وغيرها.

وللعلماء في تقبيلِ المآثر الشريفة والأماكن المعظمة كلامٌ منتشر، وقد أجازه كثير من الأئمةِ قياساً على تقبيل الحجر الأسود، بل قال بعضهم: باستحبابه إذا صحبته النيات الصالحة والمقاصد الحسنة. وقد أطال النقلَ في هذا البحث الإمامُ العارف بالله محمد بن أبي

---

(١) زيادة من الأصل.

وأخبرني السيد صالح بن عبدالله الكاف، قال: لما كان الحبيب محمد في بندر سربايه في السنة التي توفي فيها، زار ذاتَ ليلةٍ الولي المعروفَ بعنفيل، وذلك بعد انتصاف الليل، وزار معه جملةٌ من أصحابه، وكنت معه، فلما وصلنا المقبرة وجَدنا المكان الذي فيه ضريحُ الشيخِ مقفلاً، فرجع بعضُ الحاضرين ليأتي بالمفتاح من عند الخدام، فلم ينتظره الحبيبُ وفتح القفل من غير مفتاح، ودخلنا فلما رجعَ الذي ذهب للمفتاح وجدَنا قد دخلنا، فقال في نفسه: هل فتحه الحبيب محمدٌ كرامةً، أم الخدَّام نسيه لم يمكِّن تقفيله؟ ورجعَ وسأل الخدام، فأخبره أنه أحكم تقفيله كعادته، فبقي متردداً، ثم أتى وحضَر الزيارة.

وبينما نحن نزور إذ رأينا في ضَوء القمر ظلالَ شخصٍ يمشي في الجدار من غير أن نرى الشخص، وحصل في الزيارة تلكَ مع الحاضرين خشوعٌ عظيم. فلما خرجنا راجعين، قال لنا الحبيب محمد: «هل رأيتم شيئاً في الزيارة؟»، فقلنا: نعم؛ وجدنا لها خشوعاً عظيماً، ورأينا ظلالاً في الجدار يمشي من غير شخصٍ! فسكتَ رضي الله عنه. ثم قال للذي رجع للمفتاح: «شكّيت يا فلان في فتح القفل من غير مفتاح، وذهبت تسأل الخادم! فتحناها قلوباً فكيف لا نفتحُها قفولا». انتهى.

يعني قدس سره بقوله :«فتحناها قلوباً»، إلخ: أن من آتاه الله مفاتيح الحكمة يفتح بها أعيناً عمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً، وراثةً محمديةً وخلافةً مصطفويةً، كيف لا تفتح[1] له القفولُ الصورية بلا مفاتيح، والله أعلم. وفتح القفول بلا مفاتيح كثيراً ما يقع لسيدي قدس الله سره.

ولما زار الوليَّ المعروف في حيدر أباد بـ(بابَ شرف الدين) أول زيارة، سمعَ كثيرٌ من الحاضرين أصواتاً من داخل القبر كأصوات المدافع، والواقعُ له قدس الله سره مما ذكرناه لا يكاد يحصى.

---

(١) ب: تنفتح.

وكانت تظهر عليه قدس الله سره عند الزيارات حالاتٌ عظيمة، أخبرني الحبيب عبدالباري بن شيخ [بن عيدروس][1] العيدروس: أن سيدي قدس الله سره طلب من والدِه نفع الله به أن يزور به مقابر بشَّار، فأسعفه بذلك، قال: ولما رجع الوالدُ قال لنا: «رأيتُ من الحبيب محمد في الزيارة عجباً، فحيناً يضحك، وحيناً يبكي، وحيناً ينبسط، وحيناً ينقبض». انتهى.

وكان قدس الله سره كثيرا ما ينشد في حضرات الأكابر قول الشيخ السودي:

بكُم صعبُ الأمور يكون سهلا   فبالإحسانِ جـودُوا يـا كـرامُ

وربما قالَ قبل ذلك أو بعدَه مخاطبا للمزُور :«يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنا كنا خاطئين»، وكانت فاتحته التي يرتبها بعد قراءة يس وما تيسر من القرآن والأذكار فاتحةً عظيمةً، تهش لها القلوب، وتلتذ بها الأسماع، وتسكن لها الجوارح وتهتز لها الجوانح، يأتي فيها من الدعوات الجامعة الكاملة العامة التامة بغير تأمل ولا تفكر، بما يعرف بها سامعها أنها واردٌ رباني، وفتح رحماني، ونفس عرفاني. وكان بعض السادة يقول: «فاتحة الحبيب محمد بن طاهر وِردٌ!».

وكان قدس الله سره ربما قبّلَ الأعتابَ عند دخوله على أكابر العارفين، كأسلافه ببشّار، كان يقبل الدرجَ الذي أولُ ما يأتي عليه الداخل إلى تلكِ الرياض المنيرة، وكعتبة قبة الشيخ أبي بكر العيدروس العدني، وقبة الشيخ سعيد بن عيسى العمودي، وغيرها.

وللعلماء في تقبيلِ المآثر الشريفة والأماكن المعظمة كلامٌ منتشر، وقد أجازه كثير من الأئمةِ قياساً على تقبيل الحجر الأسود، بل قال بعضهم: باستحبابه إذا صحبته النيات الصالحة والمقاصد الحسنة. وقد أطال النقلَ في هذا البحث الإمامُ العارف بالله محمد بن أبي

---

(١) زيادة من الأصل.

بكر الشلي في «المشرع الروي»، بما يشفي الغليل، فلينظره من أراده. وما أحسن قول سيدة نساء العالمين في المعنى: صلى الله على أبيها وعليها وسلم:

ماذا على من شمَّ تربةَ أحمدٍ ... أن لا يشمَّ مدَى الزمانِ غواليا

ويلتحقُ بتلك التربةِ العظيمة غيرُها من الترب الكريمة، ولله در مجنون بني عامر حيث يقول:

أمر على الديار ديار ليلى ... أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي ... ولكن حب من سكن الديارا

وقد وجدتُ في بعض التعاليق القديمة ما له مناسبةٌ بها هنا، معزواً إلى الإمام حجة الإسلام الغزالي قدس الله سره، فأحببتُ إيراده، لاسيما وقد أمرني بنقله من أصله سيدي العارف بالله الحبيبُ محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي نفع الله به، ووجدته عنده، وصورتُه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«قال بعضُ العارفين، من الأئمة المكاشفين، في أثناء كلامٍ له:

ومن زار قبراً من قبور الصالحين كان كمَن زار صاحبه حياً، فإنه يبصر زائره ويسمعه ويراه ويسمع كلامه، وقد يكلمه ويرد عليه، إلا أن الزائر لا يسمعه ولا يراه، ولو كُشف رانُ الذنوب عن القلوب لرأى الزائرون من الأحياءِ أهلَ القبور من الموتى، وسمعوا كلامهم، وإن الأمواتَ لتفرحُ بزيارة الأحياء، وتقبل بوجوهها إلى الزائرين الذين يقصِدُون رضَى رب العالمين، وإن بعضَهم ليقول لبعضهم: جاءكم اليوم فلانٌ، هذا فضلُ الله تعالى.

وإن طوائفَ من الأمواتِ ليعرفون الزائرين، والأيام المكروهة، وان الله ليقسم نوره ورحمته على قبور الموتى وعلى الأحياء، وأن بعضَ الأموات ليكونُ في الجنان أو في

السماوات أو في كونٍ من الأكوان، فيجيء إلى المقبرة وقد ارتفعَ الزوارُ، والنور على قبره مبسوطٌ مثلَ الهدية. فيقول لإخوانه ولجيرانه من الموتى الذين لا يغيبون عن قبورهم: من زاركم بعدي؟ فيقولون: فلانٌ وفلان، جاؤوا وذكروا الله وآلاءه ونعماه وثوابه وعقابه، ثم تضرعوا ودعَوا وخشعوا وبكوا، فنظر الله إلينا وإليهم ورحمنا، وهذا مما قسم الله لكَ معنا بفضله، قد عم الحاضر والغائب. ثم ينظرُ إلى قبور إخوانه من الموتى قد أضاءتْ بنور رحمته، فيقول لإخوانه: ألا ادعوا لإخوانكم الزائرين كما دعَوا لكم، فيدعون بما ألهمهم الله عز وجل. هذا حالُ عموم المؤمنين.

وأما أكابرُ الصالحين، أهل المقامات العظيمة والأحوال الكريمة، فحالهم أتمُّ، وهم عند الله أكرم، وحظ زائريهم أعظم، فإن الله عز وجل يقول في حقهم: «**وعزتي وجلالي لأكرمنَّ من أكرمكم، ولأعظمنَّ من عظمكم، ولأهيننَّ من أهانكم، ولأباعدنَّ من تباعد منكم**»، وفي سرِّ هذا الخطاب: «**أن من قبَّل في أيديكم، أو في أقدامكم، أو في نعالكم، أو في ترابِ نعالكم، أو في تراب قبوركم، أو في أحجار قبوركم، لأكرمنّه من أجل بركتكم، ولأرحمنه من أجلكم**».

ثم قال بعد كلام: «وقيلَ لبعض العارفين: من أكرم عندك، الذي قبل في رأسك أو الذي قبَل في يدك، أو الذي قبل في نعلك؟ فقال: كلهم مكرَّمون، إلا أن الذي قبل نعلي وقدمي أعظمُ محبةً وأكثرُ تواضعاً». ثم قال بعد كلام: «وقد مشينا إلى قبور الصالحين، وزرنا قبورهم مع العارفين، ورأينا منهم ما يخرقُ العادات من الانبساط وتقبيل الحجَر، ووضع الخد على التراب، وقال: من فعل ذلك لم يرفع خدَّه إلا وقد قضى الله حاجته».

ثم قال بعد كلام: «ولو شئتُ أن أقول: إن من قبّل هذا الضريحَ، أو في حمايته، أو في ترابه وجبتْ له الجنة، لقلتُ، فإنّ في علم الله عز وجل مالا حصرَ له، ومالا يطلع عليه سواه، وإياك وما يقوله أهل الحصر والقياس». انتهى. كذا وجدتُه بخطٍّ بعضِ الفضلاء النبلاء، والله أعلم وأحكم». انتهى كلامُ الغزالي». انتهى ما وجدتُه في التعليق المشار إليه.

الفصل الخامس

في الإشارة إلى ذكر حجه قدس الله سره حجة الإسلام وزيارته لجده الأعظم عليه الصلاة والسلام

وقد حرر رحلةَ حجِّه بالإجمالِ سيدي الأخ العلامة علوي بن طاهر، قال حفظه الله ورعاه: «هذه صفةُ حجِّ سيدي الإمام الجليل العارف بالله وبرسوله، والمعطى غاية سوله ومأموله، الحبيبِ محمد بن طاهر بن عمر الحداد:

حجَّ قدس الله سره سنة خمس وثلاثمائة وألف (١٣٠٥هـ) من الهجرة النبوية، وكان مجيئه من الجهة الجاوية، وكتب إلى والدته يأمرها بملاقاته إلى عدن صحبةَ خاله السيد عمر بن أحمد بافقيه، ورحلَ بعد وصولها إلى عدن إلى جدة، فوصل إليها خاتمةَ شوال، وأقام بها باقيَ شوال، وطلع إلى مكةَ فاتحة القعدة، فتلقاه العلماءُ ووجوهُ الناس، وطلع بغاية العز والإكرام، ونزل بيتَ الحبيب العارف بالله الحسين بن محمد الحبشي.

وكانت إقامتُه باقي القَعدة بمكة، وكان يبسط كلَّ يوم مائدةً يأكل عليها نحوُ ستين أو سبعين نفراً، ووقع له في تلك الحجةِ شؤونٌ عظيمة، وكرامات جسيمة، وأطلق من الجود مالا يكيف، ومن الكرم مالا يوصف.

فمن ذلك أنه أعطى أولَ مطوِّف طافَ به خمسةً وعشرين ريالاً فرانسي، والحلاق الذي حلق رأسَه خمسةَ ريالات، وأعطى مقدَّم الأغوات خمسة وعشرين ريالاً، وأعطى باقي الأغوات من ريال، وأعطى ساداتِ الرباط من ريال، وطلبة العلم كذلك، وخصَّ

العلماء بما يليقُ بهم، وأعطى جميعَ مشايخ الحرم والمعروفين بالصلاح من أهل مكة، وأنفق من الثياب المثمِنة، والشِّيلان الكشمير، والجبب المصرية الثمينة كثيراً، على من ذكرنا. وكان كلما يخرج يستصحبُ عشرينَ ريالاً وأكثر، ينفق على الفقراء والمساكين.

وكانت العلماءُ تأتي إليه، مثلُ الشيخ محمد سعيد بابصيل، والشيخ حسب الله، والسيد عمر وأبي بكر ابني محمد شطا، والشيخ عمر باجنيد، وسائرُ علماء الحرم من جميع المذاهب وجميع الجهات. وأما القراءةُ في الحديث فمستمرةٌ في «صحيحي البخاري ومسلم»، والأوقاتُ معمورة مع مذاكرات تكتب بماء العيون، والشاهي والحلاويات والفواكه الطيبة مبذولةٌ للواردين، عملاً بقوله ﷺ: «**لا تفترقوا إلا عن ذواق**»[1].

واشتهر اشتهاراً كبيراً، حتى إن البيتَ يظل ملآن، وحمده واغتبط به وبمجيئه جميعُ العلماء والأولياء. ولقد أخبرني بعضُ أخدامه: أن أهلَ مكة يضربون به المثل في الجود، ويقولون: «ما جاء جوادٌ من حضرموت مثل الحداد».

ولما جاء وقتُ الحج توجه إلى عرفةَ وكان الوقوف بالجمعة، ومعه نحو ستين نفراً كلهم أمورهم وما ينوبهم منه، ونصبَ أربعَ خيام، وهُرِعت إليه الخلائق، والمائدة مبسوطة دائماً لمن أراد، لا يمنعُ منها أحد ولا يذاد، وجاء إليه جميعُ العلماء إلى خيمته ذلكَ اليوم.

وأخبرني بعضُ الذين حجّوا معه ذلك العام، قال: كان يأتي إليه أناسٌ كثير يسمُرون عنده وقتَ إقامته بمكة، ويأمرني أن أنامَ، فإذا سرَى الناس من عنده بقيَ جالساً يطالع ويقرأ ويصلي، حتى يسكن الخلقُ وتهدأ الأنام، فيوقظني، وأخرج معه فيطوف وأجلس له حتى يفرغ، ثم يذهب إلى البيت، كان هذا دأبه مدة إقامته.

---

(١) الحديث نصه كما أخرجه الترمذي في «الشمائل» ص٢٧٦ (حديث ٣٣٧) من حديث هند بن أبي هالة الطويل، وفيه: «كان ﷺ إذا أوى إلى منزله جزأ دخوله ثلاثة أجزاء جزءا لله عز و جل وجزء لأهله وجزء لنفسه، ثم جزأ جزأه بينه وبين الناس ...»، وفيه: «.. **يدخلون روّادا، ولا يفترقون إلا عن ذواق** ..»، الحديث. وأخرجه البيهقي في «الشعب» (٢/ ١٥٤، حديث ١٤٣٠)،

وفي بعضِ الليالي لقي مغربياً أشعثَ أغبر مكشوف الرأس، فجلس يكلمه حتى مضى أكثرُ الليل، وهكذا باقي الليالي صارا يتفقانِ في المطاف، ويجلسان بعد الطواف في الحصوة إلى آخر الليل، ويتكلمان بكلامٍ لا أعرفه مع غلَبة النعاسِ علي، وفي بعض الليالي قال لي الحبيبُ: «يا فلان! أتعرفُ هذا الرجل؟»، قلت: لا، قال: «هو الرجل الجالس على بابِ رباط المغاربة، الذي يخرز النعال هناك».

وصار الرجلُ المذكور بعد ذلك يأتي إلى البيت عند الحبيب بالنهار، ويجلس عند صف النعال، وينظر إلى الحبيبِ، وكلما نظر إليه، قال: «الله!»، مع تنفس الصعداء، وقال للحبيب: هذا البيتُ ما دخلتُه بعدَ السيد عبدالله الحبشي، إلا لما نزلتم فيه. وإذا أراد الخروجَ استقبل الحبيبَ ومشَى القهقرى حتى يتوارى.

وبعد مضي سنتين من وصولنا قيدون قال لي الحبيب: «يا فلان! هل تذكر الرجل المغربي الذي كنا نتفق به في الطواف؟»، قلت: نعم، قال: «هو من كبار الأولياء وممن يشهد تجرد الأرواح، وأظن أنه توفي هذه السنة». فإذا جاء الحجاجُ ذكَّرنا لنسألهم عنه، فلما جاء الحجاج سألهم عنه فأخبروه بوفاته في تلك السنة، فقال الحبيب: «إنه نزل وباءٌ على مكة وقتَ الحج، فتشفّع الرجل المذكور في رفعه، فخوطب بفيك أو فيهم؟ قال: بل فيَّ، وفدى الحجّاج بنفسه، وتوفي إلى رحمة الله، واسمه: الشيخ عبدالله المغربي».

ثم أن الحبيب بعدَ الحجِّ توجه إلى جدة، ومنها إلى ينبع، ومنها إلى المدينة المنورة، وكان ركبه نحوَ ثلاثين جملٍ محملةٍ شقاذفَ وزاداً وخياماً، وركبنا أكرَى على الجميع، وكان إذا رأى في الطريقِ أحداً يمشي يأمر بإكراء جملٍ له يركبُ عليه، فقيل له: إن نحو نصفِ الناس مشاة!! فقالَ: «لكن إذا أحدٌ ضعيفٌ أو شائبٌ أكروا له».

وكان مدةَ مسيره يمدُّ كل يوم مائدةً للركب، ويأمر بطبخ قدرٍ كبير مخصوصٍ أرزٌ بلحم باسم الفقراء، ويأمر أربعةَ أنفار يذهبون إلى جهاتِ القافلة الأربعِ، ينادون: «إن أحدٌ

جائع أو منقصِر يأتي فيأكل»، فربما كفَى الذين يأتون فضلةُ المائدة، ويبقى القَدر المخصوص باسم الفقراء، فيحملونه حملاً، ويقسمونه وهم على ظهر الجمل والقافلة تمشي.

[وصوله المدينة المنورة]:

ولم يزل بهذه الصفة حتى نزلَ المدينة المنورة على صاحبها أشرف الصلاة والسلام، وتلقاه وجوه المدينة، منهم: شيخُ السادة السيد حسين بافقيه، والسيد صافي الجفري، وغيرهم من العلماء وأهل الفضل، ودخل بمدخلٍ عظيم، وبجمعٍ جسيم، وأنشأ قصيدته التي أولها:

كفاني يـا رسـولَ الله مـا بِي　　　كفاني شَاغلي ولظَى اغترابي

وأنشدها الحادي الشيخ عبود باحسين تجاهَ الحجرة الشريفة. **قلتُ**: والقصيدة المذكورة مثبتة في الديوان في الجزء الثاني[١]. انتهى.

وأنفقَ في الحرم شيئا كثيراً من النقود، والثياب المثمنة، والشيلان، حتى تصدق بشاله الذي يلبسُه، وردائه وجبته، حتى لم يبقَ عنده من الثياب شيءٌ، واشترى لنفسه بعد تصدقه بثيابه التي يلبسها ثياباً بيضاء، وارتدى برداء كارَة، وأعطى شيخ أغواتِ الحرم المدني خمسةً وعشرين ريالاً، وباقي الأغوات كلَّ واحدٍ ريالاً، وعلماء المدينة وصلحاءها كلاً على قدره سراً. وكذلك كلُّ نفقاته وصدقاته رضي الله عنه في الحرمين وغيرها سراً، لا يظهر منها شيئاً إلا القليل، وهو الذي أثبتناه واطّلعنا عليه.

وكان إذا خرجَ إلى الحرم اجتمع عليه المزوِّرون والفقراءُ ومَن حول الحرم، فيأمر خادمَه بتفريق الدراهم عليهم حتى لا يقدر يمشي من الزحمة عليه، وإذا أراد زيارةَ شيء من المآثر يخرجُ بركبٍ عظيم، ويبسط مائدةً عظيمةً، والحلاويات مبذولة لكل طالب ووارد.

---

(١) ستأتي في قافية الباء أول الديوان.

وكان مدةَ إقامته يبسطُ مائدةً كعادته بمكة وزيادة، وكان ممن صحبه: الشيخ محمد بن عمر بازرعة، فرأى ذات ليلة أناساً خارجين من الحرم النبوي مشرقةً وجوههم بالنور، ومكتوبٌ في جباههم: «لا إله إلا الله، محمد رسول الله»، قال: فقلت: من هؤلاء؟ فقيل لي: هؤلاء أصحابُ الحبيب محمد بن طاهر، فقلت لواحد إلى جانبي: إني من أصحابِ الحبيب محمد، هل ترى في وجهي مثلَ ما في وجوههم؟ فقال لي: نعم! فحمدتُ الله تعالى. وأخبرتُ الحبيبَ بما رأيت ففرح كثيراً». انتهى.

ولما سأله أصحابه عن السفر من المدينة، قال لهم: «ما أقدر أقول لكم إني أريد الخروج من هذا المكان، ولكن إذا تأهبتم للسفر أنبئوني، فإن حصل الإذن سافرنا»، فذهب أصحابه وتجهزوا وأكرَوا الجمال، وأعلموه، وكان مراده تلك الليلة الدخول بامرأة خطبها وأعطى فيها مائة وخمسين ريالاً، فترك الزواج وترك الفلوس المذكورة لأهل المرأة!.

واشتهر في المدينة شهرةً عظيمةً وأكب عليه أهلُها يطلبون منه عزائم، حتى أنه أمر أصحابه بكتابةِ البسملة في قِطع الأوراق وتقسيمَها على الطالبين، وبلغ خبره الباشا صاحب المحمَل الشامي، فطلب منه وصوله إلى صيوانه، أي: خيمته، وتوسل إليه بشيخ السادة السيد حسين بافقيه، وقال: إنه مريض لا يقدر أن يجيء إلى عند الحبيب، فأسعفه الحبيب بسؤاله، وخرج إليه ليلاً هو والسيد حسين بافقيه المذكور وخَدَّامه المذكور سابقاً، فلما أقبل الحبيبُ ضربَ الموسيقَى لإقباله، وتلقاه الباشا وقدَّم له الكرسي، واحتفل به احتفالاً كثيرا، وضرب الموسيقى لجلوسه ولخروجه.

وأعطى الحبيبُ مقدَّمَ أهل الموسيقى أربعين رُبّية، وأمره بتفريقها على أصحابه، وقدم الباشا رأسَه إلى الحبيب فمسحَ عليه ونفثَ وقرأ وحصل الشفاء بإذن الله، ولما قام الحبيبُ منصرفاً إلى المدينة قام الباشا يودعه، وقامت العساكر ميمنةً وميسرةً، وخرج معه الباشا والموسيقى إلى أن ركب خيله.

ومَرَّ على رجوعه ببيت شيخ السادة المذكور وهو خارج المدينة بين السورين، ثم طلع إلى المدينة هو وخَدامه فأخذ الحبيبُ طريقاً غير المعهودة، وليست له خبرة بطرق المدينة لأنه لم يكثر تردده بها، فراجعه الخدام بأن هذا الطريق غير المؤدية إلى الحرم، وللخدام خبرة بشوارع المدينة وطرقها، فقال له الحبيب: «اتبعني»، قال الخدام: فسكتُّ، وأخذتني كالسِّنة وإذا بالقبة والحرم، مع أن تلك المدة لا نصل فيها إلى ربع الطريق، وظننت القبةَ بعضَ المشاهد الموجودة هناك، فقلت للحبيب: ضيعتنا! فضحك، وقال: «انظر إلى الحرم قبالتك»، فتماليتُ فإذا القبة الخضراء وباب السلام، فتعجبتُ وبقيتُ متحيراً.

وأوقفني الحبيب خلفه وتقدّم من خلف بابِ السلام لأنه مقفل، فسلّم وبكى وضحك، ورجع بعد السلام إلى محل آخر يصلي ويذكر الله وأنا خلفه، فأتى رجلٌ وفعلَ مثل ما فعل سيدي: سلم وبكى وضحك وذهب، فقال لي سيدي: «أخرج ربيةً وأعطها الرجل هذا الذي ذهب، فإنه سيرجع الآن، ولا تدعه يسألك»، فلبث يسيراً وجاء الرجلُ فأعطيته الربيةَ، فأخذها وأعطاها رجلاً هناك قائماً فقبضها منه ولم يكلم أحد منهما الآخر، فوقع في قلبي أنه وليٌّ لله أو الخضر، فقمتُ لأصافحه فناولني طرفَ أصابعه فقبلتها، وسألتُ الحبيب عنه: هل هو الخضر أو غيره من الأولياء؟ فقال: «ما أنا ولي حتى أعرف الأولياء!»، وقال لي: «هل صافحته؟»، فقلتُ: تلاقيتُ أطراف أصابعه وقبلتها، فقال: «يكفيك!».

ثم رجع الحبيبُ من عند الحرم إلى البيت، ولما وصلناه وجدناه مقفلاً والأصحاب قد رقدُوا، ففتح الحبيب الباب من غير إقليد، ودخلناه ولم يعلم بنا أحد من الأصحاب، وكان البيت المذكور الذي نزله الحبيبُ بحوش الجمَل المعروف بالمدينة قربَ الحرم، ثم رحل الحبيب بعد حصول الإذن إلى ينبع ثم إلى جدة، وأقام بجدة ثمانيةَ أيام، ثم طلع إلى مكة وأبقَى حاشيته بجدة، وكان طلوعه مستخفياً، ونزل زاويةَ جده القطب الحداد، وكان



قصدُه المكثُ من غير أن يعلم به أحد، فعلم الناس به واجتمعوا عليه كاجتماعهم أولاً، وأقام بمكة أياماً.

وخرج إلى جدة، ووافق المركب سايراً فركبَ فيه هو وحاشيته، والحوائج والزادُ مقبّلين بها في الزَّعيمة[1]، فمشى المركب قبل طلوع الحوائج فأخبره أصحابُه بذلك وطلبوا منه سؤالَ القبطان أن يتوقّف إلى أن تطلعَ الحوائج، فقال لهم: «اذهبوا إليه وكلموه»، فأبى القبطان أن يقفَ، فأخبروا الحبيب، فقال: «الآن بايقف»، فعرضت له زعيمة فارغةٌ فغرّقها، فطلَّع له المركبُ السلطاني بنديرةَ الكرنتينة، أي: التوقيف، فوقف حتى طلعتْ الحوائجُ والزاد، وهذه من تصرفات الحبيب رضي الله عنه.

وبينما الحبيبُ ذات يوم في مجلسه مع أصحابه ومعهم سُمْوار[2] موضوعٌ بالقرب من آلةِ المركَب، فجاء القبطانُ فرآه فمشَى على الفراش بنعالِه، وأخذ السُّموار ومراده رميه إلى البحر، فنهض الحبيبُ قدس الله سره وأخذ بحزام القبطان ورفعه من الأرض، وقال له: «ضعه مكانه أولى لك، فإن رميتَ به رميتُ بك خلفه»، فرأى الأمر جدًّا فوضع السُّموار في مكانه وذهب.

فظن الحبيب أنه يحدِثُ أمراً، فأمر من معه من الحضارم بحمْل السلاح، وقال لهم: «إن أتى القبطان وحدَه فأنا أكفيه، وإن أرسل أصحابه مقاتلين فاقتلوهم»، فقال له بعض أصحابه: ومن الذي يمشّي المركب إذا أهلكناهم؟ فقال لهم: «أنا أوصلكم عدن في ليلة واحدة، وأنا لكم من المطالبة بالجناية»، فبعد ذلك أرسلَ القبطان رسولاً يعتذر إلى الحبيب رضي الله عنه ويطلب العفو منه فعفا عنه، واحتفل بسيدي وبأصحابه بعد ذلك احتفالاً عظيماً». انتهى ما وجدته بخط الأخ علوي مع تصرف لا يخل بالمعنى.

---

(١) الزعيمة:

(٢) السُّموار؛ كلمة تركية أو هندية: إناء يغلي فيها الماء بوضع الجمر داخله لصنع الشاي ونحوه.

ومثلُ هذه القضية الأخيرة مع القبطان قد وقعتْ لسيدي رضي الله عنه مراراً مع غيره من الإفرنج، سمعته رضي الله عنه يقول: «سافرتُ من عدن أنا والسيد أحمد أسعد»، قلتُ: وهو الذي قرّبه السلطان عبدالحميد بعد ذلك. انتهى.

قال: «وكنتُ مستأجراً مخزناً والسيدُ المذكور في الموضع المعدِّ لعامة المسافرين، فكنت أخرج إلى عند السيد المذكور لإيناسه والاستئناس به، وكان بعض الأفرنج إذا مرَّ بذلك الموضع يمشي على سُجّادة السيد المذكور بالنعال، فجاء يوماً وأنا حاضر وأراد المرور كعادته، فقلت له بالهندية: ما يمكن تمشي على الفراش بالنعال، فغضب وجمع رِجْليه ووثبَ إلى سُجادة السيد المذكور، فجمعتُ رجليه بيدي ورميت به الأرض رميةً شنيعة، فقام ينفضُ أثوابه ولم يعد بعد ذلك اليوم إلى ما كان يفعل». انتهى.

وكان سيدي مدةَ إقامته بمكة يطوف كل ليلةٍ سبعةَ أسابيع فأكثر، يقرأ فيها أحزابه وأوراده من القرآن وغيره، وذلك في آخر الليل غير طوافه بالنهار وأول الليل وبعد الصلوات.

وأخبرني الشيخ علي بن عمر باصبرين ـ وكان ممن حج مع سيدي ـ قال: لم أقدر أضبط طوافَ الحبيب محمد في اليوم والليلة مدة إقامته بمكة، وأردت أن أتكلف معه الطواف كلما طافَ فلم أقدر. قال: وأخبرني كثيرٌ من أهل مكة انهم لم يرَوا حجاً هنيئاً مع كثرة الزحمة مثل ذلك الحج. قال: ورأى الشيخ العلامةُ محمد بن أحمد باحنشل، وكان ممن حجَّ تلك السنة: إن ثلاثة نفر يتخابرونَ عن شأن الموقف والواقفين، فقال لهم أحدهم: إن الله سبحانه قبِل أهل الموقف في هذه السنة كرامةً لهذا الحبيب، وأشار إلى سيدي قدس الله سره.

وأخبرني الحبيب عمر بن أحمد بافقيه خالُ سيدي قدس سره: أن بعض أهل الكشف أخبر أن الله رفع الوباء عن الحجاج في تلك السنة بشفاعةِ سيدي قدس سره.

وأخبرني السيد أحمد بن علوي باعقيل، قال: ما رأيت الحبيب محمداً باكياً مثل نهار دخولِه إلى المدينة المنورة. قلتُ: وذلك بكاء السرور، وفيض إشراق النور، قال الجنيد قدس الله سره (شعراً):

وتمنيـــتُ أن أراكَ فلــــما رأيتكَـــا غلبتْ دهشةُ السرورِ فلم أملك البكاءْ

وإلى مثل ذلك الحال والمقام يشيرُ جدُّه القطب الحداد بقوله:

ووقفنـــا تجاهَـــه بخُـــشوعٍ وخـــضوعٍ وهَيبـــةٍ واحـــترامِ
وقلـــوبٍ طـــوافحٍ بـــسُرور وابتهـــاجٍ ولوعـــةٍ وغـــرامِ
ووجـــوهٍ مبتلـــةٍ بـــدموعٍ من جفونٍ تفيضُ فيضَ الغـمام

وكانت مدة إقامته بالمدينة ثمانية عشر يوماً وباتَ في الحجرة الشريفة ثلاث ليالي، وزار جميعَ المآثر المعهودة.

وأخبرني الشيخُ علي باصبرين قال: لما رجع الحبيبُ محمد من المدينة إلى جده أراد السفر إلى عدن، فوجدنا مركباً مسافراً غير أنه قد صار فيه من المسافرين كفايته، فخاطبنا صاحبه في أن نسافر فيه فأبى، فطلع الحبيب إلى مكةَ لتجديد العهد الجديد، وكنت معه وأراد أن يختفي بمكةَ من حصول العِبرة ليصفو له الوقتُ، فدخلنا بخفيةٍ إلى زاوية جده القطب الحداد، ولم نخبر أحدا، فلم تتفق له الخلوةُ بل علِمَ الناس بدخوله وتواردوا إليه. انتهى.

وقد ذكرتُ هنا قولَ أبي الطيب المتنبي رحمه الله:

أصـبحتَ تـأمرُ بالحجـابِ لخلـوةٍ هيهاتَ لستَ على الحجـابِ بقـادرِ
مـن كـان ضـوءُ جبينـه ونوالِـه لم يحجَبـا لم يحتجـبْ عـن نَـاظرِ
فإذا احتجبـتَ فأنـت غـيرُ محجَّـبٍ وإذا بطنـتَ فأنـتَ عـينُ الظـاهرِ

وهذا؛ أعني اجتماعَ الناس عليه ولو كان بقُلة جبلٍ هو المعروف من شأنه قدس سره في كل زمان ومكان، حتى أنه كان ربما خرجَ إلى بعض الشعاب البعيدة عن العمران لقصدِ السكون والخلوة فلا تمضِي مدةٌ يسيرة من وصوله إليه إلا وهو مزحومٌ من الناس على اختلاف أجناسهم ومراتبهم وحاجاتهم، ولا يرجع أحد منهم إلا بحاجته، وكان يقول: «لو تركَنا الناسُ لعملنا أربعينية وخلونَا مدةً للعبادة فإنا مشتاقون إلى ذلك».

أخبرني الحبيب محمد بن أحمد المحضار، قال: «أتى إلينا الحبيب محمد مرةً فطلعنا به إلى شعبٍ فوق البلد لقصد النزهة والخلوة، فلم يرتفع الضحى إلا وقد اجتمع نحوُ سبعين نفرا من البلدان القريبة!». انتهى بمعناه.

قال الشيخ علي باصبرين: ولما كان ثاني يومٍ من وصولنا إلى مكة أمرَني الحبيب أن أكتبَ في السلكِ[1] إلى جدة لبعضِ الأصحاب بأنه متى حصلَ المركب يخبرونا بحصوله في السلك، وقال لي: «الظاهر أن صاحبَ المركب الذي قد كلمتوه وأبى يرضَى الآن»، فكان الأمر كما قال، أتى الخبر تلك الليلة بأنه رضي، فكانت إقامتنا بمكة يومين وليلتين، ورجعنا إلى جدة فوصلناها يومَ سفر المركب، فكان طلوعنا إلى البحر آخرَ الناس، فمشى المركب، وأكثرُ حوائجِ الحبيب وسعفه لم تطلع، وناسٌ مودعون لم يخرجوا، فخاطبْنا القبطانَ أن يتأنى قليلاً، وبذلنا له دراهم فأبى.

فكان من قدر الله أن اعترضته زعيمة صغيرة غرّقها بمَشْيه، فطلعت له بنديرةُ التوقيف من المركب الحربي السلطاني، فوقف كُرها، فأمر من قبل نفسه عند ذلك بتَطليع الحوائج وأمر البحرية أن يفكُوا العفريتةَ: آلةٌ تطلَعُ بها الحوائج، فطلعت الحوائج وخرجَ من بقي من المودعين. وحصلت له الرخصةُ في المشي لأنه لم يتضرر أحدٌ ممن في الزعيمة،

---

(١) لعل المراد: البرقية، التلغراف.

وعرف جميع من في المركب أنها كرامةٌ، حتى أن بعضهم خرجَ من مخزنه وأعطاهُ الحبيبَ، لأنا ما وجدنا مخازن بقدر حاجتنا». انتهى.

وقد تكرر لسيدي مثلُ هذه القضية في كُلُم[1] وبمْبَي، وقد ذكرت ذلك في الباب الخامس، والله أعلم.

* * *

(١) كذا في الأصل، والمراد: كلمبو، عاصمة جزيرة سيلان.

الفصلُ السادس
في ذكرِ أسفاره قُدس سره
وبعضِ ما وقعَ له فيها لتعلقِ بعضِه بهذا البابِ

وأقدم بين يديّ فائدةً، وهي ما قاله سيدنا القطب النبراس أبو بكر بن عبد الله العطاس قدس الله سره: «إن من العباد من أودع الله في سره ودائع للمؤمنين، بعضهم بالقراءة عليه، وبعضهم بالسماع منه، وبعضهم بالنظر إليه، ولم يمكنهم الوصول إليه، فقيض الله له الأسباب حتى يؤديَ الأمانات لأربابها علمَ هو أو لم يعلم، وعلموا هم أو لم يعلموا، عرف ذلك من عرفه، وجهله من جهله». انتهى.

فكان لسيدنا الحبيب قدس الله سره من ذلك الحظ الأوفر، فكان كثيرَ الأسفار والتنقلات في الأرض لأداءِ الأمانات، ولنشر الدعوة إلى رب البريات، مع ما يندرج في ذلك من صالح النيات، ولم يدخل بلدةً إلا ودَعا إلى الله أهلَ الدعوة من أهلها، وانتفع به جلها، وأقبل عليه صغارها وكبارها، واعتقده مسلموها وكفارها، واخصبت أمطارها، وأشرقت بالنور دورها وأدوارها، وأنشد بها لسان الحال (شعراً):

لله قـــــوم إذا حلـــــوا بمنزلـــــة ... حل الرضى ويسير الجودُ إن ساروا
تحيـا بهـم كـل أرض ينزلـون بهـا ... كـــأنهم لبقـــاع الأرض أمطـــار

والبراهين على ما ذكر مبسوطة في هذا الكتاب، لا ينكرها إلا حاسد محروم أو مرتاب، وهؤلاء ما يتوجه إليهم خطاب، ولولا أن سنة الله جرت بأن يقرب من

حضرته بأوليائه أناساً ويطرد بهم آخرين، فضلاً منه سبحانه وتعالى وعدلاً ـ نسأله السلامة والحفظ ـ لما كان ينبغي أن يكون لهذا الحبيب قدس سره حاسدٌ، لجمعه أشتات الفضائل والمحامد، ولكن ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

قال الإمام الكبير داود بن ماخِلاّ قدس سره: «للولي نوران: نور عطفٍ ورحمة يجذب به أهل العناية، ونور قبضٍ وغيرةٍ وقهر يدفع به أهل البعد والغواية، لأنه يتصفّح بين دائرتي فضل وعدل، فإذا أقيم بالفضل ظهر فجذبَ فنفع، وإذا أقيم بالعدل والعز حجب فخفي ودفع، ولذلك أدبر بعضٌ وأقبل بعضٌ». انتهى، نسأل الله السلامة من الإدبار بمنه وكرمه.

[أول أسفاره إلى الهند سنة ١٢٩٣هـ]:

فأول أسفاره قدس الله سره سنة **١٢٩٣** ثلاث وتسعين ومائتين وألف تقريباً إلى الهند، وكان سفره من المكلا إلى عدَن، هو والحبيبُ العارف بالله محسن بن عمر العطاس صاحب بُرودَهْ من الهند، وهو من مشايخه وسيأتي ذكره في الباب الثامن(١).

ووصل في سفره هذا إلى حيدر أباد، وأسعفه الله بالمراد، ولم تطل غيبته. وأخبرني بعضُ من اجتمع به في حيدر أباد في سفره هذا: أنه يعطي الحلاق ربيةً! فقس على هذه غيرَها.

وفي سفره هذا أنشأ قصيدةً باللغة الهندية، فلما سمعها الهنود عجبوا من كون منشئها عربياً لم يمكث ببلادهم إلا أشهر، مع عدم اختلاطه بهم، ولم تُحفظ هذه القصيدةُ وإلا لأثبتّها هنا، إنما كان يحفظها هو رضي الله عنه.

وقد تكلم قدس الله سره بالهندية وبغيرها من اللغات الأعجمية قبل سفره! ولا غرابةَ في ذلك، فقد ذكر الشيخ أحمد بن المبارك المغربي في كتاب «الإبريز» نقلا عن شيخه

---

(١) لم نعثر على ترجمته في الباب المذكور بكل أسف.

السيد الإمام عبد العزيز الدباغ: «أن الوليَّ يعرف جميعَ اللغات ولكن لا يتكلم إلا بلغته التي نشأ عليها، حتى أنه إذا اجتمعَ وليان عربي وعجمي ترى العربيَّ يتكلم بالعربية ويجيبه الآخر بالأعجمية، وكل واحد منهما يعرف كلام صاحبه». انتهى بمعناه. وسيأتي قريباً ما يؤيدُ ذلك من اجتماع سيدي قدس الله سره بكثير من أولياء الهنود ومحادثته لهم.

وقد كان قدس الله سره مع معرفته باللغة الهندية لا يكلمُ أحداً ممن زاره من الأمراء والوزراء الأعاجم إلا بترجمانٍ، ومهما غلط الترجمانُ في ترجمة بعض الألفاظ ينبهه على غلطه، وكانت له في أسفاره حالاتٌ غريبة، ومنازلات عظيمة، ومجاهدات شديدة، وفتوحات قلبية، وكشوفات غيبية.

أخبرني الحبيبُ الأريب عبد الباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس: «أن والده أخبره: أن سيدي قدس الله سره قال له: إن أكثر فتحي في الأسفار». فكانت تظهر له الأسرار من وراء الأستار، في تقلباته والأطوار، وتشرق له الأنوار، من حفظ الأنفاس والحواس عن ملابسة الأغيار، وعمارة الأوقات بالأوراد والأذكار، آناء الليل والنهار، وكل سفرٍ من أسفاره يحتوي على مجلدٍ من أخباره، غير أن عدمَ من يلقي لها بال، أضاعها في زوايا الإهمال.

وفي سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٨هـ) تقريباً، سافر رضي الله عنه إلى جاوة وهذا أولُ أسفاره اليها، قال الحبيب المنيب شيخ بن محمد الحبشي: «وكان الحبيب محمد في سفره هذا في لوعةِ الإرادة، فكانت ترد عليه الوارداتُ العظيمة، منها: ما يبرُد لها جسمه، ومنها: ما تتغير لها صورته، ومنها: ما يضحكه، ومنها: ما يبكيه»، قال: «وكان كثيراً ما يخرج بنا ولا ثالثَ معنا لزيارة الأولياء، وكان يرى المرائي الحسنة العظيمة الدالة على ما ظهر بعد ذلك من أحواله». انتهى.

وهكذا كل من حكى عن سيدي في بدايته يحكي عجباً من أحواله، وغريباً من

دلائل فضله وكماله، فكان كما قال الحبيبُ علي بن محمد الحبشي: «لا تزال عين العناية ترعاه في جميع قضاياه، وفيه ظهرت أنوارها، ولاحت أسرارها».

وكان قدس الله سره في بدايته يقيمُ الصورَ الظاهرة في المعاملات الدنيوية فكان في سفره هذا والذي بعدَه يتعاطى أسبابَ البيع والشراء، وكسب الحلال، تعرضاً لفضل ذي الجلال، وكفايةً الأهل والعيال، ودخولاً على الثواب من كل باب، وكان محظوظاً في البيع والشراء، ومسعوداً في كل ما توجه إليه.

فقام بكفاية والده منذ نشأ كما تقدمَ ذلك عن الحبيب عمر بن حسن الحداد، وكان قدس الله سره كثيراً ما يوصي بتعاطي الأسباب المعاشية، والاستغناء بذلك عن التطلع إلى ما في أيدي الناس،الذي هو علامة الإفلاس، ويروي الوصيةَ بذلك عن شيخه القطب أبي بكر العطاس، وهكذا كان شأنه في بدايته.

وأما حاله في نهايته فخارجٌ عن عالم الحكمةِ، بل هو من عالم القدرة، كما قال الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي، لأنه مع كثرةِ ما ينفق لم يعلم لدخولِ الدراهم عليه وجهٌ ظاهر، وستأتي الإشارة إلى ذلك في الباب الثالث.

وفي سفره هذا قال قدس الله سره: «ضبطت خواطري وأجريت كل خاطر في مجراه»، قال سيدي الحبيب محمد بن عيدروس المذكور آنفا: «أين مقام القائل من الصوفية: وقفتُ على باب قلبي أربعين سنة!، إلخ من مقام الحبيب محمد هذا؟ فإنه قال: ضبطت خواطري، ولعل ذلك حصل له في أربعين يوماً أو أقل، وهذاك وقف على باب قلبه أربعين سنة ولم يضبطها»، قال: «وهكذا المحبوبون كالحبيب محمد يحصل لهم في جميعِ أحوالهم في المدة القريبة مالا يحصلُ لغيرهم إلا في المدة الطويلة». انتهى بمعناه.

وفي سفره هذا قال قدس الله سره: «جاهدت نفسي حتى استوت عندي المرأة الأجنبية والجدار». انتهى. قال الشيخ ابن المبارك في كتابه «الإبريز» المتقدم ذكره:

«وسألته ـ يعني: شيخه السيد عبدالعزيز الدباغ قدس الله سره ـ عن قوله تعالى: ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَـٰنَ رَبِّهِۦ﴾، ما الذي هم به؟ قال: هم بضربها، فسألته عما يذكُره بعض المفسرين في ذلك، فأنكره غايةَ الإنكار، وقال: أين العصمة؟».

ثم قال بعد كلام ينظره من أراده هناك: «وقد يبلغ الولي إلى حالةٍ يستوي في نظره محل الشهوة وغيره حتى يكون فرجُ الأنثى وهذا الحجَر ـ يشير إلى حجَر بين يديه ـ بمثابةٍ واحدة، وكيف لا! والمفتوحُ عليه لا يغيبُ عليه ما في رحِمِ الأنثى فضلاً عن غيره»، إلى آخر ما ذكر. والمقصودُ الإشارة بكلامه هذا إلى أن الحالةَ الواقعة لسيدي قدس الله سره حالةٌ عظيمة، ومرتبة من مراتب الولاية جسيمة.

وكان قدس الله سره يسمعُ الهواتف الحقية، سمعته قدس سره يقول: «قمتُ ليلةً من آخر الليل وصفَا لي الوقت، فسمعت هاتفاً يقول: لمثل هذا فليعمل العاملون».

وكان قدس سره لا ينام من الليل إلا القليل، ويتحرى المواضع الخالية يجلس فيها كعندِ ضريح أكابر الأولياء، وفوق الأندية والأنهار، يتروّح بذلك، ويتفكر في مخلوقات الله وعجائب مصنوعاته، قال سيدي الحبيب محمد بن أحمد المحضار: «لما كان الحبيب محمد بسُماران كنت أخرجُ معه في العربية في الليل إلى فوقِ البحر، فكان ربما أخذ مقدار ساعة فلكية رافعاً رأسه إلى السماء، شاخصاً ببصره متفكراً، فكنت أعجبُ منه كيف لا تؤذيه رقبته!». انتهى.

وكان قدس سره يجتمع بأكابر الأولياء أهلِ البرزخ كالشيخ إبراهيم صاحب الطُّوبان وغيره كما تقدم، وكان قدس سره يقول: «أمرني بالإكثار من أكل اللبان الذكَر»، وكان يقول: «من لا له وَردٌ فليدخّن باللبان، فإنه يقوم مقام الورد».

والطُّوبان: بلد بجاوه معروفة مقصودة بالزيارة. سمعت سيدي الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي يقول: «ان الشيخ إبراهيم صاحب الطوبان في جاوة مثل الشيخ سعيد

العمودي في حضرموت، ومن دخل جاوه ولا زاره لا تواتيه الأسباب، وإنْ واتته لا يبارك له فيما حصله». انتهى بمعناه.

وكان سيدي قدس الله سره يكثر من زيارةِ هذا الشيخ، وهو المخاطب في القصيدة الحمينية التي مطلعها:

يا أهلَ طُوباننا طابتْ لكم يا حبايـبْ ... طابت أوقاتكم وأحوالُكم والمشاربْ

وهي مثبتة في «الديوان»[١].

وفي سفره هذا، قال الحبيب العارف بالله أبوبكر بن عمر بن يحيى: «كنتُ ذات ليلة بعد نصف الليل عند باب داري في سرباية، وإذا بالحبيب محمد في المطراق يمشي وحده، فلاقاه من الجهة الأخرى بعضُ العرب، وشكى إليه بعضَ حاله وطلب منه الدعاء، فدعا له، وقال له: «إذا أهمك أمرٌ فقل: يا حداد، (ثلاث مرات)، وسيفرجه الله عنك». ثم ذهب الرجلُ ومشَى الحبيب محمد إلى قصده، فقلتُ: يا حداد يا حداد، فسمعني الحبيب محمد فضحك، ورجع إلي وجلس عندي، فبتنا نسمُر إلى طلوع الفجر.

وكان قدس الله سره في سفره هذا والذي بعدَه كغيرهما من أسفاره، يقيمُ المدارسَ العلمية في الحديث والتصوف والفقه وغيرها، ويرتبُ الرواتب والأوراد السلفية، فكان إذا كان ببتاوي يقيمُ المدارسَ في حارة العرب المعروفة بـ(باخوجان)، في مسجدها أو في زاوية شيخه الحبيب أحمد بن حمزة العطاس، وإذا كان بسرباية يقيم المدارس في المسجد المعروف بها بـ(مسجد النور)، و(مسجد الصرنج)، وإذا كان في سُماران يقيمها في المسجد وفي بيته.

وكان آية الآياتِ في التعبير وتأدية المعاني إلى أفهام السامعين، بعبارات فصيحة

---

(١) ستأتي في موضعها من الديوان.

قريبة، وكان ربما تكلم على البسملة في مقدار ساعة فلكية، وهذا كله في بدايته، وأما نهايته فلا تحيط بها عبارة.

وأخبرني بعض السادة قال: «لما كان الحبيب محمدٌ في سُماران، أرسل خمسمائة ربية إلى عدن طلب بها لَوزاً وزبيباً، فكان يفرقه على أهل المدرس». وهكذا كان شأنه قدس الله سره في ترغيب القاصرين في حضور المجالس النافعة، والمدارس الرافعة، في كل زمان ومكان، يقربهم من الخير بما تميل إليه نفوسهم.

وفي سفره هذا أو في الذي بعده قال رضي الله عنه: «رأيتُ كأني في بحرٍ لا أعرفه حال كوني غائصاً تعباناً، لم أستطع الخلوص والارتفاع إلى الهواء لأتنفس، حتى أيست من الحياة، فقلتُ في نفسي: ما كان ظني في ربي أنه يغرّقني، لأني حسنُ الظن به، فمجرد الخاطر ارتفعتُ وتنفستُ، وإذا بهاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه قائلا: هكذا يفعلون به حتى يخلصَ، أو قال: يوحّد، فإذا أخلص، أو قال: وحّدَ، هدأتِ الأصواتُ وسكنت الرياح، وهذه السفينة! فإذا السفينةُ بجانبي، فانتبهت فزعاً فرحاً».

وفي سفره هذا قال: «كان من عادتي ألا أردَّ سائلاً ولو بشيء يسير، فغلّقت علي الدراهم في بعض الأيام وأنا في سرباية، فحدثتني نفسي أن أسألَ فلانا أو فلانا فعزمتُ، ثم قلتُ: المولى سبحانه أقربُ من كل قريبٍ، وأستحي أن أسأل غيره، ووجهتُ السؤالَ نحو بابه، ودخلت جابيةً لأغتسل، فلما خرجتُ إذا ببعض الإخوانِ أتى بكتابٍ لي من حيثُ لا احتسب، ففككته فإذا فيه من الدراهم ما يسد الحاجة، فجلست أبكي لما خامرني مما رأيتُ من لطف الله سبحانه واستجابته الدعاء في أسرع وقت»، أو كما قال. وكان إذا حكى ذلك قال: «من استكفى بالله كفاه»، ويشير بذلك: إلى أنه لا ينبغي للعبد أن يقصد فيما عناه غير مولاه.

وفي سفره هذا أو في الذي بعده: وقع له أنه ركبَ في عربيةٍ، وركب معه السيد الجليل عبد الله بن هارون بن شهاب، ووقعت بينهما مذاكرةٌ لم أعلم فيماذا، فجعل سيدي

قدس الله سره يتكلم ويطُول ويعظُمُ جسمه وهو جالسٌ، حتى صاح السيد عبد الله المذكور، فرجع سيدي إلى حالته، قال الحبيب عبد الله: «رأيت الحبيب محمد طالَ حتى أخطأ رأسُه رأس الكُوسَير». والكوسير: هو السائس الذي يمشّي الخيول، ومجلسه مرتفع فوق مجلس من في وسط العربية بنحْو ذراعٍ أو أكثر.

وفي سفره هذا أو في الذي بعده: قال: «تزوجتُ بامرأةٍ فلما دخلتُ عليها حصل معي انقباضٌ عن مقاربتها، فقلتُ: لعل هناك خللٌ في العقد فتركتها، وعمدتُ إلى ناحيةٍ [في البيت] أصلي إلى الصبح، فجاء وليها وجددنا العقدَ فزالَ الانقباضُ».

وفي سفره هذا أو في الذي بعده: وقع له ما حكاه لي سيدي أبو بكر بن محمد الحداد قال: «سمعت الحبيب محمد يقول: كنتُ في بعض السنين ببلد المالانْ من أرض جاوة، وأضافني بعضُ الأصحاب ليلة من الليالي، ولم يتفق خروجي من عنده إلا نصفَ الليل، فلما وصلتُ إلى البيت الذي أنا فيه نازلٌ وجدتُ بابه مقفلاً وصاحبه قد نام، لظنه مبيتي عند الذي أضافني، فكرهتُ أن أوقظه، وقلتُ: أجلس هنا إلى الصبح إلا أن يتنبه صاحب المكان من قبل نفسِه، فخوفتني نفسي: بأنه ربما رآني سبعٌ أو نحوه، وأنت هنا مع هذه الظلمة والبرد وعدمِ الفراش والأنيس. فذكرتُ قولَ سيدي عبد القادر الجيلاني: «ما هالني شيء إلا سلكته»، فقويَ عزمي على الجلوس على ذلك الحال، ووطنتُ النفس عليه.

فبينما أنا كذلكَ إذا بصاحبِ البيت، وهو السيدُ محمد بن أبي بكر الحبشي فتح البابَ فلما وجدني شقَّ عليه جلوسي وعاتبني حيث لم أوقظه، وسألته عن سبب فتحه الباب في ذلك الوقت مع غلبة ظنه بمبيتي هناك، فقال: قلقتُ في منامي ووقع في خاطري أنك ربما أتيتَ وكرهتَ أن توقظني، فخرجتُ مع الخاطر، قال: فعلمت أن ذلك من لطف الله سبحانه.

ورأيت تلكَ الليلةَ كأني بمكان لا أعرفُه؛ وإذا أنا بموكب عظيم وخلق كثير، فقلت: ما هذا؟ فقيل: هذا الحبيب أبو بكر بن عبد الله العيدروس العدني يريد عندَك،

ففرحت فرحاً عظيماً، وعزمتُ أن أخبر الحبيب بجميعِ مطالبي، وأسأله أن يتوجه في قضائها، فتلقيته وصافحته، وأُنسِيتُ ما عزمت عليه، ودعا لي وذهب هو ومن معه.

فلما غاب عني ذكرتُ ما كنتُ عزمت عليه، فحصل معي بعض أسف، فبينما أنا كذلك إذا بموكبٍ أعظمُ من الأول، وخلق لا يحصَون وقيل: هذا الحبيب المصطفى صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله يريد عندك، فخامرني من الفرح والسرور مالا يوصف، وعزمت أن أوجه مطالبي إليه ﷺ، وأسأله ما أريد، فلاقيته وصافحته واستحييت أن أسأله ﷺ وأشافهه بما عزمتُ عليه لما عراني من الهيبة لجنابهِ الشريف ﷺ، ثم إنه وضعَ يده الشريفة على صدري ودعا لي وقال لي: «**قل للناس يقولوا: لا إله إلا الله**»، فانتهيتُ فرحاً مسروراً». انتهى ما أخبرني به الحبيب المذكور بمعناه.

[السيد أبو بكر بن محمد الحداد (ت ١٣١٩هـ)]:

وهو ـ أعني الراوي ـ الحبيبُ المنيب أبوبكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أحمد ابن حسن بن الشيخ القطب عبدالله بن علوي الحداد رحمه الله، ممن انتفع بسيدي قدس الله سره انتفاعاً تاماً، وقابله وأقبل عليه بكليته، فأشرقت عليه أنواره وغمرته أسراره، وهو من سكان نصاب.

وكان بها على هيئة البادية من اللباس وحمل السلاح، فلما اجتمع بسيدي في الهند سنة خمسَ عشرة وثلاثمائة وألف (١٣١٥هـ) استحالت صهباه، وحصل له من نومته انتباه، فأقبل على الصيام والقيام وملازمة الأوراد والأذكار بهمة قوية، وحسن قصد وصلاح ونية، وصحب سيدي إلى جاوه وأقام بها مدة يسيرة على أحسن حالة وأعظم سيرة، ثم توجه منها سنة ثمانية عشر وثلاثمائة وألف (١٣١٨هـ) إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين وزيارة جده سيد الكونين فبلغه الله المرام من حج البيت الحرام وزيارة جده خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، وانصرف راجعاً إلى بلده نصاب ظافراً بجزيل الثواب.

فمرض في الطريق، ولحقَ بخير فريق، أدركه أجلُه دون بلده في بلد دثينة، سنة تسعَ عشرة وثلاثمائة وألف (١٣١٩هـ)، ودفن هناك، رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، آمين.

ورأيتُ في بعض كتب سيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي نفع الله به إلى سيدي رضي الله عنه ما صورته:

«وأما رؤياك المصطفى ﷺ في الخيال، واستحياؤك منه وهو يريد أن يمنحَك ما أملتَ، فذلك دليلُ أدبك، وربما يتضاعف العمل مع الأدب بالترك، واليه يشير قول الأبوصيري:

أدبٌ عنده تضاعفتِ الأعـ ـمالُ بالتركِ حبذا الأدبـاءُ»

انتهى. والظاهر أن هذه الرؤيا غيرُ الأولى، لأن هذه خيالية والأولى منامية والله أعلم. وأخبرني سيدي العارف بالله أحمد بن محسن الهدار بن الشيخ أبي بكر بن سالم: «أن سيدي قدس الله سره أخبره: أنه فُتح عليه وهو بمسجدٍ ببلاد المالانْ في جاوة». انتهى.

وفي سفره هذا: قال قدس الله سره: «كنتُ في بعض سكك سنقافورة، فخطرت لي حراسةُ البلد، هي إلى من؟ ومَن فيها من الرجال أهل الكمال؟ فوصل إلي مع الخاطر رجلان من الهنودِ فصافحتهما وتحدثت معهما، وأخبراني: أنهما وصلا في ذلك الوقت من الهند، وأن في البلد من الرجالِ من يكفي، ثم طلبا مني الدعاء، وطلبته منهما وودعاني وذهبا، رضي الله عنه وعنهما وعن سائر عباد الله الصالحين».

[مناجاةٌ أدبية بين النفس والقلب]:

ووجدتُ بقلم سيدي قدس الله سره هذه الكلمات الشريفة، والمحاورة اللطيفة، بين نفسه وقلبه، في سفره هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وحبيب رب العالمين، وعلى آله وصحبه والتابعين، وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

قال راجي الإمداد والإسعاد، ومستمطر هواطل الإمداد من الجواد، العبدُ محمدُ بن طاهر الحداد:

طاوعتني النفس الآمرة، بالإقامة في جاوه الزاهرة، لجمع المال والمكاثرة، سيما والوقت محفوظ! والتسويلُ بأني محفوظٌ مع تلبيس إبليس، بأن لا ضرر مع التدريس، وإن ذلك هو الشأن النفيس، فبرز القلبُ بلسان نقادةٍ، عن قريحة وقادة، مخاطباً للنفسِ الأمارة، بآراءِ إبليس وأخباره، إذ هو العدو اللعين، وأمره إلى رب العالمين.

فقال لها: إلى كم يا نفْس، وأنت في فكرةٍ وحدْس، وقد عرفتِ الأمر المطلوب، والمآلَ المحبوب، وكم غرك إبليس، بأنواع التزوير والتلبيس، ومع ذلك لا ترعوين، حتى نسيت ذي القوة المتين. فهل لك فيما تدعين حُجّة! أم التمادي من حجةٍ إلى حَجّة، وقد سلكتِ من الضلال أعظم لجة؟ راكبةً سفينةَ التسويف، مغترة بحلم الرب اللطيف.

ألم تعلمي أنّ الإقامةَ بجاوةَ عين الضلال؟ لاسيما مع التخلف عن الرجال، والوقوع في الإهمال، لفرائض الملك المتعال، ومخالطةِ الأنذال، فلا تغرنّك الظواهر، والمحِي السرائر، فو الله لتجدين غبَّ البطالة، ولا تجدينَ سبيلاً إلى الإقالة.

فأبرزتْ كلاماً ظاهره السواء، وهو عن حظٍّ وهوى؛ قائلةً: إني بمعزلٍ عن الأدواء، وقد أكثرتَ الدعوى والشكوى، وإنما لكل امرئٍ ما نوى، أتحسبُ أني عن الآخرة راغبةٌ، أو الدنيا الدنيةِ لذاتها طالبةٌ، فلستُ من هذا في شيء، فدع التنكير علي، فإنما الدراهمُ، لأكلامِ الحاجةِ مراهم، وصونُ الوجه عن السؤال، شأن الأبدال، والتعرض للأسباب، هو الاعتماد على ربِّ الأرباب، وسيرةُ السادة الأنجاب.

كيف وقد قيل: اطلُبِ المالَ أقصدَ طلبٍ، واصرفه في أجملِ مذهب، ولقمةٌ في بطن جائعٍ خيرٌ من عبادة سنةٍ من طائع، وبناءِ ألف جامع، واما أنتَ فقد سلكتَ سبيلاً عز سالكُوه، وكثُرَ تاركُوه.

فقال لها القلبُ: مكانَك والغيّ! فقد مكرَ بكِ اللعينُ المكرَ السيء، أليس الله الرزاق الكافي؟ أو لم يسبل علينا ستره الضافي؟ أليستْ لك في قولِهِ ثقة، ولست على حالك مشفقة ..».

إلى هنا انتهى ما وجدته من المراجعة الدُّرية، بين القلب السليم والنفس الراضية المرضية، أوردتها هنا موعظةً نافعةً، للعين الناظرة والأذن السامعة، وليتَه كمّلها، لتكون عبرة لمن تأملها.

وفي سفره هذا أنشأ سيدُنا الحبيب أحمد بن محمد المحضار قدس الله سره القصيدة التي هي في الأصل جوابٌ لأبيات من سيدي الوالد عبد الله بن طاهر بن عمر، وعرّض فيها بذكر سيدي قدس الله سره، وهي هذه:

رعى الله مَن في سفحِ قيدون قد حَلا ... فلله ما أبَهى ولله ما أحلى

تجدد لي منه الكتابُ وإنني ... أرجّي بحمد الله يمنحني الوصلا

شريفٌ لطيف أريحي مباركٌ ... ووالده كأس الوصال له يملا

سمي جده قطب الوجود وأنه ... سيجمع فيه الخير والجود والفضلا

ونسأل عنهم كلما هبت الصبا ... وهم يسألوا عنا وطاهر بنا أولى

بأزهارهم قد أنبتت كل زهرة ... وأنوارهم من سر حدادنا تجلى

سقاهم إلهي من شراب وداده ... ونفّس كَرباً في الورى شتت الشملا

وجاء الذي قد شط في أرض جاوة ... محمد جيم الجود ما شفت له مثلا

على خير حال يبلغ السول والمنى ويأتي بخير من فلوس لمن أدلى
ومظهره في كل أرض ومحفل كما ذي سكن عينات بل صيته علا
ومثل الذي قد حلَّ قيدُونَ جاهُه يقع مثل أهل الجود يذبحُها إبلا
ومثل ابن علوان الذي حل يغرس وتنزح من بير الكريم له أدلا
أبوه كريم وأمه لكريمة ومن جا إليهم جائعاً جوفه يملا
تبارك من عمَّ الأنام بجُوده وجادَ على قيدون طابَ بها نزلا
على رغم من يسرح بثورٍ وبقرةٍ ومكسورُها يجبر ومسكينُها حلا
وسائر آل الشيخ في الصدق والوفا وآل العمُودي ذكرُهم قط ما يبلى
وخصَّ بني الحداد منه برحمةٍ ومغفرةٍ والذكرُ في دورهم يتلى
وخصَّ الذي أرسل الينا كتابه ولد طاهر المشهور عبدالله النجلا
يبلغُ عني كل يوم تحيةً إلى شيخ قيدون الذي طابَ له أصلا
ووالده لا ينسني من دعائه وأهلي وأولادي ومن بي قد أدلا
بحرمة طه المصطفى سيد الورى شفيع الأنام المجتبى سيد الرسلا

انتهت.

فلا يخفى ما في قوله: «ونفس كرباً»، من المباسطة!.

ومحل الإشارة إلى سيدي قدس سره من قوله: «وجاء الذي قد شط في أرض جاوة»، الى آخر سابع بيت.

وأشار بقوله: «على رغم من يسرح بثورٍ وبقرةٍ»، إلخ، إلى من يوجد فيها من الذين يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله.

[عودته إلى بلاده]:

وكان رجوعه قدس سره الى بلده من سفرِه هذا في رمضان سنة ١٢٩٩ تسع وتسعين ومائتين وألف، ولما وصل عدن في شعبان من السنة المذكورة مع رجوعه لم تتيسر له العَبرةُ إلى المكلا. قال قدس سره: «وكان مرادي بأن يكون عيد شوال في قيدون، فلما مضت لي في عدن خمسةُ عشر يوماً لقيتُ رجلاً في بعض المساجد، ابتدأني بالكلام والمخابرة والمذاكرة، وإذا هو من العلماء العارفين أهل السر والكشف، فشكوت اليه عدم حصول العبرة، وأخبرته: أن مرادي بالعيد يكونُ وأنا في قيدون.

فقال لي: إن الحبيب أبا بكر العيدروس لم يرخّص لك، ولذلك لم تحصل العبرة، قال: فذهبتُ في الآن الى قبّة سيدي أبي بكر فزرته وطلبت منه الإذنَ في السفر، فلما خرجت من حضرته لقيتُ في الطريق بعضَ الإخوان، فأخبرني بحصول مركبٍ مسافر إلى المكلا، فسافرنا فيه أنا وبعضُ السادة ولا ثالثَ لنا، ولم يكن في المركب حملٌ الذي يوجبُ دخوله الى المكلا، فعرفْنا أن ذلكَ من تصرفات سيدنا العدني قدس الله سره». انتهى.

[السفرة الثانية إلى جاوة: سنة ١٣٠٣هـ]:

وفي آخر سنة ثلاث وثلاثمئة وألف (١٣٠٣هـ)، سافر قدس الله سره إلى جاوه وهذا ثاني أسفاره إليها، وفيه قال قدس الله سره: «لقيت بعض الرجال أهل السر في عدن، فلم يفارقني مدة إقامتي، وكان كلما ملأ نظره من وجهي قال: الله، سيدي محمد، صلى الله عليك وسلم، وبكى، ولم يزل هكذا!».

وقال قدس الله سره: «كنت أتعجبُ من خفة العبادة في جاوه، وثقلها في حضرموت، حتى لقيتُ بعض أهلِ السر في عدن، وسألته عن ذلك، فقال لي: إن روحانية حضرموت كثيفةٌ غيرَ أن نور النبي ﷺ منبسطٌ فيها أكثر».

وفي سفره هذا؛ كان أكثرُ إقامته في جاوه ببلد سُماران، وفيها أدهقَتْ له الأدنان، وألبس من ملابس العرفان ألوان، وأتته فتوحات الرحمن صنوانٌ وغير صنوان، فأقام المدارسَ العامة ونشر لواء الدعوة التامة، وعكفت عليه القلوب، عكوفَ النوب على اليعسوب، وكان ذلك مبتدأُ ظهوره، وبزوغ فجر نوره. وكان قدس الله سره يذكر بأيام الله في المجامع المشهودة والمحافل المحشودة فتغمر بركة المذكر والتذكير ذلك الجمع الغفير.

سمعتُ سيدي الحبيب محمد بن أحمد المحضار يقول ما معناه: «حضرنا مع الحبيب محمد محضراً في سماران ليلةَ المعراج سنة خمس وثلاثمائة وألف (١٣٠٥هـ) في المسجد، وعظ الحبيب محمدٌ بعدَ قراءة القصة الشريفة وعظاً لم أسمع بعده مثله، ويظهر لي أن لو حضرَ ذلك الجمع أحدٌ من أهل الكشف لرأى أنه حصلَ للحاضرين عروجٌ معنوي». انتهى.

ولما رأى بعضُ العلماء إقبالَ الناس عليه، ومثولهم بين يديه، تحركَ في قلبه داء الحسد الدفين، المعجون في الماء والطين، سنة الله في بني الإنسان، لكل من كان، رفيع القدر وعظيم الشان، كما قيل: «ما من نبي أو ولي كامل نشرت له الرايات إلا عودي».

فألف ذلك البعضُ رسالةً أنكرَ فيها أشياءَ أشرتُ إليها وأجبت عنها في مواضع من هذا المجموع، وقد أجابه سيدي قدس الله سره برسالة لطيفة أثبتُّها في المكاتبات.

وردَّ على المنكر الحبيب المنيبُ الصالح عمر بن علي الكاف، برسالةٍ سماها: **«السيف الحاد في الرد على المنكر على الحبيب محمد بن طاهر الحداد»**، وكذلك ولدُ السيد المذكور، الحبيبُ الجليل أحمد بن عمر بن علي الكاف، رد على المنكر برسالةٍ سماها: **«البحر الزاخر في الرد على المنكر على الحبيب محمد بن طاهر»**.

وكان الحبيب العارف المكاشف عمر بن حسن الجفري من أكابر العارفين، واشتهر عن كثير من العارفين أنه ممن يجتمع بالنبي ﷺ يقظةً وكان في سماران، وبها توفي سنة ١٣١٥هـ، وكان سيدي قدس الله سره يتردد إليه ويجله ويحترمه كثيراً، شأنه المعروفُ مع أهل المعروف.

وكان بعضُ الوشاة يبلّغ الحبيبَ المذكور عن سيدي قدس الله سره ما يكدّر عليه، حتى كان ما أخبرني به بعض السادة قال: « ذهبتُ مع الحبيب محمد عند الحبيب عمر لزيارته، فلم نجد عنده أحداً، فلما استقرّ بنا المجلسُ ابتدأ الحبيب عمر يعاتبُ الحبيب محمداً فيما بلغه، فأطرق الحبيب محمد، حتى سكت الحبيب عمر، فقال له: يا عم عمر! لا أقولُ لك إلا اسأل عني رسول الله ﷺ، فسكت الحبيب عمر مدةً يسيرة ثم صاح، وأقبل على الحبيب محمد يعتذر إليه ويبكي، وبكى الحبيب محمدٌ، وانبسطا بعد ذلك». انتهى.

وفي إبان إقامته قدس الله سره، أتاه بعضُ الناس وقال له: إن الدولةَ ـ يعني: الإفرنج ـ حاطّين النظر عليكم، لأنهم إذا رأوا اجتماعَ الناسِ لدى أحدٍ وكثرةَ ترددهم عليه يخافون من أن يثير عليهم فتنة، فأخذ سيدي بيدِ ذلك البعضِ وأركبه معه في العربية، وذهب به إلى محكمةِ الإفرنج الجامعةِ لحكام البلد جميعهم، ودخل عليهم واحداً بعد واحد، وهو قابض بيد ذلك البعض، وكلما دخل على واحدٍ منهم نكّس رأسَه، ولم يرفع نظره إلى سيدي منهم أحد، فقال لذلك البعض: «ماذا رأيت هم الحكام، أم أنا الحاكم؟».

وكان رجوعُه من سفره هذا آخر سنة خمسٍ وثلاثمائة وألف (١٣٠٥هـ) إلى الحرمين الشريفين كما تقدم، ثم إلى بلده.

[سفرة قصيرة إلى المكلا سنة ١٣٠٩هـ]:

وفي سنة تسع وثلاثمائة وألف سافر قدس سره إلى بندر المكلا وأقام بها نحو شهرين على ما هو المعروف من شأنه من الذكرى والتذكير والنفع الكبير للخاص والعام في الرحيل والمقام ورجع إلى بلده.

[سفرته الثالثة إلى جاوة سنة ١٣١٠هـ]:

وفي سنة عشر وثلاثمئة وألف، سافر قدس الله سره إلى جاوه، ووصل إلى بندر بتاوي، وأقامَ بها أياماً يسيرةً ورجع منها وعند وصوله إليها قال سيدي العارف بالله

الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي نفع الله به وأعاد علينا من بركته هذه الأبيات الحمينية:

آنستنا يا ابن طاهر يا حبيب الفؤاد ... آنست وأرحبت يا أنس الخلا والبلاد

حيا بك آلاف ما تر ذم طشوش الرهاد ... وعد ما شرقت البيضا وما غصن ناد

وعد ما زادت العشقه بحسن الوداد ... يا وارث السر يا ناشر لواء الرشاد

يا ميم حا ميم دال المعرفة والسداد ... يا دربنا من زمان البهذلة والنكاد

من يوم جيتوا ورديتوا علينا عياد ... تفرج الهم عنا وانجلى كل صاد

والأنس طنب خيامه والهنا في ازدياد ... يا حول حولاه قولوها على كل واد

هذا مخالي وبشر كل حاضر وباد ... ما اليوم يا القلب غنى لك رحيم الخواد

وافاك طبك وجادت بالعطية سعاد ... ابشر بقرب الحبايب بعد طول البعاد

ذا رزق موهوب من فضل الكريم الجواد ... من غير منةٍ ولا با يلتحق باجتهاد

ذا مورد الفضل يا رايد عليك الوراد ... وإن ضاق بك حال نوخ تحت بابه وناد

يا واسع الجود يا عالم بضعف العباد ... يا رب يا رافع السبع الطباق والشداد

عبدك يناديك ضعفه يا غنى العبد باد ... علمك كفى ما بحاله في جميع المراد

دركاه لا تسرح البيضا مع أهل السواد ... اسرح بها في ميادين الخيول الجياد

وألفي صلاتي على لوح القضا والمراد ... سر المرادات حبل اطلاقها والقياد

محمد الحامد اللي كلمته الجهاد ... والآل والصحب ما راجي ظفر واستفاد

في هذه الدار وأعطى مطلبه في المعاد

انتهى.

ومما اتفق له في هذا السفر: أنه لما كان في بندر (كُلُمْ) أتاه رجلٌ وهو في المسجد جالس بين أصحابه فقبل يده ورجله، وقال له: من أين وصولكم يا سيدي؟ فقال له: من

عدن، فقال: زرتُم سيدي أبا بكر العيدروس، قال سيدي: نعَم، فقال: رتبوا الفاتحة، فرتّبها سيدي قدس الله سره، وقرؤوها ودعَوا، قال له سيدي: من أنت؟ قال: عبدُ الأشراف، ثم استأذن في الخروج وقبّل يدَ سيدي وركبته وخرج. فقال سيدي لأصحابه: ردوه، فقاموا إلى أبواب المسجد وطلبوه، فلم يجدوا له حسًّا ولا أثراً، فعجبوا! فقال لهم سيدي: إنه الخضر.

فلا يبعدُ مع ذلك أن يكونَ سؤالُ سيدي قدس الله سره له وقوله: «عبد الأشراف» تورية على الحاضرين، ثم لما غابَ عن أعينهم، وأرادَ سيدي تعريفهم به وعلم أنهم لا يدركونه أمرهم برده والله أعلم.

واجتماعُ سيدي قدس الله سره بالخضر وغيره من رجال الغيب، وأهل البرزخ أمرٌ محقق، بل لا يزالون في حضراته المحضورة، كما قال سيدي الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي أعاد الله علينا من بركاته: «إن حضرة الحبيب محمد جامعةٌ لأئمة أرباب الهدى». والكلام على بقاء الخضر عليه السلام واجتماعه بكثير من الأولياء الكرام مشهور، ومذكور في مواضعه من كتب العلماء الأعلام، وقد اجتمع به ورآه أصحاب سيدي كرامةً له قدس الله سره.

ويناسب ما هنا ما أخبرني به بعضُ السادة قال: سرتُ من قيدون إلى الخريبة لشغل بدا لي، واستعرت بعيراً للحبيب محمد، فلما كنتُ في أثناء الطريق راجعاً، لقيتُ رجلاً على هيئة السّياحين ابتدأني بالسلام والمخابرة، وقال لي: هذا البعير الذي معك بعيرُ الحداد، فقلت: نعم! فقال: جئتُ من عنده، وأريدُ عند المحضار، فتعجبتُ من أمره حيث ابتدأني بالمخابرة، وقال لي ما قالَ بدون سؤال مني ولا معرفة سابقة، ونويتُ أن أخبرَ الحبيبَ محمداً بشأنه، فلما وصلتُ قيدون جئتُ إلى الحبيب محمدٍ وقد نسيت الرجلَ، وما حصل لي معه. فقال لي قدس الله سره: من الرجلُ الذي لقيته في مكان كذا؟ وتبسمَ فذكرتُ القصة وأخبرته بها، فقال: ذاك الخضر عليه السلام. انتهى.

وكان رجوعُ سيدي قدس الله سره من سفَره هذا آخرَ سنةِ عشر وثلاثمائة وألف، وخرجَ من المكلا إلى قيدون على سرير محمولاً على أعناق الرجال، لكونه متأثراً من العرق المدني، ولما وصل إلى القَرَين نزلَ في بيته، فطلب شيخُه الحبيب أحمد بن عبدالله البار من أولاده أن يحملوه إلى بيت سيدي ليجتمعَ به، وكان ـ أعني الحبيب أحمد ـ قد أقعد في آخر عمره، ومن المعلوم ضرورةً أن سيدي قدس الله سره لا يخرُج من القرين إلا بعد اجتماعه وزيارته للحبيب أحمد، ولكن الحبيبَ أحمد لم يصبر، ولأنه عظيم المحافظة على أداء الحقوق.

قال الحبيب محمد بن أحمد المذكور: «قال لنا الوالد: احملوني إلى عند الحبيب محمد، فإني لا أجتمعُ به بعد هذه المرة، فحملناه إلى بيته فسُرَّ الحبيب محمد به، ثم أنه أمرَنا بالخروج واختلى مع الوالد، وكان ذلك في آخر ذي الحجة ثم رجَعنا بالوالد إلى البيت، والحبيب محمدٌ ذهب إلى قيدون. فكان ذلك آخرَ اتفاق بينهما كما أخبر الوالدُ، فإنه تُوفي لتسعة عشر من محرم سنة إحدى عشرة وثلاثمائة وألف (١٣١١هـ) وأتى لتَشْييعه الحبيبِ محمد من قيدون، وكان هو الذي صلّى عليه ووعظَ الناس بعد الدفن موعظةً عظيمةً، وجِلَت لها القلوب، وذرفت منها العيون». انتهى.

[سفرته الطويلة إلى الهند سنة ١٣١٢هـ]

ولأربعة عشر خلت من جماد الأولى سنة اثنتيْ عشرة وثلاثمائة وألف (١٣١٢هـ) سافر قدس الله سره قاصداً إلى الهند، بعد رجوعه من زيارة أسلافه الكرام رضي الله عنه وعنهم، وكنتُ معه بحمد الله في سفره هذا.

[قدومه المكلا]:

فلما وصل المكلاّ أقام بها مدة قريبةً على ما هو شأنه وديدنُه من الذكرى والتذكير والنفع الكبير والحضرات المحضورة، والمجالس المشهودة والمدارس المشهورة، والقراءة

بكرة وعشية في «صحيحي البخاري ومسلم» وشروحهما، و«إحياء علوم الدين»، وغيرها من كتب القوم ويتخلل ذلك السماع والإنشاد وإيناس الزائرين، والواردينَ على اختلاف أجناسهم ومراتبهم وطبقاتهم، بالكلام والانبساط كلاً بما يليق بمقامه ويناسب حاله، وراثةً مصطفوية وأخلاقا نبوية، وما ذكر هو خلُقه قُدّس الله سره وسجيّته اللازمة ليسَ خاصًّا بمكان ولا زمان.

ولما كان خارجَ المكلا قبل دخُوله إليها جلسَ في بنْقَلته التي بناها، وقال: «مرادنا الدخول ليلاً لئلاّ يعلم بنا أحدٌ، بانتغانم السكون الليلة»، فلما انبسطَ الظلام دخل البلد ولما وصل عند سدة البندر إذا برجلٍ صافحَه وتقدم قدّام الدابة، وجعل يصلي على النبي ﷺ، برفع الصوت فعلمَ الناس بدخوله، وجعلوا يزدحمون على مصافحته فقال قدس الله سره: «أردنا أمراً وأراد الله غيره».

وكان من عادته قراءةُ قصة المولد الشريف ليلةَ الجمعة أينما كان، فرتب قراءته مدةَ إقامته بالمكلا في مسجد الروضة فيحضره الجم الغفير، ويذكّر قدس الله سره في خلال قراءته، ويغشَى الحاضرين من السكينة والوقار والخضوع والإنكسار من فيُوضات قلبِ ذلك الإمام مالا يوصف، وهكذا جميعُ محاضِره ومجالسِه قدس الله سره. وبعد صلاة الجمعة: يذكِّرقدس الله سره في الجامع فترتفعُ أصواتُ الناس بالبكاء والصياح، والتوبة من الاجترام والاجتراح، عندما يسمعون داعيَ الهداية والفلاح، وحادي القلوب والأرواح يدعوهم إلى ما فيه مناهم، ويحدوهم إلى حضرة مولاهم.

[التوجه إلى عدن]:

وبعدَ ما قدره الله من الإقامة في تلك البلدة كان السفرُ منها إلى عدن في مركب من مراكبِ السلطان المؤيَّد عبدالحميد خان نصَره الله، اسم ذلك المركب: «سعادات»، فأمر سيدي بأن يُستأجر لهُ ولخاصةِ أصحابه مخازنُ في أعلى درجةٍ، كما هي عادته وشيمته في جميع أسفاره، وإن بلغت أجرتُها ما بلغت.

ولما طلعَ قدس سره إلى المركب احترمَه القبطان احتراماً عظيماً، ولازم مجلسه والصلاة خلفه والتبرك به، وكان قدس سره قد أمر أخدَامه أن يستصحبوا من الزاد والغنمِ والدَّجاجِ شيئاً كثيراً، كما هي عادته في جميع أسفاره، حتى أن الذين يسافرون معه لا يستعدون بزادٍ قلُّوا أو كثُروا، وينفقُ عليهم فوق ذلك من أحاسنِ أخلاقه ما لا ذكَر معه إنفاقُ الذهب والوَرِق، وما أحقَّه بأن يسمى «زاد المسافر». قال سيدي الحبيب محمد ابن أحمد المحضار: «هو أحقُّ به ممن سُمي به في سابق الاعصار».

ولما وصل قدس الله سره مَرْسى عدن خرج به القبطان في (زعيمته) الخاصة به وطلع معه إلى عدن، وحضر زيارته لسيدي القطب العدني، واستودعَ منه بعد الزيارة وظهرت عليه آثار الشجن والأسف على فراقه، وهكذا كلُّ مؤمنٍ اتفقَ به قدس سره وأراد فراقَه.

وبقي من الغنمِ بقيةٌ فأمر بتركها في المركبِ للقبطان وأصحابه، وهكذا كانت عادته في كل مركب يسافر فيه، يترك ما بقي من الزاد لأهل المركب، ولو كانوا كفاراً، فيبقى له بذلك ثناءٌ عاطر، حتى أن من قدر له أن يسافر في بعض المراكب التي قد سافر فيها من أولاده أو المنتسبين إليه أو إلى اسمِ الحدّاد، يجدُ من أهلِ ذلك المركب: القبطان والبحرية احتراماً وحفاوةً لا تخطر له ببال.

وأقام قدس سره في عدنْ مدةً على نحو ما مرَّ ذكره من النفع العظيم والمدد الجسيم، وصار يقرأ المولد الشريف كل جمعةٍ أو اثنين في حارةٍ من حارات البلد بطلب من أهل البلد، ويكون اجتماع الناس في سكةٍ من السكك، إذ لا يسعهم بيتٌ ولا سطح، ويذكّر قدس سره في خلال المولد كما تقدم، ويحصل مع الناس على اختلاف أجناسِهم من عجمٍ وعرب وهنود وسَومال[1] وغيرُهم مثل ما تقدم، من البكاء وترفع الأصواتُ بالنحيب

---

(١) سومال = صومال.

واللجاء، حتى يظن الذي يسمعُ الأصواتَ وهو خارجُ البلد أنه قد حدثَ فيه أمرٌ! وإذا انتهى المجلسُ ترى الناس يتساءلون فيما بينهم عن المولِدِ الآخر في الليالي القابلة، وتراهم ينتظرونه كانتظار العيد والموسم.

وفي كل يوم غالباً يزور قدس سره الحبيبَ العدني ويتبعه من علمَ به من أهل البلد، ويجعل يوماً يدور فيه على بقيةِ المشاهد المشهورة، وربما زار ليلاً لاسيما ليلة الثلوث بعد حضور حضرة الحبيب العدني في مسجده، ويختلي في القبة وحده، ويأمر من معه بالتقدم.

وفي خلال تلك الأيام خرج قدس سره إلى الوهْط كعادته في بقية أسفاره لزيارة الحبيب عبدالله بن علي، والحبيب عمر بن علي رضي الله عنه وعنهم، واستأجر عربيةَ الخيلِ المعروفة إلى الوهط ذهاباً وإياباً، ولم تكن العربياتُ تخرج إلى الوهط لعدم صلاح الطريق، فعُدَّ ذلك من الغرائب!.

[السفر إلى بومبي]:

وبعد انقضاءِ ما قدره الله من الإقامة في عدن كان السفر منها إلى بمبَي، وذلك ليومين أو ثلاث بقين من جمادى الآخرة من السنة المذكورة، واستأجر لنفسه قدس سره مخزناً في الدرجة العليا، ولخواصِّ أصحابه مخازنَ في الدرجة الثانية، وقسْ ما لم نذكره هنا على ما تقدم.

وكانت عادته في البحر كعادته في البَرّ، من القراءة والجماعات والرواتب والمذاكرات والانبساطات، ويحترمه قدس سره الإفرنج بمجرد نظرهم إليه احتراماً يحير معه الناظر، بل يحترمون أصحابه قدس سره وخدمَه من أجله، حتى أنهم يجلسون معه في الأماكن الطيبة المخصوصة بمن يَستأجر في الدرجةِ العليا.

وكنا ذاتَ ليلةٍ نصلي معه قدس سره جماعةً أظنها صلاةَ المغرب، فرفع صوته بعضُ صبيان الإفرنج، فجعل القبطان يسكّته ويهيبُ عليه، ووقتَ الأكل تمدُّ السفرة لا يُمنعُ منها

أحدٌ، حتى أن بعض الفُرسِ وهو على دينه يأكُلُ عليها، وسيدي قدس الله سره يتألفه بالكلام بالهندية.

[التنزه في ميناء كراتشي]:

وتغيّر[١] في أثناء الطريق شيء من آلة المركب فظهر أثرُ الخوف على بعض أصحابه قدس الله سره، فجعل يتبسّم ويقول: «ظني في ربي أن لا يغرقني ولا أحداً من المتسبين إلي»، فدخل المركبُ مرسَى كراتشي لإصلاح الغيار الحاصل، فخرج سيدي قدس الله سره وبعضُ أصحابه إلى كراشي للتفرج والتنزه، وكنتُ فيمن خرج، وذلك ـ أعني: التفرجَ في سعة ملكِ الله سبحانه وعجائب مخلوقاته ـ من أعظم مقاصدِ السفر، كما أوضحَ ذلك الإمامُ الغزالي قدس الله سره في «الإحياء».

[الوصول إلى بومبي]:

ووصلنا بمبي لثلاثة أو أربعة أيام خلت من رجبٍ وكان سيدي قدس سره قد كتبَ من عدن في السِّلك إلى بعض أصحابِه بأن يستأجرُوا له بيتاً كما هي عادته قدس سره، إذ لا ينزل إلا في بيتٍ بالأجرة غالباً، وكتب مَن بعدن من الهنود الذين عرفُوه قدس سره لأصحابهم الذين في بُمبَي بشأنه وتوجهه، فلاقاه إلى المرسى خلقٌ كثير من عرب وعجم، وأقام بها عشرين يوما على جاري عاداته المشروحة.

ووصلَ من حيدر أباد السيدُ العلامة أبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب لملاقاتِه قدس سره، وتعالمِ به الناس فقصدُوه يلتمسونَ من بركاته ويقتبسون من أشعة أنواره، على اختلاف أجناسهم، وأكثر الترداد إليه أناسٌ من عربِ البحرين يلقبون بـ(آل مِشَاري)، وينتمون إلى سيدنا خالد بن الوليد رضي الله عنه، وأخذ عنه قدس سره بعضُهم[٢] وله منه

---

(١) أي: أصابه عطل، دارجة.

(٢) واسمه: أحمد بن عبدالوهاب المشاري، وستأتي إجازته في موضعها الذي أشار إليه المؤلف.

وصيةٌ وإجازةٌ مُثبتة في القسم الثالث من القسم الثاني من هذا المجموع، على ما في أهلِ تلك الجهة أعني جهةَ البحْرين من الصَّلَفِ وعدم الانقياد، فجذبهم ما شاهدوا من أخلاقه التي هي أرقُّ من النّسيم إلى العكوف على بابه والانطراح على أعتابه.

[التوجه إلى حيدر أباد]:

وبعد ما قدر الله من الإقامة في بمبي كان السفر منها إلى حيدر أباد، في مَركب البر المعروف بسِكّة الحديد، وودعه المترددون عليه من أهل البلد وأنشد في ذلك الشيخ الأديبُ أحمد بن عبد القادر جيُولكَرْ قصيدةً فريدة معبرةً عن لسان الحال، وما غمر النفوس من الحزن لمفارقة ذلك الجمال، ووصفَ الآلاتِ الدخانية السابحةَ على وجه الأرض سبحاً، تنهبها نهباً، وأنها من آيات الله، وأجاد في ذلك..[١]

ثم تخلص إلى مدح سيدي قدس سره، وستأتي إن شاء الله إذا وُجدَت في الباب السابع.

ولما أرادوا أن يستأجروا لسيدي قدس سره ولأصحابه في السكّة المذكورة، قالوا له: أفي الدرجة العليا نستأجر لكم؟، قال لهم: «وإن كان هناك درجةٌ أعلا منها فاستأجروها»، فقالوا له: أعلى من الدرجة العليا ان تستأجروا بنقلةً من بَناقِل[٢] المركب بجميع ما اشتملت عليه، ولا يطلع عندكُم غيرُكم، فقال لهم: «استأجروا بنقلةً على الصفة المذكورة»، فاستأجروها بسبعمائةِ ربية.

وأخبر في السلك من بِحَيدر أباد من أصحابه بتوجّهه، بعد أن أمرهم قبل ذلك بأن يستأجروا بيتاً لنزوله، فلما وصلَ حيدر أباد وصلَها ليلاً، ولاقاه أعيانُ العرب إلى المحطّة، فنزل خارجَ البلد قريباً من المحطة في بيتٍ لبعض الهنود، بعد الطلب منه وبرأيٍ وطلبٍ ممن حضر من الأعيان، ليكون دخوله البلد نهاراً.

---

(١) بياضٌ بالأصل بمقدار ١٢ سطراً، وفي النسخة الثانية معظم صفحة ٢٠٩.

(٢) أي: مقصورة كاملة من مقاصير القطار الحديدي، أو: عربة مستقلة.

[الموكبُ العظيم]:

ولما أصبح الصباحُ خرجَ لملاقاته قدس سره جميعُ من في البلد من العَرب إلا من حبسه عذرٌ، ومن الهنود المسلمين وغيرِهم من لا يحصر، ودخل إلى البلد في موكبٍ عظيم! وأرادو أن يركبَ على الفيلِ أو على الميانة المعروفة بتلك الجهة، فأبَى وركبَ عربية الخَيل. قلتُ: لعلّ اختياره لذلك لكونه أقربَ إلى الاتّباع من ركوب الخيل والميانة، وإن ركوبهن أشرفُ في عرفِ أهل تلك الجهة، ولم يركبِ الخيلَ من دون عربيةٍ لكون ذلك هناك من عادةِ الجند والشطّار، فكان ركوبُ العربية بعيداً عن التشبه بهم، وأقربَ إلى الاتباع، والله أعلم.

وقسّم من الدراهم على السوّال مع كثرتهم شيئاً كثيراً، وكان الذي لاقاه بها أهلُ البلد سبعةُ فيلةٍ، وأما الخيلُ والعربياتُ فشيء لا يحصى، وكان ذلك اليوم آخرَ جمعةٍ من رجب، فكان يوماً مشهوداً. وعند وصوله إلى المنزل ذكّر الناسَ ووعظهم فكان ذلك أولَ ما شهدوا منه، وعكف الناس عليه قدس سره عكُوفاً عظيماً، حتى لم يخلُ المنزلُ عن كثرةِ الزحام هَجْراً[1] وفجْراً، وبكرةً وعشيةً، وموائدُ كرمه وجوده وحسن خلُقه، وعلومُه ومعارفه مبسوطةٌ لكلٍّ بما يليق به وبحاله ومقامه، على وفق ما تقدّم أينما كانَ وحيثُما كان.

وقصده لالتماس بركاته جميعُ أهلِ البلد؛ علماؤها وأمراؤها ووزراؤها، المسلمون والمجوس والوثنيون، إرثاً إبراهيمياً، وكلُّ واردٍ يصدرُ من فضل الله بواسطته قدس سره بما يرومُ، جاء إلى منزله الوزيرُ مرتين، وطلب منه وصولَه إلى منزله، فأجابه قدس سره تألّفاً، وسار إلى منزله هُوَ وأصحابُه، فأكرمه إكراماً عظيماً.

---

(١) أي: وقت الهجيرة، قال في «القاموس المحيط»: «والهَجِيرُ والهَجِيرَةُ والهَجْرُ والهاجِرَةُ: نصفُ النهارِ عندَ زوالِ الشمسِ مع الظُّهرِ، أو من عندِ زوالِها إلى العَصْرِ، لأنَّ الناسَ يَسْتَكِنُّونَ في بُيُوتِهِمْ كأنَّهُم قد تَهاجَرُوا». انتهى. وهي من الدارج الحضرمي الفصيح، والمقصود: الوقت الأول.

وكان قدس سره إذا قصدَه أحدٌ من الوزراء والأمراءِ يقومُ من المعدِّ للجلوس إلى مكانٍ آخر، فإذا دخلَ الوزير وجلسَ دخلَ هُو قدس سره، فيكون الوزير هو الذي يقومُ له، ولما رأيتُ ذلك منه أشكلَ عليَّ من حيثُ الجمعِ بينه وبين معنَى قوله ﷺ: «إذا جاءكم كريمُ قومٍ فأكرموه»، وذلك مع علمي بأنّ ما فعله هو اللائقُ بالمقام، وأحببتُ الاطّلاع على الحكمةِ في ذلك، ولم أجسُر على سؤاله عن ذلك.

فرأيتُ بعد ذلك بسنين في ترجمة الشيخ عبد القادر الجيلاني في «الطبقات الكبرى» للشعراني: «أن ذلك كان من أخلاقه قدس سره»، قال الشعراني: «وكان لا يقوم قطُّ لأحدٍ من العظماء ولا أعيان الدولة»، وقال بعده بنحو صافحةٍ: «وكان إذا جاءه خليفة أو وزير يدخلُ الدارَ ثم يخرجُ حتى لا يقوم له إعزازاً للطريقِ في أعين الفقراء». انتهى. فتحقق بذلكَ ما عندي من أنّ لسيدي قدس سره في كلِّ فعلٍ يفعله أسوةٌ حسنة، فرضي الله عنه ما أعظم اتّباعه، وأوسع اطلاعه.

[مجالسه في حيدرأباد]:

وكانت المدارسُ والرواتبُ مستمرةً على مقتضى العادة الجارية، والقراءة في «صحيحي: البخاري» و«مسلم» و«شرحه للنووي»، وفي «النصائح» للقطب الحداد و«إحياء علوم الدين»، وفي «منهاج الطالبين» للنووي، إلى ما ينثره من العلوم الغيبية والأسرار العرفانية، ويحضر ذلك الجمُّ الغفير وعليهمُ السكينة والوقار.

ويقرأ المولد الشريف ليلة الجمعة كما هي عادته، ويذاكر رحمه الله في خلال ذلك، وجعل قدس الله سره مجلساً علمياً في مسجد البلد الكبير المسمَّى بـ(مسجد مكة)، يوم الاثنين أو الثلوث أو الخميس، يخبرونَ الناسَ قبل ذلك بيومين أو ثلاث، فيجتمع من الناس على اختلافِ أجناسهم من لا يحصَى فيقرأ الحبيبُ قدس سره بعضَ المولد الشريف، ويقرأ باقيه الحبيب الجليل أبوبكر بن شهاب، ثم يُنصَب لسيدي منبرٌ يرقَى عليه بعد القيام

لذكرِ المولد الشريف، ويذكّر الناسَ، فيظهر على ذلك الجمع من الأنوار وآثار القبول وإقبال القلوب وانتعاش الأرواح ما يعرفه من نفْسِه القاسي البليد، وتعلو الأصواتُ بالبكاء والاستغفار والتوبة والإنابة، حتى إن الأعاجمَ الذين لا يعرفون العربية يبكون! فسئلوا: كيف تبكون وأنتم لا تعرفون ما يقول الحبيب؟ فقالوا: نحسُّ بشيء يداخل قلوبنا لا نملكُ أنفسَنا معه عن البكاء.

وحصل من النفعِ العظيم مالا يجهلُه إلا من ختم الله على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوةً، فقد دخل في الإسلامِ خلقٌ كثير، وتاب من العصيان جمٌّ غفير عن كبائر كانوا مصرِّين عليها، مثل: الربا والزنا وشرب الخمر، والعياذ بالله. حتى إن بياعةَ الخمرِ اشتكَوا كسادَه! عليهم ما يستحقُّون.

وكان في رمضان يصلي التراويح في (مسجد مكة)، المسجدِ المتقدم ذكره، فيأتي إليه الناسُ من الأماكن البعيدة، فحُزِرَ الذين يحضرون صلاةَ التراويح فقُدِّروا بنحو سبعةِ آلاف نفسٍ!. وكان قدس سره إذا دخل وقتُ العشاء صلى العشاءَ بالحاضرين في البيت، وهم عددٌ كثير، ثم يصلي بهم ثماني ركعات من الوتر، فيقرأ فيها جزءاً من القرآن، ثم يذهب إلى المسجد المذكور ويتبعُه مَن هناك، فيقرؤن راتبَ جدِّه القطبِ الحداد، ثم يصلي قُدس سره بهم العشاءَ ثانياً ثم التراويح وباقي الوتر.

ومن الآيات البينات أن الذين يصلون خلفَه في الصفوفِ المتأخرة يسمعُون صوتَه قدس سره بآخر الفاتحة، مع عدم رفعِه له، وبُعدِ ما بينهم وبينه، وكثرةِ الزحام، حتى أنهم يتعجبون! ويتخابرون فيما بينهم: أن ذلك كرامة ظاهرة، لأنه لا يمكن للمتأخرين سَماعُ صوته على مقتضى العُرف، وهذا من الإرث النبوي، فقد كان يبلغ صوت رسول الله ﷺ مالا يبلغ صوتُ غيره، كما في كتب الشمائل.

وإذا انتهى المجلسُ ازدحموا على مصافحتِه قدس سره، لا يخلصون إليه جميعُهم

لكثرتهم، فإذا صافحه أحدُهم وخرجَ جعلَ الذين لم يقدِروا على مصافحته يتمسَّحون بذلك الذي قد صافحه! ولما بلغه ذلك، وقيل له: إنهم حريصون على مصافحتكم، جلس يوماً من الأيام نحو ساعةٍ فلكيةٍ عند بابِ المسجد المذكور لأجل يصافحه القويُّ والضعيفُ، رحمةً منه وشفقةً بالمسلمين.

وقد ذكر سيدي جمالُ الدين محمد بن زين بن سميط في كتابه «قرة العين بمناقب القطب أحمد بن زين الحبشي»، عن الحبيب أحمد كلاما معناه: «أن ما يفعله السلف من الظهورِ للعامة واستعمالِ ما يجمعُهم كطبلٍ وبَيرقٍ ونحو ذلك، رحمةً منهم بالعامة، لتعظُمَ مشاهدُهم، وتُنالَ بركتهم». قلتُ: ومن فعلَ منهم شيئا من ذلك فعَن إذنٍ رباني رضي الله عنهم.

وقال العلامة بحْرق: «كان سيدي الشيخ أبو بكر العيدروس العدني قدس سره إذا قَدم من بعض أسفاره من الجبال إلى عدَن قدّم قبله قاصداً يُعلِم أكابر الناسِ بقدومه يوم كذا، ويأمرهم بالخروج لملاقاته، فقلتُ للفقيه محمد بن أحمد بافضل: لأيِّ شيء يفعل الشيخ هذا؟ فقال: ليوصل الناس إلى رحمة الله ويوصل رحمة الله إليهم بالنظرِ إليه والحضور بين يديه ولو لحظةً واحدة». انتهى.

وكان الحبيبُ قدس سره يزور المشاهدَ والأولياء المعروفين بتلك العِراص، ويخرج معه كلُّ من علم بخروجه، حتى أنّ من رأى كثرةَ العربياتِ خلفَ عربيته قدس سره يظنه ملكَ البلد! ولما زار الشيخَ المعروف هناك بـ(بابا شرف الدين) أولَ زيارةٍ سمع كثيرٌ من الذين معه أصواتاً كأصوات المدافع من داخل القبر، وأكثرَ من زيارة هذا الشيخِ جداً. وكان قدس سره إذا خرج من البيت إلى حيثما خرجَ يستصحبُ من الدراهم النحاسِ قدراً كبيراً، ويجلسُ بها بعضُ الخدم في مقدَّم العربية ويفرّقها على الفقراء الجالسين في السكك والطرقات.

[قضية ثبوت هلال الفطر]:

ولما كان ليلةُ الثلاثين من رمضان رأى الهلالَ بعضُ العرب ولم يره معه غيرُه، فلم تثبت الرؤيةُ عند القاضي، فدعا الرائي سيدي قدس سره واستشهَده فشهد برؤيته، فأخبره أنّ الفِطْر واجبٌ عليه في حقه هو، وسكت. فلما ذهب الناسُ من حضرته ولم يبقَ إلا أصحابه، قال لهم: قفلوا بابَ المكان ولا تفتحوه الصبحَ على العادة، فامتثلوا فلما صلى الصبح بأصحابه، قال لهم: «إن اليومَ من شوال، فمن صدّق منكم الرجل في رؤيته فليفطر، ولا تقلدوني»، وكبّر فكبر معه أكثرُ أصحابه، ثم إنه أمرَ الذين لم يفطروا بالإفطارِ، قال: «لو معنا شكٌّ أن اليومَ ليسِ من شوال لم نأمُركم بالإفطار»، وأمرهم أن لا يفتحُوا لأحدٍ إلى المغرب.

وقد نقل الإحسائي في «تثبيت الفؤاد»: أن جدَّه[1] القطب الحدادَ ربما أفطرَ هو وخاصته، وأهلُ تريم صائمون، ويقول: «اليومَ من شوال»، وربما صام وأهلُ تريم مفطرون، ويقول: «اليومَ باقي من رمضان». ونقل الشيخُ أحمد بن المبارك المغربي في كتابه «الإبريز» عن شيخه العارف بالله عبد العزيز الدباغ مثلَ ذلك أو قريباً منه.

وقد وقع ذلك لسيدي قدس سره كثيراً، فربما صام والناس مفطرون لرؤيةٍ فاسدة، أو أفطر والناس صائمون كهذه المرة، ويظهر مصداقُ فعلِه أما برؤيةٍ في مكانٍ آخر تعضدُه، أو بارتفاعِ الهلال في المنازل.

وحصل معَ أهل البلد غاية العجب من تَقفيل بيتِ سيدي، ولم يزالوا يترددون إلى أن انفتحَ البابُ، وكل من علم بفِطره قدس سره تأسّف على عَدم الفطر، وكأنه لما عَلِم قدس سره أن الناسَ يُفطرون بفطره أمرَ بتقفيلِ الباب لخوفِ حدوثِ مالا ينبغي، وحفظاً

(١) أي: جد صاحب المناقب، لا جد الأحسائي!.

لقانون الشرع الشريف، كما هو شأن أمثاله من العارفين: من إخفاء ما ظهر لهم مخالفاً لما قاله علماء الشريعة، رحمةً وشفقةً بالقاصرين.

وقد أرشد قدس سره الحاضرين عنده إلى ما يجوزُ لهم، بل يلزمهم الفطرُ شرعاً، وهو بتصديق الرائي، أي: غلبة الظن بصدقه على مقتضى مذهب إمامنا الشافعي رضي الله عنه. وقد نقل الشعراني في كتابه «كشف الغمة عن جميع الأمة»: أن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يقبلُ واحداً في هلالِ شوال، ويفطر ويأمر الناس بالإفطار، وهو اختيارُ أبي ثَور رحمه الله». انتهى. والله أعلم.

[عدم اجتماعه بملك حيدرأباد]:

وكان قدس سره يقول: «وصولي إلى هذه البلدة لأمرين: أكبرهما: الدعوة إلى الله تعالى، وأمرٌ باطن فيه نفعٌ خاصٌ للدولة، أخبرَنا به من لا يكذب، وأما في خاصة نفسي فقد كفاني الله المؤنةُ، ولست محتاجا لغيره فله الحمد». ولم يقدِّر الله اجتماعَ الملك بسيدي قدس سره، حتى أنه ـ أعني: الملكَ ـ قد يصل إلى أثناء الطريق قاصداً نحو سيدي قدس سره ويرجع. وكان قدس سره يقول لو كان القصدُ بالاجتماع بالأمير خاصًّا بنا وأردنا مجيئه لخطَمناه كما تُخطم البهيمة.

وأرادوه أن يذهبَ إلى عند الملك فلم يطاوعْهم، وكان يقول: «من عادتنا ما نجيء عند هؤلاء الناس»، يعني: الملوك، «إلا بإذنٍ وأمرٍ مسوِّغٍ ذلك، كشدة تعلقهم بذلك كما يفعله معنا أهلُ جهتنا ممن نعرفه من أهل المظاهر الدنيوية، فقد نسمح بذلك لأجل صلاحهم». انتهى.

[البانياني المسلم وكرسي المصحف!]:

وكان ممن أسلمَ على يدي سيدي قدس سره أحدُ البانيان هو وحاشيته، وكان

نجاراً، فصنعَ لسيدي كرسياً للمصحفِ الشريف محكمَ الصَّنعة، غريب الشكل، وكتب عليه الحبيبُ العلامة أبو بكر بن شهاب الدين، (شعراً):

كـرسيٌّ سـاجٍ مـتقنٍ مـا أجملَـهْ ... يحمـلُ خـيرَ الكتُـبِ المنزّلـة

يتلـوهُ خَـيرِ الـسادةِ الأمجـادِ ... محمّـدُ بـنُ طـاهرِ الحـدادِ

وكانت مدةُ إقامته بحيدر أباد في دخوله هذا: ثلاثة أشهر تقريباً، وحصل لأهلها بسببه النفعُ العظيم، ونالوا بواسطته المدد الجسيم، وظهرت فيها شعائر الدين القويم، وسيأتي في الباب الخامس ذكرُ بعض ما حصل من خوارق العادات.

[قرب انتهاء الرحلة الهندية]:

وبعد انقضاء ما قدّره الله من الإقامة في تلك البلدة، أمر سيدي قُدس سره باستئجار بنقلةٍ في سكة الحديد على الصفة المتقدمة، وقد تقدمه غالبُ أصحابه في مثلها، وسافر منها إلى بمبي، فخرجَ لوداعه من لا يحصَى من الناس عرباً وعجماً، وحصلت ضجةٌ عظيمة، وعلت أصواتُ الناس بالبكاء لفراقه.

وصارت البلادُ كما قال الحبيب العلامة أبو بكر بن شهاب الدين في كتابٍ منه لسيدي قدس سره: «وبعد مسيركم من عندنا من هذه البلدة هاجَ بأهلها الأسَى، ولهجوا بلعل وعسى! فكأنما كُسفتْ بها الشمسُ، وكأن لم تغنَ بالأمس:

تحيا بهم كلُّ أرضٍ ينزلونَ بهَـا ... كأنهم لبقَـاعِ الأرض أمطـارُ»

انتهى.

ودخل قدس سره البلد المسماة (كلبرقَة) لقصد زيارةِ وليٍّ معروف بها، وقيل له مع دخوله: إنها محتاجة للمطر، فدعا الله لها فأمطرتْ في ذلك اليوم مطراً صيِّباً.

ووصل بمبي بعد أن استؤجر له بأمره منزلٌ واسعٌ، وخرج لملاقاته من سبق ذكرهم من العرب والعجم، وأقام بها أربعةَ أشهر على ما هو المعروف من حاله وشأنه. وقصده أهل تلك البلد لمهماتهم على اختلاف أجناسهم، من عرب وعجم، ومسلمون وكفار، وكل يرجع من إمداداته بما يروم. وكان قدس سره يقول: «اجتمعنا في هذه البلدة بمن لا يحصى من أهل الولاية وأرباب العناية»، وكان ربما أخبر ببعضِهم إذا أتى.

[زيارته لمدينة سورت]:

وفي باطن هذه المدة سافر قدس سره إلى سُرَت، وبَرُودَه، وأحمد أباد، لزيارة من بها من أسلافه العلويين آل العيدروس، نزهة الألباب وحياة النفوس، واجتمع في بَرودَهْ بالحبيب محسن بن عمر العطاس، وفي سُرَت بالحبيب البقية أحمد بن عمر العيدروس، وهما من أشياخه كما تأتي الإشارة إلى ذلك في الباب الرابع.

وحصلت له في رحلته شؤونٌ عظيمة سترَها عني بلادةُ الطبع وغفلةُ الصبا، كغيرها من أحواله الكريمة وشئونه الجسيمة، وما ذكرته في هذا المجموع إنما هو أنموذجٌ يقرّب للفطن اللبيب تخيلَ بعضِ ما اتصف به هذا الحبيب، وما اشتهر عنه من العجب العجيب، والحال الغريب.

ثم بعدَ الإذنِ الرباني في السفر من تلك البلدة، سافر قدس سره إلى عدن، ووقع له قدس سره مع بعض أهل المراكب لما أرادَ السفر ما يأتي مبسوطاً في الباب الخامس في الحكاية الثانية عشر. وأقام قدس سره بعدن بعد وصوله إليها مدةً على ما هو المعروفُ من عاداته وعباداته.

[قضية السيد أحمد بن طاهر مع نصراني بعدن]:

ومما وقع في تلك المدة، أنه تزاحمَ سيدي أحمدُ بن طاهر أخو سيدي قدس سره مع بعضِ حكام الإفرنج في أثناء الطريق المنقوبة في الجبل المعروفة بعدن. وكان سيدي أحمد

راكباً فرساً، والنصراني راكبا على عربية، فتكسرت العربية وسقط النصراني إلى الأرض، ثم شكى سيدي أحمدَ في المحكمة.

فطلب الحاكمُ وصولَ سيدي أحمد إلى المحكمة، فأبى سيدي قدس سره، وقال: «لا يدخل أخي المحكمةَ أبداً»، وصمم على ذلكَ وعزم على قتالهم إن لم يجيبوا إلى عدم دخول أخيه المحكمة، فلما رأوا ذلك منه أجابوه إلى ما أراد، وأتى الحاكمُ إلى بيته قدس سره زائراً ومعتذراً، فظهر في تلك الواقعة كراماتٌ يأتي بسطها إن شاء الله في الباب الثالث.

[العودة إلى المكلا]:

وبعد الإقامة المقدرة في تلك البلدة سافرَ قدس سره إلى المكلا، استأجر مركباً إليها وطلعَ معه جملةٌ من المسافرين بلا نَولٍ ولا زادٍ، كما هي العادة الجارية في جميع أسفاره، ولما قربوا من الوصول إلى المكلا نشَر الإفرنجي صاحبُ المركب المذكور بنديرةً أي رايةً غيرَ معهودٍ نشرُها، فسئل عنها؟ فقال: «إن هذه عندنا علامة على أن في المركب سلطانٌ ليستعدَّ له أهل البلد بما يستحقه».

قلتُ: وهذه عادةُ الإفرنج مع سيدي قدس سره، فإنهم يحسَبونه ملكاً لما يرون من انقياد الناس له، وطاعتهم لأوامره ظاهراً، ولما يقهرُهم على ذلك ويغشاهم من أنوار جمالِه وكماله باطناً.

وقد أخبرني بعضُ الناس، قال: لما أتى الحبيبُ محمد قدس سره من بلد سرباية إلى بلد الصولو ـ بلدين معروفين في جهة جاوة ـ وكان ذلك سنة ستة عشر وثلاثمائة وألف (١٣١٦هـ) رآه مع نزوله من سكة الحديد بعضُ حكامِ الأفرنج، فدعاني وقال لي: هذا سلطان العرب؟ فقلت له: نعم؛ هو سلطان السلاطين! وبينتُ له حاله، فهزَّ رأسَه متعجباً. وقد تفرق في هذا الكتاب كتبُ ما يناسب[1] هذه الحكاية.

(١) ب: «في هذا المجموع كثير مما يناسب ..»، إلخ.

ورضي الله عن الحبيب العلامة أبي بكر بن شهاب، حيث يقول في وصفِ سيدي قدس سره من قصيدةٍ حمينية تأتي بكمالها إن شاء الله في الباب السابع (شعراً):

مِن جلالِ الولايةْ كالمليكِ المطَاعِ	صولةُ الدينِ لا المنذرْ ولاذي الكُلاعِ

[إيابه إلى قيدون]:

وبعد إقامته قدس سره الإقامة المقدرة في المكلا على المشروح من النفع والانتفاع والدعوة عن الابتداع إلى الإتباع سافر قدس سره إلى بلده قيدون، فأشرق بوصوله الوادي، وأخصب النادي، وتباشر بقدومه الحاضر والبادي، وعمَّت العافِين منه الأيادي، وأمطرت على جدبهم من جوده الغوادي.

ورضي الله عن الشيخ العلامة عمر بن عثمان باعثمان حيث يقول من قصيدة أنشأها تهنئةً بقدوم سيدي الحبيب قدس سره، (شعراً):

أنــسَ القطــرُ بالقُــدومِ إليــه	بعــدَ إيحاشِــه بطُــولِ البعــاد
فأضَــاءت أقطــارُه واســتنارتْ	وتباهــت بلدانُــه والبــوادي
وتجلــتْ عنهــا الهمُــوم وغنّــت	صادحاتُ الـسرورِ في كـلِّ وادي
مرحبــاً مرحبــاً وأهــلاً وســهلاً	عــدَّ نبــتِ الربَـا وقطـرِ العهـادِ
مرحبــاً مرحبــاً وأهــلاً وســهلاً	بكَــريم الآبَــاء والأجْــدادِ
مرحبــاً مرحبــاً وأهْــلاً أُلوفــاً	لا تنــاهَى بــصفوةِ الأمجــادِ
نــاصرُ الــدينِ والــدعاةِ إليــه	ومهـينُ الغـاوينَ وأهـلِ الفـسادِ

وستأتي بكمالها في الباب السابع إن شاء الله. وآخر أسفاره قدس سره هو الذي توفي فيه، وسيأتي ذكره في الفصل الثاني عشر من هذا الباب، عند ذكر وفاته قدس سره ونفعنا به، وأعاد علينا من بركاته، آمين.

الفصل السابع

في ذكر المنقبةِ العظيمة، والكرامةِ الجسيمة رؤيته رضيَ الله عنه جده المصطفى ﷺ يقظةً يقول له: «أنتَ أنا، وأنا أنت»، وناهيك بها من رتبة ما أعلاها وما أحقَّها بأن تكون لمراتب الولاية سدرة منتهاها

قال سيدي القطبُ أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه في «شرح العينية»: «وقد ذكر الشيخ عبدالوهاب الشعراني أنه لا يصل إلى مقام الأخذ عن رسول الله ﷺ وسماع صوته إلا من قطعَ مائتي ألف مقام، وسبعة وأربعين ألف مقام، وتسعمائة وتسعة وتسعين مقاماً من مقامات الأولياء». انتهى.

وهذا المقامُ هو بعضُ ما بُشِّر به سيدي من وراثة الجيلاني والعيدروس والحداد كما تقدم عن الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس وكما يأتي في الفصل الآتي عن الحبيب أحمد المحضار وغيره من مشايخه رضي الله عنه وعنهم. وقد تكلم على هذه الواقعة العظيمة الشان ساداتُنا أئمة العرفان: الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب أحمد بن الحسن العطاس، والحبيب علي بن محمد الحبشي، رضي الله عنهم.

وها أنا أوردُ ما قالوه بعد نقلِ ما يتعلق بها ويشير إليها من كلام سيدي رضي الله عنه؛ فمن ذلك: قوله في بعض رسائله بعد ذكر الجيلاني رضي الله عنه: «وقد بُشِّرتُ أنا ولا فخرَ ببسطِ بساطه وبساطِ غيره لي، وها أنا في انتظار بركته وبركتهم، وأتمنى أن يصدُقَ

ذلك، وفضلُ الله واسعٌ، فإني وإن لم أكن أهلاً لذلك فإنَّ الله أهلٌ لكل جميل، وأنا محسوبه وخادمه، بل خادم جميع الأولياء وجميع المؤمنين والمسلمين، فاقبلوها ممن سبقت له العناية من فضل ربه، فقد قلَّدتُها في أعناقكم، لا أريد منكم جزاءً ولا شكوراً، ولا مالاً ولا جاهاً، ومن ظنَّ ذلك فليختبرني، وأمره إلى الله، من عملَ صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها.

خذُوها من نائب حضرة الرسالة، من تلقاها بالقبول فله البشرى والفوز والنجاة من الله، ومن أعرض عنها أو انتقدَها فعليه ما على المعرضين، ويناله ما ينال المعرضين، فإني مأمورٌ من حضرة النبوة بالدعاء إلى الله. وقد بشرني رسول الله ﷺ بها لا تسعه عقولكم، ولولا خوفُ قوة العقيدة المضرة من العوام، وإنكارٍ من بعض المتعصبين المحرومين لنشرتُها، فإني بحمد الله على قدم العبودية مع وضوح الخصوصية، ولم أذكر هذا إلا تحدثاً بنعمة الله، ومن المعلوم ضرورةً أن من لم يطلب جاهاً ولا مالاً لا يفرحُ بالمدح، ولا يشغله الذم، والله أعلم وأحكم».

ومن ذلك: قوله رضي الله عنه: «أمرني رسول الله ﷺ بثلاثِ خصالٍ: بالدعاء إلى الله خصوصاً وعموماً، وبأن أقولَ للناس يقولون: لا إله إلا الله، وبالدعاء للسلطان نصره الله».

فأما الدعوة إلى الله: فقد صاحَ بها على كل منبر، وعم بها الأسود والأحمر، وكان يلقن الناس لا إله إلا الله في أثناء التذكير امتثالاً لأمرِ البشير النذير ﷺ، وقد أكثر من الدعاءِ للسلطان عبدالحميد نصره الله نثراً ونظماً، فقلَّ ما سمعته يرتب فاتحة إلا ويقول في أثنائها: «وبأنّ الله يرحمُ أمة سيدنا محمد ﷺ، ويغفرُ لأمة سيدنا محمد ﷺ، ويفرج عن أمة سيدنا محمد ﷺ، ويغزّر أمطارَهم، ويرخّص أسعارهم، ويولي عليهم أخيارهم، وينصر سلطان المسلمين وينصر به، ويهديه ويهدي به، ويحفظه ويحفظ به، ويوفقه ويوفق به، ويهلك الكفرة والملحدين، ويدمّر أعداء الدين».

ومن النظم: قولُه في القصيدة التي أنشأها بالمدينة المنورة سنة زيارته لجده ﷺ:

وداركْ ربَّنـا الـسلطانَ حـالاً ... وشُدَّ يمينَه بعُـرَى الـصَّوابِ
وجملـهُ وسَـدِّد مَـن يليـهِ ... وفكَّ المسلمينَ مـن العـذابِ

وقوله في غيرها:

وانظر إلى سلطاننا وانصر به الد ... ينَ القويم وهد جانب من رمى
واصلح أمور المسلمين وعافهم ... وانظـر إلينـا رحمـةً وتكرمـا

وقوله في أخرى:

وفرج على عبد الحميد وحل مـا ... تعسر في الدنيا وجمله في الأخرى
واصلح جميع المسلمين وكن لنـا ... رجوناك لا حملتنـا سيدي إصرا

وسمعته يقول: «إن بعضَ الأولياء أراد أن يتصرف في السلطان عبدالحميد، وقال: إن معه بعض غفلة، فمنعه القطب، وقال له: إن الحبيب ﷺ يحبه، أو: إنه يحب الحبيب ﷺ».

ومن الإشاراتِ بل التصريحات بهذه الواقعة أو مثلها، قوله في قصيدة حمينية أنشأها في بندر المكلا سنة ١٣٠٩ قال فيها:

والله ان النبـي حـاضر سـمعنا خطابـه ... خاطب الروح في الوادي وسالت شعابه

والقصيدة مثبتة في «الديوان»، ينظرها من أرادها.

ومن ذلك: القصيدة الدالية التي يشير فيها إلى هذه الواقعة، وقد أحببت إيرادها برمتها، وهي هذه، وقد دعا للسلطان فيها أيضا كما تراه.

قال رضي الله عنه:

يا مرحباً يا رسول الله يا سندي أهلاً وسهلاً بمقصودي ومعتمدي
هذا خيال يزور العبد أم سنة في المنام أم المقصود في جسدي
كل يجوز ومالي لا أفوز بما قال الحبيب وتشفى باللقا كبدي
يا مرحباً بك لا أحصي له عدداً أفديك بالنفس والأهلين والولد
ولو بعثتَ رسولاً منك يأمرني بالسعي نحوك لاسْتبشرتُ بالرشد
فكيف إذ جئت يا سولي ويا أملي فالحمد لله ذا فضل من الصمد
يا سيدي يا رسول الله يا أبتي ويا غياثي ويا عوني ويا مددي
أنزلتُ ما بي من الدهر الخون على أعتاب جودك لما أن وهى جلدي
فهل تجب واسأل الرحمن ثانيةً أخفيتها وهي لا تبدو على أحد
وأنت تعلمها مني ولا مدد إلا وأنت له من أكمل العدد
ولستُ أكفر ما أسدى فأشكره فكم أياد له جلت عن العدد
فيا أبي أشكر المولى إليك فلا تنساه عني وساعدني وخذ بيدي
محبوبكم يرتجي ما لا يفوه به فقل تنل كلما ترجوه يا ولدي
وأنت منا وفينا كيف كنت فلا تخشى وأنت الذي نعني بلا أمدي
الله أكبر هذا ما أروم فيا رباه شكراً وغيثاً كامل الرغد
فضلُ الإله عظيم أن يخصَّ به عبد فلا عجب في حكمة الأحد
ونسأل الله تأييداً ونصرته لعبده دولة الإسلام في الشدد
وصل يا رب عد الكائنات على خير البريات في الدنيا ويوم غد

زيـن الوجـود وبحـر الجـود عـدتنا ... ومن بطلعتـه حـزب الكـمال هـدي

وخــص لآلــه والــصحب قاطبــة ... بكل خير وجـد بـالعفو يـا سـندي

آمــين آمــين قــد جــاء القبــول لنــا ... وأقبلــت غــارة الــرحمن بالمــدد

انتهت الأبيات.

قال سيدي الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي نفع الله به: «توجد في كلام الحبيبِ محمدٍ كلماتٌ ومخاطباتٌ لا يسُوغ الإتيان بها من باب الأدب إلا لمن مثله من المحبوبين أهل الإدلال، لأنه له الإدلال التام في حضرة المولى سبحانه وفي حضرة الحبيب صلى الله عليه وآله وسلم، وفي حضرات العارفين أهل الوقت والسابقين». انتهى بمعناه.

ومما أشار به سيدي رضي الله عنه إلى هذه الواقعة: قوله في أثناء كتاب لسيدي الحبيب محمد بن أحمد المحضار نفع الله به: «وقد رأيت حبيبك المصطفى ﷺ، القياسُ أنه يقظةً!، يقول لي: «أنت أنا، وأنا أنت»، وفرحُوا بها الأحباب خصوصاً سيدي أحمد بن الحسن، وظهر منه أخبارٌ طويلة عريضة». انتهى. وقد عُدَّ من مناقب الشيخ أبي العباس المرسي قول شيخه أبي الحسن الشاذلي له: «أنت أنا وأنا أنت»، فما بالك بمن قال له ذلك سيد المرسلين ﷺ فانظر الفرق بين المقامين!.

وهذا ما تقدم الوعدُ بإيراده؛ وذلك: ثلاث مكاتبات:

الأولى: من الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي.

والثانية: من الحبيب أحمد بن الحسن العطاس.

والثالثة: من الحبيب علي بن محمد الحبشي.

ولم أعثر على مكاتباتِ سيدي لهم التي هذه جواباتُها، فمن عثَر عليها فليثبِتها في مواضعها.

[رسالة الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي]:

وهذا كتابُ الحبيب عيدروس بن عمر قدس سره، قال سيدي العارف بالله محمد ابن أحمد المحضار: «لو لم يكن للحبيب محمد من المناقب إلا كتاب الحبيب عيدروس هذا وما اشتمل عليه لكفى». انتهى.

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الحميد المجيد، المتجلي على قلوب وأسرار الخاصة من عباده بالتعرف اليهم ببسط أنواره الشاملة لكل الموجودات فأقاموا التوحيد، وكانت هدايتهم بالحق الثابت فيما يأتون ويذرون، وجعلَ ما أبدعه من جميعِ المخلوقات على ذاته العلية دلالاتٍ كما أنزل في كتابه فقال: ﴿وَعَلَـٰمَـٰتٍۚ وَبِٱلنَّجۡمِ هُمۡ يَهۡتَدُونَ﴾ [النحل: ١٦].

وصلى الله وسلم على النجم الوهاج، المخصوص بمرتبة المعراج، الذي به الدلالة، المخصوص بختم الرسالة، أصلِ الوجود الخلقي الذي عنه منشأهُ وهو سرّه في الظهور والبطون، وعلى آله وصحبه الوارثين عنه الأسرار، المفيضين على من وفقه الله واختاره المعارف والأسرار.

من الفقير اللاشي، عيدروس بن عمر بن عيدروس الحبشي، إلى حضرة السيد الجليل الذي هو عن الأنوار والأسرار كاشف، وبجميع الفضائل والفواضل متحقق وإليهما متقدم سابق غير خالف، المبسوطِ عليه فضلُ الله الجواد، محمد بن طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد، لا زالت عزمات هممه بخيول توجهاته سابقة، والى الكمالات الحقية ومراتب أهلها لاحقة، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وعلى والدكم النور الباهر طاهر، وجميع الأولاد وأهل الوداد ومن لكم ناصر.

صدورُ التعريف بعد وصول كتابكم المنيف إلينا، ونحن بحمد الله بعافية، وفي ضمنه ما ذكرتم، ومن الحالات الجليلة الواقعة لكم ما شرحتم، والحقير إلا كما في المثل: «ليس في العير ولا في النفير»، ولكن لعِزّة جنابكم لديه، ولزوم حقكم عليه، أقامَ المذاكرة معكم بما ستروه. ثم إن ما أوردتوه وشرحتوه ما قلتم، لخصته بقولي:

فالواقع لكم سيدي أولاً تقابُلُ الواردات الباطنة، فأقمتم التوجه إلى رؤيته ﷺ لتسألوه عن تلكم الحالات المكرر لكم فيها التبشير بالخلافة.

ثم وقع لكم إثباتُ هاتفٍ يقول لكم: «أنت تطلبُ رؤية المصطفى ﷺ وهو روحك! أو: وأنتَ روحه»، وبيد ذلك الهاتفِ كالصُّوف، وفهمتَ منه الإشارةَ إلى أن من كان كذلك لا يطلبُ رؤيا المنام. ثم وقع لكم أيضاً عند سماعُ إنشادِ ذكره ﷺ وكانت في رتبة الفهْوانية، رؤيتكم أنكم هو وأنه أنتم.

ثم كان لكم بعد ذلك طلبُ رؤيته ﷺ في المنام لقصد سؤاله عن صحة نسبتكم إليه والحالُ وأنتَ في صلاةٍ مائلاً إلى الشق الأيمن، فإذا بكم تروه ﷺ عن يساركم يقول لك: «أنت أنا وأنا أنت».

وقلت: «إنك لم تضبط أن ذلكَ يقظةً مع تحققك أنه ليسَ بمنام، لإدراكك صورة جسده ﷺ كما نُقلَ من وصفه: أنه أبيض مشرّب بحمرة»، وقلتم: «أشكل عليكم هل هو يقظةٌ أو مثالٌ أو خيال. وقلتم: النومُ في هذه الحالة مستحيل، والخيال كذلك لما أنه لم يكن تخيلُ رؤيته في ذلك الوقت، وأما اليقظة والمثال فإنهما أقرب ..» إلى آخر ما ذكرتم.

فاعلم سيدي؛ وأنتَ عليمٌ بأن هذه الوقائع من خوارق العادات، التي تكون تقويةً للمراد المحفوظ المؤيد الملحوظ، وقد تكون اختباراً وفتنةً، فلذا لا ينبغي السكونُ اليها من حيثها، وأنتم إن شاء الله بالسلامة عن ذلك، لأنكم مؤيَّدون ومسددون، بشاهد أن مع

انبعاثِ الواردات القلبية السرية كان لياذُكم واستمدادكم من جناب المكرم المصطفى ﷺ، ولم تستفزَّكم كثرةُ وجود التبشيرات بنيل الخلافة التي هي رتبة الكمال، المعبر عن صاحبها بأنه الإنسان الكامل، وهي رتبة الاستخلاف عنه ﷺ الوارد نصها في قوله تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى.. ﴾ [يوسف: ١٠٨] الآية.

والدعوة إلى الله، عبارة: عن حياشة المدعوِّ عما هو عليه من الإعراض والغفلة والنسيان لذكر الله، والرجوعِ إليه الذي هو المطلوبُ له تعالى، والمراد من خلق الخلق، بشاهد قوله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦] الآية. ثم ألسُنُ الدعوة إلى الله خمسٌ كما أوضحه وقالَه سيدنا الشيخ الأستاذ عبدالله الحداد، وتفصيلُ ذلك، ولفظُ سيدنا الحبيب على بالكم فلا نطيل بذكره.

فإذا عُلمَ أن الخلافةَ هي الميراثُ الواقع الحاصل للوارث عن المورِّثِ وبه يعلم أن الوارث الذي هو الخليفةُ عنه ﷺ، الثابتُ له على وجهٍ واعتبارٍ أن له مالمورثه على سبيل التبعية لا التأصيل، المفيدُ لذلك قوله تعالى في الآية المذكورة: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ ﴾ [يوسف: ١٠٨]، يعني: على كشفٍ وعِيانٍ، مؤيد بوحي وإرسال، فكان هذا له ﷺ بالتأصيل ولمن اتبعه، لا بهذا الوجه الممتنع عن غيره ﷺ بل بالوراثة والاستخلاف عنه ﷺ. بشاهد قوله ﷺ: **«العلماء ورثة الأنبياء ..»**، الحديث.

فكلُّ عالمٍ يصدقُ عليه وصفُ العلم حقيقةً له ووراثةً عنه ﷺ مخصوصةً بوجه واعتبار وقدر من الإرث والكامل، هو الجامعُ لجميع أسباب الإرث فرضاً وتعصيباً، وهو المسمى بالإنسانِ الكامل، الداعي بالألسُن الخمس، المعبَّر عنه في الاصطلاح بـ«الخليفة». والبشرى لكُم بذلك يحققها الله لكم بفَضله.

ومنه بشاهدِ سماع الهاتف الحقِّي ـ إن شاء الله ـ القائلِ لكم: «أنتَ تطلب رؤية المصطفى ﷺ وهو روحُك، أو: وأنت روحه!»، وتلك رتبةٌ أشار إليها ﷺ بقوله: **«من استكمل ورعه حرم رؤيتي في المنام»**، وكان المعنى من ذلك: أن الكامل في الورع، الذي هو

في الاصطلاح الشرعيِّ عبارةٌ عن الاحترازِ عن كلِّ ما فيه شرٌّ وانحرافٌ شرعي، أو شبهة مُضِرة بالوقوف على حدِّ العلم من غير تأويل مشاهِد لجنابه المكرم ﷺ على الدوام. وحظُّه من تلك المشاهدة مع اليقظة التي هي حالة الكمال من الإنسان كحظِّ غيره ممن كرامتُه رؤيا النبي ﷺ في المنام.

ومن غلب عليه هذا الوصفُ كانت روحُه مرآةً لإشراق نور ذاته ﷺ، فإذا قوي ذلك النورُ بالظهور في تلك المرآة انطمسَ جِرمُها، وبقيت أنواره ﷺ شفافةً في تلك المرآة، التي هي عبارةٌ عن رُوح المشاهِد بذلك الوصفِ له ﷺ. فحينئذ يصدُق أن يكون ﷺ روحَ ذلك الكاملِ حقيقةً، إذ هو عليه الصلاة والسلام أصلُ كلِّ الموجودات، وإنما ظهر في هذه الروحُ الشريفةُ كرامة.

هذا على تحقق قولِ الهاتف: «وهو روحُك»، فإن كان القول إلا: «وأنت روحه»، ففيه الإفادة بأن: الكمال الخلقي ليس ثابتاً حقيقةً إلا له ﷺ، ومن كَمُل ممن سواه ليس كماله إلا مستعاراً من كماله ﷺ. فالكمالُ له مجازٌ لا على الحقيقة، لكونه ليس الا مستعاراً من كماله ﷺ.

وأما رؤيتكم أن بيدِ ذلك الهاتفِ كالصُّوف؛ ففي الإشارةِ بالصوف: تلميحٌ بأن هذه الأسرار والكشوفات والأنوار ليس تقعُ إلا للصوفية الأبرار، لأنها نتيجةُ علومهم وأعمالهم المتناوبة فيهم ولهم، حتى صارت لهم الأذواق والمشاهداتُ والهداية إلى سبيل الإلهيات، شاهدُه قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. فطريقتُهم: هي الصراط المستقيم، والسير فيها بالسلوك على ذلك المنهاج، وهو الحاصل للأكثرين من هؤلاء المقربين.

وقد يقع العطاءُ الإلهي لا من طريق الكسب، بل من محضِ الطول والفضل والوهب، أشار إلى هاتين الطريقتين سيدنا الإمام العارف النبيه عبد الرحمن بن عبد الله بلفقيه نفع الله به بقوله في «رشفاته»:

واختلفوا في صفة القربية وفي اتصال القوة الكسبية
أو انعطاف نفحة جذبية ترفع عنه كلفة الأعمال

ثم شرحَ معنى هذين الطريقين، فلينظَر من منظومته المذكورة.

وفهمُك الإشارةَ من ذلك: إلى أن من كانَ كذلك لا يطلبُ رؤيا المنام، فهو حقيقٌ كما تقدم.

وأما واقعةُ شهودِكم له ﷺ، ورؤيتكم له في حالةِ الفهْوانية: أنكَ هو وهو أنت، فكما مرَّ من الكلام على قولِ الهاتف: «هو روحك، أو: أنت روحه».

وأما واقعتكم في الصلاة، وخطورُ طلبِ رؤيته ﷺ في المنام لقصد سؤاله عن صحة نسبتك إليه، إلى آخر الحكاية. وفيها: «أنك كنت مائلاً إلى شِقك الأيمن فإذا به ﷺ فيما رأيتَ وأنت تصلي عن يسارك يقول: «أنت أنا، وأنا أنت»، ففيه بشارةٌ بتحقيق المعنَى المتقدمِ شرحُه في العبارتين: «هو روحك ..»، إلى آخره، و: «أنكم هو»، إلى آخره.

لـمّـا أن هذا واقعٌ يقظةً في الصلاة وبالمخاطبة:

فمن الإشارة بميلك إلى اليمين بشارةٌ بكونك من أهل اليمين، وأن ميلَك إلى اليمين الذي يأمرُك به جدُّك وشيخُك قُطْبُ الإرشاد الحداد بقوله:

* خُذْ يميناً خذْ يمينًا * إلخ ..

والمراد بتلك اليمين؛ هو: انتهاجُ منهاج عباد الله الصالحين من الموحدين والصالحين، والشهداء والصديقين، والأقطاب والأفراد المتمكنين.

ومن الإشارة برؤيته ﷺ عن يسارك؛ هو: أن رؤيتكم له ﷺ بواسطة القلب، لكونه من جهته، وأن الرؤيةَ بعين القلبِ، المحفوظةُ رؤيتُها عن التلبيس والتدليس الّذَين هما من وصف النفس وإبليس.

وقلتَ: «إنك لم تضبط أن ذلكَ يقظةٌ مع تحققك أنه ليس بمنام؛ لإدراك صورة جسده ﷺ كما نُقلَ من وصفه ﷺ: «أنه أبيضُ مشرّبٌ بحمرة». وقلتُم: إنه أشكلَ عليكم؛ هل هو يقظةٌ أو مثالٌ أو خيالٌ، وقلتم: «النومُ في هذه الحالة مستحيلٌ ..»، إلى آخره.

فلا إشكالَ في أنه ليس بنومٍ ولا خيال؛ كما أنكم متحققُون ذلك، بل من اليقظة والمثال، وهما عند بعضِ المحققين شيءٌ واحد، فعلى ذلك: إن قُدِّر الفرقُ بينهما فرتبةُ المثال هي أولُ رتبةٍ من الكشف عن صورته ﷺ، أو مع أخذةٍ للرائي. واليقظةُ؛ هي: كمالُ الشهود والمشاهدة، لتلك الذات المكرمة المشهودة الشّاهدة.

هذا ما بادرَ الفهمَ الفاتر، والعلم القليل القاصر، إذ هذا لا يعرفُه إلا أهليه، من مثلِ حاكيه وراويه، ولولا أنكم قلتُم: «فإن كشفَ الله الحجابَ عن هذا فذاك أربي؛ وإلا فأوضحُوا لي ما ظهرَ لكم»، فهذا ما فهمناه، وإن كنا عن علمه جهلناه، وهو ليس من عُشِّي، ولا موجود في قَشّي.

وأمرتم سيدي بإخفاء ما عبّرتم من شرح الحال الذي ذكرتم، فلم نعمَلْ! لما قَد ذكرتم في كتابٍ سابق بقولكم: «فالقصد في الإظهار حسَن، وغيرُه أحسن، إذ لا ثمرةَ!»، وقصَدْنا بإظهارِه: تعريفَ محبّيكم والأصحاب، بما خصصكم به المولى الوهاب، ولينظروا الجواب، ويحرروا ما فيه إن كان صواب.

والدعاء هو المطلوب، وإبلاغُ السلامِ على سيدنا والدكم الموهوب، طاهر وطلبه منه، ودمتم على الزيادة والكمال من فضل المولى المتعال، ويسلمون عليكم: أخونا علوي، والولد محمد، وابنه أحمد، ومحبنا عمر بن عوض شيبان، والسلام.

حرر بكرة الأحد العاشر جمادى الأولى سنة ١٣١١

إحدى عشرة وثلاثمائة وألف. انتهى».

من عثر على كتابٍ سيدي الحبيب محمد للحبيب عيدروس في هذه الواقعة فليثبته هنا..(١).

[رسالة منه للحبيب أحمد بن حسن العطاس]:

وهذا كتابٌ من سيدي الحبيب محمدٍ قدس سره للحبيب أحمدَ بن حسن العطاس قدس سره، لما استبطأ جوابه عن كتابٍ قبله في الواقعة، فمن عثر عليه فليثبته قبل هذا:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾



«الحمد لله الذي تنزه عن التقييد، وألزم الكُمَّل من العبيد تفريد التوحيد، واستخلص من العبيد من صلح للإرشاد والتسديد.

وصلاته وسلامُه على من انبسطت أنواره في ذرات الوجود، فعمت الوالدَ والمولود، ونفعت الشقيَّ والمسعود، ولكل درجات مما عملوا، تنوعت المشاهد، وحار الشاهد، وارتبكت العبارة على أهل القواعد، إن في ذلك لآيات للمتوسمين.

اللهم فصلِّ وسلم على هذا الحبيب الذي ملأت الكونَ روحُه، فظهر لأهل الذوق لكل شخصٍ بما أعطاه فتوحُه، هذا عطاؤنا فامنُن أو أمسك بغير حساب، وعلى آله وصحبه الأئمةِ المجتهدين، وعلى تابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وعلى من اقتفى أثرهم بسرِّهم، وشرب من خالص دَرِّهم، فظهرت عليه آثارُ الخلافة، وخُلعَت عليه خلعةُ اللطافة والظرافة، سيدي العارف المكين أحمد ابن سيدي

---

(١) في هذا الموضع من الأصل فراغٌ بقدر صفحتين، وفي النسخة الثانية: ثلاث صفحات.

حسن بن عبد الله بن سيدي القطب النبراس عمر بن عبد الرحمن العطاس، لا زال ولم يزل في إقبال واتصال وعين الرعاية ترعاه ورحمة الله وبركاته تغشاه.

أما بعد؛

فقد صار لي من العجب من تحيُّر جوابِ سيدي وسُرعة جوابِ غيره في مادةٍ أشكلت من وجهٍ خفي، وعلامات وبالنجم هم يهتدون، وفي طلسمٍ: فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً، ما يؤمنُ الخائف، وأفديك بالتالد والطارف، من أخٍ سابق لا خالف، فإن يكن العذرُ، هو الأمرُ المطلوب منكم كتابته! فلعمري لقد لزِمَ للطالب مساعدتُه، اللهم إلا أن يُنتجَ الكشفُ خلافَ المتوهم باطناً، فشاهِدُه: ووجدك ضالاً فهدى، ووجدك عائلاً فأغنى.

* وإذا جاء الابان تجي *

وبالجملة؛ فالعبارةُ تضيق عن التحقيق، وإن أمكن أرسلتُ إليكم كتبَ الحبائب المسئولين، لتعرفوا المشارب، زيادةً على ما عندكم من تعيين، ولولا خوفُ الإطالة لاملالةَ السامع، لأبنت عن الغارب بالطالع، ودخول العاشر في الرابع، بشاهد: ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء.

اللهم اغفر! فقد تعديتُ طوري، وأوهمتُ غوري، والمحبُّ ستار، والله يخلق ما يشاء ويختار، (شعراً):

أحباي أنتم أحسَنَ الدهرُ أم أسَا ... فكونُوا كما شئتُمْ أنا ذلكَ الخلُّ

غيره:

إن ظنـي فيـك حـيرني ... كيف حال النور يا بطل
ورضـائي عنـك صـيرني ... لا أرى مـن شـأنه الحيـل
فـاعملوا ماشـئتم أبـداً ... إن بَدا الإحسان ما العمل

والسلام.

[جواب الحبيب أحمد بن حسن العطاس]:

وهذا جواب سيدي الحبيب أحمد بن حسن نفع الله به وأعاد الله علينا من بركاته

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي كشف عن القلوب حجابَها، وجعل حبيبَها حَجّابها، والصلاة والسلام على خطيبِ محرابها، وإمام أحبابها، وآله وصحبه الذين شاهدوا تلك الطلعة في مجيئها وذهابها.

وعلى المتجلى عليه بتلك الحقيقة في تلك الحقيقة إلا أنه بهذه الخليقة المحمود ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً وراثةً بالخاصية وخلافة ربية محمد بن طاهر بن عمر الحداد لم يزل مترقي ومتلقي ومتدلي بعد التعلي.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وقد وصل الكتاب، والخطابُ والعتاب! والعذر غير خفي، والسؤال وسيع المجال، والمشاهد يعرِفها الشاهد، والتجلي برزخ الترقي والتدلي، والتنكر والبطون غير مخفي.

وسُؤالُ السائل من حيثُ الخطاب، والتشكل في حضرة التمثيل حقيقة، والموطن موطن تعرف لا تعريف، كالرؤيا التي هي جزؤٌ من النبوة بل هي النبوة، وإنما فرقٌ بين التسمية والموطن، وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحياً، إلى آخره.

والمسطورُ ما يحتمل بعضَ المسرور، وعند المشافهةِ إن فهمنا شيئاً أبديناهُ، وإن انتقشَ في مرآة القلب من تجلي الواسطة والمقصود، فلا أينَ ولا عين، ولا وصال ولا بين، وفي شريف علمكم ما يغنيكم عني وعن أمثالي ولكن الحبيب ما يخليه الذي فيه والله يرعاكم.

وأنتم إن شاء الله محفوظون من المكر الخفي، ومشاهدتكم كما هي، ومُدُّونا بصالح دعواتكم. وجعفر قد توجه إليكم، والقصيدة قرأناها، واكتبوا له بدلها، والكتاب بعجل، ومنزلتك عندنا غيرُ خافية عليك.

وسلموا على الوالد والوالدة والأولاد، ويسلم عليكم الوالد والأولاد.

طالب الدعاء وباذله الفقير إلى عفو الله
أحمد بن حسن بن عبد الله بن علي العطاس
حرر يوم الاثنين؛ ثلاث في جماد الآخر سنة ١٣١١
إحدى عشرة وثلاثمائة وألف». انتهى.

* * *

[جواب الحبيب علي الحبشي]:

وهذا جوابُ سيدي الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي نفع الله به:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي فتح باب المواصلات بين الذوات والصفات، على حالات متنوعات، يُمدّها العلم بشاهده، والذوق بوارده، والتعرضُ بسره، والتذكر بدليله، وعلى جوديِّ الشهود، رسَت سفُنُ الخارجين عن القيود، ومن وراءِ العقول أدلة، ويسئلونك عن الأهلة. وجامع الأوصاف الكمالية، الحضرة الجمالية، مشهود الشاهدين في مراتب حق اليقين، ومن أين يكونُ التعيين، وعند جهينة الخبر اليقين!

وفي السر داعيه، يشير بلطائف معانيه، إلى منزلة الخصوص القربي في الاتصال

الحبِّي، بشاهد الوجد الذوقي والمدد الوهبي، بأنّ العلمَ إذا اتصل بمعلُومه، ظهرت أسراره في أطواره من مطالع نجومه، وهذه الدعوةُ المستجابة التي تضمنتها أوقات الإجابة، خاطبُ الروحِ وصفَها بها خاطب، وشاهدُ السِّرِّ أمرها بها شهد.

وارتفع الخطاب إلى بعثِ الصلاة والتسليم في مشهد التكريم والتكليم، على السيد العظيم الرؤوف الرحيم، سيدي رسول الله محمد بن عبد الله، الذي ربح ناظره بجميع ما حواه خاطره، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه ومن انتسب إليه، وظهرت بركاته فيه ووجدت أسراره لديه، وكم في هذا الميدان من فرسان، وشاهدُه: كلَّ يوم هو في شأن، أظهرَ كاملَ البيان في الإنسان، وما حواه من المعان، الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان.

وهنا يندرجُ الفرعُ في أصله، ويظهر السر في أهله، وتتفاوت الذوات في الشهود، ومن وراء الوجدان وجود، وفيما شهدت العين نورٌ مستمد من نورٍ جُليتْ حقايقه في عالم البطون والظهور، على حال يدورُ بحقٍّ شاهدِ: والله عليم بذات الصدور.

وهذا المسطورُ من الدر المنثورِ، على مائدة البيت المعمور بالحضور، تُهدَى لطائفُه بعد أن تلقَى معارفه، على من شرب وطرِب، وظهر بعد ما كتب، السيد العظيم المنسوب إلى الرب الكريم، نسبةً صحت، ووصلة تحققت، ظهرت بركاتها في ذلك المظهر ظهوراً لا ينكر، أخي وقرة عيني وسرور قلبي، الذي يحييني خطابه، وينعشني كتابه، العارف بالله محمد بن طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد. أدام الله هذه الذات، على أكمل الحالات، آمين.

بعدَ إهداء مسنُون السلامِ على هذا الأخ الكريم ..

فالداعي لتسطير هذا الكتاب هو الإعلامُ بوصول مشرِّفكم العظيم، وخطابكم المستقيم، وقد فهمتُ منه ما فهمتُ، وعلمت منه ما علمت، وشهدت منه ما شهدت، وما شهدتم من المشهد الاختصاصي، ورسم في خيالكم من الشهود الجمالي، فذلك نتائجُ الحبِّ المتمكن معكم، وإذا قوي الخيالُ ظهرتْ معه الحقائق بتمامها، ولعل ما رأيتموه من ذلك.

ومن أين للشيطان وجودٌ في هذا المكان؟ والله يقول: ﴿ إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ ﴾ [الحجر: ٤٢]، وإنما الرتبة المشهودة لكم: رتبةٌ بين الرتب، إذا استقوت أنوارها، أوصلت إلى الكشف، فالله يزيدكم من فضله، ويجريكم على عوائده الجميلة.

وقد وصل الولدُ عبدالله وشرح لنا من أخباركم ما أسرَّ الفؤاد، لا زلتم من ذلك الخير في ازدياد، فالحمد لله على هذه النعمة، وهذا بعجلٍ صحبةَ الشيخ حُسين بانافع، وادعوا لنا فإنا لكم داعون. والسلام عليكم وعلى والدكم الأخ العارف بالله طاهر، وإخوانكم وأولادكم، مني ومن أولادي وإخواني، والسلام.

من الفقير إلى الله

علي بن محمد بن حسين الحبشي عفا الله عنه، آمين

حرر في تسع جماد الأول سنة ١٣١١

إحدى عشرة وثلاثمائة وألف». انتهى.

[من وجد كتاب سيدي الحبيب محمد الذي هذا جوابه فليثبته هنا وكان الأولى أن يُثبَتَ قبلُ، ولكن لم أعثر عليه]، ....(١).

* * *

(١) فراغ من الأصل بمقدار صفحتين.

الفصلُ الثامن

في ذكر إجماعِ أهلِ عصْره من أعيانِ السادة العلوية؛ ساداتِ البضعة النبوية على فضله وتقديمِه، وإقامته أباً ونقيباً عليهم

وأقدم بين يدي ذلك ذكرَ بعضِ المبشِّرات المشيرة إلى استحقاقه لذلك، وتأهله لما هنالك، منها: أنه قدس سره رأى جدّه الإمام المهاجر إلى الله أحمد بن عيسى قدس سره يقول له: «أنت أبو الجماعة».

ومنها: ما أخبرني به الشيخُ العلامة محمد بن محمد بلخير قال: «رأيتُ ذات ليلة: كأن أهل الحرمين الشريفين وأهل حضرموت مجتمعون في وادي دوعن، قريبا من ضريح نبي الله هادون بن هود عليهما السلام، المعروف هناك. وكأن أهلَ الحرمين ممتازون في ناحيةٍ يقرؤن قصة المولد النبوي للحافظ الديبع، وأهلَ حضرموت في ناحيةٍ كذلك يقرءون قصة المولد المذكورة، ثم أن أهل الحرمين اختلطُوا بأهل حضرموت، وكأنّ أعيانَ السادة العلويين في بيتٍ هناك ممتازين عن الفريقين.

وقصدتُ البيتَ الذي هم فيه ودخلته، فإذا مكان واسعٌ جداً، لا يعهد مثله في حضرموت، وهو ممتلئ بأكابر السادة، عرفتُ منهم: الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي في صدر المجلس، والحبيب أحمد بن حسن العطاس، والحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب محمد بن طاهر، وهو عن يمين الحبيب عيدروس.

ووافق دخولي آخرَ دعاءِ المولد الشريف، فلما أتم القارئُ الدعاءَ التفتَ الحبيبُ محمد بن طاهر إلى الحبيب عيدروس، وقال له: تكلموا على الناس وذكروهم، فقال له الحبيب عيدروس: إذا حضرتَ يا محمدُ أنت في المجلس ما ينبغي أن يتكلم غيرُكَ». انتهى.

قلت: وقد أخبر الشيخُ المذكور سيدي الحبيبَ قدس سره بهذه الرؤيا، ورفعها سيدي مجملةً مع رؤيا غيرها مثلِها لبعضِ أفاضل السادة في كتابٍ لسيدي الحبيب القطب عيدروس بن عمر الحبشي، وهذه صورة الكتاب:

[رسالة منه للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي]:

«الحمد لله على تواتر نعمه المتكاثرة وأياديه المتظاهرة حمد من لا يرفع حوائجه إلا إليه، ولا يعتمد في جميع أحواله إلا عليه، وصلاة الله وسلامه على سيد الوجود سيدي محمد بن عبدالله المحمود، وعلى آله وصحبه الركع السجود، وعلى خليفتهم عين السعادة أهل السيادة، ومن له الحسنى وزيادة، والدي الجليل البركة الرحمة المشتركة عيدروس بن عمر الحبشي متع الله بحياته، ونفعنا ببركاته، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

والسؤالُ عن سيدي والشوق إليه غير قليل، لم يزل ذكركم بالبال، وأرجو أني منكم على بال، ولا يخفى على سيدي أن الجهةَ عندنا أهليها غافلون عما يصلحهم، خصوصاً النساء، وقد أوصيتُ سيدي علوي صنوكم في إرسالِ المعلمة (صالحة) التي بطرفكم لأجل تعليم النساء، وجميعُ ما يصلح لها من مؤنٍ اشترطوه علينا بزيادةٍ، كان الله في عونكم.

ونخبركم أنّ بعضَ السادة المنورين المشهود لهم بالخير رأى أنكم في مجمعٍ كبير أنتم الرؤساءُ فيه، وتقولون لأهل ذلك المجمع: «إن فلان ـ وتعنون محسوبكم ـ أبو آل أبي علوي، وأنه من أهل الدَّرك ومن أهل النوبة»، ورأى مثلَها وليست عينَها بعضُ المشايخ

الأخيار منكم مع الفقير محسوبكم، فانتبهوا له، فإن الرائيين أخياراً لا يتصور منهم الكذب، واعتمادُنا أن ما جرى معكم لا يكون إلا الحق.

وأما الفقير فيرى ما يدلُّ على بعضِ أشياء، وهو لا يرى نفسه لأن يذكره أهلُ الله، ولكن بعد ما جرى منكم لا يكونُ إلا بشيرَ خيرٍ وحقٍّ، والله يختص برحمته من يشاء، فوفّروا سهمنا في توجهاتكم يا أهل المعروفِ، والسلام».

[جواب الحبيب عيدروس]:

فأجابه الحبيبُ عيدروس قدس سره بقوله:

«الحمد لله حمد من انكشفَ عن قلبه القناع، وأتحف بمطالعة شهود الجلال والجمال، وحظي بالسماع فغاب عن الوجود، وخر ساجداً للمعبود، ورأى في حضرة الاقتراب ما تشتهيه الأنفس ويروق للأعين ويلذ للأسماع، ونطقَ بالحقائق، وفهم الإشارات والدقائق، مما لا ينال بالأمنيات والأطماع إلا فضلاً من الوهاب، ما لا ينحصر من المواهب مما تنتجه الرؤية والسماع.

والصلاة والسلام الأتمان الأكملان، على أشرف الثقلين، سيدنا محمد المبعوث إلى كافة الإنس والجان، وعلى آله وأصحابه أولي المعارف والكشوف والإيقان.

يخص جناب السيد الفاضل العارف بالله الحلاحل المحبوب المخطوب الممتلئة بمحبته وتعظيمه وإجلاله القلوب، المتقدم في كل حال على جميع الأقران والأنداد، جمال الدين محمد ابن السيد الولي طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد، لا زال معتلياً في درجات الكمالات معانا بالإمداد والإسعاد، وعليه من الحقير عيدروس بن عمر الحبشي عفا الله عنه:

السلامُ عليكم ورحمة الله وبركاته.

أما بعد؛

فقد وصلني أيها السيدُ كتابك الكريم، وخطابك الفهيم، وتعرفته وفهمت منه ما

أدركته، وفرحتُ بحكايتكم الرؤيا المذكورة فيها الحقير، والإشارة إليكم بذلك الوصف، أنتم جديرون به إن شاء الله، وقد تذكرتُ بذلك رؤيًا لكم بحضرة سيدنا المهاجر مما معناه: رأيتوه يخاطبكم بقوله: «أنت أبو الجماعة»، فالأبوة تعتبر بالوصف على حالات، وفيكم كثير من تلك الاعتبارات، وسيكملها الله حتى تجتمع فيكم بكل الكيفيات». انتهى.

وقد كملها الله! كما ترى تحقيقَ ذلك في آخر هذا الفصل، وفي ضمن ذلك كرامةٌ للحبيب عيدروس قدس سره حيث وقع الأمر كما أخبر.

ومن ذلك: ما حصل للشيخ العلامة حسن بن عوض بن مخدّم مع سيدنا المهاجر وسيدنا الشيخ عبدالقادر الجيلاني في واقعةٍ منامية أو كشفية، لم أعلم تفصيلها، غير أني فهمتها مكاتبةً من الشيخ المذكور إلى سيدي الحبيب قدس سره، ومن جواب سيدي للشيخ المذكور.

قال الشيخ حسن:

«أما بعد: فإن ذكركم في القلب غصنٌ ريان، تلك الجلسةُ عند ضريح سيدنا المهاجر وما فيها كان ..»، إلخ، وهي مثبتة في الجزء الثاني بتمامها.

فأجابه سيدي الحبيب بقوله أثناء جوابه:

«وما ذكرتم من خصوص الواقعة في حضرة سيدنا المهاجر وسيدنا الشيخ عبدالقادر فقد جرى للشاهد عجباً، وذلك: أن السيدَ الأنور علي بن مصطفى الحسيني ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، رأى في تلك الجلسة أن الشيخين المذكورين في مجلس وهو واردٌ إليهما، وأراد أن يسبقني، فثقل بجاذبٍ من ورائه، ثم أفصَحا له السيدانِ بوقوفه ليتقدم العبدُ الفقير! فاعجب للموافقة، فيه حجة المصادقة، في وقت واحد يُسْقىٰ بماء واحد، ونفضل بعضها على بعض في الأُكُل، والسلام».

فيفهم من عبارة سيدي الحبيب قدس سره أن واقعةَ الشيخ حسن موافقةٌ لواقعة السيد التي ذكرها، وكلها مما يشير بالبشارة له والتعظيم والتقديم من شيخي السادة والسيادة، سيدنا المهاجر، وسيدنا الشيخ عبدالقادر رضي الله عنهم أجمعين. انتهى.

ومن المبشرات: ما رأيته في كتابٍ من سيدي الحبيب البقية العلامة سالم بن محمد الحبشي لسيدي قدس سره، قال فيه: «رأيتُ كأنك في موكبٍ كبير والناس محدقون بك وناظرون إليك وملتمسون منك، وإذا قائل يقول: «بالواحد القاهر، ما لها إلا محمد بن طاهر»، وإذا آخر يقول :«ما أحد بايظهر من أهل الوقت ظهور محمد بن طاهر»، وقال آخر: «وعاده يظهر أعظمَ من هذا الظهور»، وقائل يقول: «هذا ببذله معشوقة الناس!»، فقلت: وما معشوقة الناس؟ فقال: الدنيا الدنية، وهذا الحبيبُ باذلها للقريب والبعيد، والعدو والحبيب».

واليوم أنتَ أبو آل أبي علوي وإمامهم، والدولة دولتك، والناسُ الجميع بيدك وتحت أمرك، والذي تراه أنت ما نراه نحن». انتهى.

ومنها: ما أخبرني به بعضُ المحبين قال: «كنت أسمعُ بالحبيب محمد بن طاهر ولم يقدر الله لي الاجتماع به، وكنت أتمنّى رؤيته لالتماس بركته، فلما كان ذات ليلة: رأيتُ كأن الناس ذاهبون إلى مكان يجتمعون فيه، وكأني ذهبت معهم، وإذا بذلك المجمع ممتلئ بالسادات الأكابر، وفي صدر المجلسِ رجلٌ آدمُ اللون كثُّ اللحية»، وأتى بصفة سيدنا الحبيب قدس سره وهو لم يعرفه، قال: «والرجلُ المذكور يتكلم على الناس، فسألت عنه؟ فقيل لي: هو الحبيب محمد بن طاهر، فسألتُ عمن حوله من السادات؟ فقيل لي: هذا الفقيه المقدم، وهذا السقاف، وهذا العيدروس، وهذا الحبيب عبدالله الحداد»، وذكرَ جملةً من أكابر السلف، قال: «وجميعهم ساكتون منصتون، فانتبهت فرحاً مسروراً». انتهى ما رأيتُ.

ومنها: ما أخبرني به المحبُّ المكرّم علي بن عمر باذيب، عن أحمدَ بن أبي بكر باذيب، أنه قال: «لما كان الحبيبُ محمد بن طاهر بعدَن سنة اثنتيْ عشرةَ وثلاثمائة وألف (١٣١٢هـ) رأيتُ الحبيب أبا بكر العيدروس ذاتَ ليلةٍ يشير للناس إلى الحبيب محمد، ويقول: هذا عبدالله حداد». انتهى.

والأصلُ في النقابة المذكورة ما ذكره الشيخ العلامة يوسف بن إسماعيل النبهاني في كتابه «الشرف المؤبد لآل محمد ﷺ»، قال رضي الله عنه: «ومن خصوصياتهم رضي الله عنهم ـ يعني أهلَ البيت ـ: استعمالُ النقباء منهم عليهم، وهذه النقابةُ وُظِّفت في الأصل لصيانتهم عن أن يتولّى عليهم من لا يكافئهم في النسب، ولا يساويهم في الشرف، ويختار لها أجلُّهم بيتاً وأكثرهم فضلاً وأجزلهم رأياً، لتجتمع فيه شروط الرئاسة والسياسة، فيسرعوا إلى طاعته برئاسته، ويستقيم أمورهم بسياسته.

ويلزمه لهم بتقلدها اثنيْ عشر حقاً:

أحدها: حفظُ أنسابهم من داخلٍ فيها وليس منها، أو خارجٍ عنها وهو منها.

الثاني: معرفةُ أنسابهم وتمييز بطونهم، ويثبتهم في ديوانه على التميز.

والثالث: معرفةُ من وُلدَ منهم من ذكر أو أنثى فيثبته، ومعرفة من مات فيذكره.

والرابع: أن يحملهم على الآداب التي تضاهي شرفَ أنسابهم وكرم محتدهم، لتكون حشمتهم في النفوس موفورةً وحرمة رسول الله ﷺ فيهم محفوظةً.

والخامس: أن ينزّههم عن المكاسب الدنية، ويمنعهم عن المطالب الخبيثة حتى لا يستقلّ ولا يستضام منهم أحد.

والسادس: أن يكفيهم عن ارتكاب المآثم، ويمنعهم من انتهاك المحارم، ليكونوا على الدين الذي نصروه أغْيَر، وللمنكرات الذي أزالوه أنكَر، فلا ينطلقُ بذمهم لسان، ولا يشنؤهم إنسان.

السابع: أن يمنعَهم من التسلط على العامة لشرفهم، والتشطط عليهم لنسبهم، فيدعوهم ذلك إلى المقتِ والبغض، ويبغضُهم على المناكرة والبعد، وأن يندبَهم إلى استعطافِ القلوب وتألفِ النفوس، ليكون الميلُ إليهم أوفى، والقلوبُ لهم أصفى.

والثامن: أن يكون عوناً لهم في استيفاء حقُوقهم حتى لا يضعُفوا عنها، وعوناً عليهم في أخذ الحقوق منهم حتى لا يَمنعُوا أهلها منها، ليصيروا بالمعونة لهم منتصفين، وبالمعونة عليهم منصفين، فإن من عَدلِ السيرة فيهم إنصافُهم وانتصافُهم.

والتاسع: أن ينوبَ عنهم في حقوقهم في بيت المسلمين.

والعاشر: أن يمنعَ نساءهم أن يتزوّجن إلا من الأكْفاءِ لشرفهن على سائر النساء، صيانةً لأنسابهن، وتعظيماً لحرمتهن.

والحادي عشر: أن يقوّمَ ذوي الهفوات منهم ويقيلَ ذا الهيئة منهم عثرته، ويغفر بعد الوعظ زلته.

الثاني عشر: أن يراعيَ أوقافَهم بحفظ أصولها وتنمية فروعها ويراعي قسمتها عليهم بحسب الشروط والأوصاف.

ويزاد على ذلك في النقابة العامةِ خمسةُ أشياءَ أخرى:

أحدها: الحكم بينهم فيما تنازعوا فيه.

والثاني: الولاية على أيتامهم فيما ملكوا.

والثالث: إقامة الحدود عليهم فيما ارتكبوه.

والرابع: تزويج الأيامى أللآتي يتعين أولياءهن أو قد تعينوا فعضلوهن.

والخامس: إيقاعُ الحجْر على من عَتَهَ منهم أو سَفَه، وفكُّه إذا أفاقَ ورَشد». انتهى ملخصاً من «الأحكام السلطانية» للإمام الماوردي.

هكذا كانت نقباء الأشراف في الأزمنة السالفة، أما الآن فهُم كما ترى لا يجِدون طاعةً ولا سماعاً، ولا يملكون ضراً ولا نفعاً». انتهى ما ذكره النبهاني رضي الله عنه.

[كلام المؤلف على المنصبة عند بني علوي]:

وقوله: «أما الآن فهم كما ترى ..»، إلخ، لعل ذلك حالُ الأشراف الموجودين بجهته، وأما ساداتُ الأشراف، وبدورُ وادي الأحقاف، السادة العلويون الحسينيون الحضرميون، فلم تزل بحمد الله عاداتُ أسلافهم بينهم متجدّدة، وطيورُ سعادتهم ببركاتهم مغرّدة، قال إمامُهم في هذا الزمان، ونقيبُهم المشار إليه بالبنان، سيدنا العارف بالله أحمد بن الحسن العطاس في بعض مذاكراته: «انظروا إلى مكاتبات الحبيب عمر المحضار وغيره ممن بعده من العلويين، فإنّ في كل قبيلةٍ نقيباً منهم، يسوسُهم بسياسة الشرع، وما وافق الشرع من العادات، وفي ذلك من السر ما لا يخفى على أهله»، ثم قال رضي الله عنه مخاطباً لمن هناكَ من العلويين: «وحقكم إلا نقابةٌ باطنة، ما هي رئاسة دنيوية، هي إلا نقابات باطنة، واستخلافات نبوية، احفظوا ما للسلف». انتهى.

وأهلُ حضرموت يسمون النقابةَ: مَنصَبةً، والقائمَ بها مَنصِباً، ثم لما كثروا وتفرقوا في وادي حضرموت، وكثُرت فيهم مظاهرُ الخلافة النبوية، والوراثة المصطفوية، كثر نقباؤهم، وعظُمت أنباؤهم، فكان لكلّ قبيلة منهم منصبٌ، أي: نقيبٌ، إليه يرجعون، وله ينقادون، ومن خلعَ الانقيادَ له ازدرتْه الأعين، وسلقته الألسن. ويتعداهم أمرُه إلى من ينسب إليهم بالخدمة، من عامة الجهة الحضرمية، لأن من شيمهم رفع سيطرة الولاة عمن انتسب إليهم، وخدمهم، ويكون المنصبُ فيهم بمنزلة الوالي الشرعي، ولا يكون للولاة سيطرةٌ عليهم ولا على من ينسبُ إليهم.

والقائم منهم في ذلك المقام يأتي بالمستطاعِ مما تقتضيه تلك المرتبةُ الشريفة، والمنصةُ العالية المنيفة، وينقاد له الباقون من قبيلته، ويشدّون أزرَه فيما يعانيه في وظيفته،

فيقوم بأكثر الحقوقِ المتقدم ذكرُها، بل كثيرٌ منها يقوم بها ويُعنَى فيها آحادُهم فضلاً عن أعيانهم ونقبائهم.

ومن أظهره الله منهم وأقامه في مقام الخلافة النبوية، بالعلم والتقوى والدعوة إلى الصراط الأقوم الأقوى، انقادَ له الباقون وعرفُوا له حقّه بمقتضى النقابة الباطنة، ولو لم يكن نقيبا لهم في الصورة الظاهرة، هدايةً من الله.

هذا حالُ أكثر قبائلهم إلى الآن وإن كان قد طرقَ ذلك شيءٌ من النقص الذي عمَّ في هذا الزمان في كل مقام ومكان، وذلك بالنسبة إلى ما كان عليه ما ذكرناه في الأزمنة الماضية. وأما بالنسبة إلى ما هو حاصلٌ في بقية الجهات فلا نقصَ، ونسأل الله أن ينعشَ ما ذوَى من تلك الرياض النواضر، ويحيا ما دثر من تلك المآثر والمظاهر، بجمعِ الشتات، للقلوب والمقاصد والنيات.



قال سيدُنا العارف بالله أحمد بن الحسن في بعض مذاكراته لبعض أعيان السادة: «إن المناصبَ إذا حصلت بينهم المنافسةُ تغيرت أشياء جمّ، الحذرَ! أنتم إلا اجتمعوا في شوركم وسيركم وعاداتكم وعباداتكم وأعمالكم، قال الله: ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣٤]، وهذه إلا مظاهر سلفية، واستخلافات باطنة نبوية، أظهرها الله في هذه الجهة، فهل يوجد لغيركم مثلها في غيرها من الجهات، والله حفظكم وحفظَ لكم، وأما الكثيري واليافعي استخلفَهم الله في هذا الوادي إلا لغيركم، ما هم لكم ولا عليكم». انتهى.

ثم إن النقابةَ المتجددة لسيدي رضي الله عنه، المعقودُ لذكرها هذا الفصل، هي النقابةُ العامة، والمرتبة العالية التامة، على جميع السادة العلويين، بالرضا من أعيانهم ونقبائهم الموجودين أجمعين.

وذلك: أنه لما كان سنة اثنتيْ عشرة وثلاثمائة وألف (١٣١٢هـ)، اجتمعَ رأيُ أعيانهم المذكورين، وساداتهم المشهورين، على تجديد عادةِ الأسلاف، ونفي الأمور الموجبة للشتات

والشقاق والخلاف، باتحاد مشورتهم، واجتماع كلمتهم في الأمور الخاصة والعامة، على اتباع الشريعة المطهرة، وسيرة السلف الصالح، وأن مقامهم واحدٌ، ورأيهم واحد، في جلب المصالح ودفع المضار، وأن يكون الجامعُ لعقد ذلك النظام، والمقتدَى به في ذلك والإمام، والمتكفلُ بتحصيل أسباب ذلك المرام، واحدٌ منهم يرتضونه، وجهبذ منهم ينتقونه، وأمينٌ يأمنونه على أنفسهم ويقلدونه.

ثم أجمعوا على أن يكون واحدَهم المرتضى، وسيفَهم المنتضى، يتيمةُ عقدهم، وحاملُ راية مجدهم: سيدي الحبيبُ قدس سره، وكان عمره في ذلك الوقت تسعاً وثلاثين سنة، فما أحراه بقول القائل:

وبلغتَ من قَبلِ المشيبِ مراتباً　　　قد كلَّ دون بلوغِهنَ الـشُيَّبُ

[رسالة منه للسيد فضل مولى الدويلة]:

قال ـ أعني: سيدي قدس سره ـ في كتابٍ منه للحبيب الإمام فضل بن علوي بن سهل رضي الله عنهم: «والفقير يتشبه بحضرتكم في رفع الهمة ودعس المخالفين للحق بالحق، غير أن السادة العلويين شذرَ مذر، وقد جعلوا للفقير رقعةَ معاهدةٍ، وجعلوه خادما لهم، ولست أهلاً لما راموه، غير أني بعد المدافعة الشديدة، رأيتُ أن الصلاح في الامتثال، وأرجو الله ببركة حبيبي محمد ﷺ، وببركتهم وبركة السلف الصالح أجمعين، أن يصلحَ الله للجميع ما نووه من الخير».

وقال قدس سره في كتابٍ منه للشيخ محمد بابصيل مفتي الشافعية بمكة المشرفة: «وربما يصلكم خطٌّ نيابةٍ للفقير من أهل البيت، فإن وصلكم فاطرحوا عليه ما يلزم، عسى ولعلّ أن يسهل الله لأهل البيت وبهم ما يصلحُ الحالَ كله».

وقال قدس سره في كتابٍ منه لبعض الملوكِ بعد كلام: «ولا تلمني يا فلان! فإني

سلطانٌ ولا فخر، وإنْ جَهلتَ فستعلمُ، فإن أردتَ الباطنَ فصدرتِ المكاتباتُ، وإن أردتَ الظاهر فصدرتِ الورقةُ التي فيها: أن أهلَ البيت ارتضوني أنْ أكون رئيساً عليهم، لعلمهم بأن قلبي يعتقدُ أنه خادمُهم وترابُ نعالهم، وبعدَ هذا إن شئتَ فرُدَّ وخذ، وإلا فابعِد ولا تنتقد:

ملوكٌ على التحقيقِ ليسَ لغيرنا مـن الملـكِ الا اسـمُه وعقابُـهُ

ولا فخر، فافهم». انتهى.

وهذه صورةُ ما كتبوه بينهم في هذا الشأن، وأسماءُ من ارتضَوه من نقبائهم والأعيان:

«..»[١].

* * *

---

(١) فراغ في الأصل بقدر صفحة ونصف، وفي النسخة الثانية: ص٢٦٠، و٢٦١، ٢٦٢

الفصلُ التاسعُ

في ذكر نَزْرٍ يسير من مَدح مشايخه وغيرهم
من أعيان عصره له قدس سره، وثنائِهم عليه
واعترافِهم بفضله، وتنويهِهم بعِظَم شأنه، وعلوِّ مرتبته ومكانه

كان سيدنا الحبيب العارف بالله أحمدُ بن محمد المحضار قدس سره كثيرَ الإجلال والتعظيم له قدس سره، ويأمر بتعظيمه وإجلاله، وبشّره بوراثة حال الجيلاني والعيدروس والحداد، وقال له: «لا تتحكم لأحدٍ». وكان كثيرَ الثناء عليه نظماً ونثراً، فمن ذلك قوله في بعض قصائدِه الحمينية شعراً، مخاطبا له وهو في سنّ البلوغ:

ابن طاهر العارف الحداد جا للقرين ... يا مرحبا به عدد ما ظهرن الفرقدين

من عين حاسده حصنته بجد الحسين ... وبالحسن ذي عرف في كل غالي وزين

وبالحسين الذي قد زانوا المكتتين ... شيء من أبيهم وشي من أمهم قد بدين

يا نعم الاثنين لي قد زانوا الكسوتين ... وجاءك من نسلهم حداد في المعنيين

عبدالله القطب في الحاوي وله مشهدين ... وعاد لي فيك رجوى تنعش النعشتين

الفقه في الدين مع علم الحقيقة وحين ... وتسهر الليل والليلة كما ليلتين

وتعرف الفرق بين الزين والزينتين ... وخل كثر القصائد فإنها سهجتين[1]

إلا إذا كبرت لابد مثل جدك يجين

---

(١) ب: لهجتين.

ومن ذلك، قولُه في بعض قصائده قدس سره (شعراً):

* يا سميع الدعاء تحفظ لنا ولد طاهر *

إلى أن قال :

جاتني اليـوم منـك يـا محمـد بـشاير	مرحباً مرحباً يا تـاج أهـل الحـضاير
ذي لهم في المحبة قسم مقسوم وافـر	تسعة أقسام لك عادك تبا قسم عاشر
في المحبة وحبلك ما هو اليوم قـاصر	يوم مديت في الإحسان باطن وظاهر

ومن ذلك قوله في القصيدة المذكورة في الفصل السادس قبلَ هذا، التي أنشأها وسيدي قدس سره مسافرٌ بجهة جاوه، سنة ثمان وتسعين ومائتين وألف (١٢٩٨هـ):

وجاء الذي قد شط في أرض جاوه	محمد جيم الجود ما شفت لـه مـثلا
على خير حال يبلـغ الـسول والمنـى	ويـأتي بخـير مـن فلـوس لمـن أدلى
ومظهـــره في كـــل أرض ومحفـــل	كما ذي سكن عينات بل صيته أعلى
ومثل الذي قد حـل قيـدون جاهـه	يقع مثل أهـل الجـود يـذبحها ابـلا
ومثل ابن علوان الذي حل يفـرس	وتنــزح مـــن بـــير الكـــريم لــه أدلا

ومن ذلك قولُه قدس سره، في بعض قصائده المرسلة إلى سيدي قدس سرهما:

نعـم وقـد جـاتني أبيـات منظومـه	من عند حداد صانع جـم محكومـة
وفي جبينه حروف الـسعد مرقومـه	بن طاهر العـالي الحـداد لـه مقـدار

فصل

غزال قد حـل في قيـدون يـا حـداد	سالك على سيرة الأسلاف والأجداد
يكرم ويعـزم وبحـره للكـرم مـيراد	الله يبقيـــه يحيـــي ســـنة المختـــار

إلى أن قال:

وأنت تطلب من الدعوات أنفعها ... الله يعطيـــك عاشرهــا ورابعهـــا

يعطيـك أرزاق أنفعهـا وأوسـعها ... والحلم والعلم والأسرار والأنوار

فصل

ونفس الحال بالأخلاق والأرزاق ... في كل قرية يقع لك بالعلا معلاق

ولا يعوقك عن نيل العلا معـواق ... بالشيخ بوبكر بن سالم وبالمحضار

فصل

والظن في الله أن يعطيك ما تطلـب ... ولا تــزل في مقــام المعرفــة تقــرب

تقوم بالفرض والواجب وما يندب ... والدرس بالليل والآصال والأبكار

انتهى.

وقد جمعَ هذا الإمامُ ما وهبَ الله سيدي قدس سره من بدايته إلى نهايته في هذه الأبيات، كما يظهر ذلك لمن تأمل.

وكان سيدنا الحبيب العارف بالله أحمد بن عبدالله بن عيدروس البار قدس سره كثيرَ التعظيم والإجلال لسيدي الحبيب قدس سره، كان إذا ذكر عنده يقول: «حال الحبيب محمدٍ كبير، كبير، كبير»، قال ولده سيدي محمد بن أحمد: «عددتُ بعضَ المرات قولَ الوالد: كبير كبير، نحواً من عشرين مرةً في مجلسٍ».

وكان والده سيدنا الحبيب طاهر قدس سره عظيمَ الإجلال والتعظيم له، وكان يستفتيه لاسيما فيما يتعلقُ بعلوم القوم، وكان يقول: «محمد من الرجال، وله نظر في جميع أفعاله، لا ينبغي لأحدٍ أن ينكر عليه». وكان يقول: «محمد أمة وحده».

وكان يقول: «البحر عند محمد سلقة[١]!»، إشارةً إلى سعة أخلاقه وعظيم حلمه وصبره واحتماله، ومعاناته للخاصة والعامة.

وكان سيدنا الحبيب القطبُ الجامع عيدروس بن عمر الحبشي قدس سره يسميه: «أعجوبة الزمان»، وكان يعظّمه ويقدمه في إمامة الصلاة، ويبشره بنيل الخلافة العظمى، وقد تقدم كتابه الذي تكلم فيه على رؤية سيدي قدس سره لجده الأعظم ﷺ، وفيه ما يكفي ويشفي، كما قال سيدي العارف بالله محمد بن أحمد المحضار: «كفى بكتابِ الحبيب عيدروسٍ هذا مناقبَ للحبيب محمد».

وكان سيدنا الحبيبُ العارف بالله أحمد بن حسن العطاس نفع الله به كثيرَ الإجلال والاحترام لسيدي قدس سره، مع ما بينهما من الاتصال الكامل، كما تأتي الإشارة إلى شيء من ذلك، وكان يقول: «محمد بن طاهر بحر ما لَهُ ساحل». وكان يقول: «أهل البرزخ يحبون محمد بن طاهر ويتباشرون بقدومه لزيارتهم»، كما تقدم.



ولما وصل سيدي قدس سره لزيارة حريضة في بعض السنين، تلقاه سيدنا الحبيب أحمد خارجَ البلد، فلما واجهَه قال له: «يا حيا بالفقيه المقدم كله، يا حيا بعبد الله حداد كله، يا حيا بمحمد بن طاهر كله!»، وما أنسب الحال بقول من قال:

ان تلقه تلق الفقيه محمدا	ومحمد الغزالي المشتهرا
والشيخ سقاف العلى والمجتبى	العيدروس القطب سرا قد سرى
والجيلي المشهور فرد زمانه	والسيد الحداد أستاذ الورى
لا غرو ان يجمع كلا واحد	فالسر فرد والتكثر مظهرا

---

(١) السلقة: كالقطيفة أو الخميلة التي يستلقى عليها!

وكان سيدنا الحبيب العارفُ بالله علي بن محمد بن حسين الحبشي نفع الله به كثيرَ الإجلال له، كثير الاغتباط بوجوده، كثير الثناء عليه، مع ما بينهما من الامتزاج الكلي كما تأتي الإشارة إلى شيء من ذلك في الباب الثامن.

وكان يقول: «محمدُ بن طاهر غلامُ الساعتين»، ويعني بذلك: أنه ممن يسر الله له المقام بصالح الأعمال الدنيوية والأخروية. وقال: «لو كان في الوادي ـ يعني: وادي حضرموت ـ أربعةٌ مثلَ محمد بن طاهر لصلح بهم». وقال: «جميع أولياء زماني عرفتهم إلا محمد بن طاهر، فكلما عرفته من جهة تنكر لي من جهة أخرى»، أو ما هذا معناه. وقال له في بعض مكاتباته: «وكن على بصيرة من أمري، إني أراك بعينٍ كبيرة، وإنك من أهل البصيرة، وممن يدعو إلى الله على بصيرة، ويعرف أين مصيره». ولما بلغه خبر وفاته قال: «لو أراد الله بأهل الزمان خيرا لمتعَ بهذا الحبيب».

وقال الحبيب عبدُ الله بن عمر بن سميط: «محمد بن طاهر ضرَغُوه الأولياء»، ولما طلب منه الإلباسَ لم يلبسْه حتى شرطَ عليه أن يلبسَه هو أيضا. والضراغة في اصطلاح أهل حضرموت: بمعنى الإدلال، فيكون معنى قوله: «ضرغوه الأولياء»، بمعنى قول الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي قدس سره: «إن للحبيب محمد إدلالاً عظيماً في حضرة الله ورسوله ﷺ، وحضرات الأولياء السابقين واللاحقين».

وكان الحبيب العلامةُ عبد الرحمن بن محمد المشهور كثيرَ الإجلالِ والاحترام له، وجدتُ مكتوبا تحت اسم سيدي قدس سره في «شجرة السادة العلوية» جمع الحبيب عبدالرحمن المذكور ما صورتُه: «كان شريفاً ذكياً، نبيلاً جميلاً، جليلاً حفيلاً، فقيهاً لطيفاً كريماً، تخرج بأبيه وغيره، وله أخلاق حسنة، ووُسْعُ بال، وصفاء بلبال، منيباً خاشعاً، ومكاشفاً مستهتَراً في الذكر، له مشاهداتٌ، وحسن صفات، حافظاً لكتاب الله تعالى، شهدَ له غيرُ واحد أنه من أولياءِ الله تعالى، له الأيادي العظيمة، ويعظم العلمَ وأهله، وله حسنُ ظنٍّ في العلم والعلماء والأولياء، وأهل لا إله إلا الله.

وبالجملة؛ فهو آيةٌ في زمانه، ونادرة في عصره وأوانه، وله اتفاقاتٌ بالأولياء وأهل البرزخ مناماً ويقظةً، مقبولاً عند الخاص والعام، نفع الله به جميع الأنام»، آمين. انتهى.

وكان الحبيب العارفُ بالله محمد بن صالح العطاس كثير الاحترام لسيدي قدس سره وكان يسميه: «عدنيَّ الزمان»، وقال في بعضِ زيارات سيدي للحبيب صالح بن عبدالله: «رأيت الوالد يقسم تفاحاً على محمد بن طاهر ومن معه، فقلت له: لم خصصتوه بالتقسوم؟ فقال: لأنه يفرح المساكين الحاضرين عند الضريح».

وأخبرني سيدي علوي بن سيدي الحبيب قدس سره عن الحبيب محمد بن صالح المذكور أنه قال: «طلب مني الحبيبُ طاهر أن أدعو لولده محمد وهو صغير، فجرى على لساني من غير تفكر قولي: الله يجعله وجيهاً في الدنيا والآخرة، فاستجاب الله دعائي».

وأخبرني سيدي علوي المذكور عن الحبيب المذكور أنه قال له: «طريقتي وطريقة والدك وطريقة أحمد بن حسن تخفيف الصلاة وإدراج القراءة، وطريقتي وطريقة والدك زيادة على ما ذُكر كثرةُ الزواج».

ويوضح معنى بعض ما تضمنته هذه الكلمات: أنه قيلَ لسيدنا قطب الإرشاد عبدالله بن علوي الحداد قدس سره: إن فلانا يعْجلُ في قراءته فغضب، وقال: «إن ذلك لا يصلح لكلِّ الناس، إنما يصلح ذلك لمثلي ومثلي السيد أحمد الهندوان، حيثُ قد صارت معاني القرآن فينا». انتهى.

وكان سيدي العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي إذا ذكر سيدي قدس سره أطنب في مدحه إلى مالا نهاية، وكان يقول: «هو عبدالله حداد»، وقال: «هذا الحبيب من المدلّين على ربهم، وحضرته جامعة لأئمة أرباب الهدى، وهمته ما يحملها الزمان، ولو تعمر غيرُه ألف سنة لم يتأتّ له فعلُ عشرِ عشير ما فعله هذا الحبيب»، وكان يقول: «هو سدة الوادي»، يعني: وادي الأحقاف، وقال: «ما خلّى رتبة خليّة ـ يعني: من رتب الكمال ـ بل

ملأ جميع المراتب، واتصف بجميع الفضائل والمناقب». وقال وهو غرة في جبهة الدهر، ونادرة في الزمان وأنى يوجد مثله!». انتهى.

وقال الحبيب العارف بالله عبد الله بن محسن بن محمد العطاس: «أولاد الحبيب عبدالله كثيرُ، ولكن وارثه هذا»، ويشير إلى سيدي قدس سره.

وقال سيدي الوالد الجليل شيخ بن محمد الحبشي: «ما رأيت في إخواني في الله مثل محمد بن طاهر». ووجدت بقلم الوالد شيخ المذكور ما صورته: «السيد الشريف الكامل والإمام العالم العامل محمد بن الحبيب العارف بالله طاهر بن عمر الحداد المتوفى ببلدة التقل من أرض جاوة، غمر الله ضريحه بصيب الرحمة والرضوان، وجعل مستقر روحه الفردوس الأعلى في رفيع الجنان، كان هذا الحبيب نفع الله به وبأسراره من الرجال الكمّل العارفين بالله، ونشأ من حين صباه على اكتساب الفضائل الباطنة والظاهرة، وتربى في حجر أبيه على اكتساب العلم ومعانقة العمل.

ثم رعته عين العناية الربانية فصار مخطوبها ومحبوبها، وظهرت عليه أسرار أسلافه الصالحين، وعاصر جملة من الكمل في حالتي الصغر والكبر، كمثل القطب الرباني الحبيب أبي بكر بن عبدالله العطاس، فإنه رآه في حال صِغره فمدحه وأثنى عليه، وكمثل الهيكل الصمداني العارف بالله أحمد بن محمد المحضار، ووالده العارف بالله طاهر بن عمر، وغيرهم ممن لا نطيل بذكره.

وكمثل من عاصراه وجالساه، وهما السيدان الشريفان العارفان بالله بهجتا العصر، ويتيمتا الدهر، واللذان هما الآن في قيد الحياة: السيد الإمام أحمد بن حسن العطاس، والسيد الإمام علي بن محمد الحبشي، فلقد عاصراه وسمع منهما وسمعا منه ما تقر به العيون، وتحير فيه الذهون، من كلام على لسان القوم نثراً ونَظْماً، واستنباطا من القرآن ذوقاً وفهماً، وما أبداه من جنانه على لسانه وسطره ببنانه، فهو أعظم دليلٍ على كماله وبرهانه،

فليبحث عنه من أرادَ الاطلاع عليه، من عند بنيه والمتسبين إليه من مريديه، وهذا نزرٌ من بعض أوصافه ومناقبه». انتهى.

وقال السيد الجليل الفاضل الحبيب المنيب عمر بن علي الكاف في رسالته التي سماها «السيف الحاد في الرد على من أنكر على محمد بن طاهر الحداد»، قال: «وأما السيد محمد فلم يزل من وقت صغره مقتفيا إثر آبائه وأجداده وسلفه الصالح في سِيَره جميعها، قليلها وكثيرها، مجتهداً في طلب العلم والعبادة، وقليلٌ من أمثاله في بر الوالدين وصلة الرحم وحب المساكين والرحمة لهم، وحسن الخلق للناس كافة، وبذل المعروف وإكرام الضيف لمن يعرفه ومن لا يعرفه، وصدقة السر وغيرها، وكظم الغيظ، والصبر على نوائب الدهر، ومعاناة الناس وأحوالهم وأخلاقهم، لا يكاد يستريح ساعةً واحدةً من معاناتهم مع اختلاف أخلاقهم، ولم يزل ضاحكاً لهم مستبشراً مع غاية الأدب.

وأما الدنيا فلا يطلبها بسببٍ أو بغير سبب، بل تأتيه راغمةً، كما ورد: «**يا دنيا من خدمني فاخدميه، ومن خدمك فاستخدميه**»[1]، ولو ذهبنا إلى نصفِ ما أكرمه الله به من حسن الاستقامة واتباع سلفه الصالح، لخرجنا عن مقصود الاختصار، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم، ربنا يزيده من فضله». انتهى بتصرف يسير.

وأخبرني خادم سيدي صالح بن سعيد باضاوي قال: «زرتُ سيدي الحبيب العارف بالله محمد بن صالح العطاس بعد وفاة سيدي قدس سره، وخاطبته بأبياتٍ تشفعت فيها إليه بسيدي الحبيب، وطلبت منه الدعاء لي، فأجابني يقول (شعراً):

أهلاً وسهلاً بأقوال المحب السموح	بصاحب أهل المعارف بالغين الميوح
مثل الحبيب ابن طاهر ذاك عرفه يفوح	محمد الصدر عالي القدر صابر صفوح

---

(١) أخرجه البيهقي بسنده في «الزهد» له مرسلا، بلفظ: «أوحى الله عز وجل إلى الدنيا من خدمك فأتعبيه، ومن خدمني فاخدميه».

نسل الحبيب المسمى طاهر ذا الفتوح نالوا بأذكار مولاهم رضى ما يروح
يهناك يالتقل المعروف وعل السفوح ذي فاق حاتم بأنواع الكرم في السفوح
قد وسع الله في أخلاقه مثل نوح ونسله مثله بالعلم دائم يبوح
قولوا لباضاوي أبشر بالهنا والفتوح من قرب لأسياد أهل البرهنة والمنوح
والختم صلوا على أحمد عد بارق يلوح

وقال سيدنا العلامة محمد بن أحمد بن عبد الله العطاس بعد ذكره للحبيب طاهر بن عمر في «مناقب الحبيب القطب صالح بن عبدالله العطاس»: «وأما ابنه الكامل محمد بن طاهر؛ فإنه قد أعطاه الله من وسع الصدر والتحمل بالمسلمين وصلاحِ ذات بينهم والإكرام للخاص والعام، مالا يدخل تحت النظام، ولا تحصيه الأقلام، وله نية صالحة في القيام بجميع المسلمين، خصوصاً العلويين، مراده: بما يقوم بمصاريفهم وكفايتهم في الأرض الحضرمية وغيرها، وإذا وصلَ إلى مكان في حضر أو سفرٍ أقام ضيافةً لجميع من حضر عنده من خاص وعام، وهذا دَأْبه، ربنا يساعده ويبلغه جميع ما نواه من هذه النيات الصالحة، مع كمال العافية والجمالة مع الله ومع خلقه دنيا وآخرة، آمين رب العالمين». انتهى.

وكان الحبيب العارف بالله أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس كثيرَ التعظيم لسيدي والمحبة له والثناء عليه، والتأوه على أيام الاجتماع به، وكان يقول: «إن مقام الحبيب وحاله وكرمه وجميعَ خصاله خارجةٌ عن القياس، هَيل بلا كيل، وبحر الحبيب محمد ما يتبوَّع».

وقال السيد العارف بالله عبد الرحمن بن محمد خرد: «إن هذا الزمان غير قابل لمثل مظهر الحبيب محمد بن طاهر»، يعني: فلذلك لم تطل حياته، قال: «ويستوفي ذلك المظهر العظيم في الأماكن القابلة له في البرزخ والمحشر والجنة». انتهى.

❋ ❋ ❋

خاتمة الفصل

اعلم؛ أن جملةَ من بُشِّر سيدي الحبيب قدس سره بوراثةِ مقاماتهم من أكابر السلف الصالحين؛ ثمانية: الفقيه المقدم شيخ الشيوخ محمد بن علي باعلوي، وإمام الأكابر الشيخ عبدالقادر الجيلاني، وتاج الرؤوس الشيخ عبدالله العيدروس، وفخر الوجود الشيخ أبوبكر ابنْ عبد الله العيدروس، وفخر الوجود الشيخ أبوبكر بن سالم، وغوث العباد الشيخ عبد الله ابنْ علوي الحداد، والشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، وعظيم الشأن الشيخ أحمد بن علوان.

والمبشرون له بذلك هم: الحبيب القطبُ صالح بن عبد الله العطاس، والحبيب القطب أبو بكر بن عبد الله العطاس، والحبيب القطب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب الإمام علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر، والحبيب الإمام أحمد بن حسن العطاس، والحبيب الإمام محمد بن صالح العطاس، والحبيب الإمام عبد الله بن محسن العطاس، كما يعرف ذلك من تأمّل ما اشتمل عليه هذا الفصل.

وقد أشار السيدُ العلامة عمر بن محمد [يومين][(١)] الأدهل إلى ذلك بقوله (شعراً):

هو أعطي بساط سبعة أقطاب ... وقـد خـص بعـد ذا بازديـاد

ربـــه خـــصه بعلـــم وحلـــم ... واصطفاه رغما لأنف المعـادي

وستأتي القصيدة بكاملها في الباب السابع.

---

(١) لم ترد في النسخة ب.

وما أحسن ما تمثل به الشيخُ الفقيه محمد بن أبي بكر باذيب، عند اجتماعه بسيدي قدس سره، (شعراً):

كانــت مــسائلة الركبــان تخبرنــا	عن ابن طه وتروي أطيـب الخـبر
حتى اجتمعنا فلا والله ما سمعت	أذني بأطيب ممـا قـد رأى بـصري
طـود علـت قمـة الأفـلاك همتـه	خدن المعارف والأفكار والفكـر
طـه أبـوه وطـه جـده وسـل الـ	أحبـار عنـه ولا فخـر لمفتخـر

* * *

الفصل العاشر

في ذكر بعْضِ ما وُصِفَ به
مما هو حقيقٌ به في المكاتباتِ

وذلك شيء لا يحدّ ولا يُعد، وإنما نورد منه هنا أنمُوذجاً لما لم نذكره :

فتنــزهْ في وصْــفِه ومعانيـــ ـــه استماعاً إن عزَّ منها اجتلاءُ
واملأْ السمع من محاسنَ يمليـ ـــها عليكَ الإنـشادُ والإنـشاءُ

فمما وصفه به سيدنا العارف بالله الحبيب أحمد بن محمد المحضار قدس سره قوله: «الولد العارف المنيف الشريف، الحبيب الصفي المعان، سليل أهل العرفان المترقي في درجات الإسلام والإيمان والإحسان، ثابت الأركان، العارف بعلم الأديان، الشاب الذي اعتنى في الطلب، وأتى البيوت من أبوابها، وتحقق بنور طلابها، واتصل بالصلة والوصلة، وتلقى الطريقة الحدادية الموروثة عن أهله».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي قدس سره قوله: «السيد الجليل، ذا القدر الحفيل، أحبَّ الأحباب، خلاصةَ الإخوان من الأصحاب، الولدَ الذكيَّ اللوذعي الفاضل، العارفَ بالله الحلاحل، المحبوبَ المخطوب، الممتلئة بمحبته وتعظيمه وإجلاله القلوب، الجنابَ الرحيب، الجامعَ لكل فضل شاسع وقريب، السيد الأمجد، الذي انفرد بكمال الأخلاق وتوحّد، حتى صرحت بالثناء عليه الأكابر الأمجاد، الجناب السامي العلي والمقام، الذي هو بكل فَضْلٍ ملي، حضرة الحبيب الأفضل،

الذي هو بالأنوار والأسرار مسربل، الذي هو لعين الأسرار والأنوار كاشف، وبجميع الفضائل والفواضل متحقق وإليها متقدم سابق غير خالف، المبسوط عليه فضل الله الجواد، المنفرد بها لا يدركه المقارنون والأنداد، النائل من الله بحسن ظنه فوق المراد، المتقدم في كل حال على جميع الأقران والأنداد، المسعوف بالهداية والإرشاد، جمال الدين».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي نفع الله به قوله: «السيد العظيم المنسوب إلى الرب الكريم، نسبةً صحت، ووصلةً تحققت، وظهرت بركاتها في ذلك المظهر، ظهوراً لا ينكره من شرب وطرب، وظهر بعد ما كتب، المحسوب في الرجال والمكتوب في ديوان أهل الكمال، ذو الهمة العلية، والنفس الزكية والروح المتعلقة بالمراتب القربية، الراسخة في المشاهد الحبية، الأخ الفاضل البقية، المنيب القريب الغريب الأديب العجيب، الذي لا يفصح القلم عن أحواله، ولا يعبر اللسان عن منازلاته في اتصاله، العارف بالله الذي لا تزال عين العناية ترعاه في جميع قضاياه، وفيه ظهرت آثارها، وعليه أشرقت أنوارها، ولاحت أسرارها، وهو مع ذلك على قدم العبودية قائم، ذي الذكاء والألمعية، الذائق الصادق، الصحيحة مقاصده، والكثيرة فوائده، الظاهرة عليه شريف الأخلاق وجميل السير، من عرفتُ منه من الصفات ما حقق لي فيه بلوغ الأمنيات، العارف بالمعارف من غير صارف، والمتخلص من الكثايف بأنوار اللطائف، الذي عرف بعدما انصرف، واعترف بعدما اغترف، من الفيوضات الامتنانية، القائل في الظل والمقابل والمقبل، أخي وصديقي وصفيي ورفيقي، السالك طريقي، والشارب من رحيقي، قرة عيني وسرور قلبي، الذي يحييني خطابه وينعشني كتابه، أخينا في الولادتين بلامين، السالك سبيل الرشاد، الذي يعرب عرف طيبه عن حيازته القرب من حبيبه، السيد الكريم، الماشي على سنن الصراط المستقيم».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله أحمد بن الحسن العطاس نفع الله به قوله: «عين الأعيان، والسر المبان، لأهل الإسلام والإيمان، كثير العرفان، من نوّر الله به الزمان،

المحمود ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً، وراثةً بالخاصية وخلافةً ربيةً، الحبيبُ الأواه الصفي الوفي، السيد الصوفي، ذي الخلق الرضي والفعل المرضي، السائر على القدم الطاهر، والمحيي للداثر من المآثر، الملطوف به في جميع أطواره، أخي وحبيبي وصفيي ووليي في الله».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله عبدِ الله بن حسن بن صالح البحر قدس سره قوله: «الحبيب السيد السائد، بما ناله وتحلى به من حسن الأخلاق وسنيِّ المحامد، الغني عن المدح والتعريف، الموصوف بكل حال منيف، ووصف شريف، جمال الدين وبركة المسلمين».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله الحبيب عمر بن هادون العطاس قوله: «نور الإسلام وبركة الأنام، القائم بنفع الخاص والعام، الجناب العالي، الحبيب المشكور البركة والنور، جمال الدين، عضدنا وعوننا على كل خير».

ومما وصفه به سيدنا الحبيب العارف بالله عبد الله بن محمد بن أحمد بن جعفر بن أحمد بن زين الحبشي قدس سره قوله: «خيرة الرجال، ونتيجة أهل الفضائل والأفضال، المتحلي بجميع صفات الكمال، العالي القدر المفضال، الغيث الهطال، والبحر الحالي الزلال، حميد الخصال ومحمود الخلال».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله الحبيب عبدالله بن أبي بكر بن عبدالله العطاس قدس سره قوله: «الأخ الصفي الوفي، الشفيق الرفيق، صافي السريرة وحسن السيرة، صفوة الإخوان وأعذوبة الوقت والزمان، الحبيب المقرب، الأعز المنوّر، العارف بالله السلطان ابن السلطان».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله الحسين بن محمد بن الحسين الحبشي نفع الله به قوله: «من خصه مولاه، ورقاه وحباه، واجتباه بالشرف الأصيل، والمجد الأثيل، والحسب الوافر، والعلا في الباطن والظاهر».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله حامدُ بن أحمد المحضار نفع الله به قوله: «سيدنا الحبيب، الذي عن القلب ما يغيب، الفائز بالمراد، المبشر به قبل الإيجاد، المحفوظ في الإصدار والإيراد، الباذل وسعه في نفع العباد سيد الأجواد، سليم الفؤاد، نور البلاد، أخونا السار البار الواد، الفاضل العلامة، بقية الأجواد، سيد الأسياد، الداعي بقوله والفعال، عديم المثال، قرة العيون الفائز على الأنداد».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله الحسين بن محمد البار نفع الله به قوله: «سيدي ومولاي الحبيب الفاضل، الجليل الكامل، الملاذ البركة، حميد المساعي ومجيب الداعي، كريم العناصر طيب المآثر، مسلول السخيمة، الدرة اليتيمة، المجلل بنعم الله السابغة، المكلل بحلل الستر الجميل البالغة، الجناب العالي والجوهر المكنون الغالي، الإمام الخليفة، ذي الذات الشريفة، والأحوال اللطيفة، حميد الشمائل، ومحط الفضائل والفواضل، طيب الأصول والغروس، ونزهة الخواطر والنفوس، رفيع العماد».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله الوالد محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي نفع الله به، قوله :«الحبيب المحبوبُ الذي هو للعناية مخطوب، ومراد ومجذوب، وطالب ومطلوب، وللنوب يعسوب، نائب الحاضر والباد، في دعوة العباد إلى الملك الجواد، باب حضرة التقريب والإسعاد، ناشر لواء الرّشاد، سيدي وحبيبي وملاذي ومولاي ومولى كل مؤمن منقاد».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله شيخان بن علي السقاف قدس سره قوله: «أخينا وصديقنا العلامة الأفضل الأكمل، الإمام الهمام، بركة الأنام، المحفوف بخفي الألطاف، والموصوف بجميل الأوصاف».

ومما وصفه به سيدنا العارف بالله عبد الله بن محسن بن محمد العطاس نفع الله به قوله: «الولد المحبوب، الصالح اليعسوب، العامل لعلام الغيوب، المحفوظ المطلوب،

عالي المقام الجالس على رفرف الإنعام، ذي الباع الطويل، وارث الأجداد القائم مقام جده عبدالله الحداد، ظاهرا وباطنا على رؤوس الأشهاد، أخينا في الله وعضدنا فيما يرضي الله».

ومما وصفه به السيد العلامة الحبيب سالم بن محمد الحبشي نفع الله به قوله: «السيد الكريم الجليل، طيب الذات والفعال، عذب المقال الذائب في صالح الأعمال، سليم البال، يتيمة عقد اللآل، كريم السجايا جم المزايا، المخصوص من المولى بكل خلق ظريف وسر لطيف، العارف بالله، الباذل نفسه وماله لله، ابتغاء مرضاة الله، المتواضع لله الأحد، العالم العلامة النحرير، الحبيب الصالح، أهل الهداية والصلاح، والفتوح والإيضاح، الذي رأى النبي ﷺ ورخص له في كل شيء، الولي المخلص في الباطن والظاهر».

وقال له في بعض كتبه: «قدكم اليوم النهاية:

إذا قالــت حــذامِ فــصدقُوها ... فـإن القــولَ مــا قالــت حــذامِ

وكيف يفتَى ومالكٌ في المدينة». انتهى.

ومما وصفه به السيد العلامة داود بن عبد الرحمن حَجَر، مفتي زبيد رضي الله عنه، قوله: «السيد العلامة القدوة الفهامة، إمام الموحدين ناشر لواء الدين، مفخر السادة، ومجمع الفضائل والسيادة، طراز العصابة الهاشمية، عز الإسلام ناشر لواء الأعلام».

ومما وصفاه به السيدان العلامتان، عمر وأبو بكر ابنا محمد شطا المكيان، قولهما: «الشمس المنيرة، الذي جمع من الفضل قليله وكثيره، كوكبُ سماء العلوم، المشرق مدى الدهور، قطب المعارف الذي عليه لباب الأذكياء تدور، نخبة آل المجتبى، صفوة فضلاء ذوي القربى، طراز آل البيت النبوي، وتاج هامات النسب العلوي، من خصه الله بالنصح للعباد».

ومما وصفه به السيد الجليل أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب قوله: «مولانا ومولى الجميع، ذو القدر الرفيع، والجاه الفسيح، نخبة السلالة، وخليفة صاحب الرسالة، وأمير

الزمان، ومركز دوائر الإيمان والإحسان، بركة الوقت القائم في هذا الزمان بكل ما تعين عليه، ركن الدين الأقوى الأقوم، ونقطة بيكار السر المطلسم، صفوة السلالة النبوية ومغناطيس الكمالات ومركز كواكب المجد السيارات، الإمام العارف، الغارف من حياض محبة مولاه، الجامع لما تفرق في أسلافه، والرافع لواء المجد بين أقرانه وأحلافه.

بقيةُ العارفين، وسيد المقربين، وفي جميع الكمالات أمير المؤمنين، حجة الله البالغة، وشمسه البازغة، مدار الأفكار، ومركز البِيكّار، الداعي إلى الله والغني به، والفقير إليه، والمتصرف بتصرفاته، الأستاذ الجليل، درة الصدف الذي انقطعت الأطماع عن إدراك ثمنها، وضالة الأمة المحمدية الناشدة عنها في سرها وعلنها، إمام أهل العرفان، ورضيع ألبان البيان، وحجة الله على عباده، ورحمته المبعوثة لهم على وفق مراده، سيد كل سيد، وقدوة كل قدوة، وإمام كل إمام:

طيبُ العنصُرِ زاكي المنتمَى	أكرمُ الخلق وأوفاها ذِمامَا
غـــرةُ الآل طـــرازٌ معلَـــمٌ	للهدَى إذ صار للكل إماما
درة التاج الـذي قـد زينـت	ملة الحق بـه حـين استقاما
صفوة الـصفوة مـن غـر بنـي	هاشم أفضل من صلى وصاما

سيد العشائر، وزين الأكابر، وقطب الدوائر، وبرق البشائر، وملاذ البادي والحاضر، وسند المقيم والمسافر، وعلم الحضائر، ومطالع السرائر، وإنسان النواظر، وزينة المحاضر، وحجة الأوائل والأواخر، وغنيمة المعاصر، وجوهرة الجواهر، ونزهة الخواطر، ومفحم المناظر، ونور البصائر، وهادي الحائر، والسحاب الماطر، والنفح العاطر، والكوكب الدائر، والنيّر الزاهر، والمثل السائر، والبحر الزاخر، والجواد الضامر، الغني الشاكر، والفقير الصابر، مَن الفوزُ منوطٌ بامتثال أوامره، والحرمان مربوط بعنق منابذه ومناكره، سيدنا الداعي إلى الله بالحال والمقال، والسابق في حلَبة الذين لا تلهيهم عن الله تجارةٌ ولا مَال».

وبما وصفاه به السيدان الكريمان والقمران النيران: سيدي جمال الدين محمد، وسيدي مصطفى، ابني الحبيب أحمد بن محمد المحضار نفع الله بهم، آمين، قولهما: «من رعته العناية في المجيء والذهاب، الإمامُ لكل محراب، الحبيب الأريب، المنيب المكين، زينة الدنيا والدين، خليفتنا وسيدنا المستجيب، الظافر بالمطلوب والفائز بالنصيب، الملاذ إذا ضنّ الرذّاذ، الفاتك بحده، في صدره ووروده، الفرد في قصده، والوارث لجده، المقبول في مواصلته وصده، وهزله وجده، منبع الفضل الذي مَن انتظم في سلكه فاز، ومن انخرط عنه وقع في مهالك المفاز، الحبيب العارف، ومن بحور المعارف غارف، البركة المشتركة، الذي أن تذكرتُه فكلّي قلوب:

كعبة الحسن البديع الـذي غـدا   به كل صب واله القلب حائر

الخليفة الذي أشرقت به قيدون ودورها الذي ساد وفاز بالمراد المولى الذي عم نفعه البلاد والعباد والحاضر والباد».

ومما وصفه به السيد الجليل العلامة النبيل محمد بن عقيل بن عبدالله بن عمر بن يحيى قوله: «سيدنا ومولانا العلامة البركة الجليل، الحبيب العارف بالله والدال عليه، والأستاذ الملاذ، الهمام الكامل، الجامع المالك، أنموذج السلف، وجوهرة الخلف، لب اللباب، ونخبة من جمع بين الجذب والاكتساب».

ومما وصفه به الشيخ العلامة حسن بن عوض بن زين مخدَّم رحمه الله قوله: «الحبيب المحبوب، القريب المخطوب، غصن شجرة التوحيد، وثمرة غصن التجريد والتفريد، عديم النظير في الوجود، الباهر بخلقه كل ذي وجود، سليم البال، صافي الحال، المحفوظ عن المحال، المرعي بعين الجلال، اللابس خلع الجمال في بساط أهل الكمال، رضيع مرضَعة الجمال، ذي الهمة العالية، والعزمة السامية، محبوب أهله وأسلافه، ومخطوب شراب خمرة الحب وسلافه.

العارف بالله، الطيب الطاهر العناصر، المحفوف بعناية الولاية في سائر الدوائر، المستغرق مع أيام الله، الشارب من كؤوس أهل الله، من محا من وجوده جميع ما سوى الله، الواصل إلى حضرة الود المتواصل، رضيع ألبان العرفان السائغة في حناجر الإيقان، للشاربين من أهل العيان، رفيع القدر والذكر والشان، بعيد الإشارة عن العبارة في جولان علوم الإحسان، فارس خيول الهمم العلية بلا توان.

المحبوبُ في القلوب والغيوب، الموهوب أسرار نهاية الجذوب، وليس بمتعوب[1] ولا مغلوب ولا منهوب ولا مسلوب، بل لم يزل شاربا رحيق المحبة على أعذب أسلوبٍ وأطيب مسكوب، علمُ الجود في الوجود، المشهود في مراتب الشهود».

هذا بعضُ ما وجدتُه ووصل إليَّ من الأوصاف الحسان، في مكاتبات هؤلاء الأعيان، الذين حسن بهم الزمان وزان، وصفَى لهم وبهم الزمانُ والمكان، وما لم يبلغني مما قالوه أو قاله غيرهم من الأعيان وضنائنِ الرحمن، أعظم وأكثر، وأنّى يعدُّ ذلك ويحصر.

وعلى تفنُّن واصفيهِ بوَصْفه يفنَى الزمانُ وفيه ما لم يوصَفِ

والله أعلم.

* * *

(١) ب: بمعتوب.

خاتـمـة

في الإشارة إلى معاني بعضِ ما اشتمل عليه هذانِ الفصلان من أوصافِ هذا الحبيب مجمعِ الزَّين[١]

[وصفه بكونه جامعاً بين الظاهر والباطن]:

فمن ذلك: الجمعُ بين الشريعة والطريقة والحقيقة، والظاهر والباطن، المشار إليه بقول سيدنا القطب أحمد المحضار:

وعادْ لي فيك رجْوَى تنعَشِ النعشَتين ... الفقه في الدينِ مع علْم الحقيقة وحَين

وقد حقق الله رجواهُ، ويا لها من رجْوَى حققها اللهّ! وهذا هو مقامُ الكمّل من أولياء الله.

[وصفه بأنه من أهل المقام الرابع]:

ومن ذلك: نيلُه للمقام العاشر، والمقام الرابع، المشار إليهما بقول القطب المحضار:

وأنت تطلبْ من الدعواتِ أنفعَهـا ... الله يعطيـكَ عاشرَهـا ورابعَهـا

وقد استجاب الله دعاءَه.

---

(١) ب: الزمان.

قال سيدنا القطب أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه في «شرحه لقصيدة القطب الحداد التي أولها: الحمد لله الشهيد الحاضر»، عند قول الناظم:

خصَّ الرجالَ العارفين بقُربه وبأنسِه أهلَ المقامِ العَاشِرِ

«أعلى درجاتِ القُرب مقاماتُ العارفين المخصوصين **بالمقام العاشر**، وهو مقام الخلافة النبوية، والوراثة المصطفوية، **فالمقامُ العاشرُ** لأهل القرب من الله، والأنس به من الرجال العارفين، هو: الرتبة العليا في رتب الولاية، والمقام الأقصى في أحوال النهاية، وصاحبه سيدُ الجماعة من أهل العناية، باعتبار مقامات الكمال في المعرفة بالله عز وجل والقربِ منه والأنسِ به.

فالمقامُ العاشر؛ أعظمُ المقامات في مقامات العارفين بالله، وصاحب المقام العاشر من العارفين يحوز وراثةَ النبي ﷺ من غير أن يصيرَ نبياً، بل خليفةً متبعاً، يدعو إلى الله على بصيرة، فهو أخص الصديقين وصاحبه المنعوتُ بصاحب الصّديقية الكبرى، وهي الخلافة لنبينا محمد ﷺ في أخلاقه وأحواله، ودعوته للخلق ونفعه لهم خصوصاً وعموماً، وغير ذلك». انتهى.

[وصفه بأنه من أهل المقام الرابع]:

وأما **المقام الرابع**؛ فهو: كما قال القطب المذكور في «شرح العينية»(١): «الدرجة العالية من العلم بالله تعالى والمعرفة به، والعبادة والخوف منه، والإخلاص والصدق في عبوديته وتوحيده.

والمقامُ الرابع في التوحيد: مقامٌ وراءَ لُباب التوحيد، **ولُبابُ التوحيد**: أن يرى الأمور كلها من الله تعالى، رؤيةً تقطعُ التفاته عن الوسائط، وأن يعبده عبادةً يفرده بها، فمن

---

(١) (ص٥٤).

اتبعَ هواهُ، أو سخط على الخلق؛ خرجَ عنه. وهو من مقامات الصديقين. والمقام الرابعُ: درجةٌ فوقَ هذا. وهذان المقامان من مقاماتِ صفوة الله من عباده، وموضع نظره، ومعادن أنواره، وخزائن أسراره». انتهى.

[وصفه بالرجُولة]:

ومن ذلك: الرجُل؛ كقول سيدنا الحبيب طاهر بن عمر: «محمدُ من الرجال»، وقول سيدنا الحبيب علي بن محمد الحبشي: «المحسوب في الرجال».

قال سيدنا القطب الحداد قدس سره: «**الرجلُ**: من قهر نفسه واستولى عليها، ونقاها وزكاها من خبائث الأخلاق، وحلاها بمكارمها، وقطع عن قلبه علائق الأكوان، واستقبل الحضرة الإلهية بوجهه الباطن والظاهر، فأقام القلبَ في مواطن التوحيد والتفريد، وأقام القالبَ في مواطن الخدمة لله تعالى التي هي شأن العبيد، وهذا وصفُ الصوفيِّ المحقق». انتهى.

[وصفه بالمعرفة بالله تعالى]:

ومن ذلك قولهم «العارف بالله».

قال القطب الحداد: «**العارفُ**؛ في اصطلاح الصوفية: هو شخصٌ آمن بالله على بصيرة، وعلم ما افترض عليه من طاعته، وما حرم عليه من معصيته، فامتثل واجتنب، ثم أخذ يكثر النوافل المقربة إلى الله تعالى ابتغاء الزلفى لديه سبحانه، حتى أشرقت عليه أنوارُ السعادة، وصار الغيب في حقه كالشهادة، وهداه الحق سبله، وجعل له فرقاناً، وعلمه من لَدُنه علماً».

وقال أيضاً: «**العارفُ**: كنزٌ من كنوز الله في أرضه، لا يعرفه إلا من وفقه الله، ولا تظهر حقيقة سره إلا في الدار الآخرة». انتهى.

[وصفه بالسيادة]:

ومن ذلك قولهم: «السيد». قال الشيخُ العارف بالله عبدالله بن أحمد باسودان: «هو في اصطلاح أهل الله وأرباب المعاني: الذي يملكُ تدبير السواد الأعظم، والسواد الأعظم: هم أهل الدائرة والدرك من الأولياء، على ترتيب مقاماتهم ووظائفهم، وغير ذلك مما هو مذكور في محله، ومعروف عند أهله». انتهى.

[وصفه بالجليل الحفيل]:

ومن ذلك قولهم: «الجليل الحفيل، بركة المسلمين».

قال الشيخ أبو سودان: «الجليلُ: العظيم القدر، باعتبار ما ناله من السيادة المتقدم ذكرها. والحفيلُ؛ فعيلٌ بمعنى فاعل، أي: الحافل، وهو الممتلئ السرَّ بأنوار الجلال والجمال، الجامع لأنواع الكمال. بركةُ المسلمين: أي الحاصلُ لهم بسببه الخير الإلهي، والمسلمين: يعم جميع الموحدين من الأمة المحمدية وغيرها، ويدخل في ذلك حتى الأنبياء بمددٍ نحو الصلاة عليهم، والأولياء بتأييدهم في مقاماتهم، وما يتعلق بمراتبهم ودوائرهم». انتهى.

[وصفه بالأديب]:

ومن ذلك قولهم: «الأديب». قال القطب الحداد: «الأدبُ: وقوفُ الإنسان على حده من العبودية، وقيامه بحق الربوبية، قياماً مقرونا بنهاية التعظيم وغاية الاحترام، مع الخروج والانسلاخ عن دعوى القيام وشهوده».

[وصفه بالغربة]:

ومن ذلك قولهم: «الغريب». وهو: القائم بأمر الله في عباده وبلاده، حيث تقاعدت هِمم الناس عن القيام به. والى ذلك الإشارة بقوله ﷺ: «بدأ الدين غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، فطوبى للغرباء .. »، الحديث.

فالغرباء: من هذه صفتُهم كهذا الحبيبِ قدس سره، **والغريبُ**: أيضا من كشف له عن صفات الله سبحانه فأخذ قلبه فيها هنالك فصار غريبا في الدنيا والآخرة لأن سره مع الله بلا أين وصارت الحضرة معشعش قلبه أو هو من عظم حاله وكبر مقامه فلم يعرفه غيره وقال الشيخ إسماعيل الجبرتي الغريب عند المحققين هو الذي يأتي من الله بما لم يأت به غيره في زمانه وقال أيضا الغريب من يأخذ العلم بذات الله من الله. انتهى.

وجميع هذه الصفات تصدُقُ على سيدنا الحبيب قدس سره.

[وصفه بالمراد، المخطوب ... إلخ]:

ومن ذلك قولهم: «المراد، المخطوب، المحبوب، المجذوب». فمعاني هذه الأوصاف مترادفةٌ أو متقاربة. والموصوفُ بها هو عبدٌ يباديه الحقُّ بالكشوف وأنوار اليقين، ويرفع عن قلبه الحجُبَ فيستنير بأنوار المشاهدة، وينشرح وينفسح قلبه ويتجافى عن دار الغرور، وينيب إلى دار الخلود، ويرتوي من بحر الحال، ويتخلص من الأغلال والإعلال. ويقولُ معلناً: «لا أعبدُ رباً لم أره!».

ثم يفيض من باطنه على ظاهره، وتجري عليه صورة المجاهدة والمعاملة من غير مكابدة وعناء، بل بلذاذةٍ وهناء، ويصير قالبه بصفةِ قلبه، لامتلاء قلبه بحب ربه، ويلين جلدُه كما لانَ قلبُه. وعلامةُ لينِ جلده: إجابةُ قالبه للعمل كإجابة قلبه، فيريده الله تعالى إرادةً خاصة، ويرزقه محبة خالصةً من محبةِ المحبوبين المرادين، ينقطع فيواصل، ويعرض عنه فيراسل، يذهب عنه جمودُ النفس، ويصطلي بحرارة الروح، وتنكمش عن قلبه عروق النفْس.

فسلّم قلبه، وانشرح صدره، ولان جلدُه، فصار قلبه بطبع الروح، ونفسه بطبع القلب، ورُدَّ إلى صورة الأعمال بعد وجدان الحال، ولا يزال روحه ينجذب إلى الحضرة الإلهية، فيستتبع الروحُ القلبَ، وتستتبعُ القلبَ النفسُ، ويستتبعُ النفسَ القالبُ، فامتزجتِ

الأعمالُ القلبية والقالبية، وانخرق الظاهر إلى الباطن، والباطن إلى الظاهر، والقدرة إلى الحكمة، والحكمة إلى القدرة، والدنيا إلى الآخرة، والآخرة إلى الدنيا. ويصح له أن يقول: «لو كشفَ الغطاءُ ما ازددت يقيناً».

فعند ذلك يطلقُ من وثاقِ الحال، ويكون مسيطراً على الحال، لا الحالُ مسيطراً عليه، ويصير حراً من كلّ وجهٍ، فصار لربه لا لقلبه، ولموقّته لا لوقته، فعبدَ الله حقاً، وآمن به صدقاً، وسجد لله سوادُه وخياله، ويؤمن به فؤادُه، ويقر به لسانه، كما قال رسول الله ﷺ في بعض سجوده.

ولا يتخلف عن العبودية منه شعرةٌ، وتصير عبادته مشاكلةً لعبادة الملائكة، وهذا هو الشيخُ المطلقُ، والعارف المحقق، والمحبوب المعتق، نظرُه دواء، وكلامه شفاء، بالله ينطق، وبالله يسكت، كما ورد: «**لا يزال العبد يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً ومؤيداً، بي ينطق وبي يبصر**»، الحديث. انتهى من «عوارف المعارف».

[وصفه بالخلافة الرَّبية]:

ومن ذلك: «الخلافة الرّبية». قال الإمامُ ابن حجر الهيتمي رضي الله عنه في «الفتاوى الحديثية»: «هي الخلافةُ عن الحق سبحانه، بالإذنِ في التصرف في الكون فيما أذن له فيه مولاه». انتهى. وقد ذكر سيدي القطب الحداد قدس سره في «النفائس العلوية»: «أنّ الخاطرَ الرباني هو الذي تعبر عنه الصوفية: بالإذن».

وقال الإمام أبو الحسن الشاذلي قدس سره: «ومعنى الإذن للولي: نورٌ ينبسط على القلب يخلقه الله فيه وعليه، فيمتد ذلك النور على الشيء الذي يريدُه، فيدركه نور مع نور، أو ظلمة تحت ذلك النور، ينبئك أن تأخذَ إن شئتَ، أو تترك، أو تختار، أو تدبر، أو تعطي، أو تمنع، أو تقوم، أو تجلس، أو تسافر، أو تقيم. هذا بابُ المباحِ المأذونِ

فيه بالتخيير، فإذا قارنه القولُ تأكّد الفعل المباح بمراد الله تعالى، فإن قارنته نيةٌ صحيحةٌ لفعلٍ زال عنه حكمُ المباح وصار مندوباً.

وإن ظهرت الظلمةُ تحت النور الممتد من القلب، فلا يخلو أن يلوح عليه لائحُ الغضب بانقباض القلب، فاحذر ذلك وتجنبه، فإنه المحظور أو يكاد، ولا تقطع ذلك إلا ببينةٍ من كتاب الله تعالى، أو سنةٍ، أو إجماع، أو خلافٍ لمقلَّدٍ قلدتَه، كمالكٍ، والشافعي أو غيرهما من العلماء الراسخين. فاحكم إذاً على أصل صحيح.

وإن تكن الظلمةُ شبهَ غيمٍ لا يتصدّع معه القلبُ، ولا يتفزع به الذهن، فتباعد عنه فإنه يكاد أن يكون مكروهاً، ولا تحكُم بعقلك ورأيك، فقد ضلَّ من ههنا خلقٌ كثير، ولا تفتِ أحداً وإن استفتاكَ، وأعط الورعَ حقه، ولا تقفُ ما ليس لك به علمٌ، فإن تأدبتَ ههنا، فعنَ قريبٍ تأتيك البينةُ من ربك، والشاهد يتلوها منه». انتهى من «شرح الحكم» لابن عباد.



[وصفه بالوصفي]:

ومن ذلك قولهم: «الصوفي». وهو كما قال بعضُ العارفين: «من صفي عن الكدر، وامتلأ من العبر، واستغنى بالله تعالى عن البشر، واستوى عنده الذهب والمدر».

وقال القطبُ الحداد: «فمن صفّى أعماله وأقواله ونياته وأخلاقه من شوائب الرياء، وخلصها عن كلّ شيء يسخطُ المولى، وأقبلَ بباطنه وظاهره على الله تعالى وعلى طاعته، مع الإعراضِ عما سواه، وقطع العلائق الشاغلةَ له عن التجرّد لهذا الأمر، من: أهل، ومال، وشهوة، وحظ، وهوى نفس، وكان جميعُ ذلك مقروناً بالعلم واتباع الكتاب والسنة وهدي السلف الصالح، فهو الصوفي الكامل»[1].

---

(١) «النفائس العلوية»: ص٩٣.

[وصفه بالصدق]:

ومن ذلك: «الصدق». قال سيدنا القطبُ الحداد قدس سره: «اعلم أن الصدق شريفٌ، ويعبرون به عن اجتماع الباطن والظاهر على تحصيل الأمر المطلوب من طريقِه، على أكمل ما يمكن من وجوهه. **والصادقُ**: من قامت به هذه الحالة، ولابد أن يكون بين الصادقين في ذلك تفاوتٌ من كاملٍ وأكمل، إلى أن ينتهي الصادق إلى أوائل مراتب الصديقية، وذلك نهايتُه. **والصدّيق**: هو المستجمعُ لجميع مراتب وأحوال الصديقية على الوجه الأتم الأمكن، من غير تزلزلٍ ولا تلوينٍ.

والصِّديق: من قامت به هذه الصفة، ورسخت قدمه في هذه المرتبة، وهو عبارةٌ عن المؤمن الكامل في إيمانه ويقينه، وإقباله على الله، وعمله لله، ودعوته إلى الله، بلسان حاله ومقاله. وأهلُ هذه المرتبة يتفاوتون فيها، من كاملٍ وأكمَل، إلى أن ينتهي الصديقُ إلى أوائل مرتبة النبوة». انتهى.

وفيما ذُكر من معاني الأوصاف المذكورة الكفايةُ، والإشارة إلى مالا تحيط به العبارة، وتتبعُ الأوصاف جميعِها، وشرحُ ما تشير إليه، لا يتسع له كتابٌ، ولا يحويه فصل ولا باب، لأن هذا الحبيبَ الأواب من سلاطين حضائر القرب والاقتراب، الذي صفَى لهم الشراب، وعذُب لهم سَلسالُه العذبُ وطاب، فهو وأوصافه وما تفضلَ الله به عليه آيةٌ من آيات الله، وكلمة من كلماته، ﴿قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، والله أعلم.

فائدةٌ؛ لها تعلقٌ بما تقدم:

قال الشيخ الإمام العارف بالله عبد الوهاب الشعراني رضي الله عنه في كتابه «البحر المورود» مما نقل عن القوم رضي الله عنهم: «قولهم: دخلنا حضرةَ الله، خرجنا من حضرة الله؛ ليس مرادُهم بحضرة الله عز وجلّ مكانا خاصا معينا، فإن ذلك ربما يُفهم منه التحيز

للحق، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وإنما مرادهُم بالحضرة حيث أطلقوها: شهودُ أحدهم أنه بين يدَي الله عز وجل، فما دام يشهد أنه بين يدي ربه جل وعلا فهو في حضرتِه، فإذا حُجِب عن هذا المشهد خرج من حضرة الله تعالى. والناسُ في ذلك بين مقل ومكثر، كما يأتي إيضاحه في هذا الكتاب.

فمنهم: من يحضر في صلاته أو بعضها، **ومنهم**: من يحضر في صلاته وغيرها مقدارَ درجةٍ أو درجتين أو ثلاث؛ وهكذا إلى أن يستغرقَ الليلَ والنهار في الحضور، إلا ما يسامحُ الله تبارك وتعالى به عبدَه في غفلته عنه، ونيل بعض شهواته رحمةً به، فإنّ مراقبة الله تبارك وتعالى مع الأنفاسِ كلها ليس من مقدور البشر، كما صرح بذلك المحققون رضي الله عنهم». انتهى.

قلتُ: وحضراتُ الشهود متعددة بتعدد الأسماء والصفات، وما يتجلى به الحق سبحانه وتعالى على عباده العارفين من التجليات، ومن هنا: يعرف ما اشتمل عليه وصفُ سيدنا الإمام الحبيب أحمد المحضار لسيدي الحبيب قدس سره فيما تقدم بـ«تاج أهل الحضائر»، من الإجلال والتعظيم والمقام العظيم، إذ التاجُ أشرفُ ما يستعمل من اللباس، ولشرفه وعزته يوضع على الرأس، ولا يكون إلا للأكابر بل السلاطين من الناس، وفي ذلك أعظمُ تنويه بمنزلته الرفيعة بين الأكابر، واستمدادُهم من أنوارِه الزَّينة في تلك الحضائر والمحاضر، نفعنا الله بهم أجمعين، والله أعلم.

❋ ❋ ❋

الفصل الحادي عشر

في الإشَارةِ إلى بلُوغهِ قُدس سِرُّه إلى أعلَى رُتبِ الكَمال وتحدثِه بما وهبه ذُو الجلال، مما بشّره به ساداتُ الرجَال

كان قُدس سره كثيراً ما يلوّح ويصرَح، ويبشر ويفرح، بما وهبه الله وأناله، امتثالاً لقوله سبحانه ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ [الضحى: ١١]. قال الإمامُ الشعراني رضي الله عنه: «وأما بيانُ أدلة ذكرِ العلماء العاملين مناقبَهم في كتاب، والإعلان بها على رؤوس الأشهاد، فأقولُ وبالله التوفيق:

من جملةِ ذلك قولُ الملائكة عليهم السلام: ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وقولهم: ﴿وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ۝ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ﴾ [الصافات: ١٦٥ ـ ١٦٦]. وقولُ السيد يوسف الصديق عليه وعلى نبينا وآله أفضل الصلاة والسلام للعزيز: ﴿اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٥٥]. وقولُ السيد داود وولده سليمان عليهما وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النمل: ١٥]، وقولُ السيدِ عيسى عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام: ﴿إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠]، إلى آخره.

وقولُ سيدنا ومولانا محمد ﷺ: **«أنا أولُ شافعٍ وأولُ مشفع، وأنا أولُ من تنشقُّ عنه الأرض وأنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»**، إلى آخر ما أطالَ به، رضي الله عنه وجزاه خيراً.

فهاك مما قاله هذا الحبيبُ قدّس سره بفيهِ، تحدُّثاً بنعمة معطيه، وصاحبُ البيت أدرى بما فيه، فقد رقَى منبرَ التحدّث بالنعم، بعد الإذن ورسوخ القدم.

كان يقول قدس سره: «محمدُ بن طاهرٍ معروفٌ في الأرض والسماء، ومحكومٌ له في الوقت».

وقال قدس سره: «نحنُ المطلوبون والمحبوبون، والمعروفون في الأرض والسماء».

وقال قدس سره مخاطباً السيد الجليل محمدَ بن أحمد بن عبد الله البار: «حُقَّ لحبيبكَ يا محمدُ البار أن يقول: ناظري وناظر ناظري في الجنة».

وقال قدس سره: «تسمعون بالجيلاني والعيدروس وأمثالهما، وتودون أنكم حضرتم أزمنتهم، وبين أظهُركم من هو مثلهم، وأنتم جاهلونه!»، يعني نفسَه.

وقال قدس سره: «والله لا ضررَ على أحبّتي إن غابوا وإن حضروا، فكيف إلا بأهل الدائرة، والظنّ في الله جميل».

وقال قدس سره: «لي التصريفُ في الكونين بإذن ربي».

وقال قدس سره: «اطلعتُ على اللوحِ المحفوظ ورأيتُ ديوان الواصلين، وعرفتُ الطرقَ التي بها يصلُ العبادُ إلى الله سبحانه، ورأيتُ والدي وصلَ إلى الله من طريق العبادة، ورأيتني وصلتُ إلى الله من ستة عشر طريقاً، ووصل الحبيب حسن بن أحمد العيدروس إلى الله من أربعةَ عشر طريقاً».

وقال قدس سره: «الفلكُ يتحرك معنا، ومن أعرضَ عنا أعرضَ عنه مولاه، ومن ردَّ شفاعتنا با تقع في خُشمه! ولنا اليدُ الطولى في إزاحةِ المنكرات بما تعجَز عنه شوكةُ ذي الشوكة، والقهرُ الإلهي لا يقابله قهرٌ، ومن كان بالله مقامُه لا يتعاظمه شيء».

وقال قدس سره: «أنا السلطانُ ولا فخر!».

ملوكٌ على التحقيقِ ليسَ لغَيرهم ... مــن الملــكِ إلا اســمُه وعقابُــه

وقال قدس سره: «لم تبق لي نفسٌ ولا بشرية».

قال قدس سره: «لم أدخل تحت دائرةِ أحد؛ إلا دائرةِ الحبيب محمد ﷺ، ودائرةِ عبدالله حداد، ولم يكن لي واسطةٌ في الفتح إلا الحبيبُ الأعظم ﷺ».

وقال: «أنا نائبُ السلف، بل نائبُ مشرِّفهم الأعظم ﷺ».

وقال قدس سره: «ولِّيتُ مقامَ عبد الله حداد، وأحسستُ بتعلقاته توجهت إلي».

وقد تقدم قوله قدس سره في بعض رسائله: «فاقبلوها ممن سبقت له العنايةُ من فضل ربه، خذوها من نائبِ حضرة الرسالة، فإني مأمورٌ من حضرة النبوة بالدعاء إلى الله خصوصاً وعموماً، وقد بشرني رسول الله ﷺ بما لا تسعه عقولكم، ولولا خوفُ قوةِ العقيدة المضِرَّة من بعض العوام، وإنكارٍ من بعض المتعصبين المحرومين لنشرتها، فإني بحمد الله على قدم العبودية، مع وضوح الخصوصية، ولم أذكر هذا إلا تحدثاً بنعمة ربي».

ومن كتابٍ منه لبعض الملوك: «وإنْ رأيتَ في كلامنا صولةً فاعذرونا، فإنهم يسمون الفقيرَ: سلطاناً، فافهم!».

وقال قدس سره: «ما عرف الناسُ لنا قدرَنا، من ضيعَنا سوف يندم».

وقال قدس سره: «كلُّ من أراد المضادةَ لنا إن لم يتسعْ عليه الخرقُ ولم يرتقع فلستُ من المحبوبين».

وقال قدس سره: «بشّرتُ ببسطِ بساط الجيلاني والعيدروس والحداد، وليس عندي استعداد، لكنني صاحبُ حسنِ ظن في ربّ العباد، وآمالي فيه في ازدياد».

وكم له من أقوالٍ، ترشد إلى عظيم ما نال، وقد تفرقَ منها في هذا المجموعِ الشيءُ الكثير، منها قوله: «ما نغبطُ أحداً في العلم».

وقوله قدس سره: «سلوني عما دون العرش».

وقوله: «رأيتُ الحبيب المصطفى ﷺ يقظةً، يقول لي: أنا أنت وأنت أنا».

وقوله: «لا يوجدُ من له منةٌ علينا إلا مولانا». إلى غير ذلك مما تقدم، ويأتي في مواضعه المناسبة له.

ومن نظمه الذي يشيرُ فيه إلى ما الكلامٌ فيه، قوله قدس سره:

وسيدُ الكون أستاذي وواسطتي   قطبُ الوجودِ وهذا القائلُ البدلُ

وقوله قدس سره، (شعراً):

قال الفتى الحداد ناقوس الولاية قد ضرب

ودقت الخانات للمحبوب والطالع قرب

ودارت الأملاك في الأفلاك والبدر اقترب

ودانت الأشباح للأرواح والسر انسكب

وطالع الهجران والخسران بالقدره غرب

من فضل مولانا بلا مِنّةْ ولا قادمْ سببْ

إحسانْ! والإتقانُ إعطاءُ الحقيقةْ ما وجبْ

الله أكبر! بانت أسرارُ الهوَى في المنقلبْ

ولاحت الأحوال في الأقوال والسعد اجتلبْ

وأظهر الرحمن مكنون الجواهر في الرتبْ

فالحمد للمنان يا معطي أنا عبد القرب

عبدك على بابك على اعتابك وراجي للسهبْ[١]

رضاك عني يا حبيبي كل قصدي والأرب

عليك بإحسانك بإحسانك تعاملني وهبْ

---

(١) هذا الشطر لم يرد في بعض نسخ الديوان.

لي فوق قصدي واسمح الجاني إذا ساء الأدب

ونـاد يـا عبـدي قبلنـا مـا معـك فاسـمع ولـبْ

باقول يا لبيـك سـاعدني وخفـف مـا وجـب

مـن حمـل أثقـال الخلافـه بالمعونـه في الأدبْ

وقوله قدس سره[1]:

بخـت مـن حبنـا يعطيـه مـولاه مـا حـب

بحرنا يحمل الأوبـاش والعفـو[2] يـصحب

سرنا قد سرى في الكون والجود يـصحب

فابـشر ابـشر فـإن الكـون للعبـد يطـرب

والهنا والمنَى والفـوز ذا الـشرب فـاشرب

واسـتر اسـتر فـان الله يـدعى ويطلـب

قـد دعوتـه وصـار الأمـر بـالقهر يجـذب

تم ما رمت من فـضله ومـا أعـلاه مـن رب

ومن ذلك قوله قدس سره:

وفي سيرةِ الأسـلافِ سرٌّ محجّـبٌ | شهدناه في مجـلَى الحقيقـةِ كالبـدرِ
رجـالٌ مـضَوا في رفْعـةٍ وفتُـوةٍ | لهم خلفٌ ينبيكَ عن حالهم أمري

فلا يخفى ما اشتملت عليه هذه الأبياتُ من الإشارة إلى ما وهبه الله من علي

(١) هذه من أبيات قالها مخاطباً خاله السيد عمر بافقيه، وستأتي في الديوان.

(٢) في بعض النسخ: والفضل.

المقامات، لاسيما قوله: «وهذا القائل البدلُ»، فإنه يعني بذلك: إنه بدلٌ ونائب وارثٌ لسيد الكون ﷺ، ولقطب الوجود جدِّه القطب الحداد. في قوله: «أستاذي»، إشارةً إلى منقبة وخصوصية عظيمة، وهي كونه ﷺ شيخَه بلا واسطة.

وأكّد ما ذكر بقوله في الأبيات الأخرى: «ساعدني وخفف ما وجب * من حمل أثقال الخلافة».

وقوله في الأخرى: «لهم خلفٌ ينبيك عن حالهم أمري»، يشير بذلك: إلى أنه رضي الله عنه نسخةُ أسلافه أهل الكمال، والجامع لما جمعوا من الأخلاق والمقامات والأحوال.

وقوله رضي الله عنه: «ودقّت الخاناتُ للمحبوب»، فيعني بالمحبوب: نفسه، وقد أشار إلى ذلك في كثير من كلامه، ونعتَه بذلك كثير من مشايخه، وتقدم ذلك مبيَّناً.

والخاناتُ: يذكرها السلف، ويشيرون بها إلى علوِّ المقام ورفعة القدر في الملأ الأعلى، والى معانيَ وأسرارٍ يعرفُها أهلها، من ذلك: قولُ العارفة بالله سلطانة الزبيدية في حق القطب أبي بكر السكران: «إني دائما أسمع النَّوبة تُضرب في السماء بالمشيخة للشيخ أبي بكر». ومن ذلك: قولُ القطب عبدالله العيدروس في حق الإمام عبدالله بن الفقيه الأسقع: «وأما عبدالله بن الفقيه فله نوبةٌ تضرب في السماء، ونوبة تضرب في الأرض». ومن ذلك: قولُ القطب محمد بن علوي نزيل مكة في حقّ القطب عمر بن عبدالرحمن العطاس: «وعزة ربي وجلاله! أني أسمعُ الخانات تُضرَب له في السماء»، ومثلُ ذلك كثير في تراجمهم رضي الله عنهم.

وهي ـ أعني الخانات ـ: طبولٌ معروفة يتخذها الملوك، تضرب لهم في أوقات مخصوصة، ومثلها النوبة، والله أعلم.

وأما قوله قدس سره: «ناظري وناظر ناظري ..»، إلخ. أخبرني سيدي الحبيب المنيبُ عبدالله بن محمد بن مطهر قال: «كنا ذات يوم بحضرة سيدنا العارف بالله عيدروس

ابن عمر الحبشي، فجرى الحديثُ في قول لبعض السلف: ناظري وناظر ناظري .. إلخ. فسُئلَ الحبيب عيدروس: هل ذلك خصوصيةٌ بعض الأولياء، أو مرتبةٌ متى بلغها الولي كان له ذلك؟.

فأجاب: بأنها مرتبةٌ متى بلغَها الولي كان له ذلك، تكلم به أو لم يتكلم».

قال: «فأشرتُ إلى الحبيب العارف بالله عبدالله بن محسن السقاف وكان حاضراً، أن يسأله: هل قد بلغَ هو هذه المرتبة؟ فقال الحبيب عيدروس قبل أن يسأله: وقد بلغنا هذه المرتبة بحمد الله!». انتهى.

وقال سيدنا العارف بالله علي بن حسن العطاس في «القرطاس»: «إن الأكابر من السادة آل أبي علوي لا يقنعون حتى تكون لأحدهم خمسُ خصال:

الأولى: أن تكون لياليه كلها كليلةِ القدر التي هي خير من ألف شهر.

الثانية: أن لا يخلق الله من أولاده، إلا من أرادَ صلاحه في سابق علمه ومراده.

الثالثة: أن روحانيتَه لا تفارقُ أولاده المنتسبين إليه أينما كانوا في حياته وبعد وفاته.

الرابعة: أن لا تكتب على أهل زَمنه خطيئةٌ بشرطِ المحبة له وعدم العداوة، لأن العدو من المكذبين والمكذب محروم.

الخامسة: أن يكون ناظرُه وناظرُ ناظرِه في الجنة، بالشرط المتقدم». انتهى.

وقد أشار سيدي قدس سره إلى حصول بعضِ هذه الخصوصيات له،وفي قول شيخه القطب أبي بكر العطاس السابق: «وبالجملة؛ فله زمانٌ يا بخت من حضر زمانه»، ما يشير إلى حصولها، وفضل الله غير مقطوع ولا ممنوع، فالحمد لله الذي لا تحصرُ له منن، ولا تختصُّ بزمنٍ دون زمن.

ومما يشير إلى علوّ مقامه قدس سره من كلامه قوله (شعراً):

حمـــدتُكَ يـــا مـــولاي عنّـــي ونائبـــاً   عن الكونِ واهلِ الكون فاندفع النكرُ

قال سيدنا العارف بالله أحمد بن عمر بن سميط قدس سره: «الكبير ينوب عن أهل وقته»، يشير إلى ذلك قولُ سيدنا عبدالله الحداد: «وقيلَ عنهمُ: يا أزمة انفرجي»، انتهى

وقال سيدُنا القطب الحداد في بعض كتبه لسيدنا القطب أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنهم: «ادعُوا لأهل الجهة لعل الله أن يفرج عنهم ما هم فيه، فمروهم بالاستغفار والتوبة إلى الله، واستغفروا لهم وتوبوا عنهم إن كان ذلك قد يجدي ويجزي من أهله وفي محله». انتهى.

ويُستأنَسُ لما ذكر بقوله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [محمد: ١٩] وبقوله ﷺ في حديث الأضحية :«**هذه عني وعمن لم يضحِّ من أمتي**».

ويشيرُ إلى شيء مما ذكر قوله ﷺ: «**اللهم وما أصبح بي من نعمةٍ أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر على ذلك**»، ولورثته من أهل بيته ﷺ حظٌ من هذا المقام العظيم، والله أعلم.

وقد نظم أكثرَ ما اشتمل عليه هذا الفصلُ سيدي الأخ العلامة علوي بن طاهر في أبيات، أحببتُ إيرادها هنا، قال بلّغه الله مناه، في دنياه وأخراه:

هتفت ورقاء في جنح الدجى ... فأطارت عن عيوني الوسنا
وبكتْ إذ ذكَرت إلْفاً لها ... وذكرتُ الإلْفَ فاشتد العنا
ذكرتني لأحيابٍ بهم ... بلغ القلب الهنا والسكنا
هم مرادي وشفائي ذكرهم ... والمنى رؤيتهم كل المنى
ينتشي قلبي إذا ما ذكروا ... نشْوَ خمر الشوق لا خمر الخنى
ولقد تأخذني العَزْوا كما ... هزت الأرواح وهنا غصنا
قد تنكرت الحمى من بعدهم ... ورأيت الأنس هم لا الوطنا

يــا خلــيليَّ أديــرا ذكــرَهم　　حــي لــيلى واذكــرا لي حينــا

علـــلاني عـــل أن يـــبرد مــا　　في فــؤادي مــن حريــق وضــنا

يــا رعــى الله لأيــام اللقــا　　ورعـــى أوقاتنـــا والزمنـــا

ذاك إذ كنـــا بعـــيش طيـــب　　وحبـــور وسرور وهنـــا

زمنـــا مـــا كـــان أهنـــاه بـــه　　العـــيش مـــا أطيبـــه مـــا أحـــسنا

نتعـــاطى مـــن أحاديـــث الحمـــى　　أكؤســـا تجلـــوا الـــصدى والـــدرنا

ذاك إذ كـــان الإمـــام المرتـــضى　　حـــسن الأخـــلاق فـــيما بيننـــا

وهـــو ابـــن الطـــاهر الحـــداد مـــن　　حـــاز مجـــداً وعـــلاء وثنـــا

غيثنـــا والغـــوث ذو المجـــد الـــذي　　قـــد حـــوى حقّـــاً ســـناءً وسَـــنَا

كـــل وقـــت فيـــه قطـــب قـــائم　　وهـــو قطـــب الأوليـــا في عـــصرنا

قـــد رقـــى مرقـــى بعيـــدا شـــامخا　　وحبـــاه الله سرا بطنـــا

فهـــو فـــرد العـــصر كـــم مـــن ميـــت　　قلبـــه أحيـــا ففـــات الحزنـــا

من حـــوى أسرار أســـلاف مـــضوا　　كالإمـــام الجـــيلي أهـــل الاعتنـــا

وكـــذا عبـــدالله الحـــداد والـــ　　ـــعيدروس القطـــب فـــالق الاذنـــا

واســـتمع أني ســـمعت القـــول هــ　　ـــذا مـــن المـــذكور أعنـــي شـــيخنا

قـــال أيـــضاً أنـــا معـــروف في الأر　　ض جمعـــا والـــسما كـــن فطنـــا

قـــال محكـــوم لنـــا في الوقـــت والـــ　　ـــفلك الـــدوار حـــرك معنـــا

قـــال امـــدادي مـــن اســـم قـــاهر　　للعبـــاد الكـــل جمعـــاً والانـــا[1]

ولقـــد بـــشرني طـــه بـــما　　لا تطيقـــون اســـتماعاً علنـــا

---

(١) أي: والأنام، من باب (الاكتفاء) عند الشعراء.

خوف أن يعثر قال أو يضـ ... ـل الهدى غال غلا في حبنا

دعوتي لله بالأذن من اللـ ... ـه والمختار فضل واعتنا

وهي بالألسنة الخمس التي ... هي بالأرواح حقا تقتني

قال من رام سؤالاً فليسل ... أو يرد يبرز لنا يبرز لنا

أنا سلطان ولا فخر ولم ... تبق لي نفس ولا وصف الغنى

إنني نائب أسلافي بل ... نائب المختار ينبوع السنا

سبقت لي من معين الفضل كم ... من عنايات بها نلت المنى

قال لي المختار طه يقظةً ... أنا أنت وكذا أنت أنا

ليس لي واسطة في الفتح إلا ... الحبيب المجتبى محبوبنا

لا يخاف الضر محبوبي ولو ... كان في أقصى الأراضي موطنا

في العبودية كعبي راسخ ... والخصوصيات تغشى الأعينا

أنا بحر قد طما يغرق من ... جاء للإنكار فليلق العنا

لظهور الحق باعي قد علا ... لا تقاوم شوكة شوكتنا

كل من أعرض عنا وأبى ... نصحنا أعرض عنه ربنا[1]

* * *

(١) في النسخة ج: فراغ في الأصل ثلاث صفحات، بينما لا يوجد في الأصل والنسخة ب أي فراغ.

الفصلُ الثاني عشر

في ذكر وفاته قدس سره، ولحوقه بالرفيق الأعلى

قد تقدم أنه قدس سره كثير التنقلات في الأرض لأداء الأمانات، ونشرا الدعوة إلى رب البريات، إلى ما يندرج في ذلك من صالح النيات، فكأنما عناه القائل (شعراً):

تغايرت الأقطـار فيـك فواحـد	لفقدك يبكـي أو لقربـك يبـسم
وكـل مكـان أنـت فيـه مبـارك	وفي كل يوم فيـه عيـد وموسـم
ولا شـك في أن الـديار كأهلهـا	كما قيل تـشقى بالزمـان وتـنعم

فلما كان يومُ الثلوث، لعله لعشرٍ خلت من شوال، سنة أربعَ عشرة وثلاثمائة وألف، (١٣١٤هـ)، سافر قدس سره إلى المكلا وأقام بها باقي شوال وذي القعدة وذي الحجة، وذهب في باطن تلك الأيام إلى الشحر وبُروم لزيارة من بها من الأعلام، ولنفع الخاص والعام.

[سفره الأخير إلى الهند؛ للمرة الثالثة]:

وفي آخر ذي الحجة سافرَ قدس سره إلى الهند بإشارةٍ، كما قال قدس سره: «أشار علي بسفري هذا الأحياءُ والأمواتُ». وهذا ثالث أسفاره إليها، وسأله السلطان غالب بن عوض القعيطي أن يكون سفرُه في مركبه فأسعفَه بذلك.

وسافر معه خلقٌ كثير بلا نَولٍ، وكان قد قرُبَ في ذلك الوقت تحركُ البحر واشتداد

رياحه وأمواجه، والمركب المذكور معروفٌ بثقل المشي لصغره، فرأوا من سكون البحر وسُرعةِ مشي المركب عجباً!. حتى أن النصرانيّ الموكَّل بمَشْي المركب صارَ في حيرةٍ مما يشاهد من هدوء البحر في ذلك الوقت، وسرعة سير المركب، وعرف أن ذلك من بركاتِ الحبيب قدس سره، وصار يسلم على سيدي الحبيبِ صباحَ كلِّ يوم. وسافر معه قدس سره أناسٌ كثير، فأمر بالإخراجِ عليهم جميعهم، ثم أمر بالإخراج على خَدّامة المركب، فصارت النفقة على جميع من في المركب منه قدس سره.

وأخبرني سيدي الحبيب حسين بن حامد العطاس، وكان مع سيدي الحبيب في سفره هذا، قال: «لما قربنا من بُمبَي حصل معنا حرجٌ من التفتيش، إذ من عادة الإفرنج التفتيشُ على الداخلين إلى أملاكهم في أوقات الطاعون. فرأيتُ ذات ليلة الحبيبَ القطب عيدروس بن عمر الحبشي يقول لي: إن الأولياء ما عليهم تفتيش، فأخبرتُ الحبيب قدس سره بالرؤيا، فسُرَّ بها. فلما وصلنا بمبي نزلنا من المركب، وتقدمَنا الحبيب قدس سره، ومرَرْنا على الإفرنج، فلم يعترضنا أحد منهم.

ولما وصلنا إلى المنزل المعدِّ للحبيب قدس سره، وأتى الناس إليه أفواجاً، كان في جملةِ من أتى رجلٌ أسود، قام له الحبيب قدس سره عند دخوله وصافحه، وجلس الرجل مجلسَ أدبٍ، وصار يشتكي حاله للحبيب قدس سره، ويقول: أنا تعبان! كرر هذه الكلمة مراراً، فقال له الحبيبُ قدس سره: «يحصل الفرج قريباً إن شاء الله».

ولما خرجَ قال لنا الحبيبُ قدس سره: «التمسوا الرجلَ»، فالتمسناه بسرعة فلم ندركه ولم نره، فقال الحبيب قدس سره: «هذا الرجلُ هو المتدرك بهذه البلدة في هذا الوقت»، قال: «وبعد أيام قلايل حصلت الأمطارُ وارتفع الوباء، ببركة الحبيب قدس سره».

[التوجه من بُومبَي إلى حيدرأباد]:

وبعد ما قدره الله من الإقامة في بُمبَي توجه سيدنا الحبيب قدس سره إلى حيدرأباد، وبأهلها الجهد الشديد من القحط وعدم الأمطار، كما يأتي إيضاح ذلك في الباب الخامس، فأغاثهم الله يوم وصوله ودخل البلد في موكبٍ عظيم، وحصل تلقّي من السلطان واحترامٌ عظيم، وأعدَّ منزلا لنزول الحبيب قدس سره، وأجرى لضيافته كل يومٍ مئةً وخمسين[1] روبية.

وقال سيدي الحبيب قدس سره في كتاب منه لسيدي العارف بالله أحمد بن حسن العطاس بعد كلامٍ: «وحصل تلقي من السِّركال، واستقبال عجيب وأمر غريب!، مطبخٌ للأكل، والشاهي والفرش والبيت، أشياءُ لم تعهد منهم لغيرنا، وتدل على شيء، وعلى تحقيق الإذن، وعادة الله معنا جميلة».

ومن كتابٍ آخر لبعض إخوانه قدس سره: «ونحن دخلنا الهند بإشارةٍ، وحصل تلقي من السِّركال، وبسطوا مائدة، وعرّبوا مكاناً، وشيء عجيب على خلاف ما يتوهم الناس، بالقياس نستغرق في الشهرِ أربعةَ آلاف ربية، ربنا يبارك لهم ويهديهم».

ثم إنه أقام قدس سره بحيدر أباد على ما هو المشروح من عباداته وعاداته وإمداداته، وصنع له النجارُ ـ الذي تقدم ذكرُ إسلامه في الفصل السابع من الباب الثاني ـ كرسياً للمصحَف من ساجٍ متقنٍ، أحسن من الذي صنعهُ سنة اثنتيْ عشرة وثلاثمائة وألف، فكتب عليه السيد الجليل أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب، (شعراً):

أنــا كــرسيُّ الكتــابِ المنــزلِ ... أيُّ فخـرٍ ليـتَ شـعري تـمَّ لي

كنـتُ سـاجاً بـادئَ الأمْـرِ فهـا ... أنَــا ذا تــاجُ رؤوسِ الأرجــلِ

---

(١) الأصل: وخمسة وعشرين.

أحمــلُ القــرآنَ كــي يقْــرأه واحدُ العـصرِ الـولي ابـن الـولي
وهو نجلُ الطـاهرِ الحـدادِ مِـن ضِئضئِ السبطِ الحسين بن عـلي

وأقام قدس سره بحيدر أباد مدة نحو سبعة أشهر، قال قدس سره في كتابٍ منه لسيدي العارف بالله الحسين بن محمد الحبشي: «مُدُّوني بصالح دعواتكم واعتنائكم بمحسوبكم، من مدة في حيدر أباد كالمحبوس! لأمور أعرفُ بعضَها، وأحبُّ رفضَها، وأخبارُهم تطوى ولا تروى، أما المقام فشيء عجيبٌ، وأما الإهمال في أنفسهم فلا يرضاه الأبلهُ فضلاً عن النسيب».

وحصل بدخوله هذه المرة من النفعِ الخاص والعام، والإمدادات الحسية والمعنوية أضعافَ ما حصل بدخوله السابق، ودخل في الإسلام خلقٌ كثير، وتاب من المظالم الجم الغفير. قال قدس سره في بعض كتبه: «وقد دخلنا هذه الديار أولاً وثانياً، وبذلنا ما يجب علينا بذله، وذكرنا العامة ووعظناهم بما أثّر في نفوسهم الإنابةَ إلى الله، والتوبة من المظالم، وزال القحط، وارتفع الوباء ببركة النبي ﷺ لنشر الدعوة التي هي سبيلُه».

وكان مرادُ سيدنا الحبيب قدس سره الاجتماعُ بالسلطان لنفعه لأمرٍ عليه بذلك، فلم يقدره الله سبحانه، وقد تقدم أنه كان قدس سره يقول: «لو كانت حاجتنا باجتماع السلطان لأنفسِنا لخطمناه كما تخطمُ الشاة».

وقال في كتاب منه قدس سره للسلطانِ المذكور: «وصلنا إليكم أولاً وثانياً مأمورين بالملاقاة من سيد الوجود ﷺ وبعضِ رجالِ الغيب في عالم غيب، لإيصال النفع لكم خاصةً وللناس عامةً، وتوانيتم عن الوصول، ومن عاداتنا تطلبُنا الملوك ولا نطلبها، لولا الأمرُ المذكور، وتضيَّفْنا ولا نستضيفُ لها إيثاراً لجانب الحق سبحانه، وقد قبلنا ضيافتكم الآنَ مرابحةً لكم مع المولى لا غير، ونحن نفرح بفرح قلوبكُم بنا، لا بالضيافة! ولا نطلبُ منكم أمراً دنيوياً لنا ولا لغيرنا، ولا نكلفكم أمراً دينياً، وإنما هي إمدادات لقوة السلطنة، واتصال بسيد الكائنات ﷺ.

وتطلبنا الاتفاق بكم لنصافحَكم ونلقنكم نيابةً عن رسول الله ﷺ بلا واسطة، ليقربَ اتصالُكم من رسول الله ﷺ فيسري لكم المددُ بذلك، ويحصل النفع والانتفاع وصلاح الرئاسة، هذا السبب في وصولنا، لا لقريب ولا لبعيد، والله بذلك شهيد.

وأرجو إذا صافحتُك ولقنتك أن يغفرَ الله لكَ ما تقدم من ذنبك، وظني بربي جميل، فإن جاء الجوابُ بالرغبة لما معنا لكُم فظننا في الله أن تدركوا ما تؤملون، وإن رأيتم غيرَ ذلك فنسألُ الله أن يوفقكم لما يرشِدُكم، ولا ملام!

ولولا أنا لنا أشغالا في أنفسِنا ومع الناس لأقمنا مدةً عندكم لنفْعِكم بكُل ما نقدر عليه، لمحبتنا لمراكز الإسلام وأهلها، خصوصا ما أُمِرنا بالتوجه إليه. وقد طالت علينا المدةُ ولم تحضر، والقبولُ الكرامة من الله بواسطتنا إن شاء الله، فإن سارعتم إلى القبول فبها ونعمت، وإن تأخرتم فالأمر لله، إنك لا تهدي من أحببت، والله على ما أقول وكيل». انتهى.

والسببُ في عدم اجتماعِ السلطان بسيدنا الحبيب قدس سره بعدَ الحرمان: تزويرُ أناسٍ استحوذ عليهم الشيطان، أوهموا السلطان الأمورَ على غير وجهها، ومن لم يجعل الله له نوراً فماله من نور، والنفعُ الذي يشير سيدي قدس سره إلى حصوله للسلطان المذكور: هو حفظُ مملكته من التخليطِ وتسلطِ النصارى عليها، كما تسلطوا على بقية ممالك الهند، واسترقوا ملوكَها وجعلوهُم أسرَى تحت قهرهم، ليس لهم من الأمر شيء! ونرجو أن قد حَلّت إن شاء الله بركةُ سيدِنا الحبيب قدس سره على هذه المملكة لما قامُوا به له من إكرامٍ لم يسبق منهم لأحد قبله، وهو أهل ذلك ومحله.

[السفر إلى جاوه مروراً بسنقافورة]:

ثم توجه سيدنا الحبيب قدس سره إلى جاوةَ بإذنٍ، قال في بعض كتبه لبعض أحبابه: «وقد جد العزمُ في الأيام القريبة إما إلى قيدون أو جاوة، على حسب الإذن المرجو، وعادة الله معنا جميلة».

وسافر قدس سره على طريقِ مَدراس، وحصل لأهلها منه مددٌ عظيم، ونفع عميم، وهذا أمرٌ معلوم بالعادة في كل بلدة يدخلها، وأقام بمَدراسَ مدةً يسيرة توجه منها إلى سنقافورة، وكان مما كتبه له سيدي العارف بالله محمد بن أحمد المحضار لما وصل إليها: «يا محمد، أبشر! فقد نُشرت في الكائنات أعلامُ علومِك، وتباشرت المخلوقات بقدومك». وأقام بهذه البلدة مدة على ما هو شأنه وديدنه من الدعوة إلى الملك العلام، والنفع الخاص والعام.

ومما وقع له بها: ما أخبرني به سيدي أبو بكر بن محمد الحداد، قال: «سمعت سيدي الوالد محمد قدس سره يقول: لما وصلتُ إلى سنقافورة تحرك خاطري للاجتماع ببعض العارفين لأستشيره في دخولي إلى جاوة، يكون إلى أي بلد من بلدانها؟ فأتى إليَّ بعضُهم مع الخاطر، وجلسنا معاً نتحدث، فبينما نحن كذلك إذ جاء بعضُ السادة، فكرهتُ مجيئه في تلك الساعة لكوني لم أشتفِ من محادثة ذلك العارف، وهو لا يريد أن يعرفَه أحدٌ، فلما دنا منا ذلكَ السيدُ، نظر إليه ذلك العارفُ فصرفَه بنظَرِه عن الجلوس معنا، ورجع وغابَ ساعةً ثم أتى ولم ينته حديثنا، فنظر إليه ذلك العارفُ ثانيا فانصرفَ، وغاب ساعةً ثم أتى وقد ذهب ذلك العارفُ.

فسألته: ما الذي صرفه أولاً وثانياً؟ فقال: أما أولاً فحصلَ معي شكٌّ في أني قفلت صندوقي أم لا، ولما رجعتُ وجدتُه مقفلاً، وأما ثانياً: فأني لما قربتُ منكم فتشت على قفل الصندوق المذكور في جيبي فلم أجده، فرجعتُ ولما وصلت بيتي وجدتُه في جيبي، فجئتُ! قال سيدي: فضحكتُ وأخبرته أن رجوعَه أولاً وثانياً بتصريفٍ من ذلك العارف، فتعجب!». انتهى بمعناه.

وأخبرني الحبيب زين بن عبد الله العطاس، قال: «لما عزم الحبيب محمد على السفر من سنقافورة إلى سرباية وكنت معه، قلت له: إن الشيخَ إبراهيم ولي ـ يعرفُه الحبيب محمد ـ في عدن، قال لي: إن سفركم أنتم والحبيب محمد من سنقافورة يكون إلى

بتاوي، فقال لي: إن دخلنا بتاوي هذه السنة عدَدنا ذلك من كرامات الشيخ إبراهيم، فلم أعرف مراده من ذلك حتى توفّي بالتقّل قبلَ دخوله بتاوي».

فهذا يدلّ على اطلاع سيدي قدس سره على ما هو مستقبله من الأمر، وأن وفاته بالتقّل قبل دخوله بتاوي، وقد صرح بذلك فيما يأتي، وقد أشار إلى قِصَر مدة حياته قبل سفره هذا بسنين، بقوله في بعض قصائده الحمينية:

ليت عمري طويـلْ	با حلّ عند البهاليل
ســوّه ولعــاد ميــلْ	لـو يجعلـوني عقـيره

ولهذه القصيدة حكاية ستأتي في الباب الخامس، إن شاء الله تعالى.

[السفر إلى سربايا]:

وكان سفره قدس سره من سنقافوره إلى سربايا فكان وصوله له إليها ربيعاً لقلوب المؤمنين، وظهرت لدعوته شعائرُ الدين، ولم يزل متنقلاً في بلدان جاوة على ما هو المعروف من شأنه، من الدعوة إلى الله في سره وإعلانه، والدلالة عليه بحاله وقلمه ولسانه، وحصل به من النفعِ الخاص والعام، ما لا تفصح عنه الألسن ولا تعبر عنه الأقلام.

[وصوله إلى بلدة التقَّل]:

حتى وصل إلى بلد التقل، وكان قدس سره قبل وصوله اليها إذا سئل عن سفره إلى أين؟ يقول: «ننتقل إلى التقل». وكان يقول: «أجدُ حركةً في باطني لدخول هذه البلدة، فإما أن يكون لي شيءٌ عند أهلها آخذه منهم، أو يكون لهم شيء عندي يأخذونه مني».

وقال سيدي الوالد العارف بالله محمد بن أحمد المحضار: «لما استودعتُ من الحبيب محمد عند مسيرِه من سربابة شهدتُه في حالة عظيمة، ممتلئ من الكمالات الظاهرة والباطنة،

ووقع في قلبي أنه إما أن يحصلُ له اصطلامٌ كسيدنا الفقيه المقدم، أو يتوفاه الله قريباً، فظهر مصداق ذلك بوفاته قدس سره».

وأطلعه الله سبحانه على قربِ انتقاله؛ قال الحبيب حسين بن حامد العطاس: «قال لي الحبيب قدس سره: إنني أموتُ بالتقّل، لأنّ ما بها أحد ظاهر».

وكان دخولُه إلى هذه البلدة لستٍّ ليال خلتْ من شعبان سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف، وكان بها سيدنا العارف بالله الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي منذُ سنةٍ، قال سيدنا الحبيب محمد بن عيدروس المذكور :«إن السبب في وصولنا إلى هذه البلدة وسكناها هو كونُ الحبيب محمد بن طاهر يتوفّى بها، لأنها لم يكُن يخطر ببالنا أن نسكنها حتى كان قبل وصول الحبيب محمد بسنة بل الليلة التي دخلنا فيها من العام الماضي كانت فيها وفاة الحبيب محمد من العام المقبل حصلت معنا حركة لسكناها ولم تظهرَ لنا حكمةُ ذلك إلا بعد وفاة الحبيب محمد قدس سره». انتهى.

ونزل سيدُنا الحبيب قدس سره في مكانِ سيدنا الحبيب محمد بن عيدورس قبل النزول في المكان المعدِّ لنزوله، وحضر هناك بعض من يحسنُ الغِناء على طريقة أهل الجهة الحضرمية، فأمرهم سيدُنا الحبيب قدس سره بذلك، فأملى عليهم سيدنا الحبيب محمد بن عيدروس قوله:

* يا التّقل اليوم قُومي رَحّبي بالسَّلاطينْ *

فقال سيدنا الحبيب قدس سره:

شـفها طوالـع عجيبـة قابلـت في الميـازين

قل لاهل ودك يفيضوا في عجل للمـساكين

والباب مفتوح يا بخت الـذي فيـه تمكـين

حنوا على الصَّوت ذا الحبة وذا الماء وذا الطين

حبـة تلقـي سـنابل تثمـر الـود في الحـين

فقال سيدنا الحبيب محمد بن عيدروس:

* عسى لنا قسم منها يا رسول المحبين *

فأجابه سيدنا الحبيب قدس سره بقوله:

قسمك معك وأنتَ منهم وإن بدا منكَ تلْوينْ

هيـــا ابـــسطوها وفكـــوا الخيـــل في ذي الميـــادينْ

يـا ليلـة النـور بانـت في المعـاني معـايين

ذا حـــال لا قـــد بـــدى مـــا ينـــضبط بالتعـــايينْ

فكان في هذه الأبيات إشاراتٌ إلى ما هو آت.

[ذكر مرضه الأخير]:

وبقي سيدنا الحبيب قدس سره ثمانية أيام بعد ذلك متأثراً بمرضٍ خفي، قال سيدنا العارف بالله عمر بن زين بن سميط قدس سره: «لله عبادٌ يشح بهم حتى من مرض الموت!». وظهرت منه في تلك الأيام غرائبُ.

منها: أنه قال لخدامه بابحير وكان محمُوما: «أيش قياسَك يوم نقع نحن وأنت في التقّل»، يعني: بالموت بها، «تشتاف ما أحد فيها ظاهر، وتكون عند رجلي حبيبك، وبايبنون علينا قبة!»، فبكى الخدّام المذكور، وقال: لا يا حبيب! بغينا البلاد، يعني: بلده. فقال له قدس سره: «لا تفزع عادك با تخرج البلاد وبا تتزوج ويا يجيئونك أولاد»، وسكت عن نفسه فكان الأمر كما قال قدس سره.

ومنها: أنه ليلةَ وفاته قدس سره باتَ يسلم على الأنبياء والمرسلين والأولياء والصالحين، يخصص ويعمم، ويدعو للأمة، وخصَّ الحاضرين عنده بدعوات.

والدعاء للأمة والتحمل بأمرها قربَ الوفاة مقامٌ موروثٌ عنه ﷺ، فقد روي عنه ﷺ أنه قال لجبريل عليه السلام عند موته: «من لأمتي بعدي؟»، فأوحى الله تعالى إلى جبريل: «أن بشّر حبيبي أني لا أخذلُه في أمته»، الحديث[1]. وقد تقدم قول سيدنا الحسن ابن سقاف بن محمد السقاف: «إن العارفين إذا قربت وفاتُهم ينكشفُ لهم من سعةِ رحمة الله سبحانه مالا يكيّف، فيكثرون حينئذٍ الدعاء لجميع المسلمين، لما جبلهم الله عليه من الرحمة والشفقة عليهم رضي الله عنهم ونفعنا بهم». انتهى.

وأتيَ له قدس سره في تلك الأيام بطبيبٍ نصراني فلم ينه عن الإتيان به، غير أنه لم يستعمل شيئا من أدويته. وتحرى قدس سره في سفره هذا عن المطاعم والمشارب لعدم الثقة بالزمان وأهله. وبلغني أن سيدَنا الحبيب طاهر قدس سره أمرَه بذلك.

وهذا أعني الحزمَ، كان شانُ سيدنا القطب الحداد قدس سره، ونقلَ عنه الأحسائي أنه قال: «نحن لا نقبلُ من أحد دواءً إلا أن تكون فيه خصلتان: العقل، والنصيحة. فلا ينبغي أن يأمن الإنسانُ كلَّ أحد، لأن الطبائعَ تختلف، والجهات تختلف، والأدوية تختلف، والمقاصد تختلف»، إلى آخر ما نقل.

ولما كانَ يومُ الاثنين لثلاثة عشر من شعبان، صلى سيدنا الحبيب قدس سره بأصحابه الصبح من قعود، ثم اشتغل بقراءة أوراده قدس سره، قال سيدنا الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي: «ولم يظهر عليه شيء من آثار قربِ الوفاة، إلا أنه ربما أبدلَ الصباحَ بالمساء، والمساء بالصباح، في قراءة «الورد الكبير» لجده القطب

---

(١) أورده الإمام الغزالي في «الإحياء»، قال الحافظ العراقي: «الحديث أخرجه الطبراني من حديث جابر وابن عباس في حديث طويل، وإسناده ضعيف».

الحداد». قال: «ثم اضطجعَ على السرير الذي ينام عليه، ودعاني فأمرني بالجلوس معه على السرير، فامتثلتُ. فكان من جملة ما قال لي: أرى أني ولِّيتُ حالَ الحبيبِ عبد الله حداد، وأحسست بتعلقاته توجّهت إلي».

ثم بعد ذلك جعل يتكلم بأمور غيبية، ويذكر نزول الملائكة والعرش والكرسي، ودعا في خلال ذلك خالَه الحبيب عمر بن أحمد بافقيه، وقال له: «قل للناس خلوا الحبيبَ هو وشأنه، وكلاً هو وشأنه، وليتهم با يرضون!»، وفي ذلك والله أعلم إشارةٌ إلى تحققه قدس سره بما اشتملت عليه أبياتُ جده القطب الحداد التي مطلعها:

قـل للـذي قـد لامنـي	دعني وشأني يا عـذول

لاسيما قوله فيها:

هبت نـسيمات الوصـال	من جانب القدس العلي
واسـتغرقت أنوارهـا	عـوالم القلـب الخـلي
عـما سـوى معبـوده	الواحـد الحـق الـولي
وكوشـفت أسراره	وحل في بـرج الوصـول

فقال سيدنا الإمام عمر بن حامد: «إن برجَ الوصول، هو: مقام الحبيب عبدالله الحداد قدس سره، وهو مقام الولاية الكبرى، والصديقية العظمى».

ففي ذلك إشارةٌ إلى تحقّقِ سيدنا الحبيب قدس سره بما ذكر، وذلك ـ أعني: وراثة سيدنا الحبيب قدس سره لجده القطب الحداد وغيره من الأجداد ونيله لمقام الولاية الكبرى والصديقية العظمى ـ أمرٌ لا يحتاج إلى بيان. وكم قد مرَّ على ذلك من برهان، غير أن الحديثَ شجون.

وآخرُ كلمةٍ قالها سيدُنا الحبيب قدس سره: «مع العايدات الفايدات»، قال سيدنا العارف بالله الحبيب محمد بن عيدروس: «**العايدات**: هي أرواح الأنبياء والأولياء والشهداء. العائدةُ بكل فائدةٍ إلى مستقرها الأول الذي هو حضرة القدس، في مقعد صدق عند مليك مقتدر».

قال: «في ذلك إشارة مقتبسةٌ من قوله ﷺ لما خُيّر: «**مع الرفيق الأعلى**»[1]، وإنما لم يقل الحبيبُ محمد قدس سره: «مع الرفيق الأعلى»، أدباً معه ﷺ.

ولما كان منتصفُ ذلك اليوم أعني يوم الاثنين الثالث عشر من شعبان سنة ست عشرة وثلاثمائة وألف، ارتفعت روحُه الزكية، إلى مواردها الهنية ومقاعدها العندية، فعظمت بذلك الرزية على جميع البرية، وتوالت لذلك الكروب والخطوب، وتشققت القلوب لا الجيوب، وكانت وفاته قدس سره تشبه الفجأة، فبهت الناس لذلك ولم يصل خبرُ وفاته إلى بلدٍ إلا وصار أهلها بين مصدق ومكذب، حتى تتواتر الأخبار بذلك، وقد سئل عن سببِ ذلك سيدُنا العارف بالله عبد الله بن أبي بكر العطاس فقال: «السببُ: أن الكون ملآنٌ بنوره».

قلتُ: وفي ذلك إشارةٌ إلى كمالِ وراثته قدس سره لجده الأعظم ﷺ، كما أنه تحمل بأمر الأمة قربَ وفاته، وكانت يوم الاثنين، وخيِّر في البقاء والانتقال فاختار الانتقال، كما تقدم. ومات غريبا ومديناً، إلى غير ذلك مما يدل على كمال الوراثة.

وكان عمرُه يومَ وفاته قدس سره: اثنتين وأربعين سنة وثمانية أشهر، وقد جمع تاريخ وجوده ووفاته الأخُ العلامة علوي بن طاهر على قاعدة، وهي: أن تعدَّ من أول حرفٍ إلى أن تبلغَ الخامسَ من الحروف، فتحفظ ماله من العدد بحساب الجمّل الكبير، وتعدَّ بعده إلى الخامسِ فتحفظ، وهكذا إلى انتهاء الأبيات، فيخرج من البيتين الأولين: تاريخُ وجوده

---

(١) حديث صحيح، متفق عليه.

سنة ١٢٧٤ أربع وسبعين ومائتين وألف، ومن البيتين الأخيرين: تاريخُ وفاته سنة ١٣١٦ ست عشرة وثلاثمائة وألف.

وهذه الأبيات المشار إليها:

غلبَ الحبُّ علينا للذي	تبعتْه طرباً حَبُّ القلوبْ
سيدٌ أخبارُه قد بلغَتْ	أرضَ نجدٍ وهنودٍ وجنوبْ
سكنَ الفردوسَ أعلى مَسكنٍ	سعف طه ليس فيها من لغوبْ
وسطُه ما ليس أحصيهِ كما	أكُلٌ دانٍ وربٌّ لا غضُوبْ

قال سيدنا القطب الحداد قدس سره: «أهل الأحوال الغالبُ ما تطولُ أعمارهم، بل تأخذهم الأحوال، كالشيخ أبي بكر السكران وابنه الشيخ عبدالله العيدروس وغيرهما. والأحوالُ المقلقةُ: شوقٌ أو خوفٌ ونحو ذلك، ومن لا معرفةَ له يحسب الأحوال غير هذا». انتهى. وقال سيدُنا القطب أحمد بن عمر بن سميط قدس سره: «الكُمّل من أولياء الله تقصرُ أعمارهم، ويموتون قتلى محبة الله». انتهى.

قلتُ: وقد رئي سيدنا الحبيب قدس سره بعد موته فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: «قربني وأكرمني وشفعني في أهل لا إله إلا الله من أهل عصري»، فقيل له: بماذا نلت ذلك؟ فقال: «لأني قُتلتُ بسيف الحب». انتهى.

وقال سيدنا القطب الحداد قدس سره: «وقد يبارك الله لبعضِ عباده المصطفَين في أعمارهم القصيرة حتى تكون أكثر خيراً وأعمَّ نفعاً من أعمار غيرهم الطويلة، مثل الإمام الشافعي رحمه الله فإنه لم يبلغْ من العمر إلا أربعاً وخمسين سنة، والإمام حجة الإسلام الغزالي تُوفي وله من السن خمسةٌ وخمسون سنةً، ومثل الإمام القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس توفي وله أربعٌ وخمسون، ومثل الإمام النووي لأنه توفي وسنه دون الخمسين،

ومثل الإمام الخليفة الصالح عمر بن عبدالعزيز توفي وعمره دون الأربعين، وغير هؤلاء من الأئمة كثيرٌ لم تطلْ أعمارُهم، وقد نشرت لهم من الخيرات، وجرت على أيديهم من البركات، ما عمّ في البلاد والعباد، ونفع الله بهم الحاضر والباد وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء». انتهى.

فلا يخفى أن سيدنا الحبيب قدس سره ممن وصفَهم هذا القطبُ، فقد جرى على يديه من الخيرات مالا يحصى، وفاض من البركات مالا يستقصى، وقد تقدم قول سيدنا العارف بالله الحبيب محمد بن عيدروس: «لو عُمِّر غيره ألف سنة لم يتأتَّ له عشر عشير ما فعله هذا الحبيب».

قال سيدُنا الحبيب محمد بن عيدروس المذكور: «ولما خرجت روح الحبيب قدس سره أخذتُ كوفيته ولبستُها فآنستُ حرارةً سرتْ في جسدي من فرَقي إلى قدَمي من كثرة حرارة جسمه قدس سره»، قال: «ولما أخبرتُ الحبيبَ العارف بالله عبد الله بن أبي بكر العطاس قدس سره قال: إنّ ذلك آثارُ عينٍ أصابتِ الحبيبَ قدس سره، صحبته من سربابة». انتهى.

قلتُ: وعند ذلك خطر لي أن كيفَ يصابُ بالعين مثلُ الحبيب قدس سره، وكنت بعيداً من سيدي الحبيب محمد بن عيدروس، فالتفتَ إلي نفع الله به مع الخاطر، وقال: «كيف يا ولدي! ما تصيبُ العينُ إلا مثلَ محمد بن طاهر».

ثم وجدتُ سيدنا العارف بالله محمد بن زين بن سميط قدس سره نقلَ في «غاية القصد والمراد»: «أن سيدنا القطب الحداد كان يقول في مرضه الذي مات فيه: إن الإمام الغزالي حصلَ عليه اعتقالُ اللسان عن الكلام على الناس والدعوة إلى الله عينٌ أصابتِ الإسلام!»، إشارةً إلى أنه نفع الله به بمَوته أصابتِ الإسلامَ عينٌ». انتهى. فصحّ عندي حينئذٍ أنها أصابتِ الإسلام والمسلمين عينٌ وأي عينٍ بوفاة سيدنا الحبيب قدس سره، فإنا لله وإنا إليه راجعون.

ودفن سيدنا الحبيب قدس سره آخر اليوم الذي توفي فيه، وكان المتولي لتجهيزه والصلاة عليه سيدُنا العارف بالله الحبيب محمد بن عيدروس، قال نفع الله به: «ما ظننا دفنَ الحبيب قدس سره يتأتى في باقي النهار لضيقِ الوقت، فشاهدنا من اتساع الوقت عجباً، حتى أنا جهزناه وصلينا عليه ودفناه براضَةٍ وتأنٍ وتأخير من أجل المطر، وفرغنا من ذلك كلّه قبل المغرب، ولا ريبَ أنه حصل نشرٌ لذلك الوقت حتى وسعَ ما ذكر كرامة للحبيب قدس سره». انتهى.

ولما خرج نعشه الشريف من البيت أمطرتِ السماءُ مطراً كأفواه القِرَب، وذاك بُكاها عليه قدس سره، ويحق لها أن تبكي، وقد ذكر الحافظُ أبو موسى ابنُ المديني: «أنه متى ماتَ في أمةٍ من له منزلةٌ عند الله رفيعةٌ، بعث الله سحاباً عند موتِه علامةً للمغفرةِ له ولمن صلى عليه». انتهى.

وما أنسب الحال بما قيل (شعراً):

سيدي يا بن طاهر إنّ قلبي	ليس يسليه عنكم التأسَاءُ
رضيَ الله عنكَ يا سيداً قد	بكتِ الأرضُ فقدَه والسماءُ
لا أزلْ باكياً وإنّ قليلا	في كثير من المصاب البكاءُ
كلّ يومٍ من بعدِ يوميَ هذا	قمطريرٌ وليلتِي درعاءُ

غير إني فوضتُ أمري إلى الله وتفويضي الأمورَ براءُ

وقد أحيى الله به تلك البلدة ـ أعني: بلدةَ التقل ـ وصار به خرابُها عماراً، وليلها نهاراً، وانتعشت انتعاشاً بيناً في أمر المعاش والمعاد، ونفدت أسهام تصرفات سيدنا الحبيب قدس سره فيمَن بها من أهل العناد، وصارت كما قال سيدنا الحبيب محمد بن عيدروس: «بنتَ الحاوي».

ولما دخلَ سيدُنا الحبيب قدس سره إليها رأى بعضُ ساكنيها كأنّ البحرَ طلع بها، وكأن غالبَ أهلها تغسلوا فيه، وتخلف أناسٌ عن الغسل، فكان البحرُ الطالعُ سيدَنا الحبيب قدس سره. ولعل المتخلفين عن الغسل هم من بها من المشركين، إذ لا تنفع مع الشركِ فضيلةٌ. ورأى آخرُ بعضَ أقاربه في حالةٍ حسنة، وقد رآه قبل ذلك في حالة سيئة، فقال له: بأي شيء تخلصت مما كنت فيه من العذاب؟ فقال: بقدوم الحبيب محمد بن طاهر، فقال: وقد اتفقتم بالحبيب محمد؟ فقال: لا لم نتفق به ونحن مشغولون بإكرام الضيفان!.

ولما زارَه سيدُنا العارف بالله عبد الله بن محسن العطاس بعد وفاته بكى عند الضريحِ بكاءً كثيراً، ولما سرَى عنه قال: «سُفرته مبسوطةٌ للضيفان على العادة، يغدي ويعشي». ويحتملُ ما ذكر: أن يكونَ الضيفانُ من أهل البرزخ وتكون ضيافتهم الشفاعةُ في التجاوز عن المسيئين، كما في الحكاية المذكورة، وفي رفع الدرجات للمحسنين. أو يكون الضيفانُ الزوار الواردين إلى حضرته، وتكونُ ضيافتهم بمعنَى الشفاعة في قضاء حوائجهم، يحتمل ذلك المعنيين ولا غرابة، والله أعلم.

وقال سيدنا الحبيب العارف بالله أبو بكر بن عمر بن يحيى: «كان من عادة بعضٍ من يحب الحبيب محمد قدس سره أن يرتب له فاتحةً كل ليلة، فرآه ذات ليلة يقول له: إذا رتبت لنا فاتحةً فأشرك أهل المقبرة معنا فإنهم محتاجون، وقد كانوا في ضيق ففرج الله عنهم بنا».

وحكى كثيرٌ من العرب الساكنين بها: أنّهم كانوا يكرهون أن يموتوا بها، ومنذ دفن الحبيب قدس سره زالت تلكَ الكراهة من قلوبهم، وقد كانت مقبرتها وحشةً وقد صارت الآن روضةً من رياض الجنة، كما قال السيد الولي الخامل أحمد بن محمد العطاس. حتى أن الجالس فيها يجدُ في باطنه أنساً وسرورا لا يدري ما سببُه، يعرف ذلك من قادته أزمةُ السعادة إلى ذلك المحل الشريف.

[ذكر الحول السنوي في التقل]:

وقد رتب حولاً لسيدنا الحبيب قدس سره سيدُنا ومولانا محيي النفوس العارف بالله الحبيب محمد بن عيدروس، وذلكَ في ليلةِ النصفِ من شعبان كلَّ عام يدعو الناس إلى حضوره، فيحضره خلق كثير وجم غفير، يأتون من بلدان جاوةَ جميعها ويحصل في ذلك المجمع من الأنوار والأسرار، والإمدادات والنفحات، مالا يحصى ولا يحصر. والاجتماع لمواسم الخيرات وتحصيل القربات من القُرُباتِ العظيمة والفضائل الجسيمة، ودليله من السنة وعمل السلف، مما لا يحتاج إلى بيان، فلا حاجة إلى الإطالة بنقل ذلك.

ولسيدي الإمامِ المذكور والقطب المشهور - أعني الحبيب محمد بن عيدروس - من قصيدةٍ حمينية يشير فيها إلى ما يحصُل هنالك من مدد، ومن دعوات لا ترد، (شعراً):

يا محبين هذا اليوم ظهرت بشاره	عند بن طاهر الحداد تطفي الحراره
الحبيب الذي يسعد محبه وجاره	شوه مقبول من جاله بنيه وزاره
بعض ساعة تجاه القبر نعم التجارة	لأهل ذا الجمع باتظهر عليه الإمارة
كل حد بايجيه القسم لمان داره	شل في الوجه كل من جاه هو له سياره
ذه وراثة لأهل البيت ما هي عياره	معدن السر جابوا اللول غاصوا بحاره
كل ما راح معهم لا تظنه خساره	باتحصل ثوابه في القيامه جباره
قول من صدق والكاذب لراسه	والحذر حد يكذبنا خذوها حذاره
شو كلامي من أهلي جبته إلا إشارة	حين طرب عليهم يدركونا بغاره
حالا أسرع من الباروت ساعة مثاره	والصلاة على من به طفينا الحراره
من تغير من أولاده يصلح غياره	ما تخلي سقلها للذياب السناره
كيف ذا والمدد للناس من باب داره	يا الله انا ربيعه من زماني وجاره

والمحبين لي حضروا بهذي المداره — والذي قد تعنوا عندنا للزيارة

أعطهم خير لي ما تتسعه العباره — في عوافي من آفات المطرد ونـاره

بالحبيب الذي جاب الوضوء والطهاره

وقال رضي الله عنه ونفعنا به، آمين:

اليوم شافت عيوني — بارق لمع في سحابه

من له نظر في مخاله — يظفر بدعوه مجابه

لابد له ما ينادي — في ساعة الاستجابه

وفضل مولاي دائم — أصلك تحقق طلابه

مبذول للناس مره — شبانهم والشيابه

إذا تسخا على حد — ما تعقبه لانقلابه

واليوم غيث أهل ودي — بالسيل فتكت شعابه

وين الذي بايسقي — في المجد به من حدابه

له البشاره بموسم — يفرحه ساعة صرابه

با شل مبدي على اهلي — أهل الصفا والنجابه

كل ما تعكى علينا — با أفتح بهم قفل بابه

وإن حد على حال صلب — بهم تلين الصلابة

لكن ذا سر غابي — من لا عرف ما درى به

والجمع مرحوم هذا — كل غرف في جرابه

ذا بحر حالي ينظف — من وسخته الجنابه

من زار قبر بن طاهر　　يرجع بكامل طلابه
لكن باب المقاصد　　حسن الأدب واللبابه
من حسن الظن فيهم　　عليه ما شيء غلابه
وألفي صلاتي على من　　قد شرف الله جنابه
تغشى ضريحه وتغشى　　آله وجملة صحابه

وله قدس سره من قصيدة أخرى (شعراً):

يهناك يا التقل ابشر بالهنا والخيور
وإن شيء وقع فيك شف عاد الفلك با يدور
وياتبين النقيه من رصاص البرور
ذا سيل عفاش حزره بايزل الحزور
قد كنت مهجور وأما اليوم زاد الاكور
كم من مهاجر قصد ساحتك عاني يزور
ورجعت من جالك[1] الحداد جنه وحور
وماك لي كان مستعمل رجع به طهور
أمان بن طاهر الحداد دربه وسور

وله رضي الله عنه:

ليلة النور لي فيها الوجوه النويره　　واجتمعنا في التقل لحجة كبيره
حول بن طاهر الحداد نور البصيره　　باتقع بعده أشياء مفرحه للحضيره

---

(١) ب: من حلك.

كل مركب يحصل له معلـم وديـره ما تهمه مقاسات البحـور الغزيـره
عاد فرحته لي نتخ على حيد صـيره يا أهل وادي العجل يا أهل الوجـوه لنويره

وله أيضاً رضي الله عنه:

يـا التقـل اتحمـدي المـولى عـلى مـا مـنح
قد كنت مقلود وأمـا اليـوم بـاب انفـتح
من يـوم حلـوك لي هـم مـروين الـسبح
ما اليوم صيحك من الغنا ومن ذي صبح
ما كـان منـك مخـالف صـلحوه الـشرح
روى حديثك ثقات الناس بالنقـل صـح
يا حول حـولاه مـاذا الحـين بـان الجلـح
شربت جروبك وزايد سـيلها قـد سـفح
رجعت ماوى لمـن روح ومـن قـد سرح
ما اليوم ريحك من الحـاوي بعطـره نفـح
أريـاح لا شــمها مهمــوم قـام اشــترح
يا بخت من قد تـأدب لأهلهـا وانطـرح
في الحشر ترجح موازينه إذا الـوزن شـح

وقال قدس سره:

يا الله عنايتـك يـا الفـرد الكـريم الجـواد
انظـر برحمتـك يـا نـاظر بعـين الـوداد

يـصلح لنـا مـا تغـير مـن زمـان الفـساد

عــواد يــا رحــة المــولى علينــا عــواد

الناس في ضـيق وأمـا الجهـل خـيم وزاد

ولا ظفرنــا بمــن يلقــى إليــه القيــاد

ما غـير شـكوى إلى بابـك فجـد بـالمراد

لا تسرح البيض ترعى في فروق الـسواد

واليــوم جئنــا إلى التقــل لقــصد العــواد

لحــول بــن طــاهر الحــداد رأس الجيــاد

يومه كـما الحـج تغفـر بـه ذنـوب العبـاد

وألفي صلاتي على باب الرضى والـسداد

حبيبنا الشافع المقبـول يـوم المعـاد والآل

والــصحب مــا ســانق مــن الــود نــاد

عسى بهم تنـزل الرحمـة عـلى ذي الـبلاد

وتـشمل الكـل في الآفـاق حـاضر وبـاد

إلى غير ذلك مما يطول ذكره ويتعذر حصره.

لأنه من أولِ سنةٍ وفاة سيدي الحبيب قدس سره سنة سبعَ عشرة وثلاثمائة وألف إلى سنة وفاة سيدي الحبيبِ محمد بن عيدروس سنة ١٣٣٧ سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف نحواً من عشرين سنةً، في كل سنةٍ يملي قصائد عديدةً، مشتملةً على الدعوات النافعة والبشائر المفيدة، وهي في «ديوانه» مذكورة، وبين العارفين معروفة ومشهورة.

ولما توفي الحبيب محمدُ بن عيدروس قدس سره ظنّ الكثيرُ من الناس، بل سعى

الكثير من أعوان الخناس، في أن لا تقوم لهذا الجمع العظيم قائمة، ولا ترفع فيه دعوة تامة، وقد حاولوا ذلك وسعوا في أسبابه، ودخلوا على الشقاء والخسران من أبوابه، في حياة الحبيب المذكور، فأبى الله إلا أن يتم هذا النور.

وكنت بجاوة في هذه السنة المذكورة، أعني سنة سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف، فاستشارني سيدي الخليفةُ عن أبيه في كل وظيفة شريفة، الحبيب علوي متع الله به في إقامة الحول أو تركه، مع ما هو حاصل من ظهور زوائغ النصب وعواصف النفاق في تلك الآفاق، فقلت له: «إن سيدنا الحبيب أحمد بن حسن قدس سره كثيراً ما يقول لنا: يا أولادي؛ شوفوا الدنيا وما فيها من خير وشر لابدّ ما تتغير، حافظوا على عوائد السلف الصالح، لا تخلون شيء يتغير على أيديكم، إلا إن حالت بينكم وبينه الأقدار، والذي أشير به عليك: القيامُ بذلك، ثم إن عرض مانع من القضاء والقدر فقد قمتَ بها عليك».

فقام ذلك الهمامُ بوظيفة ذلك المقام، ودعا الخاص والعام إلى ذلك النفع التام، فتم على أحسن ما يرام، وحصل فيه جمع كثير وبسط كبير زيادة على المعتاد، حتى أن الزوار قد مُنعوا سابقاً عن الخروج للزيارة مجموعين بسَعي بعض المنافقين، وفي هذه الزيارة حصل الإذن العام من الوالي برغم الوشاة الطغام، وعرفَ من معه مسكةٌ من عقلٍ أو إيمان أنّ ذلك بتأييد من الرحمن، وأن هذا مظهرٌ من مظاهر سيد ولد عدنان، وكانت النفقةُ في الضيافة في هذه السنة كثيرة.

ولما كان وقتُ اجتماعِ الناس للبسط والإنشاد على ما يعتادون في هذا الميعاد، وكان الحال كما قيلَ (شعراً):

خلت الدسوت من الرخاخ ... ففرزنت فيها البيادق

سكتت بغابغةُ الزمان ... وأصبح الوطواط ناطق

أمليتُ على أهل المغنّي هذه الأبيات القليلة المعنى، (شعراً):

يـا التقـل البـارح البـارق بـشعبك بـرق
سـاري سرايـات يتلهـب إلَـمَّا الـشفق
سيله مـصبح وصـل في كـل جربـه دفـق
نفحه أتت بالقـضاء مـن خـير رازق رزق
خصت وعمت جميع الخلق حتـى الـسرق
بالواسـطة مـن محمـد خـير داعـي بحـق
خـير النبيـين أفـضل كـل نـاطق نطـق
مـــا زال سره في أولاده نجـــوم الغـــسق
في ذاك مخفـــي وفي هـــذا تـــشوفه شرق
سـاروا بـسيره ودحقـوا حيثما قـد دحـق
من حيث حلوا فريح المصطفى قـد عبـق
الله قـد خـصهم منـه القـضاء قـد سـبق
هو الذي قد قـسم وهـو الـذي قـد خلـق
بعد القضا يا الذي حنقوا على ايش الحنـق
وذي لكـم مننـا يـا إخواننـا مـا انـدحق
خلوا الذي قد طرح للعجـر تحـت الطبـق
سـيروا معانـا وباتاخـذ مـن الـشر شـق
شـوا آل علـوي سـفينتنا نهـار الغـرق
وشـوكة العـدل هـم عنـد افـتراق الفـرق
هم ذخرنا إن صرخ صارخ وطارق طـرق

مـا ينفـق إلا الـذي في سـوقهم قـد نفـق
يا بخـت مـن في محبـة آل بـاعلوي صـدق
وكــل مــن خــالف الــساده وآذى وعــق
في هـذه الـدار والأخـرى تعـب وامتحـق
ومـن بغـضهم مـن الملـه طحـس وانزلـق
في النار في العاقبه يـسكن في أسـفل طبـق
يـا سـاتر الحـال لا تكـشفه يـوم القلـق
في حين مـا تظهـر الأعـمال ذي في الـورق
عـسى ببركـتهم القيـد الرصـين انطلـق
وكــل زائــر بمطلبــه اتــصل واتفــق
عسى مع المصطفى في سعف من قد سبق
عليــه صــلى إلهــي كلــما طبــل دق

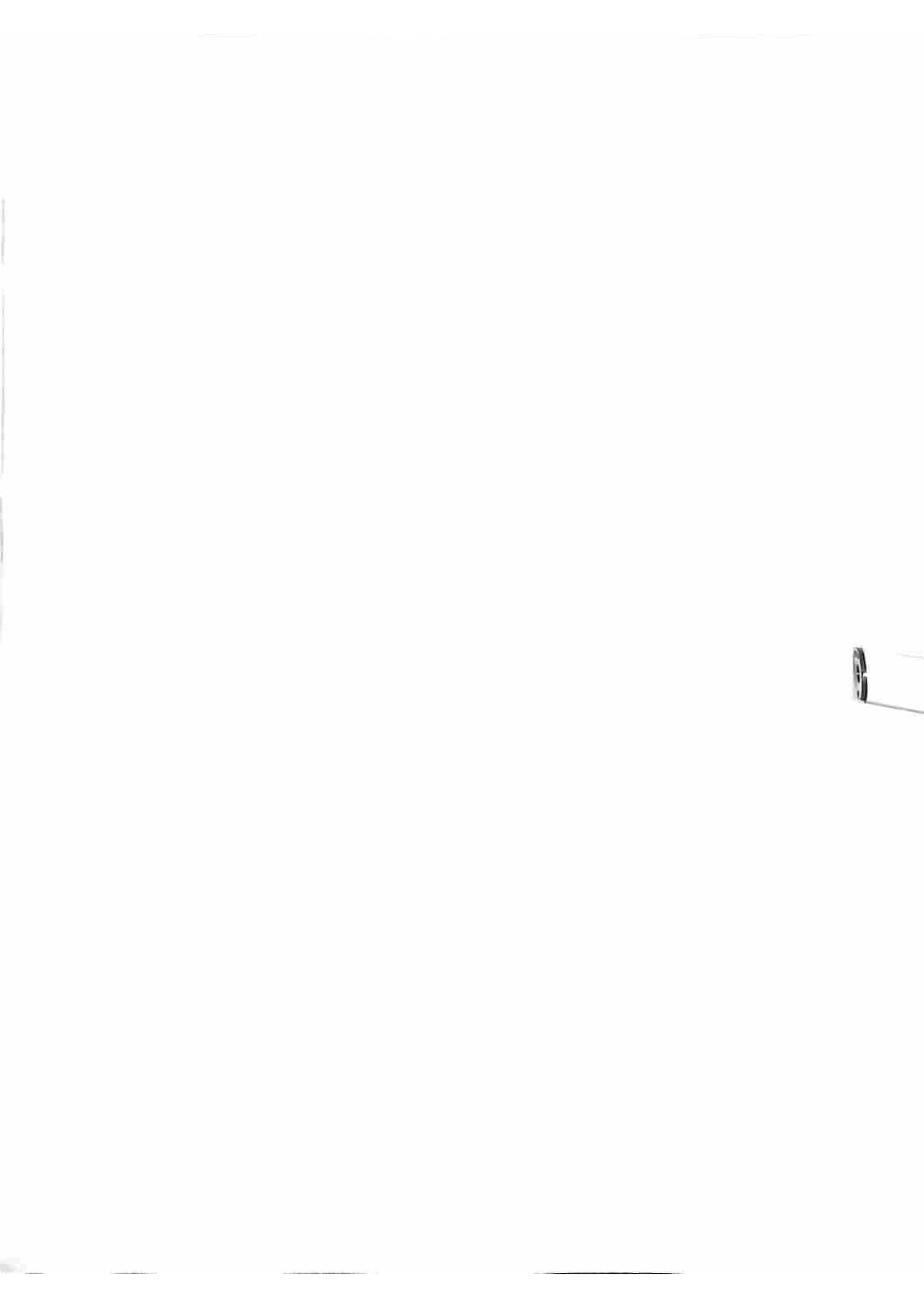
وأمليت أيضاً هذه الأبيات :

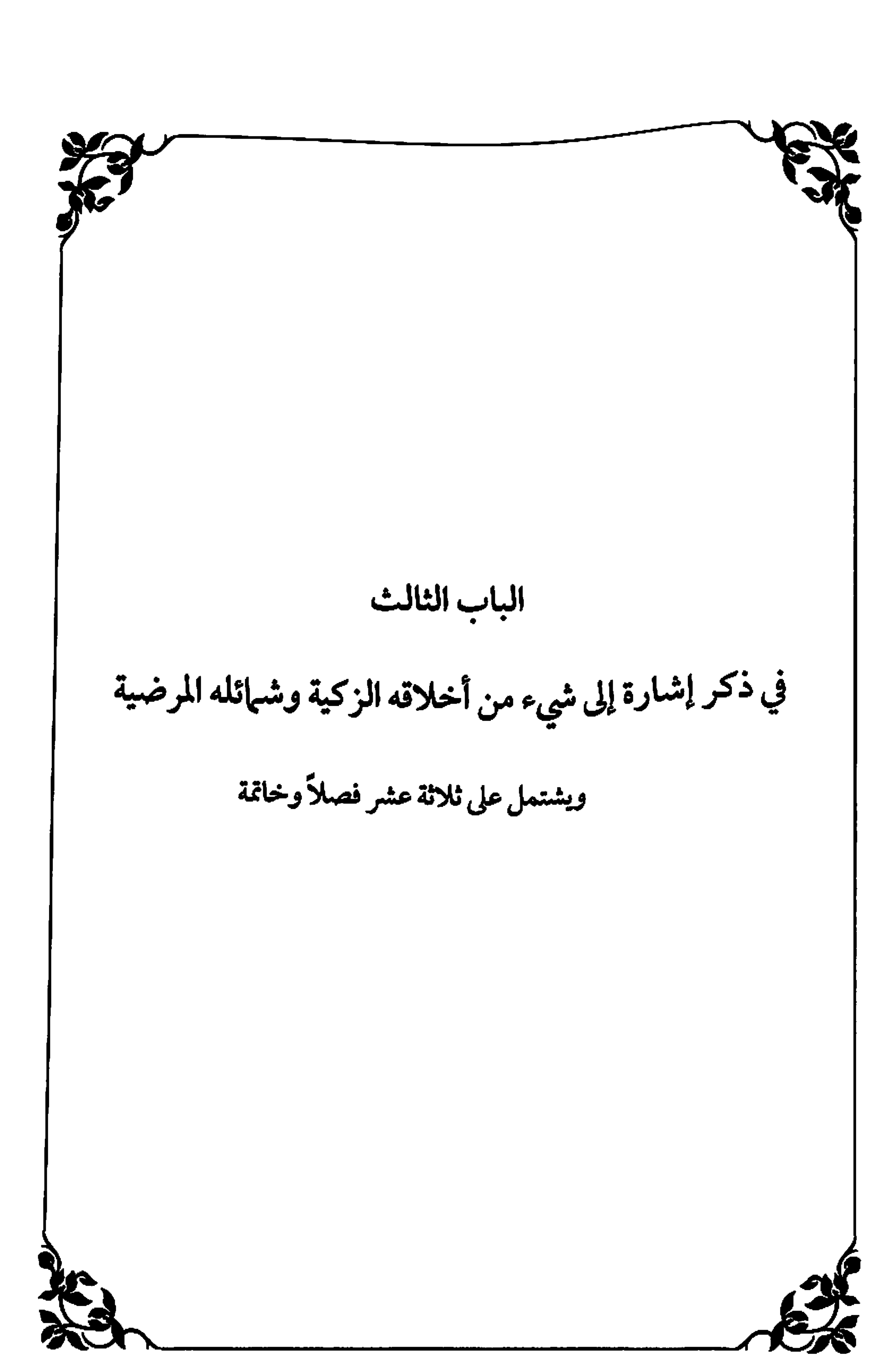
يا ليلـة النـور فيهـا النـور تـم	البــدر بــين النجــوم
فيها اجتمعنا على بـاب الكـرم	نطلــب كبــير القــسوم
يا من بصوته على المغنـى نغـم	حــول برحمــة عمــوم
السيل يا حاضرين أخطا العلم	منــه امتلــين العتــوم
بركـة محمـد حبيبـي المحـترم	ووارثــه بــو ســلوم
وكـل مقـصود للـزوار تـم	كــلا بلــغ مــا يــروم

من قد خلع في خلوعه قد قنم | وآخــر يمــصى الجــزوم
من جا حمانا تزين في الحرم | مــن بــايلوم يلــوم
يرجع بحجة كما من قد حرم | وأدرك طــواف القــدوم
ما شيء يقع غير ما خط القلم | عــسى العنايــة تحــوم
الذيب يرعى مع فرق الغنم | ويقــوم صــلح العمــوم
يار بنا سالك تكشف كل هم | والــصفو هــذا يــدوم

ولا يخفى على ذي البصيرة إيرادُ هذه الأبيات السخيفة الحقيرة، وإنما الأعمال بالنيات، ونرجو الله أن يعمرَ مآثر الأسلافِ بخلفائهم من الأشراف، ويرزقنا الإنصاف والاتصاف بجميل الأوصاف، ويلحقنا بهم في الظاهر والخاف، آمين.

* * *

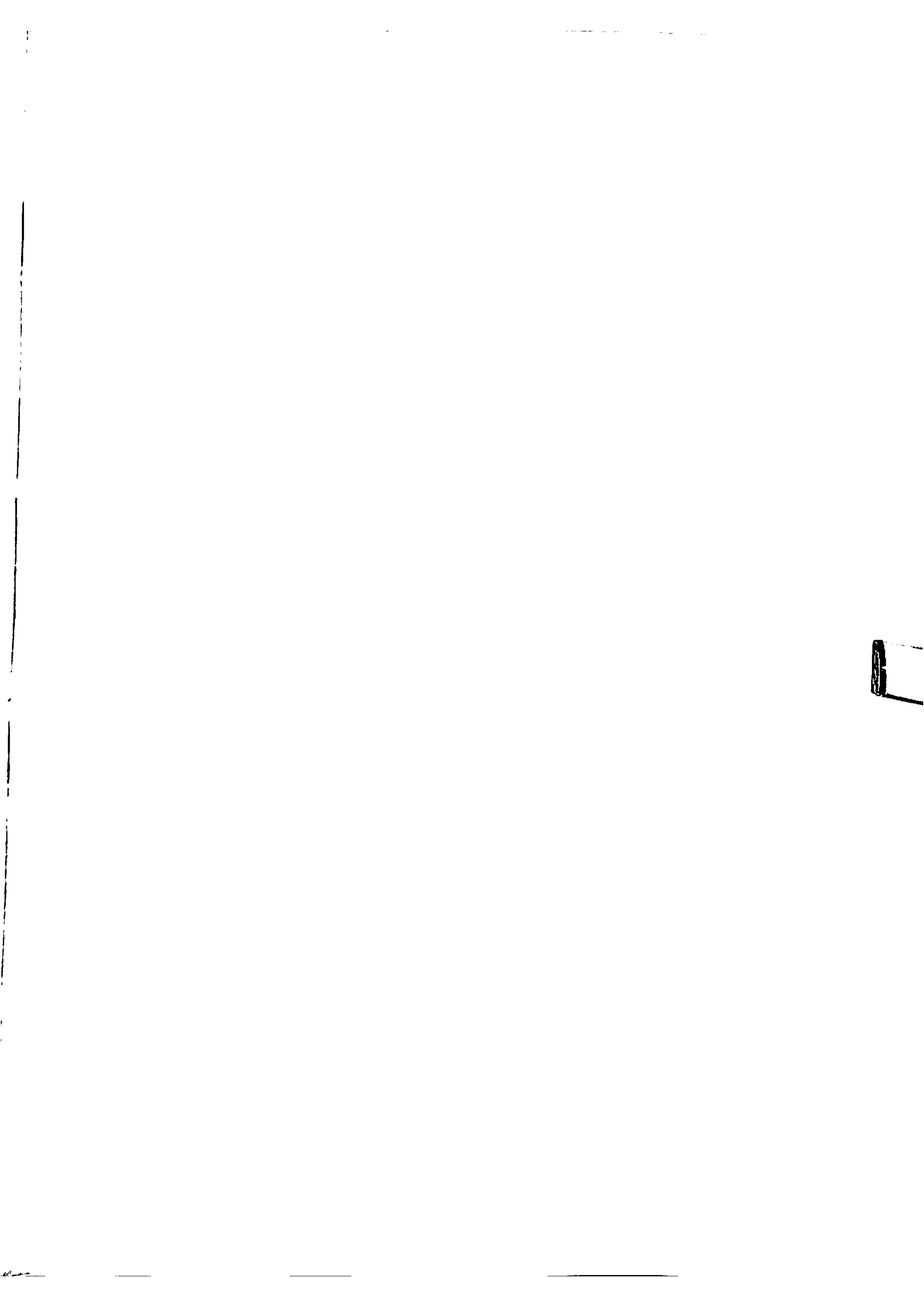




الباب الثالث

في ذكر إشارة إلى شيء من أخلاقه الزكية وشمائله المرضية

ويشتمل على ثلاثة عشر فصلاً وخاتمة



الباب الثالث

في ذكر إشارة إلى شيء من أخلاقه الزكية وشمائله المرضية

وما أكرمه الله به من التحلي بمكارم الأخلاق وكمال الاستقامة ورسوخ القدم في علوم الدين ومقامات اليقين، وما ناسبَ ذلك على مقتضى قصوري وانحطاطي، وما ظهر لي لا على ما يليق بحاله ومقامه قدس سره، فإنه لا يعرف العارف إلا مثله، لاسيما هذا الحبيب الغريب النعت والحال.

فقد قال قدس سره في كتاب منه لسيدنا العارف بالله أحمد بن الحسن العطاس: «وفقيركم ـ كما حكي عنكم ـ وإن أُسند إلى سيدي علي الحبشي لا يعرف حقيقة حاله إلا خالقه، هكذا الذي نعرفه، وإن فُهمت أحوالٌ فقد خَفيت أحوال». وقال قدس سره في كتاب منه لسيدنا العارف بالله علي بن محمد الحبشي: «وأرى أني كما قال الحبيبُ: غريبٌ وحيد فريد».

وفي ذلك إشارة إلى وراثته لجده القطب الحداد حيث يقول:

وإني مقيمٌ في مواطنِ غُربةٍ ... على كثرة الأُلاّفِ في جانبٍ وحدي

بعيدٌ قريبٌ كائنٌ غيرُ كائنٍ ... وحيدٌ فريدٌ في طريقي وفي قصدي

وقال جده القطب الحداد قدس سره :«العارفُ كنزٌ من كنوز الله في أرضه لا يعرفه

إلا من وفقه الله، ولا تظهر حقيقة سره إلا في الدار الآخرة. انتهى. وقال الإمام ابنُ عطاء الله: «كلما تمكن الرجل في العلوم الإلهية والمعارف الربانية استغرب في هذا العالم، فيقلُّ من يعرفه، ويُفقَد من يحيط بوصفه». انتهى.

وقد تقدم قولُ سيدنا العارف بالله علي بن محمد الحبشي: «جميع أهل زماني عرفتهم بحمد الله إلا محمد بن طاهر، فكلما عرفته من جهة تنكر لي من جهة أخرى»، وقوله في وصفه: «لا يفصح القلم عن أحواله ولا يعبر اللسان عن منازلاته في اتصاله».

فإذا لم يفصح عن أحواله قلمُ هذا الإمام، ولم يعبر لسانه عن منازلاته في اتصاله، فأي قلم يفصح؟ أم أي لسان يعبر؟ فالمعذرة إلى الله وإلى هذا الحبيب قدس سره وإلى الواقفين على هذه العجالة مما غلطتُ فيه لقصوري، وأعددته خلقاً أو حالاً أو مقاماً للحبيب قدس سره، ومقامه يجل عنه.

فقد قال الإمام الشعراني قدس سره في «لطائف المنن»: «أكثر من يقع في الغلط: المؤلفُون لكتب الرقائق الذين لم يذوقوا مقاماتِ الطريق، فينقلوا عن الولي كل ما بلغهم عنه، ولا يعرفوا الفرق بين ما قاله ذلك الولي في بدايته أو توسطه أو نهايته، ويسمون كل ما لم يذوقوه في الطريق مقاماً للكمّل، فإذا طالع الكامل في كتبهم - أي: أولئك المؤلفين - عرف جهلهم»، إلى آخر ما قال رضي الله عنه.

وقد اشتمل هذا البابُ على ثلاثة عشر فصلاً وخاتمة، كما تقدم.

* * *

الفصل الأول

في الإشارة إلى استقامته قدس سره ومتابعته لجده الأعظم ﷺ والإشارة إلى شيء من مجاهداته

كان قدس سره متسربلاً بخلعة الكمال بحسن اتباعه لجده الأعظم ﷺ في الأقوال والأفعال، كان خلقُه الشريعة، ورتبته في الاتباع الرتبة الرفيعة، مزمومة حركاته وسكناته المنيعة بزمام الشريعة، عليها من بنيان التمكين سورٌ من ينتقدها مأزور، أويغتر بها مغرور. وكان قدس سره يقول: «بكمال الاتباع تظهر الأنوار الحقِّية، ولا يكمل الاتباع إلا بترك الابتداع ومخالفة النفس الشيطانية».

وكان قدس سره كثيرَ التعظيم للسنة المطهرة، عظيمَ التحري لاتباعها والعمل بها في العادات فضلاً عن العبادات، حتى أنه كان قدس سره لا يغتسلُ عُريانا اقتداءً بسيد المرسلين ﷺ، وحياءً من رب العالمين. ومسح وجهه ذات يوم فخرجت في يده شعرة واحدة من لحيته الكريمة فأمر بعض أولاده بغَسلها ودفنها، محافظةً على السنّة.

ولما دخل قدس سره إلى الجهة الجاوية وجدَ من عادة أهلها أنهم إذا حضر الطعام قربوا ماءً قليلاً في إناءٍ يغسل يده فيه كل من يريد الأكل، فأنكر عليهم ذلك قدس سره من حيث إنه خلافُ السنة، وقال: «ربما يكون في يد بعض الغاسلين نجاسةٌ معفوٌ عنها، وبملاقاتها للماء القليل تنجّسه وتتنجس به اليد والإناء، فيغسل الباقون في ماء نجس، ولا هناك مشقةٌ موجبةٌ للعفو عن ذلك، فالصواب: غسل الأيدي بالصب عليها كما هو السنة».

وكان من عادة أهل جاوه أيضاً: أنهم يقدمون الطعامَ في إناءٍ كبير، ثم يأتون بأواني صغيرة بعدد الحاضرين، فيأخذون الطعام من الإناء الكبير إلى الأواني الصغيرة ويأكلون منفردين في صورة مجتمعين، فخالفَهم سيدي قدس سره، وقال: «الأكل في إناء واحد هو السنةُ وما يفعلونه منافٍ لها».

ولما دخل قدس سره حيدر أباد سنةَ اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف أضافَه وزيرُها، فلما قرّبَ الطعام قُربتْ معه الملاعقُ للأكل بها، كعادة أهل تلك الجهة، فلم يأكل قدس سره بالملاعق لكون الأكل بها خلافَ السنة، ولم يحتفل بمن هناكَ من الأمراء، فاتبعوه وأكلوا بأيديهم.

وهنا لطيفةٌ مناسبةٌ لما هنا:

وهي أن سيدنا ومولانا إنسانَ الزمان، شهاب الدين وبركة المسلمين، الحبيب أحمد ابن الحسن العطاس نفعنا الله به، لما دخل مصر سنة ١٣٠٨ ثمان وثلاثمائة وألف، أضافه شيخ الإسلام الأنبابي، فلما قرّب الطعامُ قربت الملاعق للأكل بها كعادة أهل تلك الجهة، فأكل سيدنا الحبيبُ أحمد بيده، فقال له الشيخ: «لم لا تأكل بالملعقة؟»، فقال له: «كنتُ مع شيخنا السيد أحمد زيني دحلان بمنًى فقرِّب الطعامُ والملاعق فأكلت بيدي، فقال لي: لم لا تأكل بالملعقة؟ فقلت له: لقول ابن مالك في «الألفية»، (شعراً):

وفي اختيارٍ لا يجيءُ المنفصلْ إذا تـأتّى أن يجـيءَ المتـصِلْ

فأعجبَ الشيخ الأنبابي ذلك، ووضع الملعقة وأكل بيده.

* ومراد الحبيب أحمد نفعنا الله به **بالمنفصل**: الملعقة، **والمتصل**: اليد. ومرادُ ابن مالك: أنه لا يصحُّ في العربية الإتيان بالضميرِ المنفصلِ إذا تأتّى الإتيان بالضمير المتصل إلا لضرورة. أشرتُ إلى ما ذكر لمن لا يعرف النحو مثلي.

فانظر إلى تحري هذين الإمامين للسنة المطهرة ووقوفهما على حد الاتباع لمتبوعهما الأعظم ﷺ في مثل هذه الأمور العادية، تعرفُ علوّ مراتبهما وسموّ مقاماتهما، وأنهما قد امتزجت أسرارُ الشريعة المطهرة بدمهما ولحمهما، وصدرت عنهما الأخلاق والأفعال كاملةً مشرقةً بأنوار الاتباع، صافية عن شوائب الابتداع، وقس على ما ذكر ما لم يذكر من أحوالهما رضي الله عنهما وعنا بهما، آمين.

وسمعتُ سيدي الحبيب قدس سره يقول: «لما دخلنا مكة لم نقلد أهلها في تنشيفِ اليدين بعد غسلهما من الطعام، لأن السنةَ مسحُ الوجه ببللهما، وقلنا لهم على سبيل البسط: «ما تقولون: نقلدكم في التنشيفِ ونخالفُ السنة؟ أم نمسحُ الوجه عملاً بالسنة ونصبر على قولكم: منشفةُ الحضرمي وجهُه؟!». انتهى بمعناه.

ودليل ما ذكره قدس سره: أنّ السنةَ مسحُ الوجه ببللِ اليدين، ما نقله الإمام الشعراني قدس سره في كتابه «كشف الغمة»: أنه ﷺ إذا غسلَ يديه مسحَ بفضل الماء على وجهه، وقال الإمام السهروردي في «عوارف المعارف»: «ويستحب مسح العينين ببللِ اليد، أي بعد غسلها من الطعام، روى أبو هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا توضأتم فأشرِبوا أعينكم الماء، ولا تنفضُوا أيديكم فإنها مراوحُ الشيطان**»، قيل لأبي هريرة: في الوضوء وغيره؟ قال: نعم».

وبالجملة فسيدنا الحبيب قدس سره بأعلى مرتبةٍ من الاتباع لجده الأمين وسلفه الطاهرين، لا يشكل شيء من أحواله بحسب الظاهر إلا ويوجدُ له فيه أسوة. وقد تقدم ذكر عدمِ قيامه قدس سره للأمراء والوزراء إذا قصدوه واستشكالي لذلك حتى وجدته من أخلاقِ سيدي عبدالقادر الجيلاني قدس سره.

وقد كان سيدي الحبيب قدس سره يتطيبُ في رمضان وذلك مكروهٌ على ما هو مذكور في المختصرات الفقهية، وقد وجدتُ بقلم سيدي العارف بالله عمر بن حسن الحداد

قدس سره :«أن سيدنا العارف بالله حامد بن عمر المنفر باعلوي قدس سره كان يميلُ إلى قولِ القائل بعدم كراهية الطيبِ للصائم في رمضان يوم الجمعة، والقائلُ بعدم الكراهة هو الشيخ العلامةُ أبو مخرمة في «فتاويه»، والشيخ أبو قشير في «قلائده»، نقل ذلك عنهما سيدنا القطبُ أحمد بن الحسن الحداد في «سفينته»، رضي الله عنهم أجمعين.

وأما مجاهداتُ سيدنا الحبيب قدس سره:

فقد كان قدس سره كثيرَ المجاهدات في تحصيل أنواع القربات، ويحث على الأخذ بذلك في سائر الحالات، لم يزل آخذاً من كل حظ ديني بأوفر نصيب، وفي كل مسلك هدى لسالكيه إماماً وخطيب، يُنهِض ناظرَه حالُه، ويدل على الله مقالُه، وتذكّر الله رؤيتُه، وتثبت في قلب رائيه محبته، فلو رآه القائل: «إذا فترتُ في العبادة نظرت إلى محمد بن واسع فنشطتُ أسبوعاً»[1]، لكفته نظرة إليه، ونشطته طولَ عمره.

فلم تزل هممٌ سامية وأرواحٌ في اكتساب الخير رائحةً وغادية، إلى الآن من بركات نظره والنظر إليه.

لم يعلم قدس سره صلى الفريضةَ منفرداً، ولا ترك راتبةً ولا قيام الليل حضراً ولا سفراً إلا لعذر مقتض، وهذا من حيث الإجمالُ في الأعمال الظاهرة.

[أعماله القلبية]:

وأما أعماله القلبية التي الأوقيةُ منها تعدل بهاراً من عمل العلانية، فعلى قدر وسع قلبه، ولا يعلم ذلك إلا ربُّه، وكان له في بدايته مجاهدات ومكابدات، أدرك بها مما يؤمله أقصى الغايات.

وكان قدس سره لا ينامُ من الليل إلا القليل، ومهما نام لا يستغرق في نومه، بل بحيث أن من رآه يشك في كونه نائماً أو يقظاناً.

---

(١) القائل هو: جعفر بن سليمان، أخرجه بسنده الحافظ ابن عساكر في «تاريخ دمشق».

وكان رضي الله عنه كثيراً ما يسمع الهواتف الحقّية، منها ما تقدم ذكره في الفصل السابع من الباب الأول، من سماعه هاتفاً يقول له: «أنت تطلب رؤية المصطفى ﷺ وهو روحك وأنت روحه». ومنها: أنه كان يقول: «كنت كثيرا ما أسمع إذا قمتُ من الليل هاتفاً أسمعُ صوته ولا أرى شخصَه، يقول: ﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.

وكان قدس سره يقول: «كنت أيام أنا بجاوه ربما خرجتُ نصف الليل أزور الولي المعروف ببلد سربابة بمولى عَنفيل وأجدُ بابه مقفلاً، فإذا وصلتُ إليه انفتح!»، وكذا الولي المعروف ببلد الطوبان من جاوه كان كثيراً ما يزوره ليلاً ويجتمع به، وكذا الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، وتربةُ أجداده ببشار إبانَ خروجه لزيارتهم لا يترك الزيارة لهم كلّ ليلة مدةَ إقامته بتريم، وله في ذلك وقائع تقدم ذكر شيء منها في الفصل الرابع من الباب الأول.

وكان رضي الله عنه كثيراً ما يقول: «لما كنت بجاوه كنت خيّراً»، إشارةً إلى ما كابده وعاناه، «وأما الآن فلا أقدر على شيء مما كنت أفعل»، وهو بمعنى ما نقل عن الجنيد رضي الله عنه أنه قال: «إني أتذكر مجاهداتٍ كانت لي في هذا المسجد - وأشار إلى بعض المساجد - تقبحُ في عيني بطالتي اليوم»، قال بعضهم: «وكانت حالته إذ ذاك على أعظم أنواع المجاهدات».

قلتُ: وهكذا الحال من سيدي الحبيب رضي الله عنه.

وقوله قدس سره: «جاهدت نفسي حتى استوت عندي المرأة الأجنبية والجدار»، وقوله: «ضبطت خواطري وأجريت كل خاطر في مجراه». وما كان يفعله كل ليلة إبان إقامته بمكة المشرفة تقدم مبسوطاً فلا نعيده.

وكان رضي الله عنه يقول: «يقولون: إن من أحسن أحوال الإنسان أن لا يتدنس بملابسة شيء من كبائر المعاصي من صغره، وقد كنت كذلك بحمد الله».

وقوله رضي الله عنه: «ضبطت خواطري ..» إلخ، إشارة إلى حصول الطيّ الأكبر رضي الله عنه. قال الشيخ أبو العباس المرسي: «الطيُّ على قسمين؛ طيٌّ أصغر، وطيٌّ أكبر. **فالطي الأصغر**: لعامة هذه الطائفة أن تطوى لهم الأرض من مشرقها إلى مغربها في نفسٍ واحد، **والطي الأكبر**: طيُّ أوصاف النفس». انتهى.

وقال سيدي الحبيب رضي الله عنه في بعض مكاتباته لبعض أحبابه: «والفقير بحمد الله قائم على قدم العبودية مع وضوح الخصوصية». وقال في أخرى: «واعلم أن أخاكَ على ما يحب الله فعلاً وتركاً، هذا من باب التحدث بالنعمة والحمد لله، وعلى مشهوده في نفسه من أجهلِ خلق الله وأقلِّهم قياماً بحق الله». انتهى.

وإلى ما ذكره رضي الله عنه آخراً يشير قول بعض العارفين:

ومن حلَّ من صدق الإنابـة منـزلاً   رأى العيبَ في أفعالِه وهو مستبري

وقال بعض العارفين: «لا يصفو لأحدٍ قدمٌ في العبودية حتى يشهد أفعاله كلها رياءً، وأحواله دعاوي». وقد وصفه سيدُنا العارف بالله علي بن محمد الحبشي بقوله: «أخي القائم على قدم العبودية». وهذا هو الحد الجامع لكمال الاستقامة، إذ العبودية كما قيل: الوفاء بالعهود، وحفظ الحدود، والرضا بالموجود، والصبر عن المفقود.

وكان رضي الله عنه يجتهد في رمضان مالا يجتهدُ في غيره، حتى إنه يصلي الفرائض فيه مرتين مرتين في جماعة، وكان يقول: «أيامُ رمضان كأيام الموسم، إذا النافلة فيه تعدل فريضة في غيره، والفريضة فيه تعدلُ سبعين فريضة في غيره، فمن الناس من يكسب فيه لنفسه، ومنهم من يكسب فيه لنفسه ولقرابته، ومنهم من يكسب فيه لنفسه ولقرابته وأهل بلده، ومنهم من يكسب فيه لنفسه ولأهل عصره»، أو قريباً من هذا اللفظ.

وكان رضي الله عنه يقول: «أحسنوا الصلاة وأكثروا منها، فإني أكثرتُ منها حتى قيل لي: أنت معتوق»، وهذا قريبٌ مما حكي عن سيدنا عبد الرحمن السقاف رضي الله عنه:

أنه لما اقتصر على صلاة الفرض فقطْ وقعَ شيء من ذلك في نفسٍ تلميذه عبدالرحيم بن علي الخطيب، فكاشفه وقال له: «إن اسماعيل بن محمد الحضرمي صلّى الفرض وقامَ ليصلي النفل، فنودي صل الفرض ونم عرض». انتهى.

ولعل سيدنا الحبيب رضي الله عنه قال ما ذُكر لكَونه وقع لأحدٍ من أصحابه ما وقع للخطيب المذكور، لأنه في آخر أمره لا يزيدُ على الفرض غيرَ الرواتب، وليس ذلك ببعيد ولا غريب.

والعتق الذي أشار إليه سيدنا الحبيب رضي الله عنه، هو: العتقُ عن النار، أو عن رق الأغيار، قال سيدنا العارف بالله أحمد بن زيني دحلان: «والذي يشير إليه القوم من الحرية هو: أن لا يكونَ العبدُ بقلبه تحتَ رق شيء من المخلوقات».

قلتُ: لا من أعواض الدنيا ولا من أعواض الآخرة، فلا يطلبُ حالاً ولا مقاماً ولا قرباً من جنة ولا بعداً من نار، ويفعل ما أمره الله ويجتنب ما نهى عبوديةً لله تعالى، وصاحب هذا المقام فردُ الفرد، لم يسترقه عاجل دنيا ولا حاصل هوىً ولا آجل منىً ولا نيل أرب، فالحر من لم يعلق قلبه في الدنيا بغرض ولا في الآخرة بعوض انتهى.

وما أحسن قول سيدنا العارف بالله علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه في المعنى، (شعراً):

ومن لابسَ المعنَى النفيسَ فكيف لا　　　يبشَّر في الإشـهاد والجمـعِ بـالعتقِ

وكان قدس سره عدَني الحال والطريقة في كثيرٍ من شؤونه، أعني: أنه كما حكي عن سيدي القطب أبي بكر بن عبد الله العيدروس العدَني من السير إلى الله بالحبِّ وتذكار النعم، وحسن الظن بالله وبخلق الله، وقلة النوم مع أكل الأطعمةِ الرطبةِ وكثرةِ شربِ الماء، فأكلَ الأطعمةَ الطيبةَ تمسّكاً بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ﴾، وقوله تعالى: ﴿كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾.

ولما شكى قدس سره ميلَ نفسه إلى ما ذُكر لسيدي القطب عيدروس بن عمر الحبشي، وكونَ ذلك ربما كان قصُوراً عن شأو السلف، اتهاماً منه لنفسه قدس سره وهضماً لها، أجابه الحبيب عيدروس قدس سرهما بقوله: «وما قلتُم آخرَ من وصف نفسك وميلك إلى ما عرّفت وذكرْت مما قلتَ بعده: بيدَ أنه لا يؤثر على رضا مولاه شيئاً، فهذا حالُ من دخلَ في تلك الأبواب لقَصد توحيد رب الأرباب، بشهود الصمدية الإلهية واستعمال السنة النبوية، مستشعراً بحاله ذوقاً ووجداناً معاني آيات الامتنان، والأمر كقوله تعالى: ﴿خَلَقَ لَكُم﴾، وَ﴿جَعَلَ لَكُمُ﴾، و﴿فَاذْكُرُونِي﴾، و﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾، ونحوها. وهذه طريقةُ أرباب النفوس المطمئنة، المتخلية (بالمعجمة) المتحلية (بالمهملة)، الشاكرة الذاكرة.

وما عرّضتم بذكر طريقةِ السلف التي هي حقيقةُ المجاهدة حتى بلغُوا منها غايةً عجز عنها أكثرُ السالكين، فهي أغلبيةٌ عليهم لكون الكثيرِ تنتهي بهم تلكَ الطريق في نهاياتهم إلى الطريقة الأخرى، فتكون في حقهم لكمالهم هي بهم أولى وأحرى.

وفي الحقيقة لا تنويه[1] فكان الطريقُ من أولِ الشروع فيها يلاقي السالك الأوصاب والأنصاب، وإذا دنا من المنازل كان ذلك السَّفَر مملوءٌ قلبُ صاحبِه بالجبر، فينال الوطر، وإنما كان أكثرهم أو كلهم على المنهاج الذي شرحه الإمام الغزالي ومن له يوالي، أخذاً بالعزائم وجانب الحزم، واختياراً بالعزوف والفرار عن استعجال الجزاء في هذه الدار، وآيتهم: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾ الآية. انتهى.

ومن شواهدِ الحال: قولُ الشيخ العارف بالله عبد الوهاب الشعراني في كتاب «لطائف المنن»: «ومما أنعم الله به عليَّ عدمُ مبادرتي إلى الإنكار على من رأيته من العلماء والصالحين يلبسُ لبسَ أبناء الدنيا من المحررات، ويركب على نفايس الخيل والبغال،

(١) في بعض النسخ: لا تثق به.

وينكح السراري والمنعمات، لأن ذلك جائزٌ في الشرع، فمن أنكره فهو جاهل مخطئ، أو حاسد ممقوت. فصاحبُ تلك الملابس يتنعمُ في مال سيده بإذنه، والحاسد له شقي محروم. وأيضا فإن لله تبارك وتعالى عبيداً متواضعين ذليلين في صورة أغنياء متكبرين، فجمع الله تبارك وتعالى لهم بين خيرَي الدنيا والآخرة، منهم: سيدي الشيخ عبد القادر الجيلاني رضي الله عنه»، وذكر جملة من كبار الصالحين كان هذا شأنهم، ثم قال :«فمثلُ هؤلاء يأكلون ويتمتعون، ولا ينقص لهم رأسُ مالٍ إن شاء الله تعالى»، إلى آخر ما أطال به جزاه الله خيراً.

ولا يغيبُ عنك أن سيدي الحبيب قدسَ سره وارثُ الجيلاني والعيدروس في الباطن والمحسوس، وشواهدُ ذلك مبسوطةٌ في هذا الكتاب.

وقال الشيخ أبو العباس المرسي قدس سره: «إن أولياء الوقتِ يؤيَّدون بشيئين: بالغنى، واليقين. فالغنى لكثرةِ ما عند الناس من الإفلاس، واليقين لكثرة ما عند الناس من الشكوك»، وقال أيضاً: «العارفُ لا دنيا له ولا آخرة، لأن دنياه لآخرته وآخرته لربه».

* * *



الفصل الثاني

في الإشارة إلى ترتيب أوقاته ومجالسه القربية ومقاعده العندية، وذكر شيء من عاداته

كانت أوقاته رضي الله عنه معمورةً بأنواع القربات ووظائف العبادات، من صلاة وقراءة وذكر وإرشاد وإنشاد، وإصلاح بين الناس كلّ نوع مع من يستحقه وفي الوقت اللائق به، (شعراً):

مجالسُه ما بين إرشاد طالـبٍ   واعطاءِ محتاجٍ وتقريبِ آيسِ

وكانت حضرته رضي الله عنه جامعةً لأئمة أرباب الهدى، كما قال ذلك سيدنا الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي: «لا تخلو من رجال الغيب وأرباب الولاية وصالح المؤمنين». قد كانت روضةً من رياض الجنة، ونزهة النفوس المطمئنة، وغنيمةً لذوي العقول المرجحنّة، حضرةً تغشى أهلها الرحمة وتتنزل عليهم السكينة، وتحفهم الملائكة، حضرةً يدار على حاضريها من رحيق المعارف والعلوم بكأس من رحيق مختوم، حضرةً تتلألأ نوراً وتفوح عبيراً، وإذا رأيت ثَم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً، حضرةً تجثو فيها العلماء والملوك على الركب، وترد على حياضها سادات العجم والعرب، ويرجع منها كل طالب بما طلب، فلو شاهدته فيها والصدور به محدقة، والرؤوس لديه مطرقة، وبحار كرمه وجوده وعلومه ومعارفه على الحاضرين متدفقة، وأنوار غرته مشرقة، (شعراً):

لرأيــتَ كــلَّ الــدهْر في زمــنٍ وكـلَّ الناسِ في رجلٍ بخير مكانِ
يلقـي الكـلامَ فـلا يراجـع هيبـةً والحـاضرون نـواكسُ الأذقـان
أدبُ الوقار وعز سـلطان التقـى فهـو المطـاع ولـيس ذا سـلطان

وكان رضي الله عنه يقول: «أخبرنا بعض الصالحين: أن من كان في مجلسنا لا تكتب عليه سيئة».

وقال في كتاب منه لبعض السادة: «ومجالسي لو عرفْتني لم تضيع منها مجلساً، ولتجشمت المشقة ولصبرت على أعظم وأعظم مما شق عليك، ومن ضيعنا سوف يندم».

[ترتيب أوقاته]:

وأما ترتيب أوقاته رضي الله عنه على سبيل الإشارة بما هو الغالبُ في آخر وقته رضي الله عنه، إذ الاستقصاء لا تحيط به عبارة:

فقد كان قدس سره يقوم آخرَ الليل، بل لم يكن كثير النوم ليلا ولا نهاراً مع أكله الأطعمة الرطبة وشربه الماء الكثير، وهذا أحدُ حالاته التي أشبهَ فيها القطب العدني العيدروس، فكان لا يستغرقُ في النوم كما تقدم.

وكان قيامه رضي الله عنه على أورادٍ متنوعة: من صلاة وذكر وفكر وقراءة قرآن ومطالعة العلم الشريف، وغير ذلك من أنواع القرب.

وكان رضي الله عنه يصلي في قيامه ثلاث عشرة ركعة، يقرأ فيها ما تيسر من القرآن، وربما قرأ فيها المنجيات، ويدعو بعدها بما شاء الله مع تألهٍ وتولهٍ وشوقٍ وذوقٍ وعروجٍ بالروحِ إلى فوق، مما لا يعبر عنه لسان، ومع بكاءٍ ونحيبٍ والتجاءٍ إلى القريب المجيب، يُسمع لصدره معه حنينٌ ووجيب، ثم ينام بعد قيامه رضي الله عنه إلى صلاة الصبح.

قال الإمامُ حجة الإسلام في «الإحياء»: «وبالجملة نومُ آخر الليل محبوبٌ لأنه

يذهبُ النعاسَ بالغداة، وكانوا يكرهون ذلك، ويقلل صفرة الوجه والشهرة به، فلو قام أكثر الليل ونامَ سحراً قلّت صُفرة وجهه وقلَّ نعاسُه.

وقالت عائشة رضي الله عنها: «إن رسول الله ﷺ إذا أوتر آخر الليل فإن كانت له حاجةٌ إلى أهله دنَا منهنّ، وإلا اضطجع في مصلاه حتى يأتيه بلال فيؤذنه بالصلاة[1]». وقالت أيضاً: «ما لقيته بعد السحر إلا نائماً»[2]، حتى قال بعض السلف: «هذه الضجعة قبل الصبح سنة»، منهم: أبو هريرة رضي الله عنه. وكان نومُ هذا الوقتِ سبباً للمكاشفة والمشاهدة من وراء حجُب الغيب، وذلك لأرباب القلوب، وفيه استراحةٌ تعين على الوردِ الأول من أوراد النهار». انتهى.

وذكر الشيخُ ابن المبارك في كتاب «الإبريز» عن شيخه العارف بالله عبدالعزيز: «أن هذه الساعة هي التي ولد فيها رسول الله ﷺ، وأنها ساعة الإجابة التي وردت بها الأحاديث وفخمت أمرها وأشعرت بتعظيمها»، قال: «وفي تلك الساعة يجتمع أهل الديوان من أولياء الله من سائر أقطار الأرض، وفيهم الغوث والأقطاب السبعة وأهل الدائرة رضي الله عنهم، ويكون اجتماعهم بغار حراء خارجَ مكة وهم الحاملون لعمود الإسلام، ومنهم تستمدّ جميع الأمة ..»، إلى آخر ما قال.

فيكون نوم سيدي الحبيب رضي الله عنه وأمثاله في هذه الساعة ـ أعني وقتَ السحر ـ صورةٌ لا حقيقة، والله أعلم.

وقد قال الشيخ المذكور في موضع آخر من الكتاب المذكور: «إن الصغير من الأولياء يحضر الديوان بذاته، وأما الكبير فلا تحجير عليه»، يعني: أن الصغير إذا حضره يغيب عن محله وداره فلا يوجد في بلدته أصلا، وأما الكبير فيحضره ولا يغيب عن داره لأنه يقدر على التطور على ما شاء الله من الصور». انتهى.

---

(١) أخرجه مسلم في «صحيحه».

(٢) متفق عليه.

[مطلب: في حكم تأخير الصلاة]:

فإذا استيقظ للصلاةِ أتى بالدعاءِ الوارد وتوضأ وصلى ركعتي الفجر، وأتى بالدعاء والأذكار الواردة بعدهما، ولا يصلي الصبح إلا وقت الإسفار، وكان رضي الله عنه يقول: «صلاتُنا هذه لابد من واحدٍ من الأولياء يصليها في كل زمان».

وهذا ـ أعني تأخيرَ صلاة الصبح إلى الإسفار ـ هو المختارُ من مذهب الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه. قال الإمام الشعراني: «ووجهُ القول: وجودُ امتدادِ الهمة والعزم في مناجاة الله تعالى من قيام الليل إلى صلاة الصبح، وهو خاص بالأقوياء الذين هم على صلاتهم دائمون، فاعلمْ ذلك فإنه نفيس». انتهى مع تصرف.

وقال أيضا في كتابه «كشف الغمة عن جميع الأمة»: «كان علي كرم الله وجهه يؤخر العصر حتى ترتفع الشمس على الحيطان[1]، وكان رسول الله ﷺ كثيراً ما يؤخّر الظهرَ إلى قرب العصر، والمغربَ إلى سقوط الشفق، والعشاءَ في بعض الأحيان إلى ثلث الليل». قال أنس: وكان رسول الله ﷺ مع الناس على الراحة، إن اجتمعوا أول الوقت صلى بهم، وإن تأخروا أخر لهم شفقة ورحمة». انتهى.

وكان سيدي الحبيب رضي الله عنه يؤخر الصلوات عن أول الوقت غالباً، وكان يقول: «ثلاثُ خصالٍ لا أحد يقتدي بي فيها: تأخير الصلاة، أي الفريضة، وخفتها، أي: إذا كانت نافلة، وكثرة الزواج». انتهى.

وتأخيرُ الصلاة عن أولِ الوقت شأنُ كثير من السلف، وقد قال الشيخ العلامة محمد سعيد بابصيل يوماً لسيدنا العارف بالله أحمد بن الحسن العطاس وهما بمِنى: «تأخرتِ الصلاةُ عن أول الوقت!»، فقال الحبيب أحمد: «هذه عادةُ صلاتي في كل وقت،

---

(١) أخرجه سعيد بن منصور في «سننه»، وهو في «كنز العمال» برقم (٢٢٠١٦). وأخرجه أيضاً: ابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم ٣٣٢٧).

وعلى هذا أدركنا سلفَنا، مثلَ: الحبيب صالح بن عبد الله، والسيد أحمد دحلان، والحبيب أحمد المحضار.

وكان الحبيبُ حسن بن صالح البحر يصلي الصبحَ إذا خرج الديكُ من منزله، ويصلي العصرَ الساعة إحدى عشر، والحبيب عبدالله بن عمر بن يحيى كان يصلي أولَ الوقت وتتمُ صلاتُه في ساعةٍ فلكية، ويتمها حين يبتدئ خالُه الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر في الصلاة، وفي هذا التأخير سرٌ كبير، والذين يشددون على أنفسهم ويبالغون في المبادرة بالصلاة أولَ الوقت ما يذُوقون لذة العبادة». انتهى.

ثم إذا صلى رضي الله عنه صلاةَ الصبح أتى بالأذكار الواردة بعدها، ويأتي بعدها وبعدَ العصر بالتوحيدِ المرويِّ عن سيدنا القطب العطاس، ويقرأ بعد الصلاتين المذكورتين «الوردَ اللطيفَ» لجدّه القطبِ الحداد جهراً مع الحاضرين، ثم يقرأ هو «الورد الكبير» لجده، وغيرَه من الأحزاب والأوراد، ثم يصلي الإشراق ثم الضحى ثماني ركعاتٍ وربما اقتصر على أربع.

وإذا كان بقيدون لا يترك زيارة الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي بكرةً وعشية، ويبرز للناس إذا مضَى من النهار ربُعه تقريباً، ويقرأ في الحديث والتصوف ويقرأ في الفقه ما تيسر، إلى ما ينضم إلى ذلك من النفع العام والمدد التام، وإصلاح ذات البين وغير ذلك من أنواع القربات وكشف الكربات وقضاء الحاجات.

ثم ينام القيلولةَ وينتبهُ لصلاة الظهر، وبعدها يبرز لنحو ما تقدّم من الدرس والنفع إلى أن يدخلَ وقتُ العصر، فيصليها ويكون بعدها على مثل ما كان قبلَها من الدرس والنفع، وإذا كان بقيدون يذهبُ في هذا الوقتِ إلى المكانِ المعروف بالعَرض، عند ضريح جده الإمام عمر بن أبي بكر، وهناك قبر والده الآن، قدست أسرارهم. ولا يترك القراءةَ كل يوم في «الإحياء» للغزالي، ومتى ختمه ابتدأ فيه، ومثله «صحيح مسلم» و«شرحه»

للنووي، وكذا «صحيح البخاري»، إلا أنه يخص القراءة فيه بيومِ الجمعة، ويبخر عند قراءةِ الحديث بالعُود إلى انتهاء القراءة.

وإذا دخل وقتُ المغربِ صلاها ونفلَها، واشتغل بعد ذلك بأذكارِ المساءِ، وبمؤانسة الضيفان إن كان هناك أحدٌ كما هو الغالب، وإذا دخل وقتُ العشاء قرأ الرواتب المشهورة: لسيدنا القطب عبد الله بن أبي بكر العيدروس، وسيدنا القطب عمر بن عبد الرحمن العطاس، وجده القطب الحداد، يقرأها جهراً مع الحاضرين.

وليلةَ الجمعة أينما كانَ يقرأ قصة المولد الشريف، ويذكّر خلال ذلك، ويحضر ذلك الجم الغفير، ويطيل السمر في نحو ما تقدم من أنواع القربات، ونومه وقيامه بعد ذلك على نحو ما تقدم.

وكان قدس سره ربما انبسط مع أصحابه وجلسائه بعض الانبساط، عملاً بقوله ﷺ: «**روحوا القلوب فإنها إذا كرهت عميت**». ولولا صدور ذلك منه قدس سره في بعض الأحايين والأوقات لتصدّعت القلوب من هيبته، وهذا شأن كُمْل الوارثين لسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

قال الشيخُ العارف بالله عبد الله بن أحمد باسودان قدس سره في «مناقب سيدنا القطب النبراس علي بن حسن العطاس»: «**الثاني من أحواله رضي الله عنه**: أنه كان يستَرْوِحُ في بعض الأحيان ومع بعض الأشخاص بالمزحِ والملاعبة، وذلك لكونه وارثاً لجده عليه الصلاة والسلام، فإنه يمزح ولا يقول إلا حقاً، وذلك مما يخفف عند العوام أبّهة الحشمة والتعظيم في الصدور، وذلك أمر مقصودٌ عند الصوفية، فإنهم يتباعدون عن كل وصفٍ فيه مشاركةُ الربِّ تعالى من العظمة والعزة والكبرياء، ويميلونَ إلى كل ما تنحطُّ به مراتبهم، بحيث لا يخل ذلك بمقصودهم من الدعوة إلى الله وإرشاد عباد الله تعالى والسعي في تألفهم بالمطايبة والمنادمة، والتنزل معهم فيما هم فيه، كما كان ذلك شأن رسول

الله ﷺ مع أصحابه رضي الله عنهم، فإنه مأمور في دعوتهم إلى الله بالحكمة ومعاملتهم بالرحمة، وقد عدوا هذا الحال من شأن ذوي القلوب المنيرةِ الهينةِ اللينة»، إلى آخر ما أطال به رضي الله عنه.

وقد ذكر الشيخ أحمد بن المبارك في «الإبريز»: «أن العارفين تغيب أرواحهم في المشاهدة حتى تكاد تتقطع عن الجسم ويتلاشى فيستعملون حينئذ شيئاً من المجون والضحك ما يرد أرواحهم إلى عالمها الحسي»، قال: «فإذا رأيتهم ـ يعني الأولياء ـ يستعملون شيئاً من المجون والضحك ونحوهما مما يردُّ عليهم عقولهم ويحفظ عليهم بقاءَ ذواتهم، فلا تبادر بالإنكار عليهم، فإنهم لا يستعملونه إلا لهذا الغرض الصحيح، فينتفع الخلق بهم مدةَ بقاء ذواتهم»، إلى آخر ما قال رضي الله عنه.

[مطلب: في ميله إلى السماع]:

وكان سيدي قدس سره يحبُّ السماعَ ويميلُ إليه، فربما استعمله في بعض الأوقات والساعات مع اختلاف الآلات والأصوات، وكان هذا مما أنكِرَ عليه، فلننقل ما يبين وجه جواز ذلك له ولمثله من السادات.

قال سيدنا العارف بالله عبد الرحمن بن مصطفى العيدروس في كتابه «الفتح المبين من أنفاس العيدروس فخر الدين»: «والسماعُ يختلف باختلاف السامعين، فهو مثلاً كنيلِ مصرَ في أيام استحالته دماً بالنسبة إلى القبطي، وبقائه ماءً بالنسبة إلى الإسرائيلي، مع أنه في نفسِه نيل! فكذلك السماعُ بالنسبة إلى المسمّعين والسامعين».

وقال في موضع آخر: «وفي «قواعد الطريق» لسيدي العارف بالله تعالى أحمد زرّوق قدس سره: مطمحُ نظرِ القوم ما يجمعُ قلوبهم على مولاهم، فمن ثَمَّ قالوا بأشياءَ في باب الآدابِ أنكرَها من لا يعرفُ قصدهم، وأخذها بغير حقٍّ من لم يبلغ حالهم فضلَّ بها وزلّ، كالسماع ونحوه.

وقد أشار إلى ذلك الجنيد قدس سره، حين سئل عن السماع؟ فقال: كل ما يجمع العبد على مولاه فهو مباح». انتهى.

قال الشيخ العارف بالله عبدالله بن أحمد باسودان رضي الله عنه في الكتاب المتقدم ذكره: «**الثالثُ** من أحوال سيدي الحبيب عليٍّ صاحبِ المناقب رضي الله عنه: وهو ما كان سبباً في الإنكار عليه وعلى غيره من الصوفية من سلفه وغيرهم، وذلك اشتغاله في بعض الأوقاتِ وعند ورودِ مقتضٍ له في نادرٍ من الحالات، وذلك: العملُ بالسماع مع تنوع الآلات، فالسماعُ المذكور مما يعولُ عليه الصوفية، وفيه كلامٌ لهم مذكور في أمهات كتبهم، كـ«الإحياء» و«العوارف» و«الرسالة»، واختلافٌ[1] منتشرٌ وإليه يشيرُ قولُ القطبِ الشيخ أبي بكر بن عبد الله العيدروس نفع الله بهما، (شعراً):



إياكَ إيـاكَ الـسماعَ تأتيـه ... فإنه في الشّرعِ مختلفٌ فيهْ

إلى آخرها.

اعلمْ أن سيدنا الحبيب علي رضي الله عنه يعملُ على السماع ويرغب فيه، وهو من أهله، إذ كان الولي إذا كان من أهل الأحوالِ فهو إما يتداوى به، أو يثير به له أحوالاً كامنةً فيه فيظهرها، أو يفرق به أحوالاً ترد عليه ويكون في دفعها نفعاً له، أو للعامة، أو غير ذلك مما لا يطّلع عليه ويتحقّقه من نفسه إلا الوليُّ أو غيرُه من أمثاله العارفين بأحوال اللوامعِ واللوايح والبواده وغيرها، مما يظهرُ لهم من الأحوال»، إلى آخر ما أطال به رضي الله عنه وجزاه خيراً. ولا يغبْ عنكَ هنا قول الشيخ عبدالعزيز الدباغ المتقدم آنفاً: «فإذا رأيتَهم يعني الأولياءَ يستعملون شيئاً من المجُون والضحك ونحوهما ..» إلى آخره. فهذا الموضع من مواضع الاستشهاد به.

---

(١) كذا في جميع الأصول.

والى ما ذكر يشير قولُ الحبيب القطب الشيخ عبدالله العيدروس: «لولا هذا السماع، وهذا الملبوس، وهذا المركوب، وهذا التزويج، يهوّن علي لاحترقتُ في ثيابي هذه». انتهى.

وقال سيدنا قطب الإرشاد عبد الله بن علوي الحداد في كتابه: «الحكَم»: «السماعُ يشفي السقيم، ويُحيي الرميم، إذا وقع من أهله في الوقت القابل لذلك والمحل اللائق به، وهو فتنةٌ على المستمعِ بالحظ والهوى، وعلى المسمّع على هذا الوجه». انتهى.

ولما سئلَ عن حضور شيءٍ من المجالس التي يكون فيها السماعُ بالدفوف أو العود، أجاب قدس سره: «أما حضور شيء من المجالس التي يكون فيها السماع بالدفوف أو العود فالحضور فيها من الخطر، إلا مع الرجال الكمّل من العارفين بإذنهم»، إلى آخر ما قال قدس سره، فقف على قوله: «إلا مع الرجال الكمّل».

وقال سيدُنا الإمام النبراس علي بن الحسن العطاس في «القرطاس»: «واعلم أن شيخنا الوالد الحسين بن عمر، وسيدنا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد، كانا يحضران ضربَ العود، بل كان شيخُنا الوالد الحسين يقول بذلك، ويحضر عنده صاحب العود وغيره من أهل السماع من الرجال والنساء، شاهدنا ذلك منه وحضرناه معه». ونقل في موضع آخر من الكتاب المذكور: أن سيدنا الشيخ عمر بن عبد القادر العمودي كان يقول بذلك ويحضره.

وحكى سيدُنا القطب مجمع البحرين أحمد بن زين الحبشي في «شرح العينية» و«المسلك السوي»: «إن السماع الذي حضره الشيخ أحمد بن حجر الهيتمي بحضرة القطب مولى الشبيكة بمكة المشرفة: أنّه كان فيه العود». وقال في «شرح العينية» بعد إيراد هذه القصة: «وقد صنف الشيخ ابنُ حجر كتاباً وسماه «كف الرعاع عن محرمات السماع»، فأخذ بعضُ العلماء من تعبيره بالرَّعاع: أن العارفين لا حكم لنا عليهم، فكتب الشيخ ابن حجر: وهو أخذٌ حسنٌ مقبولٌ؛ لأن من تحلى بحقيقة المعرفة يكون مجتهداً فلا يعترض عليه لأنه لم يسمع بشهوة تدعوه لمذموم أصلاً قطعاً بخلاف غيره». انتهى.

وهؤلاء الأئمة الأعلام هم عمدة أهل الإسلام وكلامهم الغاية والنهاية في هذا الباب لمن قصْده الحق وإصابة الصواب وإلا فليس بعد الحق إلا الضلال.

ومن الحكايات المناسبة لما هنا أن الحبيبَ العلامة العارف بالله زين بن أحمد بن أبي بكر خرد باعلوي كان ممن يحترمُ سيدي الحبيب ويعظمه مع كبر سنه وجلالة قدره، فاتفقَ أنه أتَى ذات ليلةٍ للسمَر عند سيدي الحبيب رضي الله عنه، فوجد المسمّع بالعود في حضرة سيدي الحبيب، فرجع إلى منزله، فرأى في منامه تلكَ الليلة سيد الوجود ﷺ يعاتبه بمعناه: «يا زين! رجعتَ عن سمرِ محمد بن طاهر من أجل العود؟ ألم تعلمْ أنه مأذونٌ له»، فناهيك بهذه الرؤيا العظيمة من هذا الحبيب العظيم.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده:

[مطلبٌ في تخفيفه صلاة النافلة]:

وكان رضي الله عنه يصلي الفريضةَ الرباعية في مقدار خمسِ دقائق وهذا المقدارُ قريبٌ من مقدار صلاة جدّه القطب الحداد رضي الله عنهما. فقد حُكي: أنه أمر بعض أصحابه بقراءة سورة يس، وأحرم هو بصلاة الظهر، ففرغ القاري من قراءة يس وقرأ بعدَها الفاتحة وسلمَ الحبيبُ من الصلاة، وقراءة يس والفاتحة لا تستغرق أكثر من خمس دقائق. ومن صلى خلفَ سيدي الحبيب رضي الله عنه لا يظن أنه يستغرقُ هذه المدة لأن المصلي خلفَه يجد خفةً وانشراحاً وأنساً يتوهم معه خفةَ الصلاة، ولعل ذلك مما يفيضُ على من خلفَه من سر خشوعه، وقد قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ﴾، والله أعلم.

وكان رضي الله عنه يسرعُ في صلاة النفل جداً، وذلك معنى قوله المتقدم: «ثلاثٌ لا أحد يقتدي بي فيها»، وعدّ منها: خفة الصلاة. وكان مثل سيدي في الإسراع في النفل ممن شاهدتهم سيدنا العارف بالله الحبيب محمد بن صالح العطاس وسيدنا العارف بالله الحبيب أحمدُ بن الحسن العطاس رضي الله عنهما.

أخبرني سيدي علويٌّ بن سيدي الحبيب رضي الله عنهما: عن سيدنا محمد بن صالح المذكور أنه قال: «طريقتي وطريقةُ أحمد بن حسن وطريقة والدك: تخفيفُ الصلاة وإدراج القراءة، وطريقتي وطريقة والدك: كثرة الزواج». انتهى.

ويوضح بعضَ معاني هذه الألفاظ: ما حكي أنه قيل لسيدِنا القطبِ الحداد: إن فلان يعجَلُ في قراءته، فغضب وقال: «إن ذلك لا يصلح لكل الناس، إنما يصلح ذلك لمثلي ومثل السيد أحمد الهندوان حيث قد صارت معاني القرآن فينا». انتهى.

وقال سيدي الحبيب رضي الله عنه في «رسالته» للذي أنكر عليه في سرعة الصلاة وإدراج القراءة: «ونقمتَ علي في سرعةِ القراءة؛ ألم تعلم أن الأرواحَ والألسنَ والأشباحَ متفاوتةٌ خفةً وثقلاً». وقال في موضع آخر: «وليتك تسمعني مع تلك السرعة ما أقولُ، مع كون ذلك في النفل لا في الفرض، وفيه ما فيه! وهل خرج عن المذاهب المعتبرة ما بلغكَ عني؟ وقد رأيتُ وسمعتُ من هو أسرعُ مني، وكفاني أن أكون منهم». انتهى.

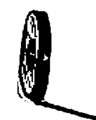
وأخبرني الحبيبُ عبدالباري بن شيخ العيدروس عن الحبيب عمر بن عيدروس العيدروس: أنه صلى ذات يومٍ بعضَ الصلوات السرية بجانب سيدي الحبيب رضي الله عنه خلفَ سيدنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس، وأنه ابتدأ بعد قراءة الفاتحة في قراءةِ سورة الإخلاص، وابتدأ سيدي الحبيب رضي الله عنه في قراءة سورة المزمل وأنهما فرغا من السورتين معاً. وإنه سمعَ قراءة سورة المزمّل في تلك اللحظة من سيدي الحبيبِ سماعاً محققاً.

ووجدتُ بقلمِ الحبيب العارف بالله محمد بن أحمد المحضار ما صورته: «كنت في جمعٍ عظيمٍ مع سيدنا الإمام الكامل الوالدِ أحمد بن الحسن العطاس، فصلى بنا المغربَ ثم قام يصلي الأوابين، وكنتُ في آخر الصفوف وإلى جانبي بعضُ الإخوان، فقال لي: أتعجب من سرعة الحبيب أحمد في النافلة؟ وكان كلامه لي سراً بحيثُ لم يسمعه من بجانبه، فلم يتمَّ

كلامه إلا وأقبل الحبيبُ أحمد يشقّ الصفوف حتى وقفَ علينا، فعركَ أذنَ ذلك الأخِ، وقال له: يا بني إنها عبادةٌ وليست عادة». انتهى.

فقال الحبيب العارف بالله عمر بن الحسن الحداد في بعضِ كلام له ما معناه: «كانت صلاة الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر خفيفةً ما يحس بها المصلي خلفه قط، ولما قال له الحبيبُ عبدالله بن عمر بن يحيى: إنك تخففُ الصلاة! قال له: إني أسبح إحدى عشرة مرة». انتهى.

وحكى سيدُنا القطب علي بن حسن العطاس في كتابه «سفينة البضائع»: «أن سيدنا القطب أحمد بن عمر الهندوان كان يخففُ الصلاةَ تخفيفاً مفرطاً جداً، بحيث لا يمكن المأمومُ قراءةَ الفاتحة خلفه، ولو كان سريعَ القراءة، وقد استفاضَ ذلك عنه».



قال: «وسُئل الحبيب أحمدُ المذكور عن صلاة سيدنا القطب عبد الرحمن السقاف فقال: كان يخففها تخفيفاً أخف من صلاتي هذه. وحكى عن الحبيب المذكور أو غيره أن سبب تخفيفه للصلاة أنه يجد فيها من اللذة ما يخشى معه الجنابة وحكي أيضاً عن بعض الصوفية أنه كان كذلك يخفف الصلاة ويقول هي صلاة الأبدال ومثلنا لا يقدر على طول الوقوف بين يديه تعالى بغير خروج قلبه إلى أمور الدنيا». انتهى.

وقد نقلَ عن القطبِ أبي العباس المرسي أن صلاته كانت موجزةً في تمام، وأنه كان يقول: «صلاة الأبدال خفيفة». وقد أطال الإمام الشعراني في «الميزان» بما يناسب ما هنا عند ذكره لقول الإمام أبي حنيفة: إنّ الطمأنينة في الركوع والسجود سنةٌ لا واجبة، وإنّ الاعتدالَ والجلوس بين السجدتين سنتان لا ركنان، فليراجعه من أراده.

وروى البخاري في «صحيحه» عن أنس رضي الله عنه أنه ﷺ كانَ يوجزُ الصلاة ويكملها. وروى أيضا عن أنس رضي الله عنه أنه قال: ما صليتُ وراءَ إمامٍ قط أخف صلاة ولا أتم من النبي ﷺ. وروى أيضاً عن عائشةَ رضي الله عنها أنها قالت: كان

رسول الله ﷺ يخفف الركعتين اللتين قبل صلاة الصبح حتى أني لأقول: هل قرأ بأم الكتاب؟. وروى أيضاً عن أم هاني رضي الله عنها أنها قالت: إن رسول الله ﷺ دخل بيتها يوم فتحِ مكةَ فاغتسل وصلى ثماني ركعات فلم أرَ صلاةً قطُّ أخفَّ منها غير أنه يتم الركوع والسجود». انتهى.

وقد أطلتُ النقلَ في هذا المبحث وما قبله، رجاءَ أن ينتفعَ به من وقفَ عليه ممن في نفسه شيء من ذلك من أحدِ أولياء زمانه، فيربح التسليم الذي هو درب الأمان، والسلامة من الاعتراض الذي هو عنوان الشقاء والحرمان، والطرد والخسران.

وقد أتى سيدنا الحبيب رضي الله عنه بجواهر مفردة، ولآل منضدة في «رسالته إلى الذي أنكر عليه»، وهي مثبتة في القسم الثاني من هذا المجموع، وهي المسماة بـ«**الآية الباهرة في اختطاف الأفهام القاصرة**»، فلينظرها من أرادها.

ولنرجع إلى ما نحن بصدده:

[أوراده وأذكاره]:

وأما أوراده وأذكاره قدس سره التي كان مرتبها مع ما يعانيه من معاناة الخاصة والعامة ونشر الدعوة التامة، فلا تكاد تحصر كثرةً.

منها: أوراد جده القطب الحداد وأدعيته جميعها، وأوراد الغزالي والجيلاني والشاذلي والنووي وابن عجيل، و«دلائل الخيرات»، و«الصحيفة الكاملة» المنسوبة إلى الإمام زين العابدين علي بن الحسين رضي الله عنهم، ويصححُ نسبتها إليه، ورتب من أدعيتها كثيراً في أوراده اليومية.

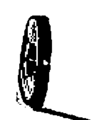
وكان إذا استغرق في الذكر يتكلمُ الحاضرون ولا يشعر بما يقولون، وكان يحث على ملازمة الأذكار والأوراد، ويقول: «من لا ورد له لا وارد له»، ولم يفته شيء من أوراده حتى في مرضِ موته كما تقدم، وما نسبة الأوراد الظاهرة إلى ما خصَّ الله به العارفين به

الذين هذا الحبيبُ من خاصتهم، من اليقظة الباطنة، ومتى غاب عنهم حتى يذكروه! وهم الذين يقول قائلهم:

عجبتُ لمن يقولُ: ذكرتُ حبي وهل أنسَى فأذكرَ ما نَسِيتُ

وإنما الأمرُ إلا كما قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره، وقد رؤيت معه سبحة، فقيل له: أتحتاج إليها يا إمام؟، فقال: «شيء وصلنا إلى الله به فلا نتركه»، أو ما هذا معناه.

وقد ورد في بعض الآثار: «إن نومَ العالم عبادة، ونفَسَه تسبيح». وقال القطب الحداد قدس الله سره: «إن العارف تنطق جميع أعضائه بالجلالة وتبصر كذلك، ولكن حجاب الشريعة يمنعه من الكلام، ولا ترد عليه الغفلة إلا كالبرق، كما لا ترد على أهل الغفلة اليقظة إلا كذلك». انتهى من «تثبيت الفؤاد».



وكانت تحصل له في صلاته مشاهداتٌ وواردات عظيمة ومواهب جسيمة لا تحيط بها العبارة، منها: رؤيته لجده الأعظم ﷺ وهو يصلي صلاة الظهر في بيته، يقول له :«أنا أنت وأنت أنا»، وذلك يقظةً كما تقدم بيان ذلك وشرحُه في الفصل السابع.

وقد قدم عدة أسئلة لسيدنا الإمام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي أجابه عليها جواباً تاماً منها ما حكاه الحبيب عيدروس في جوابه بقوله:

«وقلتم سيدي: وأيضاً الدوائر التي تبدو في عالم المنام، من جملتها: أن الفقير فتح عليه ليلةً في لفظ الصلاةِ من القرآن، ورأيت لها دوائرَ، وتدور الصلوات على الدائرة الوسطى، بمعنى: صلاة أهل الإسلام، فصلاة أهل الإيمان، فصلاة أهل الإحسان. والدوائر محسوسة على حسب المراتب، فما حقيقة ما يرى من هذه الأشياء؟

فقولكم: «فما حقيقةُ ما يُرى من هذه الأشياء؟» إلى آخره، **فيقال**: إن الرؤيا ما يكشف للروح من المعاني مصوراً في عالم المثال فبعضُها يحتاج إلى تأويل، وبعضها لا، ومنه: ما رأيتم وفُتحَ به عليكم في لفظ الصلاة» إلى آخر العبارة.

ثم تكلم على الدوائر الثلاث، إلى أن قال: «وكل على قدره يطول، ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾، و﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ﴾».

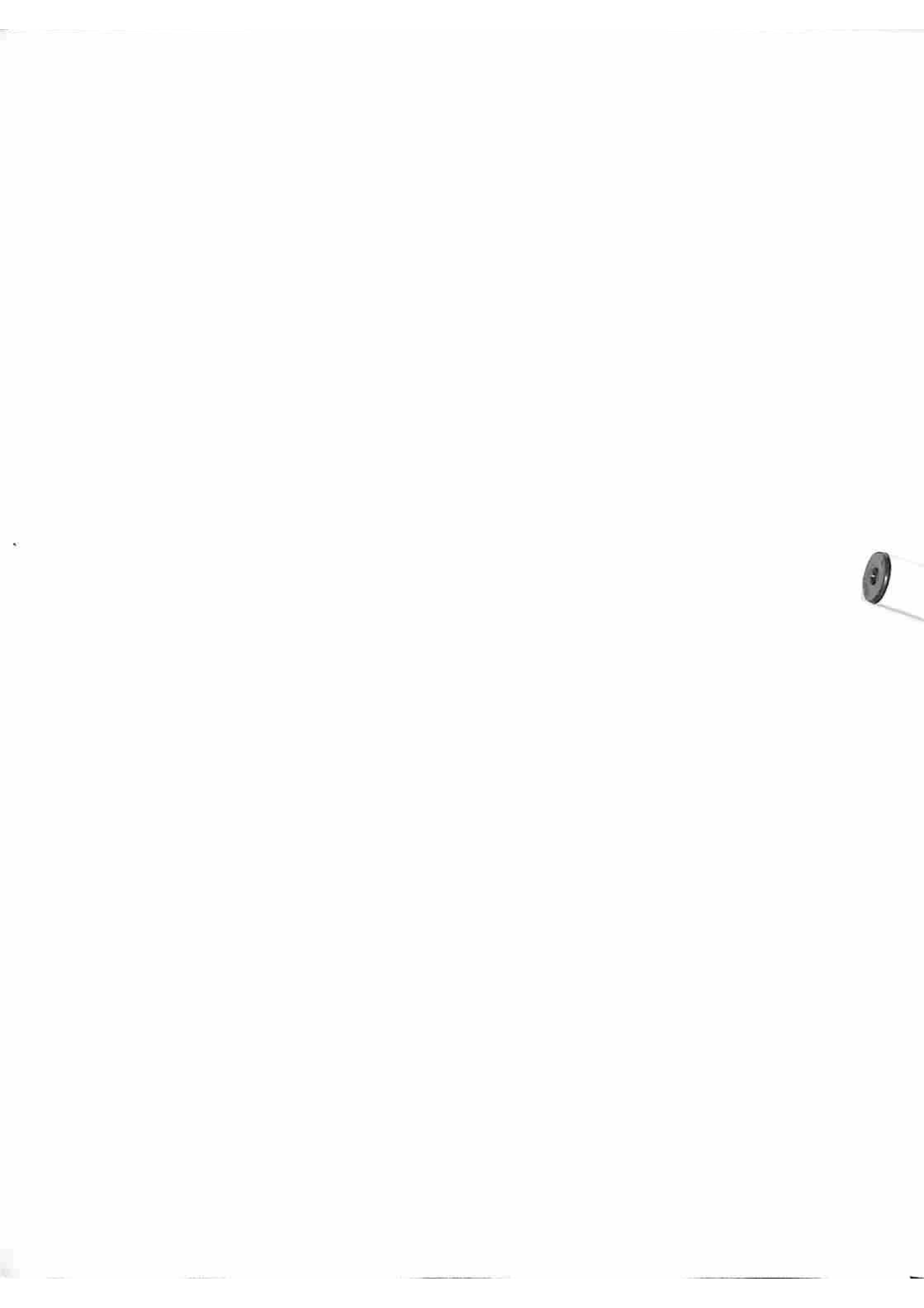
وكتابُ الحبيبِ عيدروس مثبتٌ في القسم الثاني من الكتاب، فلينظره من أراده. وإذا كانت هذه فتوحاتُ هؤلاء السادة الكرام في المنام، فماذا تكون فتوحاتهم في اليقظة! وكيف يكون التعبير عنها! وبأي لسانٍ! فسبحانَ الوهاب الكريم، المتفضل على من يشاء وهو ذو الفضل العظيم.

ولقد سمعتُ شيخَنا الإمام الهموس، المغموس في مواهب الرحيم القدوس، الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي يقول: «رأيتُ الحبيبَ محمد يصلي في قبره، يأتي بمائة ركعةٍ في الدقيقة»، ويعني بذلك: أنه رآه رؤيةً كشفيةً بصريةً لا منامية.

وقد أعطيَ كثيرٌ من الأكابر الصلاة في قبورهم، وحكيَ ذلك في تراجمهم، وكان ثابتٌ البناني يدعو الله أن يرزقَه ذلك، حتى شوهد يصلي في قبره، وسمع بعضُهم: الأذان والإقامة في الحجرة الشريفة. وأخبرني بعضُ العارفين: أنه ﷺ يصلي مع كلّ إمامٍ صلى في مسجده الشريف.

ومر ﷺ ليلةَ الإسراء بموسى عليه السلام يصلي في قبره، وصلى بالأنبياء في المسجد الأقصى، فأنبياء الله وأولياء الله يتلذّذون بعبادته في البرزخ، والاستدلال على ذلك يخرجنا عما عقد الفصل لأجله، ويكفي من ذلك قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا۟ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وإذا ثبتَ ذلك معجزةً للأنبياء، وكرامةً للأولياء، فالإيمانُ به والتصديقُ له مذهبُ أهل السنة والجماعة، ثبتنا الله عليها إلى أن نلقاه بمنه وكرمه، والله أعلم.



الفصل الثالث

في الإشارة إلى سعة علومه ومعارفه قدس سره ووسع اطلاعه وطول باعه في علوم الدين

كان قدس سره واسع الاطلاع طويلَ الباع راسخَ القدم في علوم الإسلام والإيمان والإحسان والحقائق والعرفان، بل هو زعيمُها القيدوم، ومفسر كتابها المرقوم، ومدير كاسات رحيقها المختوم، وقد أبدى من أسرارها، وأبرز من أغوارها، ما حارت عنده أفهام ذوي الفهوم، وشنف الأسماع وأتحف الألباب بما لا يوجد في كتاب ولا يحويه فصل ولا باب، وكشف عن مخدرات العرفان النقاب، وأتى من الحقائق والرقائق بالعجب العجاب، وحاز قصب السبق في ميادين الفصاحة والبلاغة والإصابة، وحل من رموز العوارف والمعارف ما تشابه، قد فجّر الله ينابيعَ الحكمة من قلبه على لسانه، ورفع شأنه بين أقرانه، وكان حقيقاً بقول القائل:

إذا قـال لم يـترك مقـالاً لقائـلٍ	بملتفظـاتٍ لا تَـرى بينهـا فـصْلا
كفَى وشفى ما في النفوسِ ولم يدعْ	لذي إربةٍ في القولِ جدًّا ولا هـزْلا

[شواهد من الرسائل المتبادلة مع شيوخه]:

ويكفي شاهداً على ما ذُكر قولُ سيدِنا ومولانا قطب الدوائر عيدروسِ بن عمر الحبشي في بعض مكاتباته لسيدي قدّس سرهما: «وقد وصلني كتابُك وشريف خطابك،

والحقير لم يدخل من ذلك الباب، ولم يعرف تلك التراجم فيجيبك عنها الجواب، وأنتم بحمد الله من أمركم على سداد، فاشكروا آلاءَ الله تحظوا بالمراد.

وذكرتُم أنكم على عزمٍ لزيارة أهلِ تريم وحضورِ جمع المولد بسيؤون، فإن يشأ الله يقدّر الاجتماعُ وتفيدوا معاني ما ترجمتم وتصغي منا الأسماع، فخذوا بيدِ الفضل في بذل العفو وقبول العذر، كما هو شأن الكرام من الفضلاء الأعلام».

وقولُ سيدنا العارف بالله الحبيب أحمد بن حسن العطاس في بعض مكاتباته له: «وفي شريف علمكم ما يُغنيكم عني وعن أمثالي». وكفى بهذا شهادة من هذين الإمامين وهو اعتراف منهما، وإلا فسيدي قدس سره لا يستغني عنهما كما يُعرف ذلك من سيرته معهما.

وأخبرني تلميذُه الحبيبُ الجليل حسينُ بن حامد العطاس عن الحبيب العلامة أبي بكر بن عبدالرحمن بن شهاب أنه قال: «تحققتْ ولايةُ الحبيب محمد بن طاهر بخصلتين: **العلوم** التي يبديها[1] الله على لسانه بأحسن تعبير، **والزهد** في الدنيا وهوانُ المالِ لديه الذي ليس له فيه نظير».

وكان سيدي قدس سره يقول: «ما نغبطُ أحداً في العلم، على أنا نتأسف على أوقاتٍ ضاعت علينا»، وقال في كتاب منه لبعض السادة بعد كلام: «وأخوك له اعتراضات على جحاجحةٍ ممن نقلتَ عنهم من حيث الفتح الإلهي، ولما لم أجد معيناً طويت كشحاً على ما معي، وضربت صفحاً ولم أدع، وفي الإدماجِ سر الاحتجاج».

وقال في كتابٍ منه لسيدي العارف بالله أحمد بن حسن العطاس: «وأنتم ممن ننتفع به ونستفيد منه، ونظرنا إليكم بعين الاعتقاد، وإنما أحب التنبيه إذا لم يفتهم لي الأمر حتى أني أنتقدُ فلاناً وفلاناً من كبار الصالحين المتقدمين في بعض كلمات، ولو كنت مثلكم أراهم

---

(١) كتب المؤلف بقلمه تحتها: «يفيضها».

لخاطبتهم بذلك. أما حضرةُ الرسالة فلا! بل ربما عرفتُ الحديث أنه ليس من كلام الحبيب ﷺ، وقد يفتهِم من بعضِ الأحاديث غير ما يقررونه، والله أعلم حيث يجعل رسالته».

ولما كان قدس سره بحيدر أباد سنة اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف وقعتْ مسألةٌ في مالِ اليتيم[1]، وأجراها علماءُ تلك البلدة على ما ظهر لهم، وأخطؤوا! فأنكرها قدس سره وردهم إلى الصواب، وأوضحه لهم. وراجعه بعضُ الناس بأنهم: أجمعوا على ما فعلوه، وأنه ربما ما فعلوه صواباً، لأن فلانا معهم أحد علماء السادة العلوية، فزجره سيدي قدس سره، وقال: «علمُ علماء حيدر أباد وفلاناً معهم في عكنةٍ من عُكَن بطني». وقد ذكرتُ هنا قول أمير المؤمنين مولانا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، لما قبَض بعضُ الصبيان على بطنه، وقال: «إنه كبير!»، فقال رضي الله عنه: «أجل! أسفله طعام، وأعلاه علم».

ولما كان قدس سره بحيدر أباد سنة خمسة عشر وثلاثمائة وألف صلّى بالناس الجمعةَ في أكبر مساجدِ البلد، وقنت قدس سره للاستسقاء في آخر ركعة، فلما سلم قام بعضُ علماء الأحناف وقال: الصلاة باطلة، والقنوتُ غير جائز، والحبيب إنما هو شافعي والمذاهب مختلفة، وحصلَ في المسجد اضطراب. فرقّى سيدي قدس سره للمنبر ووعظَ الناس وسكن اضطرابهم، وقال في جملة ما قاله قدس سره: «وإن كنتُ شافعياً! فاسألوني عما دون العرش». فنكّست الرؤوس، ووجلت القلوب، وخرست الألسن.

وقال قدس سره في كتاب منه لبعض الملوك: «وإذا خاطبتني في أمر تجد عندي ما يسركَ من حَضرة: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾، ولا تقلْ الأولياءُ لا دخل ولا معرفة لهم بأمور السلاطين وأحوالهم، فهم أقسامٌ، والورثة يعرفونها ويعرفون غيرها من سُوَس الأمور الإسلامية، وإنما الدهاء والمكر والحيل على المسلمين ليستْ فيهم، ومن سوّس أحكام الإسلام غيره ﷺ وغير ورثته».

---

(١) نسخة: مال ليتيم.

وقال قدس سره في بعض وصاياه بعد الإشارة إلى شيء من علوم القرآن: «لا يصل الرجل إلى مقام أهل الكمال حتى يصير يقدِرُ على تخريج جميع أحكام الشريعة المطهرة من أي حرفٍ شاء من حروف الهجاء.

* هكذا هكذا وإلا فلا لا *

قومٌ ظهرت لهم الحقائق بتصفاةِ النفوس، وبإفراد الوجهة للملك القدوس، فأصبحت قلوبهم ينابيع الحكمة، بل بحار العلوم والأسرار بالقسمة، ولولا خوفُ الإطالة لصِغَر العجالة لأبحثُكَ من أسرار القرآن ما يروق للناظر، وتبتهج القلوب والخواطر».

وقال في موضع آخر بعد الإشارة إلى شيءٍ من علوم المعرفة: «ولو بسطنا الكلام في مدارج المعرفة لخضنا بحراً متلاطم الأمواج، بمسائل الحلاج، ولات حين مناص».

ولما أشار إلى شيءٍ من العلومِ الغامضة والأسرار المكتومة في بعض قصائده، قال في آخرها:

وتحتَ جوهرِ لفْظي ما يبيحُ دَمي ... لولا الرصانةُ فارمِ الفكرَ يا عمرُ

وعُمَر المخاطب: هو العارف بالله عمر بن أبي بكر الجفري، ولعل سيدي أراد بالرصانة: التمكين المكين.

وقال في قصيدة أخرى:

واردُ السرِ من غريب المعاني ... لا يترجمه عارفٌ ببيانِ

ههنا يجلبُ الكلام غموضاً ... دون بوحِ اللسان ضربُ السّنانِ

إلى آخر ما قال.

وقد طلبَ من الشيخ العارف بالله العلامةِ حسن بن عَوض مخدَّم أن يشرح هذه القصيدة الأخيرة، أو التي مطلعها:

* صفا الوقتُ فاسمعْ ما يقالُ لكَ البقاء *

فاعتذر! وقال في جوابه: «حرتُ ولم أدرك!».

وما أنسبَ هذا المقامَ الذي تكلم فيه سيدي بهذا الكلام بمقامِ جده القطب المكين علي زين العابدين، حيث يقول (شعراً):

إني لأكـتم مـن علمـي جـواهره	كي لا يرى الحق ذو جهل فيفتتنا
يا رب جوهر علم لـو أبـوح بـه	لقيـل لي أنـت ممـن يعبـد الوثنـا
ولاستحل رجال مسلمون دمـي	يـرون أقـبح مـا يأتونـه حـسنا
وقـد تقـدم في هـذا أبـو حـسن	إلى الحسين ووصى قبلـه الحـسنا

وهذا المقامُ هو مقام الوراثة المحمدية والخلافة المصطفوية، وهو مقام الكمّل من أهل البيت رضي الله عنهم في كل زمان، لاسيما من بشّر سيدي قدس سره بوراثةِ مقاماتهم وحيازة أسرارهم، فلا حاجة إلى إطالة النقل في الإشارة إلى سعة علومه ومعارفه رضي الله عنه، وفي ديوانه ورسائله ومكاتباته من ذلك الكثير الطيب، وتراه كثيراً ما يقول فيها: «مهما ضاقت العبارة»، و«إن من العلم كهيئة المكنون».

وسأجمع من ذلك أنموذجاً في الباب السادس إن شاء الله تعالى.

وكان قدس سره يقول: «ينبغي للعارفين إخفاءُ ما ظهر لهم مخالفاً لعلماء الظاهر حفظاً للقانون الشرعي»، انتهى. وقد جاء عن كثيرٍ من أكابر العلماء المحققين: أن العارف مجتهدٌ، وأنه يصلُ إلى مرتبةِ الاجتهاد المطلق من جهة الباطن، وجاء ذلك عن كثيرٍ من أهل البيت كما هو مذكورٌ في تراجمهم، منهم: سيدُنا القطب الحداد قدس سره.

وقد أشار سيدي قدس سره إلى بلوغه تلك المرتبة بقوله فيما تقدم: «وأخوك له اعتراضاتٌ على جحاجحةٍ ممن ذكرت، من حيث الفتح الإلهي»، بل صرّح ببلوغه ما هو فوق ذلك بقوله: «سلوني عما دون العرش».

قال الإمام الشعراني قدس سره في «الميزان الكبرى»: «ما ثَم أحدٌ حقَّ له قدم الولاية المحمدية إلا ويصيرُ يأخذ أحكامَ شرعه من حيث أخذَها المجتهدون، وينفك عنه التقليدُ لجميع العلماء إلا لرسول الله ﷺ». ثم إن نقل عن أحدٍ من الأولياء: أنه كان شافعياً أو حنفياً مثلاً، فذلك قبلَ أن يصل إلى مقام الكمال، إلى آخر ما أطال به رضي الله عنه في تلك المباحث الغريبة.

وما ذُكر عن سيدي قدس سره من التحدثِ بسعة العلوم هو شأن أكابر علماء الأمة رضي الله عنهم، قال سيدُنا القطب الحداد قدس سره في كتابه «إتحاف السائل»: «وكل من أخبرَ من الأمةِ عن سعةِ علمه فقصدُه بذلكَ أن يُعرَف به فيسأل، وقد روي ذلك عن علي كرم الله وجهه، وعن ابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وأبي هريرة، وغيرهم من السلف والخلف رضي الله عنهم». انتهى.

قال الحبيبُ الإمامُ المشرقة عليه أنوار الوراثة لسلفه الكرام، محمد بن سالم بن أبي بكر العطاس: «رأيت الحبيبَ محمد رضي الله عنه في المنام يقول لي: إني ما نلتُ المقام الذي أنا فيه إلا بعدَ ما غمَسني الله في نهرِ الحياة، وهذا مقام البقاء بعد الفناء». قال: «وقابلني في الرؤيا مقابلةً عظيمة لا أستحقّها، وأنا في غاية الاستحياء منه، وعندي له محبةٌ عظيمةٌ استغرقَتني في مشاهدته، فلما قصصتُ عليه الرؤيا لم أذكُر له ما وجدتُ من المحبة العظيمة، فقال لي: «وأيش باطن الرؤيا؟»، فقلت: وجدت لكم محبة في باطني عظيمة، فتبسّم نفعنا الله به، وكان استفهامُه لي عن المحبّة كشفاً منه.

ولما قرأت[1] عليه في «مناقب جدي الحبيب أبي بكر»: أنه قال: نزلَ علي سبعةٌ من الملائكة وقالوا لي: الحقُّ سبحانه يقرئك السلام، ويقول لك: سيودعك سراً لم يطّلع عليه نبي مرسلٌ ولا ملَكٌ مقرب، بشرطِ أن تنزعَ حبَّ الدنيا من قلبك، فنزعته، فأُودِعتُ السرّ، فقال الحبيب محمد: رضي الله عنه عند ذلك: الحمد لله؛ هذا السر معي وعندي». انتهى ما حكاه الحبيب محمد بن سالم نفع الله به.

---

(١) لا زال الكلام للسيد محمد بن سالم العطاس.

[بعضٌ من قصائد صاحب المناقب]

وقد عنَّ لي أن أذكر القصائدَ التي مرّتِ الإشارةُ إليها، المشتملةَ على علوم من الرحيق المختوم، وإن كانت موجودة في «الديوان» فقد يقف على هذا الفصل من ليس عنده «الديوان».

قال رضي الله عنه:

القصيدة الأولى

وقد أنشدَ بها في حضرة الأكابر من مشايخه كسيدنا الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وسيدنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس، وسيدنا الحبيب علي بن محمد الحبشي، والمخاطب هو الحبيبُ الكامل الخامل العارف بالله عمر بن أبي بكر الجفري رضي الله عنهم أجمعين:

قـف بـالربوع ونـاد الربـع يـا عمـر ... إن كنـت مـثلي فـما أغنـاني الخـبر

سـبرت شـوقي فلـم أسـطع نكايتـه ... ضعفاً ولم أستطع صـبراً كـما صـبروا

فقلت يا قوم عيـل الـصبر وانقطعـت ... علائـق الكـون فيهـا العـين والأثـر

فقـال قـائلهم يـا مـن سـما شرفـاً ... هـذا المـراد وهـذا البيـت والحجـر

فطفـتُ بالبيـت إجـلالاً لخالقـه ... فبـان حجبـاً وكـاد القلـب ينفطـر

فاسـفرت وجههـا لـيلى فطبـت بهـا ... نفـساً وهـان مـرادي وانتفـى الحـذر

وبـت أرشـف خمـر الثغـر منتـشياً ... بسلـسبيل فـداها الـسمع والبـصر

وألـثم الخـد يـا وردي الخـدود ألا ... رفقـاً بـصب فهـذا المـوطن الخطـر

يـا حـسن لـيلى ورياهـا وبهجتهـا ... لا زال مطلوبنـا يجـري[1] بـه القـدر

تـه بالقـدود بـر بـات الخـدود بـأسرا ... ر النهــود بـما يقــوى لـه البـشر

فالـشعر يـشعر بالمقـصود لا عجـب ... والوجه بالنور إن شئت الـذي ستروا

بسحر هاروتَ مِن مرضى الجفون بـما ... في النحر والسحر يا سعد الذي نحروا

برقـة الخـصر بـالردف الثقيـل بأخـ ... ـلاق حـسان لنـا في شـأنها خـبر

يـا للجـمال ويـا للقلـب لا طـرب ... يـسلي الفـؤاد ولا مـاء ولا شـجر

فـإنني[2] بعظـيم الجـود معتـصم ... وبالجلالـة فـيما رمـتُ منتـصر

فـافهم إشـارة ذوى وجـد عـلى قـدم ... مـن الغـرام ونـاد الـشمس يـا قمـر

وتحت جـوهر لفظـي مـا يبـيح دمـي ... لـولا الرصـانة فـارم الفكـر يـا عمـر

القصيدة الثانية

قال رضي الله عنه:

وارد الـسر مـن غريـب المعـاني ... لا يترجمـه عـارف ببيـان

هاهنـا يجلـب الكـلام غموضـاً ... دون بـوح اللـسان ضرب الـسنان

فـضوا الخـتم يـا نـداماي إني ... ذاهـل العقـل كامـل الـصحو فـان

---

(١) في بعض نسخ الديوان: يمضي.

(٢) في بعض نسخ الديوان: لكنني.

واعقلـوا مـا أقـول وارعـوا ذمـامي واعــذروني إذا ســطا ترجمــاني

إن في الــسر سر أمــر عظــيم وشــهود الجنــان عطــب اللــسان

والــدواعي تفيــد حــسن المــساعي وارتــضاعي ثــدي الجــمال جمــاني

فــاشربوا مــا يفيــد سر الــتجلي نزهــوا الــسر في شــهود العيــان

وارســموا للعلــوم حــداً مفيــداً واقــرؤوا للحقــير لــوح المثــاني

وإذا بــان شــاهدُ القــرب يجــلي بــاطن الحــسن في لطيــف المعــاني

إن بــدا اللطــف فاشــهدوا وإذا مــا راع حكــم الجــلال فــارعوا جمــاني

واطلبــوا الــصحو إن قــدرتم فهــذا مــوطن المحــو وجمــود الجنــان

حققــوا مــا أفــدت في قالــب اللــ ــفظ لا يفيـد الحـضور رقـم البنـان

ليت شعري ما حال من يعرف الفر ق ثـم يـسهو هـل ذاك سر التـداني

يــا لقــومي مــن فتيــة لم يزالــوا في لذيــذ الوصــال في عــيش هــاني

قــد رضــوا بــالخمول والــسر يــأبى وســتور الغيــور في أمــر ثــاني

ورجــال مــا عــاينوا غــير أغيــا رِ لــسر قــد أظهرتهــا الأواني

فأبــاحوا مــا أنــتج الــوهم جهــلاً لــيس راح اليقــين راح الــدنان

لــيس هــذا إلا ادعــاء وكــذب ســوف يبــدو الــصحيح بالامتحــان

لــست أدري والله يعلــم مــاذا قــد دهــاهم حتــى رضــوا بالأمــاني

قــل لمــن يــدعي المعــارف صحح واتــق الله إن عرفــت المبــاني

واســأل الله إن بــدا لــك وجــد وقــل: الله للجميــل دعــاني

وارع حقــاً لله في كــل حــال مــن فعــال ومــن مقــال اللــسان

وانطــرح تحــت بابــه فهــو أهــل وارض واشكر واصبر على ما تعـاني

وانـــوِ خـــيراً لكـــل عبـــد بعـــزم | وتفـــضل بالفـــضل مـــن كـــل فـــاني
واحـــذر الـــذنب فالـــذنوب ســـموم | واســـأل الحفـــظ مـــن ســـهام الغـــواني
وتوقـــع بالـــذكر فتحـــاً قريبـــاً | لا بجهـــل فـــافهم هـــديت بيـــاني
ولحـــسن الظنـــون سر عظـــيم | واعـــذروني إذا قبـــضت عنـــاني
وصـــلاة مـــع الـــسلام عـــلى مـــن | خـــص بـــالفتح والهـــدى والمثـــاني
كامـــل الوصـــف لا يـــضاهى حبيبـــاً | وهـــو مجـــلى الـــشهود عـــين العيـــان
وعـــلى الآل والـــصحابة جمعـــاً | وعـــلى العـــارفين في كـــل آن

....

....(١)

* * *

(١) ناقص صفحتين من كل النسخ.

الفصل الرابع

في ذكر دعوته إلى الله ودلالته عليه سبحانه وتذكيره بأيام الله

كان قدس سره كثيرَ الاهتمام بنشر الدعوة إلى الله وتقريب الخلق إلى مولاهم، حريصاً على إرشادهم وهداهم، يدعو إلى ذلك بحاله وقاله، ويعين عليه بماله، فكم هدى الله به من جهالة، وأنقذَ به من ضلالة، ونقل به من حالة إلى حالة، فهو ممن عناهُم جدُّه قطب الإرشاد سيدنا عبد الله بن علوي الحداد بقوله، (شعراً):

ومنهم رجال ظاهرون بأمره ... لإرشاد هذا الخلق نهج الطريقة

لهم همة في دعوة الخلق جملة ... إلى الله عن نصح ولطف ورحمة

فهم حجة للمؤمنين بربهم ... وفيهم لمرتاد الهدى خير قدوة

وحتف على أهل الضلال وحجة ... تقوم على أهل الشقاق بشقوة

وكان قدس سره يقول: «أنا مأمورٌ من حضرة النبوة بنشْر الدعوة إلى الله بإذن خاص وعام، والطالع قوي حسي ومعنوي، ولكن أكثر الناس لا يعلمون».

ولم يتفق لأحد من علماء العصر ما اتفقَ له قدس سره من ذلك، ولم يكن له نظير فيما هنالك. وكان قدس سره يتكلم في كل مجلسٍ بما يناسبُ أهله، ويخاطب كلاًّ بما يبلغه عقله، إذا تكلم أصغى كل حاضر، وقابلوه بالأسماع والقلوب والنواظر، يحس لكلامه صولة في

كل فؤاد، ولدى كل حاضر وباد، كأنها كلامه النفيس لحديد القلوب مغناطيس، فلا بدعَ أن لقِّب بحداد القلوب، ولا غرو أن تغفر لناظريه الذنوب، ترتعد فرائص الحاضرين في مجالس وعظه وتذكيره، وتسكب الدموع عند سماع إنذاره وتحذيره، وتكاد الأرواح تطير إذا شوقها إلى موطنها الخطير، ويغمى على كثير ممن يحضر التذكير.

ومن خصوصياته قدس سره: أنه إذا ابتدأ يتكلمُ لا يقومُ أحدٌ من مجلسه حتى يسكتَ، وكان قدس سره يقول: «رجانا في الله أنا لا نقوم في مقامٍ إلا وتعقبُه المغفرة إن شاء الله تعالى، هذا ظننا في الله وأملنا فيه على ما فينا من عيوبٍ وذنوب».

ويحصل من البكاءِ والنحيب والالتجاء إلى القريب المجيب أمرٌ غريب، حتى أن الأعاجمَ الذين لا يعرفون العربيةَ يبكون! فسئلوا: لم تبكون وأنتم لا تعرفون ما يقول؟ فقالوا: نحسُّ بشيء يداخل قلوبنا لا نملك أنفسَنا معه عن البكاء.

وإلى ما يحصل من النفع العميم والمدد الجسيم في مجالس التعليم من هذا الإمام العظيم، أشار بعضُ مادحيه بقوله (شعراً):

أوعى القلوب بوعظ منه ذي حكم ... ولـو بآذانهـا وقـر مـن الـصمم
أنفاسه القدس تحيي العـالمين فلـو ... صابت قبوراً لأحيت دارس الـرمم
لـولا بقيـة أشراط لهـا أمـد ... لقلت هـذا هـو المهـدي ذو العلـم

وبقوله في غيرها:

لـه روائـح قـدس لـو تنـسمها ... ميت لعاش ولـو تحـت الـتراب بـلي
أنفـاس عيـسى لأنفـاس لـه مثـل ... تحيي النفوس وتسري البرء في العلل
في مظهـر منـه سر للإلـه فلـو ... بـدا لـزال خـلاف النـاس في الملـل

وقد قال بعض العارفين لما قيل له: لـمَ نرى الناسَ يبكون إذا تكلمت أنتَ ولا يبكون إذا تكلم غيرك؟ فقال: ليست الثكلى كالمستأجرة! إشارةً إلى أن كلام المأذون له يقع من السامعين موقعاً عظيماً.

وقد قال الإمامُ ابن عطاء الله قدس سره: «كل كلام برز وعليه كسوة القلب الذي برز منه»، وقال آخر: «كلام المأذون له يخرج وعليه طلاوة وغيره بالعكس، فترى الرجلين يتكلمان بالحكمة الواحدة، فتُقبل من أحدهما، وتُرد من الآخر».

وقصةُ سيدنا الشيخ عبد القادر الجيلاني قدس سره مع ولده مشهورة، حاصلها: أن ولدَه طلبَ العلم وبلغ النهاية في الفصاحة، وتكلمَ على الناس، ظانا حصولَ مثل ما يحصلُ بكلام والده، بعد أن قال له والدُه: «إنّ ما ترى ليس بالفصاحة»، فلم يظهر على الناس شيء مما كان يظنّ، فطلع والدُه على الكرسي، وقال: «البارحة أم الفقراء ـ يعني زوجته ـ طبخت لي دجاجةً وجعلتْها في غُضارة، فجاء الهرّ فأكلها! فضج الناسُ وعلت أصواتهم بالبكاء، فقال لابنه: «ألم أقل لكَ إن ذلك ليسَ بالفصاحة، وإنما هو سر». انتهى.

وكان سيدي قدس سره يقول: «كانوا ـ يعني السلف ـ لا يستشرفون للمشيخة قبل الإذن، بل ينفرون عنها حتى يأتيهم صريح الإذن، وربما كان نجيّكم ـ يعني نفسه ـ من ذلك القبيل، فاسألوا أهل الذكر إن كنتم لا تعلمون».

ومن كتابٍ منه قدس سره لبعض السادة: «أما بعد؛ فقد قدّر الله دخول العبد المحض حيدرأباد، وحصل نفعٌ لأهلها وازدياد، ولم نزل ندعوا إلى الله ظاهراً وباطناً حسبَ الطاقة، وأرجو أن يكون بالألسُن الخمس». انتهى.

قال سيدنا القطب الشيخ عبدالله بن علوي الحداد قدس سره: «ألسُنُ الدعوة إلى الله خمس:

ـ أن يدعو العامة بلسان الشريعة إلى الشريعة.

ـ وأن يدعو أهل الشريعة بلسان الطريقة إلى الطريقة.

ـ وأن يدعو أهل الطريقة بلسان الحقيقة إلى الحقيقة.

ـ وأن يدعو أهلَ الحقيقة بلسانِ الحقيقة إلى الحق.

ـ وأن يدعو أهلَ الحق بلسان الحق إلى الحق، ولا يدعو بها إلا منابٌ عن رسول الله ﷺ». انتهى.

وقد تقدم عن الحبيبِ القطب عيدروس بن عمر: «أن الداعي بالألسن الخمس، هو الإنسان الكامل، المعبر عنه بالخليفة». وأنه قال لسيدي قدس سرهما: «والبشرى لكم بذلك يحققها الله لكم بفضله ومنه».

وما أحسنَ ما قال سيدي الجليلُ مصطفى بن أحمد المحضار من قصيدةٍ له حمينية، أرسلها لسيدي الحبيب قدس سره وهو بحيدر أباد، (شعراً):

وإن ذا الهند طلت فيه نار المناكر

والربا والزنا والخمر أم الكبائر

مالها إلا انت عندي يا خطيب المنابر

يا إمام الهدى يا تاج أهل الحضائر

ناد فيهم وجرد للدعا سيف باتر

يوم دعوتك تنفذ كالرماح الشواجر

كل من به عمى في العين أو في البصائر

ينجلي عنه بالدعوة غشا كل ناظر

لا تعدي مدى الأوقات ناهى وآمر

يا الذي دعوته تخرق جميع الستاير

كم بها قد عمر من قلب خارب وداثـر
ما غبطنا بـك البـدوي ولا عبـد قـادر

فقد جمعت هذه الأبياتُ جملاً من صفاتِ سيدنا الحبيب رضي الله عنه، وما يحصل بتذكيره من التأثير والتنوير والنفع الكبير، حتى لأهل القلوب القاسية البعيدة من الخير.

وقد اشتمل قوله: «كل من به عمى في العين أو في البصائر» إلخ، على معنيين وكرامتين من كرامات سيدنا الحبيب عظيمتين:

أحدهما: الظاهرة، ينجلي عنه العمى بدعوة من دعواته كما أبصر العَسيري الأعمى بدعوته رضي الله عنه كما تأتي الحكاية مبسوطة.

والثاني: أن من به عمى في بصيرته الباطنة ينجلي عنه بدعوته له إلى الله ذلك العمى، وتنكشفُ عنه تلك الغشاوة. فكم من بصرٍ قد أبصر، وقلبٍ خاربٍ قد اعتمر بدعوته ودعائه كما ذكر.

[طريقته وأسلوبه في الوعظ]:

وكان رضي الله عنه إذا قام للوعظ يبتدي بهذه الكلمات: «لا إله إلا الله المعبود في كل مكان، لا إله إلا الله المذكور بكل لسان، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان، لا إله إلا الله كل يوم هو في شأن، لا إله إلا الله الأمان الأمان من زوال الإيمان، يا حنان يا منان، عاملنا بالإحسان، واحفظنا من الامتحان».

فترجُف عند ذلك القلوبُ، وتمد الأعناق وتشخص الأبصار إلى ذلك الوجه المحبوب، وتصغي الأسماع لما يملى من مكتسب وموهوب، فيذكّرهم بنعمتي الإيجاد والإمداد، وبعثة المرسلين للهداية والإرشاد، ثم يتكلم على أركان الإسلام والإيمان والإحسان، ويذكر ما أوجبَ الله فعلَه وندب إليه من الطاعات، وما حرمه وزجر عنه من المحرمات، ويذكر ما ينبغي التخلي عنه والتحلي به من أخلاقِ أولي الألباب، ويحدوها إلى

رب الأرباب، وينذرها شديد العقاب وأليم العذاب، ويأتي بشواهد ذلك من الكتاب والسنة، وما يؤثر عن السلف الصالح بكلام قريب وجيز، يُزرِي حسنُ انسجامه وانتظامه بعقدِ الذهب الإبريز، ويذكُرُ بعد ذلك سعة رحمة الله سبحانه ويذكر التوبة ويحث عليها ويقول توبوا إلى الله وسيطبع عليها بطابع محمد ﷺ، ويلوح ويصرح بحضوره ﷺ تلك المحاضر المحضورة، والمحافل المشهورة.

ولما جاء إلى حريضة في بعض زياراته، وافق يومُ وصوله يومَ الجمعة، فأمره الحبيبُ الإمام أحمد بن حسن العطاس أن يصلي إماماً، وأمره بالمذاكرة بعد الصلاة، فلما أنهى المذاكرة قال الحبيب أحمد: «احمدوا الله واشكروه يا أهلَ حريضة، شوفوا صلاة محمد بن طاهر بكُم ومذاكرته لكم، خيرٌ لكم من سيلٍ يلقي لكم مَوسم حَمِيمة تملون منه دياركم». انتهى.



❊ ❊ ❊

الفصلُ الخامس

في الإشارةِ إلى كرَمه وجُودِه وبرِّه وإحسَانه

كان قدس سره بحرَ الكرم والجود، الموردَ من أكناف الوجود، شهد له أعيان عصره بأنه خاتمة الأجواد، وعرف بذلك بين الحاضر والباد، قد خلقه الله مجبولاً على حب الإحسان والمعروف، ولم يكن جوده قدس سره مقصوراً على نوع من أنواع الجود، بل شاملاً لجميع أنواعه: من بذل النفسِ والمالِ والحالِ والمقالِ والعلمِ والحلم، وجميع خلال الكمال، فحدّث عن كرمِه ولا حرج!

كان يعطي عطاءَ الملوك، ويتواضع تواضع الصعلوك، ينفق إنفاق من لم يخشَ من ذي العرشِ إقلالاً، ولسان أياديه تنادي الأجواد: بهكذا هكذا وإلا فلا لا، كان قدس سره عصمةً للأرامل، وثمالاً للأيتام، وملجأ للخاص والعام:

تــزاحمَ النــاسُ عــلى بابــه | والموردُ العذبُ كثيرُ الزحامْ

فكم كشفَ من كربة، وجلى من غمة، وأطعمَ من جُوع، وأمّن من خوف، وكسا من عري، وأغنى من فاقة، ووسع من إضاقة، فما أحراه وأحقه بما قيل:

هو البحر من أي النواحي أتيتـه | فلجته المعروف والجود سـاحله
تـــراه إذا مـــا جئتـــه مـــتهللا | كأنك تعطيه الذي أنـت سـائله
تعّود بسط الكف حتـى لـو أنـه | أراد انقباضـــاً لم تطعــه أناملــه
ولو لم يكـن في كفـه غـير نفـسه | لجـــاد بهـــا فليتـــق الله ســـائله

لم يكن للدنيا عنده قدر، حتى أنه لم يأخذ من أحدٍ حساباً فيها، ولا يحمل على الدراهم قفلاً، ولا يقبضها بيده ولا يضعها في جيبه إلا لإعطائها سائلاً، أو نحو ذلك.

وأخبرني سيدي حسين بن حامد العطاس: أن الحبيبَ قدس سره وضع عنده دراهم نحواً من سبعة آلاف ربية، ولم يزل يحوّل عليه السائلينَ حتى غلّقت في باطن خمسة أيام، قال: «فنزلتها في ورقة: بيد فلان كذا، وبيد فلان كذا، وأعطيتُها الحبيب فنظر إلي! وقال: ماهذا؟! فقلت له: تعيين الدراهم، فقال قدس سره: لو كانت الدنيا بأسرها لي وجعلتُها تحت يدِكَ ما سألتك عنها، ولا طلبتُ منك تعييناً فيها، وشعّق الورقة ولم ينظرها»، وكان قدس سره يقول :«طريقي إلى الله كثرة الإنفاق».

وما أحسن ما قال سيدي أبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب في وصفه (شعراً):

كـريم يكـاد البحـر يحكيـه قاذفـاً	لآليــه مــن قعــره صــافياً عــذبا
بشوش إذا الزوار جاءته شاهدت	حدائق من محمـود أخلاقـه غلبـا

لم يرد سائلا قط! حتى أنّ بعضهم سأله رداءه فأعطاه إياه ومشى بلا رداء.

وما أحقه بقول القائل (شعراً):

ما قال: لا، قطُّ إلا في تشهدِه	لولا التشهدُ كانت لاؤه نعمُ

وكان يقول: «لو كانت الدنيا لنا وطلبَها بعضُ إخواننا في الله، ما نظن أنا نبخل بها عليه بلا منة، غير أن الأسباب لها أحكامٌ عند أهل الحقائق.

ولسيدي العارف بالله محمد بن أحمد المحضار من قصيدته التي رثاهُ بها (شعراً):

سرى نعـشه فـوق الرقـاب وطالمـا	سرى جوده فـوق الركـاب ونائلـه
أفـاض عيـون النـاس حتـى كـأنما	عيــونهم ممــا تفــيض أناملــه

هــو البحــر إلا أنــه دائــم الرضــا ... وما الناس إن تنسبهم إلا جداولــه

رؤوفٌ بكــلّ النــاسِ ســمحاً بمالــه ... عليهم إذا ما الغيث شحت هواطله

ثــمال اليتــامى والأرامــلِ أســوةٌ ... وشنـــشنة قـــد قـــدمتها أوائلـــه

وكان قدس سره لا يبالي بعد إخراجِ الصدقة لله أين وقعَت ولا في يد من وقعت، حتى أنه سألَه بعضُ المشركين فأعطاه، فوقع في نفسِ بعض الحاضرين شيءٌ، فالتفت إليه قدس سره وحكى له قصة نبيِّ الله إبراهيم عليه السلام مع المجوسي لما استضافَه، وعتابِ الله له لما لم يُضِفه، وستأتي الحكاية مبسوطة في الحكاية السادسة من الباب الخامس.

وكان قدس سره يعطي الحلاقَ ونحوَه أضعافَ ما يعتاده من غيره، لا يخرج من بلدٍ ولا مركب في أسفاره إلا وأهله محزونون لمفارقتهم له قدس سره، حتى الكفار، ولا يزالون يسألون عنه لما يغمرُهم به من الإحسان، الذي لا يعهدونه في هذا الزمان من إنسان.

وما أحسنَ قولَ بعضِ مادحيه قدس سره، (شعراً):

من جوده اخضرت الدنيا وأخصبت ... الــبلاد نــاضرةً مــن جــوده الخــضل

وقــدر معــن غــدا معنــا ولا عجــب ... إلهــا لهــاه كــرام الخيــل والإبــل

فـــلا يدانيـــه ســـمح جــل خالقــه ... أدنـــى نـــداه هـــو الـــدنيا ولم يبــل

إذا اعترتـــه عفـــاة ظـــل مبتهجـــاً ... مــن الــسرور فأغنــاهم بــلا مطــل

وكان قدس سره حيثُما حلّ ونزل في سفر أو حضر يبسطُ مائدتين: المائدة الظاهرة، أعني مائدة الأكل للقاصرين، ومائدةُ العلوم والعرفان للكاملين.

وكان قدس سره لا يشهد لنفسه منةً فيما يبذل، ويقول: «إنما هي أرزاقهم وصلت إليهم على يدي، وما أنا إلا واسطة»، وقال له قدس سره بعضُ الناس بعد أن تعشى عنده:

أكرمكم الله، فقال: «وإياك! مالنا شيءٌ فيما رأيتَ، هي إلا مائدة المولى سبحانه، نحن وأنت عليها بمنزلة واحدة».

فما أحراه وأحقه بقول القائل:

فتــى مالــه للوافــدين وإنــما	يضاف إليه في الكلام توسعا
وليس يعد الجود جوداً لأنــه	يرى ما أتاه واجبـاً لا تبرعـا

[كرم ضيافته]:

وكان قدس سره يتلقّى الضيفان والوافدين بالبشر والترحيب، والصدر الواسع والمنزل الرحيب، ويقابلهم من حُسنِ الأخلاق والبشاشة والانبساط وإدخال السرور بما تُستَحْقر معه كلُّ ضيافة، وينزل الناسَ منازلهم، ويقدم لأضيافه الأطعمة الغريبة العزيزة الوجود، والمأكولات الطيبة التي لا تعرف في الجهة الحضرمية مثل: الفالوذج والمهلبية، والحلاويات مع اختلاف أنواعها وأشكالها، ويقدم من العسل الشيءَ الكثير، ومهما قدم شيئًا فما بقيَ منه لا يرجع إلى بيته بل يأخذهُ الخدم والعبيد، حتى أن بعضَهم قد يأخذ مما يبقَى من العسل سبعينَ رطلاً، ولا يسألهم قدس سره عن ذلك متى علم، ولا ينهاهم ولا يفتش عليهم.

ولله در بعضُ مادحيه حيث يقول:

ضخمُ الدسيعة والأزمانُ قد أزمت	نارُ القرَى منه ما زالــت عـلى علَـمِ
معطـي الكـرائمَ مِنحـاراً بوائكَهـا	يلقـــى العفـــاةَ بثغْــرٍ زانَ مبتــسَمِ

ولما دخل حيدر أباد سنة خمسة عشر وثلاثمائة وألف أجرى لضيافته ملكُها كلَّ يوم مائة وعشرين ربية، فكانت تصرف جميعها في سفرته قدس سره، وهو لا يأكل عليها بل لأكله هو مؤنةٌ ثانية.

ولما قصده الناس من نواحي بلده في مهماتهم كان بعضُهم ربما جاء وقصدَ عند بعضٍ من يعرفُه من أهل البلد، فبلغه أن بعضَ أهلِ البلد يقول: «كثُروا علينا الضيفان والحبيب محمد هو السببُ في كثرتهم»، فقال قدس سره: «قولوا لأهل البلد من نزلَ عنده ضيفٌ فهو وضيفُه عندي!».

وقال الشيخُ الصالح عبدالله بن عمر باطوق العمودي: «لما كان أيامُ الحبيب محمد قدس سره قال بعض أهل البلد: إن الغنم زادتْ أثمانُها، والسبب في ذلك الحبيب محمد وكثرة ما يذبَح منها!، قال: والحال إنها كانت في زمنه رخيصةً ببركته، فبعد وفاته اشتدّ الغلاء، وزادت أثمان الغنم بالنسبةِ إلى زمنه أكثرَ من النصف، ولا يبعد أن يكون ذلك - يعني الغلاءَ - بعد وفاة الحبيب قدس سره عقوبةً بسببِ قول القائلين في الحبيبِ قدس سره تلك المقالة». انتهى. وما قالَه حق!

[ذكر استدانته من أثرياء عصره]:

وكان سيدي قدس سره لا يقبلُ من أحدٍ شيئاً إلا ديناً، ويستدين ويقول: «لو أردنا الفلوس من السَّتَر لأخرجناها، ولكن ما هي من سيرة السلف».

وكان سيدي العارف بالله أحمد بن حسن العطاس نفع الله به يقول له: «أنت تقدر تخرّج الفلوس من أشدّ من الستر!» يشير بذلك: إلى من كان يستدينُ منهم سيدنا الحبيب قدس سره من ذوي الثروة المشهورينَ بالبخل والحرص الشديد، فإذا طلبَ منهم سيدُنا الحبيبُ قدس سره ديناً لا يقدِرون على الامتناعِ لتصرفّه قدس سره في قلوبهم، وذلك مما اشتهر من خصوصياته.

أخبرني الحبيبُ العلامة عمر بن عبد الرحمن المشهور: أن بعضَ أهلِ الثروة المعروفين بالبُخْل قال له: «إني لا أقدر أردّ كلام الحبيب محمد إذا استقرضني، وأحس كلامه ينفذ في قلبي مثل الإبَر».

ولم يُعرفْ لدخول الدراهمِ عليه وجهٌ ظاهر، حتى أن سيدي العارف بالله عبد الله ابن أبي بكر العطاس قدس سره قال له في بعض كتبه: «وأنت يا أخي ويا حبيبي ظهرتَ لنا في مظهر؛ إن قلنا: إن معك كيمياء خافْ إنك معك كيمياء! وإن قلنا: إنك من الذين تنقلبُ لهم الأعيان، خاف إنك تنقلب لك الأعيان، الطين فضة، والمدر ذهب! وتكيل بالمكيال الأوفى، والوزن بالبهار، هذا مقامك وحالك». انتهى.

ومع كثرة أمواله لم تجبْ عليه زكاة، بل أمر مرةً وهو ببلد صُبَيخ بعضَ أخدامه أن يصنع قهوةً فقال له: «إن الدار ما فيها بُن»، فتهللَ وجهُه قدس سره سروراً، وقال: «الحمد لله، بهذا نلنا هذه المرتبة». وبهذا يظهر معنى وصفه قدس سره بالغني الشاكر والفقير الصابر، فاعجب لجمعِ الضدَّين وكل أحواله عجب.

وقد قال في بعض قصائده:

اجمع الضدين لا عجب	إذ على الرحمن متكلي

وبلغ دَينه قدس سره مائةَ ألف ريال.

وما أنسب الحال بقول القائل (شعراً):

أتعجبُ إن رأيتَ علي دينًا	وإن ذهب الطريفُ مع التلاد
ولا وجبتْ علي زكاةُ مالِ	وهل تجبُ الزكاةُ على جواد

قال سيدي العارف بالله الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي: «لا يحمل جود الحبيب محمد إلا مثلُ بيتِ مال هارون الرشيد». انتهى.

وكان قدس سره يبذل الألوفَ في إصلاح ذات البين، ونصرة المظلومين، وإنقاذ الضعفاء والمساكين من أيدي الظلمة، والوقائع في ذلك كثيرة.

وكان قدس سره إذا استقرضَ يردُّ بزيادةٍ على ما استقرضَ عملاً بالسنة، وإذا أقرضَ لم يستوف. وأوصى أن لا يطالبَ من عنده دينٌ له مع أنه شيء كثير، ونفِّذت وصيته بذلك.

وسمعتُه يقول: «إن بعض المتقدمين بنى منارةً يسرّج فيها ليلاً ليهتدي إليها الضيفان وذووا الفاقة، فلو أنا نبني منارةً لذلك على هذا المكان»، وأشار إلى مكان مرتفع هناك.

وكان قدس سره حريصاً على صدقات السر، حتى أنه ربما وضع ما يريد لمن يريد تحت سجادته أو حصيره أو شيء من متاعه من غير أن يعلمَه بذلك. وما ظهر من صدقاته بالنسبة إلى ما لم يظهَر نزرٌ يسير.

وكان قدس سره يقبلُ الهديةَ ثم يكافئُ عليها بأضعافها، وقال في بعض مكاتباته: «ونحن ما عندنا منةٌ لأحدٍ، ونأخذ ونعطي بزيادة، ويد الله هي العليا، ونحن بالله ومن الله وإلى الله وعلى الله، والمحرومون من حرمَهم الله المنفعة المبسوطة في الوجود ولكل درجات مما عملوا». انتهى.

وسأله بعضُ الناس فرساً فأعطاه، وسأله آخر فرساً أخرى فأعطاه، وآخر كذلك، وآخر كذلك، وأعتقَ جملةً من المماليك. وحكاياتُ كرمه وجوده مما يطول ويبهر العقول، وقد تفرق في هذا الكتاب ذكرُ جملةٍ منها فلا نعيدها، وجامع ما تفرق: أنه لم يكن في زمانه مثله.

وهنا أنشدَ لسانُ الحال:

سألت الندى: هل أنت حر؟ فقال: لا ... ولكنني عبدُ الحبيبِ ابنِ طاهر
فقلت: شراءً؟ قال: لا، بل وراثةً ... توارثني عن كابر بعد كابر

وكان قدس سره إذا قيل له: «قللوا في الإنفاق فإن الزاد[1] ما يحمل»، أو شبه ذلك،

(١) نسخة: الزمان.

يقول: «لا أحد يدخل بيني وبين ربي»، ولما أكثرَ عليه أصحابُه من مثل هذا الكلام أنشأ هذه القصيدةَ، (شعراً):

يحـــدثني قلبـــي بقربـــك والبـــشرى ... وبالجود والإحسان منك فلي البشرى

فـــما بـــال أبنـــاء الزمـــان يكـــدرون ... لي مـا صـفى لا أوغـر الله لي صـدرا

أراني بعـــــز الله أســـــبح رافـــــلاً ... بمجـدٍ عـريضٍ لا أطيـق لـه شـكرا

فيـــا نفحـــات الله يـــا عطفاتـــه ... ويـا غـارة الـرحمن فالرحمـة الغـرا

غياثـاً سريعـاً عـاجلاً لاطفـوا الـذي ... عـراني فـإني مـا استطعتُ لـه صـبرا

فكـــم عـــادة عودتنيهـــا وفتنـــة ... زويت وأعطيـت الكثـير ومـا أحـرى

يقولـــون لي لا قلـــل الله جمعهـــم ... ترفـق وإني لي بـما عـصمتي أدرىٰ

ومـــن لامنـــي أعذرتُـــه وتركتـــه ... وأعلنتُ ما أوليت من جودكم جهـرا

فكيف أخاف الفقر والجـود جـودكم ... وقد خاب عبدٌ خاف مـن ربـه الفقـرا

وكيـف أخـاف الـذل والعـز عـزكم ... وقد طـار لي مـن فـضلكم في الـورى

وكيف أخاف الـضعف والقـدرة التـي ... سطوت بهـا مـن قهـركم أبـداً تـترى

وظنـــي جميـــل بعـــد ذلـــك كلـــه ... وعذت بكم لا كان إحسانكم مكـرا

وبي قلـــق لا أســـتطيع ظهـــوره ... عـسى علّتـي في سـاعتي هـذه تـبرا

فعجـل بكـشف الـستر فـيما أرومـه ... وأسبل علينا الستر لا تكشف الـسترا

وفـرج عـلى عبدالحميـد وحـل مـا ... تعـسر في الـدنيا وجمّلـه في الأخـرى

وأصـلح جميـع المـسلمين وكـن لنـا ... رجونـاك لا حمّلتنـا سـيدي إصرا

وصل على طه الحبيـب ومـن هـو الـ ... ـطبيب ومن نلنا بـه البِشر والبُشرى



وما أنسب الحال بقول من قال (شعراً):

سألتُ الندى والجود: مالي أراكما	تبدلتما ذلاً بعز مؤبدِ؟
وما بال ركن المجد أمسى مهدماً	فقالا: أُصِبنَا بالحبيب محمدِ
فقلتُ: فهلاّ مُتُّما بعدَ موتِه	وقد كنتما عبدَيه في كل مشهدِ
فقالا أقمنا كي نُعزَّى بفقده	مسافة يوم ثم نتلوه في غدِ

لطيفة:

كان بعضُ السادةِ سائراً إلى المكلا في قافلة، فنادى منادٍ ذاتَ ليلة: «يا عايض!»، وكان ذلك اسمُ بعضِ الرفقة، فقال ذلك السيد: عايضُ إلاّ ابن سالمين الكثيري، فقال ذلك الشخص: «من هذا المتكلم؟»، فقيل: سيد! فقال: «سيد إلا محمد بن طاهر! الذي يمشي بحِمْلَين طسُوت وصُحون معه حيثُما سار للكرم!».

لطيفة أخرى:

وكان مع السيدِ زينِ بن عبد الله العطاس رحمه الله، المتوفَّى في ذي القعدة سنة ١٣٥٤ جبةٌ إلباساً من سيدي الحبيب رضي الله عنه، فاتفق أنه لبسَها في المدينة المنورة، فصار إذا مرَّ على الفقراء والمساكين الذين عندَ الحرم النبوي تعلّقوا فيه يطلبونه، ولا يكلمونَ أحداً من رفقته، وكان منهم الوالدُ عمر بن طاهر الحداد، أخو سيدي، والسيد عمر بن حسن باعقيل، فقال لهم: «إني أتعجبُ من تعلق المساكين بي إلى هذا الحد وعدم تعلقهم بأحد منكم!»، فقال له السيد عمر باعقيل: «لأنك إذا مرّيت عليهم يرْوَحون جبةَ محمد بن طاهر، فيهبّ عليهم منها نسيمُ الجود والكرم، فيتعلقون بك، فضع الجبة وسيعرضون عنك مثلَنا، وإلا فلابد أن يتعلّقوا بك ما دمتَ لابساً لها». انتهى.

ولنقبض عنانَ القلم، عن السباحة في هذا اليم، فقد كان هذا الخلقُ الشريف كغيره من مكارمِ الأخلاق جبلةَ سيدي رضي الله عنه التي جُبل عليها.

أخبرني الحبيب شيخُ بن عبد الله بن علوي الكاف، عن الشيخ العلامة عمر بن سعيد الخطيب باراسين أنه قال: «إن الكرمَ كان طبعُ الحبيبِ محمدٍ من صباه، حتى أنه كان في صغره إذا حصلَ معه شيءٌ من الدراهم جمعَ الصبيان وقالَ لهم: با نعمل ضيافة، واشترى لهم بما معه ما يأكلونَه. وإذا كان وقتُ الخريف يخرج بالصبيانِ إلى نخلِ والده، ويطلع بعضَ النخل ويجني لهم منها، وإذا منعه الشَّارحُ من طلوع النخلِ رماها بالحجارة وأمرَ الصبيانَ بأخْذِ ما يسقط من الرطب». انتهى.

وقد شاع ذلك عن سيدي قدس سره وذاع، حتى لهج به العامة في أشعارهم وأخبارهم، وتغنت به العواتقُ في الخدور والقصور.

ومن ذلك قولُ بعضِهم (شعراً):

محمدْ ولد طاهرْ له الصيتُ والثّنـا	ويكْرم جميعَ النـاسْ مـا يكرمونـهْ
وهو نخلَنا الـثّمار يلقِـي لنـا الجنَـا	وهُو غيثَنـا المطّـار صـبتْ مزُونـهْ

وقد ذكر أناسٌ دَين سيدي قدس سره بعدَ وفاته فأعظموه، وكان هناك بعضُ رؤساء (الدَّيِّن) القبيلة المعروفة، فقال لهم: أنتم تتعجبون من كَثرة دَين الحبيب محمد وأنا أتعجب من قلّته.

فقالوا له: وكيف ذلك؟ فمائةُ ألف ليسَت بقليل!.

فقال لهم: كم سنين للحبيب محمد منذُ ظهَر في هذا المظهر؟

فقالوا: نحوٌ من عشر سنين.

فقال: على ما رأيتم من حاله في خَرجِه كم يستغرقْ في كلّ سنة؟

فقالوا: شيئا كثيراً.

فقال: خمسين ألفا؟

قالوا: أكثر!

قال: نجعلها خمسينَ ألفاً فقط، فكم مجموعُ خَرجِ العشر السنين؟

فقالوا: خمسمائة ألف.

فقال: هل علمتُم أن للحبيب محمد مالاً ورّثه يكون قدرُه ما ذُكر؟ أم هل كان له عقارٌ تفي غَلته بما ذكر؟ أم هل كان له جامكيةٌ من أحد؟ أو تجارة تفي بذلك؟

قالوا: لا.

قال: فهل علمتم أنه يأخذ من أحد شيئاً إلا دَينا؟

قالوا: لا.

قال: فدَينه في العشرِ السنين المذكورة مائةُ ألف خَرج ستين، وأربعمائة ألف خرج ثماني سنين! من أين أتى بها؟

فقالوا له: صدقتَ؛ إن العجبَ إلا من قلّة دَينه لا من كثرته». انتهى.

وهذه كرامة ظاهرة وآيةٌ بينة باهرة، ولم يتنبه لها إلا البدوي المذكور، ولا يستغرب كون سيدي قدس سره يستغرق خمسينَ ألف في السنة بل ذلك قليل، ومن تأمل ما تقدم لم يستغربْ ذلك.

وإلى ما ذكره هذا البدوي يشير قولُ الحبيب عبد الله بن أبي بكر العطاس المتقدم لسيدي: «وأنت يا أخي ويا حبيبي ظهرتَ لنا في مظهرٍ، إن قلنا: إنك معك كيمياء ربما إنك معك كيمياء! أو قلنا: إنك تنقلب لك الأعيان، ربما إنك تنقلب لك الأعيان!»، إلى آخره.

وقال سيدي قدس سره ما معناه: «إن هذه الغراماتِ غرمناها في مصالحَ عمومية لا في نفسي، فإني أحمدُ الله إلى إخواني بما هو أهلُه، فقد عوّدني من عوائده الجميلة بما يقطع أنّه كرامةٌ أهلُ الجهلِ فضلاً عن أهل العقل».

ولما ألحّ عليه قدس سره بعضُ الناس في اقتضاءِ دَينٍ له، قال له قدس سره ما معناه: «إن مرادكم دراهمَ من الغَيب وقصدُكم التضييق علينا، فأرسلوا لنا وجْه: إنا معذورون إذا تضررتم بذلك، ولا شكّ إذا آذيتمونا وأكلفتمونا على خَرقِ الحجاب أنكم تتضررون».

وقد قال سيدُنا الحبيبُ العارف بالله محمدُ بن صالح العطاس لبعضِ البادية ممن له دَينٌ لدى سيدي قدس سره: «إياكَ والتضييق على الحبيب محمد بن طاهر في طلب الذي لك، فإنه عدني الزمان إذا ضيّقت عليه سيأمُر فرسَه أن تعدّ لك دراهمك»، أو ما هذا معناه.

ثم إن لسيدي قدس سره في الاستقراض من بعض الناس مقاصدُ حسنة، ونيات صالحة يعود نفعها على من يستقرض منهم، ولذلك يسلبُ من وجّه إليه نيته وقصده واختياره حتى يقرضه، يريد ذلك أو لا يريده، بل ربما كان ممن يصرح بأن لو استقرضَه سيدي الحبيب لم يقرضه، فإذا جاءه الطلبُ من سيدي قدس سره لم يقدِر أن يمتنع. وكان سيدي الحبيب قدس سره ربما أخبرَ ببعض ما يعودُ على المستقرضِ منه من النفع.

أخبرني بعضُ الثقات قال: «قلت للحبيب محمد: إنكم تستقرضُون من آل فلان ومعاملاتهم في تجارتهم فاسدة، فقال لي ما معناه: إنا لا نصرفُ ما نستقرضُه منهم إلا في المصالحِ العامة، وهي مصرف الأموال الضائعة، ثم إنا إذا استقرضنا منهم فقَدُوا الدراهم وعجزوا عن تلك المعاملات الفاسدة، ومنعُنا لهم منها من هذا الوجه خيرٌ لهم، علموا أو لم يعلموا».

وأخبرني الوالدُ الجليل حسين بن حامد العطاس تلميذُ سيدي الحبيب قدس سره

قال: «قال لي الحبيب محمد: إني أرى صورةَ فلان الباطنة صورةَ حمار، وهو من المتسبين بالمحبة والاستخدام إلى الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، وبغينا بانتقذه من حالته، ولابد من سبب من جهته يسوّغ لنا الشفاعة فيه وهو غافل عن نفسه، وجاهل بما حل به، وكان الرجلُ المذكورُ من الموسرين المعروفينَ بالبخل والشدة.

فقال لي الحبيب: اذهب إليه، وقل: يقولُ لك الحبيب محمد مرادُه منك كذا كذا حاجةً ذكرها، أو تقرضه ألف ريال. فإن أجابَ إلى أحدى الخصلتين فأتِ به وإن أبى فأخبره أنه ممنوعٌ من مكاني ومصافَحتي.

فذهبتُ إلى الرجل وأخبرته بكلامِ الحبيب، وكان ساكناً في بلد بضة، فعظم عليه الأمرُ وثقُلتْ عليه الإجابةُ إلى إحدى الخصلتين، وشق عليه الانقطاع عن الحبيب، لأنه كان حسنَ الاعتقاد فيه وفي والده وجده القطب الحداد، يعرف قدر الانتماء والانتسابِ إلى ذلك الجناب، فطلب مني مهلةً في الجواب.

فتركته عدة أيام ثم عزمتُ على الذهابِ إلى قيدون لزيارة سيدي الحبيب، فجئت إلى الرجل وقلت له: ماذا أقول للحبيب من جهتكم؟ فقال: قل له: سأقرضه خمسمائة ريال. فذهبتُ وأخبرتُ سيدي الحبيب، فقال: لا يمكن أن نَرضى عنه إلا أن يقرضنا الألفَ كاملاً، فرجعتُ إلى بضة وأخبرتُ الرجل بما قال الحبيب، فسكتَ.

ثم إن الحبيبَ قدس سره أصعد إلى القِرَين ومرَّ بمقبرة بُضَة، زار بها الشيخ معروف باجمال، فخرج السادة والمشايخ أهل بضةِ لمصافحته وحضور زيارته، منهم الشيخ صالحُ ابن عبدالله منصبُ الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، وطلبوا من الحبيب الطلوع إلى البلد، فاعتذر لهم عن ذلك.

وكان الرجلُ المذكورُ ممن خرج، فلما أراد أن يصافحَ الحبيب قبضَ الحبيبُ قدس سره يدَه عنه، فعظُم عليه ذلك واشتد عليه الأمر، فأرسل إليَّ وقالَ: سأحضر الألف الريال وأريد الاجتماع بالحبيب، فقلتُ له: إذا رجعَ إلى قيدون.

فلما رجع الحبيبُ إلى قيدون ذهبتُ به ومعهُ الألفُ الريال، فسلمَها للحبيب واعتذر إليه، فقبله الحبيبُ ودعا له، وكتب له حجةً بالألف الريال، بأنها قرضة حسنة، وكان الحبيبُ عازماً على حضُور زيارة المشهد، ثم حضور مولد الحبيب علي بن محمد الحبشي بسيؤون، ثم زيارة تريم وعينات وقسم، فكان الألفُ المذكور من جملةِ خَرجِ الزيارة وفي وجُوه البر». انتهى.

وقد سمعتُ بعضَ السادة يقول: إنّ أرامل تريم وسيؤون وغيرها من البلدان التي يدخلها الحبيبُ محمد يتباشَرْن بقدومه، لما يتعودنَ منه من الصلة والإحسان.

فانظر رحمك الله إلى ما جُبل عليه هذا الحبيبُ الكريم الرحيم من الشفقة والرحمة بالمسلمين، لاسيما المنتسبين إلى جده القطب الحداد، كيف يتسبب في تزكيتهم وتطهيرهم وإدخال الخير عليهم شاؤوا أم أبوا، ولو علم هذا الرجلُ المسكين بما قصدَه الحبيب قدس سره وانكشفَ له من حاله ما انكشف له، لسارعَ إلى بذل الألف بل الألوفِ من ماله لإصلاح حاله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.



ثم إن الحبيب قدس سره لم يُنقصْه شيئاً من ماله، فقد استوفى الألف المذكور من تركةِ سيدي الحبيب قدس سره بعد وفاته، وإنما اختبره الحبيب قدس سره بالاستقراضِ وطهره به مما اطلع عليه في باطنه من الأمراض، التي تحولت بها صورته الباطنة الظاهرة لأهل البصائر صورة حمار، والعياذ بالله. ولما أراد الله السعادة لهذا الرجل ثبتَ عند الامتحان ولم يتزلزل، فربح رضا الحبيبِ وبركته وشفاعته، وفاز بالشفاء من علته، ورجع مالُه إليه.

ويستأنسُ لهذه القصة من بعض الوجوه بأخذه ﷺ الفداءَ من العباس عمِّه رضي الله عنه في بدرٍ لأنه كان مسلماً على أصحِّ الروايات، وبأخذه ﷺ من عمه المذكور زكاةَ عامين في واقعةٍ أخرى، وباستعارته ﷺ السلاحَ من صفوانَ بن أمية عام الفتح مع كراهةِ

صفوانَ لذلك، حتى قال للنبي ﷺ: أغصبٌ يا محمدُ أم عارية؟ فقال ﷺ: «بل عارية مضمونة»[١]، والله أعلم.

وأخبرني الشيخُ الأجل حسن بن محمد بارجاء قال: «جاء الحبيب محمد رضي الله عنه إلى سيؤون في بعض زياراته، واستقرض مني خمسمائة ربية، ووعدني بإرسالها من قيدون، فبعد مدة يسيرة عزمتُ على زيارة دوعن، وأعظم أسبابِ العزم ما حصل عندي من خواطر من جهة الخمسمائة الربية المذكورة، مع ما عندي من نية الزيارة سابقاً، ولما وصلتُ إلى قيدون فرحَ بنا الحبيب محمدٌ الفرحَ التام، وأكرمَنا غاية الإكرام، ولما عزمنا على العود إلى سيؤن لم أجسُر على مشافهته بطلبِ الدراهم وصارت الخواطر تتزاحَمُ في صدري، فقام الحبيب رضي الله عنه عند بابِ المحضرة، ودعا بخادمةٍ له يقال لها «حميدة»، ثم دعاني فجئتُ إليه فوجدتُ بين يديه محملتَين[٢] أتت بهما الخادمةُ، في واحدة: ريالاتٌ كثيرة، وفي الأخرى: رُبِّيات.

وقال لي وهو يتبسم: خُذ ما استقرضناه منك، إن شئتَ من الربيات أو من الريالات. فعلمتُ أنه اطلع على خواطري وما حصل معي من قلق فاستحيت وأخذتُ خمسمائةِ ربيةٍ من الرِّبَابي، وبقيَ في المحْمَلةِ كثير، ودعا الخادمة فأخذت المحملتين، فحرتُ ويلغ بي العجب أقصاهُ من عدم اكتراثِ الحبيب بالدراهم، ولا بمن يتولاها، ولا بما توضع فيه، ولم أرَ دراهمَ كذلك القدرِ في محملةٍ إلا ذلك اليوم! فرضي الله عن هذا الحبيب وأرضاه». انتهى.

وأخبرني بعضُ سكان الحاوي من أخدامِ مقام الحبيب القطب عبد الله بن علوي الحداد: أن سيدي الحبيب قدس سره أرسلَ عدداً من الطسُوت الكبيرة، والأصحان

---

(١) رواه أبو داود وأحمد والنسائي وصححه الحاكم.

(٢) المحملة: إناء يصنع من الخوص.

والأباريق من النحاس، لما كان في الهند، وأنه أمرَ الحبيبَ الإمام عبدالقادر بن أحمد: إذا وصلت الطسُوت يطبخ ملئها جميعها من الرز واللحم ويقسّمه على الفقراء والمساكين، وأرسل دراهم لذلك، ففعل الحبيبُ عبد القادر ما ذكر، رضي الله عنهما وعن أسلافهما وعنا بهم، آمين.



الفصلُ السادس

في وَرعِه واحتياطِه في الدينِ قدس سره

كان قدس سره عظيم الورع شديد الاحتياط في دينِ الله في العبادات، بل في العادات والحركات والسكنات، لا يشكلُ عليَّ شيءٌ من أحواله إلا ووجدت له فيه أسوةً بأحدٍ من سلفه الطاهرين، وقد تقدم شيء من ذلك.

[احتياطه في الفتوى]:

وكان قدس سره شديدَ الورع في المنطق، حتى أنه ربما سئل عن المسألة الظاهرة الواضحة فيأمرُ بأخذها من بعض الكتب.

وكان يقول: «العلمُ كثُرَ مدّعُوه، وقل عارفوه، وصرتُ أعجَبُ من طلبةِ العلم في هذا الوقت وعجَلتهم على الفتاوي مع كثرة الدعاوي، على عكس ما عليه السلفُ الصالح، مع وجود القائم بالوظيفة في كل جهة، فلم يتعينْ على طالب العلم الإفتاء، والحالُ ما ذكر.

فهو في أمانٍ من كَتْم العلم خصوصاً في هذا الزمان الذي كثر فيه الطمَعُ وقلّ فيه الورع، وكثر فيه التلبيس وتسلطَ على غالب الناسِ إبليس، لكثرةِ منازع الهوى، حفظنا الله وإياكم وإخواننا وأحبابنا وأصحابنا، وجعلنا كما يجبُّ في سائر الأحوالِ والأقوال والأفعال». وكان قدس سره يراعي أقوالَ العلماء غالباً.

[ورعُه في المطعم والملبس]:

وأما ورعه في المطاعم والمشارب والملابس؛ فقد كان قدسَ سره يميز بين الحلال والحرام، كما تأتي الإشارة إلى ذلك في البابِ الخامس، في الحكاية الرابعة والثلاثين وغيرها.

قال الإمام محيي الدين ابن عربي رضي الله عنه: «من رجال الله من أعطاه الله تعالى علامةً يعرفُ بها الحرام والحلال في الملابس والمآكل والمشارب وغير ذلك، فاستراح من التعب والتفتيش وسوء الظن بعباد الله تعالى المكتسِبين لذلك المال، ثم إن هذا الأمر لا يكونُ لهم إلا بعد التضييق الشديد في التورّع، وهناك جازاهم الله ونفّس عنهم بإعطائهم ذلك في المطعوم مثلاً، فيستعملونه، ويظن من لا علمَ له بذلك أنهم أكلوا حراماً وليس كذلك. انتهى.

وكان سيدُنا الحبيب قدس سره لا يأكلُ من الأوقافِ المعروفة في كثيرٍ من بلدان الجهة الحضرمية للواردين، ولا من أوقاف المساجد في الجهة المذكورة على الصائمين ونحوهم، ويتنزه عن ذلك جداً.

وكان قدس سره لا يأكل من أطعمة الملوك مهما دعتِ الحاجةُ إلى الدخول عليهم، وقال قدس سره: «من عادتنا ما نجيءُ عند هؤلاء الناس - يعني الملوك - إلا بإذن أو أمرٍ مسوّغٍ لذلك، كشدة تعلقهم بذلكَ كما يفعله معنا أهلُ جهتنا ممن نعرفه من أهل المظاهر الدنيوية، فقد نسمحُ بذلك لأجلِ صلاحهم، لأن نيتنا مع الجميع صالحة». وكان يقول: «من عاداتنا تطلبُنا الملوك ولا نطلبها، وتضيفنا ولا نستضيف لها، إيثاراً لجانب الحق سبحانه».

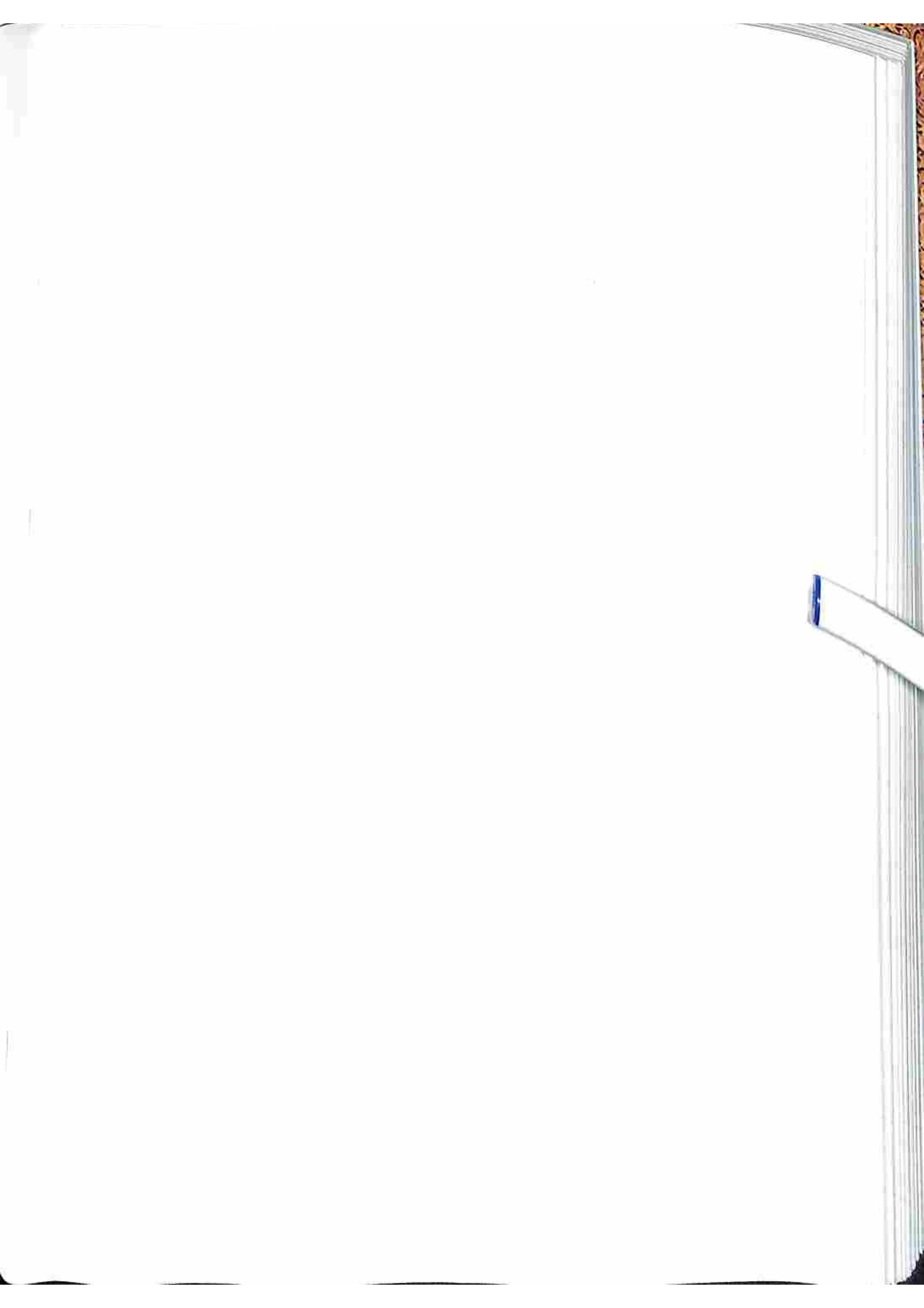
ولما كنتُ معه قدس سره في بعض أسفاره: كانَ يأمرني ومن معَه من أولاده أن لا نكثِرَ من الأكلِ مهما أضافَه بعض الملوك، فنقاسي من ذلك شدةً لما نرى من لذيذ الأطعمة، ولا نجسُر على مخالفته، ويصير يراقبنا وقتَ الأكل فجزاه الله عنا أفضل ما جزى والداً عن ولده.

وأهدى له ذاتَ يومٍ بعضُ الملوك عنباً، فلم يأكل منه، وخرجَ من المجلس فأكبَّ الحاضرون على أكله، فرجع قدس سره فوجدني وولدَه سيدي عبد الرحمن نأكلُ مع الحاضرين، فوبخنا من بينهم، وقال: «مثلكما مثلُ رجل من آل فلان كان كثيرَ الأورادِ ومتخذاً سبحةً، خرج مع أناس من أصحابه فوجدوا ثلاثة رؤوس غنم، فتشاور أصحابه في سَرقة واحدةٍ من الغنم ليذبحوها، وكان فيهن واحدةٌ سمينة ذات قرون، فرفع ذلك الرجل يديه على رأسه وقال: سبحان الله سبحان الله، يشير لأصحابه برفعِ اليدين: أن خذُوا ذات القرون»، فحصلَ معنا غايةُ الخجل، وقمنا وتقايأنا ما أكلناه.

وقد تقدم في البابِ الثامن: أن من حفظِ الله له قدس سره أنه تزوجَ بامرأةٍ وحصل خللٌ في العقد غفِلوا منه، قال قدس سره: «فلم أقدر على القربِ منها، فوقع في قلبي أن هناك خللاً في العقد، فبتُّ في ناحية من البيت أصلّي إلى الصباح، فدعوتُ وليّها وجدّدنا العقدَ، فزال ما أجدُ من الانكماش». وكان قدس سره يقول :«لا نقول ولا نفعلُ شيئاً إلا بدليلٍ وتأهيل وتوفيق إلهي». انتهى.

وكان ربما صدر مني ما أستحقُّ عليه التأديب، فكانَ قدس سره يتحرج عن مساءتي ليُتْمي، فكان يعاتبني على ما يصدر مني بلطفٍ وحنانة، ولم أسمع منه كلمةً خشنةً، ولا رأيت منه نظرةً مروعةً، على أن للولي ضربُ اليتيم للتأديب، وهو قدس سره وليّي ووليُّ أوليائي، وهكذا كان شأنُه في جميع أموره، يسلك مسلك السلامةَ والاحتياط، رضي الله عنه وأرضاه.

* * *



الفصل السابع

في الإشارة إلى تواضعه قدس سره لله تعالى وخوفه منه وخشيته له سبحانه

كان قدس سره شديدَ التواضُع يمشي مع من أخذَ بيده، ويجلس حيث ينتهي به المجلس، ويجيب من ناداه بالتلبية، ويجلسُ على الأرض ليس بينه وبين التراب حائل.

وكان قدس سره يقول: «والله لا أرى لي فضلاً على شيء من مخلوقات ربي، وما أنا إلا خَدّام المؤمنين». وكان قدس سره يقول: «من جعل لنفسه قدراً فلا قدرَ لها، ومن تواضع لله رفعه الله، والأسرار لا توضع إلا في أهل التواضع».

وكان قدس سره يلبسُ ما وجَد كيفما اتفق، وقد كان في بدايته يلبسُ الملابس الفاخرة، ثم كان يعصب جبّته وقميصَه إذا اشتعَقا[1] حتى أنها قد تُرى في جبته أو قميصه ثلاثةُ عصوبٍ، ومع ذلك لا تُرى كهيئة ذلك اللباسِ على أحدٍ من الناس، لما كساه الله به من خلعةِ الجمالِ.

ومما اتفقَ للحبيب مصطفى بن أحمد المحضار من البسط مع سيدي قدس سره: أنه رأى على سيدي قميصاً فيه ثلاثةُ عصوب أو أكثر، فشقّه من أعلاه إلى أسفله، وقال: «ما أنت خالعُه إلا إن انشقّ هكذا!»، فضحكَ سيدي ولبس غيرَه.

---

(١) أي: قُطعا، والشُّعق: الجزء المقطوع من الثوب ونحوه (دارجة).

ويقرب مما ذكر ما فعلَه الحبيب حامدُ بن أحمد المحضار مع سيدي علَوي بن سيدي قدس سره وهو صغير، وذلك أنه وجدَه مع الصبيان وعليه قميصٌ رثّ، فشقه من أعلاه إلى أسفله، وقال: «ابنُ محمدِ بن طاهر كاسي العراةِ وهذا قميصُك!».

وأخبرني الحبيبُ علوي بن محمد بن صالح العطاس، قال: «لما أتى الحبيب محمد إلى وادي عمْد وتزوجَ في الجبُوب، رأيتُ عليه جبةً مشعوقةً، فطلبتُ منه أن نخلعها لنخيطَ الشُّعق، فقال: «لا! هات خوصةً من نخلة واشكُف الشعق بها»، ففعلت.

وكان قدس سره ربما اتكأ على كتفه بعضُ أجلاف البادية ليكلّمه في بعض شؤونه فلا يزجره.

وكان رضي الله عنه يفرّح الفقراءَ والمساكينَ والضعفاءَ والمنكسرين، ويباسطهم ويدخل السرور عليهم، ويطلبُ منهم الدعاءَ وكان يقول في مكاتباته إلى من كان: «من عبده بحمده»، أو: «من العبد المحضِ في مشهدِه وإن ظلم نفسَه محمد بن طاهر الحداد». وقد ذكرت هنا قول القائل:

لا تدعُني إلا بيا عبدها فإنــه أشرف أســمائي

وكان قدس سره يقول: «لا تظن أنك أفضلُ من أحدٍ من خلق الله، فقد قال بعض العارفين: إذا قطع العارف بالله بأنه أفضلُ من شخصٍ مع كونِ ذلك واقعاً، لكن العارفَ ليس عنده علمُ خاتمةِ الأمر، فهو جاهل بالله مغرور، فهذا في العارف المكاشَف بأفضليته لكنه يجهل عاقبته، فكيف بأمثالنا!! وفقنا الله لمراضيه.

فإن بعضَ العارفين لا يرى لنفسه فضلاً على شيء أدون من البهائم كالكلاب والخنازير فضلاً عن أهل لا إله إلا الله من المؤمنين والمسلمين، فاعلم».

[خوفه وخشيته]:

وأما خوفه لله وخشيته له فقد كان رضي الله عنه شديدَ الخوف من الله، عظيم الخشية له، غزير الدمعة من مخافة الله وخشيته، وقد لا يستطيع المشيَ بعد الوعظ من شدة البكاء، وكان يقول: «لنا حالات لا نكاد نحكم على أنفسنا فيها بالإسلام».

وكان يقول: «بكمال الاتباع تظهر الأنوار الحقّية، ولا يكمل الاتباع إلا بترك الابتداع ومخالفة النفس الشيطانية، وهنا مزلةُ كثيرٍ من مدَّعي الوهب، فيحسبون أنهم منزهون عن أشياء هم بها متخلقون، ولو فتشوا أنفسهم لوجدُوها على خلافِ ما يظنون، وأظن أني من أولئك القبيل، فليس لي في قدمِ السلف فتيل، ومع ذلك فإني مدع أني منخلع عن الأكوان، من أهل مقام الإحسان، ولما فتحتُ متاعي وجدت بضاعتي وصاعي، فإذا أنا لا معَ أهل الكمال فأهنأ، ولا اعترفت فأظفر بها به المعترف تمنى، غير أن الظنَّ في الله جميل، والله على ما أقول وكيل».

وكان يقول: «ظهرت لنا في أنفسنا عيوب ما كانت تخطر لنا على بال، كان يسترها المولى بفضله، فالحمد لله الذي أظهر الجميل وستر القبيح، ونسأله الثبات على قدم العبودية، والأدب معه ومع خلقه لنكتسب ونوهب من كل مدد في سائر المدد».

وكان قدس سره يقول: «ليس لي في العير ولا في النفير، ولا أراني إلا كالمستعير فبالله أستجير، من الحجاب الذي هو أحر من السعير وأبرد من الزمهرير، وأستنصره على نفسي فهو نعم المولى ونعم النصير».

وقال في مكاتبة: «وأما حالنا فكما تعلمون؛ لأن تسمع بالمعيدي خير من أن تراه».

وقال في أخرى إلى سيدي العارف بالله أحمد بن حسن العطاس: «وأحمد الله إليكم بما هو أهله، ولولا رأفته ولطفه وجميل عوائده لذبتُ مما رأيت من نفسي وقصورها، ولكن بذاته وبجوده وجميل عوائده ثقتي، فأشكره إليكم على المعاملة معي بما هو أهله على ما فيّ».

وقال قدس سره: «والعبدُ عبد على كل تقدير، فيعتريه الخوف والرجاء والقبض والبسط والهيبة والأنس، على حسب الأحوال، وقد علم كل أناس مشربهم، وحسنات الأبرار سيئاتُ المقربين، ولولا أني محجوب، لأبنت عن ذلك الأسلوب، وأسقيتُ من ذلك المشروب، ويتنقل الإنسان تنقل المسافر، وتعتكر عليه الخواطر، ويقال له: الطريقُ أمامَك، ولنا في الموطن أبيات من قصيدةٍ فيها تقريب:

وإن شئت أن تطوي المسافة طائراً   إلى حضرات القرب يا خير مرتقى
فدونك قرع البـاب بـالفقر قـائلاً   إليك اللجا تدعى هنالـك منتقـى

وشأنُ المؤمن الخوفُ والرجاء، بشاهد: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»، «جز يامؤمن فقد أطفأ نورك لهبي»، والسرُّ هنا في التسمية بالمؤمن، فافهم.

فهِجِ الأعمالَ إذا ركَدتْ   فإذَا ما هِجـتَ إذا تهـجِ

وإن قدَر العبدُ على التخلص من الخوف والرجاء، ثم من القبض والبسط، ثم من الهيبة والأنس والانطراح المشار إليه آنفاً، فهو الإكسير، ولا ينبئك مثل خبير.

فهاك من واصف مجازف، أخذته الدعوى بزخرفها، وحب النفس برفرفها، حتى ظن السرابَ ماءً، غير أن له تمسّكاً بقوله: ﴿فوجد الله عنده﴾. فإمّا وإما، لكنني أنزلتها باب الكريم، ولن أخشَ انقطاعاً بعد إنزالي».

[طروقُ الأحوال عليه]:

وكان في قيامه بالليل تطرقه حالاتٌ عظيمةٌ من الخوف، شأنَ أمثاله من العلماء بالله وكبريائه وجلاله، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

أخبرني سيدي العارف بالله الحبيب محمد بن أحمد المحضار قال: «بتنا ذات ليلة مع

الحبيب محمد، فلما كان آخر الليل قمتُ وإذا بالحبيب محمدٍ في مناجاةٍ سرّية، يمرغ خديه في الأرض ويبكي».

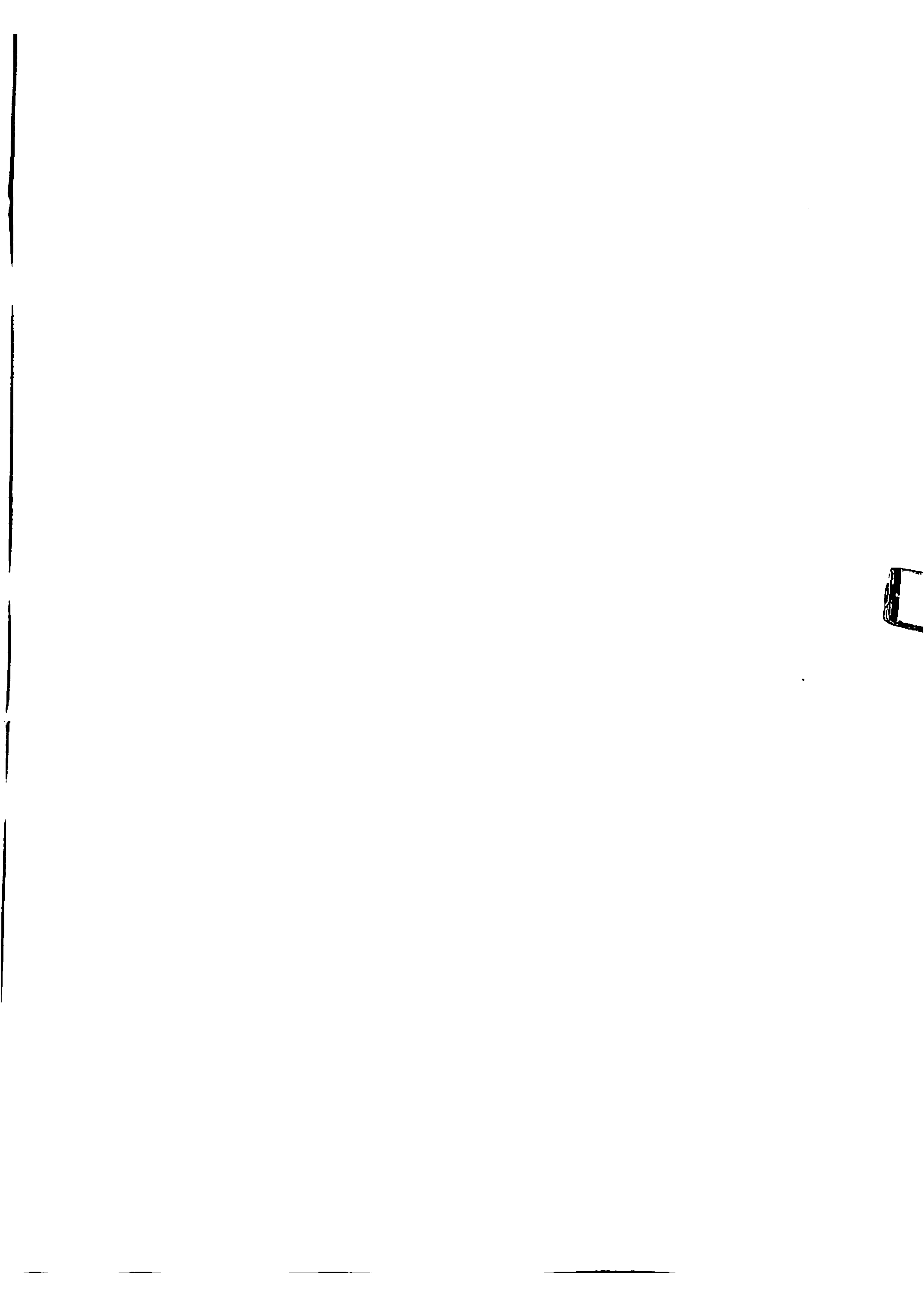
[خدمَتُهُ الأضياف]:

ومن تواضُعه قدس سره خدمتُه لأضيافه؛ فقد كان قدس سره يحبّ أن يتولى تقطيع اللحم لأهل الحلقة التي هو فيها، إذ كان من عادة أهل دَوعن أن يأتُوا باللحم لكل حلقةٍ مجموعاً، ثم يتولى تقطيعه أحدُ الآكلين، ويضعه مقطعاً بينهم، فكان سيدي كثيراً ما يتولى ذلك.

أخبرنا شيخُنا العلامة عمر بن أحمد بن عبدالله البار، قال: «جئتُ زائراً عند الحبيب محمد، واتفق أن لم يكُن عنده ضيفٌ في ذلكَ اليوم إلا أنا وخادمٌ معي، فلما قدم الغداء وكان رزاً ولحماً كثيراً، ودنونا للأكل، أخذ الحبيب محمدٌ السكين، فأردنا أن نكفيه مؤنة التقطيع فأبى، واستمر يقطع ويؤانسنا بالحديث ونحن نأكل، وكنا نظنه يأكل وإذا هو يؤثرنا باللحم، حتى قطعه وأكلناه كله، أنا والخادم! فلما قبضنا أيدَينا من الطعام ولم تبقَ لنا به حاجة، قال لنا على سبيل المباسطة وهو يتبسم: إنكم أكلتم رأساً كاملاً، وكان الأمر كذلك، إلا أنه رأس صغيرٌ على اللبن».

وكان الحبيبُ عمر يحكي ذلك مغتبطاً بإيثار سيدي الحبيب قدس سره له ولخادمه، ومسروراً بمباسطته له، ويشير بذلك إلى ما كانَ بينه وبين سيدي الحبيب من عدم الاحتشام نفعنا الله بهم أجمعين.

* * *



الفصلُ الثامِن

في صبره واحتمالِه وحلمه وصفحه وعفوه عن المسيئين

كان قدس سره جبلاً راسخاً، وطوداً شامخاً، لا يكاد يظهر عليه شيء عند ورود الشدائد وصدور الحوادث، ولا تحركه الهزاهز والبواعث.

قال قدس سره في بعض وصاياه: «استعن على فعل الطاعة مع الإخلاص وترك المعاصي، للامتثال بالصبر، فإن الصبرَ نصفُ الإيمان، وما يُلقّاها إلا الصابرون.

وحالفِ الصبرَ واعلمْ أن أوّله مرٌّ وآخرُه كالشهْدِ والـضرَبِ

وأوصيكَ بالأدب مع الله ومع خلقه، وحسن الظن به وبخلقه، ففي الأدب بلوغ الأرب، وفي حسن الظن الفوزُ بالمنن، ومما يعينك على الأدبِ شهودُ الأمورِ صادرةً من حكيم مختار، ولا يكون إلا ما يريد، فإن الحكيم المختار لا يفعلُ إلا ما فيه الحكمة، وإذا كانت الإرادةُ غالبةً، فما فائدة المغالبةِ إلا العطب!

فالزم الأدب تفز بالأرب، ولا بأس بالدعاء برفع ما تكره، مهما لم تكن من أهل الأدب، ولا يكون إلا ما يريد، وقد يرحمُ الله بعض عباده من باب: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ﴾، وهنا أمواجٌ متلاطمةٌ لا مجال لسفُنِ العقلِ فيها، ﴿ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ﴾».

وقد تقدم قولُ والده سيدنا الحبيب طاهر قدس سرهما: «البحر عند محمد سلقة»، مشيراً إلى ما الإشارةُ إليه من صبره واحتماله ورضاه عن مولاه سبحانه، وأدبه معه.

[حلمه وصفحه]:

وأما حلمه وصفحه؛ فقد كان قدس سره يأخذ العفو ويأمر بالعرف ويعرض عن الجاهلين، يغضي عن الهفوات ويعفو عن الزلات، ولا يجازي بالسيئات إلا حسنات.

بلغه قدس سره أن بعضَ الناس تكلم في حقه بكلام غير لائق، فقال قدس سره: «أما من جهتنا فهم في حلّ، ولكن شوفوا لله غيرة على أوليائه».

وبلغه ما يكره من بعضِ الظلمة، وسُئلَ أن يدعو عليه، فقال قدس سره: «مقامي مقامُ رحمة، لا ينبغي لي أن أدعو على أحد»، ودعا له.

وبلغ من حلمه وصفحه: أن قالَ له بعضُ الناس في محفلٍ عظيم: شيخك الشيطان، فلم تتحركْ له شعرة، ولم يحنق على ذلك الشخص فضلاً عن أن ينتقم منه، مع القدرة على ذلك، بل زاد في احترامه. وقد بلغَني: أن الشخصَ المذكور قد عُوقب بأن انخلعَ عن مذهبِ أهل السنة والجماعةِ، وانتحلَ مذهب الرفضِ والابتداع، فنسأل الله الحفظ من التعرضِ لسخطه وسخط أحبابه.

وبلغه قدس سره: أنّ بعضَ المترسِّمين من الهنود أنكرَ عليه في شيء، فوقع له يقظةً أو مناماً ما أوجبَ رجوعَه عن الانتقاد إلى الاعتقاد، فأجابَ قدس سره بقول جدّه قطبِ الإرشاد (شعراً):

مـاذا يقـول المنكـرون	فـيمن لـه قلـب سـليم
عـلى جميـع المـسلمين	وقصده الـرب الكـريم
ويعتقـــد في نفـــسه	بأنـــه عبـــد ذمـــيم

لــــولا عنايـــة ربــــه　　لكــان بطــالاً جهــول

الله حــــسبي وكفـــى　　قل ما تشا يا ذا الفضول

ولما أنكر عليه بعضُ الناس، وألفَ رسالةً في ذلك وطبعها، وأتى فيها بما لا يليق ذكره، أجابه قدس سره برسالةٍ قال في أولها:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾

الحمد لله الذي شرفَ الإنسان بالعقل، وأكرمه بالتقوى، ونسأله الحفظ من الغواية والأهواء، والأعداء وسائر الأدواء، ونستمد منه دوامَ صلواته وسلامه على سيدنا محمد ﷺ الحبيب المقبول، وعلى آله وصحبه أئمة المعقول والمنقول، ونستمنح منه أن يحفظَ بما حفظ به العلماءَ الخاشعين، والدنا العزيز فلان بن فلان، وإياي آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وقد وصل إليَّ كتابُكم، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وإنما لكم سابقُ محبة فلا نبدّلها بعداوة من أجل كلامكم علينا، بل الاحتمالُ شأنُ الرجال، وحيث كان دأب الفقير وشأنه الدعوةُ إلى مولاه، ونصيحة إخوانه حسبَ طاقته، على ما فيه، بإشارة من معدنها، أحبَّ أن يجوّب على بعضِ كلماتٍ في كتابكم، لإزالة ما خطر لكم، نصيحةً مجردةً، للحذر من الوقوع على غيره، فإنه والحمدُ لله ممن يحتملُ مثلَ كلامكم وأكثر.

فأقول والله المستعان:

اعلم سيدي لا جهلتَ! أن كلامَكم لنا إما أن يكون لمجرّد النصيحة لله لا غير، فقبلناها على العين والرأس، ونقول: ما خفي عنكم أكثر، والله الساتر ويحب الستر على عباده، فلا جواب ولا عتاب، ونحملكم على السلامة.

وإما أن يكون الحاملُ لكم شيء مما ظهرَ أثرُه في كتابكم، فقبلناه أيضا بقطعِ النظر عنكم، ولا يضرنا ما تفوهتم به علينا، حيث برئتْ ساحتُنا من ذلك بمشهدٍ من علام الغيوب. ولعلنا أسأنا الأدبَ عليه سبحانه أو على أحدٍ من عبادِه العارفين به، لا بِما ظننتم، فقيظكم كالعِظَة لنا، فأتوبُ إليه وأشكرُه، وأسأله الإقالةَ من سائرِ أفعالي وأقوالي وأحوالي، الحسنة والقبيحة، وأن يعاملني بالإحسان، فإنما أنا عبده ..»، إلى آخر ما أطال به قدس سره، وهي مثبتة في المكاتبات، فلينظرها من أرادها.

وقد عوقب المنكرُ المذكور بأن اختلفَ هو وبعض طلبة العلم من الجاوه في إفتاء على واقعةِ حالٍ فانتصرَ كل منهما لنفسِه، فمزق الجاويُّ عرضَ المنكِر أشدَّ تمزيق وسبّه أقبح السب، وطبع الرسائل المشتملةَ على ذلك، ونشرها في الأقطار، جزاءً وفاقاً لما صنع. على أنّ رسالته التي أنكر فيها على سيدي قدس سره لم يقبلها الناسُ ومزقوها كل ممزق ورد عليه خلق كثير.

وقد تقدمت الإشارةُ إلى ردِّ ما أوردَ فيها من شبهٍ لم تقمْ بها له حجةٌ ولا برهان، ولم يكن له بها من سلطان، وفقنا الله وإياه وأحبابنا والمسلمين لما يحبه ويرضاه، آمين.

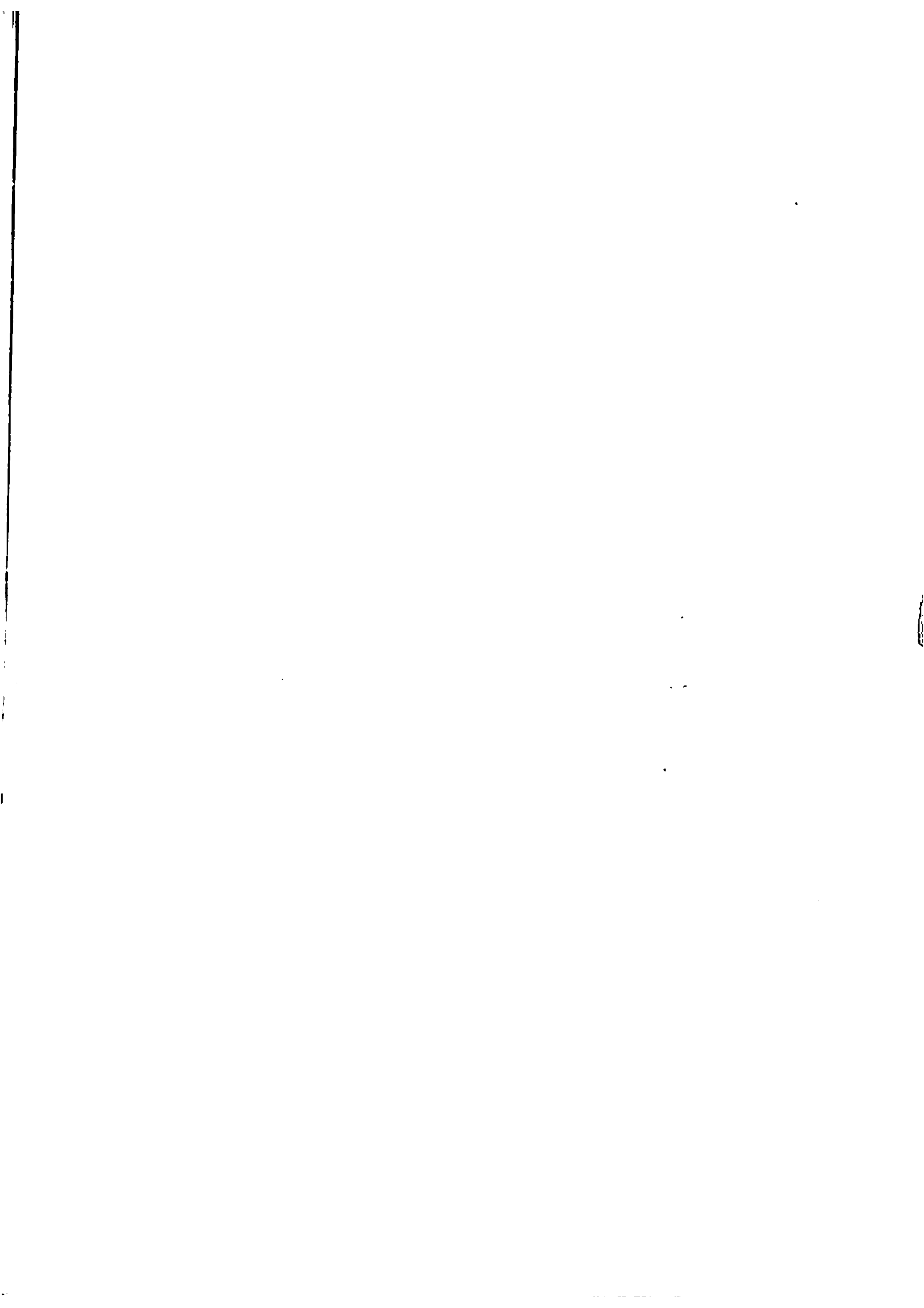
ولما بلغ سيدَنا الحبيب قدس سره ما وقع فيه من الجاويُّ ساءَهُ ذلك، ولم يزل موادًّا لذلك البعض، ومكاتباً له، ومؤوّلاً لما صدر منه، وداعياً له، وهو مقام الوراثة العظمى لسيد أهل الأرض والسماء أعني الرحمة للظالم والدعاء له والشفقة عليه فقد قال ﷺ لما شُجَّ وجهُه وكُسرتْ رباعيته: «**اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون**».

وكلمه قدس سره ذات يوم بعضُ البادية بكلام جاف، فصار يتبسم قدس سره، وصرفه بلطفٍ ورأفةٍ وكلام عذب، ثم قال قدس سره: «الحمد لله لا تتحرك نفسي الآنَ من مثل هذا الكلام، وقد كان يحركها ذلك».

ورماه بعضُ جيرانه بالحجَر وهُو في سطحِ داره يدرّس لأصحابه، فأرادوا معارضته

والانتقامَ منه، فقال لهم: «لا تكونون مثله، قوموا نجلس تحت السطح ونأمن من الرجم»، هذا؛ وهو قادرٌ على الانتقام من ذلك المؤذي بما أراد، إذ هو الآمر الناهي في البلد، بل في الوادي جميعه، فرضي الله عنه وعنا به، آمين.

❋ ❋ ❋



الفصلُ التاسع

في الإشارة إلى زهده فيما سوى الله وتوكله على مولاه ورجائه فيه وحسن ظنه به سبحانه وتعالى

أما الزهد في الدنيا بل في الدارين، بل فيما سوى الله تعالى فهو شأنه، وإليه يدعو بأقواله وأفعاله، وإلى ذلك يشير قوله (شعراً):

وزهدُكَ في الدنيا كثيرٌ فوائدُه   وزهدُك في الكونين عزٌّ ومقدارُ

وقد تقدم قوله: «لو أردنا الفلوسَ من السِّتر لأخرجناها»، وهذا هو حقيقةُ الزهد، كما قال الإمام أبو يزيد البسطامي قدس سره: «حقيقة الزهد لا تكونُ إلا عند ظهورِ القدرة، والعاجز لا يصح له زهده، وهو أن يعطيه كُن، ويطلعه على الاسم الأعظم، ويقدّره على الأشياء بإظهار الكونِ، فيزهد في ذلك حباً لله تعالى أن يعمل عملَه، ويتركَ حباً لله تعالى أن يقومَ مقامَ القدرة، وكشفُ هذا المقامِ يخرجُ إلى علمٍ غريبٍ لا يعرف، وسر عجيبٍ لا يوصف». انتهى.

وكان يقول: «يتوهم بعض الناس منّا الحدةَ أو تكليفَ مالا يطاق، وكلا الأمرين محال، بل سلامة وحسن أخلاق وزهد في الأكوان، وانتفاع خاص وعام».

وكان يقول قدس سره: «ما لنا نظر في المخلوقات علوًا وسفلاً:

لا أشتكيكَ إلى الذينَ هُم   عندي الهباءُ إذا انتهى النظرُ

والله على ما أقول وكيل».

[توكله على مولاه وثقته به]:

وأما توكله قدس سره على مولاه وثقته به سبحانه؛ فقد كان يقولُ قدس سره: «لو رأينا في القلب محلاً لغير الله سبحانه لحكمْنا على أنفسنا بالكفر».

وكان يقول: «لا نحتاجُ مع الله إلى غيره سبحانه».

وكان يقول قدس سره: «قد كفاني الله المؤنةَ في نفسي، فلست محتاجاً لغيره سبحانه، فله الحمد، والله مالنا إلى غيره نظر».

ومن كتابٍ منه لبعض السادة، قال قدس سره: «فلا أطلب ولا أرجو من أحد شيئاً، بل عليه سبحانه الاعتماد في الدين والدنيا، وإذا لاحت اللائحة وظهرت التجارة الرابحة، فالقول ما قال وليكم الحداد، وقد وفى بالمراد:

أنزلتُها بابَ الكريمِ ولَن　　　أخشَى انقطاعاً بعدَ إنزالي

هذا حالُ ولدكم اليوم».

وقد رأيتُ منه عجباً، وحكَى بعضُ الناس، قال: كنتُ بحضرة الحبيب محمد فجعلتُ أكرر قوله تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾، وأنزل حالَ الحبيب عليها في باطني من غير أن أحركَ لساني، وكنت بعيداً منه، فجاءَ إلى عندي قدس سره وقال: «نعم؛ هكذا حالنا».

وقال قدس سره في كتابٍ منه لبعض الملوك :«ولا غرضَ لنا في جاهٍ ولا مال، لا منكم ولا من غيركم، أما المال فقد أغنانا الله سبحانه بفضله عمن سواه، وأما الجاه: فقد أتعبَنا ما هو حاصل، وقصدُنا النفعُ لا غير».

وكان يقول قدس سره: «اللهم إن يكن لنا نظر إلى غيرك فقد كفرنا».

وكان يقول: «نحن ممن أنزل أمورَه بربه فكفاه، ولا يوجد من له منة علينا إلا مولانا».

ومن نظمه الذي يشير بعضُ معناه إلى ما ذكرناه، قوله قدس سره، (شعراً):

تكلنـــي إلى مـــن ذا فغـيرُك لا أهـــوى	بعـــزّك أســتكفيك مـــن ألم البلـــوى
توجـــه قلبـــي في مـــرادي وقَـــالَبي	إليك رفعتُ الحمد والشكر والـشكوى
إلى جـــود مـــولاي التجـــأت وفـضله	وفارقــت نفــسي والخلائــق بــالرجوى
هربـــــتُ إلى ربي بفقـــــري وفـــــاقتي	فيـــا خـــير منـــزول بـــه بـــدد الأهـــوا
وخذني وخـذ بي وارض عنـي ورضِّـني	وغثنـي فقـد خالفـتُ فـيما أرى سـهوا
أنـــا بـــك أســـطو لا بحـــولي وقـــوتي	ولا الغير حاشا بل بك الفخر والدعوى
فـإن تـرض عنـي فهـو أسـنى مطـالبي	وإن كانت الأخـرى رضـيتُ بـما تهـوى
ولكـــن ظنـــي فيـــك يبـــدي عجائبـــاً	ملاحـاً وسِرِّي مـن شرابـك لا يـروى
ولي مطلـــب مـــن هـــذه الـــدار أسـتحي	إذا قلـت هـذا مطلبـي وهـو لا يـسوى
ولكننـــــــي بالافتقــــــار رفعتـــــه	إليـك فجـد يـا عـالم الـسر والنجـوى
أيعـــسر مـــا أرجـــوه والفـضل واسـع	وأخـشى وأنـت المـستعان مـن الأدوا
وقد صح عـن مـولاي يرويـه وصـلتي	أنا عند ظن العبـد يـا حـسن مـا يـروى
فواصـــل شـــهودي بـــالجمال وقـــد بـــدا	على أكمل الأحـوال في المنهج الأقـوى
وصـــل عـــلى سر الـــسرائر نخبـــة الـــ	أكـــابر مجـــلي مـــا يبـــاح ومـــا يطـــوى

***

[رجاؤه في الله وحسن ظنه به سبحانه]:

وأما رجاؤه في الله وحسن ظنه به سبحانه وتعالى، فأمر لا يوصف، وأقواله طافحة بذلك، وأفعاله دالة وداعية إلى ما هنالك.

كان قدس سره يقول: «لا نرجوا ولا نخافُ غيرَ الله».

ومن كتابٍ منه قدس سره لبعض الملوك قال: «وتأملوا كتابنا وأعطوه حقَّه، فهو كتابُ ناصحٍ لكم، لا يرجوكم ولا يخافكم، أما الرجاء فرجاؤه في الله أغناه عنكم وعن غيركم، وأما الخوفُ فهو معدوم ضرورة».

وكان قدس سره يقول: «في حسن الظنِّ الفوزُ بالمنن، عليك بحسن الظن بالله وبعباده، ففي ذلك من الأسْرار ما لا سبيلَ إلى نفاده».

ومن كلامه في ذلك قولُه في بعضِ قصائده (شعراً):

وفي حُسنِ ظنِّ المرء بالله سعدُه ... فناهيكَ حيثُ العبدُ في الأمرِ مختارُ

وقال في أخرى:

وفي حسنِ ظنِّ المرءِ بالله ما يشا ... فناهيكَ حيثُ الحكمُ حكمُ المشيئةِ

يشير بذلك إلى ما في الحديث القدسي من قوله سبحانه: «**أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء**»، الحديث. وقد تقدم قوله رضي الله عنه: «والله لا خوف ولا ضرر على أحبتي إن غابوا وإن حضروا، والظن في الله جميل».

وقال رضي الله عنه في بعض قصائده، (شعراً(:

عسَى يفتحِ الفتاح بالفتح للذي ... غدا شأنه العجبُ المشومُ لغفلة

وسهو ولهو وادعاء ونخوة ... أطعت الهوى وا حسرتي كيف حيلتي

ولكنني أرجو إلهي وسيدي وفيه الرجا أقصى مرادي وبغيتي

وقد عوّد العبدَ الضعيفَ عوائدالـ ـجميل بها أبداه سرُّ المحبةِ

وتأمل قولَه قدس سره في الأبيات المتقدمة:

فإن ترض عني فهو أسنى مطالبي وإن كانت الأخرى رضيت بما تهوى

ولكن ظني فيك يبدي عجائباً ملاحاً وسِرِّي من شرابك لا يروى

وقد صح عن مولاي يرويه وصلتي أنا عند ظن العبد يا حسن ما يروى

فقد اشتملت هذه الأبياتُ على إشاراتٍ إلى عليِّ المقامات، يعرفها أهلها لا سبيل لغيرهم إلى فهمها، فضلاً عن التعبير عنها.

والكلامُ على تحققه قدس سره ورسوخِ قدمه في مقامات اليقين، أشبهُ شيء بتحصيل الحاصل، إذا كان من عارفٍ كامل، فضلاً عما إذا صدر ذلك عن أعمى لا يعرف من تلك المسميات إلا الأسماء، غير أن الاعتذارَ قد سبق، والمائدة تحمل الطفيلي، والمرادُ الإشارة لا الاستقصاء، ففضل الله لا يحصى.

* * *

الفصلُ العاشِر

في الإشارة إلى محبّته قدس سره لمولاه سبحانه وتعالى وأنسِه به وشوقِه إليه

وذلك مما يعلم ضرورة مما تقدم؛ فجميعُ ما ذكر في هذا الكتاب دلائلُ وبراهين على محبة الله سبحانه له، ومحبته لمولاه سبحانه وأنسِه به وشوقه إليه، إذ المحبُّ لمن يحب مطيع، وقد اتضح كمالُ اتباع هذا الحبيبِ الكريم لجده الرسول العظيم عليه أفضل الصلاة والتسليم، وقد جعل الله سبحانه اتباعه ﷺ علامةً من عبيده على محبته سبحانه، فقال في محكم التنزيل: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾.

فقد كان قدس سره ذاهباً في ذلك الجمالِ المقدّس، مستغرقاً في شهوده، لم يبق فيه متسع لغيره، وذلك أمر عرفه منه أهله، فأخبروا به وأظهروه، بل أخبروه بأن حظه قدس سره من المحبة الحظَّ الأوفى، ومورده منها المنهل الأهنى الأصفى، وأنه تاج رؤوس أهل تلك الحضائر، المشنف له كأسها الدائر، كما صرّح بذلك شيخه القطبُ الحبيب أحمد بن محمد المحضار في قوله المارّ (شعراً):

جاءتني اليوم منك يا محمد بشاير	مرحباً مرحباً يا تاج أهل الحضائر
ذي لهم في المحبة قسم مقسوم وافر	تسعة أقسام لك عادك تبا قسم عاشر
في المحبة وحبلك ما هو اليوم قاصر	يوم مديت في الإحسان باطن وظاهر

وما أنسب هذه الأبيات وما أشارتْ إليه من المعاني الجليلة، بقولِ الأستاذ مولى الدويلة:

الحـب حبـي والحبيـب حبيبـي	والسبق سبقي قبل كـل مجيب
نوديـت فأجبـت المنـادي مسرعاً	وغطست في بحر الهوى وغُدي بي
لي تـسعة مـع سـبعة وثلاثـة	مـع تـسعة أيـضاً وعـاد نـصيبي
مـا تعلمـوا أني المقـدم في الـورى	ليلـة سري بـاليثربي أسري بي

وقد تقدم أيضاً قول الحبيب أحمد المحضار: «الولد علي الحبشي، والولد محمد بن طاهر، من المتهيدلين ـ أي المدلِّين ـ على ربهم».

وقد ذكر الحجة الغزالي قدس سره في «الإحياء»: «أن الشوقَ والأنسَ من آثار المحبة، وإن الإدلالَ من أثار دوامِ الإنس وغلبته واستحكامه، وهو أعلى مقامات المحبة وأعزها وأشرفها، والإدلال هو الانبساطُ في الأقوال والأفعال والمناجاة مع الله سبحانه، وقد يكون منكرَ الصورة لما فيهِ من الجراءةِ وقلة الهيبة، ولكنه محتمل ممن أقيمَ في مقام الأنس».

وقد تقدم قولُ الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي نفع الله به: «توجد في كلام الحبيب محمد ـ يعني سيدي ـ كلماتٌ ومخاطباتٌ لا يسوغ الإتيان بمثلها من باب الأدب إلا لمن مثله من المحبوبين، أهل الإدلال»؛ لأنه قدس سره له الإدلال التام في حضرة المولى سبحانه وفي حضرة الحبيب ﷺ وفي حضرات العارفين أهل الوقت السابقين. وقد تقدم أيضاً قولُ الحبيب القطب علي بن محمد الحبشي في وصفه لسيدي قدس سره: «ذي الهمة العلية، والنفس الزكية، والروح المتعلقة بالمراتب القربية، الراسخة في المشاهدة الحبية»، والشاهد لما هنا قوله: «الراسخة في المشاهدة الحبية».

وأخبرني الشيخُ الأديب بكرانُ بن عمر باجمال، قال: «جاء الحبيبُ محمد زائراً لسيدي الحبيب علي الحبشي، فخرج لملاقاته، فلما تصافحَا وأكبَّ الحبيبُ محمد على كفِّ الحبيب علي يقبلها، وضع الحبيبُ علي يدَه على كتفَي الحبيبِ محمد، وجعل يضرب بها وينشد، (شعراً):

أحبَّ قلبي ومـا درَى بـدني ولو درَى ما أقامَ في السّمَنِ

قال: «فخرَّ الحبيبُ محمدُ على قدم الحبيبِ عليٍّ يقبلها». انتهى.

وأما الشواهدُ لما هنا من كلام سيدي قدس سره فأكثر من أن تحصر، وقد تفرقت في هذا الكتاب يعرفها من تأملها.

ومن كلامه المنظومِ المشير إلى سُكرِه من ذلك الرحيق المختوم، قوله قدس سره ونفعنا به، آمين، (شعراً):

علام التجـافي يـا سـعادُ ولا ذَنـبُ وحتامَ نارُ البعدِ في القلـب لا تخبُـو

وذلك نظير قول جده القطب الحداد قدس سره:

ما بـال جيراننـا بالبـان مالوا عن الـود والحـب
وصيروا حظنا الهجران ومنهم ما ثم مـن ذنـب

قال العارفُ بالله السيد جعفر بن حسن البرزنجي: «إنه قالها بلسان المحبة، والمحبوبُ هذا مقامُه واشتياقُه، مع قربه يظنُّ بعدَه، ومع وصلِه يظنُّ انفصاله وهجره». انتهى.

وقد قال سيدي قدس سره بعدَ البيت المتقدم:

ودام لنـــا إمـــدادنا مـــن الهنـــا وأسكرنا صافي الشراب لنا شِربُ

وأشـــهدنا المـــولى جمـــالاً محجبـــاً ولا حجب لولا أنه ذكر الحجـبُ
ولا زال هــــذا دأبنــــا وعـــــذولنا مهـان ولا لـومٌ علينـا ولا عتـبُ

ومن ذلك قوله قدس سره:

بان الصفا والهوى في القلب مستتر لـولا العنايـة لا يقـوى لـه البـشر
ليس الهوى مـا يـراه النـاظرون إلى قواعد العقل هذا غـير مـا سـبروا
يا أهل هذا الهوى رقوا لذي سـقمٍ أولاه دعـواه مـا لا يفـصح الخـبر
فهـــام بالحـــب والآداب أهملهـــا جهــلاً وســاعده في حبــه القــدر
وخاف ــ لـولا جمـال الله عـوده ـ مــن البعــاد ولا والله لا هجـــروا
هم الأحبة حلـوا مهجتـي ودمـي حل لهم لست أطوي قط ما نشروا
قـــصدتهم بفـــؤادٍ واثـــقٍ أبـــداً بالجود مـنهم بـلا غـير كـما أمـروا
وقلـتُ هـا أنـا يـا أهـلاه مطرحـاً كل الوجود فـلا تبقـوا ولا تـذورا

ومن ذلك قوله قدس سره:

لا أرتجي غير مـن أهـوى وإن هجـروا هم المـراد لـدى الهجـران والـسول
أنـــا المحـــب ولا أرضى بهـــم بـــدلاً عــلى محبــة مــا يرضـــون مجبـــول

ومن ذلك قوله قدس سره:

سرنـــا في العـــشق بـــاح واســتهام القلــب خــوف الغـيرةِ
وعـــرى الـــصب الـــصياح واشــتكى خــدي حــرارة دمعتــي

إلى آخر هذه الأبيات فلتنظر في الديوان.

ومن ذلك قوله قدس سره:

قف بالربوع وناد الربع يا عمر　　إن كنت مثلي فما أغناني الخبر

سبرت شوقي فلم أسطع نكايته　　ضعفاً ولم أستطع صبراً كما صبروا

فقلت يا قوم عيل الصبر وانقطعت　　علائق الكون منها العين والأثر

إلى آخر القصيدة، وهي التي يقول في آخرها:

فافهم إشارة ذي وجدٍ على قدم　　من الغرام وناد الشمس ياقمرُ

وتحت جوهر لفظي ما يبيح دمي　　لولا الرصانة فارم الفكر يا عمر

ومن ذلك قوله قدس سره في القصيدة التي يخاطبُ بها سيدنا العارف بالله نور الدين، وجوهرة العقد الثمين، الحبيب علي بن محمد الحبشي نفع الله بهما، آمين:

كيف حالك وحال أهل الفجاج الوساع

أهل ودي وودك مالهم في امتناع

يا عجب يا عجب طولت في الحب باعي

جيت با أذرع بعلمي ما انضبط لي ذراعي

قابل الريح كله في مرادي شراعي

فا افكروا يا أهل ليلى وارفعوا لي قناعي

أين ما جيت حصلت المراعي يراعي

كلها له وبه تجري ويبدو اتساع

قلت يا أهل الهوى عرشي وذي القاع قاعي

فاحزموا بالمواشي من سموم الأفاعي

وافهمــوا الرمــز حتــى لا تخــافوا ضــياعي

ذا هنــا بحــر مــا يــصرين فيــه الــسواعي

اح يــا أهـــل الهـــوى هـــذا أوان ارتفــاعي

واتــضاعي إذا صــح الهــوى لانتفــاعي

ومن ذلك قوله قدس سره:

يقــول الهاشــمي لي قلــب سـالي　　شرب مـن كـأس صـافي الأنـس كرعـه

مزبـــر في الـــشدائد مـــا يبـــالي　　ولي ســـطوه عـــلى الأعـــداء ومنعـــه

مـــن البـــاري وســـادات الرجـــال　　ولي في كـــل قريـــة نـــاس تبعـــه

ومن ذلك قوله قدس سره:

وقتي صفا يا نـاسْ وقتـي صـفا　　ومـــشربي في الوقـــتْ صـــافي

واستقصاءُ ما يشير إلى ما هنا من كلامِه قدس سره يطول، فأكثر نظمه على هذا المنوال وفي هذا المجال، وهو عزيز المثال غريب الانسجام، بعيد المرمى والمرام، كما قال قدس سره في أبيات:

مرمـايَ يـا نـدمانِ مرمَـى بعيـدْ　　يـــدري بهـــذا كـــلّ صـــنديدْ

وقد كان قدس سره كثير الترنّم بما يشيرُ إلى هذه المقاماتِ العالية، من أشعار أهل الذوق، والأرواح والهمم الصاعدة إلى فوق، كقول القائل:

يقولـون: خَبّرنـا فأنـتَ أمينُهـا　　ومـا أنـا إن خـبرتُهم بـأمينِ

وكقولِ الشيخ ابن الفارض:

يقولونَ لي: صِفها فأنتَ بوصْفها   خبيرٌ أجلْ عندِي بأوصَافها علمُ

ولا تفارقُه دواوين أكابر الذائقين، كباخرمة، وابن الفارض، لاسيما القصيدة التي أولها:

ما بين معتركِ الأحـداقِ والمهَـجِ   أنا القتيـلُ بـلا شـكٍّ ولا حـرجِ

ولعل ميله لمناسبتها لحاله.

وقد قال لبعض من رآه بعد موته: «إني قتلت بسيف الحب»، وقد تقدمت الرؤيا مبسوطة عند ذكر وفاته قدس سره.

قال سيدنا القطب الحداد قدس سره فيما نقل عنه في «تثبيت الفؤاد»: «معاني المحبة تلطُفُ وتجل جداً عن إمكان التحدث بها؛ لأن العبارةَ لا تأتي على معانيها، ولا يمكن التعبير بالمعاني بحال، لأنها لا تدركُها العبارة، ولهذا ترى أهلَ المحبة لما أدركوا من معانيها ما يجلّ وصفه ولا يمكن كشفُه احتاجُوا بسبب ذلك إلى التنفس والتروّح، إنما يعبرون عنها بقوالبِها التي هي صورها، والمعاني أرواح قائمة بها، فلما عجزوا عن التعبير بالمعنى عبروا بالقوالب والصور، وذلك كتغزّلهم بليلى وسعدى ولبنى وهند ودعد، وغير ذلك». انتهى.

* * *

الفصلُ الحادي عشَر

في الإشارةِ إلى حُسْنِ خُلُقه قدس سره
ومعاشرتِه مع أصنافِ الخلق

كان قدس سره حسنَ الأخلاق، جـميل العشرة، لين العريكـة، كثـير الانبساط والاستبشار في وجوه الأخيار والأشرار، مع الرحمة والنصيحة بالرفق والشفقة للجميع، من شريف ووضيع، يظن جليسُه أنه أحبُّ الناس إليه، يقبل على مخاطبه بوجه طلق، كأنما للنظَر إليه خلق، فما أحقه بقول القائل (شعراً):

بغُرّتــه قــد أودعَ الله أربعــاً ... تشاهدُها كالشمسِ عنـد التأمـلِ
تــسلٍ لمهمــوم وأمــن لخــائف ... ورشـدٌ لـذي غـي ويـسر لمقلـلِ

وكان قدس سره ينزل الناس منازلهم، ويكرم أهل البيت النبوي ويجلهم إجلالاً عظيماً، ويقوم لهم غالباً، لما يشاهده فيهم بنور البصيرة من السر النبوي، وكان يحث على محبتهم وإكرامهم وتعظيمهم، حتى أنه قال له بعضُ محبيه: «أوصني»، فقال له: «أوصيك أن تشهدَ في أصغر أهل البيت أنه القطب!».

وسمعته يقول: «إن بعضَ العارفين يقولُ: لا يموتُ أحد من أهل البيتِ إلا بعد أن ينالَ القطبية، ولو عند الغرغرة».

وكان قدس سره يحب العلمَ والعلماء، ويكرم العلم وأهله وطلبته، ويحترمهم

ويجلهم ويقدمهم، ويسارع في قضاء حوائجهم ومهماتهم وإدخال السرور عليهم، بل هذه أخلاقه التي جبل عليها مع جميع المسلمين.

وكان قدس سره يقول: «نحن نراعي الناسَ بحكمِ الظاهر، ونلمح الباطن، ولا نحكي ولا نصدق في أحد إلا بعد فحصٍ شديد، ولا نحكم بالكَشف، لأن الشريعة تحكم بالظاهر وكشف الأسرار خيانة، ولا نكلف أحداً طاعةً ولا معصيةً، ولا نبيع رخيصاً، وإذا بعنا قلّطنا[1]».

وقال قدس سره: «نحن خدمة لأهل البيت، ولكل من يحب الخير، ولا نقدر نمتنع من مصلحة لمسلم نقدر عليها، ولا علينا فيها شيء من ربنا، ولا عندنا غش لأحد ولا بغض ولا عداوة، ولا نحب أن نكدر على أدنى مسلم، ولا عندنا لكل مسلم إلا كل خير».

[تعظيمه للسلف وعاداتهم]

وكان رضي الله عنه شديدَ التعظيم للسلف الصالح، عظيم الاعتقاد فيهم والتأسّي بهم فيما يأتون ويذرون، ويوجه لما ينقل عنهم من العاداتِ بما تقبله القلوبُ السليمة.

فمن ذلك: أن العادةَ جارية في قيدون بأن يخرجْن نساء معلومات يضْربن بالطبولِ ويدرن في مطاريق البلد، وذلك في أوتار النصف الأخير من رمضان، إذا مضى نصفُ الليل الأول، فسمع الطبلَ ذات ليلة، فقال: «ما هذا؟»، فقيل له: النساء اللاتي يخرجن في الأوتار، فقال رضي الله عنه: «هذه البلدةُ مسلوفة، وهذه عادة قديمة فيها، وكل ما رتبه السلف الصالح من العوائد ينبغي قبولها وعدم إنكارها، بل واتباعهم فيها، لأنهم يضعونها لمقاصد صحيحة ونيات صالحة، ولعل الحكمةَ في تخصيصِ هذه العادة بهذه الليالي: أنها هي التي تُرجى فيها ليلةُ القدر، ويكون تحريك وتنشيط لمن لم يكن له دواعي من قلبه

---

(١) أي بعنا قلاطا، والقلاط: البيع الناجز التام.

للخير، فمن لم تحرّكه الدواعي القلبية، عسى أن تحركَه الطبول، فيظفر بالنشاط في ساعة قبول». انتهى بمعناه.

[احترامه وتعظيمه لوالديه]:

وكان رضي الله عنه عظيمَ الاحترام لوالديه الكريمين، كثير الإكرام لهما، شديد الاهتمام بما يعناهما، لم يزالا عنه راضيين إلى أن توفاه الله، وقد بلغ في برهما مرتبةً عاليةً، وكان يقوم إذا دخلا عليه وهو جالس، وإذا قاما ليخرجا من المجلس قام لهما، وكان لا يوليهما ظهره إذا أراد الخروجَ من المجلس الذي هما فيه أو أحدهما.

وكانت والدته كثيراً ما تقول: «ما أعرف ظهرَ محمدٍ إلا في المطراق»، تعني: أنه لم يولها ظهرَه وهو يعلمُ، بل يمشي القهقرَى حتى يتوارى عنها، وهكذا كان يفعل مع أبيه الإمام. وكذا مشايخه الكرام، كان يكرمُهم أجلَّ إكرام، وكان لا يجلس بحضرةِ أحد منهم إلا متورِّكاً كجلوسه للصلاة، مع تعظيمهم له وجلالة قدره.

أخبرني الحبيبُ عبدالباري بن شيخ العيدروس قال: «قصد الحبيبُ محمد بيتَ الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي رضي الله عنهم لزيارته، وكنت معه، فلما دخل البيت وقاربَ المحضرة التي فيها الحبيبُ عيدروس وقفَ وطلب مجمرةً، فأُتي بها فوضع فيها من العنبر الأصلي ما يساوي الأقلُّ من قيمته: عشرةَ ريالات، فتبخر وأعطانا المجمرة، وقال: تبخروا، فإنا داخلون على القطب!».

[تعظيمه للعلم]:

وكان رضي الله عنه يعظم العلمَ ويأمر بتعظيمه، لا يدرّس إلا وهو على طهارة، ومهما اتفق على الندور عدمُ طهارته وقتَ الدرس ضربَ بيديه على الجدارِ وتيمم منه، عملاً بقول القائل من العلماءِ بصحة ذلك.

وسقط ذات يوم كتابٌ من الطاقة فقمتُ لأرفعَه ورآني غيرَ مسارعٍ إلى ذلك، فقال رضي الله عنه: «مالكَ غيرُ مكترثٍ لسقوطه، ولا مسارع إلى رفعه! عظموا العلمَ وسارعوا إلى تعظيمه».

وكان رضي الله عنه رحيماً شفيقاً رؤوفاً بجميع أهل لا إله إلا الله، حسنَ الظن بهم ويأمر بذلك جداً، وسمعته يقول رضي الله عنه: «لا أجدُ في قلبي تمييزاً بين أحدِ أولادي وأحدِ الأمة المحمدية، إلا من حيث الأمرُ الشرعي»، أو ما هذا معناه.

وكان رضي الله عنه يميزُ طلبة العلمِ بالإكرام، ويحبهم ويحثهم ويحدوهم وينشطهم على الجد والاجتهاد في ذلك، ويفرّحهم ويدخلُ السرور عليهم، ويسارع في قضاء حوائجهم، ويرفق بالمبتدئين، ويفهمهم المسائل أحسن تفهيم، ويتنزل لهم في التعبير عن ذلك بما يفهمونه، ما سمعت مثله في ذلك.

وكان كثيراً ما يقول: «إن المؤلفين رضي الله عنهم شدّدوا العلم ووعّروا طرقه على المبتدئين بتعقيد العبارات، فإذا لم يفهموها ضاقتْ صدورهم وملوا وعجزوا عن الطلب».

حتى أنّه كان من نيته رضي الله عنه تأليفُ كتابٍ في الفقه والنحو بعبارةٍ سهلة، قال رضي الله عنه في بعض رسائله: «لم يزل قلبي يحدثُني بوضعِ كتاب في الفقه بنمط غريبٍ سلس، ولو في ربع العبادات، ورسالةٍ في علم التصّوف وسلوكِ سبيل الصالحين، ورسالةٍ في النحو، أقرّبُ في الجميع البعيد، بعبارةٍ يفهمُها الذكي والبليد، لقصور الهمم وضعف الطلبة بل إعراضُهم وقلة المساعدة، ولم أتمكن لكثرة العلائق» إلى آخر ما قال رضي الله عنه.

ولما رأى رضي الله عنه ولعَ إخوانِه وأولاده بالخيلِ وشغفهم باقتنائها، قال رضي الله عنه: «من حفظَ «الإرشادَ» منكُم فله الذي يرتضيها ويختارها من الخيل، تصير ملكاً من أملاكه يتصرف فيها كيف أراد، ويتمنى معها من الدنيا ما يريد، وأنا له بكلِّ ما يطلبه»،

فقيل له: هذا لأولادكم خاصة أم لكل الناس؟ فقال: «بل لكل الناس، فكل من حفظ «الإرشادَ» له ذلك، ولو كان سوقياً من سُوْقة الخريبة».

[اهتمامه وقيامه بمصالح عامة الناس]:

وكان رضي الله عنه كثيرَ الاعتناءِ بصلاح أحوال المسلمين العامة، والتأليف بين قلوبهم وإصلاح ذات بينهم، ويبذل في ذلك الألوفَ من الريالات من ماله، وما فعله من ذلك لم يفعله أحد. وإلى ذلك ونحوه من كمالاته يشير قولُ الحبيب العارفِ بالله محمد بن أحمد المحضار في مرثاته له، (شعراً):

يعــاني أمــوراً لا يقــوم بحملهــا	ســواه ولا يعبـأ بــها هــو حاملــه
تفكــر لمــا يفعلــه لــو أن غــيره	حكــاه بــأقوال تقهقــر قائلــه
فلو عشر معشار الذي قد عنى بـه	عـلى شـامخ مـن حملـه أطَّ كاهلـه

فقد كانت جميعُ قضايا دَوعن ومحاكماته ومشكلاتِه ومعضلاته تردُ إلى حضرتِه، كأن لم يكن هناك والياً ولا حاكماً سواه. وما أحقه أن يقالَ في حقه: «أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو الحسن». ومهما كان غائباً عن الوادي أخّر الناسُ محاكماتهم إلى أن يرجع، فلم تنزل بالوادي نازلةٌ في زمنه إلا وكشفَها، ولم تحلَّ به معضلةٌ إلا وحلها.

وكان رضي الله عنه كما قال سيدنا العارف بالله الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي: «سُدّة الوادي»، وهذه الكلمة لها معانٍ كثيرة. والسّدة في عرف أهل حضرموت: هي الباب.

ومن ظاهر معانيها: أنه لا يصل مدد للوادي إلا بواسطته لأنه لا يصلُ شيءٌ إلى مكانٍ إلا من بابه وسدته.

ومنها: أنه حائلٌ ومانع للوادي من طروق الفتن والمحن، وقد ظهر مصداقُ ذلك

بما حصلَ في الوادي وحلَّ بالنادي من الدواهي الدهياء والفتن العمياء بعد وفاته، بسبب الفتنةِ بين آل العمودي والقعيطي، لانتشار أسباب الفتنة بعد سفره. وقد كان رضي الله عنه حائلاً ومانعاً لذلك بحسن سياسته وكمال تدبيره، ولا تثور ثائرة إلا وأخمدها، ولا تشتعل نار فتنة إلا وأطفأها، وقد أخبر بحصُول ذلك منذُ سنين، كما ياتي إيضاح ذلك في الباب الخامس في الحكاية التاسعة والخمسين.

وما أحسن ما قاله بعض رؤساء البادية وقد ذكَر سيدي رضي الله عنه وهو حاضر، فقال: «هو ذاك! السيدُ والمنصبُ والدولة». كان واضعاً للشرفِ والعلم في جانب، والمنصبة والسلطنة في جانب، والدراهم والكرم في جانب، والجميل والمعروف في جانب، والصميلَ والقهر في جانب، والكرامات في جانب، واللّوحات في جانب، فمن لم تصلحه الخصْلة أصلحَه بالأخرى.

وقال بعضُ العامة ما معناه: «لو كان للحبيب محمدِ بن طاهر جبلٌ من الكحل، وكلٌّ من أتَى إلى حضرته كَحلَ منه، لنفد ذلك الجبل» لكثرة الواردينَ إليه مع مقابلته لكل واردٍ بما يستحقه، بلا ملل ولا كسل ولا ضجر، ومع الاحتمال التام والإغضاء والإعراض عما يصدر من الأجلاف والعامة من سوء الأدب، مهما صدر شيء من ذلك.

[ملاطفته للصغار]:

ومن ملاطفته قدس سره للمبتدئين من الطلبة أنه ربما ألقَى عليهم بيتاً من الشعر يسألهم عن معناه، ليختبر بذلك أفهامهم.

فمن ذلك أنه قال لنا مرةً ما معنى قولِ الشاعر:

لكــل ســاقطة في الحــي لاقطــة ... وكــل كاســدة يومــا لهــا ســوق

ومرةً قال لنا: ما معنى قول القائل:

رياســـات الرجـــال بغـــير علـــم أذل مـــن القعـــود عـــلى الكناســـه
وكـــل رياســـة لا علـــم فيهـــا فآخرهـــا يـــؤول إلى خـــساسه
وأعظـــم رتبـــة وأعـــز عـــز وخـــير رياســـة تـــرك الرياســـه

ومرة قال لنا: ما معنى قول القائل:

لا تحسبِ المجدَ تمـراً أنـت آكلـه لنْ تبلغَ المجدَ حتى تلعقَ الصَّبرا

ومرة قال لنا ما معنَى قولِ الأبوصيري:

يا خيرَ من يمَّم العـافُونَ سـاحته سعياً وفوقَ متونِ الأينُقِ الرسُـمِ

ومهما فهِمَ بعضنا شيئاً من معنَى ما ذكر، فرّحه وأثنى عليه قدس سره ترغيباً وتشويقاً، وحثاً على المسابقة إلى التعلم والتفهم.

وأخبرته قدس سره بأمرٍ عن بعضِ الناس لا يقبلُ التأويل، ولا ينبغي السكوت عليه في ظني، فقال لي: «لعل قصده بفعله إلا كذا وكذا»، وأتى له بمحْملٍ حسن ينشرح له الصدر، وينثلج له الفؤاد، إرشاداً إلي إلى حُسن الظن، ثم دعا ذلك البعض فيما بعد وعاتبه على فعله سِراً، فرضي الله عنه ما أرحمَه وأحلمَه، وما أشفقه وأحكمه.

وكان قدس سره يقول: «إذا أحببتُ في الله شخصاً يشقُّ عليّ بالخصوص ما يشقُّ عليه، مثل نفسي وزيادة، ولا أحب أن يتأذّى أحدٌ مني ولو كافراً إلا بحق، وأحب معاملة الصدق من الصديق، وإن كانت بخلاف مقصدي».

وقال قدس سره لبعض محبيه: «اعلم أني رجلٌ نائبٌ ليس لي طمعٌ في أحدٍ أبداً، ولست محتالاً ولا نصاباً، ولا عندي غيرَ الحق، وكل كلام يقبله قلبُك إذا وصلك فهو مني، وكل أمرٍ بخلافِ ذلك فاعلمْ أنه من الطريق، لأني أتكلم بقلبٍ ناظرٍ إلى نفعٍ فقط، وقد يبدّل الناقل».

وكان قدس سره يقول: «أنا خادمٌ لجميع المؤمنين بحالي ومقالي وجاهي، وما أعطاني الله من مال، والله على ما أقول وكيل».

وكان يقول: «إنا مجبولون على حبِّ الإصلاحِ».

وكان قدس سره يقول: «من عادتنا أنّا ما نقابل العيوب، ولا نتطلع إلى أسرار الخلق إلا من طريق حسن الظن».

ومن كتابٍ منه لبعضِ محبيه، قال رضي الله عنه: «الحذر أحد يغرِّب عليك، فإن حبيبكَ قلبٌ ورب، ولا له نظر في أحد».

وقال رضي الله عنه: «كلامنا مقيد، ويعرفه من أنصف، ولا نزلف على الخصم فضلاً عن الصديق».

وقد اشتملت هذه الكلمات الوجيزة، على جملٍ من أخلاقِه العزيزة.

وكان قدس سره يُعطي كل أحدٍ من جلسائه نصيباً من وجهه الشريف، وطرفاً من حديثه اللطيف، يتكلم في كل مجلسٍ بما يناسبه من الخطاب، ويدخل النفع والسرور على جليسه من كل باب، لا يقرُّ أحداً على خطأ، ويرشد كل أحدٍ إلى الصواب.

[ملاطفاته للضعفاء والمساكين]:

وكان قدس سره يلاطف الصبيان والضعفاء والمساكين والمنكسرين والخدم والمماليك، ولا يعاقبُ أحداً على تقصيرٍ صدر منه في أمر دنيوي، حتى إن بعض الناسِ يظنّ أنه لا يطلعُ على بعضِ الأمور لتغافله عنها، وهو بها عليم، كرماً ومروءةً.

كما يحكى عن بعض الملوك: أن أعرابياً سرقَ جوهرةً ثمينةً من لجام فرسه وهو يراه، فلم يزجره ولم ينمّ عليه، ولما أخبره الموكلُ بالفرس: أنها سرقت، قال له: دعها فقد

أخذها من لا يردّها، ورآه من لا ينمُّ عليه الحكاية بمعناها. ولو ذهبت أذكرُ ما وقعَ لسيدي قدس سره من هذا القبيل لطالَ الكلام.

وكان قدس سره إذا اتفقَ على الندور تأديبُ بعضِ الخدم والمماليك يأخذ بخاطره فيما بعد، ويجعل له، ويطلب منه المسامحة. وقد كان جده القطب الحداد قدس سره كذلك، نقل عنه ذلك في «تثبيت الفؤاد».

وهذه أخلاقٌ عظيمةٌ موروثةٌ عن الرؤوف الرحيم ﷺ القائل لبعض خدمه عند تقصيره: «**لولا خوفُ القصاصِ لأوجعتك بهذا السواك وأشار بسواك**»[1]، في يده.

وكان قدس سره يسمحُ للخدم والمماليك من الملبسِ والمأكل بما لا تسمح به إلا نفسٌ مطمئنة، قد اشترت من الله النفس والمال بأنّ لها الجنة.

أخبرني ابنه سيدي علوي حفظه الله قال: «رأيت الوالدَ أعطى بعضَ المماليك صاروماً حسناً مما كان يلبسه هو قدس سره»، وسمعته يقول عند ذلك: «**أطعموهم مما تطعمون، وأكسوهم مما تكتسون، ولا تكلفوهم من العمل مالا يطيقون**». انتهى.

وقد ذكرتُ هنا قولَه قدس سره: «إنا لا نقول ولا نفعل شيئاً إلا بدليل وتأهيل»، فهكذا كان في جميع شأنه.

[ملاطفته للجنود والبادية]:

وكان قدس سره يلاطف الجنود والبوادي ويتألفهم، لاسيما اللصوص وقطاع الطريق، يدعوهم إلى الخير والتوبة، بعد أن يكرمهم بشيء من المال، فتتمكن دعوته من قلوبهم، وتحصل الفائدة المطلوبة التي هي دفع ضررهم عن المسلمين وحفظهم من المعاصي، وكان يأخذ عليهم العهود على ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، وأبويعلى والطبراني في معجميهما.

وكان يؤدب كثيراً منهم بالحبسِ والقيد لإضراره بأحدٍ من المسلمين، وهم يرون امتثالَ أمره وتمكينه مما يريدُ منهم نهايةَ العز والشرف لهم، رغبةً أو رهبةً، فإنه كان قدس سره يقوّمُ من لم تقوّمه الملاطفة وحسن الخلق بالشدّة والقهر، وكان ربما أعطى الواحد منهم مائةَ ريالٍ دفعاً لشرّه عن المسلمين.

واتفق أنه جاءه أحدُهم فاستتابَه، فقال له: «تبت؛ ولكن على مائة ريالٍ دَين، إن قضيتها عني لا أعودُ فأعطاه مائةَ ريال»، وبقي مدةً ثم نكثَ وذهب ليلصَّ، فلقيه بعضُ أعدائه من البدو فقتله، فكان عبرة لأصحابه.

وقد أشكلَ على بعضِ الناس ما ذكرتُه من إعطاءِ سيدي للجُند مع وجُود من هو أفضلُ منهم، ولم يقنعه ويحل إشكاله ما يترتّب على ذلك من المصالح العامة، وأرجو أن ينحلّ إشكاله إذا ذكرتُ له دليلَ ذلك من فعلِ المقتدى الأعظم ﷺ فقد رُوي في صحيح مسلم عنه ﷺ: أنه قال: «**إني لأعطي الرجل وغيره أحب إلي منه خشية أن يكب في النار على وجهه**»، وروى البخاريُّ في «صحيحه» عن عمرو بن تغلب رضي الله عنه قال أعطى رسول الله ﷺ قوماً ومنع آخرين، فكأنهم عتَبوا عليه، فقال: «**إني أعطي أقواما أخافُ ضِلعهم** ـ أي ضعف قلوبهم وضعف يقينهم وجزعهم ـ **وأكلُ أقواماً إلى ما جعلَ الله في قلوبهم من الخير والغنَى؛ منهم عَمْرو بن تغلب**». انتهى.

والأدلةُ من فعله ﷺ في هذا المقام كثيرةٌ شهيرة، يعرفها من عرف سيرته ﷺ، ونور الله بصيرته.

وكان قدس سره إذا استقرضَ من أحدٍ يزيدُه عند وفائه كما هو السنة، إلا أن ما يزيدُه لا يسمحُ به غيره، وكان إذا استقرضَ منه أحدٌ لم يطالبه، بل ولم يطالبْ أحداً من المستقرضين منه بعد وفاته مع كثرتهم.

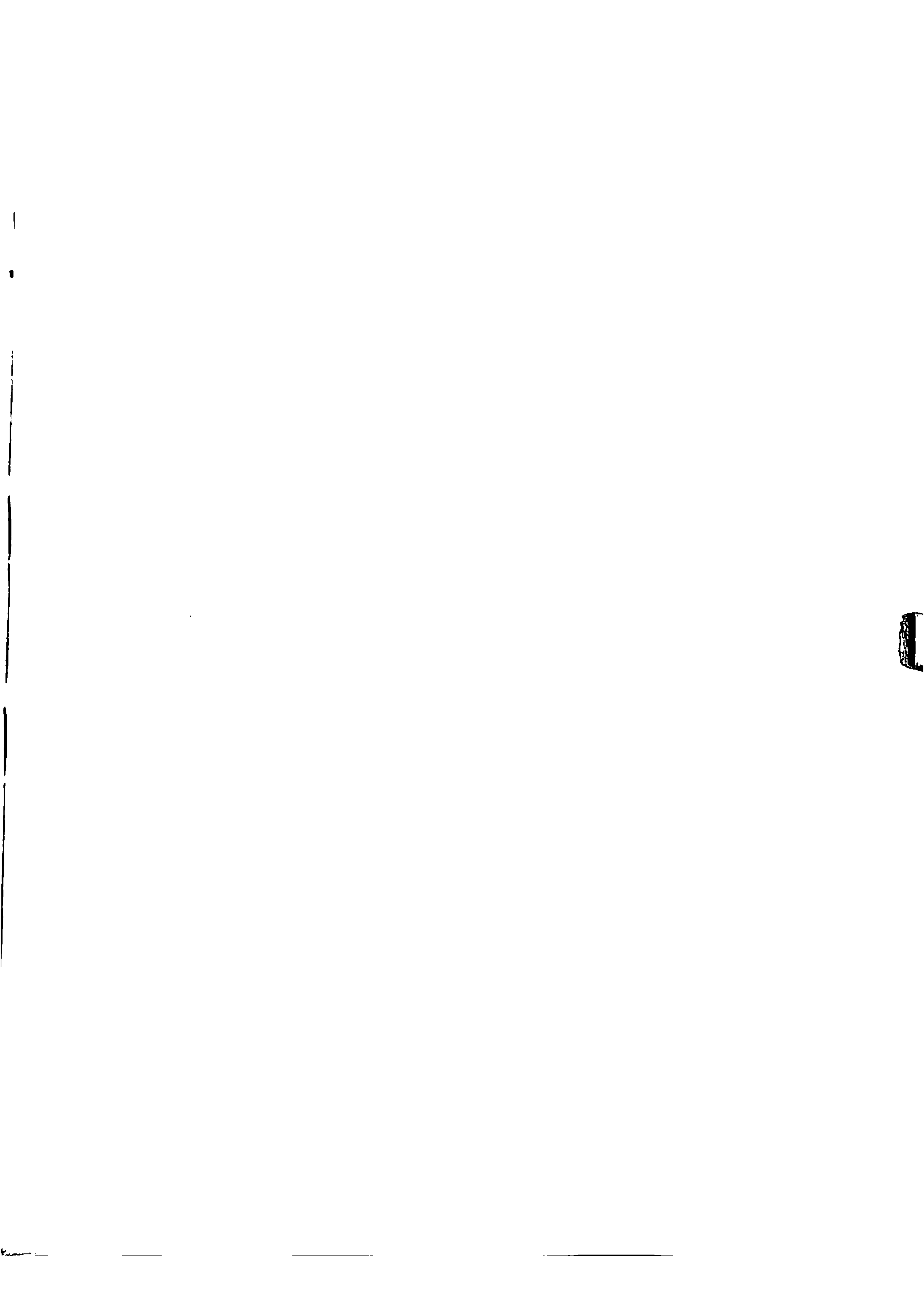
وكان يزور المكاتبَ ـ وهي مواضعُ تعليم الأطفال ـ، ويطلب من المعلم أن

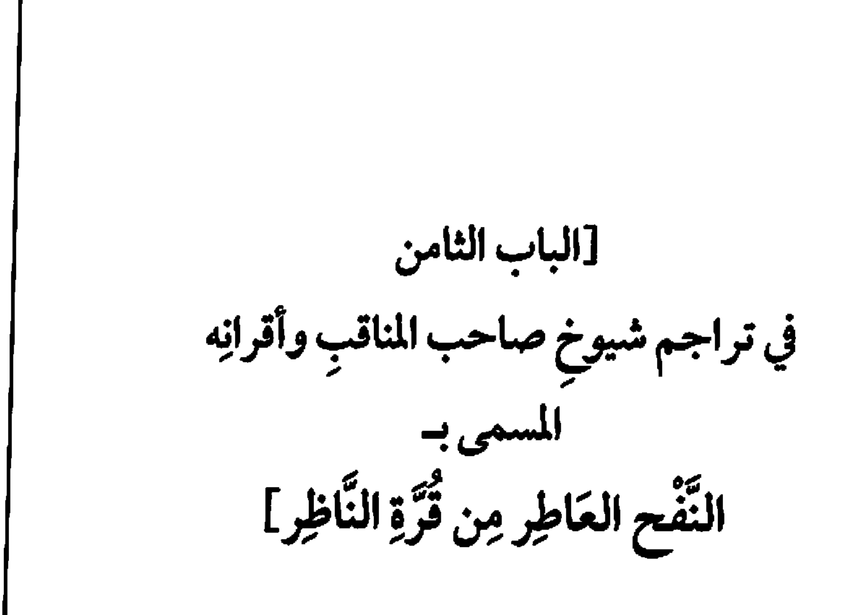
يفسحَ للأطفال ذلك اليوم، ويعطيهم ما يشترون به رأساً من الغنم أو رأسين على كثرتهم وقلتهم، ويأمر المعلم أن يجعل لهم مخرجاً في بعض المتنزهات.

وأخبرني بعضُ الإخوانِ آل العطاس: أنه جاء مع والده وجماعةٍ من أصحابهم في وقتِ الحرِّ إلى قيدون، ونزلوا أضيافاً على سيدي الحبيب قدس سره، قال: فأمر بأقباع السكر الأبيض أن تُـمرَسَ في الماء لشربهم[١]!.

* * *

(١) إلى هنا تم الموجود من كتاب «قرة الناظر»، القسم الأول في المناقب والأخبار، ويأتي بعده القسم الثاني، وهو في تراجم الشيوخ والأقران، وذكر الوصايا والمكاتبات، وخاتمة الكتاب في ديوان صاحب المناقب قدس الله سره ونفعنا به. والحمد لله رب العالمين أولاً وآخراً، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين.





[الباب الثامن

في تراجم شيوخِ صاحب المناقبِ وأقرانِه

المسمى بـ

النَّفْح العَاطِرِ مِن قُرَّةِ النَّاظِرِ]

هذا الباب

تعد النسخةُ التي تم الاعتماد عليها في إخراج هذا الجزء من كتاب «قرة الناظر» النسخةَ الأم، بل المسودةُ الأولى لهذا الباب؛ لأنها كتبت في معظمها بقلم مؤلف الكتاب قدس الله سره، وبعضها بقلم تلميذِه وختَنه (زوج إحدى بناته) الحبيب أحمد مشهور الحداد (ت١٤١٦هـ)، وتقع هذه النسخة الأم في (٢٥٥ صفحة).

جاء في كتاب «نور الأبصار بمناقب الحبيب عبد الله بن طه الهدار»[١] أثناء ترجمة الحبيب عبد الله بن طاهر وذكر مؤلفاته، ما نصه: «أما الجزءُ الثالث، وهو المشتمل على تراجم من أخذ عنهم الحبيب محمد، ومن أخذ عنه، وأقرانه، فقد كان يوجد عند صهره العلامةِ الشيخ سعيد جان[٢]، ثم استعارَه منه بعضُ السادة ولم يُعِدْه.

وقد بذلَ أخوه العلامة علويٌّ بن طاهر جهدَه الجهيدَ في الحصول عليه لقيمته العظيمة، بالنسبة لما اشتملَ عليه من تراجم، ولكن لم يسعفْه القدر بالحصول عليه». انتهى. فالحمد لله على ما يسر من الحصول عليه، بل ونشره وبذله لطالبيه والراغبين فيه، وهذا تحقيق لمقاصد ونيات أهل الله، تقبل الله منا ومنهم، آمين.

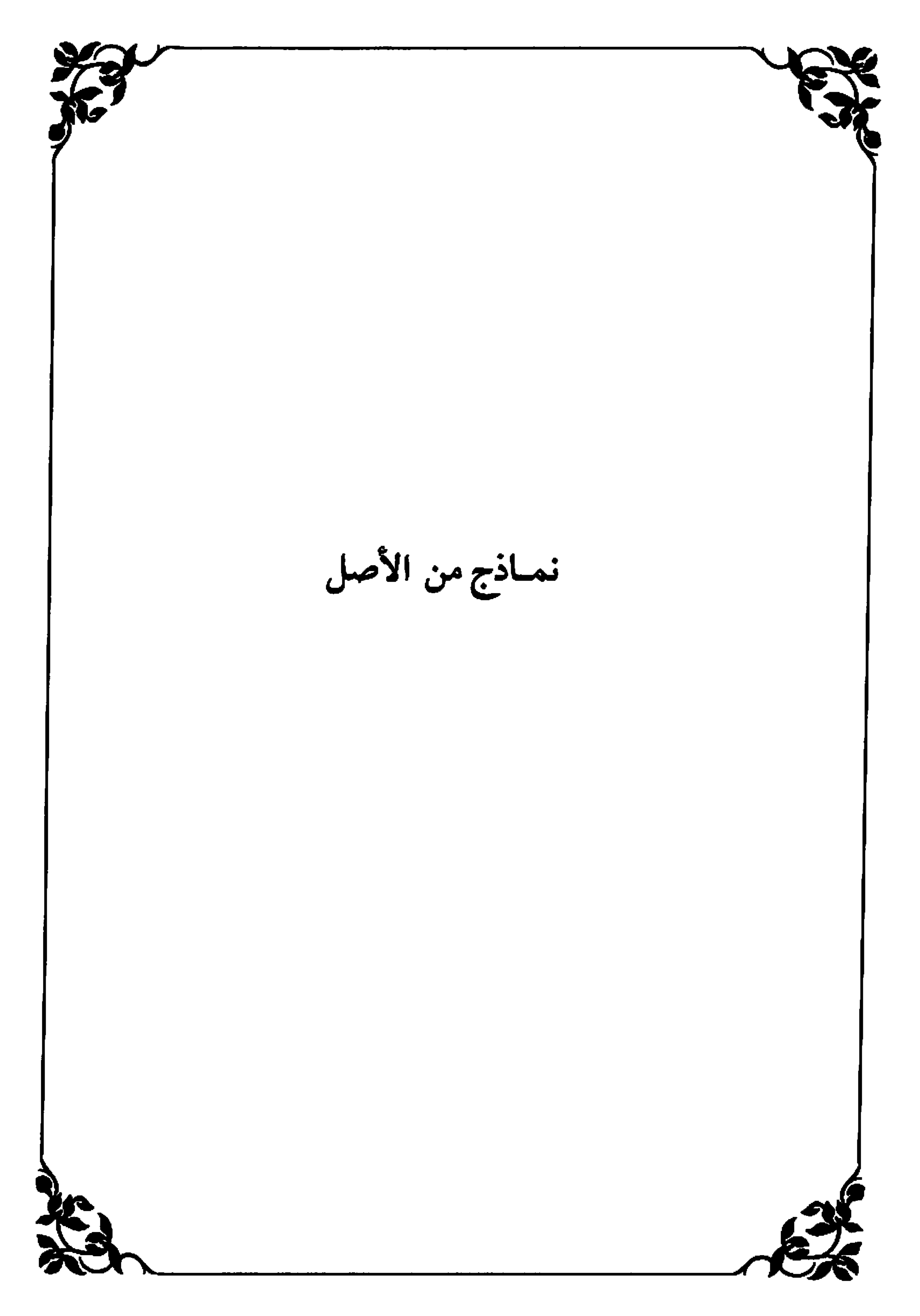
* * *

---

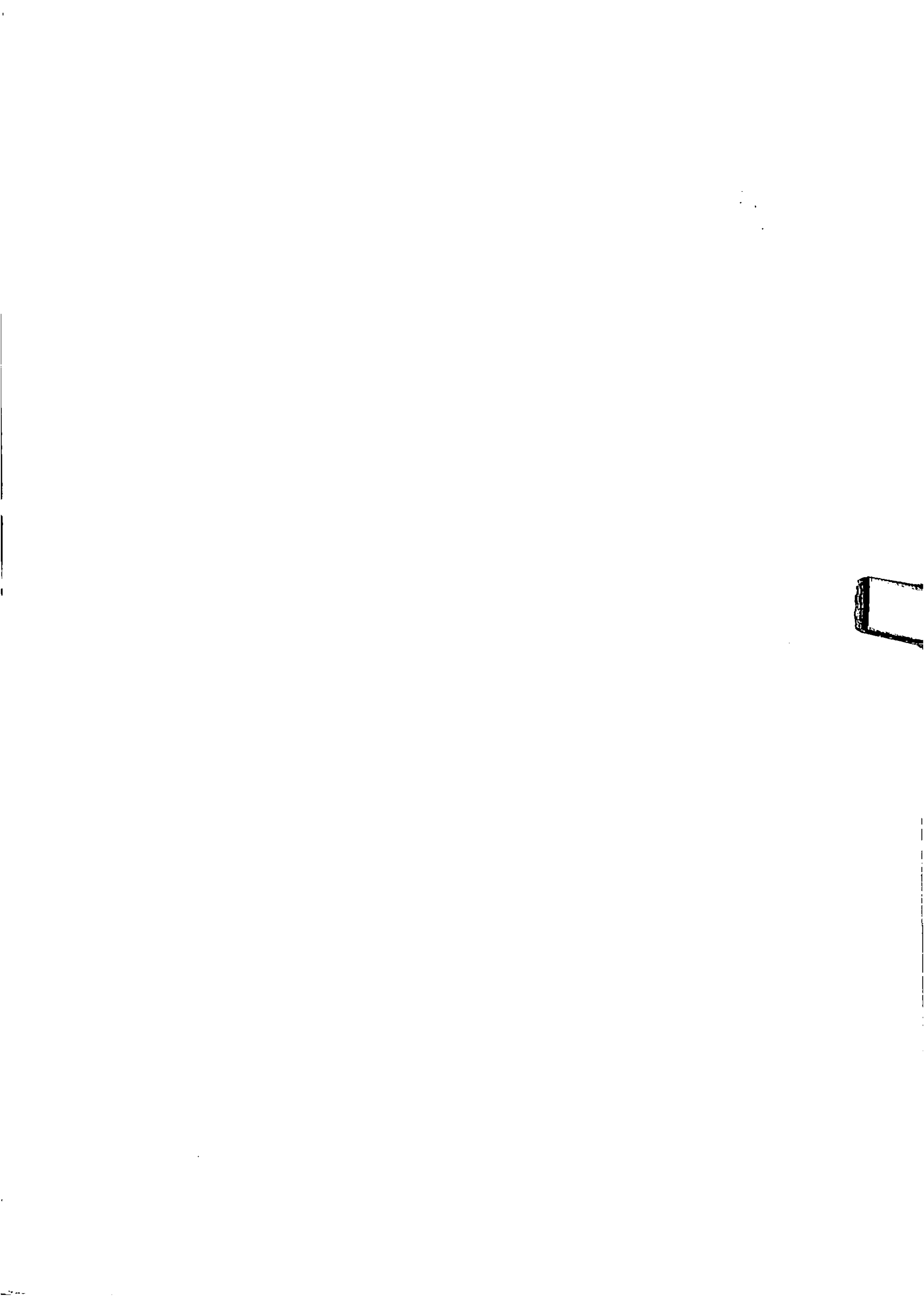
(١) (ص١١٤).

(٢) كان الحبيب عبد الله بن طاهر الحداد مؤلف هذا الكتاب، متزوجاً إحدى بنات الشيخ سعيد جان، رحمهم الله.





نمـاذج من الأصل



بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله الذي فضل أهل بيت نبيه الطاهرين
على كثير من عباده المؤمنين واختارهم على علم على العالمين وآتاهم من الآيات
ما فيه بلاء مبين وأوضح بهم منار الدين وعرّفهم مراتب العلم والإيمان واليقين
وجعلهم نجوما للمهتدين ورجوما للمعتدين وخصهم بوراثة جدهم سيد المرسلين
وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله الصادق الأمين القائل إني تارك فيكم ما
إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي كتاب الله وعترتي أهل بيتي صلى الله عليه وعليهم أجمعين
وعلى أصحابه [illegible] أما بعد فهذا الباب الثامن في ترجمة الناظر منا [illegible] شيخنا الإمام العلم الزاهر
والبدر السافر [illegible] فخر تاج أهل الخفا ناصر الدين جامع المفاخر [illegible] جمال الدين
الحبيب العارف بالله محمد بن الحبيب العارف بالله طاهر بن عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي بن قطب الإرشاد
وغوث العباد والبلاد الحبيب عبد الله بن علوي الحداد يحتوي [illegible] على ذكر جملة من أشياخه
الأكابر و[illegible] العصر الزاهر الذين عقدوا على فضله [illegible] الخناصر من السادة العلوية والسلالة
النبوية ومن التحق بهم بحسن القصد وصدق النية ودخل معهم بحبهم واتباعهم تحت نسبتهم
الصوفية أفردته بالخطبة عن بقية الأبواب لتأخر تحريره عن سائر الكتاب وليفرده
من أراد إفراده من الإخوان والأصحاب ويكون اسمه عند الإفراد النفح العاطر من
من ترجمة [illegible] ويشتمل على مقدمة وثلاثة فصول أما المقدمة فتشتمل على ذكر سيدي الحبيب [illegible]
[illegible] قطب الإرشاد فيها وتعريفهم [illegible]
[illegible] أما الفصل الأول ففي ذكر مشايخه [illegible] العالي المنيف عندما يفرد هذا الباب
[illegible]
[illegible]
[illegible]
وهم المذكورون بأسمائهم في الفصل الثاني من الباب الرابع [illegible]
بعض إخوانه في الله من معاصريه وأقرانه الشاهدين بفضله ورفعة شأنه وأما الفصل الثاني ففي ذكر
بعض الآخذين عنه والمنتسبين إليه المستمدين منه وكل ذلك على سبيل الاختصار والإجمال حسبما
[illegible] وأما الفصل الثالث
[illegible] بلا ترتيب [illegible]
[illegible] بالنقل في المقام [illegible] التراجم [illegible]
[illegible] الجمع والتوفيق والنظم والتطبيق [illegible]
لم [illegible] بذلك

الصفحة الأولى من الباب الثامن بخط المؤلف

طاهر بن عبدالله : هو السيد الشريف العفيف المنيف حسن السيرة ومنور البصيرة المدخر
من صالح الأعمال لأعظم ذخيرة والمثابر على طلب الكمال بنفس شريفة وعين قريرة ولد بخلع راشد
ونشأ بها في حجر أبيه العابد الساجد فتقلد من حلية الآداب الدينية بحسن القلائد وكسا من
ملابس الأخلاق الإيمانية حللا سنية وغرس في قلبه من محبة الخير ما سار به على سنن الاستقامة
حسن سيره وعلمه من علوم الإيمان والإسلام ما جلا عن بصيرته الظلام

واخذ مع الأخذ عن أبيه أخذ الحريص النبيه عن جملة من الأئمة الهداة المعتمدين كخاليه
الأمامين صالح وعبدالله ابني الحبيب محسن أحمد الحبشي والحبيب عبدالله بن عمر بن سميط والحبيب عبدالله
بن حسين البحر والحبيب عبدالله بن حسين الحداد ورحل مع أبيه إلى دوعن فأخذ بها عن الشيخ محمد بن عبدالله
باسودان والحبيب عيسى بن محمد الحبشي والحبيب طاهر بن عمر الحداد والشيخ أحمد بن سعيد العمودي وكان
ذا شغف بطلب العلم ومحبة فيه ووله وجمع للكتب وولوع بها ولعلها ونفعنا الله له من محبة العلم
وأهله من آثار تعلقه بذلك فإن ظهور آثارها يغلب على خواطر الآباء في الأولاد مما تشهد به التجربة
من حكمة البر الجواد وما زال متطلعاً إلى الطلب العالي ساهراً في طلبه الليالي ملازماً لأبيه
السيد الكريم فإنما يعتمد العظيم سالكاً على منهجه القويم إلى أن رحل والده إلى الدار الآخرة
وقد ألبسه من حلل المجد حلة فاخرة فرحل هو إلى دوعن لتفقد معاهد العلم والولاية وللفوز
من بركاتهم بجذبة العناية فقصد رباط وقضى إقامته بقيدون وتأهل بها فتزوج بالوالدة
الشريفة الصالحة شفاء بنت الحبيب الإمام عيسى بن محمد الحبشي [illegible] ذكره [illegible] فطاب
له السكنى هناك في منزلة من حسن الشمائل واقتناء الفضائل أعلى من برج السماك ورحل في
مدة إقامته إلى ناحية حبان واجتمع فيها بالشيخ العلامة أبوبكر بن أحمد فأخذ عنه واستجاز منه وهذا
صورة ما كتبه له

صفحة من وسط الكتاب بخط الحبيب أحمد مشهور

[الباب الثامن

في تراجم شيوخ صاحب المناقب وأقرانه المسمى «النفح العاطر من قرة الناظر»]

الحمد لله الذي فضل أهل بيت نبيه الطاهرين على كثير من عباده المؤمنين، واختارهم على علم على العالمين، وآتاهم من الآيات ما فيه بلاء مبين، وأوضح بهم منار الدين، وعمر بهم مراتب العلم والإيمان واليقين، وجعلهم نجوماً للمهتدين ورجوماً للمعتدين، وخصهم بوراثة جدهم سيد المرسلين وخاتم النبيين سيدنا ومولانا محمد بن عبدالله الصادق الأمين القائل: «**إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي، كتاب الله وعترتي أهل بيتي**»، صلى الله عليه وعليهم أجمعين وعلى أصحابه والتابعين.

أما بعد،

فهذا الباب الثامن [من] «قرة الناظر» بمناقب شيخنا الإمام العالم الزاهر والبدر السافر بحر المكارم والمفاخر وتاج أهل الحضائر ناصر الدين وقامع المعتدين جمال الدين الحبيب العارف بالله محمد بن الحبيب العارف بالله طاهر بن عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي بن قطب الإرشاد وغوث العباد والبلاد الحبيب عبدالله بن علوي الحداد.

يحتوي هذا الباب على ذكر جملة من أشياخه الأكابر، وفضلاء عصره الزاهر، الذين عقدوا على فضله وتكريمه الخناصر، من السادة العلوية والسلالة النبوية، ومن التحق به بحسن القصد وصدق النية، ودخل معهم بحبهم واتباعهم في نسبتهم المعنوية.

أفردته بالخطبة عن بقية الأبوابِ، لتأخُّرِ تحريره عن سائر الكتاب، وليفرده من أراد إفراده من الإخوان والأصحاب، ويكون اسمُه عند الأفراد:

النفحُ العاطر من قرة الناظر

ورتبته على مقدمة وثلاثة فصول:

أما المقدمة: فتشمل على ذكر سيدي الحبيب قدس سره ووالده وآبائه إلى جدهم قطب الإرشاد، فيها إشارة وتعريف لمقامهم العالي المنيف عند ما يفرد هذا الباب كالتأليف.

وأما الفصل الأول: ففي ذكر مشايخه الجامعين لكل زين، وهم المذكورون بأسمائهم في الفصل الثاني من الباب الرابع[1]، ومن لحق بهم ممن لم يذكر اسمه هناك.

وأما الفصل الثاني: ففي ذكر بعض إخوانه في الله من معاصريه وأقرانه الشاهدين بفضله ورفعة شأنه.

وأما الفصل الثالث: ففي ذكر بعض الآخذين عنه والمتسبين إليه المستمدين منه.

وكل ذلك على سبيل الاختصار والإجمال، وحسبما سنح في البال وعنَّ في الخيال، واقتضاه قصور باعي وقلة اطلاعي، بلا ترتيب ولا تقدير، ولا ملاحظةٍ لما يقتضي تقديماً أو تأخيراً، وقد ألاحظُ ترتيبهم على ترتيبِ وفياتهم غالباً.

وما قصُر من التراجم فلغير مرام، بل لإعوازي النقلَ في المقام، إذ ليسَ لي مما كتبتُ إلا الجمع والتوفيق، والنظم والتطبيق، وإن إلى ......[2] بذلك خليق، لعجزي عن الحصول على ما يستحقه ذكر الأئمة الفحول، الذين ملأ ذكرهم العرض والطول، ولعيٍّ

---

(١) تقدم معنا أن هذا الباب مفقود برمته.

(٢) بياض بالأصل بقدر كلمة.

قلبِي ولساني، وتكدر وقتي وجناني، وإفلاسي من جَميع المعاني التي لا يستغني عنها الباني في هذه المباني، فما وافقَ الصوابَ فببركتهم حصوله، وبجاههم أرجو من الله قبوله، وما كان من غلط وزلل، أو خطأ أو خَطل، فمن بضاعتي المزجاة، وإن أريدُ إلا الإصلاح ما استطاعت وما توفيقي إلا بالله.

وإنما جرأني على المضيِّ في هذا المرام، بعد محبتي لهؤلاء السادة الكرام، رواجُ ما كتبتُه في الكلام في هذا المقام، عند كثير من مشايخي الأئمة الأعلام، وإخواني في الإيمان والإسلام، وفرحُهم بذلك الفرح التام، وحصول جملة من المبشرات في اليقظة والمنام.

فقد قُرئَت الرسالةُ المسماة بـ«**باكورة الثمر من مناقب الحبيب الإمام محمد بن طاهر بن عمر**» على شيخِنا الإمام بهجة الزمن ونور الأغلاس، شهاب الدين الحبيب أحمد بن الحسن العطاس قدس سره، قرأها عليه شيخُنا العلامة الخاشع المتواضع محمد بن سالم بن أحمد بلخير، وكتبَ إلي بعد ما قرأها ما صورته: «صدر إليكم الكُرَّاسُ ترجمةَ سيدي الحبيب محمد بن طاهر، وذلك بعد قراءتي له جميعِه على سيدي الحبيب أحمد بن حسن إلخ، واستحسنه». انتهى.

وقرئت الرسالةُ المذكورة أيضاً على شيخِنا الإمام نور الدين ومعدن العلم واليقين، الحبيب علي بن محمد بن حسين الحبشي قدس الله سره، قرأه عليها الأخ الجهبذ العلامةُ علوي بن طاهر في مجلسٍ واحدٍ عند زيارتنا له سنة ثلاثين وثلاثمائة وألف، ولما وصل عند قولِ الحبيب القطب أبي بكر بن عبدالله العطاس: «وبالجملة فله زمان يا بَخْت من حضر زمانه»، قال الحبيب علي المذكور قدس الله سره: «الحمد لله حضرنا زمانه وعرفناه وأحبنا وأحببناه»، ولما أكملَ قراءتها قال لي الحبيب علي: «جزاكَ الله خيراً يا عبدَالله بن طاهر؛ حفظتَ علينا ما لم يحفظْه غيرك، يا خير كلام، ويا خير لسان، لسانُ علم». انتهى، فالحمد لله، ذلك من فضل الله.

وممن سمعَها وفرح بها: شيخُنا الإمام شهاب الدين الثاقب، الذي لا يخافُ في الله لومة لائم ولا عيب عائب، الحبيبُ أحمد بن عبدالله بن طالب العطاس، حضر قراءتها في الجمع الحافل عند ضريحِ سيدي الحبيب قدس سره في يوم الحول المعتاد، سمعها مرات، وأولَ ما سمعها سنة تسعة عشر وثلاثمائة وألف، ولما رجعنا من المقبرة إلى البيتِ قال لي شيخُنا الإمام الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي قدس سره، وكان مماشياً للحبيب أحمد المذكور: «إن كلامَ الحبيب أحمد من القبة إلى الدارِ كلُّه على كُورَك، ثناءٌ عليك، ودعاءٌ لك». انتهى.

وممن سمع الرسالةَ المذكورة واطّلع على الجزء الأول من هذا المجموع: شيخُنا الإمامُ العارف بالله عفيفُ الدين عبد الله بن محسن بن محمد العطاس، قدس الله سره، واستعارَ مني الجزءَ الأول، ومكثَ عنده عدة أيام.

ولما كان ذاتَ ليلةٍ رأيتُ كأني في محفل عظيم في مسجد واسع، والناسُ يتواردون إليه لصلاة الجمعة، ومقدمُ الجمع هو الحبيب عبدالله المذكور، ولما أقيمت الصلاة دعاني فدنوتُ منه فألبسني جبةً كانت عليه، وقدمني إماماً فصليتُ بالناس ركعةً واحدةً وتفرقوا، ولم أتمَّ الصلاةَ أنا أيضاً، وانتبهتُ ففرحتُ عند انتباهي بهذه المبشِّرة، وساءني عدمُ تمام الصلاة. وكنت حينئذ ببوقور، في بيتِ سيدي الإمام علوي بن سيدي الحبيب محمد بن طاهر.

فلما شرقت الشمسُ صبيحةَ تلك الليلة، إذا بسيدنا الحبيب عبد الله المذكور مقبلاً إلينا، فلاقيناه فلما صافحتُه، قال لي: «جزاك الله خيراً، وشكر سعيك، لقد أحسنت فيما جمعتَ، وفرحتُ منك، وكل ما قلته وكل ما بانقوله صواب».

فقلتُ له: ببركتكم إن شاء الله، وقصصت عليه الرؤيا المتقدمة. وقلت له: إني فرحتُ بها وخفتُ من عدم إتمام الصلاة.

فقال: «هذه يقظةٌ لا رؤيا، والأمر كذلك، وعدمُ إتمام الصلاة يفرِّح ما يخوّف، والخوف إلا لو تمت».

فقلت له: كيف ذلك؟

فقال: «إن الرؤيا في عالم الأرواح وهو عالم إطلاقٍ لا تكليفَ ولا تقييدَ فيه، والصلاة مظهرٌ من مظاهر التكليف في عالم الأشباح، فلو تمت في الرؤيا لكان ظهورُ التكليف في غير عالمه، وعند ذلك يكون الخوف! ولما نقصَتْ كان نقصانها دالاًّ على صحة الرؤيا، لعدم ظهور التكليفِ في غير عالمه»، هذا معنى ما قاله نفع الله به.

وقد انجلى عني بهذا الكلام العذْبِ إشكالاتٌ كثيرة، لأني كثيراً ما أرى أني آخذٌ في الاستعداد والتأهبِ لبعض العبادات ثم لا تكمل، فإذا انتبهت حزنت وأسفت لعدم تمامها، حتى سمعتُ ما ذكر لي هذا العارفُ الغارف المكاشف، رضي الله عنه وعن سائر عباد الله الصالحين.

وممن اطلع على ما كتبتُ: شيخُنا الإمام الجهبذ النقاد جمال الدين محمد بن أحمد المحضار، وسُرَّ بما رأى، وحثني على تمامه، ونبهني على كلماتٍ أصلحتُها بإفادته، وحكايات أثبتها بروايته، أعاد الله علينا من بركته، آمين.

ومنهم: شيخُنا الإمام العلامة شهابُ الدين أحمد بن عبدالرحمن السقاف، قرأتُ عليه خطبةَ الجزء الأول، وتصفحَ مواضعَ منه، وفرح به وأعجبه.

ومنهم: شيخُنا العلامة العامل، والجهبذ الكامل، الظافر من محبة العترة بأعظم فَيد، شجاعُ الدين عمر بن أبي بكر باجنيد المكي، قرأ الرسالة المختصرة جميعَها، وفرح بها ودعا لي.

ومنهم: شيخُنا العلامةُ المحدثُ، عمر حمدان المغربي، اطلعَ على الجزء الأول، وكان من جملة ما قاله: «لو لم أخرج إلى حضرموتَ إلا لرؤية هذا الكتاب لكفى».

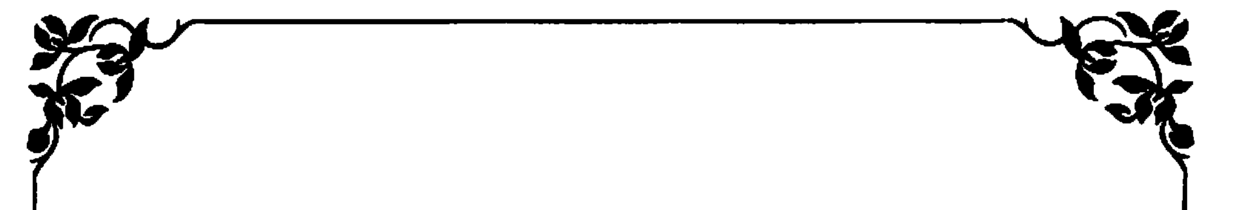
وتعدادُ المطلعين عليه من الأشياخ والإخوان ضنائن الرحمن في هذا الزمان، مما يطول ولم يطلع عليه أحدٌ منهم إلا وفرحَ وأثنى ودعا، وكل ذلك فضلٌ من الله ببركة إشارة شيخِنا الإمام الحبيبِ محمد بن عيدروس الحبشي المتقدم ذكرُها في الخطبة، وبركة سيدي الحبيبِ قدس الله سره ونفعني الله بهم أجمعين، وألحقني بهم في الإيمان واليقين والتمكين.

والمطلوبُ من الواقف على هذا الهذَيان، من أهل العلم والعرفان، أن يسبل فيما يراه خطأً، ....[1]، هؤلاء الأئمة الأعيان، ولينظر بعين الرضا كمن نظروا، ويستر العيب والخطل كما ستروا، وليصفح عن الزلل كما صفحوا، وليسمحْ بالدعاء كما سمحوا، والحمد لله رب العالمين.

* * *

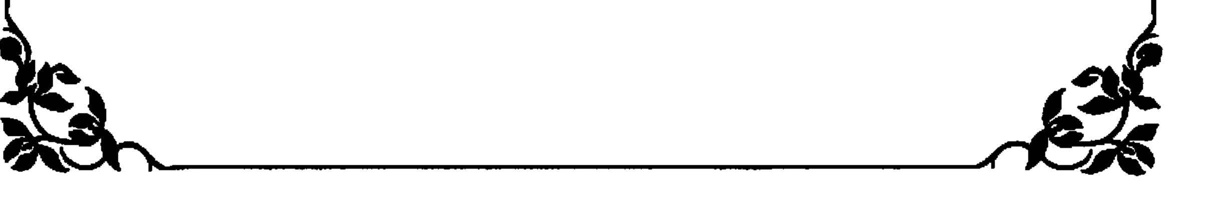
---

(١) بياض في الأصل بقدر سطرين ونصف.



المقدمة

تشتمل على ذكر سيدي الحبيب قدس سره ووالده
وآبائه إلى جدهم قطب الإرشاد
فيها إشارة وتعريف لمقامهم العالي المنيف
عند ما يفرد هذا الباب كالتأليف





[والده الحبيب طاهر بن عمر الحداد
(١٢٤٩_١٣١٩هـ)]

فأولهم وأهمهم بالتقديم، والده الإمام العظيم، والسيد الكريم، أولُ ملاحظٍ له بالتربية والتعليم، وأشفقُ ساعٍ به على الصراط المستقيم، المرقوم في جبينه مسطور الإسعاد، والمنشور في يمينه لواء الهداية والإرشاد، والمتحققُ من قوة يقينه بعمارة الأنفاس بالأذكار والأوراد، والظافرُ من قدمِ الصِّدق بغاية المراد، والشارب بصدق الحب والاجتهاد، أصفى وأهنأ كؤوس المحبة والوداد، غوث العباد والبلاد، شيخنا الحبيب العارف بالله طاهر ابن الحبيب عمر بن أبي بكر بن علي بن علوي بن الشيخ الإمام قطب الإرشاد عبدالله بن علوي بن محمد الحداد.

ولد بقيدون سنة تسع وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٩هـ)، وبها نشأ متأدباً بأخيه الإمام علوي، وأخذَ العلومَ الدينية والطريقة السنية بقيدون والواديين: الأيمن والأيسر. ومن أشياخه الأكابر: الشيخُ عبدالله بن أحمد باسودان، وابنه الشيخ محمد، والشيخ سعيد ابن محمد باعشن مؤلف «بشرى الكريم»، والشيخُ العلامة أحمد بن محمد العمودي، والشيخ العلامة أبي بكر بن أحمد بالبيد. وله العنايةُ التامة والملاحظة الخاصةُ والعامة من أشياخه العلويين، كالحبيب صالح بن عبدالله العطاس، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، والحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، والحبيب عبدالرحمن بن علي السقاف، والحبيب محسن بن حسين الحداد، وغيرهم.

وقد ذكرت من التعريف بحاله وشأنه، واتصاله بأئمة زمانه، في الفصل الثاني من

الباب الأول من هذا المجموع[1]، ما يعرف بذكره المرفوع. ولكون هذا الكتابِ قد أفردَ في أبوابِ الكتاب، حتى صار كالتأليف المستقل، فمن أراد إفراده على حدته كيفما أراد عمل، أحببتُ أن لا يخلوَ عن الإشارةِ إلى ذكر هذا السيدِ السائد، الزاهد العابد الراكع الساجد.

وكانت وفاتُه لخمسة عشر في محرم الحرام فاتحة سنة تسعة عشر وثلاثمائة وألف ودفن بعَرض قيدون، وعليه قبة مشرقة الأنوار، مقصودة للزوار، من جميع الأقطار، وقد أخذ عن صاحب الترجمة واتصلَ به جميعُ أعيان القطر الحضرمي، من خاص وعام، وكان اسمُه في حياته وكذا بعد مماتِه مقروناً باسمِ الشيخ سعيد في الزيارة والاستشفاع، وكان من أعظم مظاهر النفع والانتفاع.

[أخذُ المؤلف وأخيه عن المترجم وابنه]:

وقد تفضل الله عليَّ وعلى أخي العلامةِ علويٍّ بكمال الأخذ عنه والتلقي منه، والملاحظة التامة، إذ توفي والدُنا رحمه الله وتركَنا صغيرين، فكانت لنا في صاحبِ الترجمة وولدِه سيدِنا الحبيبِ الحنانةُ العظيمة، والشفقةُ الكاملة، والمرحمةُ التي تقتضيها القرابة والرحم[2]، ثم اليُتْم والصغر.

فكانا إلينا ناظرَين، وعلينا حَدِبين، ولنا مُؤْثِرَين، وعلى تربيتنا حريصَين، وكان ذلك من لطف الله سبحانه بنا، وهو الكنز الذي لا يفنى.

وقد سمعنا منه وسمّعنا، وقرأنا عليه من لُباب الكتاب والسنة وعلومِهما الكثير الطيب، وألبسنا وأجازنا خصوصاً وعموماً، ودعا لنا بما نرجوا من الله قبوله، وكان ملزماً لنا كسائر أولاده بحضور الصلوات الخمس معه، وحضورِ الرواتب، وإحياء ما بعد صلاة

---

(١) راجع ما تقدم (ص٦٥).

(٢) كان الحبيب طاهر بن عمر زوجاً لخالتهما الشقيقة، وهي أم ابنه عبدالله بن طاهر بن عمر، رضي الله عنهم، وهي ابنة العلامة السيد عيسى بن محمد الحبشي، وستأتي ترجمته في هذا الباب.

الصبح إلى الإشراق، وما بين الظهرين، وما بين العشاءين، في وظائف: ما بين ورد، وحفظ، ودرس، تحتَ ملاحظته، لا نقدر نتأخر إلا إن كنّا عند ولدِه سيدي الحبيب، أو في مَدْرسٍ عند بعض أشياخنا، وأوقاتُ اللعب والراحة التي لا يستغني عنها الأطفالُ يأمرنا أن نجعلَها تحتَ بيته مع باقي الإخوان من أولاده وأحفاده، حِفْظاً من مخالطة الأضداد.

وقد ربحنا ولله الحمد، حيث عُوِّضْنا عن فقد والِدنا بملاحظة هذين الإمامين الكاملين، اللذَينِ قرتْ لنا بالاتصال بهما العين، ذلك من فضل الله، فله الحمد على ما قضى وهدى، وجزاهما الله عنا أفضل الجزاء.

***

ولم يكن من عادة صاحبِ الترجمة أن يكتبَ الإجازات، لما هو فيه من الاشتغال بوظائف العبادات، إلا أني وجدت هذه الإجازة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله، المحمود المعبود المقصود، واسع الكرم والجود، وصلى الله على سيدنا محمد صاحب المقام المحمود، وعلى آله وصحبه الركع السجود.

أما بعد؛ فقد طلب مني الوصيةَ الولدان المحفوظان: عبدالله بن محمد الحداد، وعبدُالله بن طاهر بن سميط، وأن أجيزَهما، ولستُ أهلاً لذلك ولا أنا ممن حام حول تلك المسالك، ولكنِ امتثلتُ الإشارة، طمعاً في حصول البشارة.

فأجزتهما في قراءة القرآن، وكثرة الصلاة على سيد ولد عدنان ﷺ، وأوراد سيدي الحبيب عبدالله الحداد، وفي طلب العلم النافع، وفي الدعوة إلى الله حسب الإمكان.

وأوصيهما بتقوى الله التي كل من تمسك بها فايز، ولجميع خيرات الدنيا والآخرة

حائز، وعمارة الأوقات بكلِّ ما يرضي رب الأرض والسمٰوات، وصون اللسان عن كل ما يسخط الرحمن، والزهد في الدنيا دار الامتحان، التي من تعلق بها ألبسته ثوب الهوان، هذا؛ والله يحفظ الجميع عن الآثام، ويرزقنا حسن الختام.

قال ذلك راجي فيض الجواد

طاهر بن عمر بن أبي بكر الحداد

حرر يوم الاثنين سلخ ربيع ثاني سنة ١٣١٧هـ

سبعة عشر وثلاثمائة وألف».

وكان أولُ من ارتحل من الحاوي إلى قيدون سيدنا الحبيب عمر بن أبي بكر والد صاحب الترجمة، وقد تقدمَ في ترجمته في الفصل الثالث من الباب الأول ما تيسر، فلا نعيده.

❋ ❋ ❋

[الحبيب أبو بكر بن علي الحداد[1]
(... - ١١٨٦هـ)]

وأما سيدنا أبو بكر بن علي، جد صاحب الترجمة، فكان شريفاً عفيفاً، تأدب بأبيه وأعمامه، وكان نيلُ الرتب العوالي من مرامه، فلم تطل أيامه وعاجله عند انقضاء عمره المقدس حمامه.

وتوفي ببلد سيؤون في حياة والده الإمام الحبيب علي، سنة ١١٨٦، ست وثمانين ومائة وألف، ولم يعقّب إلا سيدَنا عمر بن أبي بكر[2] المذكور.

---

(١) أمه الشريفة زينب بنت الإمام الحسن بن عبدالله الحداد (بنت عم أبيه)، ترجم له ابن خاله الحبيب علوي ابن أحمد الحداد في «المواهب والمنن» (٢/ ٥١)، فقال: «وأما أبوبكر؛ فقرأ على جده وشيخه [يعني الحبيب الحسن الحداد]: «النصائح»، وبعضاً من كتب الحبيب عبد الله، وحصل معي الشك في ذلك. وسمعت بقراءته على جده كتاب «البركة» للإمام الحبيشي، وتوفي أبوبكر وهو يقرأ في كتاب «الشفا» للقاضي عياض.
وقرأ على خاله العلامة شهاب الدين وبركة المسلمين [يقصد والده أحمد بن الحسن] في الفقه: «شرح مختصر أبي شجاع» للحكيم الحيثي، وغير ذلك. وتوفي وهو يقرأ في «شرح مختصر بافضل الكبير» تصنيف ابن حجر المكي رحمه الله. ومرضه الذي مات منه قبل وفاته شبه الطارق، مع وجع ذات الجنب، وهو شهيد، لأن من مات بها شهيد على ما في الحديث النبوي، ولد سنة .....، وتوفي في شهر شوال سنة ١١٨٦هـ». انتهى.

(٢) ذكره الحبيب علوي في «المواهب والمنن» عقب ذكر أبيه، وقال عنه: «خلف ابنه اسمه: عمر؛ طلب العلم وتفقه». انتهى.

[الحبيب علي بن علوي الحداد
(ـ ١١٨٩هـ)]

وأما والدُه الإمام الكامل، والعالم العامل، نور الدين الحبيب علي بن علوي، فكان من أئمة الدين، الهداة المهتدين. ولد بحاوي تريم ونشأ في رياض المجد والتكريم، وأخذ وتأدب بأبيه الإمام، وأعمامه الكرام، وغيرهم، أساتذة الطريق، وأئمة الحق والتحقيق، وكان حسنَ الأخلاق والشمائل، وكثير المناقب والفضائل.

ذكرَه الحبيبُ الإمام، علمُ الأعلام، الحبيب علي بن حسن العطاس في كتابه «**المقصَد في شواهد المشْهَد**»، وأثنى عليه بها على علو مقامه ورفعة قدره يشهد، لأنه مرَّ بالمشهد مع توجهه لحجِّ بيت الله الحرام، في جمادى الأولى سنة ١١٦٧هـ.

توفي بتريم سنة ١٢٨٩، تسع - بتقديم المثناة - وثمانين ومائتين وألف[١]. وخلّف من الولدِ غيرَ سيدنا أبي بكر المتقدم الذكرِ: **عبد الرحمن**[٢]، **ومحمد**، **وأحمد**، وقد انقرض عقبهم. **وعبد الله**: وعقبه بظفار ومرباط، **وعلوي**: وعقبه بتريم وجاوة. **وحامد**: وعقبه بجاوة بفليمبان، وغيرها.

وإلى صاحبِ الترجمة يشير الحبيبُ الإمام عفيف الدين عبد الله بن جعفر مدهر، بقوله في قصيدته التي رثى بها والدَه الحبيب علوي، (شعراً):

---

(١) كذا بالأصل، ولعله سبق قلم، والصواب: ١١٨٩هـ.

(٢) ابنته الشريفة (شيخة): والدة الإمام مفتي حضرموت الحبيب عبدالرحمن بن محمد المشهور (ت١٣٢٠هـ)، مؤلف «بغية المسترشدين».

وما له من فُروعٍ قد علَوا نسَباً ... لاسيما نجلُه السامي بما اتّسما

وهو العليُّ سناءً والعـلي سـناً ... وهو العليُّ سماتٍ والعلي سُـما

وناهيك به من تنويه برفعة القدر، من هذا الإمام الحبر، ولا أظن سيدنا الإمام علوي بن أحمد الحداد إلا ترجم لصاحب الترجمة في كتابه «المواهب والمنن»، أني لم أجد إلى الوصول إليه سبيل، لأنقل ما ترجمه به هذا السيد الجليل.

انما ذكره عرضاً ص ٧٩٤ (ط١)

* * *

[الحبيب علوي بن عبد الله الحداد

(١٠٩٤ ـ ١١٥٤هـ)]

وأما سيدُنا الإمام الحبيب علويٌّ بن الإمام قطب الإرشاد وغوث العباد الشيخ عبدالله بن علوي الحداد، فقد ترجمه الإمام الحبيب محمد بن سميط في كتابه «غاية القصد والمراد»[1] قال نفع الله به: «**وأما علويٌّ بن سيدنا عبد الله**: فكان على قدم السلوك والتبتل والزهادة والعبادة والعلم والعمل، وكان صبوراً على المجاهدات وتحمل المشقات في العبادات، ولزوم الأذكار والأوراد أثناء الليل وأطراف النهار، وتوزيع الأوقات بوظائف العبادات والخيرات، على حال يعجَز عن حمل مثله الأبطال من الرجال، ويستغرب وجوده في مثل هذا الزمان.

وكان كثير الملازمة لوالِدِه لا يكاد يفارقه ساعةً في ليل أو نهار، إلا إن تكون ساعة نومه، وكان والده يشير إليه في أحوال كثيرة. ولما عجز والدُه آخر عمرِه وصلّى الفرائض جالساً، قدّمه في إمامة الصلاة، وصلى خلفه، وكان يخصه بأشياءَ من أسرارِه زيادة على غيره.

وكان سيداً إماماً جامعاً مفضالاً، ذا نفس أبية، وهمة علية، وإيمان ويقين، وكشف وتمكين، ومجاهدة ومشاهدة، وصبر وشكر، وزهد ورضا، وتوكل وخوف ورجاء، موزعاً

---

(١) وترجمته في الجزء المفرد من «غاية القصد» الخاص بتراجم الشيوخ والتلاميذ، المسمّى «بهجة الزمان وسلوة الأحزان»: (ص١٣٧-١٤٠).

أوقاته بالعبادات، لا يكاد أحد يساويه في زمانه في توزيعِ الأوقات في أنواع الخيرات والمبرات والقربات، **سمعتُ** سيدي العارف بالله عمر بن الحامد المنفر علوي يقول في سيدي علوي: «إنه أعبد أهل زمانه».

وكان صبوراً على نوائب الزمان، متحملاً لمشاقه، متلقياً صوادره بحسن الصبر وجميل الحلم، أقام مقامَ والده لإيناسِ القاصدين وإيواء الغرباء والمساكين، وإطعام الفقراء والجائعين، قائماً بوظائف أبيه في إقامة الجماعات والرواتب والحضرات، وتدريس العلو م النافعات.

وكان على غاية من الاستقامة والثبات والتأييد والسديد في أكثر أحواله، إماماً به يهتدى، وعلماً به يقتدى، مورداً للأنام ومقصداً للخاص والعام، انتفع به أكثر جماعة والده، وكان صاحبَ صدقٍ في سائر أفعاله، يكاد يظهر على ظاهره جميعُ ما يجنه في سرائره، قد أشبهت سريرته علانيته، وكان محتاطاً لدينه قلَّ أن يتّبع الوهم عن يقينه، إذا سئل عن مسألةٍ قلَّ إن يجيب، بل قول: «الله أعلم، ولا أدري»، أكثر من: «أعلم وأدري»، كائناً ذلك السائل من كان، لا يبالي في ذلك، وهذه صفة أهل الكمال من الرجال.

وكان من تواضعه وورعه إذا طُلبَ منه الإلباسُ يعتذر في أكثر ذلك، خصوصاً القبع، ويرى عدم الأهلية بالكلية، ولما طلبت منه الإلباسَ قبعَ والده الذي ألبسه إياه السيد محمد بن علوي صاحب مكة، أبى. وقال: «إن تُرِدْهُ فتناولْه وضَعه على رأسك وردَّه في مكانه»، فقلت: لا أريده إلا من يدك، فسمحَ بعدَ أشدِّ الإباء.

كذا لما طلب منه السيدُ عمر بن عبدالرحمن البار علوي أن يكْمِلَ عنده قراءة كتاب «العوارف»، حيثُ توفي والده والسيد عمرُ يقرأ فيه، قال له: «إن أردت أن تقرأه في مكان شيخِك فقط، وحصلت لك نيةٌ ونحن نسمعُ، فافعل. وإن ظننتَ أن عندنا شيئاً من السِّر فلا». وكان السيدُ عمر المذكور يثني على صاحبِ الترجمة بأنّ عنده شيءٌ من السرِّ المصون، ويقول: «الذي يظهر لنا أن الله بلّغه عند موتِه درجةً عالية، فوقَ وهمه»، قال ذلك بعد موته.

وكان صاحبَ توجه وإقبال بقلبه وقالبه، وكان إذا صلى يتأنّى في جميع صلاته، بحيث يؤتي كلَّ شيءٍ من أقوالها وأفعالها حقه من خشوع وذبول وخضوع، ويظهر عليه أثرُ ذلك. وكان إذا دعَا أطالَ جداً، ويستغرق في الدعاء بحيث يملُّ جليسه من طول دعائه، وهو يزدادُ بالتطويل ذَوقاً وشوقاً ورقةً وخضوعاً وبكاءً وضراعةً وابتهالاً، وما رأيتُ فيمن رأيتُ من إطالةِ الصلاة والدعاء مثلَه، وذلك علامة المحصول والعثور على المسؤول، لأن الدعاءَ مخُّ العبادة، ونور السموات، فكان قدس سره من ذلك بالمحل الأعلى، وله النصيب الأوفى.

وكان له من الأوراد التي يعمُر بها أوقاته ما يعجز عن بعضها أكثرُ أهلِ زمانه، وكان يراقب والده في أحواله وأفعاله وأقواله، ويحفظ ما سمعه منه ويواظب عليه، وقد التمستُ منه نقل ما يحسُنُ نقله عن سيدي، فنقل لي جملةً صالحةً أوردتها في مناقبه نفع الله به. توفي صاحب الترجمة وله من العُمر نحو من ستين سنة، وعاش بعد والده نحو عشرين سنة».

قلتُ[1]: فيكون وجودُه على هذا في حدود أربع وتسعين سنة بعد الألف، لأن والدَه توفي سنة أربع وثلاثين ومائة وألف، وكانت وفاتُه يومَ الربوع لسبعٍ من صفر سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف.

قال: «وحجَّ معه وحضر وفاتَه ابنُه الصالحُ العابد الناسك محمد بن علوي، وكان صاحب عبادة ونسك، واستقامة وأوراد وتبتل وشكر، أدركَ شيئاً من حياة جده الشيخ الإمام عبدالله الحداد، وهو الذي سماه محمداً، توفي بعد والده بسنتين بتريم، ودفن قريباً من جده عبدالله، نفعنا الله بهم وبسائر الصالحين». انتهى من «غاية القصد والمراد». **قلتُ**: وكانت وفاةُ الحبيب محمد بن علوي المذكور سنة خمس وخمسين ومائة وألف.

---

(١) القائل: هو مؤلف قرة الناظر.

[رسالة للسيد عبد الله مدهر في وفاة الحبيب علوي الحداد]:

وقد وجدتُ «رسالةً لطيفة» للسيد الإمام العلامة عفيف الدين عبد الله بن جعفر مدهر علوي ضمنها ترجمة صاحب الترجمة وذكر وفاته بمكة المكرمة أحببت إيرادها. قال نفع الله به:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾

«الحمد لله الحي القيوم الوارث الباقي، والصلاة والسلام على نبيه الراقي إلى أعلى المراقي، وعلى آله وصحبه أهل الصبر والرضا والتسليم، وعلى جميع المتبعين من المسلمين بالتخصيص والتعميم.

أما بعد،

فقد انتقل من دار الفناء الدنيا، إلى دار البقاء الأخرى، ذو الأنساب الزكية، والعلوم العلوية الطاهرة، الحسينية السنية المطهرة والأحساب الجليلة الجلية العلية الزاهرة، **علويٌّ** السيادة والتشريف، العلم الأشم الأكرم، المنيب المنيف الشريف، الشيخ العارف المعتلي أسمى سماه ذاتاً ووصفاً، ومحتداً وأسمى، الحبيبُ **العلوي** بن سيدنا وسندنا وشيخنا وسؤددنا، جامع كمالات الفضائل وفضائل الكمالات، جهبذ الحقائق الدقائق والمعارف والأسرار العليات، منبر «الإحياء» و«الفتوحات» و«الأصول» و«الفصول» و«النفحات»، قطب الإرشاد، وأوحد الأعلام وعلم الآحاد، الشريف العفيف السري، الشيخ المربي الحقيقي، إمامنا ووسيلتنا إلى الله الجواد، الحبيب عبد الله بن علوي الأوحد الحداد، نفع الله

ببركاته العباد والبلاد، وأبهج بأنواره وأسراره مهج أهل الاستعداد من أولى الإسعاد، وشمل بيمن فضله الحاضر والباد.

وكانت وفاتُه بأمَ القرى مكة المشرفة، وقد قدمها قاصداً الحج متوعِّكاً يومَ السبت سادس ذي الحجة سنة ١١٥٢ اثنين وخمسين ومائة وألف، فحجَّ ذلك العام حادي النسك بالكمال والتمام، وكانَ سفرُه من بلده تريم التي قدرُها كوزنها عظيم، بعدَ العشر من رجبٍ ذلكَ العام، وسلكَ طريق البر على أرض العوالق إلى صنعاء إلى جهة جَازان وإلى أبي عريش، ومنه ابتداءُ توعكه. وسكن أولَ قدومه بيت بافَضل، فيما سكنه والده الأجلّ، ومحبةُ ذلك الأصْل تورّثها منه كلُّ ذي فضل.

وطاف للقدوم محمولاً على كرسيٍّ ليلةَ السابع من ذي الحجة، ثم شرف بيت المحرِّر عبدالله مدهر، وجلس في مدرسَته قبل الصعود إلى الجبلِ فضلاً ومنًّا، وسكن بعدَ النزول ببيتٍ متصل ببيت المحرر، قريبٍ من باب العمرة.

وكان توعكه ومرضه: شدةُ الضعف، وغلبة الصفراء، وقد سبقت له البشارة، والأولياء لهم البشرى، وما هي إلا أسبابٌ وأمور قدرها رب الأرباب.

وقد حكى بعضُ الإخوان من السادة: أن السيد علويَّ المذكور المبرور أخبرَه: أنه رأى مناماً والدَه القطبَ قبل سفره من بلده، قائلاً له: «فتوحُك في الحرمين».

وسمعنا عن أخيه الولي، زين العابدين علي: أنه لما سَمع بسفَر أخيه علوي إلى الحج، قال: «سمعت الوالد يقول: إذا سافر علوي إلى الحجِّ استخلفوا منه»، إشارة إلى أنه لا يعود.

وكذلك سمعنا من السيدِ زين بن علوي الحبشي، روى عن والد سيدي علوي أيضاً، وأخبره ابنه الزّكي ونجله البهي السيدُ محمد: أنه اجتمع برجل في هيئة درويش لم يعرفه في الحرم المكي، وقال له: «أنت ابنُ السيد علوي الحداد؟ هو في الترقّي، وتعلو

درجته، وينبغي منه ترك الخواطر»، فلما أخبر السيدُ محمدٌ والدَه المذكور، حصل له خشوع وبكاء، وقال له: «قَيِدها بالكتابة»، ففي هذه إشارة وبركة، خصوصاً في ذلك المكان الشريف. وجرى ما قالَ ذلك الرجل أواخرَ المحرم سنة ثلاث وخمسين ومائة وألف.

وفي ليلة الأحد سبعٍ وعشرين من المحرم ذلك العام: خرج السيد علوي وتوجه إلى البستانِ القريبِ من غيلمان، بستانِ السيد الشريف الجليل عمر بن أحمد بن عقيل، بعد تكرار العرض من السيد عمر عليه في ذلك. وفي خروجه تلك الليلة إلى البستان حضر «راتب والده» في باب الصفا، بل صلى المغربَ تلك الليلة في المسجد مع الجماعة، وطاف وسعى محمولاً على كرسي، فكمُل بذلك له الحجّ، وصلى جمعتين قبل خروجه في الحرم، وخرج مرة وصلى العصر به مع الجماعة.

ولما دخل شهر صفر الخير: أخبر ابنَه ومن لديه: أنّ في هذا الشهر في خامسةٍ منه ولدَ سيدنا الوالدُ قدس الله سره، وكان يضطربُ إذا هلَّ هذا الشهر، وهو صفر في كلِّ عام، ويقول: «هذا الشهر ولدنا فيه، وربما تخطر لنا الوفاة فيه».

وأخبر السيد علوي جماعةً في صباحِ غرة صفر وهو الخميس: أنه حصل عليه في ليلةِ أمسِ عظيمُ تعبٍ لم يحصل له في مرضه بل في عمره، وقال لهم: «الآن كلمتكم وربما بعد ساعة لا أقدر على الكلام».

وأخبر الشيخُ محمد بن محمد طاهر بافضل: أنه ـ أعني السيد علوي ـ قال: «سيدنا الوالد الحبيب قدس الله سره لما حصل له نوعُ اضطرابٍ في أوائل القعدة من سنة اثنين وثلاثين ومائة وألف، قلت له: أنتم ذكرتم أن وفاتكم في صفر، ويحصل لكم الاضطراب فيه لذلك، فقال: ذلك الاضطرابُ ليس لأجلنا إنما هو لأجلك، وأنا قُدّامك، يُدفَنُ كل واحدٍ منا عشيةَ السابع من الشهر ليلة الثامن».

وسيدنا الحبيبُ كانت وفاته ليلة الثلوث السابعِ من ذي القعدة سنة ٣٤ أربعة

وثلاثين، ودفن عشية اليومِ السابع ليلةَ الثامن الأربعاء، ووفاة نجله العلوي صبح الأربعاءِ السابعِ من صفر سنة ثلاثين وخمسين ومائة وألف، ومدفنه عشيةَ ليلةِ الثامن الخميس، فانظر واشهد يا أخي هذه الكَرامة والإخبار بالغيبِ لسيدنا الحبيب الحداد قدس الله سره، وما في ذلك من الاتفاق العجيب.

وأخبرني المحبُّ الشهير الشيخ أحمد بن حسن باكثير، قبل وفاة السيد المذكور: أنه رأى مناماً كأني أقبلتُ عليه من مكان، وقلت له: تروح لزيارة علوي الحداد؟ وقلت له أيضاً: إنا كنا عند السيد المذكور، فقال: «إن فلاناً رجلاً من أصحابه توفي، وأنا أيضاً أتوفى بعده»، وأنا أقول: «سبحان الله كيف قال هذا السيد هذا الكلام؟!، كالمستثقل هذا الكلام.

ومعلومٌ أنه توفي من أصحابِ السيد رجلان؛ أحدهما: سالمين الكثيري، قبلَ السيد بنحو نصف شهر، والثاني: أحمد بانافع، توفي قبل السيدِ بنحو أسبوع، وكان السيد مشغولاً به وبالسؤال عنه كثيراً، وقد كتم جماعة السيد موته عنه.

وغسل السيد العلوي بعدَ صلاة الظهر يومَ الأربعاء يوم الوفاة، وكفِّن وجيء به إلى المسجد وقرئ عليه جملة ختم وصلى عليه بعد صلاة العصر من ذلك اليوم.

وكنتُ أنا العبد الفقير إماماً في الصلاة بإذنِ ابنه السيد محمد، وخرجْنا به بعد ذلك إلى المعلى، وازدحمَ الناسُ على نعشه للتبرك به، حتى قرب الأمر في المضاربة على ذلك، ورئي نعشُ السيد العلوي والجلالات تجلّ بين السماء والأرض عليه، ودفن ملاصقاً ضريحَ السيدِ الجمال الولي محمد بن علوي السقاف نزيل مكة المشرفة، وهو من شيوخ سيدنا الأوحد الحداد، أخذَ عنه بالمكاتبة كما هو مذكور في كلام الحبيب وغيره، وضريحُه هنالكَ في غايةِ المناسبة التامة، وهو من نعم الله تعالى على العبدِ المحرَّر، حيثُ هو المختارُ لذلك، والمشير به لـمّـا استُشير. وقد شرع بعضُ المحبين في تهيئة تابوتٍ لضريحه، قاصداً أيضاً معه إصلاح تابوت السيد الجمال محمد بن علوي السقاف.

وكانت إقامة مولانا وسيدنا العلوي المرحوم بمكة المشرفة شهرين كاملين كما لا يخفى ذلك. وقد ذكر لي رجلٌ من آلِ أبي فضل، أظنه المحب عبد الرحمن الملقب البعو في نحو سنة أربع وأربعين ومائة وألف، أنه رأى مناماً: أن السيد العلوي المرحومَ وصلَ إلى مكة ونزل في بيت العبد المحرِّر.

وقال السيد الجليل عمر بن أحمد بن عقيل: إن بعضَ السادة الأجلاء من أبي علوي أخبرَه :أن سيدنا الحبيبَ العفيف الأوحد الحداد، رأى هو أو رأى لهُ بعضُ السادة: أنه وصلَ إلى مكة ونزل في بيتِ السادة آل السقاف، فليفهم هذا المعنى ومناسبةُ نزولِ السيد العلوي المرحوم في بستانِ السيد عمر، وذلك كما حكي.

وأخبر مُفتي البصرة الشيخُ أحمد رحمه الله، الواصلُ الحرمَين نحو عام أربعين بعد المائة وألف: أنه من عادته يكتب لسيدي الحبيب العفيف الأوحد الحداد، ويجيبه، كما هي عادته الجميلة، فكتب إليه في بعض الأجوبة ما معناه: «ويحصل الاجتماع بنا في بلدكم البصرة»، حتى قدمَ ابنه السيدُ الجليل زينُ العابدين إلى البصرة. وسمعتُ بقدومه ولم يخطر بالخاطر شيء، فذهبت إليه لزيارته فحين جلستُ في مجلسِه بعد مصافحته، خطر بالبال، وظهر أن مرادَ الحبيب باجتماعي بِهِ اجتماعي بابنِهِ المذكور الواصل إلى البصرة». انتهى. وهذا فهمٌ حسنٌ ودليلٌ على حسنِ استعداد فاهمه، وصدق محبته، حيث الولد سر أبيه، وبركة الأصل في بنيه.

ومن هذا المعنى ما أخبرَ به السيدُ محمد بن السيد علوي المرحوم: أن السيد الصالح مشهور بن مرزق ذكر للسيد علويٍّ المرحوم عامَ قصدِهِ الحجَّ قبل توجهه وسفره أنه رأى سيدَنا الحبيب الأوحد الحداد قائلاً: «إني قاصد في هذه السنة الحج وأجيء شبام»، وكان المراد نجله العلوي رحمه الله، حيث قصد الحجَّ وسافر وجاء إلى شبام.

وأخبرني المحب الصافي فقيرُ بن علوي عبد الله بن سلمان الطائفي: أنه حضر

ليلة راتبَ الحبيب الأوحد الحداد قدس الله سره في مكة ببابِ الصفا، فحصل له وجد، واستعظم شأنه، وخطر له التعرّف بمعرفةِ من هو خليفتُه القائمُ بالأمر بعده، قال: فسمع تلك الليلةِ في المنام قائلاً قال له: «خليفته بعده ابنه السيد علوي».

نفعنا

نفع الله تعالى ببركةِ أهل الأنوار، وقدسنا جميعاً بما لهم من الأسرار، والتطويلُ في الكمالِ بالكلام تقصير، وإنما يحتاج للتكثير والتكرير غير المطلع الخبير. فلنمسكْ هنا عنانَ القلم، ونكتب بالبنان ما انتظم، مما جرى على لسان محرره.

فأولُ ما وردَ على العبد المحرر: هذا النظمُ المتضمنُ التاريخَ في الآخر، قدسنا الله بأسرار أهل السرائر:

على السيدِ العلويّ مقاماً ونسبةً ... حياةً وموتاً في مسمّى وفي سما

فتى الأوحدِ الحداد وهو سليله ... فأكرم به فرعاً لأصل قد انتمى

توفاه مولاه بمكة فاعتلى ... ضريح له بين الحجون وغيلما

ضحى الأربعاء بالسبع من صفر ... به ولد الأصل الحبيب وقد سمى

وقد نال أنوار الفتوح كما لَه ... أشار أبوه القطب من قبل في الحمى

وفي درجات قد علا بإشارة ... تجلت ومن قد قالها كان مبهما

لذلك تطبيقاً أقول مؤرخاً ... (على درجات راقياً بالهدى الحمى)

ثم وردت هذه المنظومة، التي هي بمن سَما ساميةٌ موسومة:

هل ماجت الأرضُ أم مارت نجوم ... في مأتم حزنها منه ربا ونما

ماذا دهى بين الورى وعرى ... أضحى به الناس فيما أدهش الحلما

بل صاح ناعي العلا وقت الضحى ... من (غيلما) وهو يبكي سيداً علما

السيد العلوي المجد مشرقه في اسم ووصف واصل قد علا وسما

سليل قطب الوجود الغوث واحده حاوي المكارم حقاً مفخر الكرما

الجامع الأوحد الحداد شيخ أولي الإرشاد حيث به الإسعاد قد عظما

قطب الدوائر براق السرائر كـشاف الستائر جلاء لحجب عمَى

الكامل المجتلي من كشفه تحفاً العالم المعتلي من قوله حكما

كم قد أفاد ودل في نصائحه وكم حبا من شاد في الذرى وحما

كم ثبت الناس يهديهم ومرشدهم على العموم بتخصيص لمن فهما

ما زال ينصحهم بالواعظين من الـذكر الحكيم وموت صامت وسما

يا غافلاً والردى يحدو به أبداً أفق فإن مليك الموت قد لزما

افتح عيونك في الأكوان أجمعها واشهد ترَ النور يمحو الظلم والظلما

وقدم الزاد للأخرى وكن حذراً من المعاصي اللواتي تعقب الندما

وكن أخي ذا اعتبار بالذين مضوا إلى القبور من السادات والشهما

فمن حسان وجوه جليت شرفا من آل بيت النبي الأصفيا الرحما

واقرب الكل بالترحال سيدنا المذكور من قدس الباري له شيما

ذاك الفتى العلوي لله من علوي من وصفه دون موصوف له كرما

فليهنِ مكة ما حازت بتربته وليهن من حيث فيها حل محترما

ولتعل معلاتها العلياء بالعلوي مستعلياً بعلاها ضارباً خيما

قد فاز بعد بلوغ الحج مكتملاً مبلغ المرتجي من أرحم الرحما

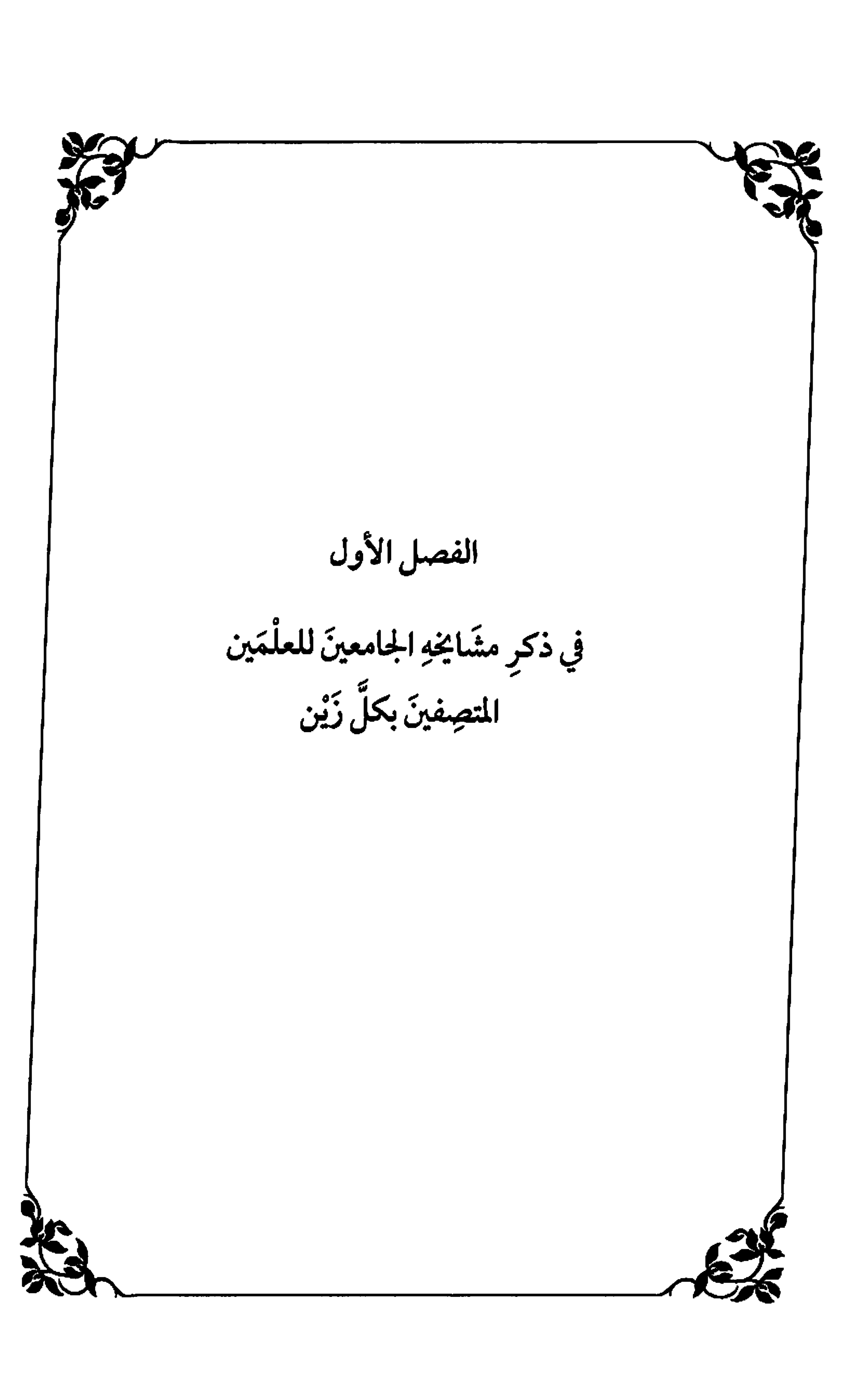
مطهر الحسن المعنى بغير مِرَا كما به النص في القرآن قد علما

مهاجراً قد حوى من نص آيتها أجر الترقي إلى الرحما بخير حمى

من بعده أضحت الأحياء في حزن وإنما البشر للموتى به عظما
أضحى العزاء به من شأفنا ولهم كل الهناء باستلام الترب إذ قدما
به يعز العَزاء من أقاربه والسادة الأصفياء إخوانه الشهما
كصنوه الحسن المشهور في شيم من الشهامة والعلياء علت هما
وما له في فروع قد علوا نسباً لاسيما نجله السامي بما تسما
وهو العلي سناءً والعلي سنىً وهو العلي سِماتٍ العليُّ سَما
ثم الذي حاز معنى قرب والده وهو الجمال الوقور المحتوي نعما
وليبكه الكل منهم مع مساجده كذاك حاويهم الحاوي بهم عظما
والأمر لله بالتقدير من أزل سمعاً وطوعاً وتسليماً لما حكما
والصبر عند خطوب الدهر معتصماً من خير ما يقتنيه العبد مغتنما
وفي الإشارات من أهل الإشارة ما يسلي عن الحزن والأتراح للفهما
وقت الوفاة حكى تاريخه لضحاء الأربعاء فيه للتعداد قد نظما
سابع صفر مر في السنى العلوي تاريخه ذلك الملفوظ منتظما
أزكى الصلاة من المولى قدوم على خير النبيين طه أعلم العلما
والآل والصحب والأتباع أجمعهم بحسن ختم به المنظوم قد ختما

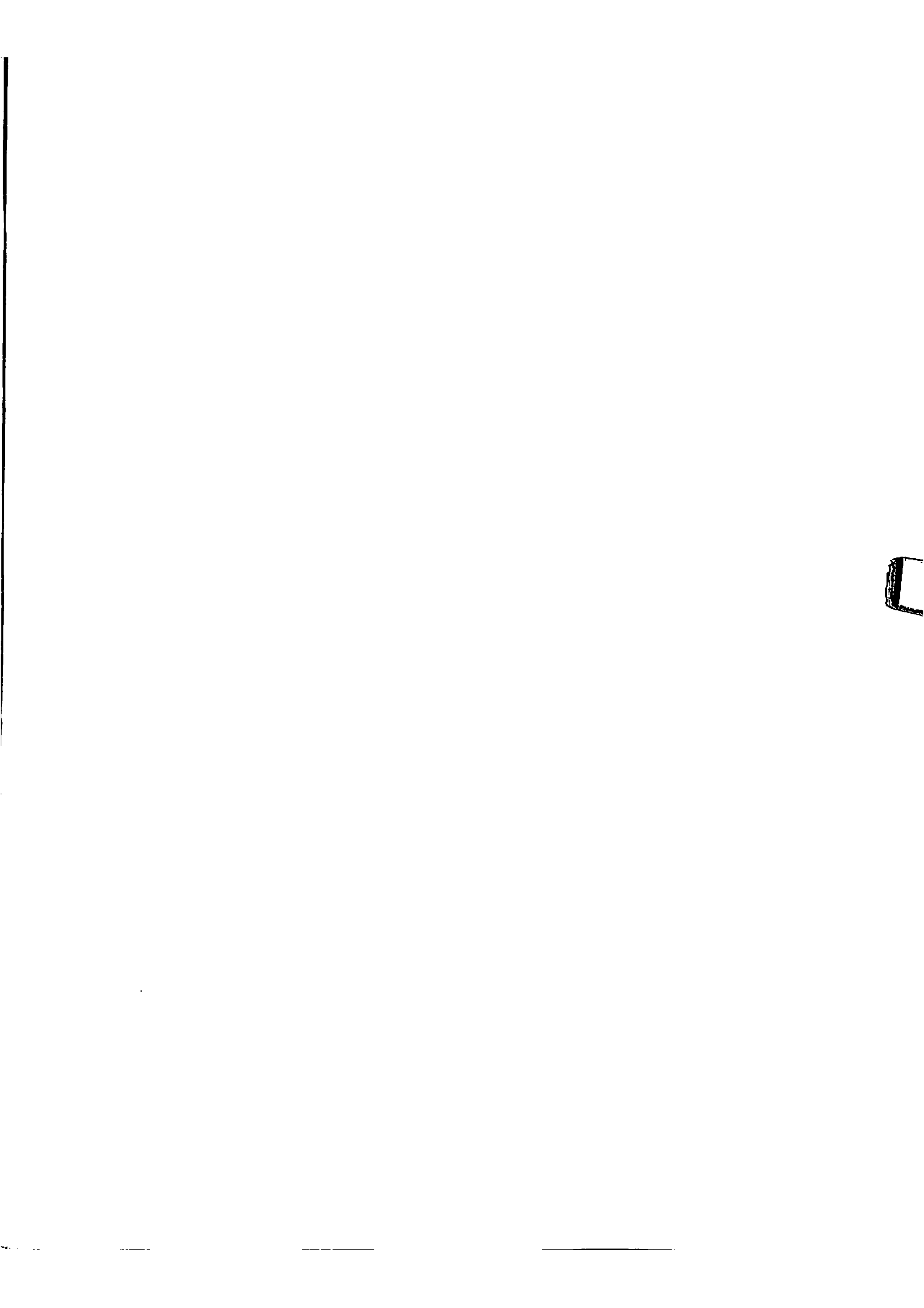
انتهت «**رسالة الإمام مدهر**».

وإنما ذكرتُ هؤلاء الثلاثة الأئمة الكرام: سيدنا علوي صاحب الترجمة، وابنه الحبيب علي، وحفيده الحبيب أبي بكر، لكون ذكرهم من تمامِ ترجمة سيدي الحبيب وأبيه، وكنت أردتُ ذكرَهم في الباب الأول، فلم يتيسر، وهذا الموضعُ من أنسبِ المواضعِ لذكرهم، نفعنا الله بأسرارهم، وغمرنا ببركاتهم وأنوارهم، آمين.



الفصل الأول

في ذكرِ مشَايخِهِ الجامعينَ للعلْمَين المتصِفينَ بكلِّ زَيْن



القسم الأول

من أدرك شيئاً من حياتهم

وهم المتوفَّون بعدَ عام وجوده سنة ١٢٧٣ ثلاث وسبعين ومائتين وألف إلى بعدَ بلوغه سنة ١٢٩٠ تسعين ومائتين وألف

فمن صحَّ لسيدي الرؤية والاجتماعُ به، فذاكَ، وإن لم يتحقق له ذلك معه، فقد جمعهم الزمان وليست بينهما إلا واسطة فقد صحت الرابطة بأخذه قدس سره عمن أخذ عنهم وتلقيه عمن تلقى منهم.

وقد قال سيدنا القطب الحداد قدس سره: «إن بيننا في الأخذِ وبين الشيخ أبي بكر ابن سالم: السيدُ الجليل عبدالرحمن بن شيخ صاحب عيديد، اجتمعَ بالشيخ أبي بكر بن سالم وهو ابن سبعِ سنين». فقال له سيدُنا الإمام شهاب الدين أحمد بن زين الحبشي: «هل يكفي في الأخْذ عن المشايخ الاجتماعُ فقط، من غير قراءةٍ ولا مذاكرة؟»، فقال: «نعم؛ يعدُّ ذلك كافياً إذا كان الاجتماعُ بأحدٍ من الأكابر، ويكفي معه المجلسُ فقط». انتهى.

وقد تقدمت في الباب الرابع الإشارةُ [إلى] ما خُصَّ به سادتنا العلويون من الاتصال والارتباط، والامتزاج والاختلاط، حتى كأنهم شيء واحد، وإن تباعدت ديارُهم وأوطانهم فما تباعدت أنوارهم وأسراهم، ﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾.

لاسيما وقد كان سيدنا الحبيبُ قدس سره ممن خُصَّ من زكاءِ الفطرة بأعظم خصوصية، ومن طهارة النفس وصفاء الروح بأعظم مزية، وكان كثيرَ التعرف إلى

المعروفين بالفضل، وكثير الاستفادة من كل من كان لها أهل، وكان من صباهُ ريحانةً لأهل الله، قد جبله الله على التعلق بالمراتب العلية، والطموح إلى المقامات السنية، منذ بلغ سنَّ التمييزِ إلى أن عثر على كنزه من الذهب الإبريز، وظيفةً من المعرفة بالله على سرها الغريب.

* * *

[١ ـ الحبيب صالحُ بن عبد الله العطاس (١٢١١ـ١٢٧٩هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام القطب الكبير، الحبيبُ صالحُ بن عبد الله بن أحمد بن علي بن محسن ابن الشيخ الحسين بن الشيخ عمر بن عبدالرحمن العطاس، الدايرة عليه كؤوس المحبة على عدد الأنفاس، المتربع على منصة الكمال والمتسربل بجلل المهابة والجلال، الظافر من فيوضات الجمال بغاية الآمال، المنغمسُ في الإحسان، الفاني عن الأكوان، المستغرق في شهود الفضل والامتنان، الذي صفى له الزمان، وامتلأ بمحبته كل جَنان، الممتزج لحمه ودمه بأسرار الجلالة، المنقذ لأهل الضلالة والجهالة، بأنوار الآيات البينات وصريح الدلالة، الحائز لكمال الوراثة لجده صاحب الرسالة، الذي يعجز ناعته أن يعرِّفه، ومن لو بالغ مادحُه كلَّ المبالغة لم ينصفه.

بل هو كما قال السيد العلامةُ سالم بن أحمد العطاس لما خرجَ من مكة إلى حضرموت واجتمع به، وكتب إلى شيخه السيد أحمد دحلان بمكة: «إن سألتُم عن سيدِنا الحبيبِ صالح بن عبد الله العطاس فهو كما قيل:

كلُّه رحمةٌ وحزمٌ وعـزمٌ ووقارٌ وعصمةٌ وحياءُ

ولقد أحسن وأجمل، فقد بلغَ هذا الحبيبُ من الوراثة لجده الأعظم ﷺ في كل خلق شريف، مقاماً عالياً منيفاً، يقصر دونه الإيضاح والتعريف، وقد كان له من جده ﷺ عناية كاملة، بل كان ﷺ هو المتولي لتربيته الخاصة، كما أخبرَ قدس سره بذلك عن نفسه.

وقد أفرد مناقبَه في مؤلفٍ حافلٍ تلميذُه وابنُ أخيه، الإمامُ الكامل والعالم العامل الحبيب محمد بن أحمد بن عبدالله العطاس، سماه: «تأنيسُ الحواس»، وقد اختصره وحرّره السيدُ الجليل النبيل محسنُ بن سالم بن محسن العطاس، وزاد فيه زيادات حسنةً، وسماه: «الالتقاطُ والاقتباس»[١].

وها أنا ألخصُ مما ذكر أنموذجاً تتشرفُ به هذه العجالة، وتحصل بها الإشارة والدلالة، مع تصرفٍ في العبارة لا يخل بالمعنى، والتقاط بعض فرائدَ من مناقبه من «مجموعِ كلامِ شيخنا الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس» رضي الله عنه.

فأقول:

ولد قدس سره ببلد عمْد في شهر رجب سنة ١٢١١ إحدى وعشرين ومائتين وألف، ونشأ بها في كنف أبيه، وخصوصية الخلاق تلوح في جبينه البراق، وشاووش البشارة ينادي، بتقديس ذلك النادي، ومن تلك الطلعة لأهل ذلك الوادي، وكان قد بشر بوجوده قبل وفوده الحبيبُ العارفُ المكاشفُ صالح بن عبد الله الحامد، قال لوالده: «يأتيك ولدٌ اسمُه كاسمي، وجسمه كجسمي، وحاله كحالي»، وتوفي في السنة بل في الشهر الذي وجدَ فيه صاحبُ الترجمة، قبل وجوده بأيام قلائل.

وكانت الشريفةُ المكاشفة علوية بنت الحبيب صالح بن عبد الله الحامد المذكور، إذا أرادت القيامَ مع كبر سنِّها تقول: «يا صالح بن عبد الله، الكبير والصغير»، فقيل لها: الكبير أبوك، والصغير من؟ فقالت: «ولد عبد الله بن أحمد». تعني: صاحبَ الترجمة وهو صغير.

فظهرت عليه علاماتُ السعادة والفلاح، ونفحَ من أعطافه عرفُ الولاية وفاح،

---

(١) هذا الكتاب المختصر لم يذكره العلامة علي بن حسين العطاس في كتابه «تاج الأعراس»، وانظر ترجمة السيد محسن بن سالم في «التاج»: (٢/ ١٤٣).

وتحلى في صغره من أخلاق أهل الكمال، مما يعجز عن التحلي به غير الكمّل من الرجال، وإلى ذلك أشار الحبيب أحمد المحضار بقوله:

* من قبل تمييزه تحلّى بالحلي وبالحلل *

فمما وقع له في صباه، وأبرزته فيه عناية مولاه: أنه حصَل في بلده موسمٌ كبير من البر، ووقعت في البذر بعضُ شبهة، فلما حصدوه لم يأكل منه شيئاً، ولم يطلب من أهله أن يأتوا له بطعام غيره، بل صبر على الجوع أياماً عديدةً حتى ظهَر عليه أثرُه، فعلم أهلُه بما كان عليه.

ومن ذلك: أنه أتى عند والده ضيفانٌ وأخرجَ أهلُه غداءهم معه إلى بيت المقصَد، فمرَّ بطريقه على سؤّالٍ جالسين عند الباب، قصدُهم شيئاً من الطعام، وكانوا عدداً غير قليل، فقسّم عليهم جميعِهم من غداء الضيفان، وكان عصيدةً، ثم طلع به وأعطاه والده، وكان قد رآه يقسّم منه على المساكين، فرفع غطاءَ الجفنة ليرى ما بقي بعد إعطاء السُّؤّال، فوجدَها ملأى كأن لم تمسّها يده، فتعجبَ، وقال له: «من أين جئت بالذي أعطيته المساكين؟» فقال: «من الجنة!».

وقد اشتملت هذه الحكايةُ مع كونها من خوارق العادات، على جمل مما تحلى به هذا الإمام الكبير في ذلك السن الصغير، من مكارم الأخلاق، من الكرم والإيثار، والرحمة والشفقة بالضعفاء وأهل الانكسار، والتقديم لهم على من سواهم، ولا يستغربُ ذلك ممن تفرعَ عن شجرة النبوة، وتربى في محتد المجد والكرم والفتوة.

وكان قدس سره يخبر في صباه بأمورٍ من الكشفِ فيكون الأمرُ كما أخبر.

وأتى إلى عمْد الحبيبُ الإمام محمد بن أحمد بن جعفر الحبشي داعياً إلى الله تعالى، وصاحبُ الترجمة في سن التمييز، فرآه ولوائح القبول والإقبال تلوح على أساريره، فخصه بنظره الخاص ومنحه من إكسيره، وحلق رأسَه، وكان في جانبٍ منه شعرٌ يبقونَه أهلُ تلك

الجهةِ على رؤوسِ الأطفال، وألبسَه كوفيةً، وأمره بنشر الدعوة إلى الله تعالى في ذلك السن، واستصحبه معه مدةَ إقامته هناك، وكان يدور هو وأصحابه في أزقة البلدان، يقرؤون «فتح الرحمن» جهراً، ويدور بصاحبِ الترجمة معه، وكان أكثر أهل الجهة ما يصلّون، لا يعرفون الدين، فتعلموا وانتفعوا، وحافظوا على الصلوات.

ثم إنه قدس سره ذهبَ إلى حريضة، فزار أسلافَه الكرام، وتردد في مآثرهم الشريفة، اجتمع فيها بالشيخين الكاملين، والإمامين العارفين: الحبيب هادون بن هود العطاس، والحبيب علي بن جعفر العطاس، وهما من أكبر مشايخه.

فأمره الحبيب هادُون بالمسير إلى شبام لزيارة الحبيب الإمام أحمد بن عمر بن سميط[1]، فقال له: «إني لم أستأذن والدي في ذلك»، فقال له: «أنا والدك»، فامتثل الأمر وسار، وزار إمام الأبرار، وأقام عنده أياماً، وحصل له مع وصولهِ قبضٌ وانكماشٌ لعدم استئذانه لوالده، فكاشفه الحبيبُ أحمد بما حصل له، وقال له: «والدك إلا بايفرح جَم»، فكان الأمرُ كذلك، فإن والده سُرَّ سروراً كثيراً.

وبعد رجوعه من شبام استأذنَ والدَه في السفر إلى مكة المشرفة، فأذن له، فسافر إليها مع أخيه الحبيب أحمد، فحجّا حجةَ الإسلام وأدرك غاية المرام، من التملي بالمشاعر العظام.

ورجع الحبيبُ أحمد، وجاور صاحب الترجمة بالبلد الأمين أربع سنين، فقرأ القرآن العظيم وجوَّده، وأخذ علمَ التجويد عن السيد حسين المصري. وجدّ في طلب العلم الشريف واجتهد، وحصلت له مشقةٌ عظيمةٌ في الطلب، فزاحم أهل الرتب بالركب، حتى أدرك نهاية الأرب.

أخذ عن جملة من العلماء الأعلام بالبلد الحرام، منهم: الشيخ محمد صالح الريس،

---

(١) وكان الحبيب أحمد بن عمر زوج خالته!

والشيخ عمر بن عبدالرسول، والشيخين: محمد وأحمد آل مرزوقي، وأدخلاه الرياضة، وأخذ عنهُما الطريقة، وسلكَ مسلكَ الجد والتشمير في طلب العلوم النافعة، حتى بلغ منها المقامات الرافعة.

وبلغ من المجاهدة والمكابدة رتبةً بعلوِّ مقامه شاهدة؛ مكثَ أياماً عديدةً لا يأكل إلا شيئاً يسيراً من البقصماط المعروف هناك، وثلاثةَ أشهرٍ لم يذُق فيها غير ماء زمزم، ويفطر على شِقِّ تمرة للإتباع، حتى انقطعت عنه شهوةُ الطعام، وأشرقت له الأنوار وانكشفت له الأسرار، ثم رأى كثيراً من سلفِه الكرام في اليقظة والمنام، يأمرونه بالتمسك بطريقتهم القويمة، وترك ما سواها من الطرق وإن كانت مستقيمةً، فامتثل ما أمروه به.

وكان قلما يظهرُ شيئاً من أحواله، إيثاراً للخمول، واستمساكاً بظاهر الشريعة المطهرة. وكان قدس سره يقول: «رأيتُ النبي ﷺ في روضته الشريفة، فاستأذنته في الدخول عليه فلم يأذن لي، فنظرتُ في نفسي فإذا في رجليَّ نعلَان فخلعتهما، واستأذنته ﷺ فأذن لي، فدخلتُ، فقال ﷺ: «يا عائشةُ؛ هاتي الجرة»، فجاءت السيدة عائشة رضي الله عنها بجرّة فيها لبنٌ، كجرار الفول المعروفة بمكة، فأخذها ﷺ وشرب منها وأعطانيها، فشربت منها حتى تضلعتُ، ووقع في نفسي: أن النعلين هما الدنيا، فاستوى عندي بعدَ ذلك الذهب والفضة، والمدر والحجر، وصرت أرى الريال في ثوبي كالحية».

وكان في تلك المدة إذا وقعَ بيده شيءٌ من الدراهم يضعه على جدار الرباط الذي كان فيه، يأخذه من أراده، ولازم الاعتزالَ عن الناس والانقباض، والاشتغال بالذكر والتذكر والمراقبة، وبلغ في صلاح القلبِ وحسنِ الظن بالله وبخلق الله مرتبةً عاليةً، وحصل له جذبٌ قويٌّ مع رسوخ وثبات عظيم، بحيث لم يخرج عن طَور الشريعة المطهرة، وتوالت عليه الكشوفات، وانخرقت له العادات.

ووصل إلى مكة أخُوه الحبيب العارف بالله علي بن عبد الله، وهو لم يزر جدَّه ﷺ إلى وقتِ وصول أخيه المذكور، فسارا معاً بعد الحجّ إلى المدينة المنورة ونالا من قرب الحبيب

أوفر نصيب، وأقاما بالمدينة أياماً ثم توفي الحبيب علي بها بعد رؤيا عظيمة رآها، وكشوفات عظيمة توالت عليه، وأنوار ظهرت له.

وأقام صاحبُ الترجمة بعدَه أياماً في المدينة، ثم عزم على السياحة في البراري والقفار، فأتاه الحبيبُ العارف بالله عمر بن عبدالرحمن السقاف ساكن القنفُذة، وقال له: «عليك أمرٌ بالخروج إلى جهتك حضرموت»، فاعتذر إليه ببعضِ أعذار، وقال: «ليس لي عزمٌ على الرجوع إلى تلك الجهة، ولست متأهباً للسفر إليها»، فقال له: «إن هذا أمرٌ ممن لا يسعنا خلافه». فامتثل الأمر حينئذٍ، وسافرَ مع السيد المذكور إلى جدة، فرجعَ السيدُ المذكور إلى مكة، وانتقل إليه ما كان مع صاحبِ الترجمة من آثار قوة الحال، ولا يزال يزيد عليه حتى أخرجه عن إحساسه، وتوفي إلى رحمة الله.

وسافر صاحبُ الترجمة إلى جهته الحضرمية، ومر في طريقه على اليمن المبارك، فأخذ بها عن الحبيب الإمام عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، مع وصوله إليه، وأمره بالقراءة عليه في كتاب «إيضاح أسرار علوم المقربين»، فقرأ في أوله إلى أن بلغَ إلى قول الشاعر:

عباراتُنا شتّى وحُسنكَ واحدٌ ... وكلٌّ إلى ذاكَ الجمالِ يُشِير

فأمره بالسكوت، وتكلمَ على معناه، قال صاحب الترجمة: «ولم أعقل شيئا مما قرأته إلا هذا البيت»، قال شيخنا الحبيب أحمد: «وذلك لاستغراقه بما هو فيه».

وقال الحبيبُ أبو بكر بن عبد الله العطاس: «إن الحبيبَ صالح ورثَ حالَ الحبيب عبد الرحمن بن سليمان بعد وفاته، حتى لونُه كان أبيض، وبعدَ وراثتِه له انقلبَ إلى السُّمرة كلون شيخه، وتخلق بأخلاقه وتواضعه». انتهى.

ولما رجع إلى بلده أشرق فيها نوره، ونادى قلوبَ المؤمنين إليها منادي ظهوره، فقصدوها لزيارته من كل فج عميق، وسعد به من جمعه به التوفيق.

وتردد إلى الوادي الميمون الذي تقر بزيارته العيون، وادي ابنِ راشد، ونادي السادة الأكابر الأماجد، واجتمع فيه من الأئمة بعددٍ كثير، حصل له منهم الاتصال العظيم والمدد الكبير، منهم: الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب الحسن بن صالح البحر، والحبيب عبد الله بن أبي بكر عيديد، والحبيب الإمام أحمد بن عمر بن سميط، وكان قد زاره في صباه كما تقدم.

ولما أتى إليه آخراً أمرَه أن يطرحَ بُنّاً على عادة أهل علْوَى، بمرأى من أهل شبام؛ ليريهم كيف شأنُ أهل وادي عمْد ودوعن في الاقتصاد، وأن ما يفعلونَه هم خارج عنه، فطرح بُنًّا وعملوه قهْوة بلا سُنكر.

وتردد أيضاً إلى وادي دوعن؛ وأخذ به عن الحبيب عمر بن أبي بكر الحداد، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، والشيخ أحمد بن سعيد باحنشل، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

وكان أكثرُ جلوسِه بعد رجوعه من الحرمين في خلوته المعروفة بمسجده مسجد فرَج، الذي عمره وجدده هو وأخوه الحبيب أحمد، وكان قد رأى وهو في المدينة المنورة قائلاً يقول له: «اخرج إلى مسجد فرَج، فإنه بقعة من باعلوي تريم، أو من جامع تريم». فأقام فيه الجماعات والمدارس والمذاكرات وعمارة الأوقات وما كانت نفسه الشريفة تسمح بإهمال شيء من وظائف العبادات وشريف الأوقات.

وما زال قدس سره ملازماً للأوراد والأذكار ونشر العلم وتعلمه وتعليمه، كثير الحرص على الدعوة إلى الله للخاص والعام، مصاحباً للرفق واللين للمتعلمين، بإدلاء النصيحة لكافة المسلمين خاصتهم وعامتهم، خصوصاً أهل البيت الطاهرين.

فكان كثير الترددات في تلك الجهات للدعوة إلى الله والدلالة عليه، فأوصل الدعوة إلى جميع الوديان كرَخْية، وحَجْر، والرَّيْد، ووادي عمد، وغيرها من النواحي.

فحصل بدعوته النفعُ التام، للخاص والعام، ووضع المولى له الهيبة في القلوب

والقبول والمحبة، فكان إذا خاطبَ أحداً بما يقرّبه إلى الله قبل منه، وانقلب فرحاً مسروراً، وإذا أمر بأمرٍ لم يقدرْ أحدٌ على مخالفته، لما اشتهر من جلالة قدره وعظم حاله، وإن من خالفه لا بدّ وأن يصاب بعقوبة على قدر مخالفته.

وكان قدس سره قوالاً بالحق لا يخافُ في الله لومة لائم، شديد النهي عن محارم الله تعالى، ويغضب كلَّ الغضب عند انتهاكها.

وكان قدس سره يعظُ الناسَ في المحافل والمجامع العظيمة، كزيارة المشهد ونحوها، بوعظ ترجُف منه القلوب، وتذرف منه العيون، مع قلب خاشع، وصدق نية، وفصاحة لسان، وبلاغة منطق، وحسن صوتٍ إذا سمعَه الناس ازدحموا عليه وقبلوا منه.

وكان قدس سره كثيرَ الرحمةِ والشفقة بالمسلمين، صغيرهم وكبيرهم، وغنيهم وفقيرهم، حريصاً على جبر خواطرهم، يمشي مع من أخذ بيده، لا يكاد يغضب أو يدعو على أحد من المسلمين، بل يدعو لهم ويدعوهم لما فيه نجاتهم برأفةٍ وسياسة ورحمة. وكان عظيمَ السعي في إصلاح ذات البين، لا يعظم أمرٌ ولا تنزلُ نازلة إلا وتوجّه في حلِّ ما أشكل، فيصلح ذلك ببركته وعلى يده.

وكان قدس سره متوسّعاً في أنواع المعارف، زاهداً في الدار الفانية رافضاً لها قاطعاً لعلائقها، لا يقدر أحدٌ أن يذكرها بحضرته.

وكان قدس سره كثير التهجد والذكر والفكر، لا ينام من الليل إلا قليلا، ولا يخلو نفَسٌ من أنفاسه ولا لحظةٌ من لحظاته عن ذكر الله، نشأ على ذلك من صباه، وكان يقول: «إني أسمع قلبي بذكر الله»، أي: سمعه بإذنه بصوت ظاهر.

وكان إذا اجتمعَ عنده الناسُ شرع لهم ذكراً، فتمر بهم الساعة والساعتين على ذلك، وكانت راحته في ذلك، وفي السماع وإنشاد أشعار أهل الذوق، وكان ربما حدا هو قدس سره، وكان مجيداً في الحدْو، حسنَ الصوت فيأخذُ بمجامع القلوب.

وكان قدس سره قلبٌ وربّ، لم تبقَ له نفسٌ ولا بشرية، حكي عنه أنه قال: «إني تقايأتُ نفسي في أيام رياضتي، ورأيتُها لما خرجَت».

قد آتاه الله من الهيبة ما تكاد تنفطر لها القلوب، لا يراه قاصي ولا داني إلا وذكر الله وكان نظرهُ كبريتاً أحمر، فما نظر إلى مريضٍ إلا وشفي، ولا إلى جاهلٍ إلا وعلم، ولا إلى بليد إلا وفهم، ولا إلى مدبر إلا وأقبل، وعُرف منه محبته الطاعةَ عند ورود الشدائد والمصائب، قد برد جأشُه بثلجِ: «ما شاء الله كان». حُكيَ: أنه أتاه خبر وفاة ولدٍ وبنتٍ من أولاده في يومٍ واحد وهو بدوعن، فلم يظهر منه إلا بِشرُ الرضا، وراحة التسليم.

وكانت مجالسهُ في غاية من الصفاء، حتى أن الخواطر ما تخطر فيها، بل أعيان الحاضرين في محاضِره تصيرُ كأنها غيرُ موجودة ومتلاشية، قد أحاطت بها الأنوار واستولت عليها، وما كان يراعي أحداً إذا صَفي له الوقت، ولا يميز بين أحدٍ وأحد، فهو كائنٌ بائنٌ مع الناس في المجامع المعتادة، وهو بمعزل عن ما هم فيه.

قال شيخُنا الحبيب أحمد بن حسن: «الذين صفا لهم زمانهم من سادتنا آل أبي علوي: الشيخُ بو بكر بن سالم، والحبيب صالح بن عبدالله».

وقال الحبيب القطب أبو بكر بن عبد الله العطاس: «سألت الحبيبَ هادون بن هود عن الحبيب صالح بن عبد الله، وقلت له: من مدة طويلة ما رأيتُ الحبيب صالح رافعاً رأسه إلى السماء! فقال: إن له من فوق ثلاثين سنة مخبتٌ ما رفعَ رأسه إلى السماء حياءً من الله تعالى». وقال أيضاً: «إن الحبيبَ صالح ما تحرقه النارُ إذا وردَ عليه الحال، وأنه كالسَّمندل: الذي يبيضُ ويفرّخ في النار، ولا تحرقُه».

وقال أيضاً: «إن الحبيبَ صالح بن عبدالله جالسٌ على عشر خصال، بحماية الله حامي أهلِ زمانه منها، منها: الفتنُ ما تثور، وإن ثارت تلقَحُ بفيلٍ وتلدُ بعوضة، ومنها الطاعونُ والجراد لم يظهرا في وقته، ومنها: الغلاء في الأسعار لم يكن في وقته، ومنها: البركة في الثمار موجودة في وقته».

وقال شيخنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس وقد ذكرَ صاحبَ الترجمة: «ما رأيتُ أحداً جلسَ في مرتبتِهِ من بعدِه، وقد صحبْنا الأقطابَ والأنجابَ والأوتادَ وأهلَ المراتب، ولكن ما رأينا أحداً مثله! عليه طابعُ الحق، وهيبة الحق، ومع ذلك إذا كان عندَ أهلنا فما يرَى نفسه إلا بمنزلةِ أقل الناس.

وكان إذا أخبرَ بشيء في المغيبات يقول: «رأيتُ كذا وكذا»، والرؤية تقعُ بالبصر والبصيرة، ولما كنا مغفَّلين، وفي الصغر، كانت تمرّ علينا.

وجاء مرة إلى الشِّحْر أيامَ آل فلان، فشكوا إليه تجمعَ القبائل وعزمَهم على حرب الشحر، فقال قدس سره: «طيرنا بهم»، فرجعوا عن الشحر منهزمين.

وقال شيخنا المذكور قدس سره: «كان الحبيب صالحُ: قلبٌ وربٌ»، فسئل عن معنى ذلك، فقال: «معناه: أنه ما معه شعورٌ يحركه، ولا سكون، لا يسير بجسمه ولا بعقله، ولا تخطر له الخواطر، قلبه ملآن بربه، ومِن خاصيةِ صاحبِ هذا الحال: أنه ما يخطر خاطرٌ لجليسه. وقد صحبنا الحبيبَ صالح في هذا الموطن، ما أحدٌ يخطر له خاطر في مجلسه، لا حسنٌ ولا سيء، وأهل هذا الحال ما يخرجون عن الحقيقة، ويتخلقون لكل إنسانٍ بخلُقه». وقال أيضاً: «اثنان ممن رأيتهم من العلويين، بمجرد ما ينظر الناسُ إليهما تجتمع قلوبُهم عليه، منهم: الحبيبُ صالح بن عبد الله، والحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف».

وكان الحبيب صالحٌ ما يتكلمُ إلا بمؤخذ أو ذكر، وكان كثيراً ما يقول: «يا الله بالتوفيق حتى نفيق، يا ساتر الحال لا تكشفه، يا الله سترك الذي لا ينكشف». وأخبر عنه: أنه قصده ضِيفانٌ ذاتَ يوم، وليس عنده ما يضيفهم به، فقال هذا الدعاء المذكور، ففتح الله عليه في الحال، ويسر ما أضافَهم به على أكمل وجه.

وقال أيضاً: «قال الحبيب صالح: سألتُ الله أن يحجبَ عني مساوئَ الناس، ففعل».

وقال أيضاً رضي الله عنه: «كانت مجالسُ الحبيب صالح كلُّها خشية، وكلها هيبة، وكلها حضوراً، ولم يكن كثيرَ مذاكرة، إلا أن حالَه يسري إلى الحاضرين عنده، وكان كثيرَ الذكر بالجلالة، وإذا رَفع صوته بها في ليل أو نهار، خصوصاً آخر الليل، أخذ بمجامع القلوب، ولم يبق للسامع شعورٌ ولا التفاتٌ إلى شيء من المحسوسات.

وإذا أراد تذكير الناس في الجموع العامة يبتدئ بالجلالة برفع صوت، هكذا: «لا إله إلا الله الموجود في كل مكان، لا إله إلا الله المعبود في كل زمان، لا إله إلا الله المذكور بكل لسان، لا إله إلا الله المعروف بالإحسان، لا إله إلا الله كل يوم هو في شان، لا إله إلا الله الأمان الأمان من زوال الإيمان، ومن فتنة الشيطان، يا قديم الإحسان»، فعند ذلك تحضرُ قلوب الناس وتصغي آذانهم، ويستمعون ما يلقي إليهم ويحدوهم ويدعوهم إلى ربهم، بدعوة هينة لينة، ويكون تذكيرُه بالآيات والأحاديث اللائقة بالوقت، ولم نسمع أنه اختلفَ في صلاحه وولايته اثنان، وكان محبوباً عند الخاص والعام».

وقال أيضاً رضي الله عنه: «رأيتُ الحبيب صالح بعد موته، فقلت له: من ورث حالكم؟ فقال: أما الحالُ فما قدر له أحد، وأما المعرفةُ فوصل لكم قسمة منها». ولما كنتُ في مكة أتوا إلي بمثلِ الوسادةِ الكبيرة، فقلت: «ما هذا؟»، قالوا: قسم أهل مكة من حال الحبيب صالح، قسمه بينهم.

وقال أيضاً رضي الله عنه: «جاء بعضُ السادة آلِ السقاف من سيؤون إلى عمد، زائراً للحبيب صالح في حياته، ومعه أتان مركوبة، فتعبت وماتت، فقال: يا حبيب صالح جينا زائرين لك وتموتُ دابتُنا؟ فقال الحبيب صالح: ما بها شيء ما بها شيء، وضربَ بيده على رأسها فقامَت بإذنِ الله.

وقال رضي الله عنه: «جاء إليَّ بعضُ الأكابر أهلِ الطريق، وأراد مني أن آخذَ عنه طريقته وأتحكم له فأبيتُ من ذلك، فهمَّ أن يتصرف فيَّ بالحال، فرأيت الحبيب صالح

أخذَني وجلسَ على بطون قدميه وألصق ساقيه بفخذيه، وجعلني بين رجليه، حتى لم يبقَ ظاهراً مني شيءٌ، ففزع ذلك الرجل وانصرف».

وقال قدس سره: «كان الحبيب صالح إذا جاءه الأضياف وأرادوا النوم أطفأ السراج وجاء بالدهن يدهن لهم، ولا يدرونَ أنه هو الذي يدهنُ لهم، ولما زاره الحبيب أحمدُ بن عبدالله البار وأرادَ أن يغتسلَ للصلاة، لأنه كان يغتسلُ لكل فرض، أملأ له الحبيبُ صالحٌ الميزابَ بنفسه، ولم يمكّن أحداً من ذلك، وجلسَ كلما نقصَ الميزابُ أملاه، وأمر أن لا يخبِر الحبيبَ أحدٌ حتى لا ينزعج، وذلك من تعظيم شعائر الله: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾، ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾».

وقال رضي الله عنه: «أخبرني الحبيبُ محمد بن زين باعبود، قال: أُخِذَ بصري! فشكوت ذلك إلى الحبيب صالح، فمسح عيني، وقال: اِئتِ بثلاثمائة من الصلاة على النبي ﷺ بهذه الصيغة: «اللهم صل على سيدنا محمد طبِّ القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلم»، فقلتها فعاد نظري مثلما كان.

وقال قدس سره: «لما توفي الحبيب صالحٌ نفع الله به رأيتُ كأنّ شخصاً جلس عند رأسي وقرأ قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾». انتهى من مجموع شيخنا الحبيب أحمد المذكور.

وقال شيخُنا الإمام الحبيبُ علي بن محمد الحبشي قدس سره: «رأيت الحبيب صالح ابن عبدالله، وسألته: ما أساس طريق القوم؟ قال: «شيئان؛ أحدُهما ظاهر والآخرُ باطن، **أما الظاهر**: فالاستغناءُ عن الناس، **وأما الباطن**: فالعبوديةُ المحضة. قلتُ له: فإن لم أقدرْ عليها! قال: اطلبها من الله تعالى».

وقال رضي الله عنه: «أخبرني الحبيب محمدُ بن أحمد العطاس، قال: جاء الحبيب

صالحٌ إلى بعضِ أخواته يوماً، وقال لها: انظري ما الذي في ظهري فإني أحسُّ كأن حيتين يلسعنني، فنظرتْ ظهرَه فإذا ريالين في رِداهُ عصبهما بعضُ محبيه بغير شعور منه!».

وقال قدس سره: «قال الحبيب صالح: لما قمتُ تجاه الحجرة النبوية أنا والسيد محمد ابن حسين صاحب عَنَق، رأيتُ مددَ محمد بن حسين أكثرَ من مددي». قال: «وقال الحبيب صالح: سمعتُ هاتفاً ذات يوم، يقول: على بابك صدّيق!، فخرجت إلى البابِ فوجدتُ الحبيب محمد بن حسين المذكور». انتهى.

وكراماتُ صاحب الترجمة شهيرة كثيرة؛ **منها**: تبشيره بسيدي الحبيب قدس سره قبل وجوده، فيما رواه عنه ولدُه شيخنا الحبيب الإمام محمد بن صالح، أنه قال: «دَرَّت الخيرات، وكثرت البركات، يولدُ لطاهر بن عمر مولودٌ يملأ نورُه السماوات والأرض»، وذلك قبلَ وجودِ سيدي الحبيب قدس سره بعدة سنين.

وكانت وفاةُ صاحبِ الترجمة سنة **١٢٧٩** تسع وسبعين ومائتين وألف ببلدِ عَمْد، ودفن بها، وعليه قبةٌ مشرقةٌ بالأنوار، مقصودة للزيارة من جميع الأقطار.

ولما زاره شيخنا الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي قدس سره أنشأ هذه الأبيات سنة ثمان وثلاثمائة وألف، قال رضي الله عنه:

أيـا صـالحاً في الاسـم والوصـف ... على بابـك الميمـون ألقيـت حاجـاتي

وردت الحمى أسعى على قدم الوفا ... لأنـشق مـن ريـاكم طيـب نفحـات

وقمت على الأعتاب ألتمس النـدى ... وأعرض أحـوالي علـيكم وحـالاتي

مـددنا يـدينا مـستمدين مـنكم ... جميـل رعايـات ورعـي مـودات

وأنـتم لنـا يـا وارثـي الـسر عـدة ... نعـدكم حقـاً لكـل المهـمات

أيـا نجـل عبـدالله يـا جـامع التقـى ... مع الفضل يا بحر الهدى والكرامات

نزلنـا بكـم مستـشفعين وأنتمـو ... كما قد عهـدناكم رجـال الـشفاعات

وردت عليكم في وفود من الألى — لهم فيكم حب بصدق ونيات
وأنتم رجال الحق والسادة الذي — لهم من عطايا الحق أسنى العطيات
عليكم من الرحمن أسنى تحية — تعود علينا بالهنا والبشارات
وصلِّ إلهي كل وقت وساعة — على المصطفى المختار خير البريات

وقد تيسرتْ لي بحمد الله زيارةُ هذا الإمام مراتٍ في حياة خليفته شيخنا الإمام الحبيب عمر بن صالح، وابن أخيه شيخنا العلامة الحسين بن أحمد الآتي ذكرهما إن شاء الله، وفي بعضِ الزيارات جرى القلمُ بهذه الأبيات استمداداً لفائض البركات وتعرضاً لغامر النفحات:

سلامٌ على من شرفَ السُّوحَ من عمْدِ — سلامَ محبٍّ ثابتِ الحبِّ والودِّ
سلامٌ على بدر الهداية والذي — بدا في سما ذاك الحمىٰ طالع السعدِ
هو العارف العطاس قطب الوجود الـ — ـذي خص بالتقريب في المقعدِ العندي
إمام رقى في مرتقى المجد والتقى — مراقي عز لا ترام لذ جدِ
عناية رب العرش خصته فارتقى — من المجد مرقىً ليس يدرك بالجهدِ
وقفنا على أعتابه وببابه — نزلنا لنيل السول والفوز بالقصد
ولما بدت أنوار عز مقامه — شهدنا ضريحاً ضمَّه غابةُ الأسدِ
فلاح لنا من سر نور جماله — سناً أوقف الألباب في جنة الخلد
فأسبلت الأعيان واكف عبرة — خشوعاً وصرنا لا نعيد ولا نبدي
أتيناك يا خير السلالة نرتجي — شفاعتك الحسنى إلى الواحد الفرد
وفي النفس حاجات وفيك فطانة — فقم بالذي نرجوه يا مكرم الوفد
وإن بعدت آمالنا بذنوبنا — فوجهتك الخلصا تقرب للبعد
فقم يا بن عبد الله وادرك بغارة — تحل من الكرب المخيم للعقد

وأقـــصى أمانينـــا صـــلاح قلوبنـــا وإن تثبـت الأقـدام في مـنهج الرشـد

وتظهـــر أسرار الخلافـــة مـــنكم لنـا ويعـم النفـع في الفـور والنجـد

وأزكـــى صـــلاة الله تغـــشى محمــداً حميد المساعي مظهـر الـشكر والحمـد

❋ ❋ ❋

[٢ـ الحبيب عبد الله بن طه الهدار الحداد
(...ـ ١٢٩٤هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام عفيف الدين وبركة الإسلام والمسلمين، الحبيب العارف بالله عبد الله الهدار بن طه بن عبدالله بن طه بن عمر بن علوي الحداد، المشهور بالهدار، عيبة الأسرار والأنوار، ذو الكشف الخارق، والنور الشارق، الغني بالخالق عن الخلائق، ذو القدم الراسخ في العلوم والعرفان، ومن هو بمولاه عمن سواه فان، الشارب من سلاف المحبة والشهود، ما أذهله عن الوجود.

جدي الأدنى، ومركز مجدي الأسنى، وأخص من أرجو بهم من الله الحسنى، الذي به أفاخر ولا فخر، وفي بركته أتقلب في السر والجهر، المجانب القيل والقال، والزّاهِد في الجاه والمال، والمعرض عن الفضول، المتستر بأذيال الخمول، ورحم الله من يقول:

لـيسَ الخمـولُ بعـارٍ ... على امرئٍ ذي جـلالِ
فليلـةُ القــدر تخفَــى ... وتلـك خــيرُ الليــالي

ولد بخَلْعِ راشد، ونشأ بتلك المرابع والمعاهد، يتفيأ في ظل رياض العلوم الأنيقة، وينتقي ويتنقل من حديقة إلى حديقة، يقتطف أزهار المعارف والعلوم، وفي بحار الزاخرة يعوم.

أخذ العلمَ الباطن والظاهر، وتأدب في الموارد والمصادر، عن أبيه الإمام طه، وخاله جمال الإسلام ويتيمة عقد الكرام، الحبيب محمد بن أحمد بن جعفر.

وورد على مناهل العلم في أسفل الوادي وأعلاه، حتى بلغ قصده ومناه، فمن مشايخه الهداة: الحبيب الإمام مجدد العصر الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والعبادلة السبعة: الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، والحبيب عبد الله بن علي بن شهاب، والحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه، والحبيب عبد الله بن حسن الحداد، والحبيب الحسن بن صالح البحر، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، والشيخ عبد الله بن سعد بن سمير، والشيخ سعيد بن محمد باعشن، والشيخ أحمد بن سعيد باحنشل.

أخذ عنهم الأخذ التام، وقرأ عليهم وسمع منهم وتلقى عنهم، وأثنوا عليه وأكرموه وقدموه، ومن جملة مقروءاته على الشيخ أبي سودان: «منهاج النووي»، وفي رواية: «فتح الوهاب» سبع مرات! ورسخ في العلم الظاهر، رسوخاً باهراً.

أخبرني سيدي الإمامُ الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي: «أنه لما كان يقرأ على صاحبِ الترجمة في «فتح المعين»، يرَدّ عليه بالتمييزِ بين الواو والفاء، حتى كان يحفظه».

وأخبرني شيخنا العلامةُ علوي بن عبد الرحمن المشهور أن صاحب الترجمة قال له: «إني أتقن ستة عشر علماً»، قال: «وأملى علي مبادئها العشرة: حدها، وموضوعها، ومستمدها، وغايتها، وحكمتها، وواضعها، وفضلها. منها: علمُ التفسير، والحديث، والتجويد، والتصوف، والفقه، والنحو، والمنطق، والفلك، والطب، وعلم الحرف، والسِّيَر، والعربية، والتاريخ»، إلى آخر ما ذكر عنه رضي الله عنه.

وقد ذكر من تقلباته وترddاته على مشايخه وما قرأه عليهِم وما وقعَ له معهم جملةً وافرةً، في رسالة لهُ ضمّنها الأخُ العلامةُ علوي بن طاهر في تأليفِه الذي ألفه في مناقبِ

صاحب الترجمة المسمّى: «**نورُ الأبصار بمناقب الحبيب عبد الله بن طه الهدار**»، وقد جمع فيه وأوعى، فلينظره من أراد الزيادة على ما هنا.

وقد أخذ عن صاحب الترجمة الجمُّ الغفير، وانتفع به خلقٌ كثير، وجميع الآخذين عنه من خلاصة الأعيان، وقد ذُكر أكثرُهم في هذا المؤلَّف، فمنهم غير من تقدم:

الحبيب العلامة أبي بكر بن عمر بن يحيى، وأولاد صاحب الترجمة الخمسة: محمد، وعلي، وحسن، وطاهر، وصالح.

ومنهم: الحبيبُ علوي بن عبدالرحمن السقاف، وأخبرني بكرامةٍ ضمنَ أخذه عنه، قال: «كنت ثقيلَ الفهم ركيكَ العبارة، فلقيتُ الحبيب عبدالله في بعض أزقة سيؤون، فنظر إلي ودعاني إليه وجلسَ في دكَّة هناك، وقال لي: اقرأ، وكان معي كتابي ذاهباً إلى المدْرَس، فقرأتُ عليه ما تيسر، ثم قال: «اذهب الآن؛ فأنا شيخُك»، قال: «فمن ذلك اليوم يسّر الله عليَّ الفهم، وقويت عبارتي، حتى كان الوالد محسن بن علوي يقول لي: معك انقلابةٌ يا علوي! فأخبرته بما حصل لي من الحبيب عبدالله، ففرح بذلك». انتهى.

وكان كثيرَ الترددات في الوادي والبوادي، يدعو إلى الله وإلى سبيله، وكان الحبيب أحمد بن عمر بن سميط يحثه على ذلك، وينوه بذكرِه في مجالسه. ورحل إلى الحرمين سنة خمسين ومائتين وألف، وحجَّ حجة الإسلام، وزار جده عليه أفضل الصلاة والسلام، وبلغ مما هنالك المرام، واجتمع في المكيين بجملةٍ من العلماء الأعلام.

ودخل اليمن؛ وأخذ بزبيد عن شيخ القطر، الإمام الأجل عبد الرحمن بن سليمان الأهدل وغيره.

وكان كثير التنقلات إلى البندرين: الشحر، والمكلا، وله في تنقلاته حالاتٌ عجيبة، وملاطفاتٌ غريبة، ومجاهداتٌ عظيمة، أشرقَ له نورُها، ونقر في قلبه ناقورها، وطفح على مشاعره حبورها وسرورها، فأتته من عالم الغيب جذبةٌ غيَّبته عن حسه، وميزته عن أبناء

جنسه، وأخذَ ثلاثة أيام مغشياً عليه، وذلك في قرية الواسط في بندر الشحر، في المكان المنسوب إلى الشيخ عمر المحضار، وولي مقامَ الشيخ المذكور كما أخبر بذلك عن نفسه، وأقره عليه أهل النور، وبعد أن أفاقَ من غشيته، شربَ ثلاثة عشر كُعدةٍ من القهوة.

ومن ذلك الوقت اعتراهُ الحال الذي كان سبب تلقيبه بالهدار، وذلك أنه لم يزل لهجاً بالأذكار آناء الليل والنهار، وتخرج له في بعض الأوقات شقشقةٌ كشقشقةِ الجمل الهايج، رآها الكثيرُ من الناس.

وغلب عليه حبُّ الاعتزال عن الأنام، وهجر الكلام والمنام، وكانت له المنازلاتُ العظيمة العجيبة، والأحوال الغريبة، وقد يشربُ إذا طرقَه الحالُ قربتَين وثلاث وأكثر إلى اثني عشر قربة، بل كان يشرب حتى يُفقَد الماءُ مما حواليه.

وكان الحبيبُ القطب أبوبكر بن عبد الله العطاس يشير إلى عِظَم حالِ صاحب الترجمة، وأن كثرةَ شربه للماءِ لحالةٍ تنازلهُ من حالاتِ أهل الولاية، ومع كثرة شربه للماء كان قليلَ النوم، وقد ذكر الشيخُ أحمد دحلان في «تقريب الأصول»: «أنه أجمع سبعون طبيباً أنّ كثرةَ النوم من كثرة شرب الماء، وأن عدمَ النوم مع شربِ الماء من الكرامات».

وحكى سيدُنا الإمام العارف بالله محمد بن زين بن سميط: «أن سيدنا القطب الحبيبَ أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه طلبَ ماءً ذات يوم في وقت الشتاء، وشربه، وتكرر منه ذلك في مجلس، فخطر لبعضِ الحاضرين: كيف هذا الشرب في مثل هذا الوقت؟! فكاشفه الحبيبُ وقال: ما ندري كثرةُ الشرب هذا من الأكل أم من كثرة العلم!». ثم حكَى عن سيدنا القطبِ عبدالله بن علوي الحداد: «أن سيدنا ومولانا علي بن أبي طالب كرم الله وجهه هاجَ عليه العلمُ يوماً، وكثُرت حرارتُه عليه، فخرجَ إلى بئرٍ ليتبرّد بمائها، ففاضت البئر وجاشت من الحرارة، حتى أسقت ما حولها من الذبور». انتهى. فلا بدعَ أن يكون ما يُعزى لصاحبِ الترجمة حصّته من ذلك التراث، وقسمه من ذلك الميراث.

وقال شيخنا الحبيبُ الإمام محمد بن عيدروس الحبشي رضي الله عنه: «كان الحبيب عبد الله ذات ليلةٍ في حوطة الشيخة سلطانة الزبيدية، وبات بها، فلما كان بعد العشاء جعل يدورُ في المسجد، ويقول: غفلة الليلة مع السلطان، ولم يزل على ذلك الحالِ إلى وقتِ السحر، وانغمسَ في بعض جوابي المسجد، ولم يزل غاطساً ويهدر وسَط الماء حتى تسوّر عليه بعض محبيه إلى الجابية، ونزل فيها وحملَه من الماءِ مغشياً عليه، ووضعه عند ضريح الشيخة سلطانة، وتركه حتى أفاق ورجع إليه حسه. وفي ذلك اليوم: أتاهم الخبر بأنّ القومَ أعداءَ السلطان الكثيري هجمُوا على سيؤون وقتَ السحر وقتَ انغماسه في الجابية، وأنهم انكسروا ورجعوا خائبين، وكفى الله شرهم.

وفي هذه الحكاية عدة كرامات؛ منها: إطلاعه على تحزب القوم من وقت العشاء، ومنها: مكثه غاطساً في الماء المدة الطويلة مع الهدير، وأصبرُ إنسانٍ على الماء لا يمكثُ عشر دقائق غاطساً، ومنها: الدلالةُ على أنه من المتدركين بالسلطانِ من أهل النوبة.

وكان ربما أسعف العامةَ بالموافقة لهم على شيء من المباحات، كالسماع باليراع، وكان يدور في السماع ويطربُ به، ويظهر عليه عند ذلك وَجْداً عظيماً، حتى ربما رُئي يمشي على الهواء.

وربما وافقَ العامة في الذهابِ معهم لقناصةِ الصيد تألفاً لهم وإدخالاً للسرور عليهم، وحفظاً لهم من إضاعة الصلوات وإخراجها عن أوقاتها.

وأدركته الجمعةُ في أهلِ بلد حُوفة، وهم في السَّوط في بعضِ المرات، فشوهد صلى الجمعةَ بقيدون، مع أن سعفه لم يفقدوه!. وفي مسيره هذا طلبَ من المغنيين ممن معه والمدرّفين أن يغنّوا ويدرّفوا، والمدروفُ: هو اليراع، وكانوا قد أثر فيهم التعبُ، وزاد عليهم حيث لم يظفروا بشيء من الصيد، فلم يجيبوه فكرّر عليهم الطلبَ فلم يسعفوه، فلم يشعروا إلا وناحيةٌ من الشعبِ الذي هم فيه تحِنّ بالغناء والمداريف يسمعون الأصواتِ

ولا يرون الأشخاص، فبهتوا وفزِعوا إليه، وأسعفوه بما طلبَ فلم يسمعوا بشيء مما أفزعهم». وقد ذكر الشيخ عبد العزيز الدباغ: «أن همة العارفِ إذا تعلقت بشيءٍ أبرزته القدرة الربانية»، وحكى في ذلك حكاياتٍ غريبة في كتابه «الإبريز»، ولعل ما هنا من ذلك.

وكان يطيلُ الصلاة المفروضة جداً، ويقرأ فيها الجزءَ ونحوه، واتفق له أنه صلى إماماً صلاةَ العشاءِ في مسجد ثبي، وخلفه شيخَاه الحبيبان الإمامان: عمر بن زين، وعلوي بن زين آل الحبشي، فقرأ في أولِ ركعة من ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ﴾ إلى آخر سورة الأنعام، ولما وصلَ عند قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّنِى هَدَىٰنِى رَبِّىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾، اعتراه وَجدٌ عظيم، وبقي يكررها، حتى خرّ مغشياً عليه.

وأخبرني بعضُ محبيه: «أن أولاده الكرامَ في صِغَرهم يخرجون من الصلاة خلفه لتطويله لها، فإذا قاربَ التمام أحرموا خلفه!

وكان إذا جلسَ مع العامة لا يدعهم يخوضُون في الأحاديث الفارغة، بل يشرع لهم ذكراً أو صلاة على النبي ﷺ حتى ربما سئموا وخرجوا من المجلسِ ولا يشعر بهم، لذهوله واستغراقه فيما هو فيه.

قال شيخُنا الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي: «طلب مني الحبيبُ عبد الله أن يعلمَني علمَ الحرف، وقال لي: إنك متأهلٌ له، وهو من فروض الكفايات، وكرر علي الطلب في أن يجيزني في ذلك، فامتنعتُ لأن سيدَنا الحبيب أحمد بن زين الحبشي رضي الله عنه لم يأذنْ لأحدٍ من ذريته في تعلمه، حتى أن بعضَهم أخذَه عن بعضِ المتقنينَ له ثم تلا شيئاً من الأسماء، فحملهُ الروحانيون من سيؤون إلى قبالةِ مسجد البهاء، مسجد الحبيب أحمد بن زين في حوطة خلع راشد، فظهر له الحبيبُ أحمدُ ولطمَه، ووضعه الروحانيون في المسجد.

ولما أخبرت الحبيب عبد الله بهذه الحكاية، قال لي: حصلَ لذلك الشخص ما حصلَ

لكَونِ شيخه إلا فلان، لم يكن متمكّناً، وأما أنتَ إذا تعلمته فأنا شيخُك، ولا يحدث عليك ضررٌ إن شاء الله»، قال: «فخفتُ ولم أجسُرْ على ذلك».

وسألتُ شيخنا الحبيب المذكور عن صاحب الترجمة: هل كان يصلي على الجنائز؟ فقد حكي عنه أنه يصيحُ عند ذكرِ الموت ويهربُ من الجنائز! فأجابني قدس سره بقوله: «كان الحبيبُ عبدالله من أهل الكشف الخارق وأهل الصفاء مع الله، وربما ذُكر له الموتُ مع المزحِ، وكلام المازحِ ولو كان صدقاً تخرجُ معه ظلمةٌ يشاهدها أهل الكشف والنور، فكان صياحُ الحبيب عبدالله في الأكثر لمشاهدةِ الظلمة الخارجة مع المزح، ولم يكن يهربُ منَ الجنائز مطلقاً، بل من بعضها، وكان يصلي على الجنائز ويزور القبور».

وقد اشتهر عنه كراهةُ ذكرِ الموت، وقد ذَكر الإمام حجة الإسلام الغزالي رضي الله عنه في كتاب (المحبة) من «الإحياء» لكراهة الموتِ سببَين، وأنقلُ هنا السبب الثاني؛ لأنه المناسب لمقام صاحب الترجمة، قال رضي الله عنه: «وأما السببُ الثاني للكراهة: فهو أن يكون العبدُ في ابتداءِ مقامِ المحبة، وليس يكرهُ الموت، وإنما يكره عجَلته قبل أن يستعدَّ للقاءِ الله، فذلك لا يدلُّ على ضعفِ الحبّ.

وهو كالمحبِّ الذي وصله الخبرُ بقدُوم حبيبه عليه، فأحبَّ أن يتأخرَ قدومُه ساعة ليهيئ له داره، ويعد له أسبابه فيلقاه كما يهواه، فارغَ القلب من الشواغل، خفيفَ الظاهر عن العوائق، فالكراهةُ لهذا السببِ لا تنافي كمالَ الحبِّ أصلاً، وعلامته: الدُّؤوبُ في العمل، واستغراقُ الهم في الاستعداد». انتهى.

وهكذا كان حالُ صاحب الترجمة؛ لم يزل في ازديادٍ مما يقرب إلى البر الجواد، مستغرقاً همَّه في ذلك، لا يصرف في غير ذلك نفساً من أنفاسِه، ولا لحظةً من أوقاته، حتى أنه لو قيل له: «إنكَ ميتٌ غداً»، لم يجد للزيادة على ما هو عليه فراغاً.

وقال الإمام الغزالي أيضاً: «فمَن أحبَّ الموتَ أحبه، لأنه رأى نفسَه واقفاً في المعرفة،

بالغاً إلى منتهى ما يُسَرُّ له، ومن كره الموتَ كرهه لأنه كان يؤمّل مزيدَ معرفة تحصل له بطول العمر، ورأى نفسَه مقصراً عما تحتمله قوّته لو عُمّر، فهذا سببُ كراهةِ الموت وحُبه عند أهل المعرفة». انتهى.

وقد أخبرني سيدي الوالدُ حسنُ بن صاحب الترجمة: «أنه آخرَ وقته صارَ لا يتأثر بذكر الموتِ، لاسيما قربَ وفاته». وذلك يدلُّ على أنه رأى نفَسه واقفاً في المعرفة، بالغاً إلى منتهى ما يُسَرُّ له، كما ذكر الغزالي رضي الله عنه.

وكان قدس سره كثيرَ الزيارة لضرايح الصالحين من عباد الله، لاسيما الأنبياء كنبي الله هود، ونبي الله صالح. وعمَّر عندَه مسجداً، وكان له نظرٌ في عمارة المساجد والموارد، فقد عمَّر مطرةً، وهي: حفرةٌ كبيرةٌ يجتمعُ فيها الماءُ من السيول، ثم ينتفع بها الناسُ عدةَ أشهر في بلد حُوف، ولم تزلْ إلى الآن، وحفَر بئراً و[بنى] مسجداً قريباً من المطرة المذكورة. ثم إن بعضَ الجندِ حملةَ السلاح استبدَّ في المسجد والبئر بها أغضبَ صاحب الترجمة، فدعا عليه وعليها، فأصيب الرجُل وغارت البئرُ وخرب المسجد.

وجدّد أيضاً عمارةَ الجوابي في غَيل المسْمَرة المعروفِ في بلد الدُّوفة من الوادي الأيسر، وأظهر قبر النبيِّ مَولى وَبْرهْ، المعروف في الوادي المذكور. وكان يأنسُ بالمقامِ في أعالي الوديان والكهوف، للتفرغ للذكر والعبادة، وله في أعلى الوادي الأيمنِ مشهدٌ ومسجدٌ، حيثُ كان يتعبد بالمكان المعروف بغَيل باحْكُوم.

وكان يشمُّ الأولياء؛ قال شيخُنا الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس قدس سره: «كنا ليلةً في بيتِ الحبيب حسن بن صالح البحر مع الحبيب عبد الله بن طه، فإذا هو يستنشق، ويقول: ريحُ ولي با يدخل، فدخلَ الحبيب عبدُ الله بن حسين، والأولياء أقسامٌ، حدْ ينظر، وحدْ يشم». انتهى.

وسمعتُ سيدي الحبيب قدس سره يقول: «كان الحبيبُ عبد الله ـ يعني صاحب

الترجمة ـ يَرْوَح الأولياء، وكان في بعض أحواله يكرر: يا ذا الجلال والإكرام أربعَ عشرةَ مرةً، عِوَضاً عن السبع بالذكر كاملاً، هرباً من الموت!». انتهى.

وحكَى لي شيخنا الإمام الحبيب أبو بكر بن عمر بن يحيى قال: «كان صاحب الترجمة كثيرَ المجيء إلى المسيلة لزيارة أشياخه وتعهد مآثرهم، وكان ربما اتفق مجيئُه مع وجود الحبيب العارف بالله علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر، وكل واحد منهما يحبُّ أن يكون هو المتكلم في المجلس، فكان الحبيب علي بن سالم يتسببُ في خروج الحبيب عبد الله من المجلس بقراءة قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ﴾ الآية، فيصيحُ الحبيبُ عبدالله عند ذلك ويقول: «ماشي شر»، رافعاً بها صوته ويخرج.

وقد اتفقَ اجتماعُ الشيخين المذكورين: صاحبُ الترجمة، والحبيب علي، بحضرة شيخنا الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي، وقرأ الحبيبُ علي بن سالم الآيةَ فصاح صاحبُ الترجمة وأغميَ عليه. وأخبر بعضُ أهل الكشف: «أن مشايخَ الشيخين اجتمعوا في البرزخ لصيحة صاحبِ الترجمة، وحكموا بتأديب للحبيب علي بن سالم، فشفع له الحبيبُ القطب أبو بكر بن عبدالله العطاس، فحصل العفو عنه».

وربما يُشكِلُ على الواقفِ صورةَ التناكر المذكورة بين الشيخين المذكورين، ولا إشكال! قال شيخنا الإمام الحبيبُ عيدروس بن عمر الحبشي: «إن صورة الوحشة والتناكر قد تحصُل بين أهلِ الحق، وسببُ ذلك: اختلافُ الطريق، كأن يكون أحدُهما يميلُ إلى التظاهر بالحق ونشر الدعوة الظاهرة بالظاهر، ويميل الآخرُ إلى الخمول ولزوم الانفرادِ طلباً للسلامة من ضرر التظاهر، واقتصاراً على الدعوة بالباطن، والحالُ والكلُّ مصيبٌ في اجتهاده طلباً للحق لا غير.

ومثالُ هذين في الخارج: مثالُ رجلَين خرجَا حاجين يريدان مكة مثلاً، فقال أحدهما: سلوكُ هذا الطريق إلى مكة أحسن وأخذَ يستدلُّ على ذلك. وقال الآخر: الطريقُ هذه أحسنُ، وعنى غيرَ الذي أرادَ الأول، وأخذ يحتج على ذلك، فقصدُ الاثنين مكة،

والخلافُ إنما هو في أيِّ الطريقين أولَى بالسلوك؟ وكلُّ واحد سَلك مارآهُ أحسن، ومثلُ هذا يكونُ بين بعضِ الأولياءِ لتقابل الأنوار وتمانعها».

ومن ذلك: ما يحكى أن سيدنا الحبيب عمر العطاس كان يقول: «اجتمعت بجميع الآخذين عن الشيخ أبي بكر بن سالم، إلا الحبيبَ أحمد بن محمد الحبشي، لأن نوره يغزّز العيون». انتهى. فيحتمَلُ ما يحكَى عن صاحب الترجمة والحبيب علي، على ما ذكر، أعاد الله علينا من بركاتهم.

وربما يكون ما يصدرُ من صاحبِ الترجمة من الصياح بقوله: «ما شي شر»، عند ذكر الموت أو رؤية بعض الجنائز، لما يتصوره أو لما يشاهده بنور البصيرة، ويتذكر حينئذ من أهوال الموت وما بعده، وذلك مما يدل على دوامِ مشاهدته وعِظَم حاله وكمال معرفته، بالله بدليل قوله ﷺ: «أنا أعرفكم بالله وأخوفكم منه»، وكذلك: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾.

وقد رُويَ عن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه: أنه إذا وقفَ على قبرٍ يبكي حتى يبلَّ لحيته، فسئل عن ذلك، وقيل له: تذكر الجنة والنار فلا تبكي، وتبكي إذا وقفت على قبر؟ فقال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: **«إن القبرَ أولُ منزلٍ من منازل الآخرة، فإن نجَا منه صاحبُه فما بعده أيسر منه، وإن لم ينج منه فما بعده أشد منه»**.

وبالجملة فصاحبُ الترجمة من كمّل العارفين بالله، الجامعين بين الشريعة والحقيقة والطريقة، قد تحقق بكمالِ التحقق بحقائق الدين، وبلغ الرتبة القصوى من اليقين والتمكين، وكشف له من حق اليقين ما ذهب به في الشهود، وغاب به عن الوجود، ولم يلهه عن ذكر الله تجارة ولا مال، ولم يشغله عن القيام بحقه أهل ولا عيال، ولم تخطر له الدنيا ونعيمها ببال.

وما أنسب حالَه بقولِ من قال:

إن لله عبـــــاداً فطنـــــا | طلقُوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظـرُوا فيهـا فلـما علمُـوا | أنهـا ليـستْ لحـيٍّ وطنـا
جعلوهَـا لجـةً واتخـذوا | صالحَ الأعمالِ فيها سفُنا

فقد كان على أكمل الأحوال من الزهد في المتاع العاجل والاستكفاء من ذلك بزاد الراكب، وستر العورة وسد الجوعة بما اتفق، لم يخلف ديناراً ولا درهماً، ولم يضع لبنةً على لبنة، ولم يورث عقاراً ولا دياراً، وكان يقول: «إن كنيتي عند أهلِ الولاية: أبوتراب».

وأخبرني شيخُنا الحبيب محمد بن عيدروس: «أن صاحب الترجمة أقيم في مقام الشيخ عمر المحضار بن عبد الرحمن السقاف». وحكَى لي واقعةً كشفيةً تؤيد ذلك، قد ذكرتها في الباب الخامس في الحكاية الثالثة والستين من هذا المجموع[1].

وكان يُكثر من هذه الصيغة من الصلاة على حبيب الإله ﷺ: «صل يا رب دوام على النبي خير الأنام». وقد ذكر الشيخُ النبهاني في كتابه «سعادة الدارين»: أن من فوائد الصلاة على النبي ﷺ إذهابُ العطش إذا خلتِ الصيغة عن لفظ الجلالة. ولعل تكرير صاحب الترجمة لهذه الصلاة لذلكَ المعنى، لأنها خالية عن لفظ الجلالة، والله أعلم.

وكراماتُ صاحب الترجمة كثيرة، ومناقبه وأحواله شهيرة، وقد جمع من ذلك سيدي الأخُ العلامة علويٌّ الكثيرَ الطيب في كتابه «**نور الأبصار بمناقب الحبيب عبدالله بن طه الهدار**»، كما تقدمت الإشارة إلى ذلك.

وما زال على أكملِ حالٍ من أحوال أهل الكمال، متمتعاً بما تفضل الله به عليه من صالح الأعمال، تذكّر بالله رؤيته، وتملأ القلوبَ هيبته، وتكسر النفوس خشيته، وتنمي الهمم دعوته، وتشرح الصدور هيئته، وتسقي الجدوب جُمته، وتشفي الأمراض نفثَته، إلى أن أتته رسلُ ربه لدعوته إلى كرامته وقربه.

---

(١) تقدم معنا: أن هذا الباب مفقود.

فتوفي إلى رحمة مولاه، ثملاً من كأس حبه، في حوطةِ خلع راشد، ودفن بها نجديَّ قبة جدتِه العارفة بالله سلمى بنت الحبيب القطب أحمد بن زين الحبشي، وقبره معروف، أعاد الله علينا من بركاته، ووفقنا لسلوك سبيل نجاته، في خير ولطف وعافية، آمين. وكانت وفاته في يومِ الأحد أو الاثنين فاتحةِ ربيع الأول سنة أربع وتسعين ومائتين وألف، وسنه ثلاثٌ وستون سنة.

وكانت له قدس سره إجازاتٌ ووصايا من مشايخه، لم نعثُر منها إلا على هذه المنظومة، وصيةً له من شيخِه إمام العرفان عبدالله بن أحمد باسودان.

قال رضي الله عنه:

يا ابـن طـه إن شـئتَ أن لا تـضاهي ... فـانتهضْ راقيـاً إلى علياهـا

واتخـذ درسَـك العلـومَ غـذاءً ... ودواءً للـنفس مـن أداواهـا

اجعلـن دلـج الليـالي مطايـا ... فـاز عبـد بالـصالحات طواهـا

متحـام عـما يعـد فـضولاً ... تـارك الفانيـات مـالاً وجاهـا

همـك الاعتيـاض بالمـال علـماً ... فبـه في المحافـل تتبـاهى

فـترى عـن قريـب المـال يفنـى ... وكنـوز العلـوم يبقـى ضـياها

وهـو بحـر عميـق أبعـد قعـر ... وطريـق سـحيق لا يتنـاهى

فانتخـب يـا حبيـب منـه عيونـاً ... نافعـاتٍ دنيـا وفي أخرهـا

شـاكراً للإلـه في كـل حـال ... بهـداه وعونـه يـا بـن طـه

وبتـصحيح أعـمال دينـك فابـدأ ... وتحـرى للـسنة مقتـضاها

ثـم خلـص ذاك قـولاً وفعـلاً ... بطريـق قويـةٍ في علاهـا

سـلكوها مـن آل علـوي رجـال ... والمقـدم متبـوعهم في اصـطفاها

لا تعـرج إن شئت نجحاً وفتحاً ... في مـدى أوقاتـك لـسواها
واقتـده بغيـار أقـدام قـوم ... في بـداياتهم رقـوا منتهاهـا
بعـد مـا قهـروا النفـوس وذلـوا ... عزهـا أكرمـوا بـروح رضـاها
واقتـبس مـن أنـوار حـدادنا خـذ ... جـذوة تستـضي بنـور هـداها
وتمـسك بكتبـه فهـي نـور ... وهـي نعـم الجلـيس لمـن يقرأهـا
واطّـرح جانـبَ العوائـدِ تظفـرْ ... بـسرورٍ والـنفسُ تعطَـى مناهـا
فالقناعـةُ راحـةٌ واغتنـامٌ ... لجـلاءِ القلـوب ممـا صَـداها
فبهـذا أوصـيكم يـا حبيبـي ... وبتقـوى الإلـه يمـم ذراهـا
وأتِ بالمـستطاع مـن كـل أمـر ... والمنـاهي لا تقـربن لحماهـا
والـزم الاتبـاع لأفـضل هـاد ... رحمـة العـالمين شـمس ضـحاها
جاءنـا بالهـدى وبالرشـد حقـاً ... مـا حيـا للجهالـة وعماهـا
نـسأل الله أن يجازيـه عنـا ... مـا هـو أهلـه جمـالاً وجاهـا
ويرينـا لوجهـه في سرور ... ونعـيم مقـيم لا يتنـاهى
ويـصلي عـلى الـدوام عليـه ... ويـسلم أمتـه مـن رداهـا
وعـلى الآل والـصحابة طـراً ... ومـن أحيـا سـنته ورعاهـا

❋ ❋ ❋

[٣ـ الحبيبُ أبو بكر بن عبد الله العطاس

(...ـ ١٢٨١هـ)]

ومنهم:

الشيخُ الإمام قطب الوجود، ومركز دائرة أهل الشهود، فخر الدين، الحبيب أبو بكر بن عبد الله بن طالب بن الشيخ الحسين بن الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس، الشاربُ من حُمَيّا المعرفة بأوسع كاس، الذي خضع لعزته كل راس، وعمت بركته الجنة والناس.

شيخ المشايخ، الطود الشامخ، الماحي الناسخ، ذو القدم الراسخ، غوث الخليقة، وبحر الشريعة والحقيقة، ومحيي معالم الطريقة، الإمام الأعظم، والكنز المطلسم، القطب الجامع الذي استنارت بنوره المرابع، مربي السالكين وموصل السائرين، ذو التمكين المكين في مراتب اليقين ومقامات الدين، الفحل الملقّح الذي آثاره العظيمة عن قدره الرفيع تكني وتصرِّح، وسيرته القويمة بكمال وراثتِهِ لجده الشفيع تنبي وتفصح:

فما بلغـتْ كـفُّ امـرئٍ متنَـاولٍ ... من المجدِ إلا والذي نالَ أفـضلُ
وما بلغَ المهدُون للنـاسِ مدحَـه ... من القول إلا والذي فيه أكمَـلُ

قد بلغتْ كراماتُه مبلغ التواتر وروى مناقبَه البادي والحاضر، وأفردتْ فيها التآليفُ الكثيرة، وصارت بين الناس معروفة شهيرة، فممن بلغني أنه ألف فيها:

الحبيبُ العارف بالله عبد القادر بن أحمد بن بن طاهر، والسيدُ العلامة أبكر بن مصلح اليمني، والشيخ الجليل حسن بن عوض بن مخدّم، إلا أن كلَّ واحدٍ منهم اقتصر على ما وقعَ له معه فقط، وجمع فيها مؤلَّفاً حافلاً ابنُه الإمام العارف بالله الحبيبُ عبد الله بن أبي بكر، وكلها نزرٌ يسير، بالنسبة إلى قدره الكبير.

وها أنا ألخصُ ما تحصُل به الفائدة، وتعود به مِن بركته على هذه الرسالة العائدة، مع تقديمٍ وتأخير، وتصرف يسير، وإضافة لآلٍ وجواهر، في التعريف بقدره الفاخر، من «مجموع كلام سيدنا الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس»، و«مذاكرات شيخنا الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي»، رضي الله عنهم وعنا بهم، آمين.

فأقول:

.....................[١] وتزوج مرات[٢]، بعضُها بإشارةِ الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس، وولدَ له أولادُه، وهم: سالم، وعبد الله، ومحمد المشهور. سماهم جميعُهم الحبيبُ صالحٌ المذكور، وقد شهَرهم قبل وجودهم الحبيبُ أحمد بن عمر المشهور، وقال لصاحب الترجمة: «إني أرى أولادَك في ظهرك مثل الطلع».

ثم إن له قدس سره أخذٌ واتصالٌ بغير من ذكَرنا من أهل الكمال، كسيدنا العلامة الجامع بين علمي الباطن والظاهر، الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر، والحبيب الإمام المجدد أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب العلامة علي بن محمد الكاف ساكن الهجرين، وسيدنا الإمام مربي المريدين الغوث الجامع الحسن بن صالح البحر، وهو أكثر مشايخه به عنايةً، وسيدِنا الحبيب الإمام العلامة الجد هادون بن هود العطاس، والشيخ عفيفُ بن عبد الله العفيف الهجراني، وغيرهم ممن يطول ذكرهم. وله منهم العنايةُ التامةُ والملاحظةُ

---

(١) يوجد نقص بالأصل، لا ندري كم مقداره، والغالبُ: أنه صفحة.

(٢) ومن زوجاته: الشيخة فاطمة بنت الشيخ أحمد بن محمد باصبرين، ولدت له بنتا سماها (صفية).

الكاملة، وكلهم أجازوه وألبسوه خرقة التصوف، ولقنوه الذكر، وأثنوا عليه، وبالغوا في تعظيمه.

وكان يقول: «أخذتُ عن جميع مشايخ عصري الموجودين، وأخذتُ عن أكثرَ من أربعين شيخاً من أهل الظاهر والباطن، وأكثرَ من أربعين شيخاً من أهل البرزخ، ومن رجال الغيب مالا يحصى، وعن الخضر مراتٍ كثيرةً، وذكرَ من أهل البرزخ أربعةً: الحبيب عمر بن عبد الرحمن العطاس، الشيخ محمد بن عثمان العمودي صاحب العُلمة بقيدون، والشيخ علي بن عبد الله باراس، والشيخ ناجة بن أمتع صاحب رحاب».

وآخرُ مشايخه هو: القطب البحر، وإليه كان ينتمي، وكان يقول: «هو حقي وحدي، ما لأحدٍ شيءٌ فيه». وكان يقول: «لو سلك العلويون جميعُهم وادياً وسلك الحسنُ بن صالح وادياً آخرَ لسلكتُ وادي الحبيب حسن».

وكان له اعتناءٌ تامٌ بـ«مجموع كلام الحبيب أحمد بن عمر بن سميط»، ونشره في الجهات، وكان لا يفارقه حضَراً ولا سفَراً، حتى كاد أن يحفظه عن ظهر قلبٍ لكثرة ما قرأه، وكانَ إذا كثُر عنده الزوار قرأ لهم فيه. وأولُ اجتماعه بالحبيبِ أحمد في حال صباه، قال: «لقيته بحريضة بعد ختم القرآن، فجذبني الحبيبُ أحمد بحاله وهو بشبام فسرتُ من حريضة، فلما وصلت شبام وجدتُ الحبيب عند الجامع بعدَ الضُّحى منتظرني، فصافحته ووقفتُ عنده وقفةً خفيفةً، ثم مسح عليَّ ودعا لي، وأمرني بالرجوع إلى حريضة في الحال، وودعني فرجعت».

وكان رضي الله عنه ذا سيرةٍ حسنة وحالةٍ مرضية، ولمحة سنية، وأخلاق نبوية، متواضعاً في غير ضعة، مؤثراً للخمول والتقشف والعزلة عن الناس، هشّاشاً بشّاشاً، كثيرَ التبسُّم ظاهر البشر والرضا، طيبَ الرائحة، حسن الصوت، يحب المساكين ويجالسُهم ويزورهم في أماكنهم، ويحب الصبيان ويفرّحهم.

وكان رضي الله عنه أبيضَ اللون، مربوع القامة، لحيته مشربة بالحمرة من أصل الخلقة. زاهداً في الدنيا يرضى منها باليسير، راغباً في الآخرة، أغلب لباسه الصوف، لا يضع ثوباً حتى يخلِقَه ويرقّعه في عيدٍ وجمعةٍ وسائر الأيام.

وكان كثير الأسفارِ في جهةِ حضرموت يميناً وشمالاً، أكثرُ سفرِه ماشياً، ولا يَصحَبُ أحداً في سفره ليخدمه، وإذا أهديَتْ له المراكبُ النفيسةُ والجوائز العظيمة من السلاطينِ والأمراءِ وغيرهم فلم يقبلها، ويردّها عليهم.

وكان رضي الله عنه مرتباً أوقاته وموزعها، لا يصرف منها شيئاً إلا فيما يعود نفعه عليه. وأغلب كلامه مذاكرةٌ ودعوةٌ إلى الله، ولا يحبُّ الكلام في غير ذلك، ويختم مجالسه بالفاتحة، ظاهره مع الناس وباطنه مع الله سبحانه.

وكان يكره التنباكَ كراهةً شديدةً ويحذر منه وينهى عنه، ولا يقدر أحدٌ يقرب منه وفيه رائحته، وكثيراً ما يبالغُ في تحذير أصحابه منه ومن المعاطاةِ والمعاملة فيه.

وكان شيخاً جواداً ذا كرم وصلة ومواصلة، وله صدقات سرّية في أقاربه وأهل بلده وغيرهم، ويعطي النقدَ من الفلوس، والفاخر من الملبوس، ويقتنع بالقليل من المأكول.

[ترتيبُ أوقاته]:

وكان حافظاً أوقاته كلها ليلاً ونهاراً. فكان يستيقظُ بعد نصف الليل ويأتي بالأذكار الواردة، ويمكث هنيةً قبلَ الوضوء في ذكرٍ وخضوعٍ وبكاءٍ نحيبٍ وتضرعٍ وتشوق، ثم يتوضأ ويصلي ركعتين خفيفتين.

ويأخذ في عملِ القهوة بنفسِه، ويرتب قبل شربها ثلاثَ فواتح: **الأولى**: لسيدنا رسول الله والفقيه المقدم وأصوله وفروعهم، **والثانية**: لمشايخ القهوة، **والثالثة**: بنية صلاحِ أمور المسلمين وما ناسب لذلك، ويقرأ بعد ذلكَ آية الكرسي ويأتي بمائة وستة عشر من: «يا قوي»، ويقرأ يس أربع مرات، ولا ينقص شربُه من القهوة عن ثلاثة عشر فنجان.

ثم يصلي الوتر إحدَى عشرةَ ركعة، أو ثلاث عشرة، يطيلها ويحسنها، ويسلم أحياناً من كل ركعتين، وأحياناً من كل أربع، وله منها قراءةٌ مرتبُها فإذا أكمَل الوتر والأذكار الواردةَ بعده، قرأ العشرةَ الأذكار المذكورة في «الإحياء»، و«خلاصة المغنم» للحبيب علي ابن حسن العطاس، ويقرأ يس أربعين مرة، وربما قرأها خمسمائة مرة.

وينامُ قليلاً قبل الفجر، ويستيقظ عند طلوعه، ويركع سنةَ الفجر في البيت، ويخرج إلى المسجد الجامع، ويشتغل بعد الصلاة بالتدريسِ إلى أن تطلعَ الشمس، فيصلي ركعتي الإشراق وركعتين من الضحى وبنية الاستخارة.

ثم يرجع إلى بيته فيؤانسُ الضيوفَ إن كان هناك ضيف، ثم يخرج من البلد والعمران، ولا يعود إلا وقتَ الغداء، ثم يزورُ من وجبتْ له زيارةٌ من الإخوان والأقارب، ويرجعُ إلى البيت فيصلي ثماني ركعات، ثم يعتزلُ ويقرأ ثمنَ القرآن، وينام القيلولة. ويستيقظ قبل الظهر فيتوضأ ويصلي ركعتين سنة الوضوء وأربع ركعات سنةَ الزوالِ وأربع ركعات قبلية الظهر، يقرأ بعد الفاتحة يس مرة وآية الكرسي مرة والإخلاص ثلاثاً في كل ركعة.

وكان خفيفَ القراءة خفيف الصلاة، مع غاية الإتقان، وكان يأتي بالتسبيحات الواردة في الركوع والسجودِ إحدى عشرةَ مرة.

وبعد صلاة الظهر في الجماعة وسنتها، تفْعلُ له قهوة، ويأتي قبلها بما يأتي به قبلَ قهوة السحَر، ويشربُ منها مثلما يشربُ منها، ويحصُل له في هذا الوقت انشراحٌ وبسطٌ عظيم، ويشتغل بقراءةِ كتابٍ في الفقه أو التصوف، إلى العصر، فيصليها بسننها وأذكارها وآدابها.

ويدرس بعدها في «الإحياء» ونحوه من كتب التصوف، إلى نصف وقت العصر فيخرج من البلد، ويبعد عن أعيُن الناس، ويعود لصلاة المغربِ فيصليها في الجماعة، ويتحولُ بعدها إلى ناحيةٍ من المسجد، فيصلي بعديةَ المغرب وصلاةَ الأوابين عشرين ركعة،

ويأتي بعدها بما يعتاد من الأوراد والرواتب، ويصلي العشاء بسننها القبلية والبعدية. ويرجع إلى البيت فيأكل ما تيسر ويؤانسُ الضيف، ويبالغ في إكرامه، ويسمر معه، ويدخل بعد ذلك إلى الخلوة، ويأخذ في باقي أوراده ويأخذُ مضجعه.

وكان يختم القرآن في كل أسبوع يومَ الخميس بعد صلاة الصبح، وكان يقول قبل قراءة يس: «نويتُ أن أقرأ يس بنيةِ جلبِ كلِّ خيرٍ حسي أو معنوي، عاجلاً أو آجلاً، وأن يؤتني الله ما سألتُه وما لم أسأله من الخيرات».

وكان يختمُ القرآن في الوتر في العشرين الأول من رمضان، ويعتكف العشر الأواخر منه، وكان يدور يومَ الفطر والأضْحى على دُور الحبايبِ أهلِ حريضة جميعهم، يسميه: «عُواد وزيارة على عادة السلف».

وكان له رضي الله عنه مدةَ حياته من الرزق الحلالِ ما يقومُ بكفايته وزيادة، من ثمر النخل، والحبوب، ومن العقارات، ومن العسل من النوبِ نحوُ ثمانمائةِ رطلٍ في كل سنة، تباع في بندَر الشحر، ويؤخذُ له منها ما يكفيه السنةَ من ضرورات المعاش.

وكان له رضي الله عنه محبةٌ عظيمةٌ واعتقادٌ كاملٌ في العلماء والأولياء والصالحين، أحياءً وأمواتاً، ويتعهد أماكنهم الشريفة، ومشاهدَهم العظام، للتبرك والزيارة ويدور عليهم، وكان يقول: «إني أرى خواطر الضمائر وما هي مشحونة به من خير وشر، ومن هو قريب من الشيطان، ومن هو منقادٌ له، وأعرف الشقيَّ من السعيد وأعرفُ الناس وأعمالهم، والسبب المحبط لأعمالهم، وأخاطبُ الناسَ بما يصلحهم ويرشدهم في أمور دينهم ودنياهم، مع معاناة ظُلمة الجهل والغفلة، ولا عاد بقي لي استراحةٌ ولا نسَمٌ ولا سكونٌ إلا في رؤيةِ الأولياء، والمطالعة فيهم ومجالسة الصالحين»، أو كما قال.

وقال أيضاً: «إن عندي ودائع للناس أوديها إليهم إلى أماكنهم وأسير بها إليهم، ولو جاءوا لها إلى عندي لما تراءوا ماءً».

وكان يقول: «إن لي في كلِّ ليلةِ جمعةٍ زيارةً بمكة المشرفة، وطوافٌ بالبيت، وزيارةً للمدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام، وزيارةً لبيت المقدس، ودَرْجةً مع أهل الدرك».

وكان يقول: «إن الله جعلَ لي الدنيا كالبيضة في يدي».

وكان يقول: «لو تكلمتُ في ذرةٍ من علمِ الإيمان لأعجزتُ كتبةَ الدنيا، وإذا أشكلتْ مسألةٌ على علماءِ المشرق والمغرب ما يفكها إلا هذا الرأس، ـ وأشار إلى رأسه ـ ولو تكلمتُ على معنى هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ﴾ لأعجزتُ كتبةَ الدنيا».

وقال: «أعطيتُ شيئاً ـ أو قال: سراً ـ لم يعطَهُ أحدٌ ممن سبقَ من العلويين الأولين والآخرين».

وكان يقول: «لا أرضى لأدنى تلامذتي بحالِ أبي يزيد البسطامي».

وكان له اعتناءٌ تامٌ في سَقي الماءِ ونفعِ المسلمين، كان من بدايته معتنياً بماء القواطر من الحيود، يضع تحتهن المراكن، ويمكّنهن في الأرض بيده، وعنّى بها آخرَ وقته أناساً يصلحونها. وبنى عدةَ مساجد؛ منها: مسجدُ الكريف بحريضة، ومسجدُ شرج آل علي بن صالح، وتصدق عليه بصدقة جارية.

وكان له نظرٌ كاملٌ في صلاحِ العباد والبلاد، لاسيما بلد حريضة وسكانها، وجمعهم في عاداته المعاشية على ما يعُود عليهم نفعُه، وكتبَ بينهم مكاتيبَ في ذلك. وجمع السادة بحريضة على وضع السلاح والتزام سيرة السلف وكان يقول: «من حمل كتاباً بايقرأ فيه، ومن حمل سبحة بايذكر الله بها، ومن حمل جنبيةً أيشْ بايعمل بها؟»

وكان رضي الله عنه مدةَ إقامته في المدينة لم يركب فيها ولم ينتعل، بل كان يمشي حافياً وكان يقول: «كيف أمشي بالنعال على أرضٍ ضمت أعضاءَ رسول الله ﷺ».

وكان يقول: «إن الصديقيةَ الكبرى مغناطيسُ القلوب، وإني لما رأيتُ الناسَ محسنين الظن بي ومتعلقين عليّ، طلبتُ من الله مطالبَ كثيرةً، منها: الخمولُ، فلم يتيسر لي، وطلبتُ منه أن تكون لي صدقة جاريةٌ: بئرٌ ومسجدٌ عندها، وسقايةٌ بجنبها، وحسبٌ عليها، والوفاة في أحد الحرمين.

فلما كنتُ بتريم في بعض الزيارات عند ضريحِ سيدنا الحبيب علي خالع قسم، خاطبت روحانيتي روحانيته، وأحالني على النبي ﷺ وقال لي: «المطالب التي طلبتها باتقضى من عند النبي ﷺ». فرجعت إلى حريضة ونويت الحجَّ وزيارة النبي ﷺ.

فسافرت إلى الشحر، وقضينا بها حاجاتٍ ومطالبَ لنا، وسافرنا على بركة الله إلى عدَن قاصدينَ زيارة الحبيب أبي بكر بن عبد الله العيدروس، فلما رستْ بنا الساعية في مرسى عدَن إذا بالحبيبِ أبي بكر واقفٌ على الساحل في جمع من أهل البرزخ من طرف البحر إلى طرف البحر، وهو وسطهم مُنشِرين رايات وطيالات وثلاثة رؤوس خيل، فخرجتُ من الساعية في جمعٍ عظيم من الروحانيين وأهل الغيب، لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، فلما وصلت السِّيفَ أنا ومن معي، التقاني الحبيب أبوبكر وعانقني، وقال: مرحباً يا أخي، مرحباً يا بني، مرحباً يا وارثي، وقرب لي رأسَ الخيل، وقال: «اركَب»! وأعطاني طيلسان، وقال لي: «غطِّ وجهَك، لا تخلي أحد ينظرك، ولا ينظر شيء من بدنك»، وهو وواحد معه ركبوا على الفرسين الآخرين إلى أن دخلنا قبةَ الحبيبِ، وأخذنا عندَه أياماً لا نفارقه ولا يفارقنا، وحصل الاجتماعُ والاتفاقُ والمدد لنا ولَه.

وتوجهنا من عدن بعد أن أقمنا نحوَ ستةِ أيام، ودخل شهر رمضان، ولما وصلنا الحديدة رأيتُ وأنا في المنامِ بيتَ السيدِ أبي بكر مصلح المقبُولي، عليه نورٌ ساطع، وأخبرني النبي ﷺ: «أنه يحضر مولده في كلّ ليلة جمعة»، وكان السيد أبي بكر مرتباً قراءته كل ليلة جمعة.

ونزلنا في الحديدَة في بيتِ الشيخ المنور بوبكر منصور، ساكن بندر الشحر، واتفقنا بالسيد أبكر مصلح المذكور، فأخبرته بها رأيتُ ففرح كثيراً، واصطحبْنا نحن وإياه مدةَ إقامتنا في الحديدة لا يفارقنا ولا نفارقه، وزرنا بالمراوعة السيد محمد بن أحمد الأهدل، واتصلنا به وأكرمَنا، وصار الاتصال بيننا وبينه.

ورجعنا إلى الحديدةِ وسِرْنا منها إلى بندر اللُّحيَّة، فلما وصلنا ونَزلنا، واجهت النبيَّ ﷺ وسيدنا أبي بكر رضي الله عنه على الساحل، فبشرني رسول الله ﷺ بحجٍّ مبرور وزيارة مقبولة، وقال: لا تحرم الناس الخير والبركة، ومن له شيء أعطه إياه، والصدقة التي تريدها تكون في بلدِ حريضة، ووفاتك بها، وباقي حاجاتك التي طلبتها با تقضَى، وأراني محلَّ ضريحي، ومحل البير بحريضة». انتهى.

وسفرُه هذا هو آخرُ أسفاره إلى الحرمين سنة ١٢٧٩هـ. وقد حصلَ له فيه من الكرامات وخوارقِ العادات ما لا تسعهُ مجلدات، حتى أن السيدَ أبكر مصلح المارَّ ذكرُه، جمعَ تأليفاً مما حصل له في الحديدة سماه: «**حلاوة القرطاس**»، وحصل له ظهور عظيم.

قال شيخنا الحبيب علي بن محمد الحبشي: «قال الحبيبُ أبوبكر لما كنتُ في المدينة ما صفا لي وقتي ـ يعني لما وقع له من الظهور ـ فخرجتُ يوماً إلى أُحُدٍ لزيارة سيدنا حمزة، فحصلَ معي صفاء، فلما كنت راجعًا، وافقت جملةً من القرمان، وفيهم رجلٌ من أهل السر، وردتْ عليه في ذلك الوقت حالةٌ يسمونها: السحْق والمحق، فعرفني فجاء إلي، وألقى نفسَه علي، فلما رآه أصحابه أتوا كلُّهم وألقوا نفسهم علي، فقلتُ في نفسي: هربتُ من المدينة لكثرة الناس فما سلمتُ منهم هنا!». انتهى.

وبعد رجوعه من سفره هذا ابتدأ في حفر البئر، يوم الأحد لخمس مضت من شهر رجب سنة ١٢٨١هـ.

***

وقال شيخنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس قدس سره: «لما كنتُ بمكة كنتُ أعرف مجيءَ الحبيب أبي بكر إلى المطافِ وأسمعُ حركةَ ثوبه في الطواف، وأطوف خلفه، فإذا بعُدَ مني وقفَ لي، فلما رجعتُ إلى حريضة أخبرتُه بما وقع لي، فصدقه، ولما مات أحسستُ بظلمة الكون».

وقال رضي الله عنه: «سمعت الحبيب أبا بكر يقول: أردتُ أن أضعَ شرحاً على «الإحياء»، وعزمتُ أن أبتدئ بشرحِ (عجائب القلب)، فأحضرتُ البياض والأقلام، ثم فكرتُ أن هذا شيء لم يفعله أحدٌ من السلف، فرجعت عنه».

وقلت له: «ما الحجاب المسدورُ بينكَ وبين أهلِ حريضة فقال: أنا ما بغيتهم، فقلت له: با يحرمون بركتك، فقال: من له شيء هو يصله».

وقال رضي الله عنه: «فزعتُ من بعضِ الناسِ من أرباب الأحوال، وجئتُ إلى الحبيب أبي بكر فأخبرته، فقال لي: لا تخف من حيٍّ ولا ميت، المفاتيحُ كلها إلا بيدي».

وقال لي مرة: «انسدحْتُ مرة في الشحر في مسجدِ الحبيب أحمد بن أبي بكر بن سالم، بعد صلاة الصبح، فأُتي إليَّ بشيءٍ كالبيضة وفيه شيء، ونكَتوه عند رأسي، فإذا هو مختلفُ الألوان: الأبيض والأسود والممتزج، فقلت: لعله عالم الذر، قال: نعم؛ قلت: لعلهُ لما ولَّوكم عليه، قال: نعم!».

وسمعته يقول: «أعرفُ الشقيَّ من السعيد، وأعرفُ الناسَ وأعمالهم والسبب المحبط لأعمالهم».

وقال رضي الله عنه: «رأيتُ الحبيبَ صالح بن عبد الله، فقلتُ له: من صاحب الوقت؟ فقال: أبوبكر بن عبدالله، فأخبرتُ الحبيبَ أبا بكر بذلك فأقرني عليه».

وحضر الحبيب أبو بكر مجلس السيد دَحلان يوماً فتعجّبَ من تقريراته وبحثه وحسْنِ إلقائه المسائلَ على الطلبة، فقال: «يا ما في رأس هذا الشيخ»، فقلتُ له: أتحب أن أحفظَ كلما يقوله؟ فقال: «لا»؛ وكنتُ في ذلك الوقت أحفظُ من مرة.

وقال رضي الله عنه: «نظرَ إليَّ الحبيبُ أبوبكر يوماً بمكة، وكلمني بكلامٍ في طبايع الناس وأخلاقهم، فعرفتُ من تلك الساعة جميعَ طبائع الناس وأخلاقهم، وعرفت المقبلين والمدبرين».

وذاكر يوماً في الحقائق، فقلت له: «وبعدُ آهْ!»، فقال: ﴿وَإِن مِّن شَيْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ لأنه في مقام الخلافة.

وقلت له: «إنّ بعض الناس يجدُ كشوفاتٍ وأحوالاً ما يقتضيها حالُه ولا عمله»، أعني بذلك نفسي، فقال: «لقربه من صاحب الوقت»، يعني نفسه، «مثال ذلك: مَطرحُ الماء هل يصيبُ الرشاشُ ما حولَه؟»، فقلت: «نعم».

وسمعتُ صوتَ الحبيب أبي بكر يوماً يتكلمُ من الجدار، فبعد ساعةٍ، جاء فأخبرته فقال: «نعم يا ولدي، الوليّ ملءَ الكون كله، ولو دعوته من جُحرٍ لأجابك»، فقلت: لعل هذه وظيفةُ الكامل؟ فقال: «نعم»، فقلت له: «كأنّ النّوبة عندكم في هذا الوقت؟»، قال: «نعم». ولما جاء إلى مكة وأنا فيها دعاني إلى ناحية في الحرم، وقال لي: «اطلُب ما شئت»، فقلتُ :«كلما توجهت إلى الله فيه لي أو لغيري من خيراتِ الدنيا والآخرة يتمّ»، فقال: «ذلك لك»، وأعطاني الله ذلك.

وقال قدس سره :«لما توفي الحبيب أبو بكر اجتمعَ الأولياءُ أهلُ الظاهر والباطن، وحضرت أنا، وكان ذلك في جامعِ حريضة، وكان رئيسُ المجلس الشيخُ عبد القادر الجيلاني، وجلست أنا بالقُرب منهم، فدعاني الشيخُ عبد القادر، فقلت له: «أنا ما مني شيء، إن معكم شيء لي اطرحُوه في القرآن»، فطلع واحدٌ من الأولياءِ لم أعرفه إلا من بعد، ولما انقضَت نوبتُه اجتمعوا بأعلى شبام بالقرب من العقاد، وجعلوا الأمر بين اثنين: واحد على المعالي، وواحد على المسافل».

وقال رضي الله عنه :«قال الحبيب أبو بكر: كلُّ حقيقةٍ لم يبرُز لها مثالٌ في عالم الشهادةِ ما هي حقيقة».

وقال شيخنا الإمام علي بن محمد الحبشي قدس سره: «قال لي الحبيب أبو بكر: با أتذاكر أنا وإياك في علم النحو، فامتثلتُ الأمر، وتذاكرنا فأسمعني غرائبَ من النحو، وقال لي: قرأ بعضُ العارفين في علمِ النحو، ففتح الله عليه بثلاثة آلاف علمٍ فيه».

وقال رضي الله عنه: «لو كنا قيدنا ما نسمعُ من الحبيب أبي بكر لاجتمعتْ منه المجلداتُ الكثيرة، وأنا ما رأيتُ أحداً مثلَه في إملاءِ العلوم اللدنية والمعارف الحقانية تأتيهِ المسألةُ المعضلة فيضْربُ لها مثلاً من الأمثال، ويبينها تبييناً يدخلُ الجملَ في سَمِّ الخياط».

وقال رضي الله عنه: «أتى إليَّ الأخُ علي بن سالم بعدَ ما ماتَ ظاهراً في اليقظة، حتى خفتُ أن يراهُ مَن عندي من الأهل، ومعه رجلٌ من أهل البرزخ، فسألتُ الأخ عليّ: ما أتى بك؟ فقال: جئتُ لأخبركم، فقلت له: هل اجتمعت بالحبيب أبي بكر في البرزخ؟ فقال: أما أنا فلم اجتمع به، وأما هذا الرجلُ فرآه، فسألته عنه، فقال: أهل البرزخ كلهم مجمِعُون على أنّه أعطيَ سراً لم يعطَه أحدٌ من سلفِه الأولين قبلَه ولا الآخرين من بعده».

وقال رضي الله عنه: «رأيتُ الحبيبَ أبا بكر في المنام في حياته حولَ قبة الحبيب علي ابن عبد الله السقاف، عليه إزارٌ وكوفية فقط، فأخذتْه حالةٌ شديدة، صار يقول فيها: حد كماي؟ حد كماي يا علي؟ فقلت له: فضلُ الله واسع! فقال: صدقت يا ولدي، وبردَ عن حالته، وقال لي: تعرف ولدي سالم؟ فقلت: نعم، فقال: تعرف حاله ومقامه؟ فقلت: لا، فسار بي إلى مكانٍ مفرّش واسع جداً، ورأيتُ الأخ سالم عليه شيء لا يوصف».

وقال رضي الله عنه: «قال الحبيب أبوبكر: أنا وأصحابي تحت ظل العرش يوم القيامة، حتى يتمنّى كثيرٌ من أهل الموقف أنّهم من أصحابي، لما يرون لأصحابي من عِظَم المنزلة عند الله».

وقال أيضاً: «أصحابي واصلين وموصلين، ولا يصلهم عدو ولا حاسد، ولا

يدخلون بلداً إلا ويأخذون الشهرة والصيت، ويقبلون أهلُها عليهم غايةَ الإقبال، ولا يدخلون مجلساً إلا ويأخذونه على أهله».

وقال رضي الله عنه: «حضرتُ مجلساً عند الحبيب أبي بكر، وطابت المذاكرة فيه، فأخرجتُ عمامتي وألقيتها على وجْهها، فقال: لا تلقيها على وجهها، خلها تحصل قسمها في السر».

وقال رضي الله عنه: «لما سمعَ الحبيبُ أبو بكر العطاس قولَ بعضهم: ناظري وناظر ناظري في الجنة، قال: ووارثُه يقولُ مثله، ولا تزال الوراثة تنتقل، وكل أهلِ عصر لهم واحد يظهر لهم فيه».

وقال رضي الله عنه: «الحبيب أبو بكر غريبٌ في وقته، ما حد عرفه، بل غريب حتى في برزخه».

وقال رضي الله عنه: «مرّ الحبيبُ أبو بكر على شَريمٍ ملقًى في الأرض، فنظر إليه، وقال: والله لو شئت أن أرقّي هذا الشريمَ إلى مقام العارفين لأوصلته إلى الله في ساعة».

وقال رضي الله عنه: «قال الحبيب أبو بكر: كنتُ ذات ليلة بذي أصبح، فرأيت الجنة وُضعت تحتَ بيتِ الحبيب حسن بن صالح، بِحُورِها وقُصورِها، ثم سمعت الحبيب حسن يصيح في بيته، ويقول: ما مرادي الحور ولا القصور، بل مرادي كشف الستور».

وقال أيضاً: «قال الحبيب أبو بكر: لو صدق الطالبُ لوجدَ المشايخَ في الطرف وعلى الأبواب. وقال الحبيبُ أبو بكر في وصفِ الحبيبِ جعفر بن محمد العطاس: أنه جمل هايج ملقّح، لو وجد ناقةً تحرّك ذيلها لألقحَها في ساعةٍ!»، يعني: لو وجد مريداً لأوصله إلى الله في ساعة.

وقال أيضاً: «قال الحبيب أبو بكر: الحمد لله! محضارنا فينا، وسقافنا فينا، وعيدروسنا فينا، وفقيهنا فينا. فقال له الوالد: وهكذا يقال في كل وقت؟ فقال: نعم، إلا أنهم في الخفاء».

وقال أيضا: «طلبتُ الإجازة مرةً والوصيةَ من الحبيبِ أبي بكر كتابةً، فقال: يا ولدي؛ الأسرار ما تبتذل في الأوراق، وإنما تكون من الصدور إلى الصدور، ولكن أهلَ الزمان ما يرضَون إلا بالكتابة».

وقال قدس سره: «أخبرني الأخُ سالم بن أبي بكر، قال: كنتُ مع الوالد أبي بكر يوماً فتغيّر شدُّ المركوب، فنزل الوالد عنه وأصلحته، ثم ركب، وقال لي: يا ولدي تباركَتْ لي هذه اللحظة، فقلت له: ما أنت إلا تُبارك الوقت؛ ما الذي فعلت! فقال: أتيتُ بألفٍ وخمسمائةِ مرةٍ من سورة يس».

وقال قدس سره :«لما قرئ كتاب «السَّير والسلوك» على الحبيب حسنِ بن صالح البحر، قال: ما أحد حقّق العملَ بهذا الكتاب وعرفَه مثلُ الحبيب أبي بكر بن عبد الله».

وقال قدس سره: «كان لعبدالرحمن بَحوَل محبةٌ كاملة في الحبيب أبي بكر، ولم يعشْ له ولدٌ، فشكَى إلى الحبيبِ أبي بكر، فقال له: بايجيك الولد، وبا ينفعك، فولدَ له ولد، وسماه أبا بكر، ثم إنه مرض مرضاً شديداً، قال والده: حتى يئستُ من حياته لشدة المرضِ، ثم إني ذكرتُ قول الحبيب، فقمتُ بهمةٍ قويةٍ وناديتُ الحبيبَ أبا بكر ثلاث مرات وكان بحريضة، وإذا به أخذَ بيدي وسار بي حتى دَخلنا الروضةَ النبوية الشريفة، فوجدنا سيد المرسلين ﷺ فسلم عليه، وقال: يا رسول الله؛ أما كتبت ولد عبد الرحمن بَحْوَل عندك في الديوان من السالمين؟ قال: نعم، ثم رجعنا فوجدتُ ولدي ساكناً كأنْ لم يكُن به مرض، وعوفي من ليلته، ولما اجتمعت بالحبيب أبي بكر قال لي: لا تخبر بليلتنا أحداً في حياتي».

وكان الحبيبُ أبو بكر في المكلاّ مرةً، وخرج من بيتي، فجاءني رجلٌ وقال لي: إن الحبيب أبا بكر في بيتِ السيد أبي بكر المشهور، إن با تحضُر مجلسه، فبينما أنَا متأهبٌ للمسير، إذ جاء رجل آخر، وقال: إن الحبيب أبا بكر عندَنا إن با تحضر مجلسَه، وهكذا إلى أن جاء خمسةُ أنفار، فذهبتُ إلى البيوتِ الخمسة فوجدتُ الحبيب أبا بكر فيها كلها في وقتٍ واحد».

قال: «وبات عندي ذاتَ ليلة، فلما كان نحوُ نصفِ الليل دعاني، وخرجت معه من البيت حتى وصلنا السوق، فلقينا رجلٌ صافحَ الحبيبَ وقبّل ركبته وقدمه، ومررنا، وقال لي: أما عرفتَ الرجُل؟ فقلت: من هو؟ فقال: هو الخضر، فقلت له: تكفيني أنت. ثم سار بنا حتى وصلَ إلى سدّة البلد، وكانت لا تفتحُ بالليل، فدعا الحبيبُ البوابَ وفتحها بلا مراجعة، وخرجنا فلقينا قافلةً فتكلّم الحبيبُ مع واحدٍ منهم في العلم، ثم رجعنا فوجدنا صاحبَ السدّة منتظراً لنا، ففتحَ ورجعنا إلى المكان».

وقال قدس سره: «سُئلَ الحبيبُ أبو بكر عن حالِ الفقيه المقدم، فقال: إن كأسَ المحبة في فمه منذُ خلق الله الوجود».

وقال رضي الله عنه: «رأى الأخُ عبد القادر بن أحمد بن طاهر كأنه في عدَن في حضرة الشيخ أبي بكر العيدروس، وكأنّ هناك جمعٌ عظيمٌ وكرسي منصوب، وفي الجمع السيد عمر بن عبدالرحمن بن شهاب، فقلتُ له: ما هذا الجمع؟ فقال: سيأتي رجلٌ يتكلمُ على الناس في العلم، فقلت له: بأي لغة؟ فقال: باللغة السريانية، وهي لغة الأرواح. فبينما هم كذلك إذ دخل رجلٌ عظيمٌ في خلعة حمراء، ثم جلس وسط الحلقة، فسألته عنه، فقال: هو الحبيب صالح بن عبد الله، ثم بعد ساعةٍ دخلَ رجلٌ آخرُ جميلُ الهيئة، وكان عليه جبة خضراء، فتأملته فإذا هو الحبيب أبو بكر، فجلس على الكرسيِّ وشرعَ يتكلم على الحاضرين، فقلت للسيد عمر المذكور: إني لم أفهم شيئاً مما يقول، فقال: إنه باللغة السريانية، فقلت له: فيم يتكلم؟ فقال: في علم الشكر وعلم التوحيد».

وقال رضي الله عنه: «كانت لسيدنا الحبيب أبي بكر بصيرةٌ نافذة، وقوةٌ غالبة، إذا نظر إلى الإنسان وهو يشتكي شيئاً أزاله، الذي تزيله القوة يزيله بالقوة، والذي تزيله الوجْهة يزيلُه بها، والذي يريدُ دواءً عنده الأدويةُ كلها لأنه مداوي المرضى».

وقال رضي الله عنه: «قال الحبيبُ أبو بكر: حِلّ في البلدان الثلاث: سمعون، وسيؤون، وقيدون». انتهى.

وأحوالُ صاحبِ الترجمة عظيمة، وبركاته عامة، وكراماته شهيرة. ومنها: إخباره وتبشيرُه بمقام سيدي الحبيب قدس سره ومظهره العظيم، فيما رواه عنه ولدُه الإمام الحبيبُ سالم وغيره: أنه لما وَجد سيدي الحبيب قدس سره صغيراً حولَ قبة الشيخ سعيد العمودي وضعَ يده على رأسه، وقال: إن هذا ولدٌ يرث حالَ الجيلاني والعيدروس والحداد»، وعدّد مما يتفضل الله به عليه ما لم يحصره العادّ، إلى أن قال: «وبالجملة فله زمانٌ يا بختْ من حضر زمانه».

ولما قُرِئتْ هذا المقالةُ على شيخنا الإمام علي بن محمد الحبشي قال: «الحمد لله حضرنا زمانه وواخيناه وأحبنا وأحببناه».

وأخبرني شيخُنا العلامة الحبيب شيخُ بن محمد الحبشي: «أن صاحب الترجمة كان يقول: إن قدّر الله لنا الظهورَ وأردناه سيكونُ إما في سيؤون أو قيدون، فكان مظهره في سيؤون الحبيب علي بن محمد، ومظهره في قيدون الحبيب محمد بن طاهر». انتهى.

وقال سيدنا الحبيب الإمام عمر بن حسن الحداد: «إن الحبيب أبا بكر ـ يعني صاحب الترجمة ـ شكى إلى سيدنا المهاجر أحوالَ الزمان، فأجابه سيدنا أحمد: بأن ما لهذه الفتن انقطاع إلا بخروج المهدي».

❋ ❋ ❋

[٤ـ الحبيبُ أحمد بن محمدٍ المحضار
(١٢٣٧ـ١٣٠٤هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام شهابُ الدين، وبركةُ المسلمين، الحبيبُ القطب أحمد بن محمد بن علوي بن محمد بن طالب بن علي بن جعفر بن أبي بكر بن الشيخ عمر المحضار بن الشيخ أبي بكر بن سالم، فخرِ الوجود، البركةِ الشاملة لكل مولود.

إمامُ الأبرار وصفوة القائمين بالأسحار، الذاكرين الله أناء الليل وأطراف النهار، البحر الزخار والغيث المدرار، الذي لا يشق له غبار ولا يجارى في مضمار، الشهير كسلفه بالمحضار، الشيخ الكبير عديم المثيل والنظير، الجمل الذي ملأ الوجود هدير، نديمُ المقاعد العندية، وسمير الحضائر القدسية، وخبير الأسرار الغيبية، مربي السالك ودليل السائرين، وكعبة القاصدين ومعدن اليمن والإيمان واليقين.

ولد سنة سبعة عشر ومائتين وألف ببلد الرشيد، وبها تأسس قصر مجده المشيد، وتولت تربيته العناية الربانية، بتربية برزخية، فقرأ القرآن العظيم على الحبر العليم الشيخ يوسف بن أحمد المشهور بحر النور، الذي بقرية الرشيد مقبور.

وذلك: أن والده أدخله المكتبَ فضربَه المعلمُ ذات يوم ضرباً مؤلماً، فهرب إلى عند ضريح الشيخ المذكور، فظهر له من القبر وهون عليه الأمر، وقال له: «أنا أعلمُك القرآن». وعين أوقاتاً للإتيان إلى ذلك المكان، وكان إذا أدركه الليل هناك واشتد ظلامه يوصله الشيخ المذكور إلى بيته بالسراج، يمشي به قدامه.

ومازال على ذلك الشأن حتى ختم القرآن، وحفظه وهو ابن سبعٍ سنين حفظ إتقان، وفاق الأنداد والأقران. وإلى اتصاله بهذا الشيخِ وما وقعَ له معه إشارةٌ بقوله في بعض قصائده:

قد كان قرّاني وشفتُه الضريحِ المستنير ... أيامْ في أيامْ في أيام أنا فيها صَغير

وبقوله أيضاً:

غُصْ في بحرِ النّور غُصْ ... ولقبر بحر النُّور خُصّ

.... في قبره أبداً يقصّ

ويقوله أيضاً:

والشيخُ بحرُ النورِ يوسُف بن حَمَدْ ... تجري لنَا منه السّواقي بالمدَدْ

ولما سُئل شيخنا الحبيب أحمد بن حسن العطاس عن قراءة المترجم له، وكونها على قاعدة غريبة عجيبة؟ قال: «إنها قراءة برزخية»، يشير بذلك إلى ما ذُكر.

ثم انتقل قدس سره بطلبِ العلم الشريف، بفهمٍ ثاقبٍ وقلبٍ نظيف، مجمع من العلوم كل تالد وطريف، إذ هو الكفءُ الكريم لذلك المنصب المنيف، وكان الأمرُ كما قيل:

أتاني هواها قبل أن أعرف الهوى ... فصادف قلباً فارغاً فتمكنا

أخذ العلوم الدينية والمعارف الإيمانية بدوعن والحرمين الشريفين، تردد إليها مرات، وجاور بها سنوات، وحج عدة حجات، وأولُ حجةٍ له إليها مع والده الكريم في صغره. ودخل اليمن الأمين وما رفعت راية لمجد إلا وتلقاها باليمين.

قرّ ناظره من البيت المحرم، وانشرح صدره بين الحجون وزمزم، وحصل له بأم المؤمنين خديجة اتصالٌ خاص ووليجة، كان نيلُه الأماني لذلك نتيجة، ووصل غايةَ

الغايات بزيارة جده سيد البريات،عليه وعلى آله أزكى الصلوات وأكمل التحيات، وزاره مرات ورد بها مورد الهناء، ونال من كنز الغنى غاية المنى.

واتصل في تردداته بكثيرٍ من الأعيان مناهل العلوم والعرفان، ومواضع نظر الرحمن من بني الإنسان، فمن أشياخه الحضارم، معادن المكارم: الحبيبُ عمر بن أبي بكر الحداد، والحبيب الحسن بن صالح البحر، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب عبد الله ابن عمر بن يحيى، والحبيب هادون بن هود العطاس، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، وغيرهم.

ومن الحرميين واليمنيين: الحبيب عمر بن عبد الله الجفري المدني، والحبيب أحمد ابن عبد الله بافقيه، والشيخ عبد الرحمن الكزبري، والسيد أحمد بن إدريس المغربي، والسيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، وجميع أهل عصره، كما أشار إلى ذلك بقوله:

ولنا اتصال بالحبائب والمشايخْ عن كمَـلْ   بالشام والحرمين واليمن إلى وادي العجل
ونسير معهم بالطريقة والحقيقـة في مهَـلْ   ....(١)

وكان يقول: «أخذتُ عن مشايخ عصري كلهم، وجميع أولياء قرني دخلوا بيتي بصور شتّى».

وكانت له العناية التامة من مشايخه يقدمونه في الورود والصدور ويعظمونه في جميع الأمور وله منهم إجازات ومكاتبات بثنائهم عليه ناطقات.

ومما قاله شيخه القطب البحر في إجازته له:

أبشرْ وبشّر وقسْمَك يا حِمد بايجيـكْ   من فضلِ ربكْ وذي فينا لقينَاه فيكْ

(١) كذا بياض في الأصل.

وقال له شيخه الحبيب أحمد بافقيه في مكاتبة منه قبلَ وفاته بأيام قلائل[1].

وكانت له مجاهداتٌ عظيمةٌ نالَ بها من نفحات مولاه قسمةً جسيمةً، وكان لا ينام من الليل إلا القليل ومكث نحو خمسين سنة ووِرده كل ليلة ختمة، وكل يوم ختمة، ويقرأ كل يوم في المصحف لأجل كمال الثواب وإلا فقد كان قوي الحفظ جداً.

قال لي ابنه الإمام الحبيب محمد: «لم نعرفْ أنا فتحنا عليه ولا مرةً واحدة مع كثرة المجالسة وطولِ مدة المدارسة، بل كان يمرّ فيه كالفاتحة وكان له شغفٌ عظيم بتلاوة الكتاب الكريم ويحثّ على ذلك حثاً عظيماً، وكان ربما قرأ القرآن جميعَه في مدة يسيرة لا تجاوز ثلث ساعة».

[قصته مع خطيب الحرم المكي]:

وكان له في أسفاره وتقلباته في أطواره عجائبُ وغرائب، تدل على أن له من مولاه حافظ مراقب، منها:

أنه حضر في الحرم المكي يوم الجمعة سنة ١٢٥٠هـ خمسين ومائتين وألف، فرقَى الخطيب المنبر وأطالَ الخطبةَ وتقعر فيها، ثم خرجَ وصلى وقرأ سورتين قصيرتين خلاف السنة، فقام إليه قدس سره وضربه بسوطه، فقال الخطيب: من ضربني؟ فقيل: حضرمي، فقال المترجَم له:

نعــرف البطحــاء وتعرفنــا ... والــصفا والبيــت يألفنــا

ولنــا المعــلى وخَيــف منــى ... فــاعلمنْ هــذا وكــن وكــن

وضربه ثانياً، وقال له: يا مغلف يا بن مغلّف، كان ﷺ يطيل الصلاة ويقصر الخطب الجمعية، وأنت عكستَ القضية. ثم توجه نحو الحجون قام الناس خلفه يعدون، وسعت

---

(١) لعل سقطاً وقع في هذا الموضع، لأن السياق لا يتناسب مع ما بعده.

خلفه العساكر من كل جانب، فقصد قبةَ السيدة خديجة رضي الله عنها وكان بابها مغلقاً، فانفتح له فدخل وانغلق عليه الباب، فرجع الذين خلفه خائبين، فمكث في القبة ثلاثة أيام.

ثم طلبه الشريفُ محمد بن عون فذهب إليه، فسأله: ماذا فعل؟ فقال" إن الخطيب أطالَ الخطبة وقصّر الصلاة، فأخذتني الغيرةُ الهاشمية لمخالفته السنة، فضربته. فقال له الشريف: أحسنت، اجلسْ عندنا، ونجعل لك بيتاً ومشاهرةً، فقال له: سأعرض هذا الأمر على السيدة خديجة. وذهب إليها وعرضَ عليها ذلك، فقالت ~: اخرج إلى القويرة، فإن اعتنائي بك هناك أكثر. وكان هذا أولَ سببٍ في ظهور اتصاله بالسيدة المصونة الجوهرة المكنونة.

وإلى ذلك يشير بقوله قدس سره:

وتذكري بالله ما قلتِي لنَا   في عام خمسينَ الحديثَ الأول

وهذه منقبةٌ عظيمة، تدل على ثبات جنان، وكمال إيمان وغيرة هاشمية، وشجاعة علوية، وتنبي عن امتلاء الجوانح من اليقين والتمكين، وعن الصلابة في الدين حيث لم يخف في الله الملام، ولم يكترثْ في ذات الله بأحدٍ من الأنام، في أكبر جموع المسلمين وأعظم مدن الإسلام، غيرة على سنة جده خير الأنام عليه الصلاة والسلام.

وما زال راقياً في مدارج الولاية، حتى جمعته العناية على جده الأعظم ﷺ، فاجتمع به بفضله وأخذ عنه بلا واسطة، كما قال رضي الله عنه: «وقد اجتمعنا بأشياخ كثير، لهم عروة وثيقة وشربت من زلال صافي ماها، بالأخذ عن نبيها ومصطفاها، فلي من طريق الباطن أخذٌ عن الرسول ﷺ، فلذلكَ من أتى إلي منّيتُ عليه بالمحصول». انتهى. وتوالت عليه من مولاه الفتوح حتى قال: «لو كان أهل الرسالة بالسوح لما هشت إليهم الروح لما امتلأت به الجوانح من الأسرار والأنوار من كرم الكريم المدرار والاتصال بالنبي المختار، والسيدة أم الأطهار».

ثم ألقى عصا التسيار في قارة الأنوار، وانتشر صيته وطار في جميع النواحي والأقطار، وانتهت إليه رئاسة العلوم والعرفان، والدعوة إلى سبيل الرحمن، فألحق الأحفاد بالأجداد، بحسن التربية وعلو الإسناد، وسارت بذكره الركبان، فقصده الناس من كل مكان، وانتفع به الخاص والعام، وعمت بركته جميع الأنام، وازدحم الناس على بابه والمورد العذب كثير الزحام.

فكان يتلقى الزوار بالبَسط والاستبشار، والكرم والإيثار، زاده بسطة في العلم والجسم، وجمّله بالتقوى وزيّنه بالحلم، كان له خلق وسيم، وخلق أرق من النسيم، يقول من يشاهد ذلك الهيكل العظيم: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾، فيتلو نور غرته عليه: «إن هو إلا بعبد أنعمنا عليه».

[مزاحه وانبساطه]:

وكان مع منظره الذي تنفرجُ له الكروب، تكاد تتفطر لهيبته القلوب، لولا أنه كان يدخل السرورَ ويشرح الصدورَ بكلمات من المزح المباح، يحصل بها لمخاطبه الانشراحُ والانفساح. قال الحبيب صالح بن عبدالله العطاس: «إنها حصلت شفاعةٌ بأن الله يبسط الحبيبَ أحمد، فانبسط، ولولا ذلك لما قدر أحدٌ أن يبدي له مقالةً، لهيبة الجلالة». انتهى.

فكان ينبسط البسط التام، لا سيما مع الضعفاء والمساكين والأرامل والأيتام، يمزح مع الصغير والكبير والذكر والأنثى والحر والعبد، وله في ذلك وقائعُ تنكشف بذكرها الغمة، وتنزل بحكاياتها الرحمة. لاسيما مع أهل القلوب السليمة، والأحوال العظيمة، من السادة العلوية، كأخيه المحبوب المجذوب الحبيب صالح بن محمد، وكالحبيب العارف بالله علوي بن سالم بن أبي بكر خرد.

وعزم مرة على ترك المزح مع الحبيب علوي المذكور فرأى النبي ﷺ يشير له بأن يمزح معه وناهيك بها إشارة. وكان الحبيبُ القطب صالح بن عبدالله العطاس يقول: «إن مزحَ الحبيب أحمد مع الحبيبِ علوي تضحك منه الملائكة وإنه كالتسبيح والتهليل.

واتفق أنه ليلة رأى النبي ﷺ يشير عليه بالمزح مع الحبيبِ علوي، وكان الحبيب علوي المذكور بقرية عُورة، فلما كان آخر الليل دخلَ عليه رجلٌ كثير الأنوار، عظيم المهابة والوقار، وعليه حلل ظاهرة من الملابس الفاخرة، فقال له الحبيب علوي: من أنت؟ قال: أبوبكر بن عبدالله العيدروس، وأنت من؟ وأين تريد؟ فقال: علوي بن سالم خرد وأريد عند أخي أحمد المحضار، فقال له: سلم عليه؛ وقل له: «إني أقمته في مقامي، ومن نظر إلى المنارَة تحصل له إشارة وبشارة». وفي رواية: «من نظر إلى المنارة حرمه الله على النار».

وأشار إلى ما في هذه الرواية الحبيبُ العارف بالله علي بن سالم الأدعج، بقوله (شعراً):

في القويرةْ دويرة تلتمع دوبْ أنـوار	وعاد مسجد بني فيها لعاد ....
يشبه الجنة الخضراء التي تجري أنهار	والبشارة من العدني كذا قاله أخيـار

من نظر للمنارة هو محرم على النـار

وكان إذ ذاكَ وقتُ تمام صاحبِ الترجمة لبناء المنارة لمسجده، وفي صبيحة تلك الليلة الشريفة ذهبَ الحبيبُ علوي إلى القارة المنيفة، وبلّغ الحبيبَ أحمدَ السلام والكلام عن ذلك القطب الإمام، فحصل له بذلك البسط التام، ومن كثرة السرور جلس الحبيبان يبكيان ساعةً من الزمان، وستأتي الإشارة إلى شيء من مباسطة صاحب الترجمة مع الحبيب علوي في ترجمته إن شاء الله.

[مباسطاته مع أخيه علوي المحضار]:

وأما مباسطاته مع أخيه المحبوب الموهوب الحبيب صالح فكثيرة شهيرة.

منها: ما أخبرني به سيدي الإمام الحبيب محمد بن صاحب الترجمة، واللفظ له، قال سافر بعض أولاد الوالد صالح من عند الوالد إلى عند والده ولم يستأذن فكتب الوالد بذلك للوالد صالح، وكان أول الكتاب:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ * وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ﴾ «سرت ولا استأذنت!».

قال: «فأجابه الوالد صالح بقوله في جملة ما قال: ﴿فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ﴾».

[ترجمة الحبيب صالح المحضار]:

قال: «وكان الوالد صالحٌ عظيم الحال واسع المجال، له كرامات خارقة وأنوار شارقة، وله كأخويه الحبيبين أحمد وعلَوي ببلد الرشيد في دوعن، ثم انتقل إلى بلد حبانَ محملِ الشيبان والعلماء والسلطان، ثم تحول إلى حوطته المعرفة الآن بغيل الوجا على نحو فرسخين من بلد حبان.

وكان ذلك المكان قبل أن يحوّطه ويتحولَ إليه موضعَ الخوف والظمأ والجوع، غار في غار، وموضع المغار، وشاهدُه قولُ الحبيب علي بن حسن في الغيوار:

* أصبحتِ يا الجحْي جنةْ بعد ما كنتِ نارْ *

وما تديره الحبيبُ صالحٌ تفجرت فيه العيون الكبار، وجرت خلاله الأنهار، صار مجموع الماء كثير، أكبر من جرم رقَبة البعير، غرس عليه نحوَ ألفِ نخلةٍ في الجبال، وبنى فيه داراً واسعةً ومحضرةً كبيرةً لكثرة الأضياف. أخذ البنائين والنجَر من دوعن من القويرة.

وكان للحبيبِ صالحٍ الجاهُ الواسع والصيت الشاسع، ترد إليه الوفودُ من كل مكان، ولا يزال منزله ملآن بالضيفان، يقوم بهم أحسن مقام ويكرمهم غاية الإكرام، وقد أوصى بثلث ماله للضيف، وحوط المكان فرسخاً في فرسخٍ أو أكثر، يأمن فيه الخيف.

وكان له حالٌ غريب، إذا اعتراه تخرج له لهاة كلهاة الجمل، يهدر بها، شائعة أخبارُها بين الأنام، يشهد بها ولها الخاص والعام.

وله شعرٌ في مدح المكان المذكور:

يا غيل من لا شافه مغلول ... مثل الفرات شبيه والنيل

قمنا به بالأذن من رب السماء ... في حوطةٍ حوط لها جبريل

وهي طويلة، أرسلها لأخيه الحبيب أحمد سنة ١٢٨٧هـ، وذكر له فيها قربَ أجله بقوله: «أخي عزمتُ على قدوم الآخرة، فعسى عملنا كله مقبول»، ولم يعشْ بعد ذلك إلا أياماً قلائل وانتقل إلى الدار الآخرة، ودفن في حوطته المذكورة وبنيت عليه قبة. وفي القصيدة المذكورة من قضايا البسط، ما يحل من القبض كل ربط، قوله لأخيه نفع الله بهما :

فاترك قويرة حلبونٍ فما بها ... أنسٌ ولا فيها سوَى مُرذولُ

ما قدركم إلا أن تكونوا بالصفاءْ ... ومعالم القرآن والتنزيلُ

أو طيبةٍ حيث الحبيبُ المصطفى ... قد حلّ فيها أو تريمُ السولُ

أو أرضُ عينات التي قد حلها ... شيخُ الشيوخ السيد المجلولُ

إلى آخر ما ذكر فأجابه أخوه الحبيبُ أحمد بقوله رضي الله عنه:

يا صالح المحضار يا مشمول ... يا من بحل إلهه موصول

يا صاحبَ الحال الذي راع الورى ... من كبره وارتاع منه الفيل

إلى أن قال جواب بيت الوفاة:

فاسلم ودُم في نعمةٍ وسَلامةٍ ... فالعمرُ يا ابن البتولِ طويلُ

وكان الجوابُ عن سكنى البلد أعني القويرة:

فاعلم بأني ما حللتُ بخيرتي	بـل حملـوني فـوقهم تحميـل
وتضمنت أم البتول بحاجتي	وتكفلـت فلنـا بهـا تكفيـل

وكان في حبان جماعةٌ من اليهود فعرض بهم مباسطة لأخيه:

بل هاجروا لما رأوا جيرانهم	ذي بدلوا التوراة والإنجيل

إلى آخرها وهي طويلة.

[أولاد الحبيب صالح المحضار وبناته]:

وكان للحبيب صالح ثلاثة من الولد:

طالب: وهو أكبرُهم وهو صاحب المباسطة السابقة توفي قبل والده ولم يعقب.

ومحمد: القائم الآن في مقام والده وله أولاد.

وعيدروس: وقد تربى في حجر عمه الحبيب أحمد وتوفي في رمضان سنة ١٣٢٥، ترك بنتاً، كان غريب الحال، وله خوارق؛ منها: وقد حصل بينه وبين أخيه محمدٍ بعضُ ما يحصل بين الإخوان من جهة المكان، فقال عيدروس لأخيه: «أنت أخذت المال وأنا قسمي الماء»، فيبست تلك العيونُ كلها حتى مات النخل كله، فأرضاه أخوه محمدُ فعاد الماء بزيادةٍ على العادة.

وللحبيب صالح ثلاث من البنات:

الكبرى: على جانب من الصلاح لم تتزوج، وحصل بينها وبين زوجة والدها بعض ما يحصل بين أمثالها، فأمرتها خالتها أن تأتي بحطبٍ من الشعب، فخرجت مغاضبةً لها، فأتتها بحزمة من الهوامِّ ذوات السموم، لفتها بثلاث أفاعي كبار!! ورمتها

بين يديها، فارتاعت لذلك الخالة ورُعِبتْ من تلك الحالة، فنهاها والدها عن العود لمثل ذلك، وعاتب خالتها على ما هنالك!

وأما البنتان الصغيرتان؛ فرباهما الحبيب أحمد في دوعن، فزوجهما ولده مصطفى، وبعد موت الأولى زوجه الثانية وماتت أيضاً، رحم الله الجميع»؛ انتهى ما ذكره بلفظه، بتصرف يسير وهي فائدةٌ اغتنمتُ حفظها هنا.

ولنرجع إلى المقصود من ترجمة الحبيب أحمد:

[ذكر رحلته إلى زيارة نبي الله هود سنة ١٢٩٢هـ]:

وفي سنة اثنين وتسعين [ومائتين] وألف، في شهر شعبان: وفد على أسلافه الكرام ونال من أهله بوادي بن راشد غاية المرام، فنشرت لوفوده الأعلام، وزهي بوروده الواد، وتباشر بقدومه الحاضر والباد، ورحبت به تريم وأهل تريم، وكادت أن تفصح تلك المقابر والضرائح بـ: «مرحباً بالابن الصالح والولي الصالح».

وفاض المدد الجسيم على من شهد ذلك المشهد العظيم، وزار نبي الله هود بعد جدِّه فخر الوجود، وكان ذلك الموسم موسماً مشهود، نشرت فيه البنود، وفاض له وادي الكرم والجود، ولتأخير هذي الزيارة المشهورة إلى هذه السنة المذكورة، أسرارٌ مستورة. كان قدس سره إذا ذُكرتْ له زيارةُ الجدود، يقول: «إلى أن تأتي الرخصة من فخر الوجود»، وبالتاريخ المذكور وصلتْ إليه قصيدتان؛ إحداهما: من الحبيب الإمام علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر، والأخرى: من الحبيب الإمام علي بن محمد الحبشي، متضمنتان للبشارة بحصولِ الإذنِ في الزيارة مطلع الأولى:

تسلَّ يا قليبي دعِ المال المخلى

ومحلُّ الإشارة بل صريح العبارة، بعد أن رحّل المسير، بذكر المنازل ومن فيها نازل، من عينات إلى محل العنايات، قوله رضي الله عنه:

ووجهـــا المـــدار　　عليهـا النـور يجـلى

حوت من كل خـير

وسطها وارث السر

وجـدك قـال أقبـل　　فيـا مرحبـاً وسـهلا

ومحـــضار المعـــالي　　لكم للكـأس أمـلا

حفي الجـود فـانظر　　لكم يدهق بوصـلا

وحامـد قـام نـادى　　في خيـــلٍ ورجـــلا

وأهل البرزخ الكل　　غـدو بالبـشرِ ثَمْـلى

وأما مطلعُ القصيدة الثانية، وهو محل الإشارة منها قوله:

بـرزتْ في الحمـى تجـرُّ ذيُـولاً　　تبتغي الفضلَ والرضا والقبولا

وكان قبل ذلك قد كتب إليه شيخُه الحبيب حسن بن صالح البحر يدعوه للزيارة، حتى قال له في بعض المكاتبات :«نرجو الله أن يبرز همتك لزيارة حضرموت وأهلك الرتوت»، وكتب له الحبيب محسن بن علوي السقاف، وكانا يتباسطان إلى الغاية، فقال له مباسطاً: «حتى آل بن علوان زاروا الشيبان!»، فأجابها الحبيب أحمد بما تقدم: من انتظاره الإذنَ من الشيخ أبي بكر.

فلما وصلته القصيدتان المذكورتان قال: «الآن حصلت الإشارة وجاء الإذن في الزيارة»، وأنشأ قصيدةً طويلةً ضمنَها رحلتَه الجليلة ذهاباً وإياباً مطلعها:

....　　..........................(١)

(١) بياض محل البيت في الأصل.

فكان مسيرُهم ورجوعهم على وفق ما ذكر فيها، وهذه كانت عادتُه قدس سره، أعني: إبرازَ الوقائع المستقبلة في القصائدِ ما بين مختصرةٍ ومطولة، ويكون الأمرُ كما ذكَر، إخبارَ من حضَرَ وخبّر عن نظر، وذلك من أحواله أمرٌ لا يدخُل تحت حصر، فكم في قصائده ومكاتباته بل ومزحِه من مكاشفات، وإخبار عن أمور مستقبلات، كما يعرف ذلك من اطلع عليها.

ولما عزم على الحدُور إلى وادي النور، استصحبَ أولاده الكرام وجماعة من حداة الذكر، وكتب لسيدنا وشيخنا الإمامِ الحبيبِ أحمدَ بن الحسن العطاس، يأمره بملاقاته، فلحقه إلى شبام، وكان معَه إلى رجُوعه.

ومما اتفقَ له في زيارته من القَضايا، المشتملة من أحواله على مزايا، ما أخبر به ابنه سيدي الحبيبُ محمدٌ واللفظ له: «أنه لما وصلَ إلى خمور عندَ أولاده المحاضير، كتب كتاباً للجمعدار عبدالله بن عمر القعيطي يقولُ له: بكرةْ واصلين إليكم، ونازلين عليكم! فأجابه الجمعدار: بأن الملاقاةَ بجرْب هيصم.

فلم يصل الحبيب إلى الجرْبِ إلا وهو ملآن بأهل البلد والخليان، وجيرانها من كل مكان، يقدمهم السادة القادة، والجمعدار وأولاده، وجميعُ من في البلد، لم يتخلف منهم أحد، فصافحوا الحبيبَ وتلقوه بالإجلال والترحيب.

ومن قضاياه في البسْط، الذي يذهب المقت في ذلك الوقتِ وكل وقت، وقد صافحه الجمعدار وبقي وراه: سؤالُه عنه، لأنه لا يعرفه من قبل ولا رآه، فتكلم الجمعدارُ ووقَفَ أمام الحبيب، فتأملَه فإذا هيئتُه حسنة، وثيابه أشبه بثياب أهل المسكنة، كلها أو جلها أبيض، ولغيرها من اللباسِ لم يتعرّض، فقال له الحبيب مباسطاً: «وأنت إلاّ هكذا، مثل بارجا!». فضحكَ الحاضرون، وانبسطوا أجمعون.

وبعد تمام الزيارة العظيمة وحيازة الغنيمة التي ما لها قيمة، ورأى الحبيبُ حامد ولدُ

صاحبِ الترجمة كثرةَ العساكر والدساكر والعشائر متقلدين السيوف، صفوف بعد صفوف، وحاملين الرماح والبنادق، تقدمهم الخيل والطيالة والبيارق، أرادَ أن يبسطهم بما يعتادون من الرجز على قولهم: زامل، ليكون البسط للكل شامل. فقال الجمعدار: يا حبيبُ حامد هذا اليوم يوم النبي ﷺ مرادنا حُداة الذكر يقُون على حالهم الحاضر، الذي تشرح به الخواطر للسامع والناظر، لا يسكتون من الجرْب إلى رأس الحصن، فكان ذلك كذلك. وكان مع الحبيبِ خلقٌ كثيرٌ فيهم الحداة وأهل السماع. وبعد عِشاء وعَشاء تلك الليلة، والمذاكرة التي تكشف غشاء قلوب أهل الغفلة، وأراد الحبيبُ أن يستريح، طلبَ الجمعدار من الحبيب حامد أن يطلب من الحبيب أحمد مبيتَه في الغُلْب، فأخبر الحبيبُ حامدٌ والدَه، فقال له: يبيت فيه هو وحرمته! وخرج الحبيبُ إلى مسجد الشيخ معروف باجمال المجاور للحصْن.

وكانت تلك عادتُه، لا يُمسي إلا في مسجد البلد التي تؤويه، وله خامٌ خاصٌ به، يحمل معه سجادةً وإبريقاً لا غير.

وفي صبيحة تلك الليلة؛ خرج الحبيبُ قاصداً بيتَ الحبيبِ العلامة عبدِ الله بن عمر ابن سميط، وصحبه الجمعدار وأولاده وأهل بلاده، وكان الحبيب عبدِ الله لم يجتمع بأربابِ الدّولة قبل ذلك اليوم، فلما استقرّ بهم المجلسُ أنشد الحبيبُ عبدِ الله قولَ القائل:

إذا ما الفقيرُ ببابِ الأمير فبئسَ الفقيرُ وبئسَ الأمير
وإن ما الأميرُ ببابِ الفقير فنعْمَ الفقير ونعْمَ الأمير

فلم يجبْهُ الحبيبُ أحمد، وسكتَ الجمعُ كأنما على رؤوسهم الطير لهيبةِ المقام.

فقامَ الحبيبُ حامد قائماً، وللحبيب عبدِ الله منادياً ومخاطباً: «يا حبيب! لا نحن فقراء ولا أحد أمير علينا، إن قصَدْنا عندك بانتمّك؛ إن قمتَ بالأوادمْ ما قمتَ بالبهائم،

وإن قصَدنا أحداً من أهلِ شبام وكلّهم حاضرين، فعادتهم يقولون: متَى في بلادك؟ وإن قصَدنا عند دلال فلا يسَعُنا محله، ولا تلطفْ روسنا بدخله.

وإن عبرنا في بطحَاء شبامْ ولا دخلنا، مَضحكةٌ عليك وعلى أهل بلادِكْ إلى آخرِ يوم، إذا قيل: لم يدخُلها أحمد المحضار! قصَدْنا عند هذا الإنسان، وأكلنا ما قدمه لنا من طعام. ولما دخل الحبيب حسين بن محمد الحامد عدن كتب لواليها كتاباً: «إلى جناب محبنا فليفل!»، قيل له: إنه كافر، قال: «بغيت قسمي في جاه الشيخ أبي بكر، وجنتي لي وناره له».

أما الحبيبُ أحمد فتبسم وأما الحبيب عبدُ الله فبكى وندم غاية الندم، فلاطفه الحبيبُ أحمد وأدخل عليه السرور، وعلى جميع الحضور، وأديرتْ كؤوسُ المذاكرة وأطباق الفاكهة، وكانت الفاتحة خاتمة المفاتحة، ومفتاح التجارة الرابحة». انتهى.

ومما اتفق له أيضاً: أنه حان إبانَ مسيرهم مرضُ ابنه الأمجد سيدي الحبيب محمد حمّى شديدة، فقال له ولده الحبيب حامد: «كيف السفر والولد مريض؟»، فقال قدس سره: «لا با أتخلّف عن وعد الزيارة، ولا با أترك ولدي، مرادي به يحضُر زيارتي، اجعلوه على مركوب زين»، فقال: «ما با يقدر يقبض نفسه عليه»، فقال: «اجعلوه في سرير ليسهل المسير». فكان ذلك الحال في الحط والترحال، حتى وصلوا إلى ذي أصبح حوطة شيخه الحبيب الحسَن بن صالح البحر قدس سره.

وزاد الأثر على ولده الأبَرّ، فدخل الحبيب حامدٌ على والده وهو في زاوية الحبيب حسن يتهجّد آخر الليل، وقال له: «إن الولد أقربُ إلى الاحتضار، إن با تحضر عنده!»، فقام قدس سره من مصلاه ودخل قبةَ الحبيب حسن، وفتح بابَ التابوت، وخاطب الحبيب حسن بعد أن أقسَم بالله: «لولا يصبحْ ولدي بخير نصبحْ عند صالح حبيب، وأرجعُ عن زيارة كل حبيب»، فقال الحبيب حامد: «يا غارة الله! كيف إن مات الولد».

فرجعَ الحبيب أحمد إلى مصلاه واستغرق في مناجاته لمولاه، وقام الحبيب عبدُ الله بن حسن وقد أخذَه وأهلَ بيته الحزنُ لما أقسمَ الحبيب المحضار، وقَسَمُ أمثالِه قسمٌ بار. ففي ذلك الوقتِ أفاقَ المريض من غشيته، ونادى من بحضرته، وأفصح لهم الكلام وطلب منهم الطعام، فتباشر من في الدار من الصغار والكبار، بل جميع من في البلد ومن إليها زائرا تلك الليلة ورد.

وطلع الحبيبُ أحمد ونظر الولد وقد قعد، وحصل المقصد لكل من قصد، وفاض سيل العناية والمدد في ذلك الحد على كل أحد، بفضل الواحد الأحد، وشفاعةُ الحبيب محمد ﷺ وخلائفِه من ذريته في كل مشهد، وأنشد لسان الحال والمقال في تلك الحضرة: «**إن من العباد من لو أقسم على الله لأبره**»[1].

ولما أصبح الصباح، وقد عمت الأفراح، قام المريضُ سويَّ الحال، كأنما نشط من عقال، حتى أنه تركَ الجلوسَ في السرير، بعد أن خرجَ لنفسه يسير، فسبحانَ اللطيفُ الخبير، وطلبَ أن يأتوا له بمركوب، قد ارتاضَ لزيارة الرياض، فحصل ذلك مع بعضِ أهل شبامٍ السعداء بمحبة هذا الإمام، فاستوى على ظهره وأبدل الله العسر بيسره». انتهى من لفظ ابن صاحبِ الترجمة، الحبيبِ محمد، وهو صاحبُ القضية في ذلك المشهد، بتصرفٍ لا يخل بالمعنى.

ومما اتفق له قدس سره رجوعَه من تريم إلى شبام: ما حكاه شيخُنا وحبيبنا الحبيب علي بن محمد الحبشي قدس سره قال: «لما وصلنا مع الحبيبِ أحمد إلى شبام عزمتُ على التخلف بعدَ الزيارة أنا وحسن بن أحمد العيدروس، تشاورنا على ذلك.

فإذا الحبيب أحمد ينادي: «أين علي حبشي؟ أين حسن بن أحمد العيدروس؟»، فجئنا إليه فمسكَ كلَّ واحدٍ بيد، فقلنا له: «لم تجر لنا عادة بالمسير إلى ديار الأمراء». وكان قد

---

(١) حديث صحيح، متفق عليه.

أرسل رسولاً لعبد الله بن عمر القعيطي يخبره أنه واصل، فلم يُعذِرنا الحبيبُ أحمد عن الحضور، فلما وصلنا إلى بيتِ عبدالله بن عمر المذكور، قال له الحبيب أحمد: «ما شاء الله! جئنا لكَ بالحبايب والساداتّ.

فلما استقر بنا المجلسُ قلت له: «يا عبد الله بن عمر، اشكُرِ الله على هذه السعادة، ساق الله إليك هؤلاء السادة، والواحد منهم لو يعطى على الخطوة ألفَ ريال ما جاء إلى هنا، قيدْ هذه النعمة بالشُكر عليها، والتوبة الصادقة، والرجوع إلى الله»، فقال لي الحبيبُ أحمد: «إليك إياه»، فقال عبد الله بن عمر: «وذا من الذي يتكلم؟»، فقال الحبيبُ أحمد: «سيدٌ من آل الحبشي!»، فقال: «لعله علي حبشي!»، قال: «نعم».

فلما انقضَى المجلسُ طلبنا الإذنَ للخروج، فعزّم علينا عبد الله بن عمر، وكلف علينا الحبيبُ أحمد في إجابته، فما استطعنا المخالفة، وأمرْنَا أحدَ المحبين يصلّح لنا عشاء، وسرنا عنده، فلما كان وقتُ عشاءِ عبد الله بن عمر، أرسلوا إلينا الرسولَ يلي الرسول، فقمنا، فلما جلسْنا وقرُبَ وقتُ الطعام، قال الحبيب :«كلوا وفي رقبتي»، فقلنا للجماعة: «إن أردتم الأكلَ كلوا، فرقبة الحبيب أحمد تحملكم».

فلما رفعَ العشاء، قال الحبيب أحمد: «بغَينا مولد»، فلما ابتدأ فيه استحالتِ الصهباء، وانقلبَ المكانُ، وصارت تلك المحضرة كأنها مَسجد، وحصل فيها من النور والأنس ما لا يكيّف، وفي ظنّي: لو حَد من أهل النور لرأى ذلك عياناً، وربما رأى الحضرةَ المحمدية حضرتْ عند الحبيب أحمد!. وانبسطَ الحبيبُ أحمد وتواجد، حتى كان يتمايلُ فيكاد رأسُه يصلُ إلى الأرض.

فلما تم المولد، قلتُ للحبيب أحمد: «ما هذا! أرجعت محضرة عبد الله بن عمر كأنها مسجد؟!»، فقال: «هكذا قلبُ الأعيان»، فقلت لعبد الله بن عمر: «قلّدْ على هذا المولد في محضرتك، شفه سِيارتَك إلى يوم القيامة»، فتلقّى كلمتي بقوة، فقلد المحضرة فلما دخلَ آلُ

كثير محاربين له إلى شبام، فتح تلك المحضرَة، فلم يقدروا على البلاد، بعد أن كادوا يستولون عليها، وكُفِيَ شرهم». انتهى.

وقال الحبيبُ علي أيضاً: «كان الحبيب أحمد يقول في مكاتباته: من جليسِ الله أحمد المحضار، وإذا نظرتَ إليه وجدتَه جليسَ الله صدقاً، دائماً يتلو كتابَ الله يتنزه في معانيه ويقطف من مجانيه، الله يسلك بنا طريقه».

وقال أيضاً: «كان الحبيبُ أحمد المحضار يقول: أنا باقي الضِّيفة، فقلنا له: إنها ضِيفةْ حَشيمة». انتهى.

قلت: ويعني بـ«**باقي الضِّيفة**»، أنه: بقيةُ أعيان عصره من مشايخه وأقرانه الذين تفضل الله بوجودهم في ذلك العصر الزاهر.

* * *

[٥ـ الحبيب علي بن محمد الحبشي (١٢٥٩ـ١٣٣٣هـ)]

ومنهم:

سيدنا وشيخنا، سلطان العارفين، ويتيمة المقربين، القطب المكين، نور الدين، أبو عبد الله، علي بن محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي.

الحبيب المحبوب طبيب القلوب، سيد الأحباب ونديم الاقتراب، الداعي إلى سبيل ربه بالحكمة والموعظة الحسنة، وراوي حديث المجد عن آبائه بصحيح الأسانيد المعنعنة، محي الدين ومجدد الإيمان في قلوب المؤمنين، ومحبوب جده سيد المرسلين ﷺ، رافع راية العلوم الشرعية ومعلي منارها، وزعيم الحقائق العرفانية وكاشف أسرارها، والمديرُ من سُلافِ المعارفِ والعلوم كؤوسَ رحيقها المختوم، مشيّداً لمعاهد العلمية العلية، وناشر ألوية الدعوة النبوية العلوية، حبيبنا الذي سعدنا بحبه، وأمامنا الذي فزنا بمعرفته وقربه.

ولد بقرية قَسَم في بحبوحة المجد والكرم، وكان وجوده الميمون الذي قرت به العيون، سنة ١٢٥٩ تسع وخمسين ومائتين وألف من هجرة جده الأمين المأمون، وكان والدُه الإمام عندَ شيخه علم الأعلام، أعني: إمام الأكابر سيدنا الحبيب عبدالله بن حسين ابن طاهر، فأتاه البشر بوجوده إلى ذلك المكان، وبشره شيخه الحبيب عبدالله بأنه من أئمة العرفان، وضنائن الرحمن، وأمره أن يسميه علياً، وقال له: «سيكون حاله كحال جده علي ابن علوي خالع قسم، الذي اختص بسماع رد السلام من جده محمد ﷺ». فكان له من اسمِه أيمنَ طائر وأحسنِ فأل، لعلوّه وبلوغه من المعالي غاية الكمال.

فنشأ وعيونُ العناية الربانية له مراقبة، والمراتب العلية له خاطبة، وأقلام القدرة لخصوصياته كاتبة، والمناصب الدينية له طالبة، ونفسه الأبية في طلب المعالي راغبة، وفي سبيل اكتساب المعالي جائية وذاهبة، وألوية الولاية على رأسه منشورة، وأحرفُ السعادة في جبينه مسطورة، وكان ريحانةً لأهل الله من حين حال الصبا، فكانوا يظهرون عليه ويتعرفون إليه.

ولما أتى بعضُ السائحين في ذلك الحين، وقرأ في وجهه مسطور: ﴿إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، وهو بقسَم في حضانة أمِّه الكريمة، تعرفَ إليه وحطّ نظره عليه، وكان يخلو معه ويحادثه، ويبشره ببلوغ المراتب العلية والمقامات السنية، فجدّ في طلب العلوم الدينية بحسن القصد وصلاح النية، فقرأ القرآن العظيم، وجثا بين يدي كل حبر عليم، من أئمة الدين بذلك الإقليم.

وأخذ عن إمام الأكابر سيدنا عبد الله بن حسين بن طاهر، وحلَّ نظرهُ عليه باطن وظاهر، وكان قد أمر والدَه الإمام الحبيب محمد بن حسين بالتجرد للدعوة إلى الله، فقال له: «أولادي يحتاجون إلى تربية مني»، فضمن له ضَماناً تدرّك به وأوفاه الله، بأنهم كلهم يكونون من أولياء الله، والدعاة إلى سبيل رضاه.

وأخذ عن سيدنا العظيم القَدر الحسن بن صالح البحر، وسيدنا الإمام محسن بن علوي السقاف، وسيدنا عبد الرحمن بن علي السقاف، وسيدنا محمد بن علي بن عبد الله السقاف، وسيدنا شيخ .....[1]، وسيدنا حسن بن حسين الحداد، وسيدنا عيدروس بن عمر الحبشي، وسيدنا عمر بن حسن الحداد، وسيدنا عمر بن محمد بن سميط، وسيدنا أحمد بن علي الجنيد، وغيرهم من شموس ذلك الوادي حيث المنادي يسمع المنادي، ممن يطول ذكرُهم ويعسُر عدُّهم.

---

(١) سقط من حاشية الأصل بسبب رداءة التصوير. لعله: شيخ باعمر بن سقاف

وكان معراجُ قربه، ومدير سُلافِ شربه، ومشرق أنوارِه ومركز بيكاره، هو شيخه الإمام قطبُ الأقطاب بلا التباس، فخر الدين الشيخ أبو بكر بن عبد الله العطاس، فبما شرِبَ منه طرب، وظهر بعد ما كُتب، وعنه كان يروي وإليه ينتسب، وقد اصطفاه شيخه المذكور لنفسه، وجعله عيبةَ أسراره وموضعَ غرسه، وكان يثني عليه ويعظمه ويبشر بظهور أمره، ويشرحُ ما انطوى عليه مكنون سره، من الأسرار والأنوار التي ظهرت بعد ذلك ظهورَ الشمس في رابعة النهار.

وكان يقولُ: «إنه يبلغُ إلى أشياء لم يبلغها سواه، وأنه وصلَ ويصلُ إلى ما لم يبلغه أحد من أقرانه وأهل وقته من المقامات والأحوال»، إلى غير ذلك من البشارات والإشارات التي لا تحيط بها العبارات.

وكان صاحبُ الترجمة يقول: «صحبنا رجالاً وجوههم مسفرة، وقلوبهم منيرة، أقدرُ أحلف: أني كنتُ ما أخرج من مجلسِ الحبيب عبدِالرحمن بن علي السقاف إلا بفائدة، إما خلق يتبدل، أو علم استفدته منه، إذا ما استفدت من مقاله استفدتُ من أفعاله».

وقال قدس سره: «لما دخل الحبيبُ أبو بكر العطاس إلى سيؤون وقصدَ بيتَ الحبيب محمد بن علي بن عبد الله السقاف، جئتُ إلى الدار وقرعتُ الباب، فقال الحبيب أبو بكر لمن عنده: لا أحدٌ يفتح له، فجلستُ عند الباب، وتذكرتُ قصة الحبيب علي بن عبد الله السقاف مع الحبيب علي بن عبد الله العيدروس. ثم قال الحبيب أبو بكر لمن عنده: قولوا له عارضْ عمّك بوبكر إلى بيتِ عبد القادر بن عمر، فتقدمتُ وجلستُ حتى أتى الحبيب أبو بكر، فلما صافحته قبضَ على يدي، وقال: يا حيا بعلي بن عبد الله السقاف! اليوم ظهر لنا علي بن عبد الله، وكنتُ إذا دخل الحبيبُ أبو بكر إلى سيؤون ما أرقُد الليلَ كله، وإذا أردتُ أن أرقدَ أسمعُ هاتفاً يقول لي: كيف ترقُد وشيخُك في البلد؟».

وقال أيضاً قال لي الحبيب أبو بكر: «عرضتُكَ على النبي ﷺ عشرين مرة، وكنتُ إذا

حضرت مجلسه وقده يملي علينا من علومه الطرية التي هي قريبةُ عهدٍ بربها، معاذْ أغبط نعيم الجنة، ولو دام ذلك المجلسُ سنةً تقديراً ما أرى أني أحتاج إلى طعامٍ ولا شراب. وشكوتُ على الحبيب أبي بكر غلبةَ القبض عليَّ في بعضِ الأوقات، فقال: افرح به، لأنه يقطعُ به صاحبه السيرَ ما لا يقطع به ذُو الأعمال بأعماله.

وطلبت منه الوصية يكتبها لي، فقال: ما بغينا نطرح السرّ في السطور تشوفه العيون وتمسه الأيدي، السر محله الصدور.

إنما أوصيك بأربع خصال فإن فيها السر:

الأولى: أن تجعلَ لك في كل فعلٍ تفعله نيةً صالحة، وهذا يحملك على مراقبة الله.

والثانية: حفظُ السر مع الله.

والثالثة: الدوامُ على أداءِ رواتبِ الفرائض وصلاةِ الوتر إحدى عشر ركعة.

والرابعة: ما هذا وقتُها!.

وشكوتُ عليه أشياءَ قائمة معي، فقال: كل الأشياء سهلٌ زوالها إلا خصلةً واحدةً لا تطمع في زوالها منك أبداً إلا بلقاء الله، قلت له: ما هي؟ فقال: نار المحبة التي وقدها الله في قلبك. وقال لي: أبشر يا ولدي ما أوقعَ الله في قلبك محبةَ شيء إلا وهو يريد أن يعطيك إياه».

وقال أيضاً: «قال لي الحبيب أبوبكر: باتنهشك حتى الطيور الفارّة».

قلتُ: ومن عرفَ صاحب الترجمة ونظر وجهَه الشريف، وما ألبسه الله من خلعة ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي﴾، عرفَ مصداق ذلك، فلم يره أحدٌ إلا أحبه، وإن قلت: إنه لم يسمع باسمه أحدٌ إلا أحبه لا أرى أني بالغت.

وقال قدس سره أيضاً: «أولُ اجتماع لنا بالحبيب أبي بكر في بلد الشحر، أنا وحسن

ابن أحمد العيدروس، لما سافرنا إلى الحرمين وكان مقصدنا بالشحر عند آل باشراحيل. ووافقنا عشاءَ الحبيب أبي بكر تلك الليلة عندهم.

فلما جاء الحبيبُ أبو بكر ووجهه مشرق كالبدر في الظلمة، فمن حين نظرته وجدت في قلبي قوةَ حاله، وأخذ يتكلمُ على خواطري، كلما خطر لي خاطرٌ لقفه، ووقعت ليلةً سعيدةً، ولا اكتحلتُ عيناً تلك الليلة بالنوم.

وأقمنا في الشحر ثلاثة عشر يوماً، وتنكر علي الحبيب غايةَ التنكر، ما ينظر إليّ بل معرضٌ عني، فقلتُ للأخ حسن بن أحمد: كلموا الحبيب فيّ واذكروني له، فكانوا يقولون له: هنا ولدُ الحبيب محمد بن حسين، فلا يزيد على قوله: نجيبه. فقلت في نفسه القِلَى لي، والرضا لهم! وكنتُ إذا أجازهم في شيء دخلتُ معهم.

وكان معي «مجموعُ كلام الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر» المنثور، وكتاب «الرشفات»، فقرأتُ فيها حصةً وتكلم الحبيبُ من بعد العصر إلى المغرب، ثم إلى العشاء ثم إلى نصف الليل، على بيتٍ منها، أظنه قوله:

والقلبُ إن لم يصفُ بالتهذيبِ	ويرتوي من مائها العُذَيب
خيفَ عليه القلبُ في التقليبِ	من قبضٍ أو بسطٍ إلى إضلالِ

وقال لي: سيكون فتحكَ في «الرشفات».

وكنتُ مدة إقامتي لو غابَ عني ساعةً ما وسعني المكان، ثم توجه الحبيب إلى المكلا، فضاقَت علي الشحر، ولحقناه إلى المكلا أيامَ كان الحبيبُ عمر بن علي أبوعلامة بن الشيخ أبي بكر هناك، وظهور الكراماتِ له، والحبيب أبوبكر يتلقى ذلك بالقبول.

وقال لي الحبيب أبو بكر: الحوالةُ لك على النبي ﷺ، فتوجهتُ إلى الحرمين ولما رجعتُ إلى حضرموت كان الحبيب أبو بكر بحريضة، وبعد مدة وصل إلى سيؤون، وسمعت ليلةَ وصوله هاتفاً يقول لي: كيف تنام وشيخك في البلد؟.

فلما أصبحت سألتُ عن الحبيب، فقالوا: إنه بمسجد طه، فذهبتُ إليه ودخلتُ المسجدَ وهو مكتظٌ بالناس، ولو حلفتُ أني ما رأيتُ أحداً غيرَ الحبيب لم أحنث، فلما رآني قامَ وصافحَني، وقال: يا حيّا بولدي، يا حيّا بحبشيّنا، وانفتح البابُ من ذلك اليوم، وصحبته على غايةٍ من كرم الأخلاق، وما يمليه علينا من العلوم شيءٌ كثير، واجتمعتُ به بعد هذه المرة نحوَ أربعِ مرات، ولحظة منه تكفي». انتهى.

وإلى اختصاصِه بهذا الإمام وما حباهُ من بر وإكرام، وما ناله بواسطته من مواهب عظام، يشير بقوله (شعراً):

وعن شيخيَ القطبِ المكينِ أخي الندى	تلقيــتُ إرشــادي وفتحــي وإمــدادي
أبي بكــرٍ العطــاسِ قطــبِ المــلا الــذي	به نلــتُ مطلــوبي وأرغمــتُ حُسّادي

وكان قدس سره يقول: «خرجَتْ روحي منّي وأنا أنظرُ إليها، وأخذتْ تخاطب النفسَ مخاطباتٍ عظيمة، وتقول: الجسمُ إلا كالخلَق مع الروح، وأخذت ساعةً ثم عادت إلى الجسم». انتهى.

وكان يقول: «وأنا في داري القديمة أحسّ في بعض الليالي كالطائر لا يدَعُني أنام، فرأيت الحبيب حسن بن صالح البحر وكأنه في يوم عَرفة، وقال لي: أنا رسول رسول الله ﷺ إليك، ويقول لك: إنه مشتغلٌ بتقسيم جوائز أهل الموقف، وعلى فراغه يأتي إليك، وإذا أنا أسمعُ صوته ﷺ فوقي، يقول لي: قد أرسلت إليك حسناً يقولُ لك: إني مشتغلٌ بتقسيم جوائز أهل الموقف، وعلى فراغي آتي إليك، فقلت له: قد قال لي!

ثم رجعت[1] المذاكرة بيني وبين الحبيب حسن، وسألته عن الطائر الذي يأتيني عند النوم؟ فقال: هو ملكٌ من حفظَةِ ذاتك». انتهى.

---

(١) نسخة: جرت.

وشؤونه في بدايته الدالة على عناية الله وحسن رعايته، وأنه من ضنائنِ أهل قربه وولايته كثيرة شهيرة، ما زال يسعى في نورها على بصيرة منيرة، ويتقلب في بركتها بعين قريرة.

ورحل إلى الحرمين الشريفين سنة ١٢٧٣هـ ثلاث أو اثنين وسبعين بعد الألف والمائتين، وزار جده سيد الكونين بعد أداء النسكين، واستلم الحوالة التي حوله بها شيخه الإمام على جده سيد الأنام عليه وعلى آله الصلاة والسلام، وحظيَ في ذلك المقام بفيوضات البر والإنعام.

ومما وقع له: ما حكاه بقوله: «خرجتُ ذات يوم وأنا بالمدينة المنورة بوجهةٍ قويةٍ إلى الحجرة الشريفة المطهرة، على أن يقبلني النبي ﷺ على ما فيَّ، وجلست تجاه ضريحه الشريف، وإذا أنا بعمود من نور فوق قبره الشريف، وإذا بذاته الشريفة المطهرة تشخصتْ من ذلك النور، وهو يقول لي: أما ترضى يا علي أنّ أعمالك وأعمال أصحابك مقبولةٌ عند الله؟ فقلت: بلى يا رسول الله، وتأخرت من هيبته ﷺ. وهذه أعظم بشارة بشرني بها النبي ﷺ لي ولأصحابي، الله يديمنا متصلين به ﷺ إلى يوم الدين». انتهى.

وورد على منهلِ أبيه العذب، ونال منه غاية الود والقرب، واتصل بجملةٍ من العلماء الأعلام أنصار الشريعة بالبلد الحرام، كسيدي الشيخ أحمد دحلان، والسيد الإمام فضل بن علوي بن سهل بالمدينة، والسيد عمر بن عبد الله الجفري، والشيخ محمد العزب بالمدينة، وغيرهم.

وله في رحلته في الوقائع في البحر والبر ما يدل على أنه ملاحظ من العناية بحسن النظر، وأقام عند والده برهةً من الزمان جنى فيها من جنان العلوم الدينية ألوان، صنوان وغير صنوان، وإلى ذلك يشير بقوله (شعراً):

فمِنْ والدي مفتي الحجاز محمدٍ ... تلقيتُ رشدي في صُدوري وإيرادي

إمـــامٌ جليـــلٌ قـــدسَ الله سرّه	له الدعوةُ العظمـى بنـصْحٍ وإرشـاد
به قـد هـدى المـولى مـن الخلـقِ أمـةً	قـد ارتكبـت في الجهـلِ خطّـة إبعـاد
دعاهـا بلطـفٍ فاسـتجابت لنـصحِه	بصدقٍ وعمت حاضرَ القومِ والبادي
رعـاني وربـاني وأرجـو بقـاءَ مـا	حبـا لي لأولادي جميعـاً وأحفـادي

وكان يقول: «ما ضرنا يا العلويين إلا مخالطة الأضداد، كان والدي رضي الله عنه لما كنا معه في مكة لا يأذن لنا في الخروج للصلاة في الحرم، ويقول: صلوا معي، والذي باتحصلونه من صلاة الحرم بايحصل لكم وأنتم عندي.

وإذا قمنا نلعب بالكُرة أو نستبق في الحوش، يحضر عندنا ويقول: إن باتنامون أو باتلعبون، ولا تخرجون من البيت، لأنكم باتجتمعون بمن يضركم الاجتماعُ به، فكانت له رعايةٌ بنا من مخالطة الأضداد».

وقال قدس سره: «خرجتُ مرةً إلى الحرم، وأخذت معي دراهم وقصدي أن أتعرف بها من في الحرم من الرجال، فأعطيتُ رجلاً منها شيئاً ففرح به، وقال: جزاك الله خيراً فذهبتُ عنه ولقيتُ آخرَ فأعطيته وهكذا، حتى وجدتُ رجلاً جالساً فناولته شيئاً فضربني، وقال لي: يا علي لا تحُل بيني وبين ربي بدراهمك، فعرفت أنه من الرجال. ومرة لقيتُ رجلاً من الأولياء فقال لي: يا علي أعانك الله على الظهور.

وبينما أنا ذات يوم في الحرم إذا أنا بدرويشٍ جلس إليّ ومعه مصحفٌ ناولنيه، فأخذته منه وابتدأ يقرأ من أول القرآن وأنا أستمعُ له، حتى أكمل القرآن في مدة يسيرة جداً، وذهب ولما اجتمعتُ بالحبيب أبي بكر في حضرموت سألني ابتداءً منه عن الدرويش المذكور، فقلت له: لم أعرفه، فقال: أنا هو». انتهى.

وإلى ما حصل له من مواهب، وما صفا له من مشارب، وما ارتقى من عاليات المراتب، في مهابط الوحي والتنزيل ومعاهد الحبيب والخليل، يشير بقوله (شعراً):

أعدْ لي حـديثي في الحجـازِ ومـا بـه ... لنا كان من أنسٍ وبسطٍ ومـن تحـفْ

ليالٍ بذاك الحي مـرّتْ عـلى الـصَّفا ... إذا خطرتْ في القلبِ زاد به الشغفْ

شربنـا بهـا الـراحَ العتيـقَ فيـا لـه ... شراباً به الـسرُّ الخفـيُّ قـد انكـشفْ

وبقوله أيضاً (شعراً) :

ألا هل سبيلٌ لي إلى عودِ ما مضَى ... بذاك الحمى مع رفـعِ كـلِّ الموانـعِ

ليالٍ بهـا مـا كـان أطيـبَ عيشِها ... جنينا بها في الأنسِ مـن كـل يـانعِ

بمعهَـدنا مــا بـين سَـلعٍ ورامـةٍ ... ووادي النقا والمنحنى والأجـارعِ

بها عاشت الأرواحُ في روضة الهنا ... يصبُّ عليها في الصَّفا كـلُّ هـامعِ

مواسمُ فيها كم ربحنا مـن العطـا ... فوائـدُ مـا في شـأنها مـن مُنـازعِ

وقوله أيضاً (شعراً) :

عن الربع حَدثني وعن ساكني الربعِ ... وشنفْ بذكرِ المنحنى والنقا سَـمعي

وكرر حـديثي في الحمـى بـين أهلـه ... وما كان من وصلٍ هناك ومـن جمـعِ

ليالٍ مضَت مـا كـنَّ أطيـبَ عيـشِها ... بأيمنَ ذاتِ البان والسفْحِ مـن سـلعِ

أقمنـــا بهـــا عيـــدَ المـــسَرّة والهنـــا ... عـلى حالـةٍ للقلـب راقـتْ وللطبـعِ

مواســـمُ مـــا ســـام المتـــيمُ روحَـــه ... بأســـواقها إلا رأى الـــربحَ في البيـــعِ

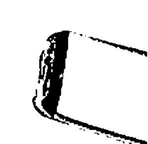
ولله عهــدٌ بالــصّفا قــد صَــفا لنــا ... وجمـعٌ بجمـعٍ مالـه قـطّ مـن قَطـعِ

وحنينه إلى المكيين وإلى ما قرت له فيها العين، كثير ومشهور في كلمه المنظوم والمنثور.

وبعد رجوعه من رحلته الحجازية، بما جمع من الأسرار الحقيقية والمجازية، إلى

الوادي الميمون، تدير البلدة المباركة سيؤون، وكان نزوله بها باليمن والسعد لأهلها مقرون وكان ذلك مصداقاً لما بشر به شيخه الحبيب أحمد بن محمد المحضار، في مكاتبة منه لشيخ فتحه الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس من ظهور صاحب الترجمة، ....[١] أهل سيؤون تبسمت». انتهى.

فرتب المدارس العلمية وأشاد معاهدها العلية وقصده الطلاب والمستفيدون، فهم إلى حضرته من كل حدب ينسلون، فظفروا من حسن تلقيه بما يرومون، وسعد بأسرار علومه من طلابها من فهم معنى: «**أنا مدينةُ العلمِ وعليٌّ بابها**»، وتأسست مباني أموره على التقوى، وبنى للمنتسبين إليه من المجد ما لا تستطيع بناءه الأذواء، وبصر بأنوار العلوم من عمي بالجهل عَمَى أروى، وبسط للناس أخلاقه وأرزاقه ورحم أهل المسكنة والفاقة، وقام بإكرام الوفود، وبسط موائد كرمه والجود، وكان إذا اشتدت الأزمة وغلت الأسعار يسعى في مال يجمعه من أهل اليسار، يفرقه على ذوي الضعف والمسكنة والانكسار، ومن قعدت به الأسباب ومسته الأضرار.



وله في ذلك وقائع يطول بذكرها المقصود من الاختصار.

وكذا الكـريمُ إذا أقـامَ ببلـدةٍ ... فاضَ النُّضارُ بها وفاضَ المـاءُ

سمعته قدس سره يقول ما معناه: حثثت على الصدقة ذات مرة في أيام مجاعة شديدة وقحط فجاء إلي رجل من عامة الناس بخمسمائة ريال وقال تصدق بهذه على نظركم ولم يكن من أهل الثروة فعجبت من أين تحصل على هذا القدر، فقلت: أنت فقير وربما إنك محتاج لها. فقال: أنا محتاج لما سمعت منك من ثواب الله للمحسنين وكان معي دارين واحدة التي أنا ساكن فيها والأخرى بعتها لما سمعت من تذكيرك وهذا ثمنها

---

(١) سقط هامش من ص٧٢ من الأصل.

فتصدق به قال ففرحت له بما خصه الله به من الانتفاع بالموعظة مع فقره، وذلك فضل الله يختص به من يشاء. انتهى بمعناه.

وكانت مدارسه ومجالسه أولاً بالمسجد المعروف بمسجد حنبل، إلى أن بني رياض العلوم وإليه تحول، أعني رباط العلم الشريف ومعهد الدين المنيف، وهو له من أعظمِ الأيادي، وأول رباط بني في الوادي انتفع به الحاضر والبادي، وكان بناؤه سنة إحدى وثلاثمائة وألف، وبنى حوله مسجداً بجميع مصالحه ومرافقه. وقاد إليه الطلبة أَزِمّة الهداية والتوفيق وقصدوه من كل فج عميق، وكان لكل قاصد بالفتوح والمنوح حقيق.

وكان صاحب الترجمة يقولُ: «منذ أقيم الرباط وابتنى في سيؤون قويَ الدين، وانتشرت الدعوة العامة في الجموع الشريفة، ولما كملنا بناءَ الرباط رأى بعض الصالحين كأن نهراً جارياً في الرباط، وتجري منه عتوم إلى كل دار في سيؤون». انتهى.

قلت: بل جرت عتومُ النفع والانتفاع من هذا المعهد الشريف سائر البقاع، ومن القاصدين إليه، من وصلَ إلى الله وفتح عليه، كالسيد الشريف بن درعان بن الشيخ أبي بكر، وقد جاء على هيئة البادية وزيهم، فأمر صاحبُ الترجمة بحلق وفرته وألبسه ثياباً بيضاء من عنده وقرأ القرآن في ستة أشهر واتصل بسره حتى كان يجتمع بجده الشيخ أبي بكر يقظة، ويزور جده المصطفى ﷺ متى أراد من سيؤون إلى المدينة في ليلةٍ ويصلي الفجر بسيؤون، وأحوالُه عظيمة، ونقل شيء منها عن صاحب الترجمة في «مجموع كلامه».

وجميعُ علماء العصر من الحضارم وأساتذتِه عيالٌ على هذا المعهد المنير، وتلامذة لبانيه الإمام الكبير، وكان مجيءُ السيد بن درعان وهو شايبٌ عمرُه فوق السبعين، حتى أنه في رمضان لا يقدر على صلاة التراويح مع صاحب الترجمة لأنه كان يقرأ في التراويح عشرةَ أجزاء، فكان يصلي التراويح مع الحبيبِ محسنِ بن علوي في مسجد طه.

قال صاحب الترجمة: «إن في الرباط سراً عظيماً، ومن دخله خرج عالماً إن شاء الله،

والشيخُ محمد السناري قال: أراني النبيُّ الرباطَ وأنا في بلدي، وقال: هذا رباطُ علي حبشي. وحسنُ بن أحمد العيدروس قال: رأيت النبي ﷺ يقولُ: الجالسُ في الرباط كالمجاهد في سبيل الله. فكم فيه من أسرارٍ وأنوار، وهو نعمة لأهل سيؤون، وسيكون حجةً عليهم إن لم يعرفوا قدره».

وكان أولا يتولى التدريسَ في الفقه والنحو بنفسه ترويحاً للنفس وإبقاءً على الذات، لما يتوالى عليها من التجليات القربيةِ والمنازلات الحبية والمشاهدات الغيبية واللواعج القلبية، واعتنى بتقرير علمِ النحوِ والترغيبِ فيه، كما كان ذلك شأنُ والده الإمام، وبعنايتهما انتشرَ الاشتغالُ بعلم النحو في حضرموت زيادةً على ما كان عليه.

وبنحو ما تقدم على الإبقاء على الذات، والترويح للنفس عما يداهمها من واردات، كان ميله إلى السماع ومحبته له وطربه به، وكم أملى من أنفاسه الزكية وعلومه الغضة الطرية على المسمّعين والمستمعين من أسرار الدين وعلوم الحق الحقيقة واليقين، في كلامه المنثور والمنظوم الذي تنكشف بهما الغموم ويَرى عرفَ عبيرها المكلوم والمزكوم.

وقد طبع ديوانُ شِعره المحكَم الموسوم بـ«الجوهر المكنون والسر المصون»، ويا له من اسم على مسمىً، كم حوى من رمز عن غير أهله معمّىً.

وديوانُ شعره الحمينيِّ منهلٌ عذب، ولؤلؤ رطب، وذكرى لمن كان له قلب، يلتذُّ به النظر والسمع وهو تحت الطبع، وقد اشتمل النوعان على ما تقر به العين وينجلي به الرّين، من فصاحة وبلاغة وحسن سبك وصياغة، وبُعد إشارةٍ وصحّة عبارة، وبديع انسجام ولطيف التئام، ودعوة وإرشاد، وإغوار وإنجاد، وآداب وأخلاق، وأشواق وأذواق، ومناهج وطرائق، وحقائق ورقائق، وعوارف ومعارف، ولطائف وظرائف، وعرائس ونفائس، وعجائب وغرائب، وسِيَر ومناقب، ومشارق ومغارب، ومعارج ومواكب، وبدور وكواكب، وسَيْرٍ وسلوك، وما يُستحقَر عنده التبر المسبوك، مع أنه كان

يمليه على البديهة بحسب الوارد، فيبرُز جامعاً من محاسن الشعر كل شارد، فسبحان من علم وأفهم، وكمّل وتمم.

وفي آخر وقته أحالَ التدريس في الفقه والنحو إلى أكابر تلامذته، كشيخنا العلامة أحمد بن عبد الرحمن السقاف، وشيخنا العلامة محمد بن حامد السقاف، وغيرهم، وأقام ذكر المولدِ النبوي الشريف في كل ليلة جمعة بين العشاءين، ومَدْرساً في الحديث في كل أسبوع يوم الاثنين، فكان يجتمع لهذين المجمعين من الناس الجمُّ الغفير من أهل البلد ونواحيها، إلى من يكون حاضراً من الغرباءِ والقاصدين من الطلبة والزائرين.

وكان يتولى القراءةَ في الحديث قدس سره، فيطرب السامعين، ثم ينشد بقصيدة وعظية من كلامه، ويتكلم بعد الإنشاد فيحدو القلوب ويشنف الأسماع، وينعش الأرواح والأجساد، فيعم الخشوع وتجري الدموع، ويذهل الحاضرون عن كونهم في الدنيا، وترتفع الأصواتُ بالبكاء والتوبة إلى غافر الزلات، ثم يرتب فاتحة خاتمة المجلس، يجمع فيه من الدعوات ما يجمع جميع الخيرات والمبرات، وهكذا الحال في المولد، إلا أن المذاكرة فيه تكون بعد القيام لمولدِ خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام. ولما ضعف بصرُه آخرَ عمره قدس سره، كان يتولى القراءة بعضُ أولاده وتلامذته.

وكان يقول في مدرس الاثنين: «إنه جمعٌ عظيم، يحضره الحبيبُ الأعظم ﷺ». ومرة قال لبعضِ السادة: «أما رأيتَ كيف نزلت السكينة على الحاضرين؟ وكيف حضرةُ الروح المحمدية متربعة؟ وهل تظن أن الروح المحمدية يخفاها هذا المجلس وهي مالئةٌ الوجود!». وكان قدس سره يقول: «مولد الجمعة ومدرس الاثنين مواسم عظيمة، ما توجد في غير سيؤون من البلدان، في الأسبوع مرتين يكفرن خطايا الأسبوع، الله يوفقهم للشكر». انتهى.

وقد رأى بعضُ الصالحين سيدَ الوجود مقبلاً من الناحية القبلية، فسأله: أين يريد؟ فقال له: أريد أحضر مدرس الاثنين.

وقد رأى السيد العلامة عبد الله بن حسين السقاف، من تلامذةِ صاحب الترجمة بعضَ جداته من أهل البرزخ، ولم يكن رآها من قبل، فسألها عن حال بعض أهل البرزخ، وقالت له: إن الخير الذي يصل إلينا من الحبيب علي الحبشي، لا يصلُ إلينا مثله من أحد غيره».

قال صاحب الترجمة: «وأرى أن ذلك من بركة الاجتماعات».

وكل مجالسُه علمٌ ونورٌ وخشيةٌ تعم الحاضرين، وكلامه دعوة وإرشاد وذكرى تجمع القلوب على رب العالمين، حضرت مجلساً معه ومع سيدي الحبيب أحمد بن حسن العطاس، وأنشد المسمّعون ببعض قصائد أبي ريَّا الشاعر الذائق المشهور، فأشرق على المجلس ومن به حضور، من قلبَي ذينك الإمامين النور، وامتلأت القلوب خشيةً وحبور، وجرت الدموع واستغرقت جميع المشاعر السرور.

فقلت لأخي العلامة علوي حفظه الله: «في مثل هذا المجلس يقال: إن كان أهل الجنة في مثلِ ما نحن فيه إنهم لفي عيش طيب!»، فقال: «نعم!». وما شهدنا ذلك المجلسَ بل الحياة كلُّها مع أحدِ الشيخين المذكورين إلا نعيماً معجّلاً من دار النعيم، وكذلك كانت مجالسُه ومدارسُه إن كان مسافراً أو مقيم.

وقد عمر بالدعوة إلى الله والتذكير بآلائه الخاص والعام، والحاضر والبادي والإنس والجان، فقد قال بعضُ الجنِّ لبعض أولاده في رحلته الأخيرة إلى دوعن سنة ١٣٠٨: «إن الذين انتفعوا بوالدك من الجنّ أكثر من الإنس!».

وكان يرحل إلى أسفل الوادي: إلى تريم وإلى هودٍ عليه السلام، وإلى أعلاه: إلى حريضة ووادي دوعن لزيارة أسلافه ومشايخه الكرام، وللدعوة إلى الملك العلام، وتكرر له ذلك، وله في كل رحلةٍ من النفع والتذكير والدعوة والنشر والتعليم والتكريم والكرامات الخارقة للعادات والدعوات المستجابات ما لا تسعُه إلا مجلدات.

ويكون يومُ دخوله إلى أي بلدٍ دخلها عيداً جديداً ويوماً مشهوداً، وقد قال له شيخنا الإمام أحمد بن الحسن العطاس: «مرادنا بك تختلف إلى الوديان تجدد الإيمان في قلوب المؤمنين».

ولا يشك كلُّ من سمعَ كلامه العذب، وصوته الذي ينشرح له كل صدر وينفتح له كل قلب، في زيادةِ إيمانه بكلامِه، وتجديده لإيمانه وإسلامه.

[تأسيسه المولد السنوي]:

وفي سنة ...[1] أسس مجمع المولد النبوي الكريم والحفل المشهور العظيم في آخر خميس من شهر ربيع الأول في كل عام، فكان يحضره الخاص والعام، ولاسيما أكابر العلويين وعلمائهم الأعلام.

قال الحبيب الأجل زين بن عبد الله العطاس: «عددتُ في بعض السنين من أكابر العلويين في ذلك المجمع نحواً من أربعين عارفاً، أصغرهم سِناً: الحبيب محمد بن طاهر الحداد، ويقيم صاحب الترجمة ضيافةً عظيمةً لم يعهد مثلها في حضرموت، ويجري نفقةً لجميع الواردين من أعلى الوادي وأسفله، والبندرين الشحر والمكلا، ويُنزِل كلَّ طائفة في بيتٍ يخصَّص لهم، ويجتمع الناس لقراءة المولد الشريف في فضاء واسع في ناحية سيؤون الشرقية، ويحضر الحبيب القطبُ الجامع عيدروس بن عمر الحبشي فمن دونه من أكابر العلويين، بل أخبر شيخُنا الإمام العارف المكاشف شيخ بن عيدروس العيدروس: أنه رأى جدّه الشيخ الأكبر عبد الله بن أبي بكر العيدروس حاملاً قربةً من الماء يسقي العطاش في ذلك المجمع.

---

(١) كذا بياض بالأصل. وقد كان أول ذكر له في كتب التاريخ الحضرمي: في ٢٥ ربيع الأول سنة ١٣٠٦هـ كما في «تاريخ ابن حميد» (٢/ ٤١٣).

وأخبر صاحبُ الترجمة: «أن سيد الوجود ﷺ وآله يحضُرون»، وأشار إلى ما يحصل من بركات في أبيات حمينية أحببت إيرادها هنا.

قال نفعنا الله به (شعراً):

ما شي كم مجمع المولد يجلي الكروب
ذا وقت توبتك يا العاصي إذا باتتوب

ذا وقت أوبتك يا الشارد إذا باتؤوب
ذا جمع لا شك تغفر به جميع الذنوب

في جاه خير الورى الهادي حبيب القلوب
حبيبنا لي تعكت هو يفك العصوب

هو شمسنا الشارقة ذي ما لها شي غروب
يا حاضرين أبشروا سالت جميع الشعوب

وادي النبي لي فتك على جميع الجروب
ذا حسن ظني وعند الله علم الغيوب

إذا يشا ربنا سهل جميع الصعوب
حبه إذا بارك المولى تلقي حبوب

من رحمة الله قد طلعت علينا طهوب
آخر ربيع أول المشهور تحيي الجدوب

هبت علينا من المختار طه هبوب
كل نشق طيبها لله تلك الطيوب

مجمع يقـع مـا مثيلـه في شـمال أو جنـوب
نور النبي فيـه خـالص قـط مـا فيـه شـوب

عسل مصفى وقع مجناه مـن خـير نـوب
حكيت بالصدق مـا نـا في مقـالي كـذوب

ذا مجمع الصدق شوذا من خيار الحـزوب
يا حاضرين اسـمعوا قـولي وشـلوه دوب

مـــن ذا اليـــوم باتـــستر جميـــع العيـــوب
من بعد ذا اليوم بـا تغفـر جميـع الـذنوب

مـن بعـد ذا اليـوم مولانـا علينـا يتـوب
يغفِـر زلَلنـا ويمحـو كـلَّ وزرٍ وحُـوب

وقفـهْ تقـع مـا كـمإهـا في بـلاد الـسّلوب
يحضر بها المصطفى وآلـه وأهـل الغيـوب

قال شيخنا الحبيب أحمد بن حسن العطاس قدس سره: «لما رتب الأخُ علي بن محمد ـ يعني: صاحبَ الترجمة ـ مولدَه الشهير في ربيع الأول، تنازع أهل البرزخ وأهل النوبة من الأولياء، وحضر عبدالله حداد، وقال بعضهم: لا يصلح أن يكون المولد على هذه الهيئة وهذا مظهرٌ ماتحمله جهة حضرموت، فقال بعضهم: لابد من وقوعه إلى وقت كذا، فكان الأمرُ كذلك».

ولما ذكر تبرمَ أهلِ سيؤون من كثرةِ الغرباء بها أيامَ المولد يحضره شيخنا الحبيب محمد بن طاهر، قال: «لو باعَ أهل سيؤون أولادهم لقيام المولد لكانوا رابحين بما يحصل لهم من المدد».

قال صاحبُ الترجمة قدس سره: «حضر جمعَ المولد العظيم الأخُ في الله والمعدود من أهل النور: عمرُ بن أبي بكر الجفري، وكان من عادتي قبلَ المولد بليلةٍ أخرجُ إلى خارج البلدِ لملاقاة منصبِ الشيخ أبي بكر بن سالم، ويدخل في موكب عظيم.

وكان عمرُ الجفري المذكور معتزلاً عن الناس، فلما أقبلنا ورأى الجمعَ العظيم وتزاحم الناس على القرب من الفقير، بكى وندم على عدم حضوره، وجعل يعاتب نفسه، فهتفَ به هاتفٌ من السماء، يقول له: لا تبك؛ الليلة ما هي ليلةُ ذكرِ الذنوب، بل الليلة ليلة الغفران».

وأخبرني المذكور قال: «لما عزمتُ على التوجه لحضور المولد، رأيتُ سيدنا الغزالي في جمع عظيم من أهل البرزخ، فقلت له: إلى أين تريدون؟ قال: نحضر المولد عند الحبيب علي الحبشي، قال: فلما وصلتُ ذي أصبحَ رأيتُ الحبيب الحسن بن صالح البحر في جمعٍ عظيمٍ من أهل البرزخ، وقال لي: نحن متوجهون إلى عند علي الحبشي بانحضر مولده». وكان عمر المذكور له بصيرةٌ نافذة، فسألته في جمعِ المولد هل رأى أحداً من المذكورين؟ فقال: رأيتهم كلَّهم». وكان صاحبُ الترجمة يقول: «لو قيدتُ المرائي والمبشرات في جمع المولد لبلغت مجلدات».

وقال الحبيب الإمام العارف بالله عمر بن حسن الحداد: «إن الجموعات التي أجراها الله على يد علي الحبشي فيها سرٌ كبير، استأجرتُ جعيلاً لشغلٍ لي، فقال: أشترطُ عليك يومين ما أنا خلي فيها، با أحضر مولد الحبيب علي الحبشي! قلت له: باتفوّت جعالة يومين!، قال: لكنني با أحضر الجمع العظيم، وبا أُؤَمن على دعاءِ الحبيب علي، عسى تغفر لي خربطتي طول السنة ببركته». انتهى.

* * *

[٦ـ الحبيبُ صالح بن محمد الحبشي
(١٢٤٠ـ١٣٠٣هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام العارف بالله وبأحكامه، والمذكر بآلائه وأيامه، الحبيب صالح بن محمد بن أحمد بن السلطان جعفر بن الشيخ أحمد بن زين الحبشي. صالحُ الاسم والرسم والعمل والعلم والذات والصفات، والسيرة والسريرة ذي البصيرة المنيرة والمناقب الكثيرة، الباني أمره من التقوى على أحسن أساس، المتحلي منها بأحسن لباس، المعروف بذلك عند الله والناس، أحدُ المشهورين من أرباب المناصبِ الذين يرجع إليهم عند الشدائد والنوائب، وتقضى بهم الحاجات وتدرك المطالب.

ولد بخلع راشد بحوطة جدّه ومركز مجده في سنة ١٢٤٠ أربعين ومائتين وألف، ونشأ في حجر أبيه بتلك السُّوح وشميمُ النجابة من أعطافه يفوح، وتأدب بأبيه الإمام ولحظته عنايته، وهذبته تربيته، وخفقت على رأسه رايته، فظهرت نجابته، وأشرقت بأنوار الشرف والولاية جبهته، وكانت الاستقامة على المنهج القويم آيته، ورتبته من المجد غايته.

وجدَّ في طلب العلوم والمعارف، ولم يصرفه عن إدراك غايتها صارف، فأخذها عن كل عالم عارف، بحضرموت واليمن والحرمين الشريفين تردد إليها مرات، وحج عدة حجات وزار جده سيد البريات ﷺ مرات.

ورحل إلى الهند وأقام بها سنوات، في خلوات ورياضات ومجاهدات وسياحات،

يأوي فيها مع الوحوش والسباع، ويكابد ما لا تحتمله الطباع، ولا يقدم عليه إلا مثله شهم شجاع، قد انكشف له القناع.

ثم رجع إلى بلده بما حاز من فضلِ مولاه وعظيم مدده، وأقام بها على سيرة حميدة يتقلب من التقوى في خلع جديدة، ثم رحل إلى جاوة لبعض مهماته، مشاهداً في تقلباته قدرة الحق سبحانه في مخلوقاته، يستقري من تصرفاته في برياته عجائب صنعه وباهر آياته، ويدعو إليه سبحانه في جميع حالاته، فنفع الله به العباد وأفاضَ بركته على البلاد، ورجع إلى وطنه مغموراً بفضل مولاه وجزيل مننه.

[نبذة للمترجم في ذكر أخذه عن شيخه السقاف]:

وقد ألف قدس سره «رسالة» في اتصاله بشيخه الإمام الحبيب عبدالرحمن بن علي السقاف وسنده عنه، وأول اتصاله به ومدده منه، قال فيها:

«وسأذكر في هذه الوريقات أخذي وسندَ اتصالي بسيدي وشيخي وقدوتي، إمام أهل الطريق المتبحر في علوم الشريعة والحقيقة، وحيد عصره وفريد دهره وجيه الدين ومحييه، عبدالرحمن ابن الإمام القطب عمر بن سقاف الصافي باعلوي نفع الله به ورضي عنه. وسأكتفي بذكرِ أخذي عنه واتصالي به، وإن كانَ لي مع ذلك أخذٌ عن مشايخ كثيرين من ساداتنا العلويين وغيرهم، من أهل حضرموت واليمن والحرمين الشريفين، ممن لقيته منهم وأخذتُ عنهم. لكن لما كان قصدي الاقتصارُ على ذكر سندِ اتصالي بسلسلة الذهب، الموصلة إلى سيد العجم والعرب ﷺ، المتصلة به جداً عن جد وأباً عن أب، لم أطل بتعداد مشايخي.

فأقول:

إنه لما كان في شهر جمادى الأولى أو الآخرة عام أحدى وسبعين ومائتين وألف، حصلت معي همةُ الزيارة إلى تريم، فلما وصلتُ إلى المسيلة اجتمعتُ فيها بسيدي الحبيب

طاهر بن أحمد بن طاهر، واستشرته: في طلب العلم يكون بمكة أو سيؤون؟ فقال لي: الإذن يحصلُ من عند سيدنا الفقيه المقدم.

فلما زرتُ ورجعتُ قاصداً بلدي خلعْ راشد، قدّر الله أن بتُّ ليلةَ خروجي من تريم ببلد الريّضة، فاجتمعتُ فيها بسيدي وشيخي عبدالرحمن المذكور، فشكوت عليه حالي وقسوة قلبي وتكدير بالي، وقلت له: أراني مثبطاً! فقال: أنت مثبتٌ ما نراك إلا مقبلاً على ربك. فوقعَ من حينئذ حبه في قلبي والاتصالُ به والقراءة عليه.

فسرتُ إلى بلدي ورجعتُ إلى سيؤون، وقصدت بابه فوجدتُ عنده خاصة من يقرأ عليه، وهما السيدان المنيفان: **أحدهما**: سيدي وأخي وصفيي في الله المصافي ذي الشرف الوافي، الشريف العفيف صافي بن شيخ بن طه الصافي، **والثاني**: أخي وسيدي ووليي في الله، الموهوب بكمال المدد من الله، المجتهد في نيل رضا الله، عبد الله بن أحمد بن عبد الله المساوى السقاف.

فكانت لي معهما الصحبةُ الأكيدةُ المفيدة، وكنتُ وهما نقرأ على سيدنا عبدالرحمن، فقرأتُ عليه في بعض كتب القوم، ولي منه وعنه الأخذُ التام الخاص والعام، بعد أن أجازني إجازات خاصة في أذكار متعددة، وقال لي في مكاتبة منه بعد أن أطال فيها: «وقد أجزناكم في جميع ما يتقرب به إلى الله تعالى من أسباب التقريب إليه الموصلة إلى رضاه كما أجازنا بذلك مشايخنا العارفُون وأئمتنا المحققون، ممن لا نطيل بذكرهم رضي الله عنهم وألحقنا بهم، آمين».

وأيضاً: معي عنه إلباس رداءٌ يماني أرسله إليّ مع مكاتبة أخرى ولما خفتُ عليه التلاشي جعلته حبوةً في حياته رضي الله عنه.

وأجازني في الدعاء والدعوة تلقيناً، وزرت معه دوعن الطُّورَ الأيمن، فلما وصلنا قيدون وزرنا الشيخَ سعيد بن عيسى العمودي وطلعنا إلى بيته المعروف ببيت الضيافة،

طلب بعضُ الناس من سيدي عبد الرحمن أن يلقّنه الذكر، فتقدم إليه وصافحه ولقنه، فتقدمتُ أنا إليه وطلبت منه ذلك، فصافحني ولقنني، وقال لي: قل رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً، وبالشيخ سعيد بن عيسى العمودي شيخاً، فقلتُ ذلك حسبما لقنني.

ولي أيضاً معه مجالساتٌ خاصة وتردداتٌ عليه وحضورٌ عنده في مدارسه ومجالسه، وسمعت عليه بقراءة غيري في كتبٍ متعددة مما لا يحضرني الآن، لطول العهد عن ذلك، وبالله التوفيق». انتهى ما أردتُ نقله من كلام صاحب الترجمة قدس سره.

وشيخُه المذكور هو الذي إليه ينتمي وبه يفتخر، ويطرب بذكره إذا ذكر، ولما توفي قام على قبره بموعظةٍ خشعت لها القلوب وطربت لها الأرواح، وكان هناك من أكابر العلماء عدد كثير، وكان قد رأى قبلَ ذلك رؤيا تدل على كمال حظه من وراثة شيخه المذكور، فلما أكمل الوعظَ في ذلك المجمع الحافل، وخصصَ وعمّم وشنف الأسماع وحرك جامدَ الطباع، قال له بعضُ الأكابر: «يا صالحُ؛ هذا تأويلُ رؤياك من قبل».

ثم اتصل بعد وفاة شيخه المذكور بالحبيب القطب عيدروس بن عمر الحبشي وألقى مقاليد أموره إليه.

ومن مشايخه الكرام الجهابذة الأعلام: الحبيب حسن بن صالح البحر، والحبيب محمد بن حسين الحبشي، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب عبد الله بن حسن الحداد، والحبيب حسن بن حسين الحداد، والسيد محمد بن عبد الباري الأهدل، والحبيب فضل بن علوي بن سهل.

والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، وقال له شيخه الحبيب أبو بكر العطاس ذات يوم: «إلى متى يا صالح ساكتٌ لا تتكلم؟»، قال صاحب الترجمة: «فقلت في سري: كيفَ أتكلم وأنت ساكت؟ وأنت أبوبكر!»، فقال لي عند ذلك: «أحدٌ مأذون له في الكلام وأحد غير مأذون له فيه»، قال: «وكنت أخاطبه في سري ويخاطبني جهراً». انتهى.

وهذا يدل على أن صاحبَ الترجمة قدس سره ممن أُذنَ لهم في الكلام، وقد كان يذكّر في المجامع الحافلة كما تقدم فيشنف الآذان بفرائد اللآلئ والعقيان، ويحدو القلوب إلى حضرة الرحيم الرحمن.

[توليه مقامَ جدّه]:

وكان من كمَّل الرجال، البالغين أعلى درجاتِ الكمال، الشاربين من كؤوس الوصال ما كمُل لهم به الاتصال بلا انفصال، وأقيم في منصبِ جده العظيم، فكان لأسرار ذلك المقام حفيظ عليم، وبأداء حقوق ذلك المنصب الشريف وعلى حمل أعبائه قوي أمين، وفي القيام بحقوق الخالق والعبيد حليم رشيد، يأوي من كمال التوحيد إلى ركن شديد. ووضع الله له الهيبةَ في الصدور ونفوذ الكلمة عند الجنود وولاة الأمور، مع سعة الأخلاق الذي حصل عليها الاتفاق والقيام لوظائف ذلك المقام على ساق، والورع الكامل، والزهد في العاجل، كان يذكّر بأحوالِ بشرٍ الحافي، في زهده في العاجلة وميلها عنها والتجافي، كان على أكملِ الأحوال في المأكل الملبس والحِلال، يتحرى لذلك الخالص من الحلال، حتى أنه كان يَسأل عن قُوت السقَّاء الذي يأتي له بالماء وكِسائه، فإن وجد فيه شبهةً امتنع من مائِه!

قال بعضُ العارفين ما معناه: «إن من لم يأخُذْ من الدنيا من العلماء في هذا الزمان أُخِذَت منه، إلا اثنان من العلويين: صالح بن محمد الحبشي، ومحمد بن صالح العطاس».

وكان قدس سره يأخذ من ظاهر العلم بالقويِّ الأحوط من الحكم، سمعتُ سيدنا الإمامَ الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي يقول: «أرسلني الوالدُ صالح في حاجةٍ إلى الغرفة آخرَ يومٍ من رمضان، فكان رجوعي إليه بعد المغرب، فقال لي: أين غربَت عليكَ الشمس؟ فقلت: في مكان كذا، فقال: احمل فطرتَك إليه، فرقها على فقرائه».

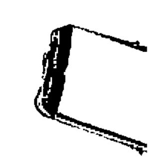
وكان قدس سره إذا ذهبَ إلى شيء من الأماكن لإصلاح ذات البين يحملُ زاده من

بيته، ويأمر من يضعه له ممن يطمئنّ به في مكانِ الإصلاح، ولا يأكل من طعام المصطلحين، بل ولا يشرب القهوة والماء في بيوتهم.

وكان لا يأكلُ من طعام التعزية وما يفعل للأموات بعد الموت، ولا يشربُ القهوة التي تعمل لذلك، ويقول: «إنه خلافُ السنة!».

وكان قدس سره يدورُ كلَّ يوم جمعة على بيوتِ أقاربه وأرحامه، يسلم عليهم من تحت الدَّور، ويقول: «قال ﷺ: «**بلوا أرحامكم ولو بالسلام**»[1].

وكان إذا ضحكَ أتبع ذلك بقوله: «اللهم لا تمقتني».



وكان يحب السماعَ ويطربُ به ويتواجد عليه، وترد عليه عنده واردات عظيمة يغيبُ بها عن المجلس والجالسين، وما كان يفرّق بين آلاتِ السماع إذا انتفت علةُ التحريم، وحصل الجمع على البر الرحيم.

وكان كثيراً ما ينشد هذا البيت الحميني:

ما لي وللناس من خَيِّرْ ومن ذي شِرَهْ

دوّر لمقـصُود هُـو في عُـود أو طَنْـبَرَهْ

وقد تقدم أنه كان يقول: «إنه لسانُ حالِ الحبيب أحمد بن حمزة، وهو لسان حاله أيضاً»، ولأنه يحب الكمال في كل شيء.

[دخوله الهند وإتقانه لغتها]:

وكان يتقنُ اللغةَ الهندية كواحدٍ من أهلها، وسببُ دخولِه إلى الهند من غريبِ ما اتفَق له قدس سره، كما أخبر به الحبيبُ الإمام أبو بكر بن عمر بن يحيى، قال:

---

(١) أخرجه البيهقي الشعب، والطبراني في الأوسط، والبزار، وفيه ضعيف.

«كنا نحنُ والحبيبُ صالح بحضرةِ الحبيب فضل بن علوي بن سهل، فجرت مذاكرةٌ في سيرة والده وسيرة الحبيب شيخِ بن محمد الجفري المقبور في مليبار، فحكى من مناقبهما الكثير، فخطر للحبيب صالحٍ عند ذلك: أن لو قدّر الله له السفر إلى مليبار لزيارتهما.

فلما خرج إلى جُدّة راجعاً إلى حضرموت، نوّل في مركبٍ مسافر إلى المكلا، وطلع يوم السفر مع بعض أهل القوارب وقصدُه المركب المسافر إلى المكلا، وشارطَ صاحب القارب أن يوصله إليه. فذهبَ به إلى مركب آخر مسافر إلى مليبار!.

فطلعَ فيه ظاناً أنه مركبُ المكلا، فلما مضت عليه أربعةُ أيام في البحر أنكَر طول الطريق، وقد دار يومَ طلوعه في المركب ولا رأى فيه أحداً من الحضارم، فسأل عند ذلك بعضَ المليبارية، فأخبره: بأن المركب مسافرٌ إلى مليبار! فعجبَ مما صار، ثم طلبوا منه ورقةَ النول، وكانت إلى المكلا لمركبٍ آخر، ولم يكن مستعداً بدراهم لسفر مليبار، فقيّض اللهُ له بعضَ المليبارية فسلّم عنه النول، وساعدَه فزار الحبيبين المذكورين وَفقَ ما خطر له، ورجع إلى حضرموتَ من هناك». انتهى.

وما زال قدس سره على أكمل حالة مرضية، من الدعوة إلى رب البرية وملازمة السنة النبوية والسيرة العلوية، متربعاً على سرير ذلك المنصب الأسمى، كالشمس في كبد السماء، إلى وقت وفُوده إلى رحمة مولاه وسعة كرمه وجوده.

ولما كان قبل مرض وفاته بيومين جمعَ السادةَ أهل الحوطة ووعظهم وحثهم على التمسك بالسبب الأقوى من التقوى، وفي اليوم الثاني جمعَ باقي أهل البلد ووعظهم وحثهم كذلك كالمستودع، فعجب الناسُ لذلك.

ولما كان ليلةَ وفاته، قام على سطح داره بموعظةٍ عظيمة، أسمعَ العواتق في الخدور، وسمع صوته من جميع الدور في حوطة النور، بل سمع صوته تلك الليلة من الغرفة البلد

المعروفة، وبلوغ الصوت إلى الأماكن القصية من أسرارِ كمال الوراثة النبوية، فقد كان صوته ﷺ يبلُغ إلى ما لا يبلغه صوت غيره.

وكانت وفاته يوم ....[(١)] سنة ثلاث وثلاثمائة وألف، وكان ذلك اليوم يوماً مشهوداً، اجتمع فيه خلق كثير، وأتى لحضور دفنه شيخه الحبيب عيدروس بن عمر ولما قام على جنازته وكبر للصلاة عليه اهتزّ نعشه وتحرك، شهد ذلك من حضَر من البشر، ودفن قريباً من الجبانة المعروفة هناك قبليَّ قبة جده إلى بحر، وقبره معروف رضي الله عنه وعنا به، آمين.

وكان سيدي الحبيب[(٢)] يقول: «الوالد صالح يحبّ يجِد الكمالَ في كل شيء، حتى أنه يتقن اللغة الهندية مثل أهلها، سافر الحبيب من جده إلى المكلا في مركب يقال له (الأنيس)، ولما وصل إلى بُرومْ قويَ الريحُ وحمل المركبَ وكسَرها إلى مَدراس، ومنها سافر الحبيب إلى مليبار متنكراً، ومنها إلى حيدر أباد، ومكثَ ما بينهما أربعين يوماً حاملاً زاده على ظهره».

قال سيدي الحبيب محمد: «وقعت له وقائعُ عظيمة في سفره».

قال سيدي الحبيب محمد: «وكان الوالد صالحٌ كثيرَ الزيارة والتردد على ضرايح الأولياء من السلف الصالح العلويين وغيرهم».

* * *

---

(١) بياض بقدر أربع كلمات.

(٢) يقصد: الحبيب محمد بن طاهر.

[٧ـ الحبيب علي بن سالم الأدعج
(...ـ ١٢٩٦هـ)]

ومنهم:

الشيخُ الإمام الحبيب المحبوب، الذي صفى له المشروب، نخبة أهل الكمال المكتسب والموهوب، نور الدين وبركة المسلمين، علي بن سالم بن علي بن شيخ بن أحمد بن علي بن أحمد بن علي بن سالم بن أحمد بن الشيخ الحسين بن الشيخ أبي بكر فخر الوجود، الملقب من حضرة الرسالة بالأدْعَج، المراعى بعناية مولاه في المدخل والمخرج، والثابت الأقدام على أقوم سنن وأهدى منهج.

وُلد بعينات ونشأ بها وسمَت همته إلى عوالي الرتب، فزاحم أهل العلم بالركب، وجدّ في الطلب حتى أدرك الأرب، وسلك مسلك الإرادة، واستغرق نفائس أوقاته في نيل مراده.

أفرد ترجمته هُو قدس سره بتأليفٍ لطيف[١]، ذكر فيه أخذه وجِدّه واجتهاده، وما أكرمه الله به من الرغبة والحرص على طلب السيادة والسعادة، وما حصل له من الاتصال بجده سيد المرسلين ﷺ، وأكابر سلفه الصالحين.

وذكر: أن أعظمَ موارده العذبة، الذي تحققت له النسبة، وعلت له به الرتبة، هو الشيخُ القطب الحبيبُ أبو بكر بن عبد الله العطاس، كان له فيه الانطواء التام، والاجتماع

---

(١) وسماه: «فيض الله العلي على عبده علي بن سالم بن علي».

الذي لا يقبل الانقسام، صح له به الارتباط والائتام، وشرب من علومه ومعارفه وأسراره أصفَى مُدام.

وحجّ معه بيت الله الحرام، وزار جده خير الأنام، وبلغ من فضل مولاه غاية المرام، وكان مع شيخه الإمامِ المذكور بمسجد مِنًى، فمرّ المحملُ المصري، فقام شيخه، وقال له: إن تحبّ أن تنظر الخضِر فإنه مع أهل المحمل، قال: «فقلت له: لا أحتاج معكَ إلى خَضِر ولا غيره»، فأعجبه ذلك مني.

وكانت له في بدايته مجاهداتٌ عظيمة، وحالات قويمة ومنازلات جسيمة وقد حكي من ذلك فيما ألفه لنفسه من المناقب غرائب وعجائب وفتوحات ومواهب.

وكان يجتمع بأكابر سلفه أهل البرازخ يقظة، ومما يُروَى لنا من ذلك عن شيخنا العارف بالله الحبيب محمد بن صالح بن عبد الله العطاس: أنه كان معه في بعض مساجد وادي عمْد آخرَ الليل، قال: «فقام إلى ناحية من المسجد بحيث سمعته يتكلم مع أناس، ثم دعا عليَّ فأجبته، فقال: ها هنا أبوك الفقيه المقدم وأبوك السقاف، وعدّ جماعةً من أكابر السلف، قصدُهم اتفاقك، باتجي أو بغيتهم يجون؟ قال: «فقلتُ له: لا يجون ولا با أجي، قل لهم يدعون لي»، فضحكوا عند ذلك حتى سمعت ضحكهم». انتهى.

وكانت له مع جدي الإمام الحبيب عبد الله الهدار وقائعُ أحوالٍ ينتجها تعاكس الأنوار وتزاحم الأسرار، أشرت إلى بعضها في ترجمة سيدي الجد للاعتبار، رضي الله عنهما ونفعنا بهما في هذه الدار وتلك الدار.

وكان له في شيخه القطب أبي بكرٍ العطاس الانطواءُ الكامل الذي شرب به من مدده بأوسع كأس حكى عن نفسه أنه توجّه إلى حريضة لزيارة شيخه المذكور مع توجُّه الناس لزيارة نبي الله هود على نبينا وعليه الصلاة والسلام، قال: «فصار كلُّ من لقيني يقول لي: كيف؟ الناس منحدرون لزيارة هودٍ وأنت مُصعِد! قال: فأقول لهم: هُودِي بحريضة!».

وكان ممن بشّر سيدي الحبيبَ قدس سره بوراثة الجيلاني والعيدروس والحداد.

وكما قال سيدي الحبيبُ في بعض كتبه لشيخنا العارف بالله الحبيب عبد الله بن محسن العطاس: «وقد بلغني عن الثقة عنكم سابقاً أنكم قلتم: إن أولاد الحبيب عبد الله الحداد كثير، ولكنّ هذا الوارث!. وعجبتُ حيث وافقَتْ هذا الكلمة منكم كلامَ العارف بالله أبي بكر بن عبد الله العطاس فيما بلغني، وكلامَ العارف بالله علي بن سالم الحسيني، وكلامَ العارف المحضار ..»، إلخ. ومراده بالحسيني: صاحبُ الترجمة.

وقد أجابه الحبيبُ عبد الله بن محسن بقوله: «وكلامُ المحضار وأهلِ الأسرار عليه المدار»، نفعنا الله بهم أجمعين.

وكان شيخُنا نورُ العصر والدين، الحبيب علي بن محمد الحبشي كثيرَ الإجلال والاحترام لصاحبِ الترجمة، وكثير المدح له والثناء عليه نثراً ونظماً.

فمن ذلك قوله في قصائده:

رعياً لأيامنا الغرِّ التي سلفَت ... في ربعِ ميّا وفيضُ الوقتِ إمداد
في حضرة جمعتْ ساداتِنا الكرَما ... من بالمكارم للقصّاد قد جادوا
كمثلِ تاج العلى فردِ الندى وأخِي الـ ... ـعرفانِ من سادةٍ للخلق قد سادوا
أخي عليِّ المعالي من له خطبَتْ ... منابرٌ نثرُها بالمدحِ إنشاد

ومن قصيدة أخرى قالها رضي الله عنه وعنا به جواباً لقصيدة صاحب الترجمة:

مطارفُ خزٍّ أم طرائفُ عرفانِ ... ومنهلُ وِردٍ أم فيوضاتُ إيمانِ
وروضُ علومٍ ثمرُها أبداً داني ... أم الروضةُ الغناء في ضِمْن بستانِ
وعقدُ جمانٍ أم فرائدُ أحرُفِ ... نُظِمنَ بحسنٍ فاضَ من فيض رباني

قريضٌ من البحرِ الحلالِ حوى ورونـقُ حسنٍ فـاق أقـوالَ حسانِ
فما شعرُ كعبٍ بل وما قـولُ عـامر ونظـمُ جريـرٍ بـل وأقـوالُ غَـيلان
لقـد حـلَّ في علـم البلاغـة رتبـةً تقـاصَر عنهـا نظـمُ قُسٍّ وسَـحبان
وكيـفَ وقـد أنـشاه واحـدُ عـصره وحائز قـصْبِ الـسبقِ في كـل ميـدانِ
إمـام لـه في القـربِ أشرفُ رتبـةٍ وفي القرب مرقىً ليس يرقى لأقـرانِ
تغذّى لبـانَ العلـم طفـلاً ولم يـزَل يزيـد اعـتلاءً في مراتـبِ إحـسانِ
إلى أن تناهَى في ذرى المجْدِ وارتقَى إلى عـين كـشْفٍ في يقـينٍ وبرهـانِ
سَـخيٌّ وفيٌّ أريحـيٌّ مهـذَّبٌ جليـلٌ كـريمٌ ذُو شـهودٍ وإيقـانِ
شريـفٌ عفيـفٌ سـيدٌ وابـن سـيِّدٍ ومـأوى غريـبٍ بـل وملجـأ لهفـانِ
غيـاثٌ لمـأمولٍ وغيـثٌ لمْحـلٍ وكهفُ طريـدٍ بـل وروضـةُ إحـسان
حبيبٌ قريبٌ واصلٌ عارفٌ حـوى مقـامَ أبي بكـر وسـيدِ جَـيلان
ويكفيكَ عن مدحي له أنـه ارتَـوى مـن المنهـلِ الأصـفى سـلالةِ عـدنان
أبي بكر العطاس قطبِ مشايخ البـ ـسيطةِ غـوثٌ في العـلا مـا لـه ثَـاني
تربَّـى عـلى أيديـه كَـم مـن محـدَّثٍ إمـامٌ كـريمٌ فاضـلٌ خـير ربـاني
كمثلِ الذي صغتُ المـديح لأجلِـه ولـستُ مبـالٍ بالعَـذُول وبالـشاني
وأعنـي بـه نجـلَ المهـذَّبِ سَـالم عليـاً لـه في خمـرةِ الحـبِّ كأسـانِ
علياً تعـالى في العُـلا وارتقَـى إلى مراتـبَ لا تحـصَى بعـدٍّ وحُـسبانِ
عـلي لـه في مقعـدِ الـصدق منـزلٌ جليـلٌ وشـأنٌ يـا لـذلكَ مـن شَـان

إلى آخر ما قال.

والقصيدتان المذكورتان وغيرهما في ديوان شيخنا الناظم، وكفى بهذا المدح العظيم في هذا الجهبذ العليم تعظيماً لصاحب الترجمة وتكريم.

[٨ـ الحبيب محمد بن محسن الحامد
(... - ١٣٠٢هـ)]

ومنهم:

الشيخُ الإمام العالم العامل الزاهد العابد الخاشع المتواضع، العارف المكاشف، جمال الدين محمد بن محسن بن أحمد بن علي بن عبد الله بن علي بن سالم بن عمر بن الشيخ الحامد ابن الشيخ أبي بكر بن سالم، فخر الوجود.

ولد ببلد عنَق، وبزغ بها بدره وشرق، وأخلص في سيره إلى ربه وصدق، وطلب العلم الشريف ولأبوابه طرق، فأخذ بعَمْد عن الحبيب القطب صالح بن عبد الله العطاس، وبدَوعن عن الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، وابنه محمد، والشيخ سعيد باعشن، وغيرهم من أئمة ذلك العصر.

وكان شربه العذبُ غير أُجاج ولا مالح، من بحر شيخه الحبيب القطب صالح، وكان له به عنايةٌ تامةٌ وملاحظةٌ خاصة، وكان يستصحبه في تنقلاته للدعوة إلى الله.

وكان من أهل المعرفة واليقين ومن أكابر الأولياء والصالحين، اتخذ مع درس العلم وتعلمه مكتَباً عُلمةً للأطفال ببلد عنَق لتعليم القرآن، فقرأه عليه وانتفع به جمع كثير ما حواليها من البلدان.

وكان يقوم النصف الآخر من الليل، ويَسمعُ الهواتف، ويعرف دخول الفجر وغيره من أوقات الصلوات وهو في خلوته، واشتُهر عن كثيرٍ من الأكابر أنه يسمع صراخ ديكَة العرش. وله كراماتٌ وخوارقُ عادات، يحفظها معاصروه وأهل بلده.

ولسيدنا وشيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد إجازةٌ منه مختصرةٌ تقدمت في الباب الرابع[١]، اجتمعَ به سيدي الحبيبُ قدس سره وزاره مرات، وكان يحترمه ويكرمه. وما زال على أكمل حالة مرضية، وأبهى مرتبة سنية، إلى أن دعاه داعي الكرامة، فانتقل إلى دار المقامة، سنة اثنين وثلاثمائة وألف.

ذكره شيخُنا الحبيب عبد الرحمن المشهور في «شمس الظهيرة»، وترجمه في «الشجرة الكبيرة»، قال:

«كان سيداً فاضلاً عالماً متخلقاً بأخلاق حسنة، عاملاً منيباً خاشعاً متواضعاً متقشفاً زاهداً ورعاً، من أهل اليقين والمعرفة والأولياء الصالحين.

وكان دأبه تعليمَ الأطفال القرآن العظيم والعلم، وله مقامٌ بالليل دائماً في نحو نصف الليل، وكان يسمع المنادي بالليلِ ويعرفُ الفجر وهو بخَلوته. وله كراماتٌ كثيرة خصوصاً في تكثير الطعام، رضي الله عنه ونفعنا به آمين». انتهى.

❊ ❊ ❊

---

(١) هذا الباب تقدم أنه مفقود.

[٩ـ الحبيب حسين بن محمد الحامد

(...ـ ١٣٠٢هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام الحبيب المحبوب، الصالح المجذوب، الولي المخطوب، المكاشف بالغيوب، بدر الدين الحسين بن محمد بن سالم بن أحمد بن عيدروس بن سالم بن عمر ابن الشيخ الحامد بن الشيخ أبي بكر فخر الوجود.

ولد بعَمْد أو بعينات، وغمرته من مولاه الهبات وواجهته النفحات، وفاضت عليه من فيوضات المحبة غوامر الفيوضَات فعاش بها كائناً بائناً، ووضعت له المحبة في القلوب والهيبة والحشمة في الصدور، لاسيما عند الجند وولاة الأمور، وظهر له من الخوارق ما أذعن له أهل الخير وأهل الشر، وكان أمره بينهم كالقدر المقدور لا يرد أحد أمره إلا وأصيب، ولا يدعو على أحد إلا وأجيب، عُرِفَ بذلك بين الخاص والعام، فهابوه وأكرموه غاية الإكرام.

حتى أنه لما رحلَ إلى البيتِ الحرام وزيارة جده ونبيه عليه وعلى آله الصلاة والسلام، مَرَّ ببندر عدن وكتبَ عند وصوله إلى المرسي لواليها (بنَيغِلْ) النصراني، يعلمه بوصوله، فقابله مقابلة حسنة، وأعد منزلاً لنزوله، وأجرى له نفقةً مدة مقامه، وبالغ في إكرامه واحترامه. ولما أراد أن يكتبَ للوالي المذكور قيل له: إنه كافر، قال: «ولو كان كافراً، أريد قِسْمي منه من جاه الشيخ أبي بكر وكفره له وإيماني لي»، فكان الأمر كما ذكر.

وكان له الجاه الواسعُ عند البوادي بناحية جَرْدان وحَبَّان، وأنذارُه منهم جاريةٌ إلى الآن، يستلمها ورثته. وكان له كشوفاتٌ وخوارق عادات.

وكان الشيخان الكبيران والقطبان الكاملان: الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، وغيرهما من أكابر سادتنا العلويين، يعظمونه ويحترمونه ويسلمون له حاله.

وكان شيخُنا إمام الزمن، الحبيب أحمد بن الحسن، كثيراً ما يحكي من حالاته الصادرة عن سلامة البال، ما يدل على عظم الحال، ويشرح له الصدر والبال.

منها: أنه نزلَ في بعض البلدان في منزلٍ فيه كَتّان، وهو البقُّ الأحمر المعروف، فلما كان وقتُ النوم قال: «ياكتّونا؛ اجلسْ في الفنونا لا تجونا»، فلم تخرج البقّ من السّتر!، وبات هو وأصحابه أحسن مبيت. فاعجبْ لهذا التصريفِ، الدال على علو القدر المنيف، وعناية البر اللطيف!.

وما زال متقلباً في الأرض إلى أوان الانتقال إلى دار المآل، فأدركه أجلُه ببلد عَمْد، فتوفي إلى رحمة الله سنة اثنين وثلاثمائة وألف ودفن بها وبنيت عليه قبة مشرقة الأنوار مقصودة للزوار.

ذكره شيخُنا الإمام المشهور في «شمس الظهيرة»، وترجمه في «الشجرة الكبيرة» قال: «كان إماماً فاضلاً، له الجاه الواسع والكرامات الخارقة، سليم الصدر، معتَقَداً عند العوام، توفي بعمد». انتهى.

* * *

[١٠ـ الحبيبُ أحمد بن عبد الله باعقيل
(... ـ ١٣٠١هـ)]

ومنهم:

السيدُ الجليل والعلَمُ الحفيل، الفقيه العلامة حليف الهدى والاستقامة، الحبيب المنيب، شهاب الدين أحمد بن عبد الله بن علوي بن الفقيه الإمام عبد الله بن علوي بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن الشيخ عبد الرحمن السقاف، ذي الفضل والاعتراف، والمروءة والإنصاف، والتحلي بمكارم الأوصاف.

ولد بقيدون ذات السر المكنون، ونشأ بها وحفظ القرآن العظيم على أبيه السيد الكريم، وتأدب واشتغل بطلب العلوم الدينية، وترقى بالجِدِّ إلى مناصبها العلية.

فأخذ عن الحبيب العارف بالله عمر بن أبي بكر الحداد، والحبيب العلامة عيسى بن محمد الحبشي، والشيخ الكبير عبدالله بن أحمد باسودان، وابنه العلامة محمد، وغيرهم من فقهاء دوعن.

وأخذ عن الحبيب العارف بالله عبد الله بن حسين بن طاهر وعن الحبيب العارف بالله الحسن بن حسين الحداد، والحبيب محسن بن علوي السقاف، وتقدمت إجازته له مع سيدنا الحبيب طاهر بن عمر في الباب الأول في ترجمة الحبيب طاهر[1].

---

(١) لم يرد شيء في الموضع الذي ذكره المؤلف، فلعله يقصد في الباب الرابع المفقود!

وأخصُّ مشايخه وأعظمُهم اعتناءً به: سيدُنا القطب النبراس أبو بكر بن عبد الله العطاس، وكان يجله ويثنى عليه، ويسميه غلامَ الساعتين. وأخذ بالحرمين عن كثيرٍ من الأعلام، كشيخ الإسلام السيد أحمد دحلان، والشيخ محمد العزَب.

وكان قدس سره من العلماءِ العالمين الهداة المهتدين على قدَمٍ عظيمٍ من الاشتغال بالأعمال الصالحة، محافظاً على شعائر الدين لا يعوقه عنها عائق ولا يقطعه عنها قاطع، وكان قدس سره يباشر الخدمةَ في الحرْثِ بيده تعرضاً للثواب المرتَّب على طيب الاكتساب، وتعرضاً للمغفرة المشار إليها بحديثٍ: «من أمسَى كالاً من عملِ الحلال أمسَى مغفُوراً له». ورحمَ الله القائل فيما يناسب الحال:

ويلكِ! لا تستنكِري لمسَ يـدي	ليس من يكـسِبُ عِـزًّا بـذليلْ
إنــما الذلــةُ أن يمــشي الفتَــى	ساحبَ الذَّيلِ إلى بَيتِ البَخيلْ

وكان إذا أتى سيلٌ إلى شيء من محارثِ البلد لا يشتغل بالرَّعْض عن صلاة الجماعة في المسجد ولو بَعُد المكان، وقد قال بعضهم: «رأيته طلعَ يوماً لصلاة الفجر من بُقعان ورجَعَ يرْعَضُ بعد الصلاة، وبين بُقعان والبلدِ نحوُ ساعةٍ إلا ثلث».

وكان قدس سره موزعاً لأوقاته حافظاً لأنفاسه وساعاته، وأكثرها في المسجد للعبادة والتدريس وقراءة القرآن، وباقيها في المهمات التي لا بد منها. قال سيدنا الحبيب العارف بالله أحمد بن حسن العطاس: «كان يكتب كلَّ يوم ورقة من الإحياء بعد رجوعه من المسجد فيما يقرّبون له غداء». انتهى بمعناه.

وإلى ذلك يشير الحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس بقوله: «غلام الساعتين»، يعني: أنه ممن يسر الله له المقام بصالح الأعمال الدنيوية والأخروية.

وحج حجة الإسلام ولم تتفق له زيارة جده خير الأنام عليه الصلاة والسلام في

ذلك العام، لأنه كان في صحبة أبيه فتوفي أبوه بعدَ الحج، فرجع إلى بلده ثم شكى إلى شيخه الحبيب أبي بكر عدمَ اتفاق الزيارة له فقال له: «عادك تزور إن شاء الله».

فلما كان سنة ١٣٠٠هـ ثلاثمائة وألف سافر لقصد الحج، والزيارة التي هي مفتاح باب الفرج، وكان طريقه على اليمن فزارَ لحج والوهطَ وعَدن، وضاق عليهم الوقت وفاتهم الحج في ذلك العام، فلم ينصرف عن عزمه التام. ولما وصل البلد الحرام مرِضَ بداء الإسهال، وأخذ أشهراً بها على ذلك الحال، ثم عزم رفقته على الزيارة فعزم معهم، فكان العزمُ بالشفاء بشارة، وقام كأنما نَشِط من عقال، وبلغ من زيارة جده مولى بلال صلى الله عليه وصحبه والآل غايةَ الآمال.

ثم عاد له ذلك المرضُ بالمدينة، وحضره بها أجلُه وكانت هناك الطينة، فتوفي إلى رحمة الله ليلة الثلوث منتصف شعبان سنة ١٣٠١هـ إحدى وثلاثمائة وألف.

أخبرني سيدي الحبيبُ الجليل النبيه محمد بن عبد القادر بن محمد بافقيه، وكان في رُفقةِ صاحب الترجمة قال: «إن صاحبَ الترجمة أمر بعضَ أصحابه أنه يغسّله ويغسل ثيابه قبل وفاته بثلاثة أيام، وبقي على أحسن هيئة إلى أن أدركه الحمام، فكان ذلك إشارة منه إلى قرب الانصرام».

قال: «وكان بالحرم شيخٌ جَبَرتي صالح معتقد، فرأى قبل وفاةِ صاحب الترجمة بثلاثة أيام كأن جنازةً أدخلت الحرم وتشاجر الناس في الصلاة عليها، فظهر لهم الحبيب الأعظم ﷺ، وقال للناس: هذا ولدي؛ ولا يتولى الصلاة عليه غيري، فصلى عليه ﷺ».

قال: «فبقي الشيخُ الجبرتي بعد هذه الرؤيا منتظراً أول جنازة تدخل الحرم بعدها، فكانت جنازةُ صاحب الترجمة، فسأل عنه فأُخبِر أنه من ذريته ﷺ فحدث برؤياه، وخرج مع جنازته، فلم يتخلف عنها أحدٌ لخروجه، لأنه [كان] معتقداً عند أهل المدينة، وكانت جنازته مشهودةً».

قال: «وكنتُ أخرج إلى البقيع كل يوم فلما كان قبل وفاة صاحب الترجمة بثلاثة أيام وجدت قبراً مفتوحاً بالقرب من قُبة السيدة حليمة السعدية رضي الله عنها، فجلست عنده أنتظر أن يؤتى بميّت يدفن فيه، فطال مكثي ولم يأت أحد، وكلما خرجت بعد ذلك وجدته مفتوحاً إلى أن توفي صاحب الترجمة فقُبر فيه.

وسأل رئيسُ المقبرة عمّن بحَث ذلك القبر، فلم يُعلم، فقال الشيخ الجبرتي المذكور: «إن الملائكة بحثوه كرامةً لصاحب الترجمة»، وكان المتولي لتجهيزه الشيخ العلامة محمد بن محمد العزب رضي الله عنه». انتهى.

وقد أكرم الله صاحب الترجمة بالشهادة من جهتين قال ﷺ: **«موت الغربة شهادة»**[١]، و: **«من قتله بطنه فهو شهيد»**[٢]، الحديث.

[الحبيبُ عبد الله بن علوي باعقيل
(....ـ...)]

وكان جدُّ صاحب الترجمةِ الثالث، الشيخُ الإمام قاضي الإسلام، علامة زمانه ونادرة أوانه، عفيف الدين عبد الله بن علوي بن أحمد بن أبي بكر، فقيهاً ذكياً ورعاً تقياً محققاً مدققاً، على قدم عظيم من الزهد والورع والتقشف، وطلب الحلال بكد اليد، مؤثراً للخمول معرضاً عن الفضول، ذا سكينة وخشوع، وتؤدة وخضوع.

ولد بقيدون ونشأ بها، وقرأ القرآن وأخذ بالجد والاجتهاد في طلب العلوم الدينية، فأخذ عن القطب النبراس الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس، وعن الحبيب الإمام عيسى ابن محمد الحبشي، والشيخ العلامة عبدالله بن عثمان العمودي، وغيرهم.

---

(١) أخرجه ابن ماجه، والطبراني، وأبو نعيم في الحلية، وابن عساكر، عن ابن عباس.

(٢) أخرجه النسائي وأحمد والترمذي.

وولي قضاء الأحكام بقيدون فسار سيرة جميلة، وكانت أقضيته مرضية سديدة، وله «فتاوى مفيدة»، إلا أنها لم تدون. وأخذ عنه وانتفع به خلق كثير وجم غفير، منهم سيدنا العلامة عبدالرحمن بن عمر الحبشي.

توفي بقيدون سنة ...[١] ودفن بها رضي الله عنه وأعاد علينا من بركاتهم، آمين.

وقد روى عنه سيدنا الإمام نور الدين عليّ بن الحسن العطاس في كتابه «القرطاس» الحكاية الثامنة والسبعون، ووصفَه بقوله: «الفقيه العلامة السيد الشريف الصوفي الصافي اللطيف، عبد الله بن علوي باعقيل السقاف، صاحب قيدون».

❊ ❊ ❊

(١) بياض بالأصل لسنة وفاة المترجم.

[١١ـ الحبيب أحمد بن محمد بن حمزة العطاس (١٢٥٣ـ ١٣٠٤ هـ)]

ومنهم:

الشيخُ الإمام الشهاب الثاقب جم الفضائل والمناقب، الحبيب أحمد بن محمد بن حسن بن عبد الله بن حمزة بن الشيخ الحسين بن الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس، المشهور بابن حمزة.

الحبيب المحبوب، المطلوب المخطوب، اليعسوب أبو النوب، طبيب القلوب. السيد الكريم والحبر العظيم المستقيم، صاحب القلب السليم، المتكلم على لسان الحقيقة بين الأشهاد، الظافر بالمراد اللابس لثوب النظارة المتكلم على لسان أهل الإشارة، الذي شاعت أخباره وظهرت بالخير آثاره، ولي الله وولي أولياءه القاهر لنفسه، الواقع شرفاً لأبناء جنسه، صاحب القلب المنير، والخير الكثير والقدر الكبير، المخلص في الضمير المشتهر في حب مولاه القدير.

الذي يرى الدنيا تحت قدمه أحقرَ من كل حقير، الذي طيب الله عنصره وبالخير شهره، وفي المذكورين ذكره، وآواه ونصره، وبارك في أعداده وكثره، وخصه بالولاية شهد بها من حضره، وسربله بالنعم وسلطه على الكفرة، المقتحم سبيل الآخرة.

سلالة العترة الطاهرة ذي الولاية الظاهرة والأحوال الفاخرة، حافظ السيرة وزين السريرة، الظافر بالقبول، الفائز بالوصول إلى درجات المثول، الذي ترقى إلى حضرة

القدس، وفنى عن النفس، وطار مع الأحباب، وما وقف مع الأسباب، الموصوف بالبر، حسن العقيدة في الجهر والسر، عارف الدنيا وطلائعها ونوائبها، وعارف الآخرة ومراتبها. وصفَه بهذه الأوصاف والألقاب الإمامُ الأواب الحبيب أحمد المحضار في «مكاتباته» له، جمعتها هنا لما اشتملت عليه من التعريف بهذا الإمام الكبير، عن ذلك الجهبذ الخبير.

ولد رضي الله عنه ببلد الخريبة يوم الأحد لسبع من ربيع الأول سنة **١٢٥٣**هـ ثلاث وخمسين ومائتين وألف، ونشأ بها وعين العناية له مراعية، وعليه من رعاية مولاه واقية، على أكمل حاله من سلامة القلب وصفاء الباطن، ووهبه الكريم الوهاب بلا عناء ولا اكتساب ما لا يدخل في حساب، ولا يوجد في كتاب، فلم يكن له كثيرُ طلب، إلا أنه أخذ بنصيبٍ من المزاحمة بالركب لأهل الرتب.

اتصل من صغره بشيخَيه القطبين الكاملين: الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، والحبيب أبي بكر بن عبد الله، وتعطر منهما بطيب الأنفاس، ومنحاه مما لديهما جذوة ونبراس.

ولما كان سنة **١٢٧٩**هـ، تسع وسبعين ومائتين وألف حصل بينه وبين بعض أقاربه نزاعٌ وخصومةٌ على شيء من العقار كادَ أن يثير بنيهما فتنةً، فأشارا عليه شيخاه المذكوران بترك النزاع والإعراض عن ذلك المتاع، وبشراه بأن يبدله الله بأضعافه من جزيل عطاه، فأخذ الإشارة منهما بهمة قوية وامتثَل أمرهما بصدق نية، وأعرض عن تلك القضية، واستأذنهما في السفر فأذنا له فيه.

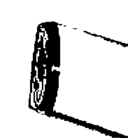
وأشار عليه الحبيب أبو بكر بأن يكون إلى جاوة، وشرح له بعضَ أحوالها وعاداتها فلم ينشرح صدره للسفر إليها لبعد الشقة وعظم المشقة. واستشار شيخَه الإمام ثانياً بعد أيام، فقال له: «فأينما تولوا فثم وجه الله»، ففرح بهذا الإذن العام.

وسافر إلى البلد الحرام فحجّ وكان حج قبل ذلك حجة الإسلام، وتملى بالمشاعر

العظام، ثم إنه مرض مرضاً أدنفه فرأى شيخه الحبيب أبا بكر يبشره بالعافية، ويقول له: «لا تخَف وقد أوصلناك إلى الله»، فمن الله عليه بعد هذه الرؤيا بالشفاء.

وانشرح صدره للسفر إلى جاوه، فسافر إليها وقصد جهة البُوقِيس منها، فواجهته نفحات الله فيها وأشرق في قلبه النور، فأناب إلى دار الخلود وتجافى عن دار الغرور، وعكف على العبادة والأذكار والأوراد والاعتزال عن الأنام، وموالاة الصيام والقيام وهجر الكلام والمنام، وتجشم في مجاهدة النفس عقباتٍ كؤوداً، وصبر في ذلك على مشاق شديدة.

مكث نحو أربعة أشهر يأكل من الشجر ويأوي مع الوحوش، ووِرده كل يوم وليلة ختمة من القرآن وأربعمائة من سورة يس، وأربعة آلاف من سورة الإخلاص، وسبع مرات من دلائل الخيرات، إلى غير ذلك من وظائف العبادات.



وكان يرى أشياخَه الكرام وغيرهم من الأولياء العظام، مدى الأيام في اليقظة والمنام، يبشرونه بإدراك المرام، واتصل في تلك الجهة بالحبيب الإمام الزاهد المنيب عبد الله ابن عيدروس بلفقيه، وقرأ عليه «بداية الهداية» بأمر من شيخه أبي بكر.

وأقام في تلك الجهة بضع سنين وقعت لها فيها وقائع عظيمة من خوارق العادات ونتائج المجاهدات واستجابة الدعوات، وتزوج فيها مرات، وولد له فيها عدة بنات.

ثم توفي شيخه الحبيبُ عبد الله المذكور فتولى غسله والصلاة عليه ودفنه، وحصل له الإذن في الرجوع من جهة البُوقِيس إلى جزيرة جاوه، التي يصدق عليها هذا الاسم عند الإطلاق، مغموراً بمواهب الخلاق مجلياً في حلبة السباق.

واتصل فيها بشيخه الإمام سلطانِ تلك الجزيرة، الظاهر بها ظهور شمس الظهيرة، الحبيب شيخ بن أحمد بافقيه[1]، وحصلت له معه مكاشفات كثيرة، ونال منه إمداداتٍ

---

(١) كان الحبيب شيخ بافقيه في مدينة سورابايا.

غزيرة، وكان وصوله إليه وهو في مرض موته، وكان قد أخبر أصحابه بأن وارثه الذي يتولى تجهيزه سيأتي من جهة البوقيس. فلما وصل صاحب الترجمة أوصى إليه بأن يتولى تجهيزه ودفنه والصلاة عليه، وأقامه في مقامه واستخلفه، فلما انصرف من دَفن شيخه المذكور التف الناسُ حوله واجتمعوا عليه، وما كانوا يعرفونه قبل ذلك، وكان ذلك مبدأ ظهوره، وميقات إشراق نوره.

واتصل أيضاً في تلك الجهة بخاله الإمام العالم العامل عمر بن حسن باهارون، وحضر وفاته وتولى تجهيزه والصلاة عليه.

فأكثرُ انتفاعه وتأسيس مجده وارتفاعه بهؤلاء الخمسة المذكورين: الحبيب صالح بن عبد الله، والحبيب أبي بكر بن عبد الله، والحبيب شيخ بن أحمد بافقيه، والحبيب عبد الله بن عيدروس بلفقيه، والحبيب عمر بن حسن باهارون.

وكان يقول: «ما زالت أنواع النعم تساق إليَّ بغير اختيار، ولا أرى ذلك إلا منه سبحانه وتعالى وإليه»، فانتشرت أخباره بين الناس واشتهرت كراماته عند جميع الأجناس، فهرعوا إليه يلتمسون من بركاته ويستمدون من صالح دعواته. وألبسه الله خلعة جده الشيخ عمر المحضار[1]، فكان سهماً صائباً وسيفاً قاطعاً لمن عاداه أو أساء به الظن، وله في ذلك وقائع كثيرة يطول ذكرها ويتعذر حصرها.

وما زال متنقلاً في بلدان جاوه كالبدر في الجلالة، تحيط به من المهابة هالة، حتى استقر ببلد بتاوي وبنى بها مسجدَه المعروف، وأقام المجالس النافعة وحضرات الذكر الرافعة، فانتفع به الكبار والصغار والمسلمين والكفار.

وكان شهماً شجاعاً مهاباً؛ له وقائعُ مع بعض المخذولين من الإفرنج: بطش بجماعة منهم بدون مبالاةٍ بكونهم ولاةَ تلك الجهات في الظاهر، فمنهم من يأتي إليه مع ما بِهِ

---

(١) كذا بالأصل!، ولعل الصواب: العطاس.

ويعتذر ويطلب العفوَ والدعاء لسماعه بولايته، فيحصلُ له ما يتمناه من أمر دنياه. ومنهم من يشتكيه عند الحكام، ويلاطفُ الله الأمور على خلاف ما يتوهم الناس.

وكانت ترد عليه قدس سره الوارداتُ العظيمة، فكان ربما أخذ ثلاثة أيام بلياليها محتبياً مصطلماً لا يأكل ولا يشرب ولا ينام، ولا يقدر أحد أن يكلمه أو يدنو منه في ذلك الحال. وكان شديدَ الخوف والخشيةِ لمولاه سبحانه وتعالى، إذا اشتدّ عليه ذلك لا ينتفع بنفسه ولا ينتفعُ به أحد.

حُكي أن بعضَ الناس ذكر له الموتَ والقبرَ ليلةَ زفافِ له قدس سره، فاصطلم ولم يدخُل على تلك المرأة، وبقي مقبوضاً عدة أيام، ولهذا كانَ قدس سره يحبّ السماع ويميلُ إليه، ويتسلّى به ويصفو له به الوقت، ولا يبالي بأيّ آلةٍ كان.

وكان الحبيبُ الإمام صالح بن محمد الحبشي كثيراً ما ينشد هذا البيت، ويقول: «إنه على لسان حال الحبيب أحمد»:

ما لي وللناسْ من خيّر ومن ذي شِرَهْ ... دوّر لمقـصُود هـو في عُـود أو طَنْـبره

وبعد إقامته ببتاوي بضعَ سنين، حصل له الإذن في الرجوع إلى جهته الحضرمية، فرجع إليها ظافراً بكل أمنية، وذلك سنة ١٢٩٦هـ، ست وتسعين ومائتين وألف، فكانت غيبته عنها ثماني عشرة سنة، وخرج بأموالٍ غير قليلة صرفَها في أنواعِ البر والمعروف، وكان ذلك مصداقُ وعد شيخيه الكريمين بحصُول البركة، والعِوَض عن النزاع الذي تركه.

وكان يومُ وصوله إلى بلده يوماً مشهوداً، وعيداً جديداً، لاقاه الأعيان وأشرق بنوره المكان والزمان، وغمر القاصي والدان بالبر والإحسان.

[تهنئة الحبيب أحمد المحضار بوصول المترجم]:

ومما كتبه إليه الحبيب الإمام أحمد المحضار تهنئة بقدومه:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي نوّر هذا العام، بوصول هذا الإمام، والسيد الصمصام، عالي المقام، وارث السلف الكرام، الحاوي للفضائل، السالم من الغوائل، الواصل بالرأفة والرحمة لهذه الأمة، وهذه البركةُ بيننا مشتركة من رب العباد، أكمل الله به الإيناس، ونفع به الجِنةَ والناس، وملأ به الأكياس، بعد ما طال بها الإفلاس».

إلى أن قال: «اعتمدْ في مذاهبك، واقتصد في مواهبك، ولا تغرك المزاهز في الزمان العاجز، فإن دَوعن مغناطيس، يغطّس الراكب، ويخرج الماءَ من بين الصلب والترائب».



إلى أن قال:

يقول أبو حامد حمدناالله ذي يعطي الجزيلْ
ذي منّ بالسيد حمد عطاس ذي ما لُه مثيلْ

ولد محمد بن حَسن بن حمزة الفرْع الطويلْ
بن الحسينِ الشيخ بنِ القطب ذي سَيفه صقيلْ

السيف الأخضَر دُوبْ يقطع به رقاب أهل
بلّغْ بني العطاس والباراس قَولي يا دليل

وأهل الوجوه البيضْ من أهل الخريبة والمسيلْ
وبعدُ يا غادي إلى وادي المباني والنخيل

وادي النبي يا خيرْ وادي عندنا ما به بديلْ
لو لا الخسائرْ من قِلالِ الخير ترقَح بالصميل

والسيد العطاسْ قد جا للنزيلةْ والنزيل
يا مرحباً به جمْ با يأوي إذا جاه الدخيل
أهل السياسةْ والرئاسةْ من على الزّام الدّويل
وأهل المتاجر والمفاخرْ والجنان المستطيل
من بعد ما ولتْ وجاك أحمدْ لها يهشِلْ هَشِيل
وردّها بكْراً وكثّرها وقد كانت قليل
تضرب له الخاناتْ والخيل التي تصْهَل صَهيل
والطارْ والمطْرد مع القصبة وحنات الرفيل

ولهذا الإمام الكبير من سيدنا المحضار مكاتبات كثيرة متضمنة من مدحه نثراً ونظماً لآل وجواهر من ذلك قوله:

يا شديدَ القُوى يا ربّ يا خير فتّاحْ
قدِّر الخير واجعَل تاليَ الأمر إصْلاحْ
يوم جانَا ولد حمزةْ حمَدْ طبّ أرواح
أصلح الحال وأمسى كلّ مهموم مرتاحْ
ذي معه ساقْ يسعى به ووقته تِفرّاح
جَوك من عَمْد زُوّارك وسرّ الهوى باح
حضروا الحضرة العُظمَى وقولكْ والامدَاحْ

ومن ذلك قوله رضي الله عنه:

أنت مفسوحْ يا العطاس في القول مفسُوح
هبّ نَود الصّبا يا ناس من ذلك السُّوح

لاح برق الحمَى وأمسَى به القلب مشْروحْ
أشرقَت شمسْ بن حمزَة وأحيى بها الروح

الله أعطاه وأمسى الصدر بالخير مفسُوح
والعطا والرضا والبابْ للضيف مفتوح

سرّ عيسَى مع مَرْيم وآدمْ مع نُوح
والبتول النظيفة وأمها سرّ مذلوح

ذاك نور النبي ما ينكره غير مليوح

وقد مدحَه كثيرٌ من الناسِ بقصائد نالوا بها من مدده جزيل عوائد، منهم الشيخ محمّد الراضي المكي، لما زاره ببلد بتاوي.

ومن قصيدته قوله رحمه الله:

أحمدُ الناسِ كلِّهم فهو فردٌ ... ما لَه في عُلائه من ثَاني
هو شيخُ الشيوخ من قد تَعالى ... وتسامى فخراً على الأقْران
مركزُ المجدِ محرِزُ السعدِ حقاً ... معجِزُ الصدقِ من فصيح اللسان
عالمٌ عاملٌ وفيٌّ سَخيٌّ ... سيدٌ جيِّدٌ أخو الإحْسان
هو شمسُ العلوم في كل واد ... وسناها زاهٍ برغْم الشاني
هو بحرٌ يجري بفيضِ علوم ... أيُّ بحرٍ يحكيه في الجريان

إلى أن قال:

هو من بيتِ سؤدُدٍ طهّر الله ... بناهُ فهو الرفيع المباني
آلُ بيتِ النبي ما لي سِواكم ... ملجأ أرتجيه في الحدثانِ
أنتمُ في الورى ملوكُ المعالي ... ليسَ إلا من كل قاصٍ ودانِ
كل فخرٍ في غيركم آل طَه ... فهو منكم على مدَى الأزمان
من يضاهيكمُ وقد ثبتَ الـ ... ـنصُّ عليكم بالمدح في القرآن

[١٢ـ الحبيب سالم بن أبي بكر العطاس (...ـ ١٢٩٥هـ)]

ومنهم:

الشيخُ الإمام، جوهرة عقد العصابة، وإمام الحق في مراتب النقابة، من كشفت له الحقيقةُ جلبابَها، وألقَت إليه أزمةُ المعارفِ أربابَها، ورجعت إليه في حلِّ عويصها وتذليل صعابها، الحبيبُ العارف بالله سالم بن الشيخ القطب الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، تقدم رفع نسبه في ترجمة أبيه الإمام.

ولد ببلد حريضة، وسماه الحبيب القطب صالح بن عبد الله كغيره من إخوانه، وبشر به قبل وجوده الحبيب العارف المكاشف أحمد بن عمر المشهور كغيره من إخوانه. كان قدس سره من الهداة المهتدين والأئمة المقتدَى بهم في الدين، تأدب بأبيه وأخذ منه وحلَّ عليه نظره، وشملته عنايته وغمرته بركته، فبرز في خلعة من الأخلاق والآداب والأنوار، تبهر الألباب والأبصار، وفُتح له الباب وكُشِف له الحجاب، فكان يخبر بالمغيباتِ وتخرق له العادات، وهو الراوي عن والده الإمام ما تقدم في ترجمته من التنويه والتيسير، بمقام سيدنا الحبيب الكبير.

قال شيخنا الحبيبُ الإمام أحمد بن الحسن العطاس قدس سره: «كانت وفاة الأخ سالم بن أبي بكر فجأة، ولقيته بعد وفاته، فسألته عن سبب موته؟ فقال: صفاءٌ في الوقتِ اغتنمته». وقال أيضاً: «دعاني الأخ سالم ذات يوم في حياته وهو في مسجد الحبيب محسن، فجلست عنده فقال لي: انظر انظرْ، فرأيتُ الكون يدور كالعجلة، فقلت له: قُم خلِّ

الفُضول، وقمنا من ذلك المجلس، وكنتُ أنا والأخ سالم نتداعى بالخواطر، وجاءني الأخُ سالم ذات يوم بعد وفاته طائراً في الهواء».

وقال شيخنا الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي قدس سره: «قال الأخُ سالم بن أبي بكر: دخلت من سدة سيؤون ذات يوم فأدركَتني حسرةٌ لأهلِ السِّحيل، لما هم عليه من الغفلة، والحالُ: إنّ ساحةَ طه يتقاسمون العلوم والخيرات أهلُها فيها، ووقفتُ أفكّر في ذلك، فظهر لي رجلٌ حائك، وقال: يا سالم أنا هاهنا أكفي أهل السِّحيل!». والسِّحيل: هو جانبُ سيؤون القبلي.

وقال رضي الله عنه: «صليتُ ذات يوم أنا والأخ سالم خلفَ الأخ علوي بن عبدالرحمن السقاف في مسجد طه بسيؤون، فبعد الصلاة قال لي الأخ سالم: إن الإمام طوّل السكتةَ بعد الفاتحة، إني أتيتُ فيها بألفٍ وخمسمائة من سورة الإخلاص!، قال الحبيب علي :«وهذه هي بركة العمر».

وقال رضي الله عنه: «رأيتُ سالم بن أبي بكر بعد وفاته، فقلت له: دوّرْنا لك في البرزخ ما وجدناك!، فقال: أنا في البيت المعمور، في قبةِ البرزخ، مع المقربين من الأنبياء والمرسلين. ورأيتُ عبدَالقادر بن عمر السقاف، فقلت له: اتفقتوا بسالم بن أبي بكر؟ فقال: نعم؛ قلت: كيفَ حاله؟ قال: نادى الحقُّ في أهل البرزخ كلّهم بضيافةٍ شهراً لقدومه، من ماتَ فيه لم يعذب».

وقال قدس سره: «رأيتُ الحبيب أبا بكر العطاس، وقال: أتعرِفُ ولدي سالما؟ فقلت: نعم، فقال: أتعرف حاله ومقامه؟ فقلت: لا!، فذهبَ بي إلى مكان نفيس واسع جداً، ورأيتُ الأخ وعليه من الأنوار ما لا يوصف».

* * *

[١٣ـ الحبيبُ عيسى بن محمد الحبشي
(... - ١٢٩٦هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام القطب قاضي الإسلام، المتحرّي في الأحكام والزاهد في الحطام، الصادق في نقْضه والإبرام، الحبيبُ العلامةُ عيسى بن محمد بن عبد الرحمن بن عمر بن محمد بن الشيخ عيسى بن محمد بن الشيخ أحمد بن محمد الحبشي، صاحبُ قيدون القائم بالمفروض والمسنون، الراسخ في منهج الشرع المصون، خاتمةُ القضاة الورعين، المتمكنين في الإيمان واليقين.

ولد بقيدون ونشأ بها، وقد تأدب بأبيه، وأخذ عنه ما تلقاه عن أهليه، وأخذ العلوم الدينية والطريقة العلوية بقيدون والخريبة، عن الحبيب عمر بن أبي بكر الحداد والشيخ أحمد بن محمد باشميل.

ورحل إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين، وزار جدَّه سيد الكونين ﷺ، وسمت همته إلى منصب العلم الشريف، فبذل في تحصليه كل تالدٍ وطريف، وجاور بمكة المكرمة خمسَ سنين، أحرز فيها من العلم كنزاً ثمين.

أخذ عن الشيخ محمد صالح الريس، والشيخ عمر بن عبد الرسول، وعن أخيه العلامة حامد بن محمد، ودخل اليمن وأخذَ عن العلامة عبد الرحمن بن سليمان، وعن العلامة يوسف البطاح، وكلل الله مسعاه بالنجاح، فرجع إلى وطنه من العلم بأعظم الأرباح.

وكان رجوعه إلى وطنه بإشارة أخيه: الحبيبِ حامد المتقدم ذكره، كان أسن منه وقد جاور مكة لطلب العلم قبلَ صاحب الترجمة بعشر سنين، ولما حضرته الوفاة، حثَّ صاحبَ الترجمة على الرجُوع وبه أوصاه، فرجع شاكراً مسعاه، حامداً لله.

[خبرُ توليه القضاء]:

وصادفَ وصولُه فراغَ رتبة القضاء عمّن يتولاه، فرغب إليه في قبوله الوالي وولاه، فسلك فيه مسلك النجاة، وقام به قيام من يتقي الله ويخشاه، لم يخف في الله لومة لائم، ولم ينقم عليه شيئاً من أحكامه ناقم، إذا جلسَ في مجلس الحكم لم يقُم حتى يفصل بين المتحاكمين، ويكره البَرْزةَ ـ النجوى ـ من المتحاكمين كراهةً شديدةً، حتى إذا قال له بعضُ المتحاكمين: «قم با أبرُز بك»، يقول له: «ابرز بأمك!»، وكان يقول: «طلبُ البرْزَة بالحاكم من أحدِ المتحاكمَين علامةُ ظلمِه وضَعفِ حجته».



واتّفق أن قال له بعضُ المتحاكمين: «قم با ابرز بك يا حبيب عيسى»، فقال له: «ابرز بأمك»، وكان ذلك القائلُ طويلاً جسيماً، فبعد ساعة قال له آخرُ مثلَ ما قال الأول، وكان قصيراً نحيفاً، فقال له قدس سره: «ما قُمنا للطوال حتى نقوم للقصيّرين!».

واتفقَ أن بعض المتحاكمين جاء إليه قبل جلوسه للحكم، وأعطاه خمسة ريال، فقال له: «ما هذا؟»، قال: لكُم! معنا دعوَى اليوم عندكم نحن وفلان، فرمَى الريالاتِ في الأرضِ وصعَد إلى سطح داره ونادى: «لا إله إلا الله يا غافلين!»، ففزعَ من سمعه من جيرانه، ونظر بعضُهم إلى الشمس لعلَّ أن تكون مكسوفة، لأن عادةَ أهل دَوعن النداءُ بذلك عند الكسُوف، فلما رأى أن الناسَ أنصتوا قال: «إن فلاناً جاني اليوم يبايعني في ديني بخمسة ريال»، فصار ذلك الشخصُ ضُحكةً للسامعين، وشاعَت في الناس منزلةُ صاحب الترجمة في الدين.

وقال له بعضُ القبائل حملةُ السلاح المتحاكمين إليه: «أنت تعرفني!»، مُوعِّداً

ومخوِّفاً له بذلك، فقال له: «ما أعرفُني بك، أمُّك فلانة، وأبوك فلان، وأنت كذا»، وأخبره بما يخفيه من عيوبه، فأسكته وأهانه وأغاظَه وأغضبَ شيطانه، غيرَ مكترثٍ بتهديده، ولا منزعجٍ من وعيده، ومن عرفَ الله لم يخش سواه، ولم يرغب في غير رضاه.

وبذلك وُضِعتْ له الهيبةُ في الصدور، وعرف الناس عدم ميله إلى غير الحق لأمر من الأمور، كما أنه كان منيباً إلى دار الخلود، متجافياً عن دار الغرور لم يكن محابياً لأحد من الأنام في فعل ولا كلام، عرف بذلك عند الخاص والعام.

وكان على قدمٍ من الاستقامة، محافظاً على أداء الصلوات في الجماعات، مسارعاً إلى فعل الخيرات، موصلاً للأرحام والجيران، قائماً بحقوق الأصحاب والإخوان، متباعداً عن الشهرة وأسبابها، وارداً على الأمور من أبوابها، مقتصراً في ملبسه ومطعمه ومسكنه، إذا تيسّر أدونُه لم يحرصْ على أحسنه.

وكان خاشعاً متواضعاً عظيمَ الخشية في مولاه، اشتريَ له (كامل)، وهو كساءٌ يدخل فيه النائم ويربط مدخلَه للوقاية من البَق، فلما استعملهُ علَّ نومُه، وقال: «ذكّرني الكفنَ والقبر، فأطار نومي»، ولم يستعمله بعد ذلك.

وكان الحبيبُ القطب أحمد بن محمد المحضار يقول له: «أنت يا عيسى أمةٌ وحدك!».

وكفى بهذه الكلمة من هذا الإمام ترجمةً لصاحب الترجمة، فقد قيل: إن الأمة من اجتمع فيه من صفات الكمال وصفات الخير والأخلاق الحميدة ما لا يجتمع إلا في أمة، وقيل: هو القائم في عبادة الله مقام أمة، وقيل: هو معلم الناس الخير، وقيل: هو الإمام المقتدى به، وقيل: هو القائم بحقوق الله وحقوق عباده المنزوي عن ما الناس فيه من القيل والقال والتباهي والتفاخر بالجاه والمال مع المثابرة على صالح الأعمال، أو هو القانت لله المؤمن بالله الشاكر لأنعم الله الذي اجتباه الله وهداه.

وكل هذه الصفات مجتمعة في صاحب الترجمة وصادقة عليه رضي الله عنه.

وكان كثيراً ما يقول: «هذا زمانُ كلْ قرصَك، وادخُل خُلصَك، واستتر من الشر بقَرْملة»، وكان يقول: «البسْ لباساً لا ينكره العالِم، ولا يزدريه الجاهل».

وكان يقول: «لا تجلس عن يسار المحتشِم حتى توطِّنَ نفسكَ على عدم المشقّة إذا أخِّرتَ في المصافحة ونحوها، لأن السنةَ الأخذُ على اليَمين».

وقال ولدُه شيخُنا الخال عبدالرحمن بن عيسى: «مررتُ مع الوالد على ندَّافٍ يندفُ ويغنّي، فوقفَ عليه، ثم التفتَ إليّ وقال: «انظر إلى هذا زادَ على أبيه، كان أبوه ينذِف ولا يغني، وهذا ندفَ وغنّى»، فعرفت: أنه يريد موعظتي ورفعَ همتي بذلك».

وله شعرٌ حميني لطيف، مرَّ على مغنٍّ يقول:

يا ليل مَطْوَلكْ يا ليلَ الشتاءْ يا الطّويلْ

فذيّل عليها وجعلها قصيدةً طويلة ضمنها معنى قوله ﷺ: **«الشتاء ربيعُ المؤمن؛ قصر نهارُه فصامَه، وطال ليلُه فقامَه»**[1].

وله مديحةٌ في شيخِه أبي سَودان لما شرحَ «راتب القطب الحداد».

وله قصيدةٌ أخرى قالها تهنئةً بختمِ الحبيب طاهر بن عمر الحداد للقرآن العظيم ومدح فيها الحبيبَ علي بن عمر، وكان بينهم أخوّةٌ مكينةٌ ومحبة، ومودةٌ وصحبةٌ ومصاهرة، ومناصرةٌ على الخير ومؤازرة.

[الآخذون عنه]:

وقد أخذَ عن صاحبِ الترجمة وانتفع به خلقٌ كثير، منهم: الحبيب طاهر بن

---

(١) رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن.

عمر، وولدُه سيدي قدس سره، وسيدي الوالدُ رحمه الله، وأولاد صاحب الترجمة: أحمد، وعبدالرحمن، والحبيب العلامة أحمد بن عبدالله باعقيل، وغيرهم.

وكان إذا رأى سيدي الحبيبَ قدس سره يتلو قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ﴾، ويقول: «قرَّةُ العينِ مثلُ هذا الولد»، ويشير إلى سيدي الحبيب قدس سره.

وكان يقول لسيدي الحبيب قدس سره إذا أرادَ أن يقرأ عليه: «قِدَكْ قاري يا محمد، ولكن قراءتُك عندَنا لقصدِ التبرك».

وكان سيدي الحبيب قدس سره يقول: «كان الحبيب عيسى يقول :علم طلبة العلم في هذا الزمان علم شَرطة!، فقلت له: «وما علم الشَّرطة»، فقال: «إذا قرأ أحدُهم عند الشيخِ وضعَ الكتاب في الشَّرطة ـ وهي: الطاقة والرف ـ ولم يطّلع، فإذا جاء وقتُ المدْرَس أخذَ الكتاب وقرأ من غير مطالعةٍ ولا مراجعة، فلم يحصِّلوا شيئاً».

وكان يحكَى عنه أنه كان يقول: «من صلّى من أهل الزمان ركعتَين، أو قرأ سطرين، عظُمَ عند نفسه وحسب أنه على شيء، وجلس كأنه منتظرٌ الوحيَ بما فعل! وهيهات، هيهاتَ أن تدرك المعالي إلا بسهر الليالي!!».

وكان يحكى عنه أن كان يقول: «إن في صُدور العامة من أهل الزمان شياطين، فإذا اجتمعوا لديكَ وأشغلوك وأردتَ خروجَهم فاقرأ في كتابِ أورادٍ أو ذكر، فإنهم يضيقون ويخرجون». انتهى.

وكان بين صاحبِ الترجمة وبين الحبيب العلامة عمر بن حسن الحداد أخوةٌ وصحبة، ولما كان ليلةَ وفاته صار يلهجُ باسمه: «يا عمر، يا عمر»، ولم يَعرِفْ قصدَه بذلك من حضر، وفي صبح تلك الليلة وصلَ الحبيبُ عمر بن حسن من القرين وكان هو الذي صلى عليه.

وكانت وفاتُه ليلةَ الجمعةِ لاثني عشر خلت من جمادى الآخرة سنة ست تسعين ومائتين وألف، وكان آخر كلامه: «لا إله إلا الله»، ودفن في المقبرة المعروفة بمقبرة (أبو حسينة) ببلد قيدون عند قبور آبائه الكرام، وقبره معروف.

وهو بحمد الله جديَ الأدنى، أبو والدتي، وقد رآني ودعا لي وبرّك عليّ، وكان وجودي قبل وفاته بعشرين يوماً، رحمه الله، ونفعنا به وأعاد علينا من بركاته في الدارين، آمين.



[١٤ـ الحبيب علوي بن سالم خرد (نحو ١١٩٢ ـ ١٢٩٧هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمامُ، الحبيب المحبوب، الولي الصفي المجذوب، الغائب في الشهود، الذاهل عن الوجود المنغمس في فيوضات الكرم والجود، الحبيب علوي بن سالم بن أبي بكر بن عبد الله بن زين بن أبي بكر بن زين بن محمد بن علي بن زين بن علي بن علوي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد بن الشيخ عبد الله باعلوي، المشهور كأسلافه بخِرِد، الزاهد المجتهد.

ولد ببلد بُضة، أو بحُصن باعَبد الصّمد، قرية متصلة بها، ونشأ في حجر أبيه وعمه وتأدب بهما، وسار بسيرهما ومشى على إثْرهما، مجبولاً على صفاء الفطرة وسلامة الصدر والغفلةِ عن الوجود وما فيه مما لا يعنيه، مع الاستقامة التامة، والذهن الكامل، الذي يذكّر بسِيَر الماضين من أكابر الزاهدين.

قال شيخُنا الإمام المؤتمن، الحبيب أحمد بن الحسن العطاس عند ذكرِه لصاحب الترجمة: «كان من أولياء الله، وكان يقول: لي ثلاثٌ وثلاثون سنةً ما نمتُ فيها ليلاً ولا نهاراً إلا غفْوات»، قال: «وعدمُ النوم رتبةٌ من مراتب الولاية».

وحجّ ستاً وثلاثين حجةً، كلها له إلا واحدةً لوالدته، ولم يحج بالأجرة.

وبلغنا أن الحبيبَ أبا بكر بن عبد الله العطاس كان يقول: «علوي خردْ من طيور الصّف»، وطيورُ الصّفِّ: هم الأفرادُ الذين لا يدخلون تحت دائرة القطب.

وكان من أهلِ الخطوة الذين تطوى لهم الأرضُ وتقربُ لهم المسافات البعيدة. خرج ذاتَ يومٍ مع بعضِ محبيه من آل بَغلفْ يطوفان في الحجْل في (الأجرات)[١]، فلما وصلا عند بعض الحيضان، قال بغلف: يا حبيب علوي! هذا الحوضُ معنا محاكمة غداً فيه، وخطوطُنا التي با تقوم بها حجتنا في المكلا، معَنا هناك، فقال له الحبيب علوي: «هاتِ قفلَ الصندوق، وسآتي بالخطوط من المكلا قبل المحاكمة».

فأعطاه إياه، وسافر إلى المكلا ولم يأتِ وقتُ العصر إلا وقد وصلَ المكلا وأخذ الخطوط ورجع، ولم تُشرقِ الشمسُ برؤوسِ الجبال إلا وقد وصل إلى الأجَرات، وأعطى بغلفْ الخطوطَ قائلاً: «شف الرجال ينسِبُ ذلك من نفسِه إلى الشطارة»، غافلاً عن كون ذلك كرامة.

وكان سيدي الحبيب أحمدُ بن محمد المحضار يمزحُ معه كثيراً وله معه حكاياتٌ لطيفةٌ تُظهر من مكنون حالِ صاحب الترجمة أسراراً لطيفةً، قال الحبيب أحمد المحضار: «وأردتُ أن أترك المزح معه فرأيت النبي ﷺ، وجلستُ معه، فجاء الحبيب علوي فأشار إليَّ النبيُّ ﷺ أن أمزحَ معه، فقمت إليه».

وكان الحبيبُ أحمد المحضار هو الذي ألحدَ صاحب الترجمة بعد وفاته، واستعمل المزحَ معه في ذلك الوقت، قال: «كيف مُتِت يا علويْ! وأنت ما بدا مُتِت؟».

وكان صاحبُ الترجمة يقول: «إذا قد الماء للوضوء والشرب في الزير، والحطب للقهوة عند الموقد، والنجْو في الموضع المعدّ له؛ فعلى الدنيا العفاء».

وما زال على أكملِ حالةٍ حميدة، وأجمل سيرة سديدة، إلى أن توفي إلى رحمة الله وسعِد بقربه ورضاه، في بلد بضة، سنةَ سبع وتسعين ومائتين وألف.

---

(١) وقد تكتب (لجرات)، وهي مجموعة قرى معروفة في وادي دوعن.

٥٨٨

ذكره شيخنا المشهور في «شمس الظهيرة» وترجمه في «الشجرة الكبيرة»، قال: «كان سيداً فاضلاً ناسكاً، متواضعاً متقشفاً، حجَّ ماشياً ثلاثين حجة، ولم ينم بالليل نحو خمسين سنة. وله مكاشفاتٌ ومشاهدات، واتفاقات برجال الغيب وأهل البرزخ». انتهى.

وقال شيخُنا الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي قدس سره: «قال لي الحبيب علوي: شف طريقنا إلا سهلة، لي خمسين سنة ما نمتُ فيها، يقول هكذا وهُوَ قد شقَع الشَّوع»، أي: جاوز الحد في المجاهدة. «وكان يباشرُ الخدمةَ بنفسه، ولما جئنا إلى منزله ما ترك أحداً يحط الخُرج من دابتي وأخرجَه هو، وإذا قمتُ إلى الخلاء ملأ لي الإبريق ماءً، وتعمَّر مائةً وخمسَ سنين، وكان يسافر إلى الشحر والمكلا ماشياً».



[١٥ـ الحبيب حسن بن أحمد العيدروس (١٢٣٤ ـ ١٣٠٤هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام الجواد الكريم، والواصل الموصل المستقيم على المنهج القويم، الحبيب العارف بالله حسن بن أحمد بن حسين بن عبد الله بن علوي بن أحمد بن علوي بن أبي بكر بن عمر بن عبد الله بن علوي بن الشيخ عبد الله العيدروس، نفع الله بهم، وأعاد علينا من بركاتهم في الظاهر والمحسوس.

ولد ببلد بَور في شهر رجب سنة أربع وثلاثين ومائتين[١] وألف، وتوفي بتريم في شهر محرم سنة أربع وثلاثمائة وألف، ودفن في قبة جده الشيخ عبد الله العيدروس على يمين الداخل من بابها النجدي، وهو الذي بنَى القبةَ المذكورةَ بناءَها الموجودَ الآن بعد أن تداعَى بناؤها القديم للانهدام، فجدد بناءَها وطلبَ أن يُدفن فيها، فأسعفه الله بمرامه.

كان من الهداة المهتدين، العلماء العاملين، الصلحاء المصلحين، الواصلين والموصلين، وقد تقدم عن سيدي الحبيب قدس سره في الفصل الحادي عشر من الباب الثاني أنه قال: «إن صاحبَ الترجمة وصلَ إلى الله من أربعة عشر طريقاً».

وكان بينه وبين سيدي الحبيبِ قدس سره كمالُ الاتصال، وكان بينهما الائتلاف التام والمودة الكاملة، لمناسبة ما جُبلا عليه من البر والإكرام، والهمم العالية في صلاح المسلمين والإسلام.

(١) في الأصل: ثلاثمائة، وهو سبق قلم لا شك.

وقد أخذ صاحبُ الترجمة عن أكابر عصره كالحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر والحبيب الحسن بن صالح البحر والحبيب أحمد بن عمر بن سميط والحبيب الحسن بن حسين الحداد والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس والحبيب محسن بن علوي السقاف وغيرهم.

يروى عن الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس أنه قال: «حسنُ بن أحمد العيدروس من أهل القرنِ الأول!، لكن أخّره الله إلى هذا الزمان رحمةً لهذه الأمة».

وقال شيخُنا الإمام القطبُ المكين نور الدين، ومجدد الإيمان في قلوب المؤمنين، الحبيب علي بن محمد الحبشي قدس سره: «عقدنا الأخوّة في الله أنا وحسن بن أحمد مرتين: أولُ عقدٍ عقدَه بيننا المصطفى ﷺ في المدينة المنورة.



وثاني عقد عقدناهُ في بيته ببور، مع الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي والحبيب علي ابن سالم بن الشيخ أبي بكر، والحبيب عبدِ الله بن حسن البحر، بعد أن رجَعنا من حوطة الشيخة سلطانة الزبيدية إلى عنده، رحب بنا، وقال: أنتم الذي أريدُكم وأتمنى وصولكم إليّ، منَّ الله بقدومِكم عليّ، وأطلبُ خصلةً واحدةً ساعدوني عليها، فقلنا: وما هي الخصلة؟ قال: عقْدُ الأخوة بيننا البين، فقال الحبيب عيدروس: با نساعد حسن على ما أراد، فعقدناها بلفظ: «عقدنا الأخوّةَ في الله، والناجي منا يوم القيامة يأخذ بأيدي أصحابه»».

قلتُ: وهؤلاء السادةُ المذكورون كلهم مترجَمون في هذا «المجموع» بحمد لله.

قال شيخُنا الحبيب علي الحبشي قدس سره: «وقد صدقَ معي الأخُ حسنٌ في الأخوة، كنت إذا أشرتُ عليه بشيءٍ من أعمال البرِّ بادر إليه بمجرد الإشارة.

ولما كنا بالمدينة المنورة كنتُ جالساً ذات يوم في خلوتي، فإذا بحسن بن أحمد دخل علي بوجهٍ غير الذي أعهده منه، فقلت له: مالك؟ قال: اليوم النبي ﷺ حولني عليك، فقلت له: ما أنا أهل لحوالة النبي ﷺ، ولكن ما حد يرد حوالة حبيبه، الحوالة مقبولة، قال:

دخلتُ الحجرة الشريفة هذا اليوم فإذا نورٌ خرجَ من ضريح النبي ﷺ واتصلَ بالسماء، ثم تشكلت لي من ذلك النور صورةٌ إنسانية، فإذا هو النبي ﷺ سلم عليَّ فرددتُ عليه السلام، وقبلت يدَه، فقال لي: يا حسن؛ تريد السر؟ قلت: نعم، قال: سِرْ عند علي حبشي وخلّه يجيزَك ويلقنك.

فقلتُ له: بشرك الله بالخير، ما يسعني إلا امتثال ما قاله الحبيبُ الأعظم ﷺ، فأجزته ولقنته، ثم قال لي: خذ لي الفال، انكُش لي في ديوان الحبيب عبد الله الحداد، فنكشتُ له فجاءَ النكشُ على قوله (شعراً):

وكسرَ إبراهيمُ أصنامَ قومِه وأبقى كبيراً كي يروحُوا بخزيةِ

فقال: فسِّرها لي، فقلتُ: المرادُ بالأصنام في حقك الرئاسة العيدروسية، خرجت منك، ونفسُك ماتت، فقال: انكُش لي، أنا أحب النبي ﷺ، فنكشتُ فجاء قوله (شعراً):



هل أنتِ يا ستَّ الملاحِ تدرينْ بما أقاسي وبما أعاني

فقال: تحبه ويحبك، فقال: انكُش لي، هل عادني أعود إلى المدينة؟ فنكشت، فجاء قوله (شعراً):

عسى عودةٌ للمستهام ورجعةٌ إليك لتقبيلِ الثَّرى والمآثرِ

فقلت له: عادك باتعود إلى المدينة، فعاد.

ثم إني قلت: هذا نكْش، بغينا تحقيقَه عياناً، فأخذتني سِنَةٌ فإذا النبي ﷺ دخلَ عليَّ وأشرق نوره لديّ، وقال: يا علي، فقلتُ: لبيك! قال: نكشتوا في «الديوان»، قلت: نعم، قال: النكْشُ كما رأيتوه».

وقال رضي الله عنه: «قال لي حسنُ بن أحمد: سمعتُ هاتفاً ذات ليلة يقول لي، يا حسن، قلت: لبيكَ؛ من أنت؟ قال: جبريلُ أريد عندك، فقلت له: مرحباً، فدخل عليَّ

وقال لي: الحقُّ جلَّ وعلا يدعوك، قلتُ: مرحباً بدعوته، فقام بي حتى أوقفني بين يدي الله تعالى، وإذا النداء من قِبل الحقِّ جل وعلا: يا عبدي حسن، قلت: لبيك، قال: أتدري بماذا غفرتُ لك؟ قلت: لا أدري، قال: بثلاثِ خصال، وفّقتك لها، قلت: وما هي يا رب؟ قال: برك بوالديك، وصلتك لأرحامك، وقيامك الليل». انتهى.

قال الحبيب علي قدس سره: «وهذه ما هي رؤيا هو إلا إسراء، ووراثةٌ له ﷺ».

وقد بالغ صاحبُ الترجمة في برِّ والديه وصلة أرحامه، حتى العلماء نقلهم إلى بلده وأنفق عليهم لتعليم أقاربه وأرحامه، ولا ترك قيام آخر الليل أبداً حتى في السفر. صحبتُه في سفر في ساعية، فكان يقومُ آخرَ الليل مع شدّة الريح.

ولما قدمنا إلى تريم وحسنُ بن أحمد مريضٌ مرضَه الذي توفي فيه، دخلتُ عليه أعوده، فقال: يا علي، قلت: لبيك، قال: أخرِجْ من كان عندك، معي كلام لك، لا أريد أن يسمعه أحد. فأخرجتُ من كان هناك، وخلَوتُ به، فقال: اجلسْ بجنبي، فجلست، فقال لي: النبي ﷺ عقدَ الأخوة بيني وبينك؟ قلت: نعم، قال: أُخبِركَ أني قادمٌ على الله في مرضي هذا، وربي قد بشرني بما أعدّه لي في الدار الآخرة، وأحببتُ أن أخبرك بما أعطاني؛ أعطاني كذا وكذا، وعدّد لي ما أكرمه به ربه، فقلت له: هذا الذي نرجوه لك وأكثر منه». انتهى.

حج صاحبُ الترجمة مرات، واتصل من جده الأعظم ﷺ بأعظم الصِّلات، وفي بعضِ حجاته أخذَ طريق البر من قعوضة، يقصِد تمهيدَ طريق البر من حضرموت إلى مكة، وضَبْطَ مراحل الطريق، وأخذ على من مرَّ عليه من قبائل العرب بتأمين المسافرين العهدَ الوثيق، ورحل إلى جاوه، وأكرمه الله بأموالٍ عظيمة، أنفقها في وجوه البر ومناهجها القويمة.

قال شيخُنا الحبيب علي بن محمد الحبشي قدس سره: «احتاجت الدولة الكثيرية إلى خمسمائة ريالٍ لبعضِ الأمور المهمة، فقال الحبيبُ حسن بن صالح البحر: من أعطى الدولةَ

خمسمائة ريالٍ ضمنتُ له على الله الجنة»، قال الحبيب حسن بن أحمد العيدروس للحبيب حسنِ بن صالح: «اكتب الضمانة»، فكتبها، وسلم القَدْر المذكور.

واحتاج الحبيبُ أبو بكر بن عبد الله العطاس إلى ثلاثمائةِ ريالٍ لبعض الأمور، فسلمها الحبيبُ حسن بن أحمد، وأعطاه الحبيبُ أبو بكر ضماناً بالجنة لزوجته بنت باناعمة، فماتت قبلَه فرآها في المنام، فقالت له: قد صحّت الضمانةُ وأدخِلتُ الجنة.

وقالَ سيدنا الحبيبُ الإمام عمر بن حسن الحداد لما ذُكر له صاحبُ الترجمة: «إنه بقية ناس، وعلى جانب من الاستقامة والجود والتودّد إلى الأولياء والأخيار، فهو من أعيان أهل وقته».

وقال الحبيبُ العلامة عبد الباري بن شيخ بن عيدروس العيدروس فيما جُمعَ من كلامه: «كان قيامُ صاحب الترجمة في رمضانَ أيام إقامته بتريم آخرَ عمره في مسجد الحبيب عبد الله بن شيخ، عند الحبيبِ شيخ بن عيدروس، ويحضر معهم الحبيبُ أحمد بن محمد الكاف، والحبيب محمد بن أحمد الدري، ويقرؤون أولَ الليل حِفظاً مدارسةً نحواً من عشرة أجزاء من القرآن، ثم يصلون العشاء وبعديتها، ويقرأ كل واحدٍ منهم فيها: السجدةَ وتبارك الملك، ثم يصلون التراويح بالمقرأ، ويصلي بهم الحبيب حسن، وقد يخلفه غيره.

ثم يصلون الوتر بالمقرأ أيضاً في الثمان الركعات، وأما الثلاثُ فيقرؤون فيها بالمأثور، ثم يرتبُ الحبيب حسن فاتحةً طويلةً عظيمةً، ويذكر فيها الكثير من الأسلاف والآباء والأجداد، ويذكر الكثير من أشياخه لأنهم نحوُ المائة، حتى أنه غَفِل ذات ليلة عن ذكر الحبيبِ عبد الله بن حسين بن طاهر فجاءه لما نام، وأخذ بأصبعه، وقال له: «مالكَ لم تذكرني في الفاتحة».

وسافر ذاتَ مرةٍ للحج ومعه جماعة من السادة والمشايخ، واتفقوا على أنه يتولى النفقةَ عليهم ثم يحاسبونه إذا وصلوا، فصار ينفقُ عليهم وهم يتشاركونَ رأس الغنم

ونحوَه على قدر أحوالهم يَساراً وإعساراً، ولما وصلوا أرادوا أن يحاسبوه وهم خائفون من كثرة الحساب، مزّق الأوراق، وقال لهم: مسامحين كلكم، فندم الذين لم يستكثروا!».

قال: «وكان له ثلاثةَ عشرَ ولداً، وعنده أربع زوجات حرائر، وكلٌّ واحدة منهن في بيتٍ وعندها جاريةٌ مملوكة أو اثنتين يتسرّرهن.

وكان إذا دخل إلى تريم يستصحبُ فلوساً كثيرةً يفرّقها على الأعيان أهل الفضل والعلم والصلاح والفقراء والمساكين، ثم أقام آخر عمره بتريم كما تقدم.

وقال أيضاً: «قال الحبيبُ حسن بن محسن بن علوي السقاف: قدمَت علينا عيدُ عرفة في حياة الوالد محسن، ولم يكن في البيتِ شيء، فأمرني الوالدُ أن أخرج أطلب قرضاً من أحد، فرآني الحبيبُ حسن ماراً في بعض الأزقة، وتفرس فيَّ الحاجة، وكان في بيت أصهاره، فدعاني وقال لي: مالي أراك كالمشغول بشيء؟ فقلت له: ما هناك شيء يشغلني، فقال: بلى؛ ولابد أن تخبرني، فأخبرتُه فأخذ كوفيتي وكانت ألفيةً، فملأها ريالات، وقال: أعطها والدك ولا تخبره أنها مني.

فاستعظمتُ ذلك وتعجبتُ غايةَ العجب، وسرتُ بها إلى والدي، فعجبَ من تحصيلي لذلك القدر، وقال: من أين؟ فقلتُ له: خذها ولا تسأل، فقد يسرها الله، فراجعني في أن أخبرَه فلم أخبره، وقال: مررتَ بأيِّ طريقٍ لما خرجتَ من عندي؟ فقلت: بطريق كذا، فقال: وحسنُ بن أحمد العيدروس عند أصهاره؟ فقلت: يمكن! فقال: ما أظن أنها إلا منه، فقلت: منك ولا مني». انتهى.

قال الحبيب عبد الباري أيضاً: «رأى الوالدُ الحبيبَ شيخ صاحبَ الترجمة بعد وفاته، فسأله عما لاقاه من الموت ورآه، فقال: أما ما ذكروه من الشدّة عند نزع الروح فحق، ولكن الله أدركني بالنبي ﷺ، فكلما أخذ الملكُ عليه السلام في نزعِ الروحِ من شيء من بدني أمرَّ النبي ﷺ يدَه عليه فيزولُ الألم، وابتدأ ذلك من أطراف القَدم حتى انتهى إلى

ذَقني، فكاد ينفلق من الشدة، ولكن ببركته ﷺ زالَ جميعُ الألم، وبلّغني الله مراتبَ عظيمةً بسببِ قيام الليل، وصلتي لأرحامي، وبِرّي لوالديّ».

قال: «وتولى كفنه لما توفي الحبيبُ العلامة عبد الرحمن بن محمد المشهور، كانت أول لفافتَي كفنه بوصيةٍ منه بعدَ القميص: شقةٌ من الحبيب حسن بن صالح البحر، وفيها الضمانةُ منه بالجنة في رِقعة، والقميصُ كان معهُ من الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، ثم العمامة لقّيناها على رأسه وهي من الحبيب طاهر بن حسين، فالقلنسوة تحتها من الحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه، والإزارُ من الحبيب محسن بن علوي السقاف.

قال الحبيبُ عبد الرحمن المشهور: انظروا شوفوه ما قال: قُدنا حسن بن أحمد، ومع ذلك له أعمالٌ صالحةٌ لو وضعَت على الجبال لدكتها، أي لكثرتها، بل أخذ يتبرك بملابس الرجال»، رضي الله عنه وأرضاه ونفعنا به، آمين.



[١٦ـ الشيخ محمد بن أحمد باحَنْشَلْ
(...ـ ١٣٠٦هـ)]

ومنهم:

الشيخ الكبير، العالم العامل الفقيه النحرير، الخاشع المتواضع النوير، الداعي إلى الله وإلى سبيله الحريص على ابتغاء الزلفى إليه والوسيلة، جمال الدين محمد بن أحمد باحنشل، كان من الهداة المهتدين، والعلماء المتقنين المتقين الورعين.

ولد ببلد الخريبة، وتأدب بأبيه الإمام الشيخ أحمد بن سعيد، وأخذ العلوم الدينية عنه وعن الشيخ عبدالله باسودان، وابنه، والشيخ سعيد بن محمد باعشن.

ورحل لطلب العلم إلى مصرَ والحجاز، وجاور لطلب العلوم، وعظم فيها حظه المقسوم، وأخذ عن جملةٍ من علماء مصر والحرمين، ورجع إلى وطنه قرير العين، وبذل نفسه لتعليم الطلبة والمبتدئين، وانتفع به خلق كثير في علوم الدين، وكان يقوم بالوعظ والتذكير في الجموعات الحافلة.

وتكرر سفره إلى الحرمين، واتفق له الحجُّ مع سيدي الحبيب قدس سره سنة خمس وثلاثمائة وألف (١٣٠٥هـ)، وهو الذي رأى الملائكةَ النازلين من السماء المتخابرين بقبولِ أهل الموقف ودفع الوباء عن الحجاج، كرامةً لسيدي الحبيب قدس سره، وقد تقدمت الحكاية في الفصل الخامس من الباب الأول[1] من هذا «المجموع».

---

(١) كذا بخط المؤلف، وإنما هي في الباب الثاني، انظر: ص١٩٩.

وكان مع سيدي الحبيبِ قدس سره لما قفلَ من الحج في صفر سنة ست وثلاثمائة وألف، ولما وصلوا المكلا مرِض صاحبُ الترجمة وأدركه أجله، وتوفي إلى رحمة الله.

وقام سيدي الحبيب قدس سره بتجهيزه والصلاةِ عليه ودفنه أتمَّ قيام، ورثاه بقوله رضي الله عنه (شعراً):

صبراً على ما قضاه الله رب العباد ... وما قضى به تعالى ليس له قط راد

قضى بموتِ الذي يحيي ربوع البلاد ... بالعلم والدرسِ دائم باعتناءْ واجتهاد

وآخر الليل ما يهنأُ لذيذ الرقاد ... محمد الشيخ باحنشلْ إلى الخير هاد

يعلّم العلم للحاضِر ومن كان باد ... يفرَح إذا جاءه طالب للطلب واستفاد

يزيد به يعتني حتى ينال المراد ... من فرقته ذابت أحشائي وذاب الفؤاد

وصرتُ حيرانْ ما أدري كيف حال ... هل عاد يرجع لهم وقت الصفاءْ والوداد

بالعلم تحيا معالمهم وفعل السداد ... عواد يا رحمة المولى عليهم عواد

بالخير عودي لتوفيق الهدى والرشاد ... والظن في الله مولانا الكريم الجواد

يخلفه فينا بما نرجوه من خير هاد

انتهى. وكفَى بهذه الأبيات وما اشتملت عليه من جميل الصفات ترجمةً لهذا الشيخ المستجيب، لاسيما من مثل سيدي الحبيب قدس سره. وقد استجاب الله دعاءَ سيدي الحبيب قدس سره، وحقق ظنه بالخلف الصالح لصاحب الترجمة؛ وهو ابنه:

[ابنه: الشيخ محمد بن محمد باحنشل

(ـ ١٣٣٩هـ)]

الشيخ العالم العامل، الفقيه المستقيم، المستغرق أوقاته في العلم والعمل والتعليم، محمدُ بن محمدٍ صاحبِ الترجمة.

كان عالماً عاملاً لطيفاً ظريفاً، أخذ العلوم الدينية عن أبيه وغيره، ورحل إلى مصر وأخذ بها عن الشيخ الأنبابي، وجاور في الأزهر عدةَ سنين وأدرك الشهادة.

وأخذ بالحجاز عن جملةٍ من أئمة الدين، وأتقن علم الفقه والعربية والتجويد، وكان حسَن الصوتِ بالقرآن المجيد، تلقاه بالقراءات السبع. واتصل بسيدي الحبيبِ قدس سره وأخذ عنه، وعن غيره من مشايخنا العلويين، وصحب سيدي الحبيبَ قدس سره في بعضِ زياراته لوادي ابنِ راشد، وله منه عنايةٌ وملاحظة، وكان كثيرَ التردد إليه، وله معه وقائعُ أحوالٍ تقدم بعضها في الباب الخامس[١].

وقد خلف أباه في إقامةِ المدارس العلمية ببلد الخريبة، وأقامَ مدةً بمسجد النور في بندر المكلاّ، وانتفع به وتفقّه عليه خلق كثير.

ولازمه في الإقامة بالخريبة للتدريسِ أخونا مفتاحُ الخير والمسارع إلى داعيه، والمتقلبُ في مراتب أهليه، حامدُ بن علوي بن عبد الله البار، وأخواه الكريمان: محمد،

---

(١) تقدم القول: أن هذا الباب مفقود، والله أعلم.

وعبد الله، وجعلوا لصاحب الترجمة مشاهرةً، وأعانوا الآفاقيين من الطلبة بالنفقة، إلى أن توفي صاحب الترجمة، وكانت وفاته .....[١].

[ذكر مدرسة الخريبة التي أسسها آلُ البار]:

وما زالت دعوةُ سيدي الحبيب قدس سره لبلد الخريبة مستجابةً، ظاهرةً فيها آثار الإجابة، فقد تعلقت همةُ الأخِ العلامة البار، الحامد المذكور، ببناء مدرسة فيها، وبناها سنة ....[٢]، وأقام فيها الشيخُ العلامة النجيب محمد بن عبد الله باجنيد، ثم الوالدُ العلامة الأريب عمر بن عبد الرحمن بن عيسى الحبشي، وألزَمَني بالوصول إلى الخريبة لملاحظة المدارسِ والوظائف أيام غيبته.

وهي الآن قائمة، والقائمُ بالتدريس فيها الولدُ الأديب النجيب مصطفى بن حامد، ولا أشكّ أن ذلك من آثار دعوةِ هذا الإمام المستجاب، لاسيما والأخ الحامد المذكور، ممن أمدّه سيدي الحبيب قدس سره من صغره بجذوةٍ من النور، وخرج به إلى سيؤون وأوصى به معدنَ العلم المصون والسر المكنون، شيخنا الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي قدس سره، قال له سيدي الحبيبُ في بعض كتبه: «والولدُ حامدٌ حطوا نظرَكم عليه، فإني أرى فيه بركة».

أقولُ: ظهرتْ في هذا الأخِ الكريم بركاتٌ كثيرة، وحصلت له بأكابر سلفه رابطة كبيرة، وليس هذا المحل موضعُ ذكره، وإنما الحديث كما يقال شجون، وسيأتي ذكره بما يستحق إن شاء الله في خاتمة هذا الباب، وقد تكرر ذكره في مواضع من هذا الكتاب، حقق الله لنا وله كمال الاتصال بسلفنا الأكابر الأنجاب، حلفاء الصواب وقرناء الكتاب، في خير ولطف وعافية إنه كريم وهاب.

---

(١) بياض بالأصل. وأفاد بعض أحفاده أنه توفي سنة ١٣٣٩هـ.

(٢) بياض بالأصل.

[ذكر فضائل آل باحنشل]:

وآلُ باحنشل بيت علم وصلاح، وكان الشيخُ أحمد بن سعيد، أبو الشيخ محمد الأول، وجدُّ الثاني، من أكابر العلماء المتبحّرين، والفقهاء المتقنين، أخذ عنه جماعةٌ من أكابر العلويين، منهم: جدُّنا الحبيب عبد الله الهدار، ومنهم: شيخُنا الحبيب طاهر بن عمر، والحبيب الإمام عمر بن حسن الحداد.

قال الحبيبُ عمر المذكور: «كان الشيخُ أحمد باحنشل في سنِّ الشيخ عبد الله باسودان، وكان أعمى، وقراءته في زبيد، أخذَ عن الحبيب سليمان الأهدل، وولده عبدِ الرحمن، وأدرك الشيخ محمد بن سليمان الكردي بمكة، وكانت له حافظةٌ قويةٌ لكونه أعمى». انتهى.

❊ ❊ ❊

[١٧ـ الحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه

(١٢١٤ـ١٣٠٧هـ)]

ومنهم:

الشيخُ الإمام، علم الأعلام، وجوهرة عقد الكرام، بركة المسلمين وجمال الإسلام، الحبيبُ محمد بن إبراهيم بن عيدروس بن الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ عبد الله بن أحمد بلفقيه بن عبد الله بن أحمد بن عبد الرحمن بن الفقيه محمد الأسقع بن عبدالرحمن بن عبد الله ابن أحمد بن علي بن محمد بن الشيخ أحمد بن الفقيه، طَود العلم الراسخ، وعلمُ المجدِ الشامخ.

ولد بتريم ونشأ بها في زيادة العلم والتعليم، وكان ولادتُه سنة أربعة عشر ومائتين وألف، وقد رأى والدُه الإمامُ جدَّه خير الأنام ﷺ وبشره بوجوده، وقال: «سمه محمداً وفيه بركة»، وكان قد توفي له جملةٌ من الأولاد.

فنشأ نشأة مباركة، وأنبته الله نباتاً حسناً، وتأدب بأبيه وأعمامه الكرام: أحمد، وحسين، وسالم، وعمر بني الحبيب عيدروس بن عبد الرحمن، واقتبس من أنوارهم وشرب من معين علومهم، ما قبس في سره نور الهداية، وشرح صدره بأسرار الولاية.

وأخذ في طلب العلوم النافعة عمن بعصره المنير، من كلِ علَمٍ كبير، كأبيه والحبيب الإمام جمال الدين محمد بن أحمد الحبشي، وقرأ عليه كتباً عديدة واستفاد منه فوائد جمةً، وكان له منه النظرُ الخاص والاعتناء التام، وأجازه الإجازة الخاصة والعامة التامة. وكالإمام

الأوابِ عفيف الدين عبد الله بن علي بن شهاب قرأ عليه كتباً كثيرةً وخصّه بخصوصيات ودعوات مستجابات، وأجازه إجازةً خاصةً وعامةً لفظاً وكتابةً. وكالإمامين الكبيرين والعلمين المنيرين سيدنا طاهر وسيدنا عبد الله ابني الحبيب حسين قرأ عليهما مدةً مديدةً كتباً عديدةً وانتفع بهما انتفاعاً تاماً، وأجازاه بأعلى الجوائز وخصاه بأعظم الخصائص، ودعَوا له بما ظهرَ عليه آثاره.

وكالإمام الحبيب الحسين بن أحمد الحداد، قرأ عليه واستمد منه وأجازه. وكالإمام عفيف الدين عبد الله بن حسين بلفقيه قرأ عليه كتباً جمةً واستفاد منه فوائدَ مهمةً، وأجازه خصوصاً وعموماً وكتب له الإجازةَ بقلمه.

وكالحبيب الجليل عفيف الدين عبد الله بن أبي بكر عيديد، والحبيب الإمام شهاب الدين أحمد بن علي الجنيد، والحبيب الإمام القطب المجدد أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب الإمام عبد القادر بن محمد الحبشي، والحبيب الإمام محمد بن حسين الحبشي، والحبيب الإمام حسن بن صالح البحر، والحبيب الإمام علي بن عمر السقاف، والحبيب الإمام عقيل بن عمر بن يحيى، والحبيب الإمام محسن بن علوي السقاف، والحبيب العلم الزاهر محسن بن إسماعيل المهدلي، والشيخ الإمام عبد الله بن أحمد أبي سودان، وجاور عنده مدةً، والحبيب الجليل عمر بن أحمد الصليبية العيدروس.

وكلٌّ أخذَ عنهم واستمد منهم، وفاضت عليه أسرارهم وغمرته أنوارهم، وله منهم إجازاتٌ مكتوبة بالإشارة إلى إدراكه ما يروم مصحوبة، موجودة عند أولاده الكرام، منها سبعُ إجازاتٍ من الشيخ عبد الله بن أحمد باسودان.

ورحلَ إلى الحرمين الشريفين سنة ثلاث وأربعين ومائتين وألف فحج حجة الإسلام، وتملى بالمشاعر العظام، وزار جده خير الأنام عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، وأخذ عمن لقيه من الأئمة الأعلام، كالشيخ عمر بن عبد الرسول العطار،

والسيد يوسف البطاح، والشيخ منصور البديري نزيل المدينة، والحبيب محمد بن سالم الجفري المدني، والسيد الشريف محمد بن أحمد المغربي المدني وغيرهم.

ومن مشايخه الحضارم، معادن المكارم: الحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، والحبيب عمر بن علوي العيدروس، والحبيب علوي بن علوي الحداد، والحبيب محمد بن عبد الرحمن الحداد، الحبيب هادون بن هود العطاس، وغيرهم ممن يطول عددهم ويعسر حصرهم من مشايخ حضرموت واليمن والحرمين، لأنه لم يتفقْ بأحدٍ من أهلِ الخير المتسمِّين بسِمَة العلم إلا التمسَ منه الإجازة.

حتى انتهت إليه رئاسةُ العلوم، فسقيَ وأروى من رحيقها المختوم، وأخذ عنه الجم الغفير، واستمد من بركته الكبير والصغير، وظفروا من بركاته بالكنز والإكسير، وقام بنشر العلم والتعليم في قبلة الإقليم تريم، وكان المرجوعَ فيها إليه لحل المشكلات وفك المعضلات، واستنزال الخيرات والبركات.

أخبرني الحبيب الأريبُ أبو بكر بن محمد بلفقيه، قال: «قحطت البلادُ وغلت الأسعار وأبطأت الأمطار في أيامِ صاحب الترجمة، فاجتمع أعيانُ البلد وصلحاؤها وعلماؤها على الاستسقاء، وإن يكون المستسقيَ لهم والمستسقَى به صاحبُ الترجمة، وأخبرَ فاعتذر، فأرسل إليه الحبيبُ عمر بن حسن الحداد وعزّم عليه في الخروج لاستنزال رحمة الله المدرار، وأنه لا ينبغي من مثله عن مثل ذلك الاعتذار، فخرج وخرج الناس إلى المصلى واستسقى لهم وصلى بهم، فهطلت الأمطار قبلَ غروب شمس ذلك النهار، وأغاث الله العباد والبلاد، ودامت الأمطار حتى خرجُوا يدعون الله بعدَ ثمانية أيام بدفعِ المطر لخوفِ الضرر.

وكان من أساطين الطريق، وأئمة الحق والتحقيق، وكانت له هيبةٌ عظيمة، وجلالةٌ جسيمة، وهيئةٌ وسيمة، وصفهُ الخضر عليه السلام ـ في واقعة كشفية يأتي ذكرها في ترجمة

شيخنا الحبيب عبد الرحمن بن محمد خرد ـ بأنه: «بستان فيه من كل ثمرة، إلا أن عليه حِضاراً»، وهو هيبة العلم وانقباضُه، وعزته التي هي شأن من امتلأ من العلم وِفاضُه.

ورحم الله القائل مشيراً إلى ذلك (شعراً):

يقولــون لي فيــك انقبــاضٌ وإنــما	رأوا رجلاً عن موقفِ الذل أحجَــما
ولو أن أهلَ العلم صــانوه صــانهم	ولــو عظمُــوه في الــصدور لعُظّــما

ولصاحب الترجمة رحلة إلى الهند الشرقية، اقتضتها الأقدار المقضية، وكم أبرزت حقائق التقليب، من أمر غريب.

وقد اجتمع في رحلته من رجالِ الله بمن تتمنى رؤيته ولقياه، منهم: الحبيب عبدالله ابن أبي بكر صاحب ملاكَة وله في تقلباته من وقائع أحواله ما يدل على جلالته وكماله، زاره سيدي الحبيبُ قدس سره مرات وأخذَ عنه ولبسَ واستجاز منه، وقام من واجب بره بما أناله حظاً وافراً من مدده في ظاهره وسره.

وما زال على أكمل الأحوال، إلى أوانِ الانتقال، وكانت وفاته بتريمَ لاثني عشر من جمادى الأولى سنة سبعٍ وثلاثمائة وألف، ودفن ببشار، وقبره معروف مقصود للزوار، عليه رحمةُ الرحيم مدرار.

قال شيخُنا الحبيب أحمد بن حسن العطاس: «قرأنا ذاتَ يوم كتاباً في نسب السادة الرفاعية وطرائقهم، فرأيتُ اثنين من أوليائهم ودخلا إليَّ من فتحة المنزل، وقالا لي: إن طرائق الأولياء كلها ترجعُ إلى السيد محمد بن إبراهيم».

* * *

[١٨ـ الحبيبُ عمر بن حسن الحداد (١٢٣٥ـ١٣٠٧هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام، الحبيب العليم، المتربع على منصة الصراط المستقيم، شجاع الدين، الحبيبُ عمر بن حسن بن عبد الله بن أحمد بن الشيخ الحسن بن الشيخ عبد الله بن علوي الحداد، الذي اجتهد في سبيل السعادة أيما اجتهاد، حتى رأس وساد، وظفر من فتح الجواد، بمسطور الإسعاد والإمداد، وتزود بأحسن زاد ليوم المعاد.

بقية الزهّاد، وواحدُ العبّاد، المدرك بعظيم المجاهدة، للذة المشاهدة، محيي الليالي في طلب المعالي، والراقي من مراتب الكمال للرتب العوالي، الذي عظُمَ نفعه وكمل فرقه وجمعه، الذاهب كل الذهاب في موجبات القرب من رب الأرباب، الفائز بملازمة السنة والكتاب، ببشرى: ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلۡفَىٰ وَحُسۡنَ مَـَٔابٖ﴾.

ولد سنة خمس وثلاثين ومائتين وألف، بحاوي الخيرات ومهبط البركات، حاوي تريم مركز دائرة المجد الصميم، ونشأ في حِجر أبيه السيد الكريم، وقرأ القرآن العظيم، وجدَّ ودأب في اكتساب معالي الرتب واقتناء غوالي الفضائل والأدب، وحفظَ بعضَ المتون المختصرة في الفنون المشتهرة.

وجد في طلب العلم ببحثٍ وتحقيق، وحفظٍ وتعليق، وفهمٍ بإدراك ما يرومه حقيق وخليق، فقرأ كتباً جمةً في الفنون المهمة، مع شرف النفس وعلو الهمة، وخاض في

طلب الرحمة، فرحل إلى دوعن واليمن والحرمين، وسعى في ذلك أحسن مسعىً، وأثرن به عادياتُ هممه في طلبه نقعاً، ووسطن به جمعاً، حتى جمع فأوعى، ونال في محافله الشريفة نصباً ورفعاً.

فمن مشايخه الكرام: والده الإمام، والحبيب محمد بن عبد الرحمن الحداد، والحبيب عبد الله بن علي بن شهاب، والحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، والحبيب محمد بن حسين الحبشي، والحبيب عبد الله بن أبي بكر عيديد، والحبيب أبو بكر بن محمد مشهور، والحبيب أحمد بن علي جنيد، والسيد عبد الرحمن بن سليمان الأهدل، والسيد محمد بن [أحمد بن] عبد الباري الأهدل، والحبيب عمر بن عبد الله الجفري المدني، والحبيب أحمد بن عبد الله البار، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، والشيخ سعيد بن محمد باعشن، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

وأقام بدَوعن للطلب سنوات، وحج حجاتٍ متعددات، وزار جده سيد السادات عليه وعلى آله أفضل الصلوات وأزكى التحيات ستَّ مرات، وكان يحصل له في أسفاره وفي تقلباته وأطواره من مدد القدرة الربانية، وفيوضات العناية الرحمانية، ما لا تحصره الأقلامُ من الفضل والإنعام، واللطف الخاص والعام، والحفظ الكامل التام، وله في مخالقة رُفقته من المسافرين والمقيمين، ومخالطتهم بالرفق واللين، ما ينبي عن ثبات وتمكين في أخلاق الدين، وتخلقٍ بقول ربِّ العالمين: ﴿ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

وآخرُ حجةٍ حجها حجَّ فيها بأهله وأولاده، ولما وصل المكلاّ لم توجد العِبرة، وكان هناك كثيرٌ من المسافرين، للعِبرة منتظرين، فرغبَ إليه أمير المكلاّ في ذلك الوقت: صلاحُ الكسادي، بأن يسافر في ساعيته، فسافر فيها، وطلع معه كثيرٌ من المنقطعين والمحاويج بلا نَول.

واضطر في بدايته لدخول جاوه، فسافر إليها، قال رضي الله عنه: «لما عزمتُ على السفر إلى الحرمين، قال لي خالي عمر بن ....[١] بن سميط: سلّم على ولدي حُسين، وكان بجاوه، ولم يكن من عزمي السفر إليها، فلما زرتُ المصطفى ﷺ طرقني طارقُ العزم على السفر إليها، وكررتُ الاستخارة، وشاورتُ الحبيب عمر بن عبد الله الجفري، فقال لي: اعزمْ، فتوجهت إليها، وأول من اجتمعتُ به ابن خالي المذكور، فنفعني ولازمني». انتهى.

ولما وصلَ سنقافورة وجد بها شيخه الحبيبَ أبا بكر بن محمد المشهور، والحبيب الكريم المستقيم عمر بن علي الجنيد، وسعيا له في قضاء حاجته، ورجعَ من هناك مدركاً لمرامه أتم إدارك.

ومن لطيف ما وقع له مع شيخه أبي بكر المشهور المذكور ما حكاه قدس سره قال: «لما كنت بسنقافورة اشتريتُ كوفيةً ألفيةً بثلاثة ريال، فرآها الحبيب أبوبكر، فقال لي: بكم اشتريتها؟ فأخبرته، فقال لي: والطّعام من كم سعرُه في تريم في هذا الوقت؟ فقلت له: من ثلاث قهاول بريال، فقال لي: وأنت تقدر تحمل تسع قهاول طعام على رأسك؟». يعني: أن قيمةَ الكوفية بتسع قهاول طعام، وذلك خارج عن سيرة السلف الصالح في الاقتصاد قال: «فبعتها في الحال، وعرفتُ منه عظمَ الشفقة وحسن التربية». انتهى بمعناه.

وكان رضي الله عنه يأخذ في أعماله بالأقوى الأقوَم، ويتمسك في أفعاله بالأحوط الأسلم، فهو الشحيحُ بدينه، والرافع لراية التقوى بيمينه، وله في الزهد والورع والاحتياط في الدين وقائعُ تذكّر بأحوال السابقين من أهل اليقين. حكى عن نفسه أنه يعيدُ الصلواتِ التي يصليها في البَحر للعجْز عن الإتيان بها على أكمَل الأحوال.

ولما رجع من جاوه في سفره المار ذكره، غسل ثيابه وبدنه وما اتصل بالمركب من

(١) بياض بقدر كلمة من أصل المؤلف.

متاعه، وأعاد صلاةَ البحر لما هو معروفٌ من عدم خلوِّ المركب عن الكلابِ وترددها فيها بعد تغسيلها.

وأهدى إليه بعضُ السادة خمسمائة ريال وكان دخولها على مرسلها من وجه مشبوه، فردها ولم يقبل منها شيئاً مع حاجته ظاهراً إليها.

وكان قدس سره عظيمَ الشفقة والرحمة بالضعفاء والفقراء واليتامى والمساكين والبهائم والتابعين، كان يخيط الكُمَم ـ أي: القلانس ـ في أيام البردِ بيده الشريفة، والقماش من عنده، ويفرقها على اليتامى وأولاد الفقراء.

وكان يخيط ثيابه بيده ويعيبُ من لا يكفي نفسَه في خياطة ثوبه، وكان يجيد الخياطة، ويحسن الكتابة، ويخدم نفسَه، ويتولى سقيَ البهائم التي في ملكه وأكلها بنفسه، ولا يطمئن بأحدٍ في ذلك، شفقةً وعدلاً ورحمةً.



وما أحسن ما قيل:

تفقُّـدُ الـساداتِ خُـدامَها	مكرُمـةٌ لا تـنقِصُ الـسؤددا
هـذا سـليمانُ عـلى ملكِـه	قد قال: مالي لا أرى الهدهُـدا

وكان قدس سره يتسببُ لمعاشه، ويتعاطَى أسبابَ الحراثة، يستأجر لها من يعانيها تحت نظره وحسن تدبيره.

وكان شديدَ الكراهة للعوائد المحدثة، شديد التنفير عنها والمراغمة لها، كثير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يخاف في الله لومة لائم، عظيمَ الهيبة في الصدور، عظيم الحشمة والشهامة والانقباض عن المجالس العادية العامة، عظيم الخشية والخشوع والهدوء والسكينة لا سيما في الصلاة، يرى فيها كأنه دعامة، وكان يطيل الصلاة جداً، ولا يخلُّ بشيءٍ مما وردَ من السنن، بل كان في جميعِ حركاته وسكناته ماشياً على أقوم سَنن، وكان كثير الحثِّ على الاقتصاد والقناعة.

وكان في بدايته قد حجّ حجاتٍ بأجرة، فأوصى أن يُـحَجَّ من تركته بعددها، ورعاً واحتياطاً، وكان كثير الحثِّ على التمسّك بالسيرة العلوية، وهي استغراق الأيام والليالي في اكتساب العلوم ومعانقة الأعمال.

[جملة من كلامه ونصائحه]:

وقد جمعَ من كلامه في مجالسه جملةً صالحةً الشيخُ حسن بن سعيد بن أحمد حسان.

منه قوله: «العلمُ هو البهاء والنور، والوسيلة العظمى، ولما كان كسبياً لا ينال إلا بالجد والاجتهاد تركهُ الناس لاسيما أهلُ البيت، استكفوا بشرَفهم وتكاسلوا عن اكتساب العلم، وغيَّرت عليهم سِيرَهم العوائدُ والأسفار.

والسيدُ الذي ما يحمل كتابَه كالقبيليِّ الذي يمشي بلا سلاح! فكما أن السلاحَ شرفُ القبائل والجند، كذلك الكتابُ زينةُ السيد وعزُّه وشرفه، ووضعُ القدمِ على القدم خيرٌ كبير».

وقال رضي الله عنه: «حضرموتُ فيها أسرار، ما توطنها السلف الكبار إلا لما فيها من الأسرار، ولكنها تريد اقتصاداً وقناعةً وصبراً، ومن بركتها: أن الإنسان يكفيه فيها الحجّف مع القهوة، ولا يضره الاقتصار على التمر غداءً أو عشاءً، ولو داوم عليه في غيرها من الجهاتِ لضرّه.

وكان سادتنا آلُ أبي علوي أهل قناعة واقتصاد، حتى أنهم جلسوا وتوطنوا فيها وتأتّى لهم أكلُ الحلال، والآن تغير الحال، وقلت القناعة، وكثُرت العوائد، وصار حالُ أهل حضرموت كما قال الحبيب عبد الله الحداد:

مشتّتون بأطرافِ البلادِ علـى ... رغْم الأنُوفِ كما تهواه حُسَّادُ

ومن سافَر طالت مدتُه، بسبب أنه يريد أن تواتيه الأمور كما يحب، فطال بعده عن

وطنه لذلك، وجاوه غيّرت على الناسِ وعلى آل أبي علوي خاصة، من سافرَ بشيء من العلُوم ضيعه، ومن سافر بلا علمٍ رجعَ بشَرّ، ولا حول ولا قوة إلا بالله».

وقال رضي الله عنه: «لما كنتُ في دوعن أيامَ الطلب ما تشرُق الشمسُ إلا وقد ذهبتُ إلى مدْرَس الشيخ سعيد باعشن، وتستمر القراءة إلى الظهر. وعشيةً أروحُ إلى الشيخ عبد الله باسودان وأحضر عنده الرّوحة، والمطالعة بالليل.

ولما كان الحبيب محمد بن حسين الحبشي في تاربة، وكنت مقيماً لطلب العلم في المسيلة، كنت أذهب إلى تاربة للقراءة عليه، فرغبني في الجلوسِ عنده لأقرأ مع أولاده، فجلست عنده، وكنا يوم الاثنين ويوم الخميس نذهبُ معه إلى المسيلة لحضور الدرس والرّوحة عند الحبيب عبد الله بن حسين. ثم قال الحبيبُ عبدالله للحبيبِ محمّد: بغينا عُمر يسير إلى دوعن، يتبارك على الشيخ عبد الله باسودان، وجاء بعد أسبوعٍ الشيخُ محمد باسودان لزيارة تريم وسرتُ معه إلى دوعن.

وببركة الحبيبِ عبد الله وامتثال إشارته، قرأتُ على الشيخ عبد الله وولده الشيخ محمد، والشيخ سعيد باعشن، والشيخ أحمد باحَنْشَل، وهو في سن الشيخ عبد الله باسودان، وكان أعمى وقراءتُه في زبيد، وأدرك السيد سليمان الأهدل، وأخذ عن ولده عبد الرحمن، وأدركَ الشيخَ الكرديَّ بالمدينة وكانت له حافظة قوية.

وكان دوعن ملآنٌ من أهل العلم، وكان الشيخ سعيد باعشن يحبُّ الطلبة ولا يملُّ من قراءتهم، وكان أولَ أمره يتّجرُ في الحجاز، إلى أن بلغ من العمر ستين سنةً تعسرت عليه أسباب التجارة، فوجّه همته إلى طلبِ العلم، وكان إذا لم يجد ما يقتاته يلتقط النوى ويبيعُه، حتى أدرك ما أدركه من العلم، ورجع إلى بلده وأقام المدارسَ ونفع الله به من أراد، وألفَ التآليفَ المحرّرة، ومنها «بشرى الكريم».

وقرأتُ على الشيخ علي باصبرين وهو إمامٌ في كل العلوم، إلا أنه كان حاد الطبع.

وقرأتُ «المنهاج» على الشيخ عبد الله باسودان، ثم قرأته أنا والحبيب أحمد بن عبد الله البار، وقرأنا «الإرشاد» أيضاً.

وقرأتُ «شرح المنهج» على الشيخ محمد باسودان».

وله قدس سره من مشايخه وصايا مسطرة وإجازات كثيرة، فمن إجازة الشيخ عبدالله بن أحمد باسودان قوله: «**أما بعد**: فقد التمس مني السيد الشريف، الأنور التحيف، الأسرّ المنيف، سليل الأبرار، التابع لهم في الآثار، ربيب الخطة الحدادية النائل منها للجذوة الإمدادية، الحبيب الفاضل العالم العامل، المتوجه إلى مولاه عز وجل بالعلم والعمل، شجاع الدين ومنيره المنشرح صدره به، اللائحة محجته على أساريره، الحبيب المنيب عمر بن الحبيب حسن بن عبدالله الحداد»، إلخ.

ومن إجازة أخرى من الشيخ المذكور قوله: «**وبعد**؛ فقد امتلأت الجوانح سروراً وبهجةً وسرى ذلك إلى الجوارح والمهجة وإلى الأهل والدار والقريب والجار، وذلك بوصول سيدي العلامة النبيل السيد الجامع لأنواع الفضل على الإجمال والتفصيل الحبيب عمر بن حسن بن عبدالله الحداد. فقد وصل من خطة الإمداد للحاضر والباد وحاوي الأمجاد والأفراد وأقام مدة بمسجد الخريبة الأنيس ملازماً لمجالس المذاكرة والتدريس مع أدب كامل كما هو شأن كل عالم عامل جامع للفضائل والفواضل.

ثم عند عزمه للارتحال إلى تلك الأوطان المنيفة والرحال التمس من الفقير إلى الله تعالى عبد الله بن أحمد باسودان الإجازة والوصية، فأجبته إلى ذلك بحسب الامتثال إلى ما دعاني إليه بحسن الظن منه والنية، فأقول: قد أجزت سيدي ومولاي في كل وجميع ما يصح لي روايته من تحقيق العلوم وتصحيح الأعمال التي تثمر لأهلها سني المقامات وصفاء الأحوال»، إلى آخر ما قال.

ومن إجازة شيخه الحبيب محمد بن حسين الحبشي، قوله: «**وبعد**؛ فقد طلب مني الأخ المبارك النجيب الأواه المنيب الحبيب القريب، قرة العين وجلاء الرين، قرين الفؤاد عمر بن حسن بن عبد الله الحداد أمده الله بكل الإمداد وسدده بجميع طرق الرشاد، وذلك في أن أجيزه في جميع محفوظاته ومقروءاته وجميع أوراده وأذكاره في سره وإعلانه وفي الدعوة إلى الله والتذكير، فقد أجزته في جميع ذلك وفيما تصح لي وتجوز عني روايته خصوصاً وعموماً كما أجازني مشايخي الذين يعلمهم ومن لا يعلمهم وأجزته في التدريس ودوام المطالعة والمذاكرة، إلى آخر ما ذكر رضي الله عنه.

وكانت إقامته قدس سره أول عمره بحاوي تريم، ثم أقام بدوعن وتأهّل بها، وسكن ببلد القِرَين، منقطع القَرِين قرير العين، يتردد إلى وطنه الأول، ومقر مجده الذي عليه المعول.

ثم في سنة ست وتسعين ومائتين وألف رجع إلى حاوي الأنوار، ثم ألقى بنويدرة تريم عصا التسيار، وأقام بها كالشمسِ في رابعة النهار، يروي أخبارَه الراوون، ويرد على مناهل علومه الصادون من الطالبين فيُروَون، ويؤمه الزائرون من سائر النواحي، لبركاته يستمدون.

وفي آخر عمره كفَّ بصره، فانشرح صدره وكمل أجره، وما زال بأكمل حالة من البهاء والجلالة، يدعو إلى الله ويذكر بأيام الله، ويقيم المدارس العلمية ويحث على التمسك بالسيرة العلوية السوية المرضية، مع استغراق الأوقات في وظائف العبادات وأنواع القربات، كما أن ذلك ديدنه الذي نشأ عليه، ومحبوبه الذي لم يصب إلا إليه، إلى أوان الوفاة وميقات وفوده على مولاه، فتوفي إلى رحمة الله يوم الربوع سلخَ ذي الحجة الحرام سنة ثمان وثلاثمائة وألف، ودفن بمقبرة زنبل قريب من جده قطب الإرشاد، وقبره معروف، أعاد الله علينا من بركاته، آمين.

[إجازة منه لبعض الآخذين عنه]:

وقد عثرتُ على إجازةٍ ووصيةٍ منه رضي الله عنه، أحببتُ إيرادها هنا ضناً بها عن الإضاعة، ولاشتمالها على المقصود من الحث على التقوى خير زاد وبضاعة.

قال رضي الله عنه:

«الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد رسوله الأمين وعلى آله وصحبه الأئمة المهتدين وتابعيهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد؛

فقد التمسَ من الفقير إلى عفو ربه تعالى عمر بن حسن بن عبدالله الحداد باعلوي، الحبيبُ الفاضل الأخ في الله، جمال الدين، محمد بن الولد عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الكاف باعلوي، الإجازةَ والوصية.

فقد أجزته فيما تجوز لي الإجازةُ فيه مما أجازني فيه مشايخي، من قراءة ومطالعة كتب العلوم النافعة لاسيما كتبَ السلف، مثل كتب سيدنا الحبيب عبد الله بن علوي الحداد، ومصنفات ساداتنا آل أبي علوي لأن لنا بهم الأسوة والقدوة، وهم الواسطة لنا إلى النبي ﷺ أباً عن جد، ومن أخذنا عنه من غيرهم فيكون الأخذُ بقصد التبرك فقط، وأما العملُ به فإن كان راجعاً إلى ساداتنا العلويين وما تلقوه عمن قبلهم إلى النّبي ﷺ فهو المقصود والمطلوب:

رب فانفعنـــا ببركَـــتهم ... واهدنا الحسنى بحُرمتهم
وأمتنـــا في طـــريقتهم ... ومعافـــاة مـــن الفـــتن

***

إلهـــي بحـــقِّ القـــوم مـــن بتوبـــة ... من الذنبِ تغسلنا بهـا أبلـغَ الغسل
وغِـث يـا غيـاثَ المـستغيثِ قلوبَنـا ... بغيثِ هدىً يحيي القلوبَ من المحل

وأوصيك بتقوى الله وهي وصية الله للأولين والآخرين، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾، وهي عبارةٌ عن: امتثال الأوامر واجتناب النواهي والمعاصي كلها، صغيرها وكبيرها، وهي سموم مهلكة ونار محرقة، ويحل بها سخط الله على المستخف بها والمستحقر لها.

والطاعة خير كلها وإن قلَّت، فلا تترك منها شيئاً، وكن مراقباً لربك موزعاً لأوقاتك، فإن من وزّع وقتَه تبارك عمره، وظهرت ثمرة التوزيع عليه، ومن لم يوزع وقته ضاع عمرُه عليه سدىً من غيرِ فائدة، مع أنه محسوبٌ عليه، وعمره رأسُ ماله فإذا ضاع عليه رأسُ المالِ فمن أين با يحصّل الربح! فعليك بذلك.

والتوزيعُ من حين يصبح إلى حين يمسي، خُذ من حياتك لموتِك، ومن صحتك لسقمك، ومن رخاك لشدتك، ومن غناك لفَقرك ومن شبابك لهرمك.

والصلاة برهان؛ واظب على الجماعة والجمعة ورواتبها، سيما المؤكدات، وصلاة الضحى، وصلاة الوتر، والأوابين، ففي ذلك فضلٌ عظيم، الحذر التهاون، فشعار المؤمن: طاعةُ مولاه، واتباعُ رسول الله ﷺ ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾، ومحبته: كثرة ذكره والفكر في آلائه ونعمه.

نِعمُهُ

عليكَ نعمةٌ تنزل صباحاً ومساءً وأنتَ غافلٌ عما ينالك من الإيجاد والإمداد، والإنسانُ ضعيف ما يعرفُ حقَّ النعمة، فإذا فقدَها عرفها، ومن عرفَها وأدّى شكرها دامَت عليه واستقامت لديه، قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾، وقال سبحانه ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ﴾.

وشكرُ النعمة نعمة، وكفرانُها نقمة، ومن كفرها نفرَت عنه، كما قال الحبيب عبد الله ابن علوي الحداد نفع الله به:

نعـــمٌ لله كانَـــت عنـــدَهم حوِّلَت إذا لم تكن قد شُكِرَتْ

وعليك بقيام الليل وإن قلَّ، قال تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ﴾، وقال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا﴾، وقيامُ الليل دأبُ الصالحين، والإكثار فيه من ذكر الله تعالى والاستغفار والصلاة على النبي المختار، حسب المستطاع.

وعليكَ بتلاوة القرآن في أي وقتٍ كان، مع الترتيل والحضور والخشوع والتحري، والاتصافِ بالآيات في الوعد والوعد بالرغبة والاعتبار، واقرأه بالتجويد وإحسانِ مخارج الحروف تنالُ به الفوز في الدنيا والآخرة.

وعليكَ بالأخِ الصالح والجليس الصالح فإنه كالعطّار إن لم يعطِ من عِطره عبقَك من ريحه، وجليسُ السوء كنافِخ الكير؛ إن لم يحرقك بناره عبقَ بك ريحُه. ولا تجالس إلا من يدلك على الله مقالُه، وينهضك على الخير حاله وأفعاله، وهكذا كن مع الله يكن الله معك.

وإن بُليتَ بأحدٍ من الأضداد في مجلسٍ فعليكَ بالمداراة والتغافل عن القيل والقال في الناس، مثلَ الغيبة فإنها أكلُ لحوم الناس، قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتًا فَكَرِهۡتُمُوهُ﴾، وقد سهُلَت على الناس في هذا الزمانِ جداً، فالبعدُ من مجالسة أهل الغيبة، والخوض في الباطل، وفيما لا يعينك، فإنهم حجابٌ وأيُّ حجاب، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ ذَرۡهُمۡ فِي خَوۡضِهِمۡ يَلۡعَبُونَ﴾، وقال الله تعالى:﴿قل الله ثم استقم﴾.

وأعرضْ عنهم وأقبلِ على نفسِك، وجاهدها وخالف هواها وغواها، قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنۡ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفۡسَ عَنِ ٱلۡهَوَىٰ ۝ فَإِنَّ ٱلۡجَنَّةَ هِيَ ٱلۡمَأۡوَىٰ﴾، وقال بعضُهم: متى يكون داءُ النفسِ دواها؟ قيل له: إذا خالفتْ هواها.

وقال البوصيري:

وخالفِ النفسَ والشيطانَ واعصِهما وإن هما محَضاكَ النصْحَ فاتَّهمِ

وفي «الحكم» لابن عطاء الله: «أصلُ كل معصيةٍ وغفلة وشهوة: الرضا عن النفس، وأصلُ كلِّ طاعةٍ ويقظةٍ وعفة: عدمُ الرضا منك عنها».

فالعاقل لا يرضى عن نفسِه أبداً، فإن الرضا يغطي عيوبها، كما قال القائل:

وعينُ الرضَا عن كلِّ عيبٍ كليلـةٌ ولكن عينَ السُّخطِ تبدي المساويا

فكن هكذا، وجاهد تشاهد، ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾.

ومن استحسن حالَ نفسه سكنَ إليها، وإذا سكن إليها استولتْ عليه الغفلة، وبالغفلة ينصرف قلبه عن التفقدِ والمراعاةِ لخواطره، فتثور حينئذٍ دواعي الشهوة على العبد، وليس عنده من المراقبة والتذكير ما يدفَعها به ويقهرها، فتصيرُ الشهوة غالبةً له بسبب ذلك، ومن غلبت عليه شهوته وقعَ في المعاصي لا محالة، وأصل كل ذلك: رضاهُ عن نفسه، فافهم واعلم.

وازهَد في الدنيا، فإن من عرفَ حقيقتها أنها حجابٌ وفتنةٌ واختبارٌ زَهدَ فيها، قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ أَخۡبَارَكُمۡ﴾، والدنيا خضرة نضرة، قال تعالى: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ * قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۖ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾.

فافهَمَ أنّ الدنيا متاعٌ قليل، ودارُ غرور، ولم يبق من القليل إلا القليل، فتفكر وأمعن النظر، وانظر بعين الإنصافِ تعرف أن الدنيا منقطعةٌ وفانية، وأن الآخرة دائمةٌ وباقية، ونعيمها لا يزول، والدنيا زائلةٌ ونعيمها زائل، ولا فيها نعيم ولا تساوي عند الله جناحَ بعوضة، ولو كانتْ ما سقى منها كافراً شربة ماء، ومنذ خلقها ما نظر إليها، فالدنيا

ملعونةٌ ملعونٌ ما فيها إلا ذِكْرُ الله وما والاه، وعالم ومتعلم، لأنها حجابٌ وسحّارةٌ مكّارة غدّارة، ويكفي اللبيبَ العاقل ما في القرآن من وصفها وتقلبها بأهلها، واغترارهم بنعيمها وزخارفها.

وأكثِرْ من ذكر هاذمِ اللذات، ومفرق الجماعات، فإنه لا يُذكَر في قليلٍ إلا ووسعه، ولا في كثير إلا وضيّقه وبغّضه لديك، وذكْره بالقلبِ لا باللسان، فإن الذكر باللسان لا تأثيرَ له وقليلُ الجدوى والمنفعة، بل لابدّ من فكرٍ معه: كيفَ يكون حاله عند الموت وأهواله وسكراته ومعاينة أمور الآخرة، وما الذي بقيَ من أجله، وبما يختم له، وكيف صار إخوانه وأقرانه وأحبته، وكيف أُدرِجُوا في الأكفان، وحُملوا على العيدان، إلى بيت الوحشة والديدان!! ونحو ذلك.

لأن المقصودَ من ذلك قِصَرُ الأملِ في الدنيا، وزوالُ القسوة من القلب، ليرغب في الآخرة ويقبل عليها، وفي ذلك الخير كله، لأن من طال أملُه قسيَ قلبه وساء عمله، ومن قصُرَ أمله وجعلَ الموت بين عينيه حملَه على أن يرغب في الآخرة ويزهد في الدنيا ويعمل لآخرته، ويقبل على ربه، فذكرُ الموتِ له دواءٌ من الغفلة، فينبُهَ ويتجافى عن دار الغرور وينيب إلى دار الخلود، ويخالف نفسَه المائلة إلى الدنيا، وهجران أهل الدنيا وملازمة أهل الآخرة والأعمال الصالحة، وملازمة كلمة لا إله إلا الله مع الإخلاص، ليموت عليها.

نسأل الله أن يمنّ علينا وعلى أهلنا وإخواننا وأولادنا وقراباتِنا ومحبينا وتلامذتنا وسائر المسلمين خصوصاً وعموماً، بحسن السابقة والخاتمة، والثبات على ذلك، وأن يسلك بنا سبلَ مرضاته، وأن يجزل لنا جزيل هباته، وأن ينعّمَنا بالنظر لوجهه الكريم في دار النعيم، مع الذين أنعم عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وحسُن أولئك رفيقاً، ذلك الفضل من الله وكفى بالله عليماً.

اللهم إنا نؤمنُ بك وبما نعلم أنه الحقُّ عندك، ونتبرأ إليك مما تعلم أنه الباطل عندك، فخذ منا جُمَلاً ولا تطالبنا بالتفصيل، يا ربّ العالمين. اللهم أحينا على الكتاب والسنة، وأمتنا

على الإيمان والتوبة، اللهم يا أرحم الراحمين، أسألك بنور وجهك الكريم، أن تتوفاني مسلماً وتُلحقني بالصالحين يا رب العالمين، ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذا هديتنا وهَب لنا من لدنك رحمةً إن أنت الوهاب. إنك

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا، وكفّر عنا سيئاتنا، وتوفنا مع الأبرار، ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا غلاً للذين آمنوا ربنا إنك رؤوفٌ رحيم.

رِبّ اغفرْ وارحم، وتجاوز عما تعلم، إنك أنتَ العزيزُ الأكرم،

سبحانَ ربك ربِّ العزة عما يصفُون،

وسلامٌ على المرسلين،

والحمد لله رب العالمين».

*　　*　　*

[١٩ـ الحبيب محمد بن عبد الله بن يحيى
(...ـ١٣٠٨هـ)]

ومنهم:

الشيخُ الإمام، العالم العامل، الجهبذ الكامل، البالغ من العرفان مرتبةً عليةً، والمشهود له بتولي القطبية، جمال الدين، محمد بن الشيخ الإمام عبد الله بن عمر (صاحب البقرة) بن أبي بكر بن عمر بن طه بن محمد بن شيخ بن أحمد بن يحيى بن حسن بن علوي بن الشيخ الإمام محمد مولى الدويلة، صاحبُ المسِيلَة.

ولد بها وتربى بأبيه الإمام، وأخذ عن كثير من الأئمة الأعلام، منهم: الحبيبُ عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه، والحبيب عبد الله بن علي بن شهاب، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب الحسن بن صالح البحر، وغيرهم ممن استنار بهم ذلك العصر.

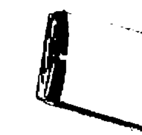
ووصل سنةَ سبعٍ وستين ومائتين وألف (١٢٦٧هـ) إلى مصر، وجاور بها للطلب في الجامع الأزهر برهةً من الزمان، وأخذ عن جملةٍ من الأعيان، منهم: الشيخ إبراهيم البيجوري شيخ الإسلام بها، وكان يحضر أكثرَ درُوس الأزهر، وكان جملة المدرسين فيه مائةً وثمانين مدرساً، كما أخبر.

ثم رحلَ منها إلى الحرمين فأدى النسكين، وزار جدَّهُ سيدَ الكونين ﷺ، سنة ثمان وستين ومائتين وألف (١٢٦٨هـ)، وأخذ بها عن جملة من الأعلام، وظفر من زيارة جده

خير الأنام عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام، غايةَ المرام، ورجع إلى بلده ظافراً بما حازه من بر وإكرام.

أخذ عنه جمعٌ كثير، وجمٌ غفير، منهم: سيدي الحبيبُ قدس سره، زاره مرات، كان يمرّ عليه لزيارته كلما خرجَ لزيارة تريم، لما يعرفه من قدره العظيم ومقامه الكريم، وكان شيخُنا الإمام المؤتمن من أسرار الولاية على ما ظهر وبطن، الحبيب أحمد بن الحسن يقول: «إنّ صاحبَ الترجمة تولى مقامَ القطبية»، وناهيك بها مزية، ورتبة علية.

وقد وقفتُ على ترجمةٍ له عند أولاده لما زرتُ منزله مع شيخِنا الحبيب أحمد بن الحسن المذكور، جمعها تلميذُه الفقيه النبيه الحبيبُ محمد بن عثمان بن عبدالله، لم أتمكن من نقلها، وذكره الشيخ بن حُمَيد في «تاريخه»، وترجمة شيخنا المشهور في «الشجرة الكبيرة»، قال: «كان سيداً فاضلاً عالماً ناسكاً، يحبُّ الخلوة والبعد عن الناس والفضول، توفي لستٍّ عشرةَ من ربيع الأول سنة ثمانٍ وثلاثمائة وألف، رحمه الله وأعاد علينا من بركاته، آمين».



❊ ❊ ❊

[٢٠ـ الحبيب علي بن حسن الحداد (١٢٣٨ – ١٣٠٨هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام، نور الدين وبركة المسلمين، الحبيبُ العارف بالله علي بن حسن بن حسين بن أحمد بن الشيخ الحسن بن الشيخ القطب عبد الله بن علوي الحداد.

المتربع على سرير النقابة، المتوجُ بالشهامة والمهابة، الذي تهاب سطوته أسْدُ الغابة، وتعنو لجلالته رقاب الأكابر ولا غرابة، الأسدُ النهام، الصادع بالحق في كل مقام، الذي لا يبالي في ذات الله بالملام، مطعم الطعام، ومُروي الأُوام، الناهي عن المنكر الآمر بالمعروف، الذي بعدم المحاباة في دين الله موصوف. زعيمُ العصابة الحدادية، المناضلُ عن السيرة العلوية، المعروفُ بين البرية بعلوِّ القدر وصحة القصد وإخلاصِ النية، أوحدُ أربابِ المراتب، وأحدُ المناصبِ الذين أمرُهم بين الناس ضربٌ لازب.

ولد بحاوي النور حاوي تريم، ونشأ بين تلك الدور في رياض المجد والتكريم، وكان وجودُه يوم الربوع سَلْخَ محرم سنة ثمان وثلاثين ومائتين وألف، وتأدب بأبيه الإمام العظيم، واهتدى بهديه القويم، وقرأ القرآن العظيم.

وأخذ عن والده علومَ الإيمان والإسلام، وانتفع به الانتفاع التام، وجدَّ في طلب العلوم الشرعية والمعارف المرضية، وقام للطلبِ بآدابه المرعية، وأخذ من ذلك بالنصيب الأوفى، وحلَفَ لَيرتقِيَنَّ رتبةَ الكمال ووفَّى، وقرن بالعلم العمَل، وجانب العجزَ في ذلك والكسل.

أخذ بحضْرموت عن أئمة أكابر، سنا أنوارِهم باهر، منهم: الحبيب حسن بن عمر بن أحمد الحداد، والحبيب حسن بن عبد الله بن أحمد الحداد، والحبيب محمد بن عبد الرحمن الحداد، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب أحمد بن علي الجنيد، والحبيب عبد الله بن علي بن شهاب، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، وغيرهم.

ورحل إلى الحرمين الشريفين وأدى النسكين، وزار جده الحبيب العظيم عليه وعلى آله أفضل الصلاة والتسليم، وأخذ هُناك عن أئمةٍ أجلة، من علماء الملة، منهم: الشيخُ عثمان الدمياطي المكي، والشيخ علي بن يوسف المدني شيخ «الدلائل» وقرأها عليه مرات، ورحل إلى الهند لبعضِ المهمات، فأسعفه الله بمراده.

ورجع إلى بلاده، وتردد في البلاد، ونفع الله به العباد، ولازم الأعمال الصالحات، وعمر الأوقات بأنواع القربات، وخرق من نفسه العادات، وأخلص لله باطنه وظاهره، وكان مولاه فيما يعاني حافظه وناصره، حتى دارت عليه الدائرة.

[توليه منصبة مقام جده]:

وتوفي والده الإمام، فكان هو المتأهل للقيام بمنصب جده غوثِ الأنام، فأقيم في ذلك المقام العظيم، وألقَت إليه القيادَ تريمُ وأهل تريم، فقام بذلك المنصب على الوجه المحبوب، وسلك في ذلك على أحسن أسلوب، وقام بوظائف أسلافه السادات في العبادات والعادات، ووضع الله له الهيبة في القلوب، والسطوة التي ارتدع لها الكثير عن مقارفة الذنوب، فهابه الأمراءُ والجنود، وخضع لهيبته كل عنيد وكَنود، وأقام مدارسَ أسلافه العلمية، وسلك سبيلهم في الدعوة إلى التمسك بالسيرة السوية والآداب النبوية.

وكان قدس سره لا يتحاشى عن الأمر بالحقّ، ولا يحابي في ذلك أحداً من الخلق، حتى أن كثيراً من العوائد القليلة الفوائد لم يَتجاهر بها أربابُها إلا بعد وفاته.

وكان قدس سره شديداً في ذات الله سبحانه، تغلبه الحدة عند انتهاك الآداب الدينية، وكان بينه وبين الحبيبِ الإمام شيخ الأحقاف محسن بن علوي السقاف، صلةٌ وصُحبة، ووصلةٌ ومحبة، ومراسلةٌ ومكاتبة، ومنادمةٌ ومخاطبة. ولقد وقفتُ على مجلدٍ من «مكاتبات الحبيب محسن» كلُّها لصاحبِ الترجمة.

وهو من أجلِّ من أخذ عنه سيدي الحبيبُ ووالده الإمام قدس سرهما، وقد تقدمت إجازةُ صاحب الترجمة للحبيبِ طاهر والدِ سيدي الحبيب قدس سرهما في الباب الرابع[1]. وكان صاحبُ الترجمة يعظم سيدي الحبيب ويحترمُه ويستعين به.

[مكاتبة من صاحب المناقب للمترجم]:

ومما وجدته من مكاتباته له هذا المكاتبة:

«الحمد لله مصلح النيات، وقاضي الحاجات، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبة الأئمة القادات.

من أقل العباد، الداعي لكم عليٍّ بن حسن بن حسين بن أحمد الحداد، إلى جناب الأجل الأكرم المكرم، الولد الأمجد الأفخم، المبارك المحفوظ، الجمال الفاضل محمد بن الصنو الأجلّ طاهر بن الوالد عمر بن أبي بكر الحداد، بلغه الله المراد، وكان له في الصدور والإيراد، وبارك له في كلِّ ما أحب وأراد، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صدرت من حاوي البركات والخيرات، ونحن والحبايب وأهل المكان الجميع بعافية، نرجوكم أنتم والوالد وأصناكم وأولادكم ومن تحبون بعافية.

---

(١) تقدم القول أن هذا الباب مفقود.

أخبارُ الجهة ساكنةٌ ورائقة، والناس بعافية، والباعثُ لهذا جناب سيدي، لإبلاغ السلام، وبذلُ الدعاء كما هو مطلوبٌ بنيلِ المرام، والسؤالُ عن أحوالكم الزكية، نرجوا الجميع بعافية. هذا؛ وقد وصل منكم كتابٌ سابقاً، والظنّ أنا لم نجوّب عليه، حيث فينا قِلُّ مقدرة قليل، ما قدرنا نجوّب، العفو سيدي، وهذا صحبة الولد أحمد بن حامد، واصل لزيارة المشهد ودوعن، أصحبناه هذا، وخط لوالدكم، وبلّسْنه كفاية.

ويا ولدُ حماك الله؛ إن ما فيه مشقّة عليكم وكُلفة، مرادُنا بخمسة ريال ذهب خيط مصري من الزّين، لأحدٍ من البنات باتتزوج، والذهب معدوم عندنا. تفضّل سيدي، ويكون صحبة الولد أحمد حامد، ولو شقينا عليكم، ولكن قدكم إلا أولادنا ومن البيت، ما شي خافي عليكم في جميع الأمور، الله الله سيدي!.



ونحن لكن داعون وبكم معتنون، وذاكرون في الحضرات والزيارات.

والسلام عليكم وعلى من لديكم، خصوصاً الوالد وأصناكم وأهل دايرتكم الجميع، والكتاب بعجل، مع نفوذِ أهلِ الزيارة، وبلسْن الوَلد أحمد حامد كفاية.

وحرر في يوم الأربعاء

لخمس مضت من ربيع الأول

سنة ١٣٠٧ سبع وثلاثمائة وألف».

* * *

فلينظر الواقف إلى ما كان عليه السلف الصالح من عدم التكلف في الخطاب، وعدم التشدق والتسجيع الذي قد عم الابتلاء به في الزمان الوضيع، ثم إلى تلطف هذا السيد القمقام لولدِه وتلميذه الهمام في الكلام، علماً بما أكرمه الله به من رفعة القدر وعلو المقام، ثم إلى الحاجة التافهة المطلوبة واشتراط عدم المشقة والكلفة.

مع أن الذي نعرفُه من خلُق سيدي الحبيب قدس سره أن لو طلبَ منه مثلُ صاحبِ الترجمة خمسمائة أو خمسةَ آلاف ريال لسارعَ إلى تحصيلها، مع أنها كانت تقع موقعاً من صاحب الترجمة ومقامه الكبير وجاهه الفسيح، وتحل محلَّ الكفاية مما يحتاج إليه في تجهيزِ النساء من هذا النوع.

وبذلك يعرفُ ما كانت عليه حالةُ الناس في وقتِ صاحب الترجمة منذ ثمانٍ وأربعين سنةٍ من الاقتصادِ في ملابس النساء، وأين ذلك مما حدثَ الآن من فساد الزمان، والمسارعة إلى مراضي النسوان، وإن اقتضى البعدَ عن الأوطان، وضياعَ الأعمار والأديان، وتكاثُفَ الهموم والأحزان، ومعاناة القطيعة والهجران، والتفاخر والتكاثر المنافي للإيمان. ولا مبعد عن التأسي بسيد ولد عدنان، وآله وصحبه صلى الله عليه وعليهم في كل آن، ويا لها من حسرة وحسرات!

اللهم أنت المستعان؛ ولقد بلغ الحالُ بالمسرفين إلى أن عد من مكارم أخلاقهم الاقتصار على أربعة أرطال من الذهب للمرأة ولا حول ولا قوة إلا بالله.

ومن كتابٍ من صاحب الترجمة لولديه: الحبيب الإمام عبد الله بن علي، والحبيب محمد بن علي رضي الله عنهم، قال رضي الله عنه بعدَ ذكرِ وفاة بعض الأعيان: «والدنيا هكذا حالُها ومآلها وتقلباتها وزوالها، (شعراً) :

دنيا تغرٌّ وعيشٌ كلّه كدرٌ ... لولا النفوسُ التي للوهْم تنقادُ

غيره:

حتى إذا امتلأوا بِشْراً بما ظفِروا ... ومُكِّنوا من عُلاها أبلغَ المكَنِ

ناداهُم هادمُ اللذات فاقتحموا ... سبل المهات فأضحوا عبرة الفطن

ولكن لا ساعي ولا داعي، ولا سامع ولا واعي، ﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴾.

آلُ فلان بنوا دار في مكان كذا قد خسروا فيه نحْو ثلاثة آلاف ريال، وعادهم ما عقدوا السترة فيها معروضَتين وسَبْيتين! وفلان بنى دار عاده إلاّ في أول قصْر ولَبْعَد يسّره، وقدُه مساوي ناصفة منارة مسجد كذا، واطلعي يا طية!!.

وكم وكم! أمورٌ تحير الأذهان، وتصم الآذان وتعمي الأعيان، وأخبار أهل البلد وما هُم عليه وفيه، رجال ونساء، من الشِّرَة والبَطْرة، وضياع الأموال مع النسوان والشياطين والسلاطين، توحش الخاطر وتكسف البال.

والفقيرُ احترقَ بمرقة الغني؛ ولا واحد يستحي بخُمْسيّة لمسكين، أو خرقة صدقة لرحم أو قريب أو حبيب، راحت أموالهم في التُّرَّهات والبطالات، والله يهدي الكل ويرشد الكل إلى ما فيه صلاح الدارين.

ونحنُ في حاوي ولَد علوي، في غاية الأمن والراحة، والحبور والاستراحة، والأمور ميسرة ومستمرة، والحال كما قال ولدُ علوي رضي الله عنه (شعراً):

أنا في شُغلٍ عن النّاسِ وعن	كلّ ما هُم فيهِ من خَير وشَرْ
عمــلي لي ولهــم أعمالهُــم	وبعَـين الله مـن بَـرْ أو فَجـرْ
وعلى الله حـسابُ الكـلِّ في	يوم نـارِ الله تَرمـي بالـشّررْ

.انتهى.

أخبرني الحبيبُ طالب بن عبد الله بن الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس عن سيدنا الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي أنه قال: «أخبرني بعضُ أولاد الحبيب عبد الله ابن حسين بن طاهر: أن والدَه ندمَ لما استخلفَ الحبيب حسن بن حسين الحداد عند وفاته، وذلك أنه لما كان يومَ وفاته صار يسألُ عن الحبيب حَسن: هل أتى من الحاوي؟ ويأمرهم أن ينظروا إلى ناحية تريم، فنظروا أربعَ مرات ورأوا الحبيبَ حسن في المرة الرابعة مقبلاً، وليس معه أحدٌ غيرُ خادمه، فأخبروه بإقباله.

فقال لهم: إذا وصلَ أدخلوه علي، فلما دخلَ عليه أخذَ سواكاً كان معه واستاكَ به، ثم أعطاه الحبيب حسن، وقال له: هذا سواكُك، فاستاكَ به الحبيب حسن، وخبأه واستأذن في الرجوع، فقال له الحبيب عبد الله: لا ترجع إلى تريم فإن الساعة قربت، ولكن ابقَ في شيء من الأماكن القريبة، فخرج الحبيبُ حسن إلى السويري، وعند ارتفاع النهار تُوفي الحبيب عبد الله، فرجع الحبيبُ حسنٌ إلى المسيلة وحضر الصلاة عليه ودفنه».

قال الحبيب علي: «فبقيت أتطلّبُ ما يؤيدُ كونَ الحبيب حسن بن حسين الحداد وارثَ الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، حتى رأيتُ ذات ليلة كأني في الحجرة النبوية زائراً للحبيب العظيم ﷺ، فزرتُ زيارةً نبويةً، وأردتُ الانصرافَ فإذا أنا بقائل يقول: إنما هذا قبرُ الحبيب عبد الله الحداد! فنظرتُ فإذا الحجرة الشريفة قد صارت قبرَ الحبيب عبد الله الحداد، فزرته زيارةً كاملةً، وأردتُ الانصراف وإذا بالقائل يقولُ: إنما هذا قبرُ الحبيب عبدالله بن حسين بن طاهر، فنظرتُ وإذا القبر قد صار قبرَ الحبيب عبد لله بن حسين، فزرتُه زيارةً كاملةً وأردتُ الانصراف، وإذا بالقائل يقول: إنما هذا قبرُ الحبيبِ حسن بن حسين الحداد، فنظرت فإذا القبر قد صار قبر الحبيب حسن بن حسين فزرته.

فلما أكملتُ الزيارة انشقّ القبرُ وخرج منه الحبيب حسن بن حسين في صورة جماليةٍ وهيئةٍ عظيمة، وقال: كيف رأيتني يا علي كيف أتنقّلُ في المظاهر النبوية؟ فقلت له: نعم، وأنت أهلُ ذلك ومحله، فقال لي: ما يقولُ الناس في ولدي علي؟ فقلتُ: يثنون عليه خيراً، فقال: لكنّ بعض الناس يقولُ إنه ليس بأهل للخلافة! ووالله؛ إنه لأهلاً وأهلاً وأهلاً». انتهت.

هذه الحكايةُ المشتملة على فوائد مهمة، من التنويه بعِظَمِ مقامِ صاحبِ الترجمة وأبيه وقد أوردتُها بمعناها مع طول العهد بسماعها، ضناً بها عن الضياع، وتشنيفاً للأسماع.

وما زال صاحبُ الترجمة قدس سره ساعياً في مراضي الرب، متقلباً في أنواع القُرَب،

راقياً في مدارج الرتب، ظاهراً في ذلك المنصب الشريف، متوجاً بتيجان التعظيم والتشريف، يقلد الطلاب بقلائد الجواهر الآداب، ويصرّفهم في مسالك التأديب كتصريف عوامل الإعراب، ويحيي ما دثر من السنن، ويميتُ ما أحدث مما يخالف العُرف الحسَن، حتى أتته رسلُ ربه، فتوفي إلى رحمة مولاه وقربه، في رمضان سنة تسع وثلاثمائة وألف، ودفن بزنبل من جنان بشار، بمقبرة سلفه الأبرار.

[مرثية ابن شهاب]:

وقد رثاه الحبيبُ العلامة أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب بقصيدةٍ أحببتُ إيرادها هنا برمتها، لاشتمالها على غرر من مناقبه.

قال رضي الله عنه:

مـــمّ الأســـى وتوجّـــعُ الأكبـــادِ ... وعـــلامُ حـــلّ الحـــزن كـــلّ بـــلاد

وبما اسـودادُ الأفـقِ حتـى أظلمَـت ... أرجـــاؤهُ في مقلـــة المرتـــاد

فاسأل عن النبأ العظيمِ ومـا جَـرى ... في الأرضِ من سَبْع الزمـان العـادي

أتــراكَ تجهــلُ! لا؛ ولكــن دهــشةٌ ... ممـا عـرى اسـتهوَتك بالمرصَـاد

هــو نكبــةُ الإســلامِ بــالمرفُوع في ... يَــده لــواءُ الفــتح والإمــدادِ

المـستَوي في عَـرشِ منـصِبِ جـدِّه ... قطـبِ الـورى المـشهورِ بالحـداد

سرُّ الـسلالة مـن نِجـار محمّـدٍ ... وخلاصـةُ الأبـدالِ والأوتـاد

فـرعٌ زكَـى مـن دوحـةٍ علويـة ... سُـقيتْ بـماء الـوَحْي والإسـعاد

جـاء البريـدُ ولا نعِـمّا صـارخاً ... بمفتِّـتِ الأصـلابِ والأعـضاد

خطبٌ به ذهب الندى وتضَعضعَتْ ... عُمُـدُ الهـدَى والـبرِّ والإرشـاد

حكمُ الإلهِ وليسَ يُسأل قـد جَـرى ... بـأفولِ نـيِّرِ دينِـه الوقّـاد

محيي الدياجي إذ يناجي ربه ... بتلاوةِ القرآن والأوراد

حفّ الملائك والملوكُ بنعشه ... وطوائفُ العلماء والعباد

وارتْه وانقلبتْ تعضُّ أكفَّها ... وتصبُّ صيِّبَ دمعها المنقاد

عجباً لذاك الطود كيف تقلُّه ... نحوَ الضريح نواحلُ الأعواد

أم كيفَ هذا البحرُ في جُرُزِ القلوب ... يفيضُ ثم يغيض في الألحاد

قل للمكارمِ فلتشقَّ جيوبَها ... ولتلبسِ العلياءُ ثوبَ حداد

أسدٌ، خلوُّ الغابِ عنه غدا به الـ ... ـهمُّ المبرِّحُ ملءَ كلِّ فؤاد

وغدت أَزِمّةُ يعملاتِ العلم والـ ... ـتحقيقِ ملقاةً على الأكتاد

كم من فيوضاتٍ له فُتِحتْ بها ... أهلُ الطريق بأقربِ استعداد

مقري الضيوف كأنهم شركاؤه ... في طارفٍ من مالِه وتلاد

وله بأفئدةِ الملوك مهابةٌ ... تثنيهم عن سوءِ الاستبداد

بالحقِّ يصدع لا يخافُ ومالَه ... في قولِ غير الصدق من مُرتاد

ما انفكَّ في جلبِ المصالح سَاعياً ... ولدرء ما يخشى من الإفساد

كُنّا به في جُنّةٍ ووقاية ... من طارئاتِ الزيغِ والإلحاد

حتى دعاه إلى الكرامةِ واللقا ... من ربهِ الرحمن خيرُ منادي

فأجابَه وقلا الديارَ وأهلها ... وجثا بحضرة مُكرِمِ الوفّاد

بعلاه أُقسِم: ما لنيرانِ الأسى ... بفُراقِه والحزن من إخماد

لكن لنا بمصابِ أحمدَ أسوةٌ ... ووصيِّهِ وبنيه والأحفاد

ولنا من التسليمِ خيرُ سُرادقٍ ... متمكنِ الأطنابِ والأوتاد

ولنا بعَبد القادر الشهم الذي ... خلَفَ الفقيد نكايةُ الأضداد

حبرٌ ترشّح للرقيِّ إلى علا ... أسلافه بكمال الاسْتعداد

سمةٌ وشِنْشِنةٌ وإرثٌ عنهم ... والشبلُ يَعرفُ مسرحَ الآساد

وبرهطه أعني بني الحداد سا ... دات العبادِ شموسِ ذاك الوادي

الطيبين الطاهرين الراكعـ ... ـين الساجدين القادةِ الأمجاد

السالكين بهَدْيهم قدَماً على ... قدَمٍ إلى قدمِ الحبيب الهادي

الوارثين عن الرسولِ علومَه ... وعن الخليفةِ سيد الزهاد

وعن الشهيد بكربلاءَ ونجله الأ ... واه ذي الثفناتِ والسجّاد

وعن الأكابر فالأكابرِ والكرا ... م عن الكرامِ وكمّل الأجداد

يروون ما لم يرْو غيرُهم من الـ ... ـسرّ المصونِ بصحةِ الإسناد

الناظرين إلى العبادِ برأفةِ ... نظَرَ الحكيم مصالحَ الأولاد

دمثُ الشمائل طيبُ نشرِ حديثِهم ... يسري النسيمُ به ويحدو الحادي

لا بيتَ أسبق للمكارم والعلا ... من بيتهم في حاضِر أو بادي

يهتزّ طفلُهم اشتياقاً للعلا ... والمجدِ طبعاً ساعةَ الميلاد

تأبى نفوسُهم الأبيةُ أن تُرى ... حوامةً في ساحة الأوغاد

بالله عزُّهم وطهَ المصطفى ... ومقامِ جدِّهم الفسيح النادي

لا يركنون إلى ذوي ملكٍ ولا ... يتضرّعون لظالمي الأجناد

زاد الإلهُ عليَّ كعبهم ولا ... برحوا قَذىً في أعينِ الحساد

صبراً بني الحداد إن فقيدكم ... جارُ الإله وجارُ طه الهادي

فعلى ضريحِ ضمّ أعظمَه من الـ ... ـرضوان رائحُ صَوبه والغادي

ولئن مضَى عنكم فقد أبقى جمـ ... ـيل الذكرِ في الأغوار والأنجاد

والموتُ سنةُ من تفرّد بالبقا ... في الخلقِ وهو الصّادق الميعاد
كل ابنِ أنثى لا محالةَ صائرٌ ... نصباً لمخلبِ ذلك الصياد
فلنرفعِ الأيدي ونضرعْ للذي ... آلاؤه جلّت عن التعداد
أن يكتب الأجرَ الجزيل ويجعلَ الـ ... ـصبر الجميلَ لكم أجلَّ الزاد
وإليكم مسنونَ تعزيةٍ أتت ... من ذي حشاً حُشيَتْ من الأنكاد
وتحيةً من نازحٍ عنكُم له ... فيكُم صحيحُ محبةٍ ووداد
وعلى الحبيبِ الهاشميِّ وآله ... أزكى السلام على مدى الآباد

.انتهى.

* * *

[٢١ـ الحبيبُ أحمد بن عبد الله البار
(١٢٣٢ ـ ١٣١١هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام، راسخُ الأقدام في علوم الإيمان والإسلام، وشهاب الدين الحبيب أحمد بن عبد الله بن عيدروس بن عبد الرحمن بن الشيخ عمر بن عبد الرحمن البار. عظيمُ المقدار، مجمع الأسرار والأنوار، شديد الخشية والانكسار للجبار، قرين الفكر والادِّكار، حليف الهدى والاعتبار، عمود السكينة والوقار، محيي السنن والآثار.

بحرُ المعارف والعلوم، البالغ في تحقيق منطوقها والمفهوم مرتبةً دونها مواقع النجوم، الجامعُ بين الشريعة والحقيقة، والمتمسك من كمال الاتّباع لجده سيد الخليقة ﷺ بعروة وثيقة، مشنفُ آذانِ الطالبين من علوم الدين بلآلِ غالية، والرافعُ لهم فيها بحسن تلقينه مراتبَ عاليةً، الظاهرةُ مناقبُه الكثيرة، ظهور الشمس وقت الظهيرة.

كان هذا الإمامُ من أئمة الإسلام، وهداة الأنام الذي لا تسمحُ بوجودهم الأيام، ترجمَه ابنُ أخيه، وخليفته في ناديه، شيخُنا الإمامُ الحبيبُ الحسين بن محمد بن عبدالله البار ترجمةً مختصرةً، هي درر منتثرة، وها أنا أذكرُ ما ذكره من خطبته، بلفظِه وعبارته، ثم أضيفُ إليه ما تتمّ به الإشارة والتنبيه إلى قدر هذا الإمام الوجيه مما نقله وأرويه.

قال رضي الله عنه:

«ولد نفع الله به في ربيع الثاني من سنة اثنين وثلاثين ومائتين وألف (١٢٣٢هـ)

ببلد القِرَين، وتربى في حجر والده الإمام، وقرأ القرآن العظيم ثم حفظه وحَفظ بعضاً من «منهج الطلاب»، وقرأ في أيام صغره على والده، ثم سافر مع والده إلى الحج في سنةِ ستٍّ وأربعين ومائتين وألف (١٢٤٦هـ)، فحج وزار المصطفى ﷺ مع والده.

واجتمع في المدينة المنورة بالشيخ منصورِ البُدَيري، وكان من الأولياء وبشّر والده بأن ابنه هذا يكون من أهل العلم، ورجع مع والده إلى بلده وأرسلَه إلى الخريبة للقراءة على الشيخ عبدالله باسودان، وولده محمد، وزَوّجَه والدُه شريفةً من أقاربه فأقام نحو سنة، ثم سافر إلى الحرمين برفقة أخيه الوالدِ محمد، وأقام بمكة خمس سنين وأكثر، مكباً على طلب العلم الشريف.

وفي أثناء هذه المدة خرجَ من مكة إلى زبيد، وأقام بها نحوَ خمسة أشهر، واجتمع بالسيد العلامة محمد بن عبدالرحمن بن سليمان الأهدل، وحضرَ قراءة البخاري بزبيد، واجتمع بالسيدِ العلامة طاهرِ الأنباري وقرأ عليه «عمدة الأحكام» في الحديث، واجتمع بالشيخِ إبراهيم المزجاجي.

ثم رجع من زبيد إلى مكة واجتمعَ بمشايخ أجلاء وعلماء أعلام، وسمع على العلماء المصريين، كالشيخ عثمان الدمياطي، والشيخ أحمد الدمياطي، والشيخ علي سرور، وكان جلُّ قراءته عليه، وسمع دروسَ الشيخ عبدالله سراج الحنفي، واجتمع بالشيخ عبد الرحمن الكزبري من أهل الشام وقرأ عليه «رسالة الشيخ العجلوني» في أوائل كتب الحديث، واجتمع بالشيخ السيد محمد بن علي العمراني الصنعاني وكان له الباعُ الطويل في علم الحديث.

ثم خرج إلى البلاد بعد وفاة والده، وخرج منها لزيارة حضرموت، واجتمع بالسيد الولي العارف بالله الحبيب أحمد بن عمر بن سميط، واجتمع بالحبيب الحسن بن صالح البحر الجفري مرات واجتمع بالحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، وقرأ عليه في جزء من

«الإحياء»، واجتمع بالحبيب العلامة عبد الله بن عمر بن يحيى مرات، وأول اجتماع به وقع بمكة وقرأ عليه، وسمع منه وهو يقرأ في «مناسك الحج»، واجتمع به أيضاً عند زيارته لدوعن، واجتمع أيضاً بالسيد العلامة عبد الله بن حسين بلفقيه، وحضر زيارة نبي الله هود عليه السلام مع جمع كثير من السادة العلوية، ثم إنه زار حضرموت زيارةً ثانية ولم يجاوز تريم لعدَم الأمن في تلك المدة.

وأقام نفع الله به بوطنه من حين خروجه من الحرمين الشريفين سنة **١٢٥٧** سبع وخمسين ومائتين وألف، إلى أن توفّاه الله تعالى إلى رحمته سنة **١٣١١** إحدى عشرة وثلاثمائة وألف، ولم يسافر في تلك السنين السابقة إلا ثلاثَ أو أربعَ مرات لقراءة العلم الشريف تدريساً ومطالعةً، لا يشغله عن ذلك شاغل، ولا يعوقه عائق، وهو في غاية التحرز عن التعرّض للفتوى ومحاورة طلبة العلم ومجادلتهم، بل دأبه قراءةُ الكتبِ النافعة في الحديث والفقه والتصوف والنحو.

وقد كان في أول الأمر يقرأ في «صحيح البخاري» كلّ يوم، وفي آخر الأمر خصَّ قراءة البخاري بيوم الجمعة فقط، ولا يقرأ في ذلك اليوم غيرَه، واستمر على ذلك نحواً من خمسٍ وعشرين سنة، ولما كبر وضعُفَ كان يقرأ أبواباً، ثم أقرأُ أنا إلى تمام القراءة، وبعد ذلك ضعُفَ بصره، فكنتُ أنا أقرأ وهو يسمع، مع كمال الإصغاء والضبط والتنبيه على ما يُحتاج إليه، والرد إذا وقعَ مني خطأ في القراءة.

[مقروءات الحبيب حسين البار على عمه المترجم]:

وقد قرأتُ عليه «صحيح البخاري» مرات وسمعته منه مرات، وقرأت عليه «صحيح مسلم» مع «شرحه» للنووي مرتين، وقرأت عليه «تيسير الوصول» للحافظ الديبع، وكتاب «رياض الصالحين»، وكتاب «الأذكار»، وكتاب «الشفا» مرات، وكتاب «إحياء علوم الدين»، وقرأتُ «المنهاج»، و«شرح المنهج» مرتين أو أكثر، و«شرح ألفية ابن

مالك في النحو لابن عقيل» مرات، وبعض شروح الآجرومية وغير ذلك، وقد أجازني مراتٍ إجازةً عامةً، وأجاز الإخوان والأولاد الجميع، وقد حضر يوماً في أيام مرضِه السيدُ الفاضل الجليلُ أحمد بن حسن العطاس مع جملةٍ من السادة والأصحاب، وطلب الإجازةَ من سيدي الوالد نفع الله به له ولنا وللحاضرين ولجميع الموجودين في ذلك العصر في أقطار الدنيا، فأجاز المذكور جميعَهم إجازةً عامةً، وأهلَ عصره أجمعين.

وكان له نفع الله به تمامُ الدراية بعلم الرواية، وله الفهم الثاقب، وكمال المعرفة بالمظانّ، حتى أنه كان قلما يفتحُ كتاباً لمراجعة مسألة فيتقدّم أو يتأخر عن المحل المطلوب إلا بورقةٍ أو ورقتين، وكثيراً ما يقع على المطلوب أولَ وهلة، وكان مع ذلك مؤثراً للخمول وعدم التصنع للناس، ولا يخالط الناس في المجالس العامة، ولا يتوسّط في أمورهم الخاصة ولا العامة، ولا يصل إلى منازل الظلمة إلا للشفاعة ونحوها، ولم يجعل على نفسه سبيلاً لأحدٍ من الناس فلم يتوكّل لأحدٍ في حضَر ولا سفر، ولم يقسم تركةً، ولم يكتب حجةً لأحد، ولم يشهد لأحدٍ إلا أن يكون نادراً.

وكان نفع الله به يقومُ من الليل يصلي ويقرأ القرآن، ولا يترك قيام الليل إلا لعذر، ولا يزيدُ في صلاةِ الليل على إحدى عشرة ركعة، وكان في أيام قوّته ونشاطه يقرأ في الصلاةِ وخارجَها سُبُعَ القرآن، ويختم في كل أسبوع، ولما كبر وضعف كان يقرأ جزأين فقط، ويهلّل في النهار كثيراً عِوَضاً عن ما نقص من قراءة القرآن.

وكانت تُحمَل معه مسبحةٌ كبيرةٌ ألفية، إذا خرج من البيت إلى جناحِ المسجد، محلَّ التدريس، وكان لا يقرأ القرآن إلا في المصحف احتياطاً، إلا إذا وَجد من يستمع له.

وما زالت أوقاته معمورةً بالقرآن والذكر والعلم الشريف، وكان لا يقطع قراءة «صحيح البخاري»، كلما ختمه افتتح فيه مرة أخرى، وكانت القراءة فيه كلّ يوم، ثم استحسن القراءة فيه يوم الجمعة فقط، ولا يقرأ في ذلك اليوم [...][1]، واستمرّ على ذلك،

---

(١) كلمة غير واضحة بسبب رداءة التصوير.

ونحن مستمرون عليه بعده، ويكون الاستمرارُ على ذلك إن شاء الله إلى يوم الدين، وكان صلواته كلّها في المسجد، الفروض والنوافل ،إلا التهجد في الليل ففي البيت.

وكان في أولِ وقته يصلي الصلوات في مسجد القُبة المعروف، ثم لما بنى الولد رحمه الله مسجد الشِّعَيب الأسفل، وكان قريباً من البيت، صار يصلي فيه صلاة الصبح والمغرب والعشاء، ويصلي الظهر والعصر في مسجد القبة.

وكان يتوضأ لكلِّ صلاةٍ حتى في شدة البرد، ولما ضعف صار يجمع بين المغرب والعشاء بوضوء، وإن تأخرَت صلاةُ الظهر صلّى العصر بوضوئها، وإن تقدمت توضأ لكلّ واحدة، ويصلي رواتبَ الصلاة: ركعتي الفجر وأربعاً قبل الظهر وأربعاً بعدها وأربعاً قبل العصر، ويقول: كفَى في تأكيد طلبها قولُ النبي ﷺ: «**رحم الله أمرءاً صلى قبل العصر أربعاً**»، ويصلي بعدية المغرب وبعدية العشاء ويصلي وراءه واحدٌ من الحاضرين في جميعِ الرواتب لأجلِ حفظ عدد الركعات.

والجماعةُ وإن لم تكن مندوبةً في رواتب الصلاة فقد وردَ فعلُها في صلاة الليلِ: لما نام ابنُ عباس عند النبي ﷺ في بيت خالته ميمونة، فلما قام النبي ﷺ يصلي من الليل قام ابنُ عباسٍ وصلى خلفه[1]، وفي صلاة النّهار: لما طلب بعضُ الصحابة من النبي ﷺ أن يصلي في بيته فجاءَ ﷺ وصفَّ وراءَه أصحابُه وصلى بهم[2].

وكان يحيي ما بين العشاءين في المسجد ويقرأ هو ومن حضر معه سورة يس والواقعة، وسورة اقرأ باسم ربك، وسورة القدْر، وإذا زلزلت، ولإيلاف قريش، ويقرأ هذه السوَر بعد صلاة الصبح أيضاً.

---

(١) متفق عليه.

(٢) صحيح أخرجه البخاري من حديث محمود بن الربيع، وصاحب البيت: هو عتبان بن مالك، أنصاري، بدري.

وكان يرتب بين العشاءين قول :«يا حفيظ» (مائة مرة)، و«يا لطيف» (مائة وتسعاً وعشرين مرة)، والصلاة على النبي ﷺ (مائة مرة) بلفظ: «اللهم صل على سيدنا محمد، اللهم صل عليه وسلم، اللهم صل على سيدنا محمد، يا رب صل عليه وسلم»، ويعدّ هذه أربعَ مرات، ويتم عدد المائة على هذا النمَط، وكان يجيز من طلبه الإجازةَ في الذكر: في قراءة يا حفيظ ويا لطيف العددَ المشروح، والصلاة المشروحة، ويؤثِرُ ذلك عن السيد الولي عمر بن عبدالله الجفري، نزيل المدينة المنورة.

ولما كان له نفع الله به الحرصُ التام على اكتساب ما يقربه من الله سبحانه، لم يترك شيئاً مما اعتاده حين كبر وضعف جسمه، حتى أنه طرأ عليه المرضُ الذي أصابه بعد اغتسالِه آخرَ ليلةِ الجمعة لصلاة الليل، وهو المرضُ المسمّى بالفالِج، أعاذنا الله وأحبابنا منه. ولأهلِ الجهة في دواء هذا المرضِ بصيرةٌ بالكيِّ المتعدد المفرق في الأعضاء، وهو دواء نافع مجرب، شُوهد في كثير من الناس، وقد رغبنا في فِعله له رحمه الله، فامتنع من ذلك ولم نقدِر على مخالفته، فتركنا الكيَّ مع رغبتنا فيه، حتى استحكم الأثرُ وظهر أثرُه في اليد اليسرى والرجْل اليسرى، وبطلت حركتها، واستمر به هذا المرضُ خمسَ سنين كاملة وأيام.

وكان في هذه المدة كلها لا يستريح إلا بالقراءة عليه والإنشاد لأشعار الصالحين، والسماعِ بالطّار المعهود وبغير طار، ولا يخلو وقته عن شيءٍ من ذلك إلا القليلُ من الليل والنهار، حتى أن الأولادَ جميعهم قرؤوا عليه كتبَ مولانا الحبيب عبدالله بن علوي الحداد جميعها، وتكررت لبعضهم قراءتُها وقراءةُ غيرها من كتب السلف.

وقرأ عليه ولده الصنو عُمر كتاب «الإحياء» قبلَ المرض وبعدَه مراتٍ عديدةً، وكلما ختمه ابتدأ فيه مرةً أخرى على الاستمرار والدوام في جميع الأيام، إلا يوم الجمعة والثلوث.

ومن عجيب الاتفاق: أنّ آخر مجلسٍ من مجالس القراءة عليه، قرأ فيه الصنو عمر أول جزء ومن كتاب الموت من «الإحياء»، وكان ذلك آخرُ قراءة فيما أحسب، ولم يمكث

بعد ذلك إلا أياماً قلائل، وقد ظهرت عليه شدةُ الضعف وحمّى خفيفة، حتى توفاه الله تعالى لأربع ساعات ونصف مضت من ليلة الثلاثاء الثامن أو التاسع عشر من شهر محرم الحرام سنة ١٣١١ إحدى عشرة وثلاثمائة وألف.

ودفن في الحضرة الشريفة، وغالب ضريحه تحتَ تابوت سيدي الحبيب عمر البار، لم يخرج من ضريحه عن التابوت إلا نحوُ ذراع من جهة البحر، وجُعل عليه تابوتٌ ملاصقاً لتابوت الحبيب عمر من جهة البَحْر على يمين الداخل إلى الحضرة، وإذا أراد الزائر السلامَ عليه وقفَ قبالة منتصفِ تابوت الحبيب عمر وسلم، وهناك حلقةٌ صغيرةٌ مثبتةٌ في تابوتِ الحبيب عمر، إذا استقبلها الزائر صارَ محاذياً لرأس ضريحه، رضي الله عنه ورفع درجته.

وأرختُ وفاته بتاريخٍ مضمَّنهُ بيتين من الشعر، وهي:

إن شـئتَ تـأريخَ وفـا ... ة السيدِ الحـبر العلـيمْ

البـارِ مولانـا فقـل: ... (إن لـه أجـرٌ عظـيمْ)

قلتُ: وقد ذكر تواريخاً غيرَ هذا مضمّنة أبياتاً من الشعر، حذفتها للاختصار.

❋ ❋ ❋

[٢٢ـ الحبيبُ عبد القادر بنُ محمد بافقيه
(... - بعد ١٣١٠هـ)]

ومنهم:

شيخنا الإمام، الزاهد العابد الراكع، الساجد المخبت الأواه، العارف بالله، المستغرق في ذكره وشكره في جميع أوقاته وآناه، الحبيب عبدالقادر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن الشيخ الإمام أبي بكر بافقيه القيدوني، المترجم له في «المشرَع الروي»، ذي المقام الأرفع.

ولد بقيدون ونشأ بها، وطلب العلم الشريف عن كل علَمٍ منيف، منهم: الحبيب الإمام عمر بن أبي بكر الحداد، والحبيب صالح بن عبدالله العطاس، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، وابنه محمد.

ورحل إلى الحرمين وأدى النسكين، وأخذ عن الحبيب محمد بن حسين الحبشي، وزار مصر وأخذ بها عن الشيخ إبراهيم البيجوري، وزار اسطنبول واتصل بالإمام الحبيب فضل الله بن علوي بن سهل.

وأخذ بحضرموتَ عن الحبيب محسن بن حسين الحداد، والحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب حسن بن صالح البحر، والحبيب محسن بن علوي السقاف، وهو شريكُ الحبيب طاهرٍ في الإجازة والوصيةِ المتقدم ذكرها في الباب الرابع[1] التي منَ الحبيب محسن المذكور.

---

(١) هذا الباب مفقود، ولم نقف على هذه الإجازة.

وكان رضي الله عنه على قدمٍ عظيم من الاستقامة والمثابرة على صالح الأعمال، لا يزال لسانه رطباً من ذكر الله، ويعرف مروره حيثما مرَّ وإقباله حيثما أقبلَ بهمهمةِ صوته بالذكر، وكان شيخُه الحبيب أبوبكر بن عبدالله العطاس يقول: «من أراد أن ينظر إلى رجلٍ من أهل الجنة، فلينظر إلى عبدالقادر بن محمد»، وكان شيخه الحبيب صالح بن عبدالله العطاس يقول: «من أراد أن ينظر إلى الخضِر، فلينظر إلى عبدالقادر بن محمد».

وكان يستسقي بالأطفالِ إذا أبطأت المطر، يمر على (المكتَب) العُلْمة، ويطلب لهم فسحةً من المعلّم، ويأمرهم أن يرفعوا أصواتهم بهذا الدعاء: «يا الله اسقنا الغيث والرحمةَ الواسعة»، ويذهبُ معهم حتى يزورَ بهم الشيخ الكبير سعيد بن عيسى العمودي، ويدعو الله ويبتهل إليه، فيحصل الفرج ويغيث الله العباد.

وكان لا يتركُ صلاة الجماعة في المسجد، حتى للعشاءِ مع الظلمةِ وصعوبة الطريق من بيته إلى المسجد، أخبرني الشيخُ أحمد بن محمد العمودي قال: «كنتُ كثيراً ما أذهب مع والدي للسّمر عند الحبيب عبدالقادر، فكنا نفقده ويغيبُ في أثناء السمر ثم يأتي، فكنتُ أتعجب من غيبته مع ما أعرفه منه من الحرص على جَبر القلوب لمن يأتي إليه من الناس ومراعاتِهم، فألقيتُ بالي ذاتَ ليلةٍ لغيبته، وإذا هو يذهب يصلي جماعةً في المسجد خلفَ الحبيب طاهر بن عمر ثم يرجع»، رضي الله عنه.

وصاحبُ الترجمةِ خالُ الحبيب طاهر المذكور، وكانت بينهما المحبةُ والمودة الكاملة. وكان صاحبُ الترجمة يحب سيدي الحبيبَ قدس سره ويحترمه، ويدعو له ويعظمه ويقدمه، وكان سيدي الحبيب يجله ويبره ويلتمسُ بركته.

وقد أدركتُه ـ بحمد الله ـ وصافحتُه مرات، وكان يأخذ كوفيتي بإحدى يديه ويمسحُ بالأخرى على رأسي ثم يضع الكوفية، وذلك إلباسٌ إن شاء الله، وكان فعله لذلك معي كلّما لقيته رغبةً منه فيما وردَ من الثواب لمن مسَح رأسَ اليتيم، لأني كنتُ يتيماً،

وكان يقول لي مع ذلك: «فتح الله عليك في القرآن العظيم»، وكانت هذه دعوته لكثير ممن يصافحه من الأطفال[١].

* * *

(١) انتهى الموجود من ترجمته، وفي الشامل: (ص٢٤١): «ولا أذكر سنة وفاته، ولكنها بعد العشر الأول من هذا القرن». انتهى.

[٢٣ـ الحبيبُ عيدروس بنُ عمر الحبشي

(١٢٣٧ – ١٣١٤هـ)]

ومنهم:

الشيخُ الإمام، العارف بالله، عفيف الدين عبدُ الله العيدروسُ بن عمر بن عيدروس ابن عبد الرحمن بن الشيخ الإمام عيسى بن محمد بن الشيخ الإمام المهيب أحمد بن محمد الحبشي، قطبُ الأقطاب، وفرد الأفراد، وأوحد العباد والزهاد، وملحق الأحفاد بالأجداد بحسن الإرشاد وعلوِّ الإسناد.

مثالُ السلف الصالح في الهدي والسمت والأخلاق المحمدية بالاستحقاق، الذي سار ذكره مسيرَ النيِّرين في جميع الآفاق، بحر الشريعة والحقيقة، ومحيي معالم الطريقة، عيدروسُ زمانه، وجنيد وقته وأوانه، ومقدم القوم في جميع شأنه، المخلص لله في سره وإعلانه، مركزُ دائرة الولاية، المرجعُ في كل غايةٍ من علوم الدراية والرواية.

ولد ببلدِ الغُرفة، لائحةً على أساريره بشائرُ القربة والزلفة، في يوم الجمعة لثلاث وعشرين من محرم فاتحة سنة ١٢٣٧، سبع بتقديم السين، وسماه والدُه عبدَ الله، ولقبه بالعيدروس، فغلبَ اللقبُ على الاسم، وملئت له من سره الكؤوس، حتى ابتهجت به المحافل والدروس، ولهجت به الأقلام وامتلأت الطروس، ونشأ قرير العين غير مكتفٍ بأثر عن عين، تسمو به إلى المراتب العلية، نفسُه الشريفة الأبية، وجبلّته الطاهرة الزكية.

وتربى بأبيه الهمام وعمه الإمام، تربيةً تكفلت له بنيلِ المرام، ورسخت بها أقدامه في

علوم الإيمان والإسلام، وسعَى إلى المكارم، بعزم أمضى من صارم، وهمة تدني له الأماني وهو قائم، وملأ عيابَ علمِه من عَبابِ أبيه وعمه. كما قال قدس سره في «العقد» الذي شاع ذكرُه: «وإذا أردتَ معرفةَ سندِ هذه الطريقة، ومن هو العمدةُ لنا في رواية كل حقيقة ورقيقة، فاعلم أن أولَ من فتقَ رتقي، وخرقَ بَتقي، وبتق فتقي، سيِّداي رفيعا المقام، وحليفا المجد والأخلاق العظام، ذوا الشمائل الشريفة التي تضيق عن تعدادها الصحيفة، الجامعان بين فضيلتي العلم والنسب، والفضل الغريزي والمكتسب، قُرَّتا عيني ونفسي وكمال راحتي وأنسي: والدي الشجاع، وعمي الجمالُ محمد ..»، إلى آخر ما ذكر وأسّس عليه ما حرّر.

فبملاحظتهما استقامَ أمرُه، وبتربيتهما الدينية انشرح صدرُه، وكان منه الحالُ كحالِ الحبيب أحمد المحضار، فيما قال: «أخرج شَطْأه بأبيه عمر، فآزره بعمّه محمد، فاستغلظ بأحمد بن سميط، فاستوى على سُوقِه بحسن بن صالح البحر، يعجب الزراع، من بقية الآل والأشْياع، المسلكين على الطريقة المثلى بلا نزاع ..»، إلى آخر ما قاله.

ولم يكن له مأربٌ أعزَّ عليه من لقاءِ الصالحين، والجثيِّ على الركب بين يدي الهداة المهتدين والعلماء العاملين، لتلقي علوم الدين، وتحقيق مقامات اليقين، منفرداً بذلك من بين أقرانه، ومقبلاً عليه بكليته لأنه كل شأنه، فلم يسمع بعالم إلا وجثا بين يديه، وأخذ عنه واستجاز منه وقرأ عليه. ورحل في ذلك إلى أسفلِ الوادي وأعلاه، باذلاً من الجدِّ فيما هناك غايته ومنتهاه، مقبلاً عليه بقلبه وطبعه وهواه، لأنه الذي له خلقه الله، حتى بلغ من العز أقصاه، ومن الشرف المجد ما قصَده ونواه. وكان جوهرةَ عقد السلالة الطاهرة المنتقاة، انتهت إليه الرئاسة في علوم الدراية والرواية، وكانت إليه الغاية في ذلك والنهاية، وفي معنى أيِّ حديثٍ وأيِّ آية، أقر له بذلك الداني والقاصي، وانقادت له القلوب والنواصي.

وقد ذكر من مشايخه الأئمةِ الأكابر في «عقد اليواقيت»، و«منحة الفتاح الفاطر»، ما تنشرح له الصدور وتقر به النواظر، وعدَّ منهم الكثير الطيب، وذكرَ بعض ما وقع له معهم

من واقعة، وما حصلَ له منهم من إجازةٍ أو دعوة نافعة، فليطلع على ذلك السفرِ الجليل، من أراد معرفة ما هناك بالتفصيل.

وحُكي: أن بعض أهل الولاية الصادقة والفيوضات الجارية بشر به ....(١) قبل ولادته، وأخبر برفعة قدره وعلو منزلته، وأنه يكون من كمّل الرجال الذين يستشفى بهم من الداء العضال، فللّه درُّه من ناطق صادق، ومكاشف ينبئ عن الحقائق، فقد وُجِد صاحب الترجمة على أجمل هيئةٍ توجَد عليها الأطفال، وميّز وهو ابن ثلاثِ سنين، وصار في ذلك السن يستحي من فعل ما يَشين، ويحرص على ستر عورته أن لا تَبين، ويحفظُ ما يمليه عليه أبواهُ من الأذكار بالتلقين.

وكان يظهر عليه بعدَ التمييز من التلقي الروحي والقبض الكلي ما يوجب له البكاءَ والانزعاج، فكان عمه الإمامُ يأمر أهله بتسليته، ويخبر أن ذلك مقدمة لرفعة منزلته، وعُنيَ به عمه المذكور وأقرأه القُرآن، ولقنه عباراتٍ من كتب العقائد مشتملةً على حقائق العرفان.

وكان يحمله معه إلى شبام، يزورُ به الحبيب أحمد بن عمر غوثَ الأنام، ويبذُر في قلبه محبةَ العلماء الأعلام، وتولّى تربيته عمُّه عشرَ سنين، حتى قدم على رب العالمين، فاعتنى به والدُه الإمام، وأفرغ عليه ما لديه من علوم الإيمان والإسلام، وحفظ عليه جملةً من المتون العلمية، وشرب من مناهل علومه شربةً هنيّةً، وقرأ عليه جملةً من الشروح، وحصل له من ربه الفتوح، ومات والده قرير العَين، ببلوغه في العِلْمَين مرتبةً دونها مقرُّ الفرقَدين.

وأقام المدارس وقرر الأحكام، قبل بلوغه سنَّ الاحتلام، ولم تُعرَف له في صغره صبوة، وكان الجوادَ الذي لم يكن له كبوة، وبعد وفاة والده قدس سره صفا له الحال، ولم يقيده عن مطلبه العالي ملاحظة عمٍّ ولا خال، فسعى على المنهج السديد، سعيَ الحليم الرشيد، مع عقلٍ كاملٍ ورأيٍ صائبٍ وفعلٍ حميد، وأخذ في سلوك الطريق بالجد والتحقيق

---

(١) سقطٌ من الأصل بقدر كلمتين، بسبب سوء التصوير.

عن خير فريق، من بُناة المجد العريق، فسُقيَ من رحيقهم المختوم، ما كشف له عن سر علمهم المكتوم، وكان مع جِدِّه في الأخذ والتلقي، بأعلى رتبة من مراتب الترقِّي، من ملازمة العبادات القلبية والقالبية، والقيام بوظائفها الدينية.

وكانت تتشكَّلُ له الأرواحُ الطاهرة، وتنكشف له الأشياءُ من أمور الآخرة، تثبيتاً ليقينه وتأكيداً لشوقه وحنينه فرأى ذاتَ ليلةٍ رؤيا كشفيةً لا منامية، جدَّه المصطفى خير البرية ﷺ، وخلفاءه الأربعة، صلى الله عليه وعليهم وآله والذرية، وقرأ على سيد الأنس والجان ﷺ من سورةِ الشمس وضحاها إلى آخر القرآن، فكان هذا من أعظمِ وارداتِ الفضل والامتنان على هذا الإنسان، وحصل له الفتح والبيان في علوم الفرقان، وشَرِب من سلاف الإدناء والتقريب بالأحفان، فأصبح من ذلك الشرب نشوان، وبرحمة ربه جذلاً فرحان.

وفي هذه الواقعة العظيمة المقدار، من الأسرار والأنوار لهذا السيد العالي المنار، ما لا تحيط به عبارةٌ ولا تومئ إليه إشارة، لاسيما وذلك من ما تفضّل به عليه ذو الجلال والإكرام، قبل سن الاحتلام. وقد قرر العلماءُ الأعلام: أنّ رؤيةَ المصطفَى عليه الصلاة والسلام، هي الفتحُ الكبير والنور التام، لا ينالها إلا مَن قد قطع مائتي ألف وسبعةً وأربعين ألفاً، وتسعمائةً وتسعةً وتسعين مقاماً من مقامات الأولياء الكرام.

ولما خُصَّ به هذا الإمام السجّاد، من الإسعاد والإمداد من فتح الجواد، والفهم الثاقب والذكاء الوقاد، كان شيخُه الإمامُ محسنُ بن علوي السقاف يرسل إليه من يسأله عن بعضِ آي القرآن، وما احتوت عليه من العلوم والعرفان، فيبدي من ذلك بسِحْر البيان، ما يحيّر الأذهان، ويوقف العقل حيران.

وكانت له المواظبةُ التامة على تلاوة القرآن والأذكار، مع استخراج الأنوار بالأفكار والادّكار، والاعتبار والاستبصار، والانفراد لصفاء السر عن الأغيار، وكان كثيرَ التعبد في المساجد في البلد، عند خلوِّها عن كلّ أحد، فما من متعبَّدٍ فيها ولا حَولها إلا وقد ركعَ فيه

وسجد، وكثيراً ما يختلي في البراري والشعاب، ومآثر أهل الاقتراب، لاسيّما شعب يَرْقِق ـ بياء مفتوحة وراء ساكنة وقاف الأولى مكسورة ـ وقد عرّضَ في أشعاره، بذكر هذا الموضع وكثرة أنواره، واستنطاقُ الآثار بغوامض الأسرار، وكلام الجهادات بباهر الآيات، والاجتماع برجالِ الغيب من الأحياء والأموات، ما يطول سرده، ويتعذر حصره وعده.

وأعظمُ مشايخه الكرام الأبرار، هم الأربعةُ الكبار ـ الأربعةَ المذكورين آنفاً في كلام الحبيب المحضار ـ ومنهم: الحبيب محمد بن أحمد الحبشي، والعبادلة السبعة: الحبيب عبد الله بن حسين بن طاهر، والحبيب عبد الله بن حسين بلفقيه، والحبيب عبد الله بن علي بن شهاب، والحبيب عبد الله بن عمر بن يحيى، والحبيب عبد الله بن حسن الحداد[١]، والشيخ عبد الله بن أحمد باسودان، والشيخ عبد الله سعد بن سُمَير، والحبيب عمر بن أبي بكر الحداد، والحبيب محمد بن عبد الرحمن الحداد، الحبيب محمد بن حسين الحبشي، والحبيب أحمد بن علي الجنيد، والحبيب علي بن عمر السقاف، والحبيب علوي ابن سقاف الجفري، والحبيب محسن بن علوي السقاف، وغيرهم من الأشراف، وغيرهم من الأئمة المهتدين، كما بسَط ذلك وبيّنه في «عقده» الثمين.



أخذ عنهم الأخذَ التام، وانتفع بهم الانتفاعَ الخاص والعام، وتلقى عنهم الآداب والأحكام، وورد على مناهلِ علومهم وردَ الصَّادي الشديدِ الأوام.

ورحل إلى الحرمين الشريفين لأداء النسكين وزيارة جده سيد الكونين ﷺ، سنة ست وسبعين ومائتين وألف (١٢٧٦هـ)، وقصدَ أولاً المدينة النبوية، وحضر بها الرجَبية، وبلغ أقاصي الأمنية من زيارة جده خير البرية ﷺ، وتوجه منها إلى البيت الحرام، وحج في ذلك العام حجةَ الإسلام.

---

(١) هذا غريب من المصنف رحمه الله، لأن المشهورَ عند المتأخرين: أن سابع العبادلة هو العلامة عبد الله بن أبي بكر عيديد، وهو أقدمُهم وفاةً، توفي سنة ١٢٥٥هـ.

واجتمع بالمكّتينِ بأئمة أعلام، من أساطين الإسلام، كالحبيب عمر بن عبد الله الجفري المدني، والشيخ الإمام السيد أحمد دحلان، والسيد محمد بن محمد السقاف، والشيخ محمد بن عمر بن عبد الرسول العطار، والشيخ محمد بن محمد العزب، والشيخ عبد الله بن عبد الباقي الشعاب، ولما اجتمع به أولَ اجتماعٍ بكى فرَحاً بلقياه، وقال: «الآن طاب الموت، فإني دعوتُ الله لا يميتَني حتى ألقاك». ونزل في بيته في المدينة المنورة، وكان ضيفَه مدةَ إقامته بها أربعةً وعشرين يوماً، وحج معَ صاحب الترجمة وماتَ قافلاً من الحجِّ بجدة، وحضر موته صاحبُ الترجمة وغسّله ودفنه وصلى عليه بوصيةٍ منه.

وتلقّى عمن ذُكر من حَملة الأسرار ورواة الآثار، ورجعَ من تلك الديار فائزاً بنيل الأوطار، قريرَ العين بنزُل الأبرار، خافقةً على رأسه ألويةُ التجديد، متوَّجاً بتاج الخاصّة من صالحي العبيد، الذي نقْشُه: هذا عطاؤنا، ولدينا مزيد.

وكان الحال منه كما قال قدس سره: «قد منحَنا اللهُ ـ وله الحمدُ ـ من جميع العلوم والأسرار، والفهم مع التحقيق، ما يوجب الشكر الكامل». انتهى. وكان يقول قدس سره: «أقولُ ـ والحمد لله ـ كما قالَ بعضُ أشياخنا: لم يطرق سمعي طريقةٌ إلا وقد اتصلتُ بها، ولا سمعت بمؤلَّفٍ ولا كتابٍ من تفسيرٍ وحديثٍ وفقهٍ وتصوفٍ، وآلاتها منظوماً ومنثوراً، إلا وقد اتصلتُ بذلك، ولله الحمد كثيراً على ما هنالك».

وكان يقولُ: «إني أرى توارُدَ المعاني والفهوم، وظهورَ حقائقِ العلوم، مع تلاوة القرآن تتوالى عليَّ كنزول الأمطار، أو كالجواد الفرّار، أو كهبوب الرياح العواصف، بل الأمر أعظم من أن يصفَه واصف، وقد تحققنا قولَ من سلفَ من السلف ذوقاً ووجداناً: لو أردتُ إن أصنف على حرفِ الألفِ مائةَ مجلدٍ لفعلت، وقولُ الجنيد رضي الله عنه: إن كنتُ أبديه فأنا أمليه». انتهى.

وذكر عنده علم الحروف والأوفاق؛ فقال: «إن عندنا من هذه العلوم والتحقيق

فيها والاطلاع على أسرارها ما لم يكن فيها نظن عند أحد ولا قصر علينا إلا العمل بذلك ولا حاجة بنا إليه». انتهى.

وذكر عنده علم الحروف والأوفاق، فقال: «إن عندنا من هذه العلوم والتحقيق فيها، والاطلاعِ على أسرارها، ما لم يكن فيها نظنّ عند أحد، ولا قصُرَ علينا إلا العمل بذلك، ولا حاجة بنا إليه». انتهى.

وكانت تَرِدُ عليه الوارداتُ العظيمة، وربما غاب عن الإحساس، وذهلَ عن محادثة الناس، مع حفظ الله له في الأنفاس، إذ لم يعلم أنه تحدّث مع غيبته بشيءٍ من الأسرار، أو أبدى شيئاً مما وراءَ الأستار، وإذا أفاقَ ورجع إلى البقاء وخاف الانمحاق، أقامَ بعضَ الأمورِ المشوِّشات من المباحات، كالسماعِ بالدفوف والشبّابات، تكثيفاً لتلك الواردات، وكمطالعة علومِ الأحكام والآلات، ومخالطة الناس لدعوتهم إلى رب البريات، بإقامة المدارسِ والروحات، والرجوع إلى الأطلال، ومباسطة الأهل والعيال، مع ملاحظة المقاصد الحسنة والنيات.

وكان إذا ورد عليه واردٌ قوي، يكثُر منه التلون، وتشرق الأنوار على أساريره، ويثقل جسمه، ويُرى مع ذلك كالمأخوذ، وكثيراً ما يتمثلُ عند ذلك بقول ابن الفارض:

ولو أنّ ما بي بالجبالِ وكـانَ طـو ... رُ سِينا بها قبـلَ الـتجلي لـدُكَّتِ

وما في معناه، من تروّحات أهل الله، كقول القطبِ الحداد قُدس سره (شعراً):

أمـورٌ وأحـوالٌ تَعِـنُّ ولم أجِـدْ ... عليها مُعيناً وهـي تقْعُـد بـالفَرْدِ

وقال ذاتَ يوم عند ورُود واردٍ عظيم عليه: «لو فُرّق ما أنا حاملُه على أهل الوجود لما احتملوه»، وكان قدس سره مؤثراً للخُمول، تاركاً لكل ما يقيم شهرة أو يؤدي إلى فضول، كامل الاتباع في أقوله وأفعاله وجميع حركاته لجده الرسول ﷺ وآله الفحول، متتبعاً لسننه وآثاره، عاملاً بها في كل حالاته، في عباداته وعاداته.

ومنذ نشأ قدس سره وهو مطبوعٌ على أكمل الأخلاق الحسنة، والآداب المستحسنة، لا يعتريه فيها ملالٌ ولا كلال، ولا يرجع عنها بحال، لا يوجد له في تحمل المشاقِّ ومراعاة القلوب على اختلاف الأحوال من مثيل، لشهوده تجلي الحقِّ سبحانه ومطالعتِه السرَّ الإلهيَّ في كلّ حقير وجليل، يلاطف الناس بأخلاقه الرضية، ويرشدهم بتأديباته القولية والفعلية، كثيرُ الصفح والعفو عن ذوي الزلات والخطية، يبذل النصيحة، ويستر القبيحة، ويذكر المليحة، ويبطل الباطلة ويصحح الصحيحة، وقد حصل الإجماع على اتباعه لجده الأعظم ﷺ أكملَ اتباع، وأنه الإمام الأعظم، والفقيه المقدم، والقطب الجامع، والنور الساطع.

قد تربع على منصة الصدّيقية العظمى والخلافة الكبرى، وشاع ذلك وذاع، وملأ البقاع، وسار به الركبان في جميع الأصقاع، وأشرقت شمسه على الأكوان، وأذعنت له الأكابر والأعيان في كل مكان، وفاضت إمداداته على كل قاص ودان، وقصَده للأخذ عنه والتلقي منه الجم الغفير، من كبير وصغير، من كل ناحية وناد، بالاجتماع والانفراد، ومن عجَز عن الوصول، أرسل كتابَه نائباً عنه في طلب المأمول، ففاضت إمداداته على الفروع والأصول، فأوصلهم بحبه الموصول إلى حضرة الرسول ﷺ، فوصل على يده كثير من الرجال، ونزلوا به في أعلى مراتب الكمال، وامتدحه كمّل الرجال، وأطلقوا أعنة الأقلام نَظماً ونثراً بعظيمِ أوصافه وكريم أخلاقه، وما عسى أن يقال!

سمعتُ شيخَنا الحبيب الإمامَ محمد بن طاهر الحداد قدس سره يقول: «كنتُ ذات يوم بحضرةِ الحبيب عيدروس، وبيني وبينه الحبيب أحمد بن حسن العطاس قدس سره، فنظرت إلى الحبيب عيدروس فشهدتُه في حالةٍ عظيمة، وعليه من الأنوار والهيبة والجلالة ما لا يوصف، فبينما أنا متعجب ومغتبط بما أرى، إذا التفتَ إليَّ الحبيبُ أحمد بن حسن، وقال لي سراً: إن الحبيبَ عيدروس الآن ما منقَطُ شوكةٍ من بدنه خالياً عن حال الفقيه المقدم». انتهى.

وأخبرني شيخُنا الحبيب العارف بالله عبد الله بن محمد بن عقيل بن مطهّر: أن سيدنا العارف بالله الحبيب علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر إذا حذَّر صاحبُ الترجمة لزيارة نبي الله هود عليه السلام، يقول للنساء في عينات وتريم: «انظُرنَ إلى عيدروس بن عمر، فإن ناظرَه وناظرَ ناظرِه في الجنة». قال: ويأمرني أن آمُرَ أهلَ بيتي بالنظر إليه».

قال: «وكنت يوماً عند صاحب الترجمة، وعنده جملةٌ من السادة، منهم الحبيب العلامة عبيد الله بن محسن السقاف، وذُكِر القائلُ من السلف: ناظري وناظر ناظري، ـ إلى الثالث ـ في الجنة، فسأله الحبيبُ عبيد الله بن محسن: هل هذه خصوصيةٌ لهذا القائل، أم هي مرتبةٌ متى بلغها العارف كان له ذلك؟ فقال صاحب الترجمة قدس سره: بل هي مرتبةٌ متى بلغَها العارفُ كان له ذلك، تكلم أو لم يتكلم، وقد بلَغْنا هذا المرتبةَ بحمد الله تعالى». انتهى.

قلتُ: وقد ذكر سيدُنا الإمام الحبيب علي بن حسن العطاس في كتابه «القرطاس»: أن الأكابر من سادتنا العلويين مختصون من فضل الله بخمسٍ خصال، إحداها: هذه الخصلة المذكورة، وأن لا تكتبَ على أحدٍ من أهل زمانه سيئةٌ بشرطِ عدم العداوة في الخصلتين، وأن تكون لياليهِ كلها كليلةِ القدر، وأن لا يخلقَ الله من صلبه إلا من أراد صلاحَه في سابقِ علمه، وأن لا تفارقَ روحانيتُه أولادَه والمتسببين إليه حياً وميتاً»، أو كما قال قدس سره.

وأخبرني الحبيبُ عليُّ بن محمدِ بنِ صاحبِ الترجمة: أن بعضَ أولاد الحبيب عبد الله ابن حسين زار أهل الشقِّ القبلي في حياة الحبيب عبد الله بن حسين، ولم يزر صاحبَ الترجمة، فلما رجعَ إلى عند الحبيبِ عبد الله سأله عن صاحبِ الترجمة، فأخبره أنه لم يجتمع به، فعتبَ عليه كثيراً، وقال: «من لم يزُر عيدروس بن عمَر لا تقبل زيارته، [وأمره أن يرجع لزيارة صاحب الترجمة][1].

(١) ما بين المعكوفين غير واضح في مصورة الأصل، وقد حاولنا أن نقرب المعنى.

قلتُ: والشيءُ بالشيء يذكر، وقع لي قريبٌ من هذه القصة؛ وذلك: أني خرجتُ من قيدون إلى حَوطة خلع راشد زائراً لمن بها من أعمامي وأرحامي، ولم يكن عندي من حُسن النظر ما يرشدني إلى زيارة غيرِ من ذُكر لغَفلة الصِّبا وغِرَّة الصغر، وذلك فاتحةُ سنةِ أربعة عشر وثلاثمائة وألف.

فلما رجعتُ إلى قيدون سألني سيدي ووليُّ نعمتي الحبيبُ محمد بن طاهر، قدس سره وجزاه عني خيراً، عن صاحب الترجمة، فقلتُ له: لم أجتمع به، ومذكورٌ بعافية، فنظر إلي نظر المغضَبِ قائلاً: «تبلُغ إلى الحوطة ولا تزورُ عيدروس بن عمر في الغرفة؟!»، فاشتعلَ في باطني مثلُ النار من الأسف والحزن من كَلِمته على ما فاتني، ولم تبرد إلا بزيارةِ صاحبِ الترجمة ورؤيته. بعد مدةٍ يسيرة قيّض الله سبحانه من الأسبابِ ما اقتضى رجُوعي إلى الحوطة في جماد الآخر من السنة المذكورة، ولم يكن لي همٌّ بعد وصولي إليها إلا المسيرُ إلى الغُرفة وزيارةِ صاحب الترجمة.

فقصدتُه إلى بيتِه الشريف وقتَ الإشراق، ولم أجد عنده أحداً غيرَ ولدِه الحبيب محمد ومحبّه الشيخِ عوض شيبان، فصافحته، وسألني عن نَفسي فانتسبتُ له، وأخبرته: أن وصولي إلى الغرفة لغَير غرضٍ غيرِ زيارته ورؤيته والتماس بركته، فرحّب بي، وسألني عن سادتي: الحبيب طاهر بن عمر، وابنه الحبيب محمد، فأخبرته عنهما وبلغته سلامهما، ثم قرأتُ عليه بأمره أولَ «سفينةِ النجاة» لابن سمير، إلى (فصل: شروط إجزاء الحجر)، وكبّستُ رجلَيه الشريفتين، وطلبت منه الإلباسَ والدعاء، فقال لي: «هل أمرك أحدٌ بذلكَ أم من نفسِك؟»، استغراباً لذلك مني لصغر سني، فقلت له: بل من نفسي، وألبسني ودعا لي بما أرجو من الله قبوله، والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وقد زرتُه قبلَ هذه الزيارة مراتٍ آخرُها سنةَ اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف مع سيدي الحبيب محمد بن طاهر، وطلبَ منه الإجازةَ والإلباس سيدي الحبيبُ محمد له وللحاضرين،

فألبسَه قُبعَه الشريف، ثم أمره بإلباس الحاضرين، وأجازه وأجاز الحاضرين، وكنتُ فيهم بحمد الله، وذلك من فضل الله.

وكان سيدُنا الإمام الحبيبُ عمر بن حسن الحداد يقول: «عيدروسُ بن عمر فيه أسرار كبيرة جمة، وهو خليفةُ آل أبي علوي، ووجوده في الزمان خيرٌ كبير».

وقد أُفرِدَتْ مناقبه بالتأليف، وأجمعُ ما أُلِّفَ من ذلك: ما جمعه فقيره ومحبه وتلميذه الشيخُ العلامة عمر بن عوض شيبان، ومنه نقلتُ فيما ذكرت.

[جملة من كلامه ومواعظه]:

وجمعَ من كلامه مجلّداً شيخُنا الحبيبُ الإمام العلامة عُبَيد الله بن محسن بن علوي السقاف من ذلك قوله رضي الله عنه: «وكان رضي الله عنه يحبّ نشرَ سير السلف الصالح، ويتتبعها ولا يزال يبحث عنها، ولا يستغني بما عندَه مما قد أحاطَ به من سيرهم ومناقبهم، وقد ألف في ذلك مؤلفاتٍ نافعةً دالةً على عظيمِ اطّلاعه على مناقبهم وسيرهم وطرايقهم وإسناداتهم، فإنه لم يكن له نظيرٌ فيما هذا الفنّ، وقد أحيا هذا العلمَ وأطّد أركانه، بعد إشرافه على الانطماس والاندثار».

وكان رضي الله عنه كثيراً ما يقول: «لا أنفعَ لأهل الزمان من ذكر سِيَر السلف ومناقبهم وشمائلهم الحسنة، فإنه يحملهم على الاقتداء بهم واتباع آثارهم ومحبتهم وقوة الرابطة بهم، إن كان الناظرُ ناصحاً لنفسِه محباً للُّحوق بهؤلاء السادة، وأما غير من هذه صفته فلا اعتداد به، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ولا أنفعَ كذلك من ذكر آلاء الله سبحانه ونعمِه، التي أعلاها وأجلها وأفضلها نعمةُ الإسلام، فإنّ ذكرَ الآلاءِ يحملُ على شكر المنعِم جلّ وعلا، والشكر له تعالى يستجلبُ المزيد، فقد قال سبحانه: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾».

وكان كثيراً ما يلومُ أولادَ السلف على عدمِ الاعتناء بحفظ سير سلفهم، ويقول: «إن التهوينَ من قديمٍ في أهل حضرموت في إضاعة سير السلف، وما يؤثر عنهم من المكارم وحسن الأخلاق والمعاملات مع الله، والإكراماتِ التي أكرمهم الله بها.

والذي يظهر: أنّ من أسبابِ هذه الإضاعة: الاتكالُ على الحفظ، فيبقى الحافظُ يرويها لمن بعده، فلا يحفظُ منها إلا القليل، فإذا ماتَ الأولُ لم يبق معَ الثاني من محفوظِهِ إلا بعضُه، وهكذا إلى أن يضيعَ السرُّ المحفوظُ بالكلية، فلا حول ولا قوة إلا بالله».

وكان رضي الله عنه يقول: «ينبغي للعبدِ إذا سألَ من الله العافية، أن يكون مراده بالعافية :التي يعلمُ الله سبحانه أنها عافيةٌ في حقه، فإن الإنسانَ قد يطلب من الله العافيةَ ويقصِد بذلك ما يلائمُ طبعَه من الأمور، وقد يكون في ذلك المطلوبِ بلاءٌ له وفتنة ومضرة في دينه ودنياه، وكم ترى مما ظاهرُه عافيةٌ وإكرامٌ وعطية، وباطنُه منعٌ وفتنةٌ وبلية، وقد يكون ذلك بالعكس. فما أحسنَ الأدبَ مع الله، والتفويض إلى الله في العطاء والمنع والخفض والرفع.

فيكون دعاءُ العبد وطلبُه من الله تعالى محضَ تعبد، امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡ﴾، فإن الإجابةَ لا تتعين أن تكون بنيلِ ما تطلبُ بنفسك، بل قد تكون الإجابة بدفْع ذلك المطلوبِ عنكَ لما يعلم الله سبحانه من عائداته عليكَ بالضرر إن أُعطِيتَه، ويكون الصلاحُ لك في المنع، كأن يقول إذا مُدِح نثراً أو نظماً: «نجعلُ هذا في بحر النبي ﷺ، فهو الممدوحُ حقيقةً، وكأن يقول: «الثناءُ من الخلق يجري مجرى الرؤيا، تسر ولا تغر»، وقد ينزّلُ المدحَ منزلةَ الدعاء، فإذا مدَحك أحدٌ فاجعل ذلك الوصفَ الذي مُدحتَ به دعاءً، كأنّ المادحَ يدعو لك بما مدحك به».

وكان يقول: «إن في طبع الإنسان محبة العلم، ولكنّ من أظلمت سريرته لم يوجِّه قلبه إلى اختيار العلم النافع، بل تراه كثير الشَّرهِ إلى ما لا ينفعه من القيل والقال، والأخبار

الواقعة في الوجود، التي لا تعود عليه بنفعٍ في عاجله ولا آجله، فتراه يتحسّس ويسألُ عما يحدُث وما يكونُ من وقائعَ الزمان، وما ينقله أهلُ البطالات من فعلِ فلانٍ وتركِ فلان، مما تضيع به الأوقاتُ التي هي أعزُّ شيءٍ على العقلاء الذين يرون أنفاسَهم رأسَ مالهم، ولا ينفقونها إلا فيما يرفعهم وينفعهم في مآلهم، من علم نافع أو عمَلٍ مرضي، وأما هؤلاءِ فلا يقيمون لأوقاتهم وزناً، قد صار عندهم اللغوُ والاشتغالُ بالأسمار والأحاديثِ الباطلة كالخمر عند أهله، فترى أحدَهم إذا ظفِرَ بشيء مما يبدو من الأخبار يفرحُ به! ويفرح بانفراده بحكايته له دونَ غيره، ولو كان ذلك الخبرُ سيئاً، وكلُّ ذلكَ من محبة العلم، ولكن نعوذُ بالله من علمٍ لا ينفع.

وكان يقول: «إن زياراتِ أهل الزمان لأكابرِهم خاليةٌ عن القصُود الحسنة التي شُرعَت لها المزاورة، بل زياراتهم للوقُوعِ على مقاصدَ مستعجَلةٍ من حظوظ النفس، وليس مرادُهم تعظيمَ المزور وإعطاءَه ما يستحقّه من الإجلال والإكرام وطلب المدد المعنوي الذي يعودُ عليهم بما يقرّب إلى الله، ويوجب الفوز برضاه في الحال والمآل».

وكان رضي الله عنه آخذاً بالعزائم في جميعِ أحواله، ويقول إني لا أجدُ نفسي تطاوعني على الأخذِ بالرخصة وتقليدِ المذاهب إلا عندَ الضرورة. وقد كان ربما احتاجَ إلى التقليدِ في بعضِ المسائل فيبحثُ عنها في كتبِ أئمة الفقهاء، ثم بعد الاطلاع على ما قالوهُ لا يأخذُ إلا بالعزيمة.

ومن آخرِ ما وقعَ له من ذلك في مرضِ موته: أنه شقَّ عليه التيممُ للصلاة بالتراب، فأمر بمراجعة قولِ من يقولُ بجواز التيمم بكلِّ ما صعَد على وجه الأرض، ثم إنه تيمّمَ بالتراب، واحتمل المشقة في ذلك، وصلى صلاةَ العصر، وتوفي بعدها، وكفى بذلك شاهداً على كمالِ هذا الإمام، وشدة تحريه وتحفّظه وعنايته بالحدود الشرعية، حتى في هذه الحالة التي يغلبُ فيها الإخلالُ بكثير من الأمورِ على الأقوياء من الرجال، فرضي الله عنه وأرضاه».
انتهى.

وكانت وفاتُه في يوم ....[1] لتسعٍ مضت من رجب سنة أربعة عشر وثلاثمائة وألف، ببلد الغرفة، ودفن بها في قبته التي بناها في أرضٍ اشتراها في ناحيةِ بلدِ الغرفة القبلية، ولم يخلُفْ بعده مثله.

قال شيخنا الإمام الحبيب أحمد بن حسن العطاس قدس سره: «جينا للحبيب عيدروس بسبعِ سنين زيادةً في عمره فلم يقبلها، واختار القدوم إلى الدار الآخرة».

وقد أخذ عن صاحب الترجمة الخاصُّ والعام، وكان وصلةَ ارتباطِ الخلف بالسلف، ومرجع أهل عصره من كل طرف.

وقال شيخنا الحبيب الإمام علي بن محمد الحبشي: «كنت إذا تراكمت عليّ الهموم توجهتُ إلى الحبيب عيدروس بن عمر فتذهب الهموم، لأنه بحرٌ يتموّج بالعلوم والأعمال والأخلاق، شِلّ الذي تريد، تذكّركَ الله رؤيتُه، وهو على قدم من قبله، وفي عصره رجالٌ يعرفون العلم ويتلقونه».

وقال وقد ذكرَ الحبيبَ عبد الله بن حسين: «وكان الحبيب عيدروسُ على سمته وطريقه، راعى السنة وسلك سبيلَ الأقوياء في زمانه، إن صلّى أغنتك صلاته، وإن ذاكر أغنتك مذاكرته، وإن سكتَ تتأنّسُ بصورته الجمالية، إذا ذكرنا أهلنا نَرى أن ذلك السيدَ نسختَهم». انتهى.

ولشيخِنا الحبيبِ المذكور يمتدحُ صاحبَ الترجمة (شعراً):

على رِسْلِكُم إنّ الفُؤادَ كئيبُ ... وفي القلبِ من نارِ البِعاد

ومنها قوله:

(١) بياض بالأصل بقدر كلمة. وذلك اليوم هو: يوم الأحد، كانت وفاته مساءً بعد صلاة المغرب، ودفن ظهر الاثنين، وصلى عليه الحبيب علي بن محمد الحبشي، وحضر جنازته قرابة الاثني عشر ألف!.

بعينـيّ ذاك الأهيـبُ الأحْـوَرُ ... له الحسْنُ عبدٌ والجمال ربيبُ
إذا قابـل الـشمسَ المنـيرة في ... محياهُ كادتْ في السَّحاب تغيب
وإن حـضَرته الفانيـاتُ فإنـه ... على مرتقَى باهي الجمال خطيبُ
سلامٌ على ذاك الغزالِ فكـم لـه ... بقلبـي ودادٌ قـد حوَتـه جُنـوب
قضيتُ زماني في ودادي له ومـا ... رثَىٰ لي وشاني في هـواه عجيـبُ
فإن منّ لي بالوصل منـه تكرمـاً ... فيـا حبّـذا مـا أمّلتـه قُلـوب
وإن صدَّ عني أو قلاني فلي غنًى ... بحبرٍ به تُـسقَى الغـمامَ جـدوبُ
يتيمـةِ عقـدِ الهاشـميينَ والـذي ... به نلتجِي إن ما دهمـنَ خُطـوب
إمامٌ رقى في القُرب أرفـعَ رتبـة ... وخصّـصه بالمكرمـاتِ حبيـب
وأتحفَـهُ منـه بعلـمٍ وحكمـةٍ ... وقرّبـه فهـو إليـه قريـبُ
فيا صاحبي إن ما تأخّر مطلـبٌ ... فحـسبك حَـبرٌ قانـتٌ ومنيـب
توسّلْ به إن رمـتَ نُجحـاً فإنـه ... لراجيـه بالإقبـالِ لـيسَ يخيـب
فيا عيدروسَ السِّرّ يا بهجةَ الدنا ... ويـا ذخرنـا للنائبـات تنـوب
ويا من أفاض الحـقُّ في سرِّ سِرّه ... فيوضاتِ علمٍ حـارَ فيـه لبيـبُ
ويا من هو الغيثُ الملثُّ لمحمَـلٍ ... ومـستنِدٍ إن مـا حللـنَ كـرُوب
لقد خصّك الرحمنُ منـه بفَـضله ... وأولاكَ جُوداً ما حواه حَـسيب

وقد رثاهُ سيدي الحبيبُ قدس سره عند وفاتِه بقصيدةٍ فريدة، لم تحفظ ولم تثبت في الديوان، وهذا محلُّ وضعِها، فمتى وجدت فلتكتب هنا، ومطلعها:

إلى الله أشكو الخطبَ حَسبك يا خطْبُ ... أصبتَ المرامـي والمـصابُ بهـا صَـعْب

.انتهى

[٢٤ـ الحبيبُ عمر بن حسن الجفري

(... – ١٣١٥هـ)]

ومنهم:

الشيخ الإمام، العالم العامل، العارف الكامل، شجاع الدين، الحبيب عمر بن حسن ابن عيدروس بن حسن بن علي بن صادق بن الشيخ عبد الرحمن مولى العرشة الجفري، صاحب سُماران، عظيم القدر ورفيع الشان.



ولد بقَية القرين بالقرب من تريس، ونشأ بها وتأدب بآبائه الكرام، وأخذَ عن جملة من الأئمة الأعلام، كالحبيب علوي بن سقاف الجفري، والحبيب أحمد بن عمر بن سميط، والحبيب الحسن بن صالح البحر، وأدرك من علوم الدين ما أشعلَ في قلبه سراج اليقين، وسافر مبتغياً من فضلِ الله ومؤدياً لفريضة الله، فحج حجة الإسلام، وأخذ عمّن بالمكّتينِ من الأعلام، وزار جده عليه أفضلُ الصلاة والسلام، وظفر من الاتصال به بقُربٍ وإنعام.

وقادته أزمّة الأقدار وتقلباتُ بني الإنسان في الأسفار والأطوار، إلى أن استقر به القرار في بلد سماران، فقطن بها وأقام فيها المدارس والمجالس، ونشر من علومه النفائس، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ وجمٌ غفيرٌ من أهل الأسرار والتنوير، كسيدي الحبيبِ قدس سره، وشيخنا الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي.

واشتهر أنه ممن يجتمع بالنبي ﷺ يقظةً، وتقدمت قصته مع سيدي الحبيب قدس

سره إبان إقامةِ سيدي الحبيب بسماران، لما وشى به عند صاحبِ الترجمة بعضُ الوشاة، وعتَبُ صاحبُ الترجمة على سيدي الحبيب قدس سره، وقولُ سيدي الحبيب لصاحب الترجمة: «لا أقولُ لكم إلا اسألوا عني رسول الله ﷺ». وكفى بهذه منقبةً عظيمةً ورتبةً شريفةً كريمةً!.

وكان يجلُّ سيدي الحبيب قدس سره ويثني عليه، ويحترمه ويشير إليه، وكان يسمع الهواتفَ الحقّية، ويخبر بكثير من الأمور الغيبية، كانَ يقول: «إني أسمع الشاوشَ يصيحُ من ظهر الكعبة بالولاية لمحمد بن عيدروس الحبشي»، فكان الأمرُ كما أخبر، وظهر الحبيب محمدٌ المذكور بأعظم مَظهر، وأشرقَ نوره وبهر.

وأخبر وهو بسُماران بوفاة الحبيب الإمامِ محمد بن علي بن عبد الله السقاف بتريم يومَ وفاته، فكان الخبر بمصداق ما أخبر.

وكان مستجابَ الدعوة؛ طلب من أهل سُماران تجديدَ المسجد الجامع لِقِدم عمارته وإشرافه على الانهدام، فلم يوافقه القضاةُ والحكام، لأن من عادتهم أن يهابُوا تجديد المساجد القديمة، ويتحرجوا من ذلك لأوهامٍ يتوارثونها، فرتب صاحبُ الترجمة فاتحةً بأن تخرَّ عليه صاعقةٌ تحرقه، فكان الأمرُ كذلك! أحرقته صاعقة، ولهبت النيران في أخشابه.

واجتمع الموكَّلون بإطفاء الحريق من جانبِ الحكومة لإطفاء النار، وأُخبِر صاحبُ الترجمة فقال: «لا يقدرون على إطفائها حتى تحرق المسجد جميعه»، فقيل له: أما تخافُ اتصالَ الحريقِ من المسجد إلى البلد؟ فقال: «لا تتعدى النار المسجد».

فكان الأمر كذلك؛ لم يقدروا على إطفائها، ولم تتعدَّ من المسجد إلى غيره مع قرب البيوتِ منه، حتى احترق المسجدُ جميعُه، ثم بعد ذلك سخر الله بعضَ حكام النصارى فعمّر المسجدَ عمارةً متقنةً، وهي الموجودة الآن.

وله أحوالٌ عظيمة وسِيَر قويمة، وعاش عُمْراً طويلاً، وخلّد ذكراً جميلاً. وكانت

وفاتُه سنة ١٣١٥هـ خمسةَ عشر وثلاثمائة وألف، وعمره فوق المائة سنة وأوصى أن لا يصليَ عليه إلا عالمٌ من تريم، فوصل يومَ وفاته شيخُنا العلامة علوي بن عبدالرحمن المشهور، وكان هو الذي صلى عليه.

وكان من أمره أنه سافر من سنقفُورة في بعض المراكب إلى سربابة، ولم يكن قاصداً إلى سماران، فلم يتمكن من النزول إلى سربابة لسببٍ عرَضَ له، ورجع المركبُ إلى سماران، وعُرِف أن ذلك من تصرّفات صاحبِ الترجمة، رضي الله عنه وأعاد علينا من بركتهم، آمين.

* * *

[٢٥ـ الحبيبُ عبد الرحمن المشهور
(١٢٥٠ – ١٣٢٠هـ)]

الحبيب الإمام، شيخ تريم وإمامها، ومفتي الديار الحضرمية وعلاّمها، وجيه الدين، أبو علي، عبدالرحمن بن محمد بن حسين المشهور، محيي معالم الدين، والمتوَّج بتيجان: «**من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين**»، البالغُ من تحقيق العلم واليقين أعلى مراتب الصدق والتمكين، ذو السعي المشكور، والعمل المبرور، والتجارة التي لن تبور.

ولد بتريم في ٢٩ من شهر شعبان سنة ١٢٥٠ خمسين ومائتين وألف، وأمه الشريفة الصالحة شيخة بنت عبدالرحمن بن علي بن علوي بن القطب الحداد، كانت تقول: «إنه كان من مبدأ نشوئه متحلياً بمحاسن الأخلاق، مسارعاً إلى مراضي الخلاق»، ومرِضَ وهو ابنُ سنتين، فذهبت أمه إلى عمِّ أبيه الحبيبِ المكاشف العارف أحمد بن عمر المشهور، وقالت له: «امسح عليه وادع له بالشفاء وطول العمر»، فقال لها: «با يتعافى وبا يطول عمره، وبا ينتفعون به أهل زمانه كلهم، ويسيرون في ظله، وسيقع له شأن عظيم».

وكان قدس سره بعد أن أتقنَ الكتابة ينسَخُ في صغره، ويتصدق بما يحصله من الأجرِ ويصل به والدتَه وأرحامه، ولا يطلع على ذلك منه أحد، ويحب إخفاء الطاعة ويدَعُ ما لا بأسَ به خيفةً مما به بأس، وكان شديدَ الصبر على الجوع والسهَر، ويخفي ذلك عن والدته حتى لا تحملَه الشفقةُ على منعه منه؛ كل هذا في صباه!!.

ولما تصدر للدرسِ دخلَ عليه ذات يوم الحبيبُ الفاضل عمرُ بن عبد الله الزاهر المشهور، وحوله الطلبةُ مالئين المنزل، فصافحه وبكى، فقال له صاحب الترجمة: لم تبكي؟

فقال: «ذكرت كلاماً سمعته من جدّك عبد الرحمن بن علي الحداد؛ لقيته ذات يومٍ خارجاً من المقبرة يقودِ بنتَه، أمّك شيخة، وهي صغيرة، فقلت له: إنك متعلق بالبنت هذه يا سيدي! فقال: يا عمر؛ إنه سيكون لهذا البنت شأنٌ عظيم، وستحضره أنتَ إن شاء الله تعالى، فلما رأيتُك الآن علمتُ أنك الشأنُ العظيم، فغلبني البكاء».

وحكَى بعضُ الصالحين قال: «دخلتُ مسجد الشيخ علي بن أبي بكر السكران فوجدتُ رجلين يصليان إماماً ومأموماً، فظننت الإمامَ الحبيبَ عبدالرحمن مشهور، فلما سلما صافحته، وقلت لهما: ظننتُ أحدَكما الحبيب عبد الرحمن بن محمد المشهور، فقال الإمام منهما: هو ولدي، ولي به اعتناءٌ كلي من قبلِ وجوده، وبا يظهر له شأن عظيم، وسيشفعه الله في أهل وقته كلهم، وسلِّم عليه مني، فقلت له: من أنت؟ قال: أنا صاحبُ المسجد، علي بن أبي بكر السكران، وهذا ابني عبدُالرحمن بن علي». قال الراوي: «فلما أخبرتُ الحبيبَ عبدالرحمن بما جرى، قال لي: لا تخبر بذلك أحداً».

ورأى بعضُ الصلحاء الشيخَ عبد الرحمن بن علي، فقال له: سلم على ولدي عبد الرحمن المشهور إمامِ مسجد الشيخ علي، وقل له: إن جدك عبد الرحمن بن علي يصلي وراءك.

وكان شيخُه الحبيبُ أبو بكر بن عبد الله العطاس إذا أقبل عليه صاحبُ الترجمة من حالِ صغره يقول: «أهلاً ومرحباً بعلامتنا وأبينا»، وكان يقدمُه في الإمامة.

وكان شيخُه الحبيب أحمد بن علي الجنيد يقول: «إن هذا الولدَ سيكون عالماً».

قرأ القرآنَ العظيم وجثا بين يدي كل حبر عليم، وزاحم أهل العلم بالركب واجتهد في ذلك ودأب، بنية صالحة ورغبة منه انبسطت في كل جارحة.

فتأدبَ بأبيه وأخذ عنه، وعن الحبيب عبد الله بن علي بن شهاب، والحبيب عبد الله ابن حسين بلفقيه، وقرأ من المختصراتِ الفقهية ما ذاقَ به اللذةَ العلمية على شيخه الإمام

أحمد بن علي الجنيد، منها: كتاب «العمدة» لابن النقيب، و«المنهاج»، و«شرح المنهج»، و«فتح القريب»، وأخذ عنه التجويد والنحو والتصوف، وأذن له بالتدريس في زاوية جده الشيخ علي، فكان يدرس في حياة شيخه المذكور وهو ابن إحدى وعشرين سنة، ويحضر تدريسَه مشايخُه الكرام، كالحبيب حامد بن عمر بافرج، والحبيب عمر بن حسن الحداد، والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب عبد الله بن أحمد بلفقيه، والحبيب أحمد بن عبد الله عيديد، والحبيب حسين بن عمر بن سهل، والحبيب عمر بن عبد الله الزاهر، والحبيب علي بن عيدروس بن شهاب، كل هؤلاء بتريم مربع المجد الصميم.

وقرأ على الحبيب أحمد بن محمد جمل الليل، والحبيب أحمد بن علي بلفقيه، والحبيب عيدروس بن محمد العيدروس، والحبيب حسن بن حسين الحداد، هؤلاء الأئمة الأعلام ما لا يحصى من دواوين الإسلام، تفسيراً وحديثاً وفقهاً وتصوفاً وتاريخاً، منها: «صحيحُ البخاري» مرات، و«صحيح مسلم» و«شرحه» للنووي، و«إحياء علوم الدين» مرات، و«الجوهر الشفاف»، و«المشرع الروي»، و«شرح المنهج»، و«تحفة المحتاج»، و«تاريخ الخميس»، وغيرها، مما لا يحصى في كل علم نفيس.

ولما اطلع على ما نقل عمن قبله: «أنّ العلمَ لا يعطي الطالب بعضَه حتى يعطيه الطالبُ كلّه»، رغب في السفر للعلم والرحلة.

فأخذ بقرية ثبي: عن الحبيب علوي بن زين الحبشي، وبالمسيلة: عن الحبيب عبد الله ابن حسين بن طاهر، وابنه الحبيب عبد الرحمن، والحبيب عمر بن عبد الله بن يحيى، وبسيؤون: عن الحبيب محمد بن علي، والحبيب عبد الرحمن [ابن علي][1] والحبيب محسن ابن علوي، والحبيب شيخ بن عمر، والحبيب عمر بن طه، كلهم آل السقاف. كان يذهب طريق المعْجاز المعروفة، يمشي ويحمل كتبه على عاتقه حتى عبر الطريق المذكور نحوَ

(١) بياض في الأصل بقدر كلمة، وما بين القوسين من إضافات المصحح.

أربعين مرة، وكان مدة إقامته في سيؤون يطالعُ في اثني عشر كتاباً وخمسِ حواشي، ويحضر اثني عشر درساً، وكان يأخذ بأوقيةٍ تمراً خمسةَ عشر رطلاً، مع ثمانية أمداد ذُرَة فيكفيه طعاماً أربعين يوماً.

وأخذ بتريس: عن الحبيب علوي بن سقاف الجفري، وبالغرفة: عن الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، والحبيب عبد الله بن حسن الحداد، وبذي أصبح: عن الحبيب الحسن بن صالح البحر، وكان يفرح به ويبشرُه ببلوغِ الآمال، وبشبام: عن الحبيب عمَر بن محمد، والحبيب عبد الله بن عبدالرحمن، آل سُميط.

ورحل إلى دوعن سنة ١٢٩٤ أربع وتسعين[1] ومائتين وألف، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبد الله باسودان، والحبيب محمد بن سالم البار، وقال له: «ما رأيت فيمن وصل إلينا من حضْرموت من طلبة العلمِ مثلك».

وعن الشيخ محمد باحنشل، والحبيب القطب أبي بكر بن عبد الله العطاس، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب محمد بن محسن بن الشيخ أبي بكر بعَنَقْ، والحبيب أحمد بن عبد الله البار، والحبيب طاهر بن عمر الحداد، فكل هؤلاء أخذ عنهم ومنهم واستفاد، وألبسوه لباس التقوى، وأذنوا له أن يرويَ عنهم كل ما يُروى.

ورحل إلى الحرمين الشريفين، فأدّى النسكين، وزار جده سيد الكونين ﷺ، وقرت منه العين بمنتهى الحسن والزين، وأخذ عمّن بتلك الديار من العلماء والأخيار، كالحبيب محمد بن حسين الحبشي، والسيد أحمد دحلان، والحبيب عمر بن عبد الله الجفري، والحبيب هاشم بن شيخ الحبشي، والشيخ محمد العزب، والشيخ حسن العَدَوي شارح «الدلائل»، وأخذ باليمن عن السيد محمد بن [أحمد بن] عبد الباري الأهدل.

فجمع من العلوم الشرعية أشتاتها، وقابلته من العناية الربانية نفحاتها،

(١) كذا في الأصل، والصواب: وسبعين. لأن وفاة الشيخ محمد باسودان كانت سنة ١٢٨٢هـ.

فاطمأنت نفسه وحسنت صفاتها، وبرز في مظهر النفعِ العام، وعمر مدارس أسلافه الأعلام، وقصده الخاص والعام من الأنام، وانتفعوا به الانتفاع التام، وانتعشت به تريم وربوعها وزانت به محافلها وجموعها.

وكانت له الاستقامةُ الكاملة والورع الحاجز عن المباحات، فضلاً عن الشبهات والمحارم، مذ أمِيطت عنه التمائم، حتى أنه إذا أهديَ لأهله ما يُهدى لأمثالهم وهو صغير لا يأكل منه إذا لم يطمئن به قلبه المستنير، ولو كان من أطيبِ الملبوس والمأكول، يتحرى فيما يفعل ويقول.

وكان له الاجتهادُ التام في العبادة، لا يسأم من طلب الزيادة، مما يوجب الحسنى وزيادة، لم يترك قيام الأسحار، والمواظبة على الأوراد والأذكار آناءَ الليل والنهار، وله التآليف المفيدة، والفوائد العديدة.

❋ ❋ ❋

[٢٦ـ السيد فضل بن علوي بن سهل
(... – ١٣١٨هـ)]

الحبيب الإمام، العارف بالله، فضل بن علوي بن محمد بن سهل بن أحمد بن سليمان ابن محمد بن سهل بن عبد الرحمن بن عبد الله بن علي بن علوي بن الشيخ محمد مولى الدويلة.

ولد بكالي كُوتْ من مليبار، ونشأ بها في حجر والده الإمام، نشأةَ أسلافه الكرام، وتأدب بأبيه وانتفع به، ثم أرسله والده إلى حَضرموت وكتبَ للحبيب عبد الله بن حسين ابن طاهر: «أنْ صدَر إليكم ظرفٌ خلي، أملوه من الأسرار وأرجعوه إلينا»، ففرح بقدومه الحبيبُ عبد الله وحلّ نظره عليه، وأقام عنده مدةً ينغمس في بركاته، ويتجوهر من عنايته وملاحظاته، ويقتبس من أنواره، ويلتمس من نفحاته وأسراره، فأخذ عنه أخذاً تاماً، وألبسه كوفيةً، كان صاحبُ الترجمة يقولُ: «جميعُ ما معي من كوفية عبد الله بن حسين».

وزار مشاهير الوادي الميمون، وحظي من نظرهم بقُرة العيون، واستأذن الحبيب عبدَ الله في الرجوع إلى أبيه بعد برهة من الزمان، فأذن له وكتب معه إلى والده: «صدر إليكم الظرفُ الخليُّ ملآن».

وكان من أمرِ صاحبِ الترجمة ما كان، من ثباتِ الجنان، والطموح إلى نصرة الإسلام والإيمان، والدعوة إلى إقامة شريعة جدّه ولدِ عدنان سيدِ الأكوان ﷺ، وأقام بمكةَ مدةً طويلةً آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم.

وأخذ عنه خلقٌ كثير، وانتفع به جم غفيرٌ، وله الهيبة والحشمة العظيمة عند الولاة من الأتراك والأشراف، مع الكرم الواسع والصيت الشاسع، والعلم النافع، والتمسك بالسنة النبوية والطريقة العلوية، والهمة العلية الطامحة إلى المراتب السنية.

[اتصاله بالسلطان العثماني لإصلاح حضرموت]:

وتعلقت نيتُه وسمَتْ همتهُ لإصلاح حضرموت وإقامة الشريعة المطهرة بها، وكبح جماح من بها من العتاة والفجرة، حملة السلاح أعداء الصلاح والإصلاح، فبذلَ في الوصول إلى ذلك غاية جهده، وجعله همه وقصده، وكاتب السلطانَ المعان عبد الحميد خان، في ذلك الشأن.



ورأى أن لا بد لإصلاح حضرموت من ثغر بندرٍ على ساحل البحر، يكون مصدر الإصلاح والسلام، ثم يكون منه التقدم إلى الإمام، حتى يتم المرام من النفع العام، ويكونُ طريقاً للمواصلات من سائر الجهات، لاسيما جهةَ السلطان عبد الحميد، الذي أوى منه في إتمام مقصوده إلى ركن شديد، وأجابه السلطانُ إلى ما طلب، وكاد أن يتم إسعافُه بما أحبّ، لولا تشويهٌ حصلَ لحقيقة حاله، من بعض من أراد الله حلولَ نقمته به ونكاله، وهو المتولي من الأشرافِ في ذلك الزمان من جهة السلطان، فتوجه صاحبُ الترجمة في عزله والانتقامِ منه بالحال.

أخبرني الوالدُ حسين بن حامد العطاس، قالَ: «قال لي الحبيبُ عبد الله بن أبي بكر العطاس: خرجتُ مع الحبيب فضلٍ ذاتَ ليلةٍ إلى الحرم آخرَ الليل، فقصدَ ناحيةً من الحرم وأنا خلْفَه، حتى أتى على حلقةٍ من السادة مجتمعين، لم أعرف منهم إلا الحبيبَ محمد بن حسين الحبشي، فجلس الحبيبُ فضلٌ بعد المصافحة، واشتكى بالوالي المذكور، فقال له المتصدّر في الحلقة: وما الذي تريد؟ فقال: عزلُه أو الإذنُ لي بالتصرف فيه، فقال: وإذا عزل، فمن تراه يحل مكانه؟ فسكتَ صاحبُ الترجمة، فقال له: تصرفْ فيه بما دون الموت.

فرفع يدَه صاحبُ الترجمة ونتفَ بها في الهواء نتفةً قويةً، وأخذ الحبيبُ محمد بن حسين الحبشي يجرُّ يدَه إلى خلفٍ عند رفعها، وانفضّ المجلس، فلما أصبحنا انتشر الخبرُ بأن الأميرَ المذكورَ أصيبَ بالفالِج في جانبٍ من بدنه، وعاش مدةً طويلةً بعد ذلك على ما هو عليه من الولاية.

ثم إن صاحبَ الترجمة رحَل بنفسِه إلى استَنْبول، واجتمع بالسلطان، وقابله مقابلةَ أمثاله من رفيعي القدر والشأن، وأنزله عنده بأعلى الرتب، وأسعفه بما طلب، ووكل إليه أمرَ ظفار والبنادر، وأمده بالمال والعساكر.

فرجع إلى الحجاز، وبعد الحج سنة ١٢٨٩ توجه إلى صنعاءَ لمواجهة الباشا أحمد مختار الذي وكَلَ إليه إسعافه بما أراده من الجند والعدة، وكان سفره إلى ظَفار في شعبان، وأذعن له أهلُها، وانقادت له القبائل، وألقوا إليه أزمة الأمور، وأعطوا العهود والمواثيق على إقامة الشريعةِ المطهرة وتنفيذ أحكامها المقررة، وأسقطوا ما بينهم من دماءٍ وتِرات، وأن مرجعهم فيما أقبلَ إلى حكم الشرع الشريف، وأنهم سامعون مطيعون له في تنفيذ ذلك والقيام به، وأنه المتولي عليهم.

وابتدأ في تنظيم ما أرادَ القيامَ به، فاتفق: أن قُتِل شخصٌ من القبائل ولم يُعرف قاتله، فجاءت قبيلته إلى صاحبِ الترجمة، وقالت له: «إن قاتله من آل فلان»، لقبيلةٍ أخرى، فطلب منهم إثباتَ ذلك بوجهٍ شرعي، وتعيينَ القاتل حتى يجري عليه حكمُ الشرع، فغضبوا وخرجوا عن طاعته، وحاربوه وحصروه في بيته نحو ثلاثة أشهر.

وكان قد رجع الجندُ الذين أتى بهم من الأتراك اطمئناناً بما ظهرَ من طاعة القبائل، وأبطأ عليه المددُ للنصرة، فسافَر عند ذلك بحاشيته من ظفار إلى المكلاّ، ثم إلى عدن وجدّة ورجع إلى القسطنطينية رافعاً لشكايةِ الحال إلى السلطان، راغباً إليه في إسعافه بما يقدر به على إخضاعِ تلك العصاباتِ الطاغية والقبائل العاتية، وما زالت المواعدة من السلطان وامتدّ عن تحقيقها الزمان.

قال صاحبُ الترجمة في بعضٍ كتبه لسيدي قدس سره: «ونحن لله الحمد لا نحنُ متكلين على السلطان ولا على خلافه، بل أمرٌ قدّره الله بوصولنا إلى الآستانة، والرجوع منها إن شاء الله إلى محلٍّ ما اختار الله لنا سابقاً الذي هو ظفار، الذي تكون إن شاء الله تعالى رُكْناً للعلويين بإشارة العارفين، والآن نحنُ في التدابير وتحت الإشارة، وييسر الله جميعَ المطلوب ..»، إلى آخره.

والذي يظهر بالاستقراءِ من وقائع الأحوال: أن بعضَ الحكوماتِ الإفرنجية تدخّلت في القضية، وحالت دونَ تمامها، لمرامٍ ترومه، لا بلغها الله مرامها.

ولصاحب الترجمة رسائل، في وقائع بعضِ الأحوال من المسائل، منها: «**رسالةٌ في الحجاب**» لما فشا التبرّجُ من النساء في مكة المشرفة، وقام في كبح جماحِهنّ من ذلك الفساد، وسعى في تمييزهن في ناحيةٍ من الحرم جعَل عليها شُباكاً حائلاً بينهنّ وبين الرجال، وأنشأ بأمره شيخُنا العلامةُ أبوبكر بن عبدالرحمن بن شهاب «**منظومته في الحجاب**» التي أولها:

* قالَ أبو بكرٍ الفقيرُ المعترفْ *

وأشار فيها إلى قيامِ صاحبِ الترجمة في إزالة هذا المنكر، وإشارته عليه بالنظم بقوله:

* وخذ أخي جمانَ لفظٍ يُنظَمُ *

إلى آخر تسعة أبيات.

ولشيخِنا المذكور قصيدةٌ فريدةٌ في مدحِ صاحبِ الترجمة، مطلعُها:

عليَّ لها إن تنبُذَ المقلةُ الكَرى ... وتَذريَ دَمعاً كاليواقيتِ أحمَرا

وفيها يقول في مدح صاحب الترجمة:

هو الفَضْل ربُّ الفضلِ قطبُ دَوائرِ الـ ... ولايـة ركـنُ الملـةِ الـشَّامخُ الـذُّرَى

وبالجملة؛ فمقامُ صاحبِ الترجمة عظيم، ومنهاجه هو الصراط المستقيم.

قال شيخُنا الحبيبُ أحمد بن حسن العطاس: «سمعتُ الحبيب أبا بكر بن عبدالله العطاس، يقول: فضلُ بن علويٍّ سلطانُ الأولياء في مكة».

وقال شيخُنا الحبيب علي بن محمد الحبشي: «سمعَ الأخ عليُّ بن سالم هاتفاً يقول: اثنان من الأولياء كلُّ واحدٍ منهما حالُه فاق حالَ والده: الحبيب فضل بن علوي بن سهل، والحبيبُ عيدروس بن عبدالقادر بن محمد الحبشي».

وكان سيدي الحبيبُ قدس سره يذكُره بعِظَمِ الحال وبلوغ الرتب العالية من مراتب الرجال وبينهما عدة مكاتبات أُثبتُ منها ما وجدتُه من القسم الأولِ والثاني من الجزء الثاني من هذا «المجموع».

وكانت وفاتُه قدس سره بإستمْبول سنة ١٢١٨ وبها دُفن، وقبره ظاهرٌ يزار، مشرقةٌ عليه الأنوار، رحمه الله وأعاد علينا من بركاته، آمين.



[٢٧ـ الحبيبُ عبد القادر بن أحمد بن قِطْبان (١٢٤٥ – ١٣٣٠هـ)]

ومنهم:

الشيخُ الإمام، عظيم الحال، وصافي البال، الخاشع الخاضع، العالم العامل المتواضع، المجتهد في العبادة، الحريص على الاستفادة، المثابر على طاعة الرحمن، المخلص لله في السر والإعلان، عبدالقادر بن أحمد بن قِطْبان.

ولد بسيؤون سنة ١٢٤٥، وبها نشأ وصحبَ أباه وعمّه، وأخذ من أكابر عصره عن أمة، منهم: الحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب محمد بن علي بن عبد الله السقاف، وغيرهم. وجدَّ في طلبِ العلوم النافعة، وثابر على الأعمال الرافعة، ولزم الزهادةَ والعبادة، وعاد من كل عادة، وجد في طلب السعادة، وحافظ على الأوراد والأذكار، وأفنى فيها آناء الليل والنهار، ولازم النوافل والعبادات، وحافظ على الجمعات والجماعات، وعمَر أوقات عمُره بنفائس الطاعات.

ورحل إلى ....[1]، ثم إلى جاوه، واتصل فيها بكثيرٍ من الأكابر، وكان كثير الاستمداد من صالحي العباد، حسَنَ الظنِّ في المسلمين وطيبَ الاعتقاد، يعتقد في كل من لقيَهُ الخير، ولا يشبع في الاستمدادِ من كل من اتّسَم بسلوكٍ أو سير، وكانت بينه وبين الإمامَين العظيمين: الحبيب عبد الله بن علي الحداد، والحبيب أبو بكر بن عمر بن

(١) بياض بقدر ثلاث كلمات.

يحيى المحبةُ العظيمة والمودة، والأُخوة الصادقة التي لا تنفصم لها عقدة، وكانا كغيرهما من أكابر العلويين يلقّبانه بالقُطب، حتى اشتهر له هذا اللقب بين الناس، وكان المشارَ به إليه من جميعِ الأجناس، على ما هو عليه من التستر بأذيال الخمول، والزهد في عَرض الدنيا والطُّول، والتنزلُ في المخالفة والخدمة والاحترام، وشهود الفضل واستحقاق الإكرام للخاص والعام.

وكان له الحرصُ التامُّ على جمع الكتب واقتنائها، جَمَع عدةً منها، وقرأ أكثرَها أو قرئَت عليه في جميع العلوم، لاسيما التصوف، وكتب القوم ومناقبهم ولاسيما أسلافه الصالحين، وكان من أهل الجد والتشمير في الأوراد والأذكار، يسرد من ذلك العدد الكثير، قال شيخُنا الإمام أبو بكر بن عمر بن يحيى لما ذُكرَ صاحبُ الترجمة وكثرةُ ما يوزعه من الأذكار والأوراد، وكثرة ما يجيز فيه من استجازهُ من أهلِ الاعتقاد: «إنه صاحب تُوكو، لا يبيع بالتفرقة!». والتُّوكُو؛ باللغة الجاوية: المكانُ الكبير للتجارة، الذي يستمد منه البضائعَ أهلُ الأسواق.

وكان يقرأ «الدلائل» في كل يوم وليلة خمسَ مرات، وكان صاحب أنوار شارقة وكرامات خارقة، وأسرار باهرة وفتوحات ومواهب ظاهرة، ينفَحُ من طيبه ما ينمُّ أنه من أهل السر وممن حظيَ به، معتقداً عند الخاص والعام، مهاباً عند الحكام من أهل الكفر وأهل الإسلام.

وكان كثيرَ الكراهةِ للتصدر والتقديم، لا يجلس إلا في أطرافِ المجالس، ولا يقتني مما يقربُ إلى الله إلا النفائس، ولا يشهد من مخدارتِ المعارفِ إلا العرائس، ومع سِتره لأحواله وتنزله في كماله وتواضعه في جلاله، يحكي من المكاشفات وخوارق العادات ما يطولُ ذكره ويتعذر حصره.

وكان من ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ❁ وَٱلَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَٰمًا﴾، لم يُرَ غضباناً ولا عابساً، ولا يجلس

إلا لرأسِه من الخشية ناكساً. وقد ترجمه الأخُ أحمدُ الجفريُّ في «كتابه»، وكانت تذكِّرُ بالله رؤيتُه، ويدل على الله سمته وهيبته، وتذكر بالسلف الصالح تُؤَدَتِهِ واستقامته.

وكان كثيرَ التعظيم والاحترام لسيدي الحبيب قدس سره، وكان حريصاً على حضور مجالسه ومحافلِ وعظِه وتذكيره. ومع عِظَم حاله وكبر سنه وسعَة معرفته ورفعة مقامه، كان من الآخذين المستجيزين لسيدي الحبيب قدس سره.

[إجازته من صاحبِ المناقب]:

وتكررَ منه طلبُ الوصية والإجازَة من سيدي، فأسعفه بالوصيةِ العظيمة، التي قال فيها: « **أما بعد**؛ فقد طلبَ مني **الإجازة والوصيةَ** حسَنُ التعلقِ والتخلقِ والتحقق والحال، المخصوص بمزايا في الاستقبال، سيدي ووليي في الله عبد القادر بن أحمد بن قطبان السقاف الشريف السني الحسيني، أعلى الله مراقيه وتلقيه وبارك لنا وللمسلمين فيه، فأحجمت بعد الاستخارة لقصوري وجلالة مقام الطالب الجليل ثم طلب ثانياً فتعينت إجابته لرجاء بركته ودعوته فأقول ..» إلخ، وهي بكمالها في الجزء الثاني.

وكان كثيرَ التردد في سرباية وما والاها من القرى، يزور فيها المآثر، ويزور طلبة العلم والقائمين في التعليم من العرب والعجم، ويقول: «إن لهم حقاً علينا بقيامهم بواجب التعليم والتبليغ عن الله ورسوله» وكأنه يمدهم ويثبتهم في مراكزهم باطناً.

ولما توفي خليلاه الكريمان الإمامان: الحبيب عبد الله بن علي الحداد، والحبيب أبو بكر بن عمر بن يحيى، رحل من جاوه سنة ....[1] إلى بلده سيؤون بأهله وأولاده، وألقى بها عصا التَّسيار، واتصل بأكابر الأئمة الأبرار، كسيدنا الحبيب علي بن محمد الحبشي، وسيدنا الحبيب أحمد بن حسن، وكانا يعظمانه ويحترمانه.

---

(١) بياض بالأصل. وفي «فيوضات البحر الملي»: ص٢٤٦، نقلاً عن «مجموع كلام الحبيب علي»: أنه قدم في ٢ صفر سنة ١٣٢٨هـ.

وكان كثير المرائي لسيد المرسلين ﷺ، وأكابر السلف السابقين، ورجال الغيب، ويقول إذا حكى شيئاً من ذلك :«رأيتُ كذا»، إيهاماً للسامع بأنها رُؤيا منامية، ستراً لحاله، وما هي إلا مشاهدة عيان.

وكان شيخنا الحبيبُ علي بن محمد يقول: «إنه من أهل السر الذين يرحم الله بهم العباد، ومن أهل السر الخاص المعدود ين من خواص الخواصِّ، أهل العمل والتقوى، لم يخرُج من حضرة الذكر ولم تفتر لسانه منه».

[وفاته]:

وما زال على أكملِ الأحوال، إلى أوان الانتقال إلى حضرة المن والإفضال، فتوفي إلى رحمة الله ببلد سيؤون عشية السبت لإحدى عشرةَ من شهر صفر سنة **١٣٣١** ودفن يوم الأحد، وصلى عليه قطبُ الوجود الحبيب علي بن محمد الحبشي، وحضر الصلاة عليه خلقٌ كثير، وشيعه الجمُّ الغفير، ودُفن قريباً من قبة الحبيبِ عليٍّ بن عبد الله السقاف، رحمه الله ونفع به.

وقد اجتمعتُ بهذا الإمام بحمد الله وزرته بجاوه وحضرموت، وألبسني وأجازني إجازةً خاصةً في (مائةٍ) من آية الكرسي في اليوم والليلة، وعامةً في كلّ ما تجوز له روايته.

ولما زرتُه في رمضان سنة **١٣١٧** أمرني أن أصلي به إماماً فتحاشيت واستحيت فقال لي :«واجعلنا للمتقين إماماً»، وكلما أردتُ أن أتأخرَ قال لي كذلك، فصليت به المغرب والعشاء والتراويح والوتر والصبح، ودعا لي بما أرجو من الله قبوله وحصوله، وإن لم أكن أهلاً فهو أهلٌ لكل جميل، وهو حسبي ونعم الوكيل.

* * *

[٢٨ـ الحبيبُ أحمدُ بن حسنٍ العطاس (١٢٥٧ - ١٣٣٤هـ)]

ومنهم:

سيدنا وشيخنا، بل شيخ الإسلام والمسلمين، وإمام الموحدين، وبقية الأئمة المجتهدين، قطب الشريعة وعلامها، وإمام الطريقة ويتيمة عقد نظامها، وبحر الحقيقة، وغوث الخليقة، المتوج بتاج الخلافة، شهاب الدين، أبو سالم، أحمد بن الحسن بن عبد الله ابن علي بن عبد الله بن محمد بن محسن بن الشيخ الحسين بن الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس.

حبيبُنا المحبوب، وإمامُنا الذي نلنا به المطلوب، غِنانا من الإفلاس، ونورنا الذي نمشي به في الناس، المرجع لذي الالتباس، والغياث عند البأس، الذي فضله مسألةٌ بغير خلافٍ عند سائر الأجناس، سلطانُ الأشراف، ومخفِر وادي الأحقاف، ومحيي ما اندرسَ من سيرة الأسلاف، مفكّك المعضلات، وحلاّل المشكلات، وأمير المؤمنين في جميع الكمالات، المتربع بأداء السنة والفَرض على سَرائر: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

ولد بحُرَيضة المنيرة، معوَّضاً عن بصره الظاهرِ نورَ البصيرة، كان وجودُه على أكمل الأحوالِ من قوة الروح وزَكاءِ الفطرة، في رمضان سنة ١٢٥٧ سبع وخمسين ومائتين وألف من الهجرة، أخبرَ عن نفسه أنه عرفَ الخاتنَ الذي ختنه يومَ سابعه، وغداءَ الخاتن يومَ الختان، ومن حضره في ذلك المكان.

ونشأ على أحسن سيرة، وأصفى سريرة، تحفه العناية وترعاه الرعاية، وتلوح على أساريره أنوار الولاية، فكان في صباه يخبر بأمورٍ عظيمةٍ من الغيوب المكتومة، وكان أهله وقراباته يستشفون بريقه ونفَثاته، ويستمدون في ذلك الوقت من بركاته، وحنن عليه ذو الجلال، أكابرَ الرجال، فلاحظوه أتمَّ ملاحظة من بين الأطفال، ورعوه بعد رعايةِ الله في جميع الأحوال.

فنشأ براً زكياً، وأشرق فيه نور: ﴿يَـٰيَحْيَىٰ خُذِ ٱلْكِتَـٰبَ بِقُوَّةٍ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا ۝ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً ۖ وَكَانَ تَقِيًّا﴾، فابتدأ في حفظِ القرآن بتلقينِ جده الحبيب الإمام عبدالله بن علي، وكان له منه عنايةٌ تامةٌ ونظرٌ خاص، وكان يقربه ويدنيه، انتفع به وبتربيته، فلقنه من سورة الناس إلى سورة قريش، ثم ذهب به إلى المعلِّم الصالحِ الزاهد فرج بن سبّاح، فحفظ عليه القرآن جميعه، وكان له به عناية تامة، كان يرخص للأطفال ويبقي صاحبَ الترجمة حتى يكرّر ما حفظَه أربعين مرة.

وحفظ بعض المتون الفقهيةِ على السيد الإمام العلامة محمد بن علي بن عبد الله السقاف إبانَ تردده إلى حريضة للدعوة ونشرها، وإقامته لذلك بها، وانتفع بتدريسه وبتقريره، واستبصر بتعليمه وتبصيره، وكانت له العناية الخاصة الملاحظة الخالصة من السيدين الإمامين القطبين الكبيرين، شيخَي العصر وحسنتي الدهر: صالح بن عبد الله، وأبي بكر بن عبدالله آل عطاس، فعنهما ملأ الوطاب، من المعارف والأسرار والآداب.

ورحل إلى الحرمين الشريفين سنة ١٢٧٤ أربع وسبعين ومائتين وألف، حج حجة الإسلام وبلغ من المشاعر العظيمة غاية المرام، وزار جده سيد الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام، ورجع إلى بلده المنيرة، وعينُه بها تفضلَ الله به عليه قريرة.

ثم آل إليها أيضاً سنة ١٢٧٥هـ سنة خمس وسبعين ومائتين وألف، ثانياً، فأدى النسكين وقرّت منه العين، بالنقا والمرْوَتين، وتلقاه الإمامُ بالمسجد الحرام شيخ الإسلام

ومنهلُ العرفان شهاب الدين أحمد زيني دحلان، وتفرّس فيه الأهلية للخلافة، والاستعداد لما يلقى من رحيق العلم وسلافه، وتخيّل فيه مخايل النجابة والظرافة، وشهد ما تحلى به من خلعة الآداب والنظافة واللطافة، ففرح بوصوله وكان لديه أعظم واصل، وأكرم نازل، وسأله عن قصده؟ فقال: جئتُ لأداء الحج وتجويد القرآن، فقال له: أما تطلب العلم؟ فقال له: يكفيني تجويد القرآن وأرجع إلى جهتي، وأطلب ما تيسر من العلم هناك.

قال صاحبُ الترجمة: «ولم يكن ذلك رغبة مني عن الإقامة بمكة، ولكن خوفاً من مخالطة الأضداد، ...[1]، وعندي ذلك الوقت صفاءٌ تام في الباطن، فلم يزل يلاطفه حتى اطمأن، وذهب به إلى الشيخ المقرئ الحافظ علي بن إبراهيم السمانودي، فحفظ عليه «الشاطبية»، وقرأ عليه القرآن بالقراءات السبع بالإفراد والجمع، وأخذ عنه تسعمائةٍ وتسعاً وتسعين طريقاً من الرواية المقررة عن القُراء العشرة.

ولما أكمل الختمة بالقراءات وكان في ذلك آيةً من الآيات، جعل له شيخُه دحلان ختماً عظيماً حضره العلماء والأعيان، وعُطّلت المدارس في ذلك اليوم، وحضر القراء الموجودون، ومن أحسن في ذلك البحر العوم، وابتدأ صاحبُ الترجمة بعد الاجتماع يغذي القلوب ويشنف الأسماع، بقراءة الإخلاص والمعوذتين والفاتحة وأول البقرة إلى المفلحون، وأتى بها للقُراء السبعة من القراءات والأوجُه، والتكبير والتهليل والحمد، مع تكرير ذلك كما هو معروفٌ عند من أراد أن يجمع القراءات للقراء في مجلسٍ واحد، وأُلبِس الشيخُ لباس التكريم، وقسمت الحلوى على من حضر ذلك الجمع العظيم.

ثم أشار عليه شيخه دحلان بحفظ «ألفية ابن مالك»، وأسمعه منها أبياتاً من أبواب متفرقة، فحفظها عليه لفظاً ومعنًى، وحظي منه بغاية القرب والإدناء، فكان قرينَه في الحضر، ورفيقه في السفر، وشريكه فيما بطن وظهر، وخليفته في الحرم إذا قام به مانعٌ عن

---

(١) بياض بقدر عشر كلمات.

الخروج، وكان معه على ذلكَ خمسَ سنين، فسمع عليه من العلوم منطوقها والمفهوم، من تفسير وحديث وفقه ونحو واستعارة، ومنطق وجميع العلوم التي إليها الإشارة، وتعدادُ ما سمعَه عليه من المؤلفات المبسوطات والمختصرات يتعذّر، وقد ذكر صاحبُ الترجمة شيئاً من ذلك في «مجموع كلامه».

وكان يشق عليه إذا ذكَر صاحبُ الترجمة الخروجَ إلى حضرموت، ويقول له: لا أريدك تخرج إلى حضرموت، وكان قصدُه أن يكون خليفتَه في البلد الحرام، ولم يطلبْ منه صاحبُ الترجمة شيئاً أبداً مدةَ إقامته، وزوَّجه بابنةٍ بعض قرابته، ولما عاتبه على عدم طلبه لشيءٍ منه، قال له: «إن عادةَ السلف الصبرُ وانتظار الفتح»، فأعجبه ذلك منه ودعا له.

ولما أراد الله خروجَه إلى حضرموت قال قدس سره: «رأيتُ جملةً من السلف ترددوا علي في المنام، وألزموني بالخروج إلى حضرموت»، فحرت مع الشيخ فلم أدر كيف الدخول عليه في الاستئذان منه، لما أعلمه من حبه لي وتكليفه على استيطاني بمكة، فطلبتُ من بعض السلف الذين أمروني بالخروج أن يستأذنَ لي الشيخ في ذلك. فأتى إليه ذات ليلة وطلبَ لي الرخصةَ منه، فبعد أن صلينا صلاة الفجر صبيحة تلك الليلة وأتينا إليه للمصافحة والمدارسة معه، أخبرني بذلك، وأذن لي في الخروج، قال لي: «رضيتُ الآن»، ودعا لي، وذلك سنة ١٢٨١ أحدى وثمانين ومائتين وألف، ولم يزل نظره عليَّ في أحوالي كلها، وأجازني ولقنني وألبسني، ولم تزل مكاتباته تِردُ إليّ، آخرها من المدينة قبل وفاته، شرح لي جميع ما لديه من الفرَح والكُره، وما ألفه من الكتب، وما قد تبيض وما هو باقي في مسوّدته، وما في بيته، وما هو عند الطلبة وهو كالوصية والاستيداع». انتهى.

ولما رجع إلى بلده المنيرة وواديه ذي الخصوصيات الكثيرة، وأقام بها بعين قريرة:

كالشمسِ في كَبِدِ السماءِ وضوءُها ... يغشى البلادَ مشارقاً ومغارباً

وأخذ عمّن بوادي ابن راشد، واتصل بجملة من الأكابر الأماجد، قال قدس سره:

«وانتفعتُ بجملةٍ من سلفنا، ممن كان مشهوراً بالعلم والصلاح في وقتنا، كسيدي العارف بالله أحمد بن محمد المحضار، وكانت لي منه عنايةٌ خاصةٌ ونظرٌ خاصٌ وملاحظةٌ تامة، ومثل الحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب شيخ بن عمر بن سقاف، والحبيب محمد ابن إبراهيم بلفقيه، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وغيرهم من أهل الصلاح الدعاة إلى الله.

وطلبت الإجازة والتلقين من الجميعِ مرات، وأذنوا لي بما هناك وفيما هناك، وكذلك استجزنا من جملة من العلماء بالحرمين ومصر واليمن، ومن أهل الباطن وأهل البرازخ، مثل الفقيه المقدم، والشيخ عبدالقادر الجيلاني، والسقاف، والعيدروس، والعدني، والشيخ أبي بكر بن سالم، والعطاس، والحداد، وغيرهم من أهل العلم، مثل الغزالي، والنووي، نفعنا الله بالجميع ورزقنا حبهم والاتباع لهم». انتهى.

وكان دخوله مصر سنة **١٣٠٨** ثمان وثلاثمائة وألف، وقد ذكر بعض ما اتفق له هناك في «مجموع كلامه».



وفي هذا «المجموع»، من مناقبه العظيمة، وخصوصياته الشريفة وأخلاقه الكريمة وسيرته القويمة، وعلومه الغزيرة وأحواله المنيرة وتطوراته الشهيرة، ما يـكتَبُ بماء العيون، على ألواح القلوب المتطلعة إلى العلم المكنون، المتشوقة إلى حيازة السر المصون. ومما يتعلق مما خصته به عناية الله وإرادته؛ قال قدس سره: «كنتُ وأنا صغير السن إذا أتتني الخواطر أطرحها كلها وأفر منها عن العالم الإحاطة كله، فإذا انتهيتُ إلى الفضاء الذي لا لونَ له ولا صفة، رجعت إلى الموطن الذي كنت فيه، واشتغلت فيه بما كنتُ فيه، لكن الحمل الذي يشتت البال قد وضعتُه. وكنت لا أشغل نفسي بالفرقة بين الخواطر بل أتركها وأبقى على ما أنا عليه وهذا كان معي من الصغر.

كنت يوماً مقبلاً على جدّي عبد الله بن علي، فتراكمت عليَّ الخواطر، فحرتُ ثم رقيتُ بفكري من هذا العالم إلى السماء الأولى ثم الثانية، وهكذا من سماء إلى سماء حتى انتهيت إلى الفضاءِ الخارج عن الوجودِ كله، وألقيتُ الحملَ عني، فما هناك شئٌ أحسن من تفريغ الإنسان قلبه عن الخواطر وجمعه على ربه».

وقال قدس سره: «لما سافرتُ إلى الحرمين في سن البلوغ، وتحرك خاطري لاتباع السلف، ربما اكتفيتُ بالشيء القليل من الطعام، كالبيضة ونحوها، حتى أني آتي أهلي بالذي أرادوه من السوق ولا أذوقه».

وقال قدس سره: «كنتُ أيام التردد على الحبيب صالح بن عبد الله في أيام الصّغر، أقرأ نحو نصفِ القرآن قبل قهوة الصبح، وفتح الله علي في سورة المؤمن في مسجد فرَج، مسجدِ الحبيب صالح».



وقال رضي الله عنه: «أربعةٌ صحبناهم وانتفعنا بهم انتفاعاً تاماً: سيدنا الحبيب [صالح] بن عبد الله يربي المريدين بباطنه، والحبيب أبو بكر بن عبد الله يربي بالباطن وبالكلام في الظاهر، والحبيب أحمد المحضار بالإشارة في مزح أو غيره، والسيد أحمد دحلان بالعصا وغيرها».

وقال قدس سره: «لقيتُ الحبيب أبا بكر بن عبد الله يوماً وأنا صغير، فمسكني ومسح على صدري، ولقنني هذه الصلاة على النبي ﷺ: اللهم صل على سيدنا محمد طبِّ القلوب ودوائها، وعافية الأبدان وشفائها، ونور الأبصار وضيائها، وعلى آله وصحبه وسلم، وأمرني بالإتيان بها ثلاثاً خلف كل مكتوبة، وأجازني بها.

وشكوتُ إليه كثرةَ النوم سوف تتطلبه بعد فلا تجده[1].

---

(١) في السياق نقص واضح، ولعله: «فقال: سوف ..»، الخ.

فأنا الآن لا أنام في الليل إلا قليلاً، وأفرح إذا نمت، وكنت أيام المجاهدة أجعل الليل نهاراً والنهار ليلاً، وقد أصلي الصبح بوضوء العشاء وقد أصلي الظهر بوضوء العشاء، وقد صليت المغربَ بوضوء العشاء».

وقال رضي الله عنه: «لما زرتُ سيدي الحبيب أحمد بن محمد المحضار بعد رجوعي من الحرمين شيّعني إلى القرين والرشيد والخريبة والرباط، ورجع معي إلى قيدون، وقرأ عليّ «الشاطبية»، وسمعنا منه الكثير في كل نوع.

ولنا معه ومنه مذاكراتٌ ومكاتباتٌ في نحو سبعة كراريس، وتدارسنا معه القرآن وسمعناه منه، وأمرني أن أقرأ «راتب الحبيب عمر العطاس» عند دخول كل بلدة أريد دخوله». انتهى.

قلتُ: وقد ناولني صاحبُ الترجمة وريقاتِ الحبيب أحمد إليه وأمرني بمطالعتها، وإذا هي مشتملة على ثناءٍ على صاحب الترجمة عظيم، وإشارات وبشارات مددها جسيم، تكفي أن تكون له ترجمةً من أعظم التراجم، وإجمالاً لما أكرمه الله به من المواهب والمكارم.

وقال رضي الله عنه: «كنتُ من صغري أميز الأشياء وأدركها، وأحس بحواسي كلها، إلى أن خالطْنا أهلَ الكثافات من البادية وغيرهم، وعلى هذا القدم الآن أخونا علي ابن محمد الحبشي».

وقال رضي الله عنه: «الحمد لله؛ نحن وإن تأخرنا في الزمن فقد وجَدنا خُضْرة في الوقت، ولقينا جملةً من الأعيان، مثل الحبيب محمد بن إبراهيم، والحبيب أحمد جمل الليل، والحبيب أحمد الجفري، والحبيب عيدروس بن محمد العيدروس، والحبيب عمر الزاهر، والحبيب عبد الرحمن بن عبد الله بن سهل، وإن كان صاحبَ سببٍ لكن معه قسمُه من السر، هؤلاء في تريم.

وسيؤون: الحبيب محسن بن علوي، والحبيب جعفر بن شيخ، والحبيب شيخ بن

عمر، والحبيب محمد بن علي، والحبيب عبد الرحمن بن علي، والمعلم عبده بازهير، ومحمد الخطيب بارجاء من الرجال، ومحمد كِبَيران بافضل لقيتُه مرةً في مكة في شعب سيدنا عليّ، جاء في الغيب مع عصبةٍ من الأولياء، ولما خرجت إلى حضرموت ولقيته، قال لي: استر عليّ».

وسئل رضي الله عنه: هل لكم أخذ عن الحبيب صالح بن عبد الله؟ فقال: «كله منه»، وقال: «الإنسان كالنخلة؛ فواحد يفخّط، وواحد يزيل الحطب، وواحد يسقيها». وقال: «كان معي شيء من الوسوسة، فصليتُ ذات يوم مع الحبيب صالح بن عبد الله خلفَ ابنِ أخيه محمد بن أحمد، فلما كبر الحبيبُ صالحٌ أحسستُ بتكبيرته مرّت على قلبي فمسحته وأذهبَت جميعَ ما فيه من آثار الوسوسة.

ونحنُ ما عرفنا شيئاً ولا حصّلنا شيئاً إلا لما ترددنا على أهلنا وأسلافنا وأوطانهم، وتأدبنا وتواضعنا لهم واستمددنا منهم، على ما فينا من قساوة وبداوة وغباوة».

وقال قدس سره: «كنتُ وأنا صغير إذا مررتُ ببيتٍ فيه جنبٌ أعرفُه وأميزه من غيره، ويطرق ذهني الشيءُ من الحوادث في الكون من قبل وقوعه».

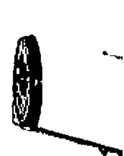
وقال قدس سره: «نظر إليَّ الحبيبُ أبو بكر رضي الله عنه نظرةً عرفتُ بها طبائع الناس وأخلاقهم، وعرفتُ المقبلين من المدبرين منهم، وهكذا نظراتُ الشيوخ إذا كان المريدُ ذا صفاء وطهارة».

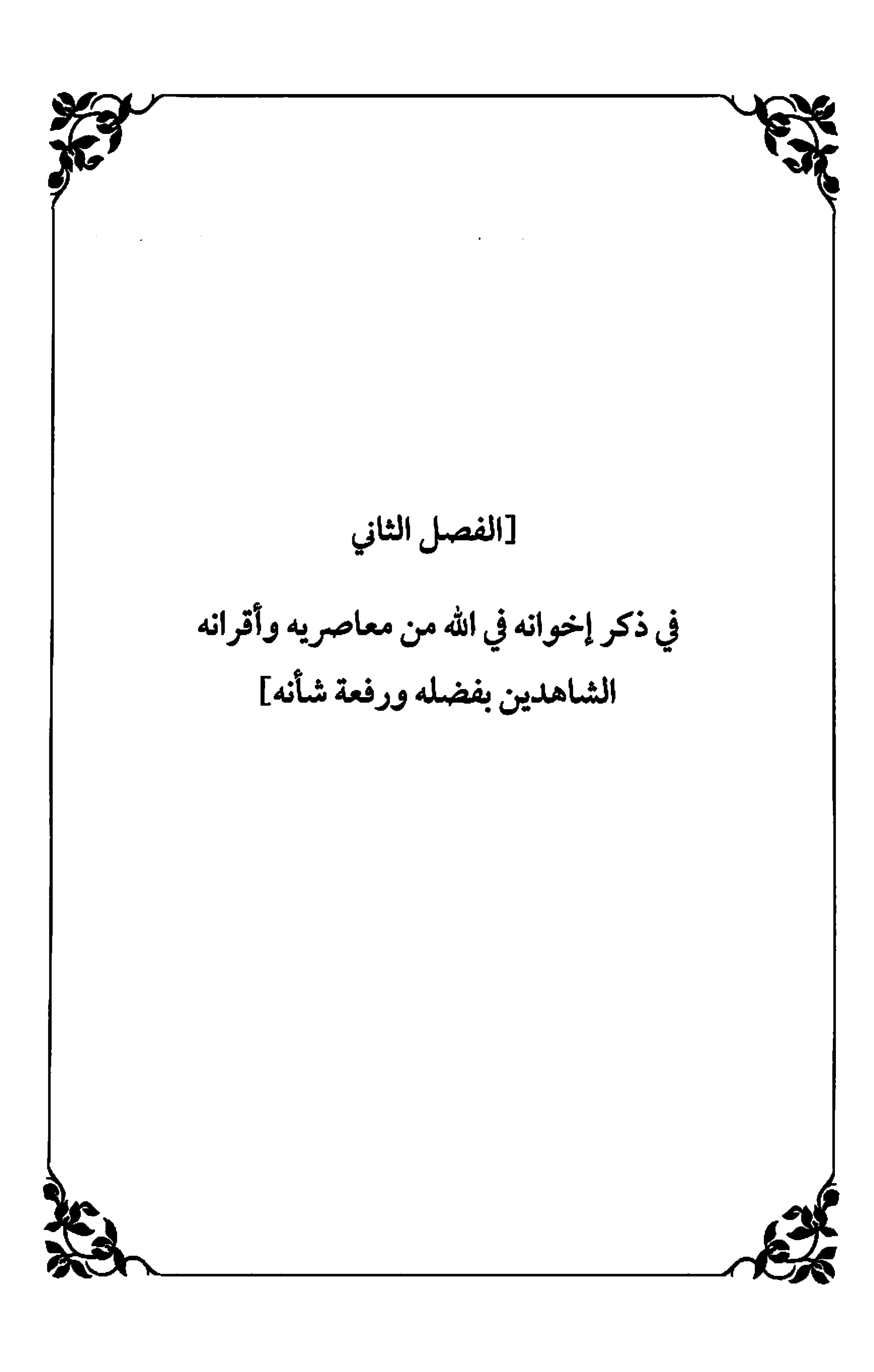
وقال قدس سره: «لولا أن الله تداركَنا بالحبيبِ صالح بن عبد الله، والحبيب أبي بكر بن عبد الله، لأخذنا فيما أخذَ فيه الناس لما كنا بالحرمين، ولكن بسببِ تربيتهم لنا لم نمِلْ إلى شيء من ذلك، على أنه ضاعَ علينا الشيءُ الكثير، وكنت في مخالطتي لأهل الحرمين كالغريبِ المباين لهم».

وقال رضي الله عنه: «لما دخلت إلى مكة أولَ مرةٍ ما كنت أدري أن أحداً يفعل شيئاً لغير الله، بل على النشأةِ الأولى. ولما خالطنا من بعُد، غيروا علينا السمع والبصر والفؤاد».

وقال قدس الله سره: «اجتمعتُ بالسيد العارف بالله عمر بن عبد الله الجفري في المدينة المنورة، وأضافني، وطلبتُ منه الإجازةَ والإلباس، فألبسني قلنسوته وأجازني في الاسم اللطيف، وترددتُ عليه مدة إقامتي، ورأيته في بعض المنامات يجيزني ويلبسُني، وكان بواباً وحَجّاباً للحضرة النبوية».

❋ ❋ ❋





[الفصل الثاني

في ذكر إخوانه في الله من معاصريه وأقرانه الشاهدين بفضله ورفعة شأنه]



[الفصل الثاني[1]

في ذكر إخوانه في الله من معاصريه وأقرانه الشاهدين بفضله ورفعة شأنه]

[٢٩ـ الحبيبُ عبد الرحمن بن محمد خرِد (١٢٤٥ـ ١٣٣٧هـ)]

ومن إخوانه في الله، والمتجالسين على بساطِ الأنس بالله:

سيّدي الفاضل، العالم العامل، الولي الكامل الخامل، العارف بالله الحبيب عبد الرحمن بن محمد بن أحمد خرد.

كان هذا الحبيب ممن عاصر سيدي وناصَره، واغتبط بوجوده وأثنى عليه واعتقده، وكان يقول: «هذا الزمانُ غير قابلٍ لمثل المظهر الذي ظهرَ به محمد بن طاهر»، يعني: فلذلك لم تطُل حياته. قال: «وسيكون ذلك المظهر العظيمُ في الأماكن القابلةِ له في البرزخ وفي المحشر وفي الجنة». وكان يقول: «الحمد لله على كل حال، عرفنا محمد بن طاهر وتمازجْنا نحن وإياه كتمازجِ الروح بالجسد».

---

(١) هذا الفصل لم يرد فيما وُجِد بخط المؤلف، ولكنه ذكر في مقدمة هذا الباب أنه مقسم على ثلاثة فصول، وقد تم النظر والاجتهاد في تمييز الشيوخ عن الأقران، وعبارات المؤلف وإشاراته إلى التقسيم واضحة صريحة، والله الموفق.

ولما قرأت عليه خطبةَ هذا «المجموع»، ووصلتُ إلى اسم سيدي، تغرغَرتْ عيناه بالدموع، وفرح مني ودعا لي بما أرجو بركته.

ولد نفع الله به سنة **١٢٥٤** أربع وخمسين ومائتين وألف، ببلدة بضة، ونشأ بها في حجر أبيه وجده وسعى إلى المعالي بغاية جهده وقرأ القرآنَ العظيم وحفظَ جملةً من المتون الفقهية، وأخذ أخذاً تاماً وانتفع انتفاعاً كاملاً بجُملةٍ من الأكابر، وخطباء المنابر، كالحبيب صالح بن عبدالله العطاس، الحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، والحبيب أحمد بن محمد المحضار، والحبيب أحمد بن عبد الله بن عيدروس البار، والحبيب عمر بن الحسن الحداد، والحبيب أحمد بن سالم البار، والحبيب أحمد بن عبد الله الساكت البار، والجد عبد الله بن طه الهدار الحداد، والشيخ عبد لله بن أحمد باسودان، وابنه الشيخ محمد، والشيخ سعيد باعشن، والشيخ أبي بكر بن أحمد بالبيد، وغيرهم من الأعيان.

ورحل إلى الحرمين الشريفين وأخذَ عن جملةٍ من علمائها، كالشيخ العارف بالله السيد أحمد دحلان. ورحل إليها ثانياً سنة **١٣١٩** تسع عشرة وثلاثمائة وألف.



وسلكَ سبيل أسلافه الكرام من ملازمة الأعمال الرافعة والعلوم النافعة، والسير الحسنة والأخلاق المستحسنة، ثم نقل من بضة إلى بلاد الماء وتَدَيَّـرَها وطابت له السكنى بها، وكان قمرَها المشرق في كبد السماء، وأقام بها المدارسَ وعمر بها المجالس، وقام بوظيفة الإمامة في مسجدها، وكان ربيعاً لقلوبِ أهلها بعد أن طلب من والده أن يأذنَ له في الرحيل إليهم، والمقام لديهم فكان فألَ سعدهم.

ومما وقعَ له في الحرمين الشريفين:

ما أخبرني به، قال: «لما دخلتُ إلى زمزم وخرجتُ بعد قضاء الوطر منها، وجدت رجلاً يتوضأ من الحومة التي يجتمع فيها الماء الذي يغتسِل به الناس ويتوضؤون به، فوقفت عليه وأردتُ أن أقول له: إن هذا الماءَ مستعملٌ لا يجوز الوضوء به، ثم أعرضتُ

عنه وخرجت، فلقيني رجلٌ من المغاربة لا أعرفُه، قريباً من المقام، فقبض يدي، وقال لي: تعتاد تجلس في مكان معلومٍ من الحرم؟ قال: فقلت له: نعم، أجلس قبالةَ مقامِ الحنفي، فقال: هلمّ نجلسْ هناك معاً، قال: فجلسنا، وفتحَ الرجل في المذاكرة، وإذا هو من أكابر العارفين.

فمازال يذاكرني حتى قال: كان لبعضِ أسلافكم السادةِ العلويين أهلِ تريم ولد، فرباه وأحسن تربيته وبرعَ في العلوم حتى صارَ قرة عين لأبيه، وكفاه في القيام بالمدارس، ثم إنه أراد أن يحج فاستأذن والده، فقال له إنه قد تعين عليّ الحج، وأريد منكم الإذنَ فيه، فأذن له والده، وكان من جملة ما أوصاه بهِ أن قال: [إياك][1] يا ولدي والاعتراض على شيء مما تراه، أو على أحدٍ ممن تشاهد في تلك الأماكن.

فسار ذلك الولد؛ ولما كان في زمزم وجدَ رجلاً يتوضأ من الماء المجتَمع من غسالة الناس، فوقفَ عليه، وقال: يا هذا ما مذهَبك؟ إن الماءَ مستعمل، فلم يكلمه، فقال له ذلك ثانياً وثالثاً، فالتفت إليه بعدَ الثالثة، وقال: يا سيّد! أنسيتَ ما أوصاك به أبوك، أن لا تعترض على أحد، فسكتَ السيدُ وانصرف. قال صاحبُ الترجمة: فعلمتُ أنه ساقه الله مؤدباً لي، ولم أزل اجتمعُ به مدة إقامتي بمكة»، اهـ.

وكان صاحبُ الترجمة رضي الله عنه ذا سمتٍ حسن وسكون، وتَؤُدة وخضوع وخشوع، مجانباً للفضول متستراً بأذيال الخمول، مقبلاً على شأنه، على جانب عظيم من حُسن الظن وبسط الأخلاق وسلامة الصدر وشهود التقصير في التشمير، على نمط السلف الصالح في جميع الخلال.

ومما يحكيه عن جدّه الحبيب أحمد؛ قال: «لما أردنا أن نقرأ في بعضِ كتب المواريث قال الجدُّ: لماذا يا أولادي؟ اشتغلوا بما هو أهم في حقكم، واتركوا الفرائض لباشميل

(١) لم ترد في الأصل، ولابد منها لاستقامة الكلام.

وياجنيد!! ولما أردنا أن نتعلمَ المتْرَب؛ أي: القلم الهندي، قال: لماذا يا أولادي؟ اتركوا المترب للباحمدون وأمثالهم من أربابِ التجارة، واشتغلوا بها يعينُكم، وما ذكر هو من الاشتغال»، الخ.

وله كرامات، ودعوات مستجابات، منها ما رأيته بقلمه:

أنه كان سائراً في ساعية إلى الحرمين فأحاطتْ بهم ذات يوم ثلاثُ سواعي ممتلآت عسكر، ومرادهم نهب الساعية التي هم فيها ....[1].

ومنها: أن اللصوصَ فتحوا بيته ليسرقوه فلما دخلوا، .... وأقبل عليهم رجالٌ فهربوا.

وقد اجتمعتُ به مراتٍ بحمد الله، واستجزتُ منه، واستمديتُ من بركاته، وهو الآن في قيد الحياة[2]، متع الله به وأدام به النفع، آمين.

* * *

(١) بياض في الأصل بقدر سطر.

(٢) في «الشامل» ص١٦٩: «توفي ببلاد الماء سنة ١٣٣٧هـ وقد بلغ التسعين أو ناف عليها». انتهى.

[٣٠ـ السيد طاهر بن عبد الله الهدار الحداد
(...ـ ١٣٠٠هـ)]

هو السيدُ الشريف، العفيف المنيف، حسَنُ السيرة ومنور البصيرة، المدخر من صالح الأعمال لأعظم ذخيرة، والمثابر على طلب الكمال بنفسٍ شريفةٍ وعينٍ قريرة.

ولد بخَلع راشد، ونشأ بها في حجر أبيه العابد الساجد، فقلده من حِليةِ الآداب الدينية بأحسن القلائد، وكساه من ملابسِ الأخلاق الإيمانية حللاً سندسية، وغرسَ في قلبه من محبة الخير ما سارَ به على سنن الاستقامةِ أحسنَ سَير، وعلمه من علوم الإيمان والإسلام، ما جلى عن بصيرته الظلام.

وأخذ مع الأخذ عن أبيه، أخذَ الحريص النبيه، عن جملةٍ من الأئمة الهداة المهتدين، كخاليه الإمامين: صالح وعبد الله ابني الحبيب محمد بن أحمد الحبشي، والحبيب عبدِ الله بن عمر بن سميط، والحبيب عبدِ الله بن حسن البحر، والحبيب عبد الله بن حسن الحداد. ورحل مع أبيه إلى دوعن، فأخذ بها عن الشيخ محمد بن عبد الله باسودان، والحبيب عيسى ابن محمد الحبشي، الحبيب طاهر بن عمر الحداد، والشيخ أحمد بن سعيد العمودي.

وكان ذا شغفٍ بطلب العلم ومحبة لأهله وجِدٍّ فيه، وجمعٍ للكتب وولوعٍ بها، ولعل ما وُفِّقنا الله له من محبة العلم وأهله من آثارِ تعلقه بذلك، فإن ظهورَ آثار ما يغلب على خواطر الأبِ في الأولاد، مما تشهد به التجربة من حكمة البر الجواد.

وما زال متطلعاً إلى طلبِ المعالي، ساهراً في طلبها الليالي، ملازماً لأبيه السيد

الكريم، قائماً بحقه العظيم، سالكاً على نهجه القويم، إلى أن رحل والده إلى الدار الآخرة، وقد ألبسه من حلل المجد حلةً فاخرةً.

فرحل هو إلى دوعن لتعهّد معاهدِ العلم والولاية، وللفوز من بركاتهم بجذبة العناية، فقدّر الله وقضى إقامته بقيدون، وتأهّله بها، فتزوج بالوالدة الشريفة الصالحة شِفاء بنت الحبيب عيسى بن محمد الحبشي، المتقدم ذكره في الفصل الأول، فطابت له السكنى هناك، في منزلةٍ من حُسن الشمائلِ واقتناء الفضائل أعلى من برج السماك.

[إجازته من الشيخ الباكري البيحاني]:

ورحل في مدة إقامته إلى ناحيةِ حبان، واجتمعَ فيها بالشيخ العلامة باكر بن أحمد، فأخذ عنه واستجاز منه، وهذا صورة ما كتبه له:

وما زال من الجد في طلب الكمال على أحسن الأحوال مثابراً على الأوراد والأذكار، ملازماً للقيام بالأسحار إلى أن قضى الله وقدر وصولَ عمّه الحبيب جعفر مزمعاً للسفر إلى جاوه، وحسّن له السير معه لطلبِ ما لابد منه من أمر المعاش، المؤدي إلى التفرغ لأمر المعاد، المشار إليه بقوله ﷺ: «طلب الحلال فريضة على كل مسلم».

فسافر معه وأقام بتلك الجهة مدةً مقدرةً، وأدركه أجلة المحتوم، فتوفاه إلى رحمته الحي القيوم، شهيداً بالغربة، ببلد بتاوي لأربعةَ عشَر خلت من جمادى الآخرة سنة ١٣٠١ أحدى وثلاثمائة وألف.

ولما قدر الله ليَ السفرَ إلى جاوة سنة ١٣١٧ سبعة عشر وثلاثمائة بعد الألف، واجتمعتُ بعد زيارتي لضريحه بسيدي العارف بالله الوالد محمد بن عيدروس الحبشي بشّرني ليلةَ قدومي إلى حضرته: أنه رأى سيدي الوالد، وسيدي الحبيب محمد بن طاهرٍ يتناجيان، وعلى والدي من النور والجمال ما لا يعهده في حياته، حتى أنه لم يعرفه! فسأل عنه، فقيل له: هو طاهر بن عبدالله، فنسأل الله أن يزيده بهجةً ونوراً.

وقد رأيتُ سيدي الوالد في سفري إلى جاوه سنة ١٣٢٨ ثمان وعشرين ثلاثمائة وألف، وكأني قلتُ له: «أراضٍ أنتَ عنا؟ فقال: نعم والله، إني راضٍ عنكم، فقلت له: أدام الله رضاكم عنا»، ورضيَ عنا به، فجزاه الله عنا أفضلَ ما جزى والداً عن ولده.

❋ ❋ ❋

[٣١ـ الحبيبُ زينُ بن أحمد خرد
(١٢٤٨ـ ١٣٣٠هـ)]

ومن إخوانه في الله ومعاصريه ومناصريه، والمعترفين بحقه مع أنه في مرتبة مشايخه، السيدُ الإمام الكامل، والعالم العامل، العارف بالله، الحبيبُ زين بن أحمد بن أبي بكر خرد.

كان هذا الحبيبُ يجلُّ سيدي ويحترمه، ويثني عليه ويغتبط بوجوده، وهو صاحبُ الرؤيا للنبي ﷺ المتقدم ذكرها في الفصل الأول في مبحث السماع.

ولد رضي الله عنه سنة ١٢٤٨ ثمان وأربعين ومائتين وألف، ونشأ ببلد بضة في حجر أبيه، أكملَ نشوء ...[١].



* * *

(١) انتهى ما وُجِدَ الموجود من هذه الترجمة. وفي «الشامل» لأخي المؤلف ص١٦٩: «طلب العلم بالخريبة ومكة، وكان مستقيماً له سمت وإقبال وسيرة وصلاح، معتقداً عند الناس، عالماً عاملاً بعلمه، داعياً إلى الله، ناصحاً واعظاً، أخذنا عنه، وله مشاركة حسنة في الفقه والنحو والتصوف، توفي أول العقد من سنة ١٣٣٠هـ». انتهى.

[٣٢ـ الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي (ـ ١٣٣٧هـ)]

ومنهم:

شيخنا الحبيب الإمام، العارف بالله، جمال الدين وبركة الإسلام والمسلمين، أبو علي، محمد بن عيدروس بن محمد بن أحمد بن الشيخ جعفر بن الشيخ الإمام أحمد بن زين الحبشي، محيي النفوس، الشارب من سلاف المحبة بأوسع الكؤوس.

إنسان العيون الباصرة، وجامع الأسرار الباطنة والظاهرة، ومظهر الأمثال السائرة، مثالُ مكارم الأخلاق، الذي حصل الوفاق، على تحققه منها بما رق وراق، وسارت بها الرفاقُ في جميع الآفاق، ناظمُ قلائدِ الآداب في الأعناق، المتمنطق من الخلق العظيم بأحسن نطاق، الكريمُ الذي تُخجِل البحرَ مكارمُه، والهمام الذي تردع الدهر هممُه وعزائمه، حسنةُ الليالي والأيام، وثمالُ الأرامل والأيتام، والإمام في كل حالٍ ومقام، من مقامات اليقينِ وحقائق الإيمان والإسلام.

الحبيبُ المحبوب، حادي الأرواحِ وطبيبُ القلوب، والداعي بالحكمة والموعظة الحسنة إلى أقوم منهج وأحسن أسلوب، لسانُ الحكمة الناطق عن المكتسب منها والموهوب، خليفةُ الخلائف، وجامع التالد والطارف من أسرار المواهب واللطائف، وشوارقِ الأنوار وعوارف المعارف، عدني الزمان، وواحد العصر المشار إليه في كل شان، أنموذج السلف الصالح في النيات والأقوال والأفعال، وهيكلِ الكمال الذي لا يعبر عن وصفه المقال وإن طال.

ولد قدس سره لعشرين خلتْ من شوال سنة ١٢٦٥ خمسٍ وستين ـ بتقديم السين ـ ومائتين وألف، من هجرة جده ﷺ وعلى آله خيرِ آل، في حوطة جده مجمع المحامد، حوطة خلع راشد، وبها نشأ وبلغ أشده، وآتاه الله رشده، وكتبه في المصطفين الأخيار عنده، ورعته عيون الرعاية في مهده، وطلع في برج الكمال طالع سعده، ومات أبوه الإمام وهو صغير، فكفله عمه الحبيبُ صالحٌ الشيخُ الكبير، وحط عليه نظره الإكسير، وفي ذلك أشار إلى أخذِه بحظٍّ كبير، من إرث جده البشير النذير.

وكانت أمه المرأة الصالحة الظافرة بتَربيته بالتجارة الرابحة سَلامة بنت الشيخ العلامة سالم بن عبد الله بن سعد بن سُمَير، من أهل السعادة والخير، وكان جدُّها الشيخ عبد الله بن سعد السائر بأحسن سير، يقول لها في صغرها عند ابتداء نطقها بالكلام كلمةً كلمة: «قولي با اقع حرمة»، فتقول: «باقَع أُمَّة»، فيفرح بذلك كثيراً ويقول لها: «ستقعين أمّة إن شاء الله تعالى»، ويشير بذلك إلى ما خبأت لها الغيوب، من الأمومة بهذا المراد المخطوب.

وابتدأ قراءةَ القرآن العظيم على الشيخ الفقيه علي شَوِيع، وأكمل قراءته على الشيخ الصالح الذائق أحمد البيتي حادي حضرة جدِّه القطب أحمد بن زين، وقرت منه العينُ بملاحظة أعمامِه وانجلى عنه الرين: الحبيب صالح المتقدم ذكره والحبيب عبد الله مجمع الزين، فأخذ عنهم العلمين، وتحلى من آدابهم الدينية بعقدين.

وكانت له من عمه صالح العنايةُ التامة، والدعوات الخاصة والعامة، وكان يعظمه صغيراً ويقدمه، ويشير إليه ويكرمه، وإذا أضافه أحد لا يقبل ضيافته إلا إن أضافه، لما يراه فيه بنور الفراسةِ من مخايل النجابة والظرافة، وشرفِ النفس وكرم الطبائع الموصل إلى التربع على منصة الخلافة.

وجد في طلب العلوم النافعة، وزاحم عليها في المحافل الجامعة، بفهم ثاقب وأذنٍ سامعة، وجَثَى بين يدي كل منيب خاشع، وجمع بينَ العلم والعمل الرافع، وتعطفت عليه المراضع، وعرف من صِغار العلم قبل كباره، ما أشرقت على أساريرِه أنوارُه، قرأ جملةً من

المختصرات الفقهية والنحوية، والفقهية والصوفية، على خيرة الخيار من صالحي البرية، كعميه العلمَين المنيرين المذكورين، ويا لك من حبرين، ومن مقروءاته عليهما: «رسالة جده القطب أحمد بن زين»، و«بداية الهداية»، و«عمدة السالك» في الفقه، و«الأجرومية» و«المتممة» في النحو، وغيرها، وسمعَ عليهما ومنهما الكثيرَ في الحديث والتصوف والفقه والتفسير، وعن سيدي الجد العارف بالله عبد الله بن طه الهدار الحداد، ومن مقروءاته عليه: «فتح المعين».

ورحل للطلب إلى تريم وسيؤون ودوعن، ومن أشياخه الهداةِ الأمجاد: الحبيب الحسن بن حسين الحداد، والحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب عبد الرحمن بن علي السقاف، والحبيب عمر بن محمد بن سميط، والحبيب أبو بكر بن عبد الله العطاس، والحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وشيخنا الحبيب علي بن محمد الحبشي، والحبيب عيدروس بن عبد القادر الحبشي، والحبيب أحمد بن عبد الله البار، وشيخنا الحبيب طاهر بن عمر الحداد، وغيرهم من الأعيان، ومواضعِ نظَر الله من بين الإنسان في ذلك الزمان.

وأدرك الحبيب القطبَ الحسنَ بن صالح البحر، وألبسه جبةً، ونظر إليه نظر مودة ومحبة، ورأى الحبيبَ عبد الله بن حسين بن طاهر في رؤيا منامية، أجازه فيها في قراءة سورة الشرح (سبعاً) كلَّ يوم، فكان يقرأها مع وضْع اليد اليمنى على الصدر بعد صلاة الصبح ثلاثاً، وبعد كلِّ صلاة من بقية الخمس مرةً مرة.

وله من أشياخه الإجازاتُ الخاصة والعامة، والدعوات الصالحة التامة، والعناية الخالصة الصادقة، ولم تزل ألسنهم بالدعاء له ناطقة، ولبس منهم الخرقة الصوفية، وتلقى عنهم الطريقةَ العلوية النبوية.

وكان الشيخُ العارف المكاشف معروف بن عبد الله باجمال[1] ينوّه بشأنه وما سيبلغه

---

(١) صوابه: عبد الله بن معروف .. إلخ.

من الكمال، ويشير إلى أنه سيرقى الرتب العوال، ولما تفرس فيه سيدي الجدُّ الحبيب عبدالله الهدار الحداد كمالَ التأهل لحمل الأسرار والإمداد، عرضَ عليه أن يعلمه بعضَ خواصِّ الأسماء والحروف والأوفاق، لأنه له بهذا العلم المعرفة التامة على الإطلاق، فأبى صاحبُ الترجمة واعتذر، بنهيٍ عن تعلمِه رُوي وصدر، عن جده الحبيب أحمد بن زين، لكونه ليس من فروض العين.

وهذا يعرّفكَ ما كانَ عليه صاحبُ الترجمة من التأني والرصانة، والخوف من حمل الأمانة، نظرَ إلى عواقبِ الأمور، فشيخُه الإمام المذكور في عرْضِه عليه تعلم ذلك العلم المستور مأجور، وهو فيما اعتذر به مشكور، ومتأدبٌ مع جده الحبيب أحمد إذ النهي عنه لأولاده مشهور، وقد علم كل أناسٍ مشربهم.

وكانت له القريحة الوقادة، التي تدني إليه عقائل المعقول والمنقول طائعةً منقادةً، وآتاه الله قوةً في الجسم، وبسطة في الفهم والعلم. فتحلى من المكارم والشمائل، بحلل الفضائل والفواضل، وتخلق من الأخلاق والآداب، بما دعت إليه السنة والكتاب، وأتى البيوتَ من الأبواب، وكَشفَتْ له مخدراتُ الأسرار النقاب، فملأ الوطاب من نفائس العلوم بكلِّ مُستطاب، وأشرقَ نورُ الخصائص الربانية في جبينه، وما رُفعت رايةٌ لمجدٍ إلا تلقاها بيمينه.

وحداه حادي الشوق والغرام، إلى زيارة البيت الحرام، وأداء فريضتي الإسلام، فبلغَ المرام من التملي بالمشاعر العظام، وزار جده أشرف الأنام عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام، وذلك سنة ١٢٨١ إحدى وثمانين ومائتين وألف، وأخذَ الأخْذَ التام عن علماء البلد الحرام، ومهبط الوحي والفضل والإنعام.

وممن لقيهُ هناك من الأئمة المتقنين: الحبيب محمد بن حسين الحبشي، والحبيب فضل بن علوي بن سهل، والشيخ أحمد دحلان، والحبيب عمر بن عبد الله الجفري، وأخذ التجويد عن السيد محمد النوري بالمدينة المنورة، وعن الشيخ محمد العزب،

والسيد عبد المجيد البخاري، وبالشحر عن الحبيب أحمد بن إسماعيل، وغيرهم من رجال الخلافة والإمامة، ذوي الشهامة والزعامة، المتعرِّفون إليه لما جبله الله عليه من السمت والوقار، والتؤُدةِ والاصطبار، وتحمل المشاقِّ تطلعاً إلى الفوز بنزل الأبرار، فكانت شمائله الزكية المصونة، تَنمُّ عليه بأنه من الضنائن المضنونة، والجواهر المخزونة للأسرار المكنونة.

ورجع إلى بلده بعد أداء المناسك، سالكاً أحسن المسالك، ومتطلباً لأحسن المطالب والمدارك، وحداهُ حادي الأشواق، إلى العَود إلى سوق المواهب القائمة على ساق، فعاد إلى البلد الأمين سنة **١٢٨٢** اثنين وثمانين ومائتين وألفٍ. وحجَ حجةً ثانية، نال فيها منالاتٍ عالية واستفاد فيها فوائدَ غالية، وزار جده النبي الكريم ﷺ، ونال من مدده حظاً عظيم.

[رحلته الى الهند وجاوه]:

وبعدَ الحج والزيارة، قضت حقيقةُ القدَر التي لا تحيط بها عبارة، بسفرهِ وتسياره، للاعتبار من السفر بأسراره. فدخل الديارَ الهندية، وترحل رحلةً مقدرةً لا منويةً، إلى الديار الجاوية، فكان وصولُه إلى تلك البلد القصية، نسمةً شذيةً، ونفحةً عنبريةً، لمن بها من الأمم الإسلامية، ووصلها وعينُ الله له ملاحظة، ونفحات الله على ظاهره وباطنه فائضة.

وكان بها من الصالحين وأعيانِ السادة العلويين، جواهرُ من العقد الثمين، ولا غرابة أن كانت الإشارة إليهم بحديث: «اطلبوا العلم ولو بالصين».

ومنهم إذا ذاك: الحبيبُ العارف بالله عمر بن حسن الجفري، والحبيب أحمد بن محمد بن حمزة العطاس، فحلَّ منهم صاحبُ الترجمة على العَين وفوق الراس، وطابت لهم معه الأوقاتُ والأنفاس، وأديرت بينهم وبينه من سلاف الأحباب أصفى كأس، وأخذ عنها الأخذَ التام، وتأدب معهما الأدبَ الذي تكفّل له منهما بنيل المرام، كما هو شأنُه وديدنه المعروف مع كل عالمٍ وإمام، فلم يكُن له في حسن الظن بالمسلمين قرين، ولا ثانٍ له في صدق الاستمداد من بركات الصالحين، أحياءً وميتين، وله مع من ذُكر وغيرِهم من

الرجالِ، وقائعُ أحوال وفواتحُ قبول وإقبال، ومقاعدُ علومٍ وأعمال، ومشاهد مقامات وأحوال، لا يعبِّر عنها المقال.

وكان الحبيبُ المهيب، أحمد بن حمزة المذكور، يسكن إلى صاحبِ الترجمة كثيراً، ولا يجسُر على مكالمته عند طُروق أحواله المدهشةِ إلا هو، ولا يصلحُ بينه وبين من غضبَ عليه غيره، وكان يجله ويحترمه، ويكرمه ويقدمه. وكان الحبيبُ عمر بن حسنٍ الجفري المذكور آنفاً كثيراً ما يقول: «إني أسمعُ الشاوشَ ينادي بولايةِ محمد بن عيدروس على الكعبة المشرفة». انتهى.

ولما ألقى عصى تسياره واستقر، وانتهى به إلى الجهة الجاوية السفر، تعاطى ما يحب من أسباب التجارة وضربَ فيها بسهمٍ بعد الاستخارة، وأخذ فيها بحظ من الشطارة، وأبدى في ذلك جلده واصطباره، تعففاً عما بأيدي الناس، ودفعاً لوسوسة الوسواس الخناس، غير ملتفتٍ إلى زهرة الدنيا الغرور، ملاحظاً قوله تعالى: ﴿فَٱمۡشُواْ فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُواْ مِن رِّزۡقِهِۦۖ وَإِلَيۡهِ ٱلنُّشُورُ﴾، بدون غرضٍ من أغراض أهل القصور والفتور، مع المثابرة والمصابرة على وظائف العبادة والتقوى التي هي زاد الآخرة، والتخلق في معاشرة الخلق بأخلاق سلفه البضعة الطاهرة.

وله من وقائع الأحوال في تلك الحركات ما ينبئُ عن عناية من الله في جميع الحركات والسكنات، وكان حجةً على أهل التجارة والمعاطاة، في المسارعة إلى ما يحبه الله ويرضاه، والوقوفِ على حدِّ الشارع لا يتخطاه، مع الدعوة إلى الله في سره ونجواه.

ولما كان سنة **١٣٠٩** تسع وثلاثمائة وألف، سافر إلى بلد سنقفورة، أظهر لذلك من الأسباب صورة، وكانت الحقيقةُ على غيره مستورة، ووصل إليها من حضرموت الشيخ الصالح زينُ بن عبد القادر الزُّبَيدي، ومعه رسالةٌ لصاحب الترجمة من شيخ فتوحه وأبي رُوحه، الحبيب الإمام علي بن محمد الحبشي، كرسالة عبد الله الصالح للفقيه المقدم، فلهي

سرٌ مكتَّم من ذلك الطلسم، أخذها بقوة، وأشرقت أشعةُ أنوارها في مرآة قلبه المجلوّة، وقد كمُلَت له أدوات خلافة النبوة.

فدهمته الأحوال العظيمة، وأصاب أرضَ فؤاده من وابلِ الواردات الربانية ديمة، وظهر بعض آثار تلك المنازلات الكريمة، على ذاته الشريفة المستقيمة.

من ذلك: أنه طرقه واردٌ وهو في حضرة الحبيب نوح الحبشي، المعروف هناك، أدهشَ من حضره ما ظهر عليه من أثره، وأوقعه على جنبه، ولم يقدر على القيام ولا القعود، ولا الحركة ولا الرقود وكان يقول: «أحسستُ بكل عضو من أعضائي مثلَ الجبل في الثقل»، وأخذ به ذلك الواردُ ساعاتٍ من النهار، ولم يحط غيره بما وراءه من الأسرار.

ومن ذلك الحين ما زالت وارداتُ الجلال تنازله، وتأخذه عن المخلوقات وتذهله، وربما وردَ عليه بعضُها وهو راكبٌ في العربية، فتقف الخيل وتعجَز عن سحبها ولو كانت قوية، وتكسرت بعض العَرَبيات بعدَ وقوفها لما نازله من أنواع الأسرار وصنوفها، وورد عليه بعضُها وهو على السرير مكان الرقود، فغرِقَت قوائمه في الأرض الصلبة وكاد أن ينكسِرَ ما له من عمود، وورد عليه بعضُها وهو تحتَ شجرةٍ فيبستْ لحرارةِ الوارد وتحاتَّ ورقها.

فكان من أجل ورود تلك المنازلاتِ العظيمة التي لا تحتملها القوى البشرية، يتسلى ويتروّح ببعض الأمور البشرية، كسماع الأصواتِ الشجية، والنغمات العربية، والألحان الوترية، وكالمباسطة والاسترسالِ مع النساء والأطفال وغير ذلك مما لا ينافي الكمال، ويلحَقُ بصالح الأعمال، ككثرة الزواج، ودخول الأسواق للحاجات، ومعاشرة الزائرين والوافدين، والاستئناس بحكايات من وقائع الأحوال، واستنشاق نسيم الأطلال، بالتنقل في القرى والجبال.

وكان إذا طرقه واردُ قبضٍ تعلوه هيبةٌ تكاد تنفطر لها القلوب، ويسري ذلك إلى من

في مجلسه من الغير، فيخمدون كأنما على رؤوسهم الطير، بل كنتُ أنا بعدَ أن منّ الله علي بالوصول إليه، والنزول عليه، والإقامة عنده وتحت إشارته، أجد أثَر قَبْضه في نفسي إذا انقبض ولو كنتُ غائباً عنه، وكان ربما انتهى به ثقلُ الوارد إلى تأثر الجسم بالحمّى ونحوها، ويعجز الأطباءُ المَهَرة عن معرفة سببها وأصلها، لكونها روحيةً عن أسباب غيبية، بل قال له بعضُ الأطباء بعد أن جسَّ نبضه: «إن روحك غيرُ مستقرةٍ في جسمك كمالَ الاستقرار، بل لها تعلق بأمورٍ خارج الجسم»، أو ما هذا معناه.

وكان مع ورودِ تلك الأحوال ربما أملى من العلوم المكنونة والأسرار المصونة، نظماً أو نثراً ما يكتبُ بماء العيون على صفحات القلوب، وربما أخبر بشيء مما تكنه الغيوب، ويخبر عنه غير هياب، إخبارَ صادقٍ غيرِ متردد ولا مرتاب، ويأتي القدر بما أخبر، ويستيقن من سمع وأبصر، وربما تحدث بشيء مما أنعمَ الله عليه من المنازلات العالية، والمراتب السامية.



وأقام قدس سره برهةً من الزمان، والغالبُ عليه ما ذُكر من الواردات المذهلة والمنازلات المشغلة، وكاد أن يؤثر الانعزالَ لولا أن منَّ الله وأسبغ عليه من فيوضات الجمال، ما رحم به الزمان وأهله، وجعله لأهلِ زمانه قبلة، ومداوٍ لقلوبهم من كل علة، وإمام هدًى يقتدون به في تفصيل وجملة.

وأقبل عليه الناسُ من جميع الأجناس، وقصده الزوارُ من المسلمين والكفار، بالصلات والأنذار، فتوجه إلى الله كما أخبرني ابنُه سيدي الحبيب علي رحمه الله: بأن يجعلَ رزقه المقدور من وجه غير الهدايا والنذور، فاستجاب الله دعاه، وفتح له أبواباً من سعته وغناه.

وما زال مقيماً لأسبابِ البيع والشراء في الظاهر، ليدفعَ بذلك عنه شرَّ الحاكم الفاجر الكافر، لأنه يراقبُ أهلَ المظاهر من الأكابر، ويخاف التِفافَ العامة عليهم واجتماعهم لديهم، فمن لم يتظاهر بالبيعِ والشراء لا يخلو من أذى، لاسيما مثل صاحبِ الترجمة قدس سره.

وقد وصله من ذلك ما كمُلت له به الأسوة، وصحت له القدوة، فقد وشى به الواشون وسَعوا به إلى الحكام قاتلهم الله أنى يؤفكون، ودخل الحبسَ برهةً من الزمان، وأقيم عليه الحرسُ في بعض البلدان، وأمِر أن لا يخرج منها إلى أي مكان كان، وهو في تلك الأحوال يتلقّى الأمرَ بانشراح صدر، لا يزعجه حادث، ولا يزلزله باعث، يتقلب في الموارد والمصادر، ثملاً بكأس الرضا بتدبير الملك الفاطر، تلاشت في نظره الأكوان، وبرد جأشه على ما شاء الله كان، فكَم رأينا منه في أحوال وحالاتٍ هي على ما تومي إليه هذه الكلماتِ آياتٌ بينات.

ولم يترك البيعَ والشراءَ صورةً إلا قبلَ وفاتِه بنحو أربع أو خمسِ سنين، وكان بيعُه وشراءه آخراً في الخيل، وكان يحبها ويهتمّ باقتنائها، وبالبيع والشراء فيها، لقوله ﷺ: «**الخيلُ في نواصيها الخير إلى يوم القيامة**»[1]، وكان يجتمعُ عنده منها العدد الكثير، ويقوم على طعامها وشرابها بنفسه، لا يأمنُ على ذلك أحداً، ويخلط لها الرزّ فوق العلَف، ولو كثُرت.

وكنتُ حاضراً ذاتَ يومٍ إذ أمر بإطعامِ الخيل ما تعتادُ من الرزّ بمرأىً منه، فقلت في نفسي: «بعدَ هذه المؤنْ والخرْج الكثير على الخيل؛ ما الذي يستفيده الحبيب منها؟»، فالتفتَ إلي مع الخاطرِ متبسماً، وقال: «يا ولدي جعلنا البيعَ والشراء صورةً يقع عليها نظرُ الأشرارِ لنسلم من شرهم، وإلا فالثقةُ بما عند الله لا بما عسَى أن يحصُل من ربح»، أو كما قال قدس سره.

وكان كثير التنقلِ في بلدان جاوه، لاسيما نواحي (شربون)، و(التقّل)، و(باندوم)، و(بُوقور)، في أول وقته، ثم آخِره اختلفَ كثيراً إلى (سربابة) ونواحيها، وأقام بها المولد في الأربعِ السنين الأخيرة من عمره.

وكان الحال منه كما قال قدس سره لبعض الناس في مكاتبة: «ونحن كما تعلمون مقهورُون على التنقل من بلاد إلى بلاد، والحال كما قال ابن زُرَيق، (شعراً):

---

(١) متفق عليه، وفي بعض الروايات: «**معقود في نواصيها**..» الحديث.

ما آبَ من سفرٍ إلا وأزعجَه رأيٌ إلى سفرٍ بالرغْم يزمِعُه
كأنما هُو في حِلٍّ ومرتحلٍ موكّلٌ بفضاءِ الأرضِ يذرعُه

نسأل الله ربنا اللطفَ فيما تجري به المقادير». انتهى.

وكان قدس سره في تنقلاتِه داعياً إلى الله بحاله وماله ومقاله، لاسيما للموظفين عند الحكومة من المسلمين، فقد هدى الله به عالماً كثيراً من الناس، وكفاهم بالنظر إليه شر الوسواس الخناس.

وكان يحسن ثلاثاً من اللغات العجمية: الجاوه، والصُّندَه، والملايو، يتكلم بها مع أهلها كواحدٍ منهم، ويحسنُ الكتابة باللغاتِ الثلاث المذكورة، والكتابة الهولندية، وكتابُه بالعربية رياضٌ نَضرة، وحدائقُ مزهرة، فهو حقيقٌ بأن يوصَف بأنه داعٍ إلى الله بالألسُنِ الخمس، إذ الدعوةُ إلى الله شأنه العظيم، وصراطه المستقيم.

وكان منظرُه وسيماً، قد ألقى الله عليه محبةً منه، ولا يشبعُ الناظرون من رؤيته، ولا ينفك الزائرون عن حضرته، ويتسابقون على التماسِ بركته، وإذا قصَد بلداً من البلدان يكونُ يومُ قدومه إليها عيداً ويوماً مشهوداً، وكان يقابل الناسَ من سعة أخلاقه بما لا يسأمون معه من ملاقاته واتفاقه.

وكان في مكارم الأخلاق وكثرةِ الخرْج والإنفاق آيةَ الآيات، وفي إكرام الضيفان والفقراء والمساكين منقطع القرين، وفي صلة الأرحام وكفالة الأرامل وتربية الأيتام حجةُ الله على أهل الإسلام، فقد يكونُ في بيته منهم العددُ الكثير، مع قيامه بنفقاتهم وتربيتهم، وزوّجَ من الذكورِ والإناث من الأيتامِ من لا يحصى، من السادة وغيرهم، يخرجون من بيته في أكملِ هيئةٍ يخرجُ بها أمثالُهم من بيوتِ آبائهم وأمهاتهم.

وسمعتُ شيخَنا الحبيب محمد بن أحمد المحضار يقول: «تغديتُ ذات يوم وعلى سفرةِ الحبيب محمد اثنا عشر يتيماً ذكوراً، خلاف الإناث المكفولات في داخل البيت، وقد

اجتمع في بيتٍ من بيوته أربعونَ نفراً ذكوراً وإناثا مقيمونَ لا يظعنون، ليس فيهم من تجبُ عليه نفقته إلا زوجتُه».

ولم يكن يخصُّ بكفالته من الأيتامِ قبيلةً دون قبيلة، بل من وجده اغتنم في كفالته الفضيلة، وكان ذلك نتيجةَ الثقة بضمان الله التي انطوت عليها جوانحه، وامتلأ بها قلبه، حتى إنه كان كثيراً ما يقول: «إن ثقتي بما عندَ الله أعظمُ من ثقتي بما في كِيسي»، يقولُ ذلك عن ذوقٍ تشهد به أفعالُه وقرائن أحواله، وكثرة أنفاقه وإحسانه وسعة فضله وامتنانه.

وكان يقيمُ الولائم العظيمة يدعو لها أهل جزيرة جاوه من العرب خصوصاً وغيرهم عموماً، يرسل كتاباً إلى كلّ بلدٍ يقرأ على أهلها في المساجد، لاسيما في آخر ربيع الأولِ لحضور قراءة مولد جده النبي الأعظم ﷺ، وفي ليلة النصفِ من شعبان لحضور زيارة شيخنا الإمام الحبيب محمد بن طاهر الحداد.

فهذان الجمعان، والموسمان العظيمانِ من أعظمِ مناقبه، وأكبر مواكبه، ومن أوسع موائده التي كان يدعو إليها، وأهم وظائفه التي لم يُسبَق إليها، يحصلُ فيهما من الاجتماع والانتفاع والدعوات المسموعة، والأعمال الصالحة المرفوعة، ما لا يعبر عنه القلمُ ببيان، ولا يفصح عنه ذو لسان، فإذا رأى الحاضرُ الناظر، تلكَ المكارم والمفاخر، في بلد واليها كافر، يتحقق أنّ ذلك الأمرَ العظيم والمفخر الجسيم، والنفوذَ المستتب المستقيم، فضلٌ من الله، والله ذو الفضل العظيم.

[الظهور الكبير ومكايدات الحساد]:

وكان ابتدأ ترتيبَه للمولد الشريف من سنة ثمان وثلاثمائة وألف ١٣٠٨، وابتدأ ترتيبه الحولَ من سنة سبعة عشر وثلاثمائة وألف ١٣١٧، بعد وفاة سيدنا الحبيب محمد بن طاهر بسنة، ولم تزل المعارضة من أهل العناد ودعاة الفساد، ورقباءِ نعَم الله على صالحي العباد، فكانوا يسعَون في نقضِ ذلك الإبرام، وإبطال تلك المجامع العظام، بتهويل الأمور

على الحكام والطغام، والزعم بأنها مما تغير النظام، وتغرّ العوام، وتكدر صفو السلام، وربما قالوا: إنها مقدماتٌ لدعوَى مهدوية، تغريراً بتلك النفس الزكية، وافتراءً وحسداً من عند أنفسهم الرذيلة الردية، وإنكاراً لتلك الهمم العلية والمكارم الهاشمية، ومظاهر الخلافة النبوية العلوية، فيأبى الله إلا أن يتم أمره، ويخيب ظنونهم ويرد كيد الحاسد ويكفي شره.

وكان قدس سره يقابلُ تلك المعارضات المشؤومة بأخلاقه العظيمة، ويغطي عوارها بشيمه الكريمة، ويصفحُ عن المعارضين، ويعرضُ عن الجاهلين، بل يفيض عليهم من مكارمه وإفضاله، ما يليق بجماله وكماله.

قال قدس سره في مكاتبةٍ لبعضِ أصحابه: «وقد انتظرنا وصولَك لحضورِ المولد الشريف والمجمع المنيف، والخيْرةُ في الواقع، لا فيما يقوله القائلُ ويسمعه السامع، وقد وصلنا إلى سرباية في أوائل ربيع الأول، وانبعث كلامٌ ما عليه معوَّل، لا يفسَّر ولا يُؤوَّل، عرّض صاحبُه وطوّل، وبلغ غاية مجهودِه، ولا ساعده القدر بمقصوده، والحال كما قال الشيخُ الداعي الواعي (شعراً):

قلتُ يا أهلَ السباع استورِعوا من رِباعي واجبُنوا فإن طارفْها عليهْ ألفُ راعي

ومن مكاتبة أخرى قال قدس سره: «أما وظيفة المولد الشريف، فليس لي فيها إلا التأسي بمن رتّب تلك الوظيفة في تلك الأوقات الشريفة، ونيتُه في ذلك كافيةٌ عني وعن غيري فيما أعتقدُه وأتحققه، والله متولي السرائر وعالم بما تكنه الضمائر». انتهى.

وأشار بقوله: «بمن رتب تلك الوظيفة الشريفة»، إلى شيخه الإمام سيدنا الحبيب علي بن محمد الحبشي، فإنه أولُ من رتّب قراءةَ المولد الشريف في آخرِ خميسٍ من ربيع الأول، وعلى التأسي به والنيابةِ عنه أقامَه عنه صاحبُ الترجمة وعول، وكان من المظاهر النبوية العظيمة، والمناقب العلوية الكريمة.

ولما رأيتُ الناس بعد قراءة المولد الشريف وقبلها في بلد سرباية سنة سبع وثلاثين

وثلاثمائة وألف، وهو آخرُ مولدٍ قرأه، يكادون يقتتلون على مصافحته، ويزدحمون على رؤية طلعته، ومن صافحه ازدحَم عليه من لم يتمكّن من المصافحةِ يتبركّون به، لأنه قد صافحه، رأيتُ أمراً عظيماً، ومفخراً جسيماً، لم أر في المظاهر العلويةِ مثلَه، لأن المظاهر العلوية الشريفة تقام في بلدانٍ قابلةٍ لها، حكامُها مسلمون!.

وأما هذا المظهرُ الكامل ففي جهةٍ حكامُها الفئةُ الكافرة، المعاملة للمسلمين معاملةَ الأحمق الجاهل، مع كثرة الحساد وأهل العناد، والسعاة في الأرض بالفساد، فكم سعَوا في توقيفه وتبطيله، وصاروا عقبةً في سبيله: ﴿يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾.

وكان أكابرُ السادة العلويون الموجودونَ بتلك البلاد، يسارعون إلى إجابة هذا الداعي إلى الرشاد، ويحضُرون تلك الجموعات، ويحثون الناس على حضورها للمقاسمة فيما ينزل فيها من البركات، منهم شيخنا الحبيب عبد الله بن أبي بكر العطاس، أيامَ إقامته هناك، وشيخُنا الحبيب أحمد بن عبد الله بن طالب العطاس، وشيخنا الحبيب عبد القادر بن علوي السقاف، وشيخنا الحبيب عبد الله بن محسن العطاس، وشيخنا الحبيب محمد بن أحمد المحضار، وغيرهم من وجوه السلالة، وأعيان بضعة خاتم الرسالة.

وإذا رأى الحاضرُ الناظر مقابلةَ صاحبِ الترجمة لهؤلاء الأئمة الأكابر، فمن دونهم من زائريه من برٍّ وفاجر، وسعَة أخلاقه مع سائر الناس من جميع الأجناس، وتنزيله للناس منازلَهم ومعاشرته مع أهله وأولاده وخدمه وبهائمه وما ملكت يداه، وما ينسب إليه أو يعناه، رأى مكارمَ الأخلاق مجسمةً، تبدو في خلال سكوته وكلامه وقعوده وقيامه، وبسطه وانقباضه، ولينه وإغلاظه، فسبحانَ الملك الخلاق الذي أفاض على تلك الذات الكريمة تلك الشمائل والأخلاق:

ولولا العنايةُ من مولاهُ ما نبتَت ... تلك المكارمُ في لحمٍ وفي عَصبِ

وكان قدس سره عذبَ المنطق، حُلوَ المفاكهة والمجالسة، طيّبَ المذاكرة، إذا ابتدأ يذكر شيئاً من العلوم أملى من رحيقها المختوم، ما يذهل العقول ويحير الفهوم، لاسيما علوم القوم الصوفية، وأذواقهم العلية، ويستشهد على ذلك من الكتاب والسنةِ بما يسحر الألباب.

وكان أعجوبةَ العجائب، وأحد الغرائب، في حكاية سير السلف الصالح، وتمثيل أحوالهم وتبيينِ آدابهم وسيرهم وأخلاقهم، والدعوةِ إلى ذلك بالحكمة والموعظة الحسنة، وله سطوةٌ على النفوس وأخلاقها الردية، وله اقتدارٌ على تهذيبها وتأديبها وسوقها عما يعيبها، وإطلاعٌ على عللِ الأعمالِ ومكائد النفوس، التي يتطلع إلى معرفتها والبعدِ عنها الكمّل من الرجال.

وقد رأيتُ منه في ذلك بحسب فهمي القاصر، وذهني الغائر، عجائبَ وغرائب، لا يعبر عنها كاتب، وربما امتدت مذاكراتُه العلميةُ مع أهلها ثلاث ساعات فلكية، في مجلس واحدٍ بدون سآمةٍ ولا ملال، لظهور حقائق العلوم في أحسن مثال، وإبراز ما وراء الأستارِ كأنه نصبَ الخيال.

وأذكرُ غير ما مرة: أن نحن نصلي معه العصر، وتنفتحُ المذاكرة في علوم الآخرة، ونحن في مجلس الصلاة، ويدخل وقت المغرب، فيصلي بنا ويصِلُ المذاكرةَ بما قبل الصلاة، ولا يزال يذاكر إلى صلاة العشاء الآخرة، وكنت في تلك الحالِ أذكُر قول القائل من أهل الأذواق والأشواق: «إن كان أهلُ الجنة في مثل ما نحنُ فيه، إنهم لفي عيش طيب».

وكان قدس سره يتكلم على حركاتِ الوجود وما فيه، ويبين من وجوهِ دلالتَه على المعبود في ظاهره وخافيه، فربما تكلَّمَ على صوتِ طائرٍ أو طبلٍ أو نحوها، وما اشتملت عليه من سعَة الكرم والفضل، من الحكَم العدل، بما يبهر العقل، وكنتُ كثيراً ما أتذكّر قولَ القائل، وأراه لسان حالِ هذا الجهبذ الكامل، (شعراً):

من كل معنًى لطيفٍ أجتلي قدَحاً وكلُّ صادحةٍ في الكـونِ تطْرِبُنـي

على أن هذا القائلَ قد قيّد اجتلاءَه الأقداحَ من المعاني اللطيفة، وأما صاحبُ الترجمة قدس سره فبِلا تحديدٍ ولا تقييد، يتكلم على ما يريد، ويبدي للكثيف معنًى لطيفاً يدعو إلى المنهج السديد.

أخبرني الحبيبُ الأريب أبو بكر بن محمد بافقيه: «أن صاحبَ الترجمة قدس سره رأى ذاتَ يومٍ دجاجتين تتهارشان، فتكلم على تزاحمهما في موضع الهراش مع سعة الفضاء الذي هما فيه، وأبدى من أسرار صُنع الله وما أودعَه في مخلوقاته من عجائب مقدوراته ما أذهلَني وحيرني وأسكَرني، وردَّ ببيانه وعذوبةِ نُطقه ولسانه، تهارُشَ الدجاجتين دعوةً إلى الله، حدا بها الأرواحَ والقلوبَ إلى ما وراء أستار الغيوب، وما يجبُ للربِّ على المربوب، حتى أبكى الحاضرين». انتهى بمعناه.

فسبحانَ الملك الوهاب، المعطي بغير حساب!



[٣٣ـ الحبيب أبو بكر بن عمر بن يحيى (١٢٥٥ ـ ١٣٣١هـ)]

ومنهم:

شيخُنا الإمام العارف بالله، فخر الدين وبركة الإسلام والمسلمين، أبو بكر بن عمر ابن عبد الله بن أبي بكر بن عمر بن طه بن محمد بن شيخ بن أحمد بن يحيى بن حسن بن علي ابن علوي بن الشيخ محمد مولى الدويلة، صاحب سُربابة، والراقي من مراقي الولاية إلى أعلى غاية.

روضُ العلوم الناضر، ومجمع المكارم والمفاخر، ويتيمةُ عقد الجواهر في هذا الزمان الآخر، الإمام الكامل، وبحر الفضائل الذي لا يعرف له ساحل، المعروف عند الله وعند خلقه، والقائم لكلٍ بما يتوجه عليه من حقه، ومثال الخلق الحسن في فعله وسكوته ونطقه، ذو المجد المنيف، والحكم والتصريف، العظيمةُ رتبتُه، الرفيعةُ منزلتُه.

ولد ببلد المسيلة ونشأ بها نشأةً جميلةً متحلياً بكل فضيلة، مجتنباً لكل خلة رذيلة، وكان وجوده سنة ......[1] وقرأ القرآن العظيم، وسلك مسالك التعليم، وسعى في طلب العلم على صراط مستقيم. وتأدبَ بأبيه، ولاحظته عنايته في ظاهر أمره وخافيه، وجعله وعاءً وضع ما لديه من العلوم والمعارف فيه.

وأدرك جديه الكريمين، مجمع البحرين: سيدنا الحبيب عبد الله بن حسين، والشيخ

---

(١) بياض بالأصل.

الأكبر سيدنا الحبيب عبد الله بن عمر، ولازمَهما في صغره، ورعاه كل منها بشريف نظره، وأخذ عن أعمامه الأكابر: محمد بن عبد الله بن عمر، وعبد القادر بن أحمد بن طاهر، وخاله أحمد بن عبد الله بن حسين.

ثم رحل للطلب، وزاحمَ أهل العلمِ بالركب، فأخذ بتريم وسيؤون وشبام ودوعن، فمن أشياخه الغُرر: الحبيب حامد بن عمر بافرج، والحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب الحسن بن حسين الحداد ألبسَه وأجازه ابتداءً عند ضريح جدّه قطب الإرشاد، وأخبره أن ذلكَ بإشارةٍ من صاحب الضريحِ غوث العباد، والحبيب عبد الرحمن ابن علي السقاف، والحبيب طه بن عمر السقاف، والحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب عُمر بن محمد بن سميط، والجد الحبيب عبد الله بن طه الهدار، والحبيب أحمد المحضار، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، والشيخ محمد بن عبد الله باسودان، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

وكان يقول: «كنتُ في بدايتي كثيرَ التعلقِ بسيدي العارف بالله حامد بن عمر بافرج، وأستشيره في جميعِ أحوالي، وأطلعه على ما أشكلَ علي من أقوالي وأفعالي، وإذا أهمني أمرٌ أو طرقني طارقٌ ذهبتُ إليه إلى تريم، ومتى قصدته في ليلٍ أو نهار أجدُه كأنه منتظراً لي في مسجدِ سَرْجِيس في المنارة، ويخبرني بما آتي إليه من أجلِه، ويلاطفُني ويزيلُ عني ما أهمني، ولا أرجعُ من عنده إلا مسروراً، وكان لي به عنايةٌ تامةٌ ونظرٌ شامل».

ولما ملأ من العلوم وِطابَه، وظفر من مواقع النجوم بدعوةٍ مستجابة، لزم الباب، واعتنق العمل بوظائف السنة والكتاب، وجدَّ في اقتفاء الآثار، وإتباع السلف الأكابر الأخيار، فظفر من وضع الحافر على الحافر، بانشراح الصدر وقرار الناظر.

وسافر إلى الحرمين لأداء الفرضين، وزيارة جده ﷺ سيد الكونين، فحجَّ حجة الإسلام، وبلغَ المرام من زيارة جده الأعظم عليه أفضل الصلاة والسلام، وأخذَ بالحرمين الشريفين على الحبيب فضل بن علوي بن سهل، والسيد أحمد دحلان، والحبيب محمد بن

حسين، وغيرهم من الأخيار الواردين إلى تلك الأقطار، وأشرق نورُ العلوم الباطنةِ والأسرار الكامنة على جوارحه الظاهرة أخلاقاً باهرة، وكرماً وأريحيةً وشمائلَ مرضية، وبشاشة واحتمال، وصبراً على ما لا تصبر عليه الجمال، ولا تطيق حمله الجبال، لاسيما بعد سفره إلى الجهات الجاوية، ونزوله بتلك البلاد القصية.

فقد حملته الأقدار إلى تلك الديار، وألقى ببلد سُرَبايةَ منها عصَى التسيار، وظهر بها عَلَماً في رأسه، نوراً يطمِسُ الأنوار، وبحراً تعجز عن ما عنده البحار من الكرم والإيثار مع التواضع الانكسار، وملاطفة الصغار والكبار، وأخذ مع وصوله إليها بالأسبابِ وفتح منها بابا لاستمداد فضل المفضل الوهاب.

وكان له الورعُ الحاجزُ في المعاملات، والأخذُ بالأحوط في الحركات والسكنات، ثم اكتفى آخراً بتدبير مولاه، واستغنى بما عنده فأغناه.

وكان يقيم الولائمَ ويخص بها الفقراء والمحتاجين، ويخرج في بيته خرجاً كثيراً بلا تعيين، ويواسي الأرامل والمنكسرين، ولما سئل عن مصدر تلك النفقات، قال: «إن ما عند الله أقربُ مما عند الناس»، فخطر للسائل أنه ربما يستدين من أحد، فقال له مكاشفاً: «لا يا محبي لا أستدين؛ وجود الله مبسوط».

وكان كثيرَ المجاهدات والرياضات والخلوات، كثير التلاوة للقرآن، حريصاً على الإكثار من الأوراد والأذكار آناء الليل والنهار، يسرُد منها الآلافَ الكثيرةَ في المدة اليسيرة، وربما قرأ سورةَ يس أربعمائةِ مرةٍ في مجلسٍ واحد، ويقول: «إن ذلك كان من أورادِ كثيرٍ من السلف».

وكان ملجأً للخاص والعام، وملاذًا لذوي الحاجات والأسقام، تستشفى الأمراض بنفثاته، وتستنزل البركاتُ بصالح دعواته، يستشار في الأمور، فتكون منه الإشارة بما تحمد عقباه في الورود والصدور، وألقيت إليه أزمةُ الحل والعقد، وأقرَّ الخاصُّ والعام بأنه هناك

الجوهرُ الفرد، وإخبارُ الكثير من أهل المكاشفات الخارقة، والألسن الصادقة: بأنه صاحبُ البلد، الفائض ببركته عليها المدد من فضل الواحد الأحَد، وما قصدَه قاصدٌ إلا وخرجَ من عنده بما لَهُ قصد. وكان الحبيبُ العارف بالله طه بن عبد القادر السقاف، يوصي المسافرين من سيؤون إلى جاوه من تلامذته ومحبيه بمشاورةِ صاحب الترجمة وامتثال إشارته، والمثابرة على مجالسِه لالتماس بركته واغتنام موعظته ونصيحته.

وكان راسخَ الأقدام في مقاماتِ اليقين وحقائقِ الإيمان والإسلام، عظيمَ الهيبة في الصدور، كثير التأني عند اضطراب الأمور، ثابت الجأشِ، عظيمَ الاحتمالِ عند طوارئ الحوادثِ ووقائع الأحوال، فصيحَ اللسان، عذب المنطق حلو البيان، فكهَ المجالسة، لطيف المؤانسة، صحيح البِنْية، جميلَ الصورة، ربعَ القامة، كامل الاستقامة، حقيقاً بالزعامة والإمامة، متوّجاً بالشهامة، أبيض اللون، سريع العون.

وكان الحبيب العارفُ المكاشف عبد القادر بن محمد بن قطبان كثيرَ التردد إليه والمثول بين يديه، وكان يقول: «يا بختكم يا أهل سربايا! عندكم أبوبكر بن عمر تغانمُوه وتغانموا مجالسته، ما باتلحقون مثله». وإذا حضر عنده يقول له: «يا أبا بكر ذكّر القلوب وأيقظْها من سِنَة الغفلة»، فيفيض صاحبُ الترجمة من المذاكرة، ويملي من شريف المحاضرة، ما يجعل الحاضر كأنه في موقف من مواقف الآخرة، وكان ربما أقامَ المدارس العلمية، ونثر فيها الحكم العلية والمواعظ الشذية.



وكان في الحفظ والضبط وكثرةِ الفوائد وحفظ الشوارد، لاسيما أخبار السلف الأخيار، وما لهم من حميد السير والآثار، بحراً لا يجارى، وأعجوبةً تدع القلوب حيارى، على أنه غلب عليه آخرَ عمُره الانكماشُ والانقباض، وكان يحصل لناظره التذكير والاتعاظ، وإن لم يتكلم ولا أفاض، وكان عليه من السكينة والوقار، ما يفيد الناظرَ إليه بأنه من حملة الأسرار، وورثة النبي المختار ﷺ وآله الأطهار.

وكان مقصوداً بالزيارة من جميع الأقطار، من المسلمين والكفار، وكان سيدنا الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي يقصدُه لزيارته إلى بيته، ويعظمه ويثني عليه. وسمعتُه يقول لما توفيَ الحبيبُ هاشم بن عبد الله بن يحيى رحمه الله: «خرجنا لجنازته نحن والحبيب أبوبكر بن عمر، فلما اجتمع الناس في المقبرة رحمتُهم ووددتُ لو تكلّم عليهم متكلم، وذاكرهم بما يقبل بقلوبهم على ربهم، ولم أجسُر على الكلام لوجود الحبيب أبي بكر، وتخيلته إلى جانبي مثل الأسد.

فتوجهت في باطني: بأن الله يفيضُ عليهم ما يفيضُه من المذاكرة على القلوب العامرة بمحضِ فضله وكرمه، وكلّ ذلك في خاطري لم أُطلِع عليه أحداً، فلما رجعنا من المقبرة نحنُ والحبيب أبوبكر، قال لي في أثناء الطريق: «إن ما خطرَ لك آنفاً وتوجهتَ فيه إلى الله للحاضرين قد حصل»، وذلك كشفاً منه أعاد الله علينا من بركته». انتهى.

واطّلاعُ صاحبِ الترجمة على الخواطر، وكلامه بما في الضمائر، وما حصل له من الكرامات واستجابة الدعوات، وقضاء الحاجات وشفاءِ العاهات وكشفِ الكربات، للقاصدين والمستشفين من صالحي النيات، أمرٌ خارجٌ عن الحصر، ومنتَشرٌ كنُورِ الفجر.

وقد أفرد مناقبَه وكراماتِه بالتأليف، وذكر منها ما يثلجُ له الجنانُ من أهل الإيمان، محبهُ عمرُ بن مبارك شيبان، ومن هناك ذكرتُ بعضَ ما نقلت.

وقد زرتُ صاحبَ الترجمة بحمد الله وترددتُ عليه سنة ١٣١٨ ثماني عشرة وثلاثمائة وألف، وسنة ١٣٢٨ ثمان وعشرين وثلاثمائة وألف، مدةَ إقامتي بتلك الديار، واستجزتُ منه، واستفدت عنه، وخصّني بملاحظاته وصالح دعواته.

وأخبَرني عند طلبي الإجازةِ منه بأخْذه واتصاله بجدّي الحبيب عبد الله بن طه الهدار، وكنتُ أيام إقامتي هناك إذا أقلقتني كربة، أو أهمتني هموم الغربة، ذهبتُ إلى حضرته الشريفة، فتنكشفُ عني بالنظر إليه تلك الغمومُ الكثيفة.

وكان له أشعارٌ رائقة، ومكاتبات فائقة، من ذلك قوله للحبيب عيدروس بن عمر الحبشي يطلبُ منه الإجازة والوصية والمصافحة، وما يعوَّلُ عليه عند الطائفة الصوفية الصالحة:

«وأرجو من سيدي وله المنة عليّ، والتفضلُ لديّ، بكريم أخلاقه، وشريف أعراقه، أن يمنَّ على محسوبه الحقير ومملوكه الفقير، بالوصية والإجازة والإلباس، وأن يجعل نظره دائماً عليه في الضياء والأغلاس، والأخذِ والتلقي على الوجه المرضي.

ولا يخفى سيدي شأنُ بيعةِ الرضوان، وما كان فيها من أمر سيدنا عثمان، إذ نابت يدُ سيدِ ولدِ عدنان عن يد ابن عفّان، وما صحَّ أن يكون معجزةً لنبي جازَ أن يكون كرامةً لولي، وإن كان الحقيرُ غيرَ أهلٍ لذلك، فأنتم أهلُ الإعطاء لما هنالك، لأجل حصولِ البركة منكم والاتصال بكم، ورجاءَ الانتظام في سلك السلف العظام».

[مكاتبة أخرى]:

ومنها هذه المكاتبة، أرسلها لسيدنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس، قدس سره: «نحمدك اللهم يا من غيثُ جوده هاطل، وبحرُ كرمِه زاخر لكلّ سائل، وفضل إحسانه على الورى سائل، والصلاةُ والسلام على من هُو لنا إليك أعظم الوسائل، سيدِنا محمدٍ أفضل الأواخر والأوائل، وعلى آله وصحبه ذوي الفضائل.

وعلى الحبيب الفاضلِ، الهمام الكامل، زين الأفاضل، ونخبة الأماثل، فرع الشجرة الزكية، وخلاصة السلسلة المصطفوية، وطراز العصابة العلوية، مفتاح أنوار الحقائق، ومصباح رموز الدقائق، صاحبِ الكشف والتحقيق، والباع الطويل في التصوف والتخريق، والفتح الفائق في معارج التدقيق، قدوة الأولياء وعمدة الأصفياء ونقوة الأتقياء، سيدي وحبيبي وشيخي وطبيبي ويا حبذا إن رضي بي، الوالد أحمد بن الحسن بن عبد الله العطاس،

أدام الله وجودَه، وأنار بحقائق التحقيق شهودَه، وأنال المؤمَّلَ منه مقصودَه، آمين اللهم آمين.

وعليه يعودُ السلام ورحمة الله وبركاته على الدوام

صدر المرقومُ من بندر سربابة المعلوم، ونحن ومن لدينا من الحبايب والإخوان والأصحاب والمعارف والجيران على أحسن شان، لا زلتم ووالدَكم وأولادكم وإخوانكم والمتعلقين بكم بعافيةٍ وافية، وخيرات عظيمة ظاهرة وخافية، آمين.

ولقد طالَ ما يسنح للفؤاد، أن أكتب لكم للمعاهدة والوداد، لما أعلمه من نفسي لكم من المحبة، ولما لا أحسبك تجهله من مقاساة الغربة، ويصدني المقدور فصرت كالمعذور، وسيدي خبير بأن تركَ الحقوقِ عقوق، ولكن حلمكم على مملوككم أحسنُ ما يروق.



ثم الداعي إلى تسطيره، والمزعج على تحريره: كثرةُ أشواق الفقير وغرامه، وتَوقه وهيامُه، لذاتكم المحروسة وطلعتكم المأنوسة، فإن ألم البِعاد قطّع الأكباد، وانتزاحَ الأسيادِ أذابَ الفؤاد، وطول الغربة أورَث الكربة، وبُعد الأحباب وأهلِ السلوان أوقعَ في الوحشة والأشجان، وفراق الإخوان ولّد الأحزان، وطول النَّوى أمرضَ القلب وشَوى، وأولعَ نيران البلوى:

عسى من بلانا بالبِعاد يجودُ ... وعَلَّ لُيَيلاتِ اللقـاءِ تعُـودُ

فمُنّوا يا سيدي بالدواء الذي يُذهِبُ هذه الأدواء، فإني في غاية البلوى من طول البِعاد بهذه البلاد، فلا أستطيع الرجوع، ولا أذوق الهجوع، ولا أعرف المانع والعائق، ولا القابض والواثق، وصرت كالغريق الحائر في الطريق فالنجاءَ يا سيدي النجاء، واللجأ يا سيدي اللجأ، فإني في هذا الأمرِ العظيم ما يسعني إلا التسليم لأمر الحكيم، والرضا بالقضاء، واستمدادات الدعوات الصالحة، من أهل القلوب الناصحة.

فالدعاءَ سيدي بالإيابِ إلى الكريم الوهاب، والمتابِ وقَرع الباب، والمثابرة على الأعتاب، والرجوع إلى مواطن الأحباب، والتزام سبيلهم المستطاب، والكرع من أشربتهم العذاب، والاتفاق بكم، والوفاق لكم، والأخذ عنكم، والتلقي منكم، وممن كان على نهجكم القويم، وصراطكم المستقيم، على أكمل الأخلاق والحالات، وأسرع الأوقات وأشرف الساعات، فإن توجهات القلوب أقوى منهاجٍ لحصُول كلّ مطلوب.

ثم المسؤولُ والمقصود من جناب سيدِي الودود: أن يتفضلَ على محسوبه، ويجود ويمن على منسوبه، الفقير الحقير، المعترف بالذنب والتقصير، بالوصية والإجازة والإلباس، وأن يجعله من المحسوبين عليه من الناس، وأن يُمِدّه بنظره، ويسعِدَه بحاله في سفَره وحضره، وإن كان الحقيرُ غيرَ أهلٍ لذلك الشأن الكبير، فلسيدي اليد الطُّولى والقِدْح المعلَّى في جَذب القلوب، وتقريبها إلى المحبوب، والشفاعةِ العظمى عند علاّم الغيوب، والتصرفِ التام، والأخذِ في الجذب على أحسن نظام. وأنتم أهلُ الجود والعطاء، والتحمل والصفح والإغضاء؛ وإنقاذُ الغريق عند كل فريقٍ فرضٌ محتوم، وحكمٌ ملزوم.

هذا هو القصدُ والمراد، كذا الالتماسُ والاستمداد وحصولُ البركة والإسعاد، والوصال والاتصال بكم هو أشرَفُ مراد، فلا تحرموا مملوككم من ذلك الشأن، ولا تخيبوا أمله في جودكم والإحسان. وإن كنتُ غير متأهلٍ لذلك فأهّلوني لكل ما هنالك، فأنتَ أهلُ المعروف، وسبكُ المزيوفِ عليكم سهل، وغياثةُ الملهوف وتأمينُ المخوف عَلُّكم والنّهل.

ونوَدّي الوصول والحلول، والنزول بسوحكم المطلول، لكن عوائق الزمان لا تسمح بالإحسان، فالدعاءَ الدعاء بزوال كل مانع، وقطع كلّ قاطع، وبالرجوع إلى مهابط الأنوار والأسرار، وأوطان السلف الأخيار، (شعراً):

أحبابَ قلبي لا بَرِحتُم في هنا ... ومسرةٍ في سائرِ الأطْوار
دامتْ عناياتُ الإله تحفكُم ... وتذودُ عنكم كلّ سُوءٍ طاري

أرجو إلهي فيه يجمَعُ شَملَنا متدثّرينَ من التقَى بدِثار
والحالُ حالٌ والسرورُ مضاعفٌ والربُّ راضٍ منتهَى الأوطار

غيره:

عسى عن قريبٍ يجمعُ الشملَ وأحبابَنا جمعاً فذا منتَهى القصدِ

غيره:

فذا عَبدُكم ضرَّه بُعدُه وأعمته عنكُم ذنوبٌ عظامْ
يريدُ لقاكم ليحظى بكُم وتسقُوه فضلاً حلالَ المدامْ
فما أمّ صادٍ إلى مائكم وعاد سِوى مرتَوٍ غير ظامْ
فهيا اقبلُوه وهيّا أتحفُوه وهيا أسعفُوه بكلّ المرامْ

غيره:

عباد الله جيناكم طلبناكم قصَدناكم
تعينونا تغيثُونا بهمتكُم وجَدواكم
فأحْبونا وأعطُونا عطاياكُم هداياكُم
فلا خيبتمُ ظنّي فحاشاكم وحاشاكم

وهذا سيدي؛ والدعاء مطلوبٌ من صميم القلوب، واعفوا وسامحوا، واستروا واصفحوا، ولا ترونَ على أسيركم في حال، ولا تخيبوه مما يرتجيه من الآمال، لا زلتُم سالمينَ آمنين، محفوظين منعّمين، في جميع الأعوام والسنين، آمين آمين.

والسلام عليكُم وعلى والدِكم وأولادكم وإخوانكم، وكافة من لديكم والمتعلقين بكم ومن شئتُم منا وممن لدينا ورحمة الله وبركاته.

وحرّر لثمانٍ خلَتْ من ذي القعدة
سنة ١٣١٢ اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف».

[إجازته من الحبيبِ أحمد بن حسن]:

وهذه الوصيـة والإجـازة الصـادرة من سيـدنا الحبيب أحمد بن حسن العطاس لصاحب الترجمة:

بسم الله الرحمن الرحيم

«الحمد لله الذي أجاز المتعرِّض لنواله، والمخلص في توجهه وإقباله، النازح إلى أطلاله، ليستظلّ من الجود الرحماني بوَريفِ ظلاله، ويدخل الحضرات الشهودية من بابِ كعبة استقباله، العبدَ الخالص البارز في حُلل كماله، خليفةَ الله الظاهر في مظاهر جماله وجلاله، سيدنا الحبيب ومولانا محمد بن عبدالله الذي لا يعرب عن وصفه تفصيل القول وإجماله، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وأصحابه وحملة العلم ورجاله، ومحط رحاله.

وبعد؛ لما كانَ من طريقة سادتنا العلويين، المتبوئين مراتب التمكين في علوم اليقين وعين اليقين وحق اليقين، انطوى البعضُ منهم في البَعض، وأخذ بعضهم عن بعض، وتلقى بعضهم عن بعض، وكانوا متّحدينَ مشرباً ونسباً، وطريقةً ومذهباً، كانتِ الإجازةُ المعروفةُ من أعظم أسبابِ الارتباط والاتصال، ومما تلقاه الرجالُ عن الرجال.

التمسها مني من أنا أحقُّ بطلبها منه، وأجدرُ بأخذها عنه، لعظيم منزلته وجليل رفعته، الحبيبُ الأجلُّ الأفضل الأكمل، العارفُ بالله، المعدود من أكابر أهل الله، فخر الدين وبركة الإسلام والمسلمين، السيد الشريف ذو المجد المنيف، أبو بكر بن عمر بن سيدنا الإمام الكبير الشهير عبد الله بن عمر بن يحيى، فلم يسعْني إلا الامتثالُ لأمرِه، رغبة في عَود بركته عليَّ وسرِّه، بعد أن تكرّر منه الطلبُ قديماً وحديثاً، فتأخرتُ أولاً لعدم الأهلية، فلما رأيتُه مصمماً على هذا الأمر أجبته إلى ذلك.

كان ذلك ببلد سيؤون، مع الرجوع من زيارة قبر نبي الله هود عليه السلام وتريم، لخمسَ عشرةَ خلتْ من شعبان سنة ١٣٢٩هـ تسعٍ وعشرين وثلاثمائة وألف.

قال ذلك بفمه وأمر برقمه

الفقير إلى عفو الله

أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس».

[متقطتفات من مواعظه وكلامه]:

ولصاحبِ الترجمة رضي الله عنه رسائلُ مشتملةٌ على مواعظَ ونصائح، ودعوة إلى المصالح، وقفت على بعضِها، ومنها:

قوله قدس سره:

«التقوى هي سببُ النجاة، والفوز والمصافاة، وحسن الحال والمآل، ونيل المطالب والآمال، وهي فعلُ الطاعاتِ الواجبات والمندوبات، وتركُ المنهيات المحرمات والمكروهات، فلابد من عِلْم هذه الأربعةِ الأحكام، وطلبها والاجتهاد في العمل بها.

فليلزمِ العبدُ أداءَ الواجبات والمفروضاتِ على أحسن الحالات، إذ به قِوامُ الدين وحياته، ويستكثرْ من المندوباتِ إذ بذلك تحصُلُ محبة الله ومعافاته، ويجتنبْ المحرمات اجتنابَه للسمّ القاتل، إذ بها يضعُف الدين، ويخشى على من أكثر منها ولم يتُبْ أن يموتَ مِيتةَ المنافقين، ويحذرِ المكروهاتِ لأنها بريدُ المحرمات، ونتيجة السهو والغفلات.

وقوله رضي الله عنه:

«احرصْ على طلبِ العلم النافع قراءةً ومطالعةً ومذاكرةً، وتحصيلاً وتقييداً، واجعل نيتَك صالحةً في طلبِ ذلك، وصِحّتُها أن تكون مقصورةً على إرادة ذلك كله لوجه الله عز وجل والدارِ الآخرة، لا لشيءٍ آخرَ من جاهٍ أو مال أو غير ذلك.

وعليك بمطالعة كتب القوم وسِيَرهم ومناقبهم، والنظرِ فيها، والأخذ في الاقتداء بهم بالجدِّ والاجتهاد والتشمير، والسّير على المنهج المستنير».

وقوله رضي الله عنه:

«عليكَ بإصلاحِ قلبك وافتقاده، والفحصِ على جميع أحواله، فإنه محلُّ معرفة الله التي هي رأسُ العلوم وأصلُها، واحفظْ جوارحَك من كلّ ما يسخط الله مولاك، ونزه لسانك وقلبك عن الوقيعة في أحدٍ من المسلمين، وكن حسَنَ الظن بهم، وافتح أبواب التأويل في جميع ما تراه مخالفاً منهم، واعرف من نفسك أنكَ ما أحطْت بجميع العلوم والفهوم، واجعل عمَلهم ذلك مما لا تعرفُه، ولا تقتدِ بهم إلا فيما تعلمه أنه الحقُّ والصواب، وسلم لهم تسلم، ولا تعترض عليهم تندم، وأضْمِر الخير لهم وحِبَّ لهم ما تحبه لنفسك، واكره لهم ما تكره لنفسِك في الدنيا والآخرة، ولا ترى لنفسك فضلاً على أحد منهم.

وأكثرْ من مجالسة العلماء الأخيار، والصالحين الأنوار، والفقهاء والعارفين الأبرار، ومجالس التذكير والأذكار، لكي يحصلُ لك التنويرُ وتنالَ الأسرار، وتظفر بكل خير كثير، وسَعد شهير».

ومن ذلك قوله قدس سره:

«من أعظم مكائد الشيطانِ التي عمّت وفشَتْ في أهل الزمان: العَجلةُ في أداء العبادات، خصوصاً الصلوات، وتركُ الجمعة والجماعات، ففوَّتوا رضا ربِّ البريات، والربحَ والدرجات العاليات، واشتغلوا عن الخير بالشواغل الباطلة، والتسويلات الفاسدة، واتّبعوا الشيطان وجنوده، والأهوية والأنفسَ الأمارة بالسوء والشهوات، وجعلوا ذلك من التخفيفِ الموافق، وما هو إلا من التطفيف الماحق.

فعليكَ بمخالفتهم في جميع ذلك، والتأني التامّ في جميع أعمالك، والإحسان الكامل في جميع عباداتك».

ومن ذلك قوله رضي الله عنه:

«لا يخفى على كلّ ذي عقلٍ وبصيرة، وفكرَةٍ وسريرةٍ منيرة، حالُ أهل هذه الجهات الجاوية، وما حل بها من المضرات والأذية، بحيثُ أنه لا يتمكنُ المقيمُ بها من إظهار دينه الذي كلفَه الله القيامَ به، ومن الذبِّ عن حريمِه وعن نفسهِ من الانقيادِ لحكم الطاغوت، فلا شكَّ في وجُوبِ الهجرة على القادرين غير المستضعفين.

أمَا يخشَى الساكنُ بها من الوَعيدِ الذي جاءَ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا۟﴾، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

حتى في مذهب الإمام أبي حنيفة فيما أظنّ: أنّ قتلَ المؤمن المقيمِ حيثُ وجبت عليه الهجرة لا تجب فيه الدية، قال: «ويدلّ على ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يُهَاجِرُوا۟ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَىْءٍ﴾ الآية.

فمناكيرُ هذه الأرضِ أجلُّ وأكثر من أن تذكَر، وأشهر وأعظم من أن تنشر، فلا يجهلها إلا من كانت بصيرتُه عمياء، أو لم تكن بلغته الدعوةُ ولم يعرف شيئاً.

فالواجبُ على كل قادرٍ إنقاذُ نفسه ومن قدَر عليه من المسلمين، من كلّ بلية وأذية، ومنكرٍ ورزية، فإن من الحقوقِ الواجبة شَرعاً على كل غنيّ -وهو من ملك زيادةً على كفايةِ سنةٍ له وللمئونة- سَتْر عورة العاري، وإطعامَ الجائع، وفك الأسير المسلم، والقيامَ بشأنِ

نازلةٍ نزلتْ بالمسلمين، وغير ذلك بشرطه، كما هو مقرر في كتب العلماء الأعلام، مما هو واجبٌ على مياسير المسلمين.

فإذا قام الأغنياءُ بالأمور، فازوا بالأجر والثواب، ورضا الكريم الوهاب، وإن منعوا حازوا بغضَب ربّ الأرباب وأليم العذاب والعقاب. رب سلم رب سلم، يا سلام سلم، ﴿رَبَّنَآ أَخۡرِجۡنَا مِنۡ هَٰذِهِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهۡلُهَا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا وَٱجۡعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴾». انتهى.

وعلى هذا المنوالِ، والعذب الزلال، كلامُه ومقاله، وعلى الصراط المستقيم نياته وأفعاله، وما زال قائما بها كلّف، ناصحاً لمن يجهلُ ومن يعرِف، حتى أتاه رسولُ الأحباب، والبشيرُ لمن أناب، بالزلفى وحسنِ المآب.

وتوفي إلى رحمه الله تعالى يوم ......[1] سَلْخَ شهرِ شعبان سنة ١٣٣١ إحدى وثلاثين وثلاثمائة وألف، وكان يومُ موته مشهوداً، وعيداً معدوداً، وشيّع جنازتَه من الناس الألوف، وحملت على الرؤوس لا على الكتوف، وقبره معروف، لا يزال محفوفاً بالزوار، من المسلمين والكفار.

* * *

(١) بياض بالأصل قدر كلمة. وفي مصادر أخرى: أنه توفي أول يوم من رمضان.

[٣٤ـ الحبيبُ أحمد بن عبد الله بن طالبٍ العطاس (١٢٦١ـ ١٣٤٧هـ)]

ومنهم:

شيخُنا الإمام، بركة الأنام، الشحيحُ بدينه، القويُّ بيقينه، الذي لا يخاف في الله لومةَ لائم، ولا يقاومه في الحق مُقاوم، السابقُ في حلبة السِّباق، الراقي إلى أعلى ذرى المعالي بالاتفاق، عُمَريُّ الحال في جميع الخصال، نخبةُ أهل الكمال، الذي يفْرَقُ من هيبته الخناس، وتقرّ بولايته جميعُ الناس، شهاب الدين، الحبيب أحمد بن عبد الله بن طالب بن علي بن حسن بن الشيخ الإمام علي بن حسن بن عبد الله بن الشيخ الحسين بن الشيخ عمر بن عبد الرحمن العطاس، رضي الله عنهم وعنا بهم.

وولد ببلد الهجْرين[1] سنة ١٢٦١ إحدى وستين ومائتين وألف، ونشأ بها في حِجْر والده. ورِثَ المجدَ عن أبيه وجده، وغرد طائر يُمنه على فنَنِ سُعدِه، فأخذ في طلب العلم الشريف، وتأصيلِ فضله المنيف، فأخذ عن والده، وعن الحبيب العلامة محسن بن علي الكاف، والحبيب أبي بكر بن عبد الله العطاس، وغيرهم من أعيان عصره الزاهر.

ورحل إلى الحرمين الشريفين، وجاور بها سِنينَ بعد أداء النسكين، وأخذ بها عن كثير من العلماء العاملين، أجلّهم: شيخُ مشايخ الإسلام بالبلد الحرام، علامة الزمان الشيخ الإمام أحمد بن زيني دحلان، واجتهدَ في اقتناء العلوم والعرفان، حتى حصل له منها مناه وأدرك بجده ما تمناه.

---

(١) هذه الكلمة كأنها مضروب عليها بخط المؤلف، ولكنها واضحة تقرأ.

وكان من جملة الدعاة إلى الله، المختارين لذلك، المبعوثين في بَوادي الحجازِ بعناية الإمام دحلان المذكور، فدعا إلى الله على بصيرة، وسلك الصراط المستقيم بعينٍ قريرة، وانتفعَ به الناس، وأدهق له من كؤوسِ التهاني أصفى كاس، وكان مدةَ إقامته بالحرمين ملازماً لوظائفِ العبادة، وسلوك الطريقة الموصلة إلى نيل السعادة، متجلبباً من الآداب الدينية، بخِلعة سنية.

وقادته أزمّةُ الإرادة الأزلية، إلى السفر إلى الجهات الجاوية، واستقر منها في بلد باكلُنقَان، مستغرقاً بشهودِ مقتضى ما شَاء الله كان، وكان من نعم الله على سكان تلك البلاد، فأشرقت فيها شمسُ هدايته والإرشاد، وأقام فيها المدارس العلمية، ودعا إلى الله بهمة علية وصدق نية.

ونصّب نفسَه للتدريسِ في كل علم نفيس، وقصده الناس من كل مكان، فظهرت شعائر الإسلام والإيمان، وتخرّج به كثيرون، وأخذ عنه خلائقُ لا يحصَون، ووفدَ عليه الطالبون الجفْلى، وشربوا من مناهلِ علُومه علاًّ ونهلاً.

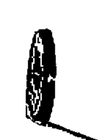
وكان يجلسُ للنفع في المسجدِ المعروف هناك بحافة العرَب بكرةً وعشيةً، ويصلي فيه الصلوات الخمس، وجميعُ أوقاته معمُورةٌ بوظائف العبادة، سواءٌ كان في المسجد أو في البيت، لا يفارق السننَ النبوية، ولا يصدر منه ولا بحضرته ما يخالف الآداب الدينية، ولا يجسُر على الاجتماع به أحدٌ ممن يفعل شيئاً من ذلك، كحلق اللِّحى وتوفر الشوارب، والتختم بالذهب، ولا يملك نفسَه عند مشاهدة المنكر، وتسبق يدُه لسانَه، وله صيحةٌ عند رؤيته شيئاً من المنكرات، ترجُفُ لها القلوب، وترتعد منها الفرائِص.

وأما أهلُ المعاملات الفاسدة؛ لاسيما الرّبا، فكانَ محارباً لهم بحَرْب الله، لا يقدرون على ملاقاتِه ولا يدنون منه في مجالسِه ومحاضراتِه، ولا يقبلُ من أموالهم قليلاً ولا كثيراً، ولا يطمَعون من ملاحظتِه في فتيل ولا نقير، ولا يمشي في ظلِّ بيوتهم، فضلاً عن أن يدخلها أو ينظرها.

وقد بلغَني: أن بعضَ المعامِلينَ بالربا أرسلَ إلى بيته دراهِم، فقبلها أهلُه بغير شُعورٍ منه، وكانوا محتاجين إلى القاز، فأخذوا منها قاز وأعلقوا السرج كعادتهم، فلما جاء صاحبُ الترجمة من المسجد ودخلَ البيت، جعل يصيحُ ويقول: «ما هذه الظلمة في بيتي؟»، فأُخبِرَ بما جرى، فأمر بردِّ الدراهم الباقيةِ لصاحبها، وأن يحفَر للقاز جميعِه المشترَى منها حفرةً ويكبَّ فيها.

وهذا من حفظِ الله الذي يسعِفُ به من صدَق في معاملته، كما يحكى عن بعضِ السلف: أنه يتحركُ عرقٌ في يدِه إذا أرادَ أن يأكلَ طعاماً فيه شبهة.

وكان يرمي بالحجَر كلّ امرأة يراها مكشوفةَ الرأس، ولو كانت من نساء الإفرنج أو الأمراء، حتى اشتُهر ذلك عنه، فكان النساءُ يجتنبن المرورَ في الأزقّة التي يمشي فيها، ومن اضطُرّت للمرور غطّت رأسَها، لأن عادةَ النساءِ في أرض جاوةَ المشيُ مع كشفِ الرؤوس، وانتهى الحالُ بالنساء إلى أن يسْتُرن رؤوسَهن إذا رأينَ ذا جبةٍ وعمامةٍ بيضاء، خوفاً أن يكون صاحبَ الترجمة.



وقد أشار شيخُنا الإمام الحبيبُ محمد بن عيدروس إلى سرّ الحالةِ التي تعتري صاحبَ الترجمة عند مشاهدةِ المنكر، في أبياتٍ كتبها لبعضِ سكان باكلنقان، أحببتُ إيرادها لما تُشير إليه من التنويه بعلو مقام صاحبِ الترجمة، ودوام مشاهدته.

قال رضي الله عنه:

بشّرك بالعَون مولى الكَون يا بُوعلي	بشّرتنا بالدعاء المقبولِ صار لي
منَ الحبيبِ الذي به همّنا ينجلي	أحمدْ ولد طالبِ العطاس نعْم الولي
ملآن أسْرار من سِر العطا الأوّلي	مستغرِق السّر في الحضرةْ بنور العلي
غِيرة من الله حتّى للورَى ما خِلي	يظهر معه كالجفا لا قابَل الداخلي

يظنــه الظــانّ لي واقــفْ عــلى الـسّاحل	إن ذا طبيعــةُ بَـشَر حاشـا عـلى الكامِـل
دهشةٌ مـن النـور يتكلـفْ بهـا الواصِـل	مقهُور تحت الظهُـور اللطـفْ بـه شـامل
لــذي الخلائــقْ مقـصّرهم مـع العامـل	لــو كــان لـه خيرتُـه أبعَـد عـن النـازل
وأمسى من الكَون وأهلِ الكَون في مَعزِل	الحمــد لله ذهْ نعمــةٌ ثمرهــا جَــلي

فقد أشارَ الناظم إلى كمالِ استغراق صاحبِ الترجمة، وذهابه في مشاهدة أنوار الحضرة الأحدية المقدسة، حتى لم يبق معه اتساعٌ لمقتضيات الطباع، لولا أن الله برحمته يردّه إلى الخلق لنفْعهم، فتعتريه دهشةٌ عند انصرافه من الاستغراق في مشاهدة الأقطاب، إلى خطاب الخلق ومشاهدة الأغيار، تكونُ سبباً للصّيحة التي تصدُر منه في بعض الأوقات، ومع بعض الناس.

وكان قدس سره مع ما ذُكر من الحالة الغريبة، حسَنَ المجالسة، عظيم المباسطة مع الخاص والعام، مطعماً للطعام، مُروياً للأوام، لا يخلو بيته من الأضياف من جميع الأصناف، وكان رحيماً بالضعفاء، مكرماً للشرفاء، متخلقاً بالكرم والجود والوفاء، زاهداً في الدنيا متجافياً عنها، طارحاً لتدبيرها، مستغنياً بقليلها عن قليلها، ويسيرها عن كثيرها.

وجمعَ له بعضُ أصحابه ومحبيه قَدراً من المالِ بغير علم منه، ووضعه عند من يتّجِرُ فيه ليكون فيما يحصلُ من ربحِ بعضُ كفايةِ ضروراتِ منزله، ففاتَ المالُ على العامل، وأخبر صاحبُ الترجمة، فلم يظهر عليه أثرُ الفرح بجَمعه، ولا الحزن لفواته، وسامحَ العامل في ما يستحقه لديه، فقيل له: إنّ لكم عندَه قدراً كبيراً، نحواً من عشرة آلافِ ربية!، فقال: «وإن كان أكثرَ من ذلك فهُو مسامح»، ومنعَهم من مطالبته.

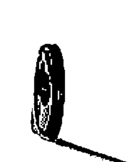
وسقطَ آخرَ عمره فأقعد، فلم يُنقِص شيئاً من عبادته ومجاهداته، ولم يترك شيئاً مما وظّفه على نفسه من السنن والفضائل، وكان يؤدي ذلك مع احتمال المشقة وكمال الرضا عن الله، وكان لا يستطيعُ المشي، فكان يُحمَل على كرسيٍّ إلى حيث أراد، وحصلَ له بسطٌ

تام آخرَ عمره وهو على تلك الحال، ومالَ إلى سماع الأشعار والأنغام، وجميعِ أنواع السّماع إلا الحرام.

وله كراماتٌ وخوارق عادات، يطول ذكرها، ويتعذر حصرها، وقد ألّف في مناقبه تلميذُه الأخُ العلامة محسن بن محمد بن عبدالله العطاس، وترجمه الأخُ الفاضل أحمد بن علوي بن سقاف الجفري في كتابه «**كفاية المريد في طرق الأسانيد**»، وذكر جملةً من كراماته.

وفي سنة [...][1] وثلاثمائة وألف رجعَ إلى حضرموت، وتعهد وطنه المحبوب، وأدرك من زيارةِ أسلافه الكرام غاية المطلوب، واجتمعَ بالموجودين من أكابر الأئمة الأعلام، كسيدي الحبيب علي بن محمد الحبشي، وسيدنا الحبيب أحمد بن الحسن العطاس، وفرح بهم وفرحوا به، وأكرمهم وأكرموه، واحترمهم واحترموه. وكانت له في تقلباته وحالاته وقائعُ أحوالٍ يطول ذكرها ويتعذر حصرها.

ثم رجع إلى جاوه، وألقى بتلك البلدة عصى التسيار، وكان بها كالشّمس في رابعة النهار، يحترمه المسلمون والكفار، ويهابه المنافقون والفجار.



وجدد بناءَ المسجدِ الذي في حافة العرَب بباكلنقان، وبنى إلى جانبه مدرسةً لتعليم الأطفال، وأقام فيها تلميذُه العلامةَ محسن بن محمد بن عبدالله العطاس مدرّساً، وأنفق في ذلك بسَعيه وعنايته مالاً كثيراً، وجُدّدت عمارةُ جامعِ البلد بإشارته ومشورته، وملاحظته ومعونته. وكان حكامُ البلدة وأُمراها من الجاويين والإفرنج يخافون سطوته، فلا يعارضونه في الأمور الدينية، ولا يقبلون لأحد من جهته شكية، ومن خالفه أو أساءَ الأدب معَه عاجلته العقوبة من الله، والحكايات في ذلك كثيرة.

وقد زاره سيدي الحبيبُ قدس سره واجتمع به مرات، وكان يعظّم سيدي الحبيب ويثني عليه ويحترمه، وقد تقدّم عنه في الباب الثاني أنه كان يقول: «حالُ الحبيب محمد بن

---

(١) بياض بالأصل قدر كلمة.

طاهر عظيم، وبحرُه ما يتبوّع». وكان يأتي كلّ سنةٍ بعد وفاة سيدي الحبيب لزيارتِه، في حضور الحول المرتّب له في النصف من شعبان، حتى بَعد أن أُقعِد! كان يحمل من باكلنقان الى التقّل مع بُعدِ المسافة.

وقد زرتُه بحمد الله مرات، واجتمعتُ به وانتفعت منه إن شاء الله، وقرأتُ عليه، وأجازني وألبسني مرات، ودعا لي، وبشّرني بها أرجو من الله قبوله وحصوله.

ولم يزل مظهراً من مظاهِر المهابة والجلالة، وخلفاً من خلائف جده خاتم الرسالة ﷺ، إلى أن أرد الله قربَه وانتقاله، ليجني ثمرة أعماله، ويبلغ من حُسن مآله غاية آماله.

فتوفي إلى رحمة الله ورضوانه، في يوم الأحد ٢٥ من شهر رجب سنة ١٣٤٧ سبع وأربعين وثلاثمائة وألف، ودفن بمقبرة البَلد، وبُني عليه قبة يؤمّها الزائرون، وحولها مسجد يتعبد فيه المصلون، رحمه الله ورحمنا به، وأعاد علينا من بركاته، آمين.

واسمُ المقبرةِ المذكورة (صفّورة)، وكان قد روي عن جده القطب الحبيب عمر بن عبدالرحمن العطاس أنه قال: «ستبلغ شفاعتي إلى صَفّورة»، فكان صاحبُ الترجمة مظهرَ الشفاعة المشار إليها، ولم تكن هذه المقبرة بهذا الاسم في حضرموت معروفةً ولا مشهورةً.

وقد أرّخ بناءَ القبة والمسجدِ أخُونا العلامةُ محمد بن عوض بافضل، بقوله (شعراً):

يــا قبــةً مــستنيرة	بالامتــداحِ جــديرة
حَويــتِ مــدفنَ حَــبرٍ	لم تــرَ عــينٌ نظــيرَهْ
قد فاقَ زهــداً وتقــوى	وســارَ أحــسَن ســيرةْ
هو ابــنُ طالــبِ العطــا	سُ نقــيُّ الــسّريرةْ
أحمدُ محيــي طريــقِ الــ	ـمختارِ كَنــزُ الــذخيرةْ
فقــل لمــن زارَ هــذا الــ	ـمقامَ خــيرَ حَظــيرةْ

أرّخْـه: (امـدَحْ حبيبـاً   قبتُـــهُ مُـــستنيرةْ)
وحولهـا مـسجدُ الخـ   ـيراتِ الغـزارِ الكبـيرةْ
وعــينُ كــل مــصَلٍّ   أتَــى إليــه قَريــرةْ
أكــرِمْ بمظهَــرِ نُــورٍ   من نُور شَمْس الظهيرةْ
صــلى عليــهِ إلهــي   والآلِ خَــير عتــيرةْ

* * *

[٣٥ـ الحبيبُ عبد الله بن محسنٍ العطاس
(١٢٦٥ـ١٣٥٤هـ)]

ومنهم:

الحبيب الإمام، العارف بالله، عفيف الدين، عبد الله بن محسن بن محمد بن علي بن عبد الله بن محسن بن الحسين بن الشيخ القطب عمر بن عبد الرحمن العطاس.

نخبة الأكياس، المشهور بين الناس، المعتقد عند جميع الأجناس، عظيم الحال وطيب الأنفاس، اللابسُ من حلل المنِّ والإفضال أحسنَ لباس، ذو الكشوفات الصادقة، والكرامات الخارقة، والأنوار الشارقة، والحِكَم الفائقة، التي هي بتحقّقه بحقائقِ العرفان والإيقان شاهدةٌ وناطقة، ساكنُ بوقور من الجهات الجاوية، والنازل من منازل الكمال أعلى مراتبِهِ العلية.



وُلد نفع الله به ببلَد الظاهر من قرى الكَسْر، وبرز وطالعُه الفتحُ والنصر، سنةَ **١٢٦٥** خمس وستين ومائتين وألف، ونشأ تحت تربية أبيه، وعنايةُ باريهِ تلاحظه وتراعيه، وقرأ القرآنَ بسعيٍ مقرونٍ بالنجاح، على المعلم المعدود من أهل الصلاح، عمر ابن فَرَج بن سبّاح.

وكان في أيام إدخاله المكتبَ لا يحبّ أن يذهب، حتى يُهدّد ويضرب، فاشتكى والدُه ذلك الحالَ عند قطبِ دائرة الكمال، سيدنا الحبيب صالح بن عبد الله العطاس، فدعا بصاحبِ الترجمة بملاطفةٍ وإيناس، وأمره بقراءة الفاتحة، وبشره بالتجارة الرابحة، وقال

لوالده: «هات له ولإخوانه معلم إلى الدار، وسيختمون في ستةِ أشهر بإذن الرحيم الغفار»، فبينما هُم في الكلام إذ دخل المعلّم السابقُ ذكرُه معلناً بالسلام، فقال الحبيب صالح: «هذا العلَم وصل، والفتوح إن شاء الله حصل، فاستأجِروه وزوِّجوه، ويأتونه أولاد»، فأخذوا الأمرَ بصدق نية واعتقاد، فاستأجَره وزوّجه والدُ صاحبِ الترجمة وما تأخر، وبذل المعلمُ جهدَه وما قصّر، وكان الأمرُ كما أخبر الحبيبُ صالحٌ وبشّر.

ثم إن صاحبَ الترجمة بعد ختم القرآن، زار به والدُه جملةً من الأعيان، تلقى عنهم علوم الإسلام والإيمان، منهم: سيدُنا الحبيب القطبُ أبوبكر بن عبدالله العطاس، فإنه ممن دعا له بعد الالتماس، وزوّده من ملاحظته جذوةً ونبراس، ولما رآه الحبيبُ العارف بالله أحمدُ بن محمد الحبشي، قال: «سيكونُ لهذا الولد شأنٌ كبير».

وقرأ «رسالة الحبيب أحمد بن زين» على الحبيب عبد الله بن علوي العيدروس صاحبِ بَور، إبانَ مجيئه إلى عُروض آل عامر، وزار الحبيب الأبر أحمد بن محمد المحضار، واجتمع به مرار، وزار غيرَه من الكبارِ الموجودين بتلك الديار، كالحبيب محيي السنن والآثار أحمدَ بن عبد الله البار، والشيخِ العظيم الشأن محمد بن عبد الله باسودان، وأقام لديه للطلبِ برهةً من الزمان.

[ذكر حَجّتَيه]:

وفي سنة ١٢٨٢ اثنينِ وثمانين ومائتين وألف، حجّ حجة الإسلام، وتملى بالمشاعر العظام، واجتمع في البلد الحرام بجملةٍ من أئمةِ الإسلام، ورجعَ إلى بلده، ظافراً ببركة سفره ومدده. وفي سنة ١٢٨٣ ثلاث وثمانين ومائتين وألف، حجَّ حجةً ثانية، وورد علةً من بعد نهلةٍ على الموارد العَذْبة الحالية.

وتوجّه بعد الحج في هذا العام من البلدِ الحرام، ضارباً في الأرض ابتغاءً لفضل ذي الجلال والإكرام، إقامةً للأسبابِ التي هي أعلى وظيفةٍ لكل ذي نفسٍ شريفة.

فقادته الأقدار الربانية، إلى الجهات الجاوية، وبها من البضعةِ الطاهرة، أقمار زاهرة، منهم: الحبيبُ الإمام الشارب بأوسع كاس، أحمد بن محمد بن حمزة العطاس، فكان اجتماعُه بهذا الحبيبِ بابَ الفتح والتقريب، فألقى على أعتابه عصى التّسيار، وغمرته منه الأسرار والأنوار، وهو شيخُ مدده وفتحه، الذي قامت به دعائم صَرْحه، وكان أولُ اجتماعه في بلدِ سُماران، فجنى من ثمار معارفه ألوان، ورعى من علومه في جناتٍ صِنوان وغير صنوان، وكانت جلُّ إقامةِ صاحبِ الترجمة في باكلُنقان، فكان شيخُه المذكور إذا أتاها لا ينزلُ إلا في بيته، ويسقي ذُبالته من زيته.

ولما تزوجَ هناك صاحبُ الترجمة، ووفدتْ له بنتٌ عقدَ لشيخه المذكور ببنتِه امتثالاً لأمره بعد الطلب، وتحقيقاً للصهر وتأكيداً للنسب.

ولما طلبَ منه الدعاءَ في بعض الأوقات لصلاح مهمةٍ من المهمات، قال له: «لا أدعو لكَ إلا أن تتركَ عُمر بن عبد الرحمن، وحسين بن عمر، ومحسن بن حسين، حقك! وتقول: يا أحمد بن حمزة»، قال صاحبُ الترجمة: «فانكرَبتُ لذلك، وعظم علي ما هنالك، وخرجتُ من عنده حائراً، وأويتُ إلى مسجدٍ وبتٌّ فيه مفكراً فيما قالَ طول الليل، حتى وقعَ في بالي: أن مرادَه مني أن أتركَ من ذكرَهم بحَسَب ما عندي من المعرفة بهم والمشهدِ فيهم، لأنه قاصرٌ بالنسبة إلى مقاماتهم العظيمة، وسيرهم الحميدة الكريمة. وقلتُ: ولو كان هو غيرَ متمسكٍ بعمر بن عبد الرحمن، لما بلغ أعلى مراتب العرفان، إذ لا يتصلُ الفرعُ إلا بأصلِه، ولا يستمد الولد إلا من أهله.

وانشرح صدري بما خطر لي؛ فجئتُه بعد صلاةِ الصبح، وقلت له: تركتُ عمر بن عبدالرحمن، وحسين بن عمر، ومحسن بن حسين، الذين أعرفُهم أنا، واستمسكت بالذين تعرفُهم أنت»، ففرحَ بذلك وتهلل وجهه سروراً، ورماني بوسادة كانت قريباً منه، وقال: «من أين لك هذا الجواب؟»، فقلتُ: «من الله الملهمِ للصواب».

قلتُ: وقد ذكرتُ بهذه الحكاية ما حُكيَ عن الشيخ الكبير محمد الحنفي: «أنه مشى على الماء، وأمر تلميذه أن يتبعه، وقال له: قُلْ باسم شيخي محمد الحنفي ولا تقل باسم الله فإنكَ تغرقُ إن لم تمتثل، فمشَيا معاً، ثم خطر للتلميذ: أن كيفَ أغرقُ إذا ذكرتُ اسمَ الله، وسمَّى فغرِق، فاستغاثَ بالشيخ فنجا، فقال له الشيخ: يا ولدي! أنت لا تعرفُ الله، أنتَ تعرفني وأنا أعرفُ الله، فلا تَعدِلْ عما آمرُك». انتهت الحكايةُ بمعناها، فنسأل الله أن لا يحرمنا هذه الأذواق والمشارب ويرفعنا مع الأحباب إلى أعلى المراتب.

قال صاحبُ الترجمة:

وحضرتُ ذاتَ ليلةٍ سمرَ الحبيب أحمد في بلدِ بتاوي، وكان يحب السماع ويطرب به، ويَزفِنُ عليه، فزفنتُ معه بأمره، ثم استأذنته وخرجتُ إلى بعض المساجد، فصليت العشاءَ ونمت، فرأيتُ الحبيبَ عمر بن عبدالرحمن العطاس يقول لي: «قُم بن حمزة يطرّب عليك»، فانتبهتُ وغلبني النوم، فرأيت الحبيبَ عمر ثانياً وابنَه الحسين، وقالا لي: «قم! بن حمزة يطرّب عليك»، فانتبهتُ ولم أستطع الذهابَ لغلبة النوم، ونمتُ، فرأيت الحبيبَ عمر، والحبيب حسين، والفقيه المقدم ومعهُ بنكُسٌ وفيه أوراق. فقال لي الحبيبُ عمر: «إنّ الفقيه المقدم بايعطيك بنكُس لابن حمزة».

فكأني أخذتُ البنكُس وذهبتُ به إلى الحبيبِ أحمد، فقلتُ له: هذا بنكُس من الفقيه المقدم والحبيب عمر، فقال لي: «خلّه عندك، قسّم الأوراق التي فيه، فإنها أوراق الصوفية». فكأني رجعتُ إلى الحبيب عمر والفقيه وهُم في المسجد، وأخبرتهم، واستيقظت، فذهبت إلى الحبيبِ أحمد، فقال لي: «من أين جئت؟»، فقلت له: «نمتُ في المسجد»، فقال: «هلْ رأيتَ شيئاً؟»، قلتُ: نعم؛ وقصصتُ عليه الرؤيا، ففرح بها وأمر بكتابتها». انتهى.

ولصاحب الترجمة مع شيخه المذكور العظيمِ الحال، ما يطول شرحُه من وقائع الأحوال.

[حكايته في السجن]:

وما زال صاحبُ الترجمة متنقلاً في الأطوار، آخذاً بأسباب التجارة كهيئة التجار، متحرياً في تقلباته شَمائل الأبرار، سالكاً منهج الأكياس والأخيار، حتى قضت الأقدار الربانية، بنزوله في أعلى مراتب الصديقية، وظهور ما خصه الله به للبرية.

فكان دخولُه إلى تلك الحضرة العلية، من الوراثة اليوسفية، فوقفَ بيكارُ الأسباب، وتوجه إليه العتاب من أهل الحجاب، واقتضى الحالُ دخولَه الحبس، لكشْف اللبس، وذهابِ بقايا النفس، وأغاثه الله بالغوث الحثيث، من مدد ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي ٱلْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُۥ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ﴾، وهذا وأهلُ الحجاب غافلون، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ومكثَ ﴿فِي ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾، حتى نادته لسان الإرادة: ﴿إِنَّكَ ٱلْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾.

فخرج من السّجن بعد أن ضاقَ بالزوار من المسلمين والكفار، حتى تعجب من ذلك رؤساءُ السجن وجميعُ حراسه، وصاروا ممن يلتمسُ من بركته وأنفاسه، ولم يمنعوا أحداً أرادَ الدخول، وما دخل زائرٌ إلا وخرج بالقبول، ورفعوا الأمر إلى الحاكم العامّ، وأخبروه بما على بابِ السجن من الزحام، فأمر بإخراجه قبلَ غلاق الأجل، وإخباره أن لا خوفٌ عليه ولا وجل، فأبى صاحبُ الترجمة أن يخرجَ حتى يكمِل العدد، ليستكمِلَ المدد.

وكانت قد تفتحتْ له أبوابُ السجن ذاتَ ليلة من الليالي، وظهر له جدُّه الحبيب عمر العطاس يقول له: «إن أردت الخروجَ فاخرُج، ولكن إن خرجتَ فاصبر»، فاستخارَ الجلوس على الخروج، وازدحامَ الناسِ على زيارته في السجنِ كأنه البيتُ المحجوج.

وكانت تحصلُ له في السجن أمورٌ عظيمةٌ وأحوالٌ جسيمة، تذكّر بأحوال السلف الكبار، كالسكران والمحضار، انتشرت بذكرها الأخبار، وامتلأت بها المحافل والأسمار. سمعتُ سيدي الإمامَ الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي قدس سره يقول: «إن الحبيب

عبدالله ـ يعني صاحب الترجمة ـ لما فاجأته النفحاتُ الربانية، استغرقته وغابَ عن الدنيا وما فيها، ولما اجتمعتُ به أولَ اجتماعٍ في الحس، رأيته في حالةٍ مهيبة، ورتبةٍ برزخيةٍ غريبة، فلما رآني أنشأ يقولُ متمثلاً بقول الحبيب القطب الحداد[1]:

يا زائري حينَ لا واشٍ من البشَر ... والليل يخطُرُ في بُردٍ من السَّحَرِ
فقلتُ يا غايةَ الآمالِ ما سبقَتْ ... منكَ المواعيدُ بالتقريبِ في الخبر
ولو بعثتَ رسولاً منك يَأمرُني ... بالسّعي نحوك لاستبشرتُ بالظفَر
فكيفَ إذ جئتَ يا سُؤلي ويا أمَلي ... فالحمد لله ذا فوزٌ بلا خَطر
ما كنت أحسِبُ أني منكَ مقتربٌ ... لما لَديَّ من الأوزارِ يا وزَري
حتى دنوتَ وصار الوصْلُ يجمعُنا ... والسّر منكَ ومني غَيرُ مُستَتر

قال: «ثم عانقني وعانقتُه، وبكيت وبكى، وما زلتُ أتردد إليه وأذاكرُه مذاكرةً ترده إلى هذا العالم، خوفاً على ذاته أن تتلاشى، وما يظهرُ من غريبِ أحواله ومنازلاته لا شيءَ بالنسبة إلى ما لا يطّلع عليه إلا أهلُ السرائر، الناظرون بعيون البصائر». انتهى بمعناه.

ومما وقع له في أولِ دخُوله السجنَ أنه كلما وُضعَ القيدُ في رجليه انحلّ بمجرد نظرِه إليه، فشدّد في ذلك بعض الإفرنج المخذولين لشقوته، وزادَ عليه سلسلةً في رقبته، فانحلّ ذلك بدون فعلِ فاعل!. ومرض بالحمّى ذلك الكافرُ الجاهل، ومرض أهلُ بيته ومن له قريب، ولم يفِدهم دواءُ طبيب، فعرفَ أنه أُتي من جهةِ هذا الحبيب، فأرسل إليه يسترضيه، ويطلب منه الدعاء بزوال ما هو فيه، فقال صاحبُ الترجمة لرسوله: «خُذ القيد والسلسلةَ وضعِ القيد في رجلِه والسلسلة في رقبته، ويحصل الشفاء»، ففعل به ذلك وبأهلِ بيته جميعاً فشُفوا وعوفوا، وصاروا من جملة المعتقدين في صاحبِ الترجمة، وصفحَ عنهم شفقة ومرحمة.

---

(١) الدر المنظوم: ص٢٩٦.

وكان في السجن نفرٌ من المجوس، فأسلموا لكثرة ما شهدوه من إزالة البؤس، وعمتهم نفحةُ الملك القدوس، وتزوجَ في السجن مرات، ويقيم لذلك الولائم العظيمة، ويضيّف جميعَ العرب، وصار السجنُ لكثرة الداخلين كأنه بيتٌ من بيوت سكناه، وكلما عُرِض عليه الخروجُ منه أباه، استسلاماً منه لمولاه، ورضاً بما قدره وقضاه، ثم بعد خروجِه وتمام عروجِه، وقد أشرقَ نورُه وتم ظهوره، أقام ببندر بتاوي مَنهلاً للواردين وكعبةً للقاصدين، وأقام بها بضعَ سنين، وكانت ترد عليه الوارداتُ فيخبر بالمغيبات، ويملي من كلامه المنظوم والمنثور، ما يجري به المقدور.

وكان يتسلّى إذا دهمه منها ما لا تحتملهُ القوى البشرية، ببعض الأمور الطبيعية، ويميلُ إلى السماع على أيّ وضعٍ من الأوضاع، بأي آلةٍ كان، إذا صفى الوقت والزمان.

وكان يتكلم على الخواطر، كأنه إلى البواطن ناظر، ومما أخبر به قبلَ وقُوعه:

أنه أرسل كتاباً وقصائد لشيخه الإمام الحبيبِ أحمد بن حمزة بعد سَفره إلى حضرموت في السنة التي توفي فيها، يخبره بقرب وفاته، وأنها تكون في بلد عَمْد، وأنه يُدفن في قبة الحبيب صالح بن عبد الله، وأرسل الكتابَ أولاً إلى سيدنا الإمام المؤتمن الحبيب أحمد بن الحسن، فعرَضها على الحبيبِ الإمام أحمد المحضار، فأمره بسترها وعدم إظهارها على الحبيب أحمد بن حمزة.

وكان الإمامان المذكوران يثنيان على صاحبِ الترجمة ثناءً عظيماً، ويشيران إلى أنه من حملةِ الأسرار، وورثة الآل الأطهار، وكذلك سيدُنا الإمام الحبيب عيدروس بن عمر الحبشي، وسيدنا الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي، يستخبران عنه من زاره، ويثنيان عليه بأفصح عبارة، وكاتبوه وكاتبهم، وكان مشربُه مشربَهم، ولا يحصى ما أخبر به قبل وقوعه، ولا ما تفضل الله به على من استمد بركته في خلواته وجموعه.

وله الكلام العالي على لسان الحقيقة، ويبين من معاني الآيات القرآنية والأحاديث

النبوية، ما يطرب له السامع وتتحلى به الأفواه والمسامع، ويظهر من عويص المباني غريب المعاني.

وقد جمع من كلامه المنثور جملةً صالحةً سيدي الحبيبُ علوي بن الحبيب الأواه محمد بن طاهر الحداد نفع الله به، سماها: «**إتحافُ الأكياس بشيء من كلام الحبيب العارف بالله عبد الله بن محسن العطاس**»، وكذلك الشيخُ عبد الرحمن عرفان.

ومنهُ قولُه قدِّس سِره: «إن الخشيةَ شرطٌ في كون العلم علماً نافعاً، ومتى وُجدَ العلم في شخصٍ ولم توجد الخشية فليس من أهل العلم النافع.

العلمُ علمان: علمُ خشيةٍ ونور: كلما ازداد صاحبه منه زادت معرفته بنفسه وجهلها، وعِلمُ لسان: كلما زادَ صاحبه منه ازدادَ دعوىً، حتى ظن أن لا يوجد مثله في العلم، فيهلك، وعلم آل أبي علوي علم خشية.

وقال قدس سره: «العلمُ زينٌ كله، وأصله صافي، وإنما الكدَر في الأوعية التي يمر عليها، أو يقع فيها، ومثاله مثالُ الشمسِ من وراء الزجاجات الملونة، تظهر في كل زجاجة بحسب لونها، وكذلك العلمُ في الذوات تلوّنه فيها من القابليات».



وقال قُدس سره: «فصلُ الخطابِ في قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾، وهو: الحكمُ الظاهر، والحكمةُ: هي عبارةٌ عن معرفة الأحكام الظاهرة والأسرار الباطنة، وقد يكون عند الإنسانِ فصلُ الخطاب، ولا تكون عنده الحكمة، وبالعكس.

وقال قُدّس سره: «إن التعلقَ بكتب السلف وأورداهم من البرّ لهم، وترك قراءتها من العقوق لهم، ولا بأسَ بقراءةِ غيرها معها».

وقال قُدِّس سِره: «إن مَن قال مِنَ المفسرين: أنّ الساجدين في قوله تعالى: ﴿وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ﴾؛ همُ الصحابةُ فقط، فقد تحجّر واسعاً، بل همُ الذين ظهرَ فيهم ﷺ بخلُق من أخلاقه، أو عمل من أعماله، أو علم من علومه، أو سر من أسراره، فيدخل فيهم آباؤه

الكرامُ إلى آدم عليه السلام، لظهوره فيهم ومنهم حساً ومعنىً، فلا يمكن أن يكونَ فيهم غيرُ مسلم.

وهو الخيار في قوله ﷺ: «**أنا خيارٌ من خيار**»، ثم يدخل فيهم أصحابه ﷺ، لأنه ما من واحد منهم إلا وقد تخلقَ بخلُق من أخلاقه، أو عمِلَ عملاً من أعماله، أو علم علماً من علومه، أو تحقق بسر من أسراره، يكون مظهر تقلبه فيه ﷺ، ثم يدخل أهلُ بيته ﷺ خصوصاً، لاختصاصهم بالانتساب إليه حساً ومعنىً، وباقي الأمة عموماً، فما من مظهرٍ من مظاهرِ الخير إلا وهي من تقلباته، وممد بنوره ﷺ».

وقال قدس سره: «إن عدمَ ظهور خصوصيات أهلِ البيت رضي الله عنهم بكمالها للناس كلهم، من الرحمة بهم، لأنها لو ظهرَتْ لوجَب عليهم احترامُها وتعظيمها كما يليق بها، وذلك لا يطيقُه معظَم الناس، فما يظهر على بَعضِ أهل البيت من صُور المخالفات حجابٌ على خصوصياتهم، ومحبةُ أهل البيتِ أولُ ساسٍ في كشفِ الحجُب، ويظهَر لصاحبها نورٌ يدله على الصواب، وبغضُهم على الضدّ من ذلك». انتهى. ومن أراد الاطلاعَ على أكثر مما ذكر فليطلبه من فطانه، فإن هذه العجالة مبنية على الاختصار بالإشارة إلى ضوء المنار.

وكان صاحبُ الترجمة في خلال إقامته ببتاوي يترددُ إلى بُوقور، وهي بلدة ليست من بتاوي ببعيد، على مسافة ساعةٍ فلكيةٍ في سكّة الحديد، ثم تحول إليها آخرَ الزمان، وقصده الزوار إليها من كل مكان.

ولكثرة ما يزدحم الناسُ من جميع الأجناس على مصافحته، والتماس بركته، إذا خرج إلى أي محل كان، صار حاكمُ القطر يُصحِبه جملةً من الجندِ يسيرون معه حيث سار، فتراه إن شئتَ قلت: ولياً مشهوراً، أو ملكاً مبجلاً محفوظاً، ذلك من آيات الله، ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

وفي شهر ربيع الأول سنة ١٣١٧ ابتدأ عمارةَ مسجدِه ببوقور، المشهور بمسجد النور، وقد أرخ عامَ عمارةِ المسجد المذكور سيدي الإمامُ الحبيب محمد بن أحمد المحضار، بقوله: «مسْجدُ النور قطعةٌ من تريم». فنظَم التاريخَ المذكور سيدي الحبيب مُصطفى بن أحمد المحضار، في قوله (شعراً):

يــا نــديمي تــسَمّعْ مــا بــدا ... مــن اخبــارِ المــسرّة يــا نــديمْ
واحــكِ لي يــوم جــاءَ شَــور الهـدَى ... يــومَ برّاقُــهُ أروى للكظــيمْ
قــالوا: إن ولَــد محــسنْ قــد غَــدا ... حــول بوقُــور ذي تعجّــب مخــيمْ
وإن حاديْــه فيهــا قــد حــدا ... حــين شــيّد بهــا روضَ النعــيمْ
روضْ يحــوي عــلى كَــمٍّ أغيــدا ... فيــه عنبــهْ وتفاحــة ولــيمْ
ثــم أسّــس قبالُــه مــسجدا ... مــا يماثلــه مــسجدْ في الاقلــيمْ
مــن دخــلَ فيــه نــالَ المقــصدا ... مــسجدُ النــور اســمُه مــن قــديمْ
يــوم غلّــق وتــاريخٌ بــدا ... (مسجدُ النورْ قطعةْ من تريمْ) ١٣١٨

وقال الحبيب المذكورُ أيضاً ناظماً للتاريخِ المذكور، لتمام السعي المشكور، (شعراً):

قـفْ بـسُوح القبـولِ والتكـريم ... نــادِ منهــا أئمــةَ التعلــيمِ
هم هداة الأنـامِ بـل هُـم سَـفينٌ ... ونجــاةٌ لموجِــدٍ وعــديمِ
مثل أبي محسنٍ الـذي قـد تَعـالى ... مجـدُه واسـتطالَ فـوق النجـومِ
نجلُ عطاسنا الذي حـل في الفَــ ... ـيحا وتاهـتْ بـه عـلى الإقلـيمِ
مَـن ببوقُـور أسـسَ اليـومَ فيهـا ... روضَ أنسٍ يحكي جنـانَ النعـيمِ
مـسجدٌ فـاقَ مالـه قـطّ في الآ ... فـاقِ مثـلٌ في الحسْن والتنظـيمِ

فوقَه النـور مـشرقٌ كالـضواحي ... مـسجدُ النـور اسـمُه مـن قـديمِ
جـــاء تاريخـــه بـــديعٌ ينـــادِي ... (مسجدُ النورِ قطعـةٌ مـن تـريمِ)

وما زال صاحبُ الترجمة إلى الآن سنة ١٣٣٨هـ ثمان وثلاثين وثلاثمائة وألف، مقيماً بتلك البلدة المعمورة، وعلى أكمل أحواله المشهورة، وأحسن مساعيه المشكورة:

كالشّمسِ في كبدِ السماء ونورُها ... يغشى الـبلادَ مـشارقاً ومغاربـاً

وقد مدحه وأثنى عليه بقصائد، كثير من العلماء الأكابر والأعيان الأماجد، كسيدنا الحبيبِ الإمام محمد بن عيدروس الحبشي، والحبيب الإمام أبي بكر بن عمر بن يحيى، والحبيب العلامة سالم بن أحمد بن محسن العطاس، الحبيب العلامة هاشم بن عبد الله بن يحيى، والحبيب العلامة علوي بن عبد الرحمن المشهور، وغيرهم، ولم أذكر شيئاً منها خشية الإطالة، ولظهور جمالِ المترجم ولجلالته وقيامه بنفسه عن الشهادة والدلالة، (شعراً):

وإذا اسـتطالَ الـشيءُ قـامَ بنفـسِه ... وصفاتُ ضَوء الشّمسِ تذهبُ باطلا

[رسالةٌ من الحبيب علي الحبشي إليه]:

ومما كتبه إليه سيدنا الإمام الحبيب علي بن محمد الحبشي قوله:

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَأَلْقَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾

الحمد لله الذي أقامَ في مراتب الخلافة من خصه بالولاية من عباده، وأجرى من عوائد جُوده على من منحَه من غَرائب شهودِه فيوضاتِ إمداده. فأهلُ ذلك المقام في رياضِ القرب يتنعّمون، أولئك أولياء الله، ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

﴿يَحْزَنُونَ﴾. والصلاة والسلام على دليلهم الأعظم في ذلك الطريق، وساقيهم الأكرم من ذلك الرحيق، الذي شرُفهم بشرفه، وفخرُهم بفخره، فهم فريقُه الذي هو خيرُ فريق، سيدي رسول الله محمد بن عبدالله الصادق الأمين، صلى الله وسلم عليه وعلى آله وصحبه والتابعين.

وعلى السالك سبيلِهم القويم، والماشي على صراطهم المستقيم، حاملِ راية أسرارهم، وباسط مكنون أنوارهم، الحبيبِ القريب المنيب، المختص بالتخصيص الكامل في حضرة التقريب، أخي وحبيبي العارف بالله، القائم بالله، الداعي إلى الله، المحبوب الموهوب المخطوب، الواصل الموصل، عبد الله بن محسن بن محمد العطاس، أدامه الله يسقي ويُسقى من حُميا المعرفة أشرفَ كأس، آمين.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

صدورها من سيؤون، والفقير وأولاده بعافية، أرجو الله أن أخي ومن شملته عنايته كذلك، وكتابُ سيدي الكريم وخطابه المستقيم، وصَلَ إلي وكان نزوله لديّ نزولَ العافية للسقيم، فتلمّحتُ تلك السطور المطرزة بالنور، فإذا هو من الفيض العرفاني والمدد الإحساني، الذي قابلتكم العنايةُ به بدءاً وختماً، وخصصتكم الرعاية به ذوقاً وعلماً، فهنيئاً لكم ما أكرمكم به الكريم، ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾.

فقد تشرفتُ بذلك الخطاب، ووقفت من أسراره على العجَب العجاب، وما ذلك إلا نتيجةُ السابقة التي سبقت، وثمرة الإرادة التي تقدمت، فهنيئاً لكم الفضلُ الذي آتاكم الله، والمدد الذي واجهتكم غرائب عطاياه.

فبحقّ من أولاكم، لا تقطعوني من وِلاكم، وأسهموا لي فيما آتاكم، بأوفر السهام، واجعلوا لي من وُدّكم ومددكم أحسن الأقسام، فإنّ لي بكم رابطةً قويةً، تُرفع لكم لطائفُها في الألواح القلبية، واللهَ أسألُ أن لا يقطعنا من إمدادكم، وأن يكتبنا في ديوان

أهل ودادكم، ومنكم أطلبُ دوامَ الاعتناء والملاحظة لي ولأولادي، وأهل ودادي، فادعوا لي واعتنوا بي، وإني على حسَب جهدي لكم داعي، ولودكم مراعي.

وقد ورد علينا أخوكُم الفاضل سالم، لحضور جمع المولد الشريف، هو والأخ العارف بالله أحمد بن حسن، والوالد العارف بالله عمر بن هادون، وجملة من الإخوان آل العطاس، وتشرفنا بحضورهم وشملتنا بركاتُ نورهم، فالحمد لله على هذه النعمة العظيمة، والمواهب الجسيمة.

والسلام عليكُم وعلى أولادكم ومن تحبون، مني ومن أولادي وجميع المتعلقين، والسلام.

من الفقير إلى الله
علي بن محمد بن حسين بن عبد الله بن شيخ الحبشي
عفى الله عنه، آمين.
حرِّر لسبعٍ من ربيع الأول
سنة ١٣٠٦ ست وثلاثمائة وألف».

[مكاتبة له من الحبيب أحمد بن حسن]:

ومن مكاتباتِ سيدنا الإمام الحبيب أحمد بن الحسن العطاس، قوله:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أظهرَ ينابيع حكمته على لسان من شاء من البرية، فاستخلصهم لنفسه ذاتاً وصفاتاً وطويةً، وبلّغهم وبلّغَ بهم الأمنية، والصلاةُ والسلام على هادي كل حادي، وشادي كل شادي، من حاضر وبادي، محمد بن عبدالله وآله وصحبه ومن والاه، فيما فعله ونواه.

هذا ويبلغُ المسطور نائباً عن الأقدام، في تقبيل الأقدام، وإهداء عميم السلام، حضرة المكرّم الكريم، السائر بالقدَمين على الطريقين، والناطق باللسانين، ذي الشرب الرضي المروي، والمحتِد العلي العلوي، الولي المسعود، والحبيب المعدود، الإمام الهمام، خليفة السلف الكرام، والمتحقق بما لهم من حال ومقام، الشريف الكامل الفاضل، عمدة الأماثل، خليفة الكبار، الظاهر فيه ما ظهر فيهم من الأسرار والأنوار، أخي وصفيّي العارف بالله، عفيف الدين عبدالله بن محسن بن محمد العطاس، لم يزل يسمو به بساطُ الترقي حتى يترقّى ويُلقِي ما يلقى عليه من غرائب الجواهر من تلك المظاهر.

وقد وصلَ كتابكم وعزيز خطابكم، وتلا علينا من رموز المعاني ولذيذ المجاني، ما رقَّ وراقَ وعزّ في المذاق، فهنيئاً لكم ما أعطيتم من الوصل والصلة، ونرجوا الزيادة والثبات وكمال الاستعداد، وهذه الأذواقُ عزّت مداركُها ومسالكُها إلا للأفراد وهم قليلون، والله يتولى الهدى في الختم والابتداء.

وقد عرضنا كتابكم على المحضار، ومن بتلك الديار من السادة الأخيار، فأسرّهم ما هناك من لطيف العبارات والإشارات، ولا زلتم مظهراً لكل خير، والدعاء وصيتكم، ودمتم فوق ما رمتم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

المستمد للدعاء منكم
أحمد بن حسن بن عبد الله العطاس
حرر يوم الثلوث سلخ ربيع الأول
سنة ١٣٠٣ ثلاث وثلاثمائة وألف».

وما اشتمل عليه من النعوت والأوصاف الجميلة، جمعته من عدة مكاتبات من الحبيب المذكور لصاحب الترجمة، فليعلم.

وأما ما بين صاحبِ الترجمة وبين سيدِنا الإمام الحبيبِ محمد بن طاهر الحداد من المكاتبات، فقد ذكرتُ منها ما وجدته في الجزء الثاني من «قرة الناظر».

وأما سيدنا الإمام الحبيب محمد بن عيدروس الحبشي فكان كثير التعظيم والتكريم لصاحب الترجمة، وكثير الثناء عليه والمدح له، وفي مكاتباته وديوانه من ذلك الكثير الطيب، ووجدت له هذه الرسالة كتبها تعبيراً لرؤيا رآها صاحبُ الترجمة.

[تعبير رؤيا]:

قال رضي الله عنه:

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعلَ في تصاريفِ القدَر عبرةً لمن اعتبر، وجعلَ في تنويع الصوَر فيما بطن وظهر، حجةً على من تحجّر عليه وحصَر، حتى يرجع العلمُ إلى أهله، ويلحق الفرعُ بأصله، والصلاةُ والسلام على عين كلّ مجلى، ولسان كل إملا، الواسطة العظمى في مظاهر الكرم والجود، والعلّة الكبرى في إيجاد كل موجود، روح صور المكونات إبراماً ونقضاً، القائل: «**سبحانك لا أحصي ثناءً عليك أنت كما أثنيت على نفسك، فلك الحمد حتى ترضى**»، سيدي رسولِ الله محمد بن عبد الله الصادق الأمين صلى الله وسلم عليه صلاةً وسلاماً يكونان مفتاحاً لباب الوصول إليه، وعلى آله وصحبه وتابعيه وحزبه.

أما بعد؛

فيقولُ العبدُ الفقير إلى القدوس المنشي، محمد بن عيدروس بن محمد الحبشي:

إني لما اطلعتُ على رُؤيا السيد الحبيب الإمام العارف، الغارف من بحر الأسرار واللطائف، ذي الكشف الخارق، والنور الشارق، الظاهرةِ فيه لذوي الألباب خصوصيةٌ:

«من نظَر في وجهه علِمَ أنه ليس بوجه كذاب»، الرحمة الشاملة لجميع الجنة والناس، حبيبي عبدالله بن محسن بن محمد العطاس، متعنا الله به في كمال عوافي وإيناس، آمين.

وتلك الرؤيا رآها ليلةَ الاثنين واثنان وعشرين خلتْ في شهر شوال عام ١٣١٣ في محلٍّ اسمُه (سناع باران) من نواحي بلدة بوقور، أحببتُ أن أجعل عليها تعليقاً لطيفاً على قدر فهمي الضعيف، تطفلاً على مائدة ذلك الحبيب، ورجاء أن يجل لي من سره نصيب.

فأقولُ، وأبرأ إلى الله من القوة والحول:

[صورةُ تلك الرؤيا]:

صورةُ تلك الرؤيا كما أملى ذلك سيدي عبدُ الله المذكور على بعضِ المحبين من أهل النور مع تبيين بعض الألفاظ، قال سيدي: «حصلتْ معي رؤيا؛ رأى الفقيرُ كأنه في مسجد، وعلى المسجد دائر، وهو يشبه مسجدَ الشيخ أبي بكر بن محمد بن سالم باوزير الذي ببلد حَورة التي كان مولدُ الفقير فيها، ورأيت جِنازةً في الشق البحري، وشالّينها ناسٌ قدر عشرين نفر، ولا عرفتُ أحداً منهم، ووقفوا عند الدِّرع الذي فيه قبرُ الشيخ أبي بكر، ووقفت قريباً منهم أسألهم عن تلكَ الجنازة؟، قالوا: النبي ﷺ باندفنه في هذا المكان، وهو في صندوق، وفكّوا الغطاء ورأيته مكفّناً، وحصل معي خوف. وتميتُ داخلَ الدائر عند سترة المسجد، قريب الذي بايدفنون، وعندنا قدر ثمانية مجاذيبْ طُوال كالمصَارية، مستعملين قمصان وكوافي.

أما واحد منهم ملازم الفقير، إذا مشيتُ اعترَض قدامي، ويكلمنا بكلام لم أفهمه، وواحد منهم قائم عند السّاس حق المسجد، وعنده ميت، وكأنه أدخله في ساس المسجد وغيبه، والفقير قائم، وسألته: من هذا الميت الذي غيبته في الساس؟ قال: هذا ولد النبي ﷺ!. وأما باقي المجاذيب يدرجُون، لا يكلموني ولا كلمناهم، وأما الذي ملازم لي كلما مشيتُ اعترض قبلي وإن قمتُ قام، وانتبهتُ وأنا بين الساس والباب حقّ الداير والقبور، وكلٌّ على حالته من المذكورين».

فأقولُ:

حيثُ كونِ الرؤيا المذكورة في مسجد، والمسجدُ في بلد حورة، والبلد المذكور كان بها مولدُ الحبيب عبد الله ومنشؤه، وكون المقبور صورةَ جنازةِ الحبيب المصطفى ﷺ، فالأقربُ والله أعلم بحقيقة الأمر: أن تلكَ البلد هي رتبةُ الحبيب عبد الله الوجودية، المحيطة بذاته الشريفة، وما تعلق بها وما تعلقت به من الصفاتِ البشرية والروحانية، كما وقع لكثير من الأولياء.

وذلك المسجدُ والدائر: هو القلبُ المحوّط المحفوظ من الأغيار والأكدار، فإن المسجد لله، وما كان لله لا يكون لغيره فيه مجال، والدرع الذي وقعَ القبر فيه هو المحل المعيّن للسِّر، من ذلك القلب المخصوص بالنور الإلهي، المشار إليه في قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾.

والمقبورُ: هو ما خصّه الله به من النور المحمدي والسر الأحمدي، لأن صدور الأحرار قبور الأسرار، ومن المعلوم شَرعاً والمتحقَّق قطعاً: أن أسرار الولاية ممنوعٌ ظهورُها في هذا العالم، لأنه موطنُ تكليف، والتكليفُ أمورٌ مبناها على ظاهر الشرع الشريف، وكلما ظهر من قولٍ وفعلٍ فهو داخلٌ تحتَ دائِر طُور العقل، وسِرُّ الولاية من وراء ذلك، لا تسعُه العقول ولا تترجم عنه النّقول، فصار كَتمُ السرّ لأهله من التكليف المأمور به، لأنه لو ظهر لتناقضت الأدلة، ولبطل حكم الأهلة.

وأما العشرون النفر حاملين الجنازة: إشارةٌ إلى العشرين الصفةِ الواجبة لله جل وعلا، لأن جميعَ الأسرار والأنوار القائمةِ بجميعِ الذوات، منشؤها من تلك الصفات، وحيثُ كان الحبيبُ لم يعرفْهم؛ فمن المعلوم: أن حقيقةَ الصفة لم تعرَف إلا بالتأثير، وإلى الله المصير.

وأما المقبورُ خارج المسجد: وهو صورةُ ولدِ الحبيب المصطفى ﷺ، فهو نتيجةُ ذلك

السر، وهي صورةُ الأعمال الظاهرة في الخارج، فالحبيب عبدالله المذكور ليست له صورة أعمالٍ ظاهرة، أعماله غالبها بل كلّها قلبية روحية سرية، التي كما قيل :«أوقية منها تعدل ببهار من أعمال الظاهر»، فيعرِفُ ذلك من اختبر حالَه، فإن من له بصيرة منورة، وتأمل حركاتِ ذلك الحبيب وسكناته، وسكوته وكلامه، وقعوده وقيامه، يجد له في ذلك ملامحَ عظيمة، ومنازع فخيمة، وأخلاقاً مستقيمة، وإلا فكما سُتر الأصل فالفَرع تابع له.

وأما ذلك الشّخصُ الملازمُ له: فتلك الحالةُ اللازمة له في الحالات الثمان، لا تكاد تنفك عنه، لأن ذلك الشخصَ لم يتركه يمشي إلا واعترضَه، وهذه الحالةُ هي عينُ الستر للسّر، فإن الحبيبَ لم يعطَ لسانَ التعبير وإبراز ما في الضمير، وإذا ظهرت منه بعضَ الأوقات بعضُ تلويحات وإشارات، فهي بالنسبة إلى ما بطنَ في سره كقَطرةٍ من بحر، أو كلمحة من دهر، وذلك كمالٌ في حقه وحق أمثاله، نفعنا الله بهم، آمين.

هذا ما حضَر بالبال على بعض الرؤيا المذكورة على قدر الحال، وإلا فكم تحتها من أسرار وعلوم، لا يحتملها مرقوم، وأستغفر الله من الجرأة على أولياء الله، والكلام على أحوالهم السنية ومقاماتهم العلية، لأنهم مستورون بأستار الغيرة، كما في الحديث القدسي: «**أوليائي تحتَ قِبابي لا يعرفُهم غيري**»، أو كما قالَ، أو ما هذا معناه، ولكن المائدةَ تقبلُ الطفيلي، وهنا وقفَ خيلي.

اللهم بحقّهم عليك، وبما لهم لديك، اجمعنا بك عليك، وأشغلنا بك عن غيرك، وتمم علينا إفاضةَ خيرك، فإنك غمرتَ بالنوال، وأغنيتَ عن السؤال، وصلى الله على عينِ أهل الكمال، ومنبع الجود والإفضال، حبيبنا محمدٍ منتهى الآمال، وعلى صحبه والآل، على ممر الأيام والليال، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

تمت صبحَ يوم الثلوث

١٣ خلت في شهر شوال سنة ١٣١٣هـ».

وقد جمعَ من مناقبِ صاحبِ الترجمة ومكاتباته وكراماته جملةً وافيةً في تأليف مستقلٍّ الشيخُ العلامة عبدالرحمن بن محمد عرفان.

وقد اتصلتُ واجتمعتُ بحمد الله بهذا الحبيب، وأدركت من بركته إن شاء الله أوفى نصيب، وتسمعتُ منه وسمعتُ عليه، وألبسني وأجازني ودعا لي، وبشرني بما أرجو من الله تحقيقه.

ولم يزل بأكمَل حال، وعلى أتم مظهر من مظاهر الجلال والجمال والكمال، إلى أن حانَ حينُ الرحيل والانتقال إلى دار المآل، فتوفي إلى رحمة الله ورضوانه، سلخ ذي الحجة الحرام سنة ١٣٥٢ اثنتين وخمسين وثلاثمائة وألف.

ودفن حولَ مسجده مسجدِ النور، في بلد بُوقور، وبنيت عليه قبةٌ مشرقةٌ بالنور، رحمهُ الله ورحمنا به وأعاد علينا من بركاته، آمين.



[٣٦ـ الحبيبُ شيخانُ بن عليٍّ السقاف (١٢٦٤-١٣١٣هـ)]

ومنهم:

الحبيب العارف بالله، شيخانُ بن علي بن هاشم بن محمد بن هاشم بن شيخ بن عبد الله بن شيخ بن علي بن محمد بن عبد الله بن حسن بن عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن السقاف.

الحبيب المحبوب، المخطوب الموهوب، الذاكر الشاكر، الفائز الظافر، ذو المكارم والمفاخر، صاحب المكلا والمتوفّى بها سنة ١٣١٣، الواردُ على منهلِ المحبة علاً ونهلاً، والسائر من مناهج القربة على الطريقة المثلى.

ولد سنة ١٢٦٤ أربع وستين ومائتين وألف، ببلد الغُرَف متحفاً من تحف العناية الرَّبيَّة بأحسن التحف، بعد أن بشر بوجوده جدُّه هاشمُ بن شيخ، قال لوالدته لما حملت به: «لقد حملتِ بشيخان سيدِ عَصره، فيا بخت من حضر وقته».

ونشأ في حجر أبيه وجده، ولوائح الولاية على أساريره لائحة، ونوافح الخصوصية من حركاته نافحة، وكان في صِغَره ترِدُ عليه وارداتٌ إلهية وخواطر رحمانية، تقلبه يميناً وشمالاً، فيُؤْثر عند ذلك الخلوةَ عن الناس، ويتفكر في حال من ثوى في بطونِ الأرماس، وهو في ذلك السنِّ الصغير، لما خص به من صفاء الضمير.

وكان لا يسير العُلْمة إلا بضَربٍ وعتابٍ من أبويه، لسبب أنسه بالوحدةِ وقربه من

ربه، كان ذات يوم يطرد وراءَه والدُه ليضربه على ترك العُلْمة، وحالَ عليه في رأس الدار، ولم يجد له طريقاً، فطرحَ نفسه من رأسِ الدار إلى الشارع، فإذا بملَكان التقياه وطرحاه في سواء الأرض ولم يصبه شيء، وكان أهله يصيّحون عليه، وغابَ عنهم ثلاثة أيام بلياليها في مكانٍ لا يأكل ولا يشرب فيه، مستغنياً بما منحه الله من لذيذ ذكره.

وكانت والدتُه من حال صغره تأمرُه بحمل السبحة والذكْر فيها، ولما كان ذات ليلة أبطأ خارجَ البيت فلم يأتِ إلا بعدَ أن مضَى الوقت الذي يعتادُ المجيء فيه، فأساءت الظن به والدتُه، وعاتبته على تأخره، فوقع في باله. فرأتْ تلك الليلة جدَّه الشيخَ عبدالرحمن السقاف يقول لها: «أحسني الظن بشَيخان»، ولطمها بيده، وفيها خاتَم، فسال الدم من رأسها من موضعِ الخاتم، وانتبهت والدمُ يسيل من رأسها، فأيقظت صاحبَ الترجمة واعتذرت إليه، وطلبت العفوَ منه وطلبه منها، وناهيك بهذه عناية!.

واستهزأَ به بعضُ الجنود وغيّر اسمَه وهو صغير، فدعا عليه بالقتل فقُتل في ليلته.

وأتى في صِغره أيضاً عند بَعضِ البادية، وقد تراكم الجرادُ على موسمٍ كان معهم، فقال له بعضُهم: إن شي كرامة ادعُ ربّك، الجراد بيفْقِر نحن، وعندنا ديون للناس، فأخذ قصبةً وساقَ بها الجراد، قائلاً: «اذهب بإذن الله»، فذهبَ في الحال، وسلمت الأموالُ من العَطال، فسبحان الملك المتعال، الذي يخص من يشاء بمحض المن والإفضال.

وكان أشياخُه الأكابر، كالحبيب محمد بن إبراهيم بلفقيه، والحبيب محسن بن علوي السقاف، والحبيب حسن بن أحمد العيدروس، والشيخ أحمد بن أبي بكر باعباد، وأمثالُهم يعرفونَ فيه الخصوصية، ويشيرون إلى ما حاز من جزيل العطية.

واتفق أن الحبيبَ محسن بن علوي كان سائراً مع كثيرٍ من السادة إلى تريم، وقال لمن معه: «إن لقينا أحداً من أكابر السادة نبهوني عليه لأعطيه ما يستحق»، وكان قد كُفَّ بصرُه، فلقوا صاحبَ الترجمة، ولصغره لم ينبهوا الحبيبَ محسن، فلما دنى منه كُشفَ له عنه،

فعتب على من معه: كيف لم يخبره؟ فقالوا: إنما هو ولدُكم شيخان بن علي، ولد صغير، فقال: «إنه كبير، وسيكون له شأن عظيم»، وبشّ به وأكرمه، وطلب منه الفاتحة، فاعتذر، فرتبوا وشرطوا عليه أن يدعو، فامتثل ودعا.

وفي هذه منقبةٌ عظيمةٌ لصاحبِ الترجمة، إذ من المعلوم من آداب سادتنا العلويين ألا يرتّب ولا يجمَعَ الدعاء إلا ذو السن، وإن كان الأدنى في الفضل، وليس فيهم أدنى، وإنما فعلَ الحبيبُ محسنٌ ما فعلَ إظهاراً لشأن صاحب الترجمةِ وخصوصيته حيث استصغرُوه.

وكان له بالحبيب محسنٍ الاتصالُ التام، وله عنه الأخذُ الكامل، وأجازه وألبسه الخرقةَ وحطّ عليه نظره، وكان كثير الوصية بهِ والثناء عليه، ويفرحُ به إذا أتى، وينبسط بلقياه، وكثيراً ما يقول عندَما يلقاه (شعراً):

مِسكينْ شيخانْ لاعدّكْ زمانُه يسيحْ ... ما بين دَوعن ووادي حضرموت الفسيحْ

وأنت يا شيخْ من همّ العلائق بَريح ... ثوبَك وقلبَك لربكْ خَاطرك مستريحْ

والوقتْ هبهْ بهبّه خُذْ كَذا تستريحْ

وفي الأبيات من وصف صاحبِ الترجمة بالمشيَخة، وعدمِ الاهتمام بالعلائق، وفراغ الوقت للرب، والاستراحة بذلك، وغير ذلك ما لا يخفى.

وكان بعد ذلك يعجب بكلام صاحب الترجمة المنظوم ويستنشده، ويقول: «إنها رموز بطنَها كنوز»، وأمره بجمعه، وكان ربما قدمه على من هو أسنُّ منه.

وكان يكلمه بما يخطر له من خواطر، وقد أوصى به الحبيبَ عيدروس بن عمر الحبشي أن يطرَح النظرَ عليه، فتردّد صاحبُ الترجمة على الحبيب عيدروس وتعلق به، حتى أنه لشدّة تعلقه بهِ سكنَ بلد الغرفة، وبنى بها داراً وتزوج بها، حرصاً على مجاورةِ شيخه المذكور، لاقتباس الهدى من حضرته والنور.

وكان الحبيب عيدروسٌ يحبّه ويدنيه، ويشير إليه بما انطوى من السر فيه، وألبسه ولقنه وأجازه، وتلقى منه حقائقَ العلم ومجازَه، وأخذ عنه الشريعة والحقيقة، وسلك من تحت نظره أقومَ طريقة.

وله معه وقائعُ أحوالٍ وشواهدُ قبولٍ وإقبال، أشرق منها نوره، ودُكَّ بأسرارها طُورُه، وحصل له الاستقلال بمطالعة الجمال والجلال، وانتظم في سلك أهل الكمال من الرجال، فبرز داعياً إلى الله بالحال والمقال، وتفجرت من قلبه على لسانه العلوم، فأملى من منثورها والمنظوم، ما تنفرجُ به الهموم، وتنكشف به الغموم.

جمع من كلامه ولدُه الجليل الأواه عبدُ الله نحواً من ثلاثين كراساً من المنثور، ومثلها من المنظوم. وكلامُه كما وصفه الحبيب الإمام مصطفى بن أحمد المحضار: «منضودٌ واردٌ من عينِ الجود، بلا واسطة ولا شهود، من لسانه ملفوظ، ومسموع ومحفوظ، ومنقول من اللوح المحفوظ، تقبله القلوب والأسماع، وتحب سماعه بلا دفاع، وله حلاوة، وعليه طلاوة، على لسان العامة، تفهمُه الناس تامةً.

نفعنا الله بالقولِ والقائل، ولا يكونُ بيننا وبينه حائل». انتهى، من كتاب منه لأولاد صاحب الترجمة.

[سفرته الأولى إلى جاوه: ١٢٩٠هـ]:

وكانت لصاحبِ الترجمة تقلباتٌ في الأرض، وتنقلاتٌ في طولها والعرض، فرحل إلى جاوه سنة ١٢٩٠ تسعين ومائتين وألف، ولما وصل إلى سنقافورة تلقاهُ السيد الكريم جُنَيدُ بن عمر الجنيد، وعرف له ما يستحقّ من الإكرام، وقضى له حاجته ورجع إلى بلدهِ بسلام.

ولما استودعَ من شيخه الإمامِ محسن بن علوي السقاف في سفره هذا، وخرج، دعاه، وأمره أن يسمّع بقصيدةٍ من نظمه، ورتب له الفاتحة، فخرج، فدعاه ثانياً وثالثاً،

ويأمره بالسماع، فكان في ذلك إشارةٌ إلى أن ذلك اللقاء آخرُ اجتماع، فإن الحبيبَ محسن توفي وصاحبُ الترجمة بسنقفورة، وأخبر صاحب الترجمة بوفاته في يومها وجاء الخبر بعد مدة بتحقيق ما أخبر.

[سفرته الثانية إلى جاوه: ١٣٠١هـ]:

وفي سنة ١٣٠١ أحدى وثلاثمائة وألف، سافر إلى جاوة أيضاً، وبلغ إلى سرباية، وتزوج بها، ولما رأى معاملة أهل جاوه بيعَهم وشراءَهم لا يخلو من عدم الورع، تورّعَ عن أخذ شيء من أحد، فكان يردّ كلما أعطي، حتى استأذنه بعضُ السادة في القبضِ من الناس وصرْفِ ما اجتمعَ في شراء كتبٍ لطلبة العلم، فأذن له، وكتب هو لمحبه عوَض بن عمر شيبان إلى بلد الغرفة: «أن يرسل له مائتي ريال»، وكان قد أخذَ منه مائتي ريال مع سفرِه، وملّكه دارَه ببلد الغرفة، فكان خرْجُه في سفره هذا من ثمَن داره.

ورجعَ إلى عدن؛ وخرج منها إلى حَوطة الوهط، واستقر بها داعياً إلى الله، واستقدم أولاده من بلدِ الغرفة، ولم يكن عنده بالغرفةِ بديلٌ لمجاورته فيها لشيخه الحبيب عيدروس، ولكنه اضطر إلى ذلك، وأذن له شيخه المذكور لحدوث بعضِ أمورٍ من المنكور، لم يصبر عليها صاحبُ الترجمة، ولم يتمكن من زوالها بالاستقلالِ مع وجود شيخِه يتيمةِ عقد أهل الكمال، فآثر الانتقالَ لسلامةِ الحال وصفاء البال، ولما كتبه الله من الانتفاعِ والاتّضاع، لمن بالوهط وما حولها من البقاع، فإن أهلَ الله وأولياه، مظاهرُ صفاته وأسماه، ينفعُ بهم أهلَ الاعتقاد، ويضر بهم أهل الانتقاد.

ولو تتبعنا ما حصلَ لصاحب الترجمة مع الفريقين لطال الكلام، وخشينا الملام، لأنه كانَ من المحبوبين الذين تغلبُهم الغَيرة في الدين.

وكان من أهل الكشف والنور، الذين يبدو لهم المستور.

حُكيَ أنه عزم في بعض أسفاره على السفر من المكلاّ في ساعية، ومعها عدد من

السواعي مسافرة إلى عدن، فلما استقر في الساعية وشمّرت السّواعي، وأراد صاحب الساعية أن يشمّر، نازل صاحبَ الترجمة حال، فطلب من صاحب الساعيةِ أن يتأخر عن السفر، وينتظره، وخرج هو إلى البلدِ فامتثل أمرَه صاحبُ الساعية.

وقال بعضُ الناس: إن الحبيبَ شيخان صاحبُ خواطر ووسوسة، قطع بالساعية وأهلها، فرأى ذلك القائلُ شخصاً يقول له: «دع الاعتراض على الحبيب شيخان، فليس هو صاحبُ الوسوسة، ولكنه البارحةَ تولى حالَ الحبيب أحمد بن حمزة العطاس، وهو سابع حالٍ تولاه من أحوالِ العلويين»، فندم ذلك القائلُ وتاب.

ثم إنها حصلت ضربةٌ في البحْر على تلك السواعي التي سافرت وغرق أكثرها، وحمد صاحبُ الساعية امتثالَه لأمرِ صاحبِ الترجمة، وسافر معه بعد أيام، وجاء الخبر من وادي عَمْد بوفاة الحبيب أحمد بن حمزة العطاس ليلةَ الرؤيا. وبالجملة؛ فمناقبُ صاحب الترجمة كثيرة، وكراماته شهيرة.

وكان يحبُّ شيخنا وحبيبَنا الحبيب محمد بن طاهر، ويحترمه ويصرح بولايته وعظيم منزلته، وكان سيدي يجله ويحترمه ويزوره.

وكنتُ معه بحمد الله لما زاره سنةَ ١٣١٢ اثنتي عشرة وثلاثمائة وألف، مع سفره إلى الهند، ثم زاره بعد رجوعه من الهند في السنة التي بعدَها. وأخبرني الحبيبُ عبدِالله بن صاحب الترجمة: «أن والده كان يستعمل الرُّشْبَة للتداوي فلما استأذنَ لزيارته سيدي الحبيبُ محمد، قال لنا: «أخرجوا الرُّشبة، فإن الحبيب عبد الله الحداد قائلٌ بحرمةِ التنباك، وهذا وارثُه سيدخلُ علينا»، فأخرجناها حتى خرج الحبيب محمد.

قلتُ: وحيثُ كان الحديث شجون، فقد رأيت سنة ١٣٣٧ سبع وثلاثين وثلاثمائة وألف، وأنا بجاوه في بلد بوقور، عند شيخِنا الحبيب العارف بالله محمد بن عيدروس الحبشي، رأيتُ سيدَنا الشيخ الكبير عبد الرحمن بن محمد السقاف على هيئةٍ قصصتُها على

سيدي الحبيب محمد بن عيدروس المذكور، قال لي: «هل تعرف شيخان بن علي؟»، قلت له: «زرتُه في الصغَر مع سيدي الحبيب محمد بن طاهر».

فأولتُ الرؤيا بما فهمتُ منه: أنّ صاحبَ الترجمة أقيمَ مقامَ جده الشيخ عبدالرحمن المذكور، وإلى ذلك أشرتُ في قصيدةٍ أنشأتها عند زيارتي لصاحب الترجمة بقولي (شعراً):

* ويا وارثَ السقافِ في الحسْنِ والحسنَى *

ولا بأسَ بذكر القصيدة برمتها على رِكّة مبناها ومعناها، للمناسبة؛ قلتُ سنة ١٣٢٤ أربع وعشرين وثلاثمائة وألف، بعد رجوعي من الحرمين الشريفين (شعراً):

وقفتُ على أعتابكم فارغَ اليُمنى ... وأنزلتُ رحلي يا أولي الجود في المغنى

وقفتُ بذلي وانكساري وفاقتي ... طريحاً بذنبي سيءَ الحس والمعنى

وظني جميلٌ يا كرامُ بكم ولم ... أزلْ لجمالٍ منكم عاشقاً مُضْنى

أهيمُ إذا بالقلبِ قد مرّ ذكرُكم ... ويطربني صوتُ الذي باسمكم غنّى

فماذا قِرائي منكُم يا أولي الوفا ... فلا خيّب الرحمنُ لي فيكم الظنا

فيا شيخَنا شيخانُ يا علمَ الهدى ... أجبْ عبدَك الحداد أنتَ الذي تعنى

أغثني لما أرجوه فضلاً ومنّةً ... وقل: أنت في الدارين يا ابنَنا منّا

وقم يا كريمَ الحي أنتَ لما عنى ... ويا وارثَ السقاف في الحسْن والحسنى

وعندي على تصديق قولي شواهد ... وهل تختفي شمسُ الضحاء لذِي عينا

فكن شافعِي إني على قبحِ سيرتي ... أريد قرارَ العين في حضرة الإدنا

وبي عطشٌ للشّربِ من منهَل الهنا ... فقل: ترتوي منها بدَنٍّ يلي دنا

وقد عاقني نفسٌ حرونٌ عِنانها ... عن المشتهى مع غَمرة الجهلِ لا يثنى

وإن بكُم أرجو نجاح مآربي ... فيا سادتِي بالله لا تغفلوا عنا

ومـن نقـصدُ إن لم تـشفَعوا عنـد ربّنـا ... إذا مـا دعونـاكم ولا قمـتمُ معنـا

وعارٌ عـلى راعـي الحمـى وهـو قـادر ... إذا مـا أغـار الـذئبُ في داخـل المبنـى

وصـل عـلى طَـه الحبيـب ومـن بـه ... على كلّ مَن فـوقَ البـسيطة قـد سُـدنا

وآلٍ وأصـحابٍ ومـن جـاء بعـدَهم ... بلا كسلٍ يـسعى عـلى المنهج الأسـنى

وما أحسن ما قاله شيخنا الإمام الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار، في كتاب منه لأولادِ صاحبِ الترجمة، مشيراً إلى أن تنقلَ الأخيار في الأقطار رحمةٌ من الرحيم الغفار، قال نفع الله به: «مضَت عصورٌ طويلة والسادة العلويين مجتمعين بتريم، حتى حصل الإذن الإلهي بتفرّقهم في البلاد، لحفظ الأرض ونفع العباد، مصداقاً لقوله ﷺ: **«النجومُ أمانٌ لأهلِ السماء، وأهل بيتي أمانٌ لأهل الأرض»**.

فتفرقوا حتى لا تكادُ تخلو منهم أرضٌ من جهات حضرموت، من عدن إلى سيحوت، بل واتسعوا في جميع الدنيا، في أرض العرب والعجم، سادات جَم من كل يم، وكلهم من تريم ثم من البصرة ثم المدينة ثم من مكة، ولا زالوا ينسلون، وفي الجهات يتسلسلون، حتى تفرقوا في هذه السهول عرضها والطول. منهم من أنجد، ومنهم من غار، ومنهم من اختار سواحل البحار، وجاور البحْر الزخار، وسكنوا الشحرَ واتخذوها دار، وأموالاً وعقار، وغياض كبار أو صغار، تجري من تحتها الأنهار. ولم يزل هذا التسلسلُ جارٍ بين البلدان والقفار، حتى ساقت الأقدارُ الحبيبَ الذي ما على ولايته غبار، وشارقةً كشروق النهار، بل ولا على صلاحه ودعوته دخان، الحبيب شيخان، فقد سكنَ المكلاّ وأصبحت به منيرة الأركان، ولم تزل دعوته بها مشهورة، ورايتها منشورة، معنًى وصورة، وفي دفاترها مسطورة». انتهى.

وكان صاحبُ الترجمة أخبرَ بعضَ أهل المكلا أن وفاته تكون عندهم، عند سفره منها في بعض أسفاره، وحكى بعضُ الصلحاء من أهل المكلا: أن الحبيبَ عمر بن علي أبو

علامة، أشار في حياته إلى موضع قبر صاحبِ الترجمة، قائلاً: «هاهنا تكون قبة شيخ البلد»، ورأى بعضهم سيدَنا القطب الحداد ينَظفُ ذلك المكان قبلَ وفاة صاحب الترجمة بأيام. ولما أراد الله إنفاذ ما حكمَ به وقضاه، تحركت همةُ صاحب الترجمة للسفر إلى المكلا، ووصلَها لإحدى عشَر شهر رجب سنة ١٣١٣ ثلاثة وعشرة وثلاثمائة وألف، وساومَ في الساحةِ التي قُبر فيها، وتم شراها قبل وفاته بليلة.

وأخبرني الحبيبُ عبدالله بنُ صاحبِ الترجمة: أن ثمنَ الساحة أو أكثرَه من شيخنا الحبيب محمد بن طاهر، في قصة حكاها لي.

وكانت وفاتُه في يوم السّبت لسبعة عشرين رجب بعد وصوله إلى المكلا بسَبعة أيام، رحمه الله ونفعنا به وأعاد علينا من بركته في الدارين، آمين. وقُبِر في تلك الساحة، وبنيت عليه قبةٌ مشرقةُ الأنوار، لا تزال عامرةً بالزوار والأذكار.

[جدُّه: الحبيب هاشمُ بن شيخٍ السقاف]

وأما الحبيبُ هاشمُ بن شيخ بن محمد، جدُّ الحبيب شيخان، فكان ولياً كبيراً، وعارفاً شهيراً، وعلماً منيراً، ذا أحوال عظيمة، وسيرة قويمة، وكرامات عميمة، وكشوفات صادقة، وأنوار شارقة.

ولد بتريم، وأمّه الشريفةُ: فاطمة بن الحبيب أحمد بن الحسن بن عبدالله الحداد، وقرأ القرآن العظيم، وتربى بها، كان كثير السَفر إلى البنادر واليمن، ومعروف فيها ومشهور، وكراماته لا تخفى على كل من شاهدَه أو سمع به. وتوفي رضي الله عنه ببلد قَسَم، وقبره معروف رضي الله عنه.

كان يلقب بـ(هاشِم العسل)، لأنه كان في صِغَره إذا سارت من عنده أمُّه طرحَ أصبعه في فيه، وإذا هو يحلبُ عسلاً يغنيه عن لبن أمه، إلى أن كبر وهو على تلك الحالة،

ومع أكل العيشِ تحلبُ يدُه الشريفةُ عسلاً من أحسن العسل فوقَ العيش إذا شاءَه وأراده. وكان يُظهِر الرُّطَبَ في غير أوانه.

وكان يحضر الأطعمةَ من الأماكن البعيدة التي لا توجَدُ مثلها في الجهة الحضرمية إذا ألجأت الحاجة لذلك، وفي أوعية غريبة، أخبَرني بذلكَ من حضره وشاهده وجالسه مراراً عديدةً. وكان يمْشي وقتَ المطر، ولا يصله شيء منها، وتبقى ثيابه جافةً على ما كانت عليه والمطر تمطر، رضي الله عنه ونفعنا به، آمين.

[سانحة:
في ذكر الحبيب علوي بن هاشم السقاف]

فائدةٌ سنحت، وفرصة اغتنمت، في ذكر الحبيب المحبوب المجذوب، علوي بن هاشم بن شيخ بن عبد الله بن عمر، جد صاحب الترجمة، صاحب قرسي المستغرق بمشاهدة الجمال القدسي المشغول بالذهاب في ذلك الجناب عن كل جني وإنسي رضي الله عنه.

ولد بتريم وبها نشأ، ومن سُلافِ أسْلافه شربَ وانتشى، قادته أزمةُ الأقدار، بتدبير الذي يخلق ما يشاء ويختار، إلى التنقل في الأسفار، واستقر به القرار بجهة جاوه، وتدير بلد قِرْسي المعروفة بتلك الديار، وبها تطورَ في مراتب الولاية في أحسن الأطوار، وانتشر ذكرُه وطار، واعتقده الصغار والكبار، والأبرار والفجار، والمسلمون والكفار.

وكانت له أحوالٌ عظيمة، وسيرٌ قويمة، كان لا ينام من الليلِ إلا القليل، كثير الصمت حليف السهر، أليف الفِكَر، قاصراً على ما يقربه من مولاه النظر، له القدم الراسخ في المجاهدة والمشاهدة، وله تصرفاتٌ وكراماتٌ وخوارقُ عادات، وكان ذا جودٍ وكرم، يذبح كل يوم خمسةَ عشر رأساً من الغنَم، للضعفاء والمساكين، والفقراء والوافدين، وكان من أهل التحقيق والتخريق.

قال سيدُنا الحبيب علي بن محمد الحبشي رضي الله عنه: «صلّى الحبيبُ عبد الله بن عمر بن يحيى صلاةَ العصر في سرباية من أرض جاوه، وخلفَه الحبيبُ أحمد بافقيه وولده محمد، وهناك الحبيبُ علويّ بن هاشم، وهو عظيمُ الحال، ويغلب عليه الجذب، لم يصلِّ معهم، فوقع في خاطر الحبيبِ محمد بافقيه شيءٌ من الإنكار عليه، وقال في نفسه: أيش هذه الولاية؟ الناس يصلونَ وهذا جالس! فكُشفَ لوالده عما خطرَ له، فوكزه، وقال له بعد السلام: «ارفع رأسك وانظر»، فرفع رأسَه فرأى عشر صورٍ من صُور الحبيب علوي المذكورِ تصلي في الهواء».

وحكى الحبيبُ الإمام حسنُ بن أحمد العيدروس؛ وكان خَصِيصاً بصاحب الترجمة، ومن الآخذين عنه والمنتفعين به، قال: «ضعتُ ذات ليلة في بعض البراري بجاوه مع مطرٍ وخوف، فاستغثتُ بسيدي علوي، فإذا هو قائمٌ عن يميني، فهداني إلى العمران».

ويُحكى عن الحبيب أحمد بن بن الحسن الحداد: أن صاحبَ الترجمة دخلَ يغتسلُ في بعضِ الأندية، وصار في صورةِ أسد، فخافَ الناس منه وهربوا، فرجع إلى صورته ودعا الناس، فرأوا من ذلك عجباً.

ويحكى عن الحبيبِ حسن بن أحمد العيدروس أيضاً: «أنه وقفَ على ضريح صاحبِ الترجمة بعدَ وفاتِه، فقام من قبره وجلسَ معه وحادثه ورجع إلى قبره».

توفي رحمه الله بقرسي ودفن بها، وقبرُه معروفٌ ومقصودٌ بالزيارة.

[ابنه: الحبيب حُسَين بن علوي السقاف
(... ـ ١٢٧٥ هـ)]

وخلفَه في مضاهاته في الحال، وكثرة الخوارق عند تلقب الأحوال: ولدُه الحبيب المحبوب، حسينُ بن علوي، رضي الله عنهما.

كان مثل والده من أهل الجذب والوهب، ولد بتريم، وقرأ القرآن العظيم وارتحل إلى السويري، قريةٍ تحت تريم، وبنى بها بيتاً وسكَنه، واستُخدمَ له بعضُ القبائل، وكان يحبُّ الخمول ومجالسة الفقراء، هاجراً للأطعمة الحسنة والملابس اللينة، حصوراً لم يتزوّج مدةَ عمره. وله استقامةٌ ووقائعُ أحوالٍ عظيمة، منها: أنه أخبرَ بوفاة والدِه يومَ توفي في جاوة، وطلب من السادة بتريم الصلاةَ عليه، فصلوا عليه، وجاءت الأخبارُ بعد ذلك بوفاته كما أخبر.

وحُكي عنه: أنه نازلَه حالٌ ذاتَ يوم، وصار يدور ويقول: «حفظ الله أحمد عيديد»، فخرج إليه بعضُ أصحابه وأدخلَه بيته، وإذا ثيابُه مبلولة، فأخرجُوها ولبس غيرَها وعصروها، وإذا البللُ بها من ماء البحر. وكان الحبيبُ أحمد بن عبد الله عيديد مسافراً، فجاء بعد مدة، وأتى زائراً لصاحبِ الترجمة، وأعطاه نذراً كانَ نذره.

وأخبر: أنها حصلت عليه ضربةٌ في البحر شديدة، فاستغاثوا بصاحبِ الترجمة فسكنت الضربة، ونجاهم الله ببركته. وأخبرني الحبيبُ شيخان بن علي، عن الحبيب العارفِ بالله علي بن سالم بن الشيخ أبي بكر، عن صاحبِ الترجمة، أنه كان يقول: «إن طرُقي إلى الله سبحانه بعدد نجوم السماء».

وتوفي قدس سره بتريم سنة ١٢٧٥ خمسٍ وسبعين ومائتين وألف، ودفن ببشار، وقبره معروف، رحمه الله ونفعنا به وبأسلافه، آمين.

* * *